

BOBST LIBRARY

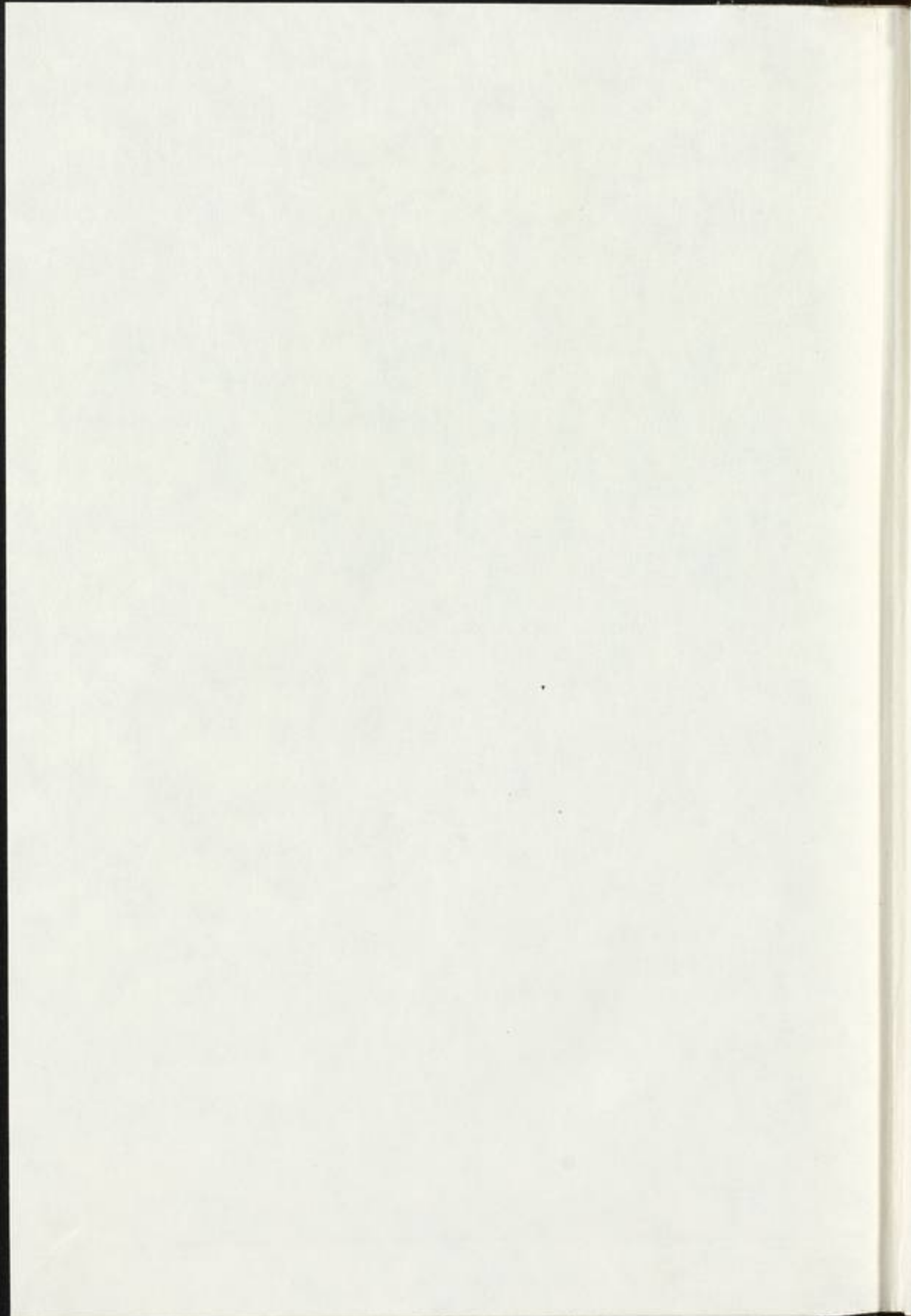


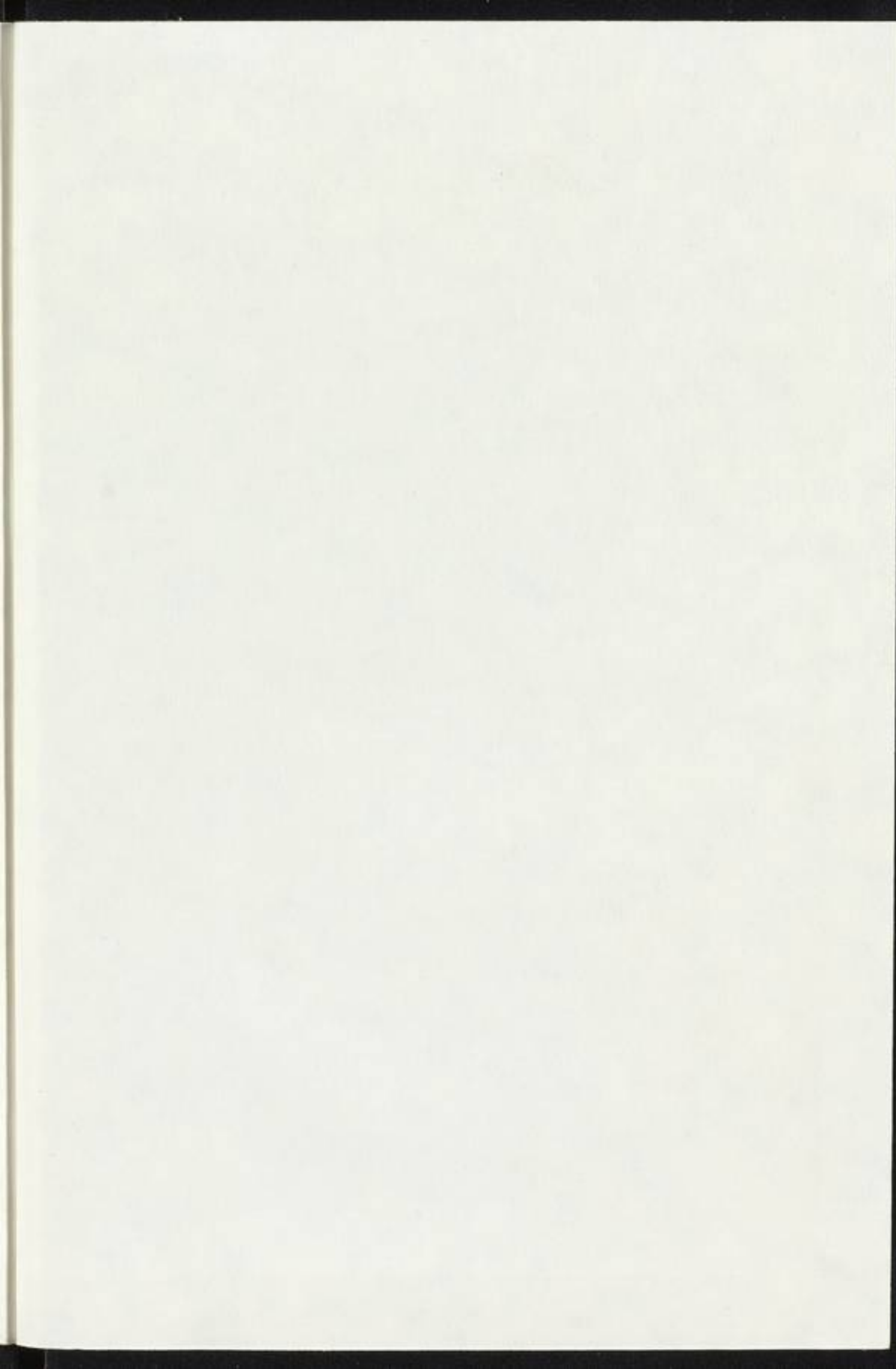
3 1142 01373 1008

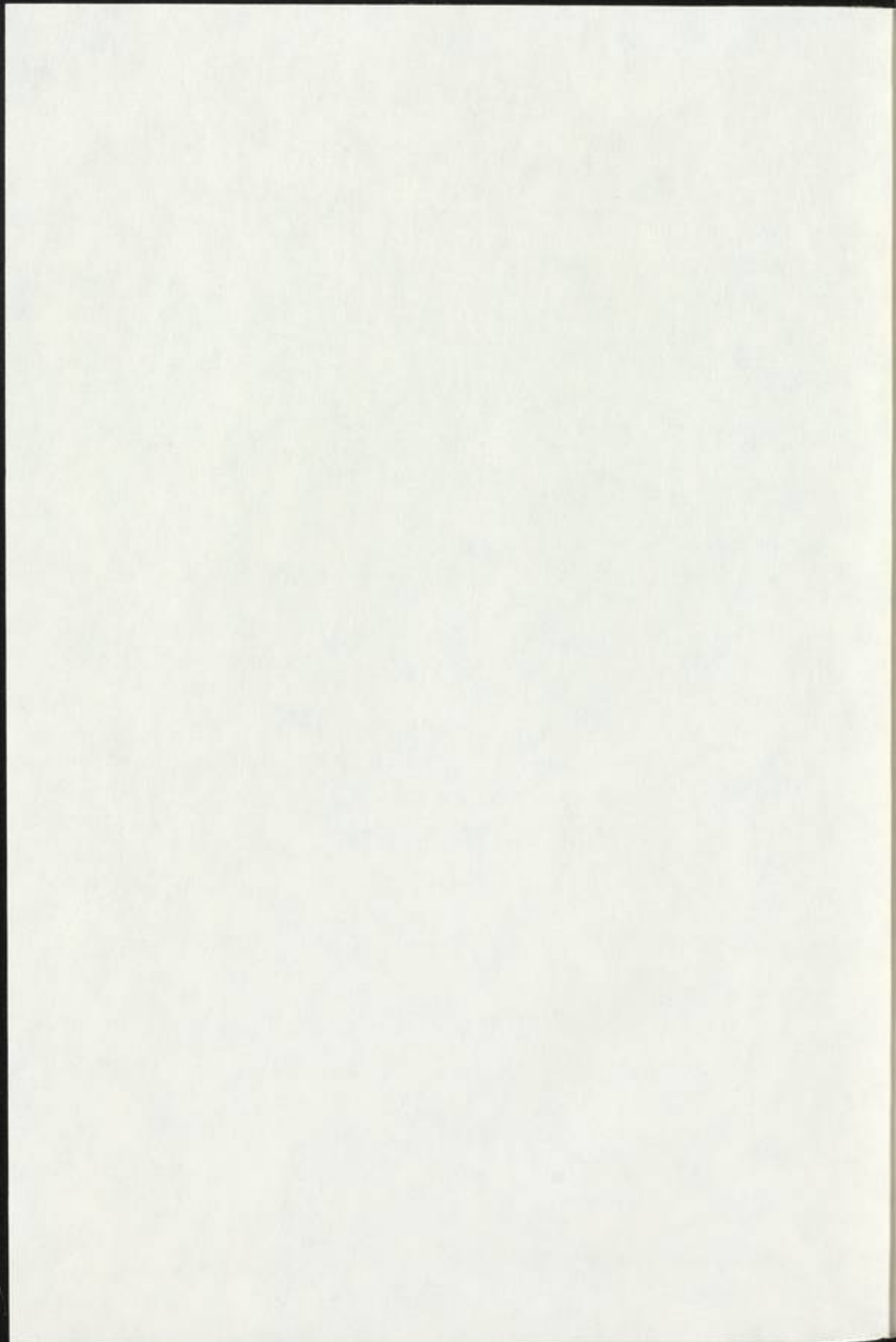


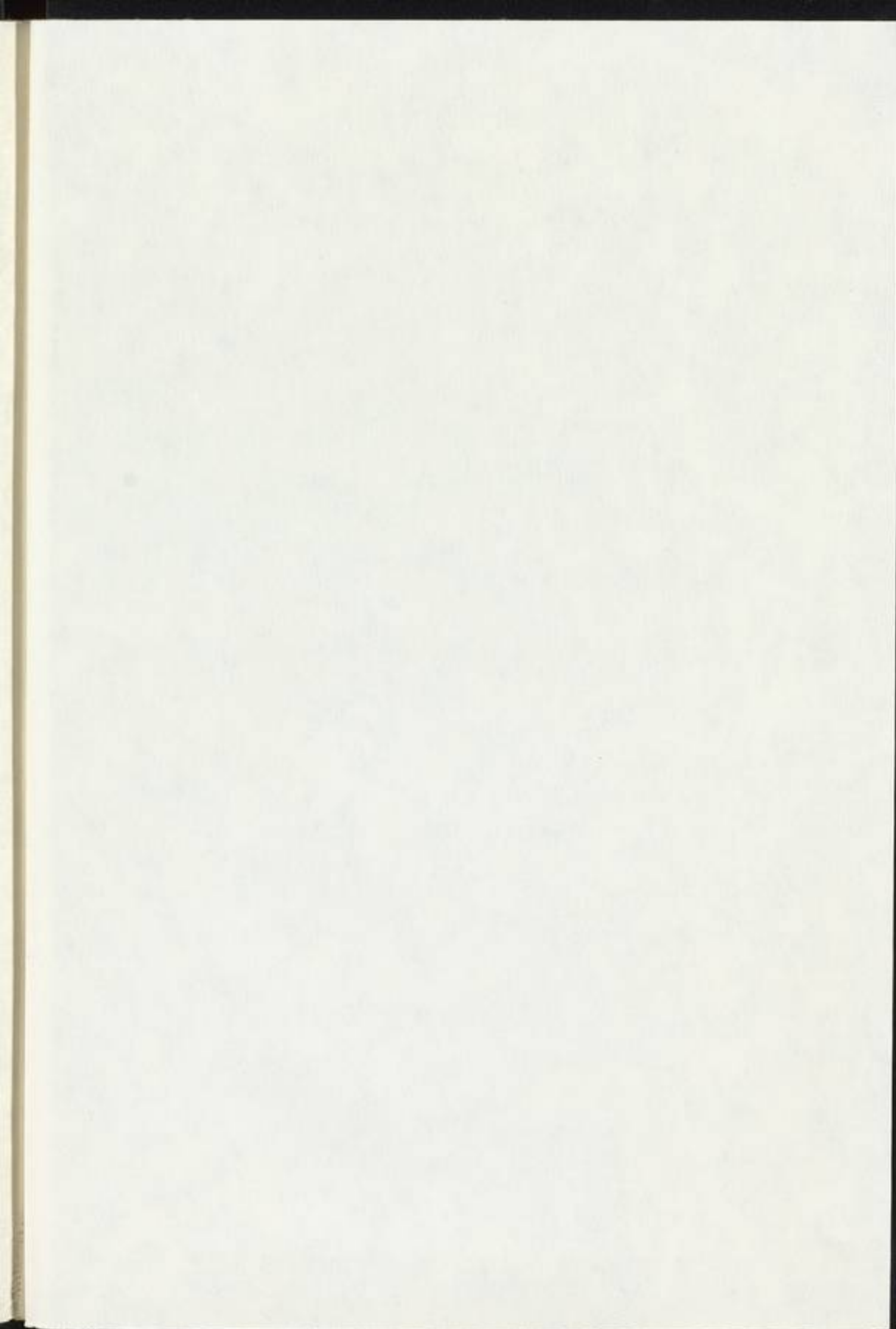
Elmer Holmes
Library

New York
University









الأسلام والشيعه (الامامية)

بسم الله الرحمن الرحيم



انتشارات دانشگاه تهران

شماره ۱۶۱۴

شماره مسلسل ۲۰۰۱

تهران ۲۵۳۶ شاهشاهی

Shahābī, Mahmūd

/at-Islām wa-at-Shī'ah al-Imāmiyah/

« قَدْ جَاءَكُمْ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ »

« قَمَّ أَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ »

« وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا »

« الأنعام - ١٠٤ »

الْإِسْلَامُ وَالشَّيْعَةُ (الْإِمَامِيَّةُ)

فِي

أَسَاسِهَا النَّارِجِيَّةِ

و

كِبَائِهَا الْأَعْقَادِيَّةِ

لِمَوْلَانِي

محمود الشهابي الخراساني

الأستاذ «الممتاز» بجامعة طهران

الجزء الأول (من الأجزاء الثلاثة)

الطبعة الأولى

BP
166
.94
S52
1977

« إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ . . . »
٥١ (سورة آل عمران، الآية ١٩)

« وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ «الْإِسْلَامِ» دِينًا
فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ
مِنَ الْخَاسِرِينَ »
(سورة آل عمران، الآية ٨٥)

MAR 9 1989

« إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ »
(سورة البينة)

« فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
« أَنْتَ يَا عَلِيُّ وَشَيْعَتُكَ »
(تفسير الكبير للطبري - ذيل الآية - بإسناده)

74013731008

بَرَى النَّاسُ دُهْنًا فِي قَوَارِيرَ صَافِيًا
وَلَمْ يَدْرِ مَا يَجْرِي عَلَى رَأْسِ سِمْنِيمٍ

ناشر

مؤسسه انتشارات و چاپ دانشگاه تهران

چاپ و صحافی این کتاب در آذرماه ۲۰۳۶ شاهنشاهی

در چاپخانه مؤسسه انتشارات و چاپ دانشگاه تهران به پایان رسید

کلیه حقوق برای مؤلف محفوظ است

بها : ۸۵۰ ریال

فهرس

عناوين مطالب الكتاب

اجملاً

و

تفصيلاً

كليات ما فى الجزء الأول

- ١- حول التوجه الى المبدء والمآل وما يقتضيه الحال من الأعمال .
- ٢- حول الرسول والرسالة والمعجزة .
- ٣- حول الأديان الفاضلة ، والكتب المنزلة ، والإشارة الى اهم مزايا قرآن الكريم .
- ٤- حول كون الإسلام خاتم الأديان ، فمنهاجه اكمل المناهج .
- ٥- حول شخصية الرسول ، العظيمى صلى الله عليه وآله وسلم .
- ٦- حول كيفية الدعوة بمكة وسبب الجاء الرسول (ص) الى الهجرة .
- ٧- حول الهجرة الى المدينة ، وما جرى فيها و ترتب عليها .
- ٨- حول ما جرت فى سفره الأخير الى مكة للحج .
- ٩- حول ما جرت فى مرض الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وحين وفاته .
- ١٠- حول العترة و اهل البيت .
- ١١- حول الخلافة والخليفة .
- ١٢- حول العودة الى السقيفة .
- ١٣- حول ما جرى بعد السقيفة .
- ١٤- حول نشأة الشيعة .
- ١٥- حول الاختلاف فى الخلافة .
- ١٦- حول الوقائع المهمة فى خلافة ابي بكر (رض) .
- ١٧- حول مدة خلافة عمر (رض) .
- ١٨- حول الطريق الثالث .
- ١٩- حول ما جرى فى خلافة عثمان (رض) .
- ٢٠- حول مواقف ام المؤمنين ، عائشة ، والصحابه من عثمان .

فهرس ما فى الجزء الاول بالتفصيل

الصفحة
الف - سح

مقدمة الكتاب

- ١ -

حول التوجه الى المبدء والمآل وما يقتضيه الحال من الأعمال

- | | |
|---------|---|
| ٢ | ١- من أين؟ والى أين؟ |
| ٤ - ٣ | ٢- الانسان و شوقه الذاتى . |
| ٥ - ٤ | ٣- كمال الانسان، الخاص به . |
| ٧ - ٦ | ٤- سرّ التوجه الى الدين . |
| | ٥- المجهول الانسانى الأهمّ (من اين جئنا؟ والى اين نذهب؟ وما علينا انّ نفعل؟ |
| ٨ - ٧ | ٦- طريق الفلاسفة فى معرفة ذلك المجهول . |
| ١٠ - ٨ | ٧- الانسان عند الفريقيين (الماديين و الالهيين) |
| ١٠ | ٨- طريق الأنبياء والرسل فى تعريف ذلك المجهول . |
| ١٢ - ١١ | ٩- المأمّ ببعض ما استند اليه لأثبات المبدء . |
| ١٣ - ١٢ | ١٠- الطرق الصناعيّة لأثبات الصّانع . |
| ١٤ - ١٣ | ١١- طريق الفيلسوف الطبيعى لأثبات الصّانع . |
| ١٥ - ١٤ | ١٢- طريق الفيلسوف الألهى لأثبات الصّانع . |
| ١٦ - ١٥ | ١٣- تذييل (دليل من المؤلف لأثبات المبدء القيوم .) |
| ١٩ - ١٦ | ١٤- اشارة الى اصول نافعة لأهلها . |
| ٢٠ - ١٩ | |

الصفحة

- ١٥- الطّرق الإرشاديّة الفطريّة في كينيّة استقلال الأنبياء والرّسل . ٢٠
- ١٦- آيات القرآن المجيد (طرز احتجاج ابراهيم) ٢٠ - ٢٢
- ١٧- كينيّة دعوة موسى لفرعون وقومه الى ربّ العالمين . ٢٢ - ٢٣
- ١٨- ممّا ورد في دعوة نبيّ الإسلام الى الله تبارك و تعالي . ٢٣ - ٢٦
- ١٩- تكملة ، في انّ الاحتجاج على التّوحيد من طريقين . ٢٦
- ٢٠- تذكرة في انّ كلمات ائمة الشّيعه في التّوحيد ... ٢٦ - ٢٧
- ٢١- نقل حديث في مناظرة ابن ابي العوجاء مع الامام الصّادق وافحام الامام اياه . ٢٧ - ٢٨
- ٢٢- حديث آخر في مكالمه ابي شاكر الدّبصاني مع الامام واحتجاج الامام لاثبات الصّانع . ٢٨ - ٢٩
- ٢٣- حقيقه الدّين والمتدين الحقيقي . ٢٩

- ٢ -

حول الرّسول و الرّسالة و المعجزة

- ٢٤- الرّسالة ودلائل النّبوة العامّة: (دليل اللّطف و دليل المدنيّة) ٢٩ - ٣٤
- ٢٥- دليل خاص للمؤلّف على النّبوة العامّة . ٣٤
- ٢٦- الشّتون الستة للانسان . ٣٥ - ٣٦
- ٢٧- روابط الشّتون كل مع الآخر . ٣٦ - ٣٧
- ٢٨- ضرورة معرفة الروابط لواضع المنهاج . ٣٧ - ٣٨
- ٢٩- تبصرة في انّ القوانين الموضوعه البشريّة ناقصة . ٣٨ - ٣٩
- ٣٠- تلخيص الكلام في انّ وضع القانون الكامل ، غير مقدور للانسان . ٣٩ - ٤١
- ٣١- التّوجّه الى من يدعى الرّسالة امر فطريّ . ٤١ - ٤٢
- ٣٢- بما ذا يُعرف صدق الرّسول ؟ . ٤٢ - ٤٣
- ٣٣- ما هي المعجزة ؟ ، ٤٣ - ٤٤

الصفحة

- ٣٤- قوام المعجزة بامور . ٤٤ - ٤٥
 ٣٥- عرفان الرسالة ، بنفسها ، ادق الموازين و انسبها لمعرفة الرسول . ٤٥ - ٤٧
 ٣٦- خواص الرسول الذاتية ، بما هو ، رسول ثلاثة . ٤٧ - ٤٩
 ٣٧- ختام في نقل حديث يناسب دليل «اللطيف» . ٤٩

- ٣ -

حول الاديان الفاضلة والكتب المنزلة والاشارة الى اهم مزايا القرآن

- ٣٨- الأديان المشهورة الفاضلة ، والنظر فيها . ٥١ - ٥٢
 ٣٩- الكتب المنزلة - التوراة متعددة وهي غير الالواح النازلة على موسى -
 وكذا الاناجيل ، تاريخ جمع الاناجيل الاربعة- اناجيل اخر غير هذه الاربعة . ٥٢ - ٥٦
 ٤٠- القرآن المجيد ، انتسابه الى الرسول الصادق الأمين محمد بن عبدالله ،
 قطعي بالتواتر العام . ٥٦ - ٥٧
 ٤١- احياء القرآن ذكر الأنبياء والرسل السالفة و معجزاتهم . ٥٧ - ٥٨
 ٤٢- آيات من القرآن في حق موسى و شأن عيسى و امر كتابيهما . ٥٨ - ٦٠
 ٤٣- اشارة الى ان في ذكر القرآن معجزات الأنبياء نوع من التحدى . ٦٠ - ٦١
 ٤٤- نبذة مما نزلت في شأن الصديقة مريم . ٦١ - ٦٣
 ٤٥- تصريح القرآن ببشارة الأنبياء السالفة . ٦٣ - ٦٥
 ٤٦- اشارة الى امكان الاستدلال بالآيات الواردة لادعاء البشارة ، على صدق الرسول . ٦٥ - ٦٦
 ٤٧- عمومية دعوة القرآن و كون رسالة الاسلام عامة . ٦٦ - ٦٧
 ٤٨- اهم مزايا القرآن المجيد . ٦٧
 ٤٩- التدريج في التحدي . ٦٨ - ٦٩
 ٥٠- اشارات : المماثلة للقرآن - كمال القرآن للهداية - كلمة «مِنْ مِثْلِهِ» . ٦٩ - ٧١
 ٥١- اسلوب «التحدي» في القرآن ، بنفس القرآن . ٧١ - ٧٤

الصفحة

- ٥٢- وجوه اعجاز القرآن . ٧٤ - ٧٥
٥٣- وجهٌ خاصٌ للاعجاز على ما يراه المؤلف . ٧٥ - ٧٧
٥٤- الانسان والعقل - العقل آخر مدارج الانسان في اطوار حياته . ٧٧ - ٨٠

- ٤ -

حول كون الاسلام خاتم الاديان ، فمنهاجه اكمل المناهج

واهديتها الى ارشاد الخلائق

- ٥٥- دين الاسلام خاتم الاديان واتباعه يكتمل الانسان . ٨٠ - ٨٢
٥٦- القرآن وبيان المسئلة المجهولة . ٨٢ - ٨٤
٥٧- القرآن و عرفان المبدء الاعلى . ٨٤ - ٨٨
٥٨- القرآن و بيان المعاد فى النشأة الأخرى . ٨٨ - ٨٩
٥٩- معرفة المعاد فى القرآن وحال حياة الانسان بعد مماته . ٨٩ - ٩٠
٦٠- القرآن و منهاج العمل و شموله لبيان جميع ماينفع الناس و يضره . ٩٠ - ٩١
٦١- كمال المنهاج الاسلامى لاحتوائه كل ما يصلح الفرد و المجتمع . ٩١ - ٩٢
٦٢- القرآن و ارشاده الى العمل الصالح . ٩٢ - ٩٦

- ٥ -

حول شخصية الرسول العظيم صلى الله عليه وآله وسلم

- ٦٣- رسول الاسلام صلى الله عليه وآله وسلم ، تاريخ حياته اشمل تاريخ للحياة واكمله . ٩٨
٦٤- أسرة الرسول المكرمة . ٩٨ - ١٠٠
٦٥- اوصافه فى خلقته و شمائله و حليته . وصف على آياته . ١٠٠ - ١٠٢
٦٦- وصف هند بن ابى هالة حلية النبى . ١٠٢ - ١٠٤
٦٧- خلقه العظيم و كماله فى جميع الاوصاف الكاملة البشرية . ١٠٤ - ١٠٥

- الصفحة
- ٦٨- جامعيّة الرسول لجميع الكلمات . ١٠٥ - ١٠٦
- ٦٩- بعثته المباركة و جهالة العرب الجاهلي . ١٠٦ - ١٠٧
- ٧٠- جزيرة العرب في الجاهليّة و حال العرب قبل الاسلام . ١٠٧ - ١٠٩
- ٧١- ابتداء دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . ١٠٩ - ١١١
- ٧٢- منهاج الدين ناظر الى الفرد والمجتمع - شرع الاسلام ينظر الى الفرد
كنظره الى المجتمع . ١١١ - ١١٢
- ٧٣- نماذج مما دعا اليه الرسول - (منها حسن المعاشرة مع النساء) ١١٢ - ١١٤

- ٦ -

حول كفيّة الدعوة بمكة وسبب الجاء الرسول (ص) الى الهجرة

- ٧٤- اول من آمن بالرسول و صلى معه من الرجال . ١١٦
- ٧٥- انتخاب النبي عليّاً من ولد ابي طالب . ١١٦ - ١١٧
- ٧٦- تربية النبي (ص) عليّاً و تربيته كولد له . ١١٧
- ٧٧- سنّ عليّ وقت ايمانه بالرسول . ١١٧ - ١١٩
- ٧٨- قيام الرسول بدعوة عشيرته الاقربين ، و مقام عليّ فيه . ١١٩ - ١٢٠
- ٧٩- نصّ الرسول بالخليفة بعده حين دعوة العشيرة . ١٢٠ - ١٢٢
- ٨٠- الوراثة عن الرسول . ١٢٢ - ١٢٣
- ٨١- من التنصوص بخلافة عليّ عليه السلام . ١٢٣ - ١٢٤
- ٨٢- ابدال لفظ الحديث و تحريفه العجيب . ١٢٤ - ١٢٨
- ٨٣- كلام للسيد محسن ، الأمين العاملي ، مع ابن تيمية في شأن الحديث . ١٢٨ - ١٢٩
- ٨٤- دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، الناس كافة . ١٢٩ - ١٣٠
- ٨٥- نشر الدعوة وآثاره - تضييق المشركين على الرسول و اصحابه . ١٣٠ - ١٣٢
- ٨٦- هجرة المؤمنين الى الحبشة و نبذة من قصيدة ابي طالب ، التلاميّة
في كون الاسلام حقّاً . ١٣٢ - ١٣٣

الصفحة

- ٨٧- معاقدة قريش على معاداة الرسول (ص) وتضييقهم على بنى هاشم
 في شعب ابي طالب . ١٣٣ - ١٣٤
- ٨٨- امر الصحيفه ونهاء الحصر ، و ابيات من ابي طالب في امر الصحيفه
 واخرى قبيل وفاته في الأيضاء بنصر « النبي » . ١٣٤ - ١٣٦
- ٨٩- خروج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى الطائف بعد وفاة ابي طالب . ١٣٦ - ١٣٨
- ٩٠- بيعة العقبتين - بيعة النساء في الاولى ، و بيعة الحرب في الثانية . ١٣٨ - ١٤٠
- ٩١- اذن القتال و امر الرسول بالهجرة الى المدينة . ١٤٠
- ٩٢- مؤامرة قريش لقتل الرسول في اجتماعهم ثم اتفاهم على راي ابي جهل . ١٤١ - ١٤٢
- ٩٣- العدة المنتخبة للهجوم على الرسول في بيته ، و خيبتهم ١٤٢ - ١٤٣

- ٧ -

حول الهجرة الى المدينة وما جرت فيها وما ترتبت عليها

- ٩٤- بدء هجرة الرسول (ص) وافتداء على نفسه . ١٦٦ - ١٤٧
- ٩٥- على في مضجع الرسول ، وقيامه باعباء تضحية نفسه عن الرسول (ص) ١٤٧ - ١٤٨
- ٩٦- كشف حقيقة الحال على المشركين المهاجمين ووقوفهم بمنام على
 في المضجع . ١٤٨ - ١٤٩
- ٩٧- قفقوا المشركين اثر الرسول الى الغار وانصرفهم بالياس والتعس . ١٤٩ - ١٥٠
- ٩٨- في طريق المدينة و ظهور الكرامة من النبي . ١٥٠ - ١٥٢
- ٩٩- ورود الرسول (ص) بالمدينة و بناؤه مسجداً فيها . ١٥٢ - ١٥٣
- ١٠٠- حدوث تاريخ الهجرى بامره (ص) ، و كتاب عهد شراء الرسول
 سلمان الفارسي ، وعهده (ص) لابن اخي سلمان وأسرته ، و كلام
 من المؤلف في شأن الثاني من العهدين . ١٥٣ - ١٥٧
- ١٠١- ورود على بالمدينة على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . ١٥٧

الصفحة

- ١٠٢- خطبة الرسول (ص) بالمدينة في أول جمعة جمعتها . ١٥٧ - ١٥٩
- ١٠٣- في المدينة واتفاق القبيلتين: الخزرج والأوس على الأخوة الإسلامية، بعد ما كانت بينهما عداوة عريقة و منافسة قديمة فاصبحتا بنعمة الله اخواناً، وسمّاهم الله جميعاً بـ «الانصار» كما سمى الوافدين من مكة باسم «المهاجرين» . ١٥٩ - ١٦٠
- ١٠٤- اصطفاء الرسول (ص) علياً للاخاء، وكيفية المؤاخاة بين المؤمنين . ١٦٠ - ١٦١
- ١٠٥- اخوة الدنيا والآخرة لعليّ مع النبيّ بقوله (ص) : انت اخي في- الدنيا والآخرة . ١٦١ - ١٦٤
- ١٠٦- المدينة والاسلام ، والأشارة الى الغزوات والسرايا، والاصطلاح فيها ، وعدة كل منهما . ١٦٤ - ١٦٦
- ١٠٧- شأن عليّ في تلك الغزوات ، ومواساته يوم الأحد الذي فيه سمعوا : لاسيف الا ذوالفقار ولافتى الا عليّ . ١٦٦ - ١٦٨
- ١٠٨- عليّ و غزوة الخندق وقول الرسول في حقّه : «برز الأيمان كلّه الى الشرك كلّه» ١٦٨ - ١٦٩
- ١٠٩- عليّ و غزوة خيبر وقول الرسول (ص) «لأعطينّ اللواء غدأرجلا يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسولُهُ» . ١٦٩ - ١٧١
- ١١٠- سرعة نشر الاسلام ، وشدة تأثيره . ١٧١ - ١٧٣
- ١١١- الاسلام خارق العادة في التعليم والتربية . ١٧٣ - ١٧٥
- ١١٢- من الوقائع العجيبة لتأثير الاسلام في نفوس المسلمين . ١٧٥ - ١٧٦
- ١١٣- ختام لبيان التأثير . ١٧٦ - ١٧٧

- ٨ -

حول ماجرت في سفره الاخير الى مكة للحجّ

- ١١٤- حجة الوداع وتعيين الرسول ، المواقف والمناسك وتعليمه الفرائض والمواسم للحجّ .

١٨٠

الصفحة

- ١١٥- خطبة حجة الوداع، وفيها التوصية باستيحاء الخير للنساء، وكون المسلم اخ المسلم.
١٨٠ - ١٨٢
- ١١٦- اكمال الدين و اتمام النعمة، ولزوم التمسك بالثقلين: القرآن والعترة. و بيان مولوية علي لمن كان (ص) مولاة.
١٨٢ - ١٨٤
- ١١٧- نزول آية الاكمال و الاتمام يوم الغدير، و قول عمرو لعلي في هذا اليوم: «بَخُّ بَخُّ لَكَ...»
١٨٤ - ١٨٥
- ١١٨- آية التبليغ و نص الرسول على خلافة علي من بعده.
١٨٥ - ١٨٦
- ١١٩- انكار المخالف لنزول الآيتين يوم الغدير، لاعتبار له بعد اقرار جم غفير من اكابر علماء اهل السنة.
١٨٦ - ١٨٧
- ١٢٠- كلمات مع المنكرين و اسئلة ينبغى التدبر فيها.
١٨٧ - ١٨٨
- ١٢١- تجاهر الرسول بالدعوة من غير خوف و خشية.
١٨٨ - ١٩٠
- ١٢٢- وَهَمٌ وَ حَسَمٌ (كلام بعض المفسرين لآية التبليغ، و بيان ما فيه)
١٩٠ - ١٩٢
- ١٢٣- اسئلة يجب على المخالف ان يجيب عنها.
١٩٢ - ١٩٤
- ١٢٤- حول غدير خم، و نقل آيات من حسبان شاعر رسول الله (ص).
١٩٤
- ١٢٥- طرق حديث الغدير. كتاب في نحو من ثلاثين مجلدا في طرق حديث غدير خم.
١٩٤ - ١٩٧
- ١٢٦- تواتر حديث غدير خم، و قول الحافظ ابى العلاء العطار الهَمَلَانِي انه يروى الحديث عن مائتي و خمسين طريقا !
١٩٧ - ٢٠٠
- ١٢٧- دلالة الحديث. تمحلات باردة في تفسيره. التحقيق في تفسيره و تثبيت دلالته على المراد.
٢٠٠ - ٢٠٢
- ١٢٨- تذكرة فيها تبصرة.
٢٠٢ - ٢٠٥
- ١٢٩- ختام الكلام في حديث الغدير.
٢٠٥ - ٢٠٦
- ١٣٠- ترك الرسول (ص) الثقلين للامة.
٢٠٦ - ٢٠٧
- ١٣١- القرآن مع السنة، و العترة.
٢٠٧ - ٢٠٩

حول ماجرت في مرض الرسول وحين وفاته

- ١٣٢- مرض الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وامره باتيان اللوح والدواة
ومخالفة عمر للامر، على مافى صحيح البخارى .
٢١٠- ٢١٣
- ١٣٣- حديث المخالفة من غير صحيح البخارى ايضا .
٢١٤
- ١٣٤- ماذا اراد الرسول ان يكتب ؟
٢١٣- ٢١٤
- ١٣٥- ملاحظة كلام المخالف المانع .
٢١٥- ٢١٤
- ١٣٦- توضيح المقال بتحليل كلام عمر .
٢١٥- ٢١٦
- ١٣٧- سؤال عما كان يرتفع به الضلال (ماذا كان الذى يدفع ضلال الامة به؟)
٢١٦- ٢١٧
- ١٣٨- غرض المخالف المانع .
٢١٧- ٢١٩
- ١٣٩- مخرج الكلام المانع فى هذا المنع و بعض كلماته الأخر على ماخرجه
وأولته ابن ابى الحديد .
٢١٩- ٢٢٠
- ١٤٠- اعتراف عمر بمنعه عما اراد الرسول من الكتابة .
٢٢٠- ٢٢٢
- ١٤١- توجيه انصراف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عما أمر به .
٢٢٢- ٢٢٣
- ١٤٢- فائدة امر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .
٢٢٣
- ١٤٣- ماترك الرسول (ص) للامة .
٢٢٣- ٢٢٤
- ١٤٤- على^١ هو الهادى ، به يهتدى المهتدون بعد الرسول المنذر (ص) .
٢٢٤- ٢٢٥

حول العترة و اهل البيت

- ١٤٥- من هى عترة الرسول الطاهرة ؟
٢٢٨
- ١٤٦- فاطمة الزهراء بضعة من رسول الله (ص) وسيدة نساء اهل الجنة ،
و ابناءها ابناء النبى (ص)
٢٢٩- ٢٣٠

- الصفحة
- ٢٣٠ - ٢٣١ ١٤٧- علي وفاطمة .
- ٢٣١ ١٤٨- الحسن و الحسين ابناء رسول الله .
- ٢٣١ - ٢٣٣ ١٤٩- حبّ النّبىّ الحسنين و ابويهما: «مَنْ أَحَبَّنِي وَ أَحَبَّ هَذَيْنِ وَ ابَاهُمَا وَ أُمَّهُمَا كَانَ مَعِي فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»
- ٢٣٣ - ٢٣١ ١٥٠- حديث الكساء و آية التطهير و قول عائشة (رض) في الطاهرين -
- ٢٣٣ - ٢٣٥ المطهّرين من اهل البيت
- ٢٣٥ - ٢٣٦ ١٥١- العترة هي اهل البيت و عليّ صلّمهم و رأسهم .
- ٢٣٦ - ٢٣٧ ١٥٢- الصلوة على آل محمّد ، وهم العترة ، في الصلوة .
- ٢٣٧ - ٢٣٨ ١٥٣- خطبة الحسن (ع) و تصرّحه بأنّهم «العترة» و العترة احد الثّقليّين و ثاني كتاب الله .
- ٢٣٧ - ٢٣٨ ١٥٤- مثّل اهل البيت ، مثّل سفينة نوح و مثّل «باب حِطَّة» ،
- ٢٣٨ - ٢٣٩ ١٥٥- عليّ لا يقاس به احد ، على ما قال عبد الله بن عمر و احمد بن محمد بن حنبل
- ٢٣٩ - ٢٤٠ ١٥٦- موضع عليّ من الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم .
- ٢٤٠ - ٢٤١ ١٥٧- عليّ و القرآن ، يعرف ناسخه و منسوخه و محكمه و متشابهه ، و يعلم في من نزلت و في اى شيء نزلت . . .
- ٢٤١ - ٢٤٢ ١٥٨- عليّ مع القرآن لن يفترقا حتّى يردا على الرّسول ، الحوض .
- ٢٤٢ - ٢٤٣ ١٥٩- اشارة الى نكتة .
- ٢٤٣ - ٢٤٤ ١٦٠- عليّ في نشوئه الديني ، شدة تأثير تربية الرّسول (ص) فيه .
- ٢٤٤ ١٦١- مولد عليّ و مماته في بيت الله (الكعبة و المسجد)
- ٢٤٤ - ٢٤٥ ١٦٢- اخلاص عليّ : نقل ابيات منسوبة اليه في هذا الشأن و بيان مفاخره
- ٢٤٥ - ٢٤٦ ١٦٣- الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم و عليّ من اصل واحد .
- ٢٤٦ - ٢٤٧ ١٦٤- تأكيد لما سبق من مقام عليّ من الرّسول (ص) و أنّه (ع) بمنزلة نفسه (ص)
- ٢٤٧ - ٢٤٩ ١٦٥- حديث المنزلة ، من الصّحاح و المسانيد .
- ٢٤٩ - ٢٥٢

الصفحة

- ١٦٦- تلخيص المقال . وفيه ان النبي لم يجعل احداً على عليّ اميراً قط . ٢٥٢ - ٢٥٣
 ١٦٧- ختام الكلام بحديث من سلمان عن النبي في كون عليّ اعلم من غيره ،
 فهو موضع سرّة و وصيّه .
 ٢٥٣

- ١١ -

حول الخلافة و الخليفة

- ١٦٨- السقيفة و تعيين الخليفة . ٢٥٦ - ٢٥٧
 ١٦٩- عليّ و اشتغاله بتجهيز الرسول ، صلى الله عليه وآله وسلم . ٢٥٧ - ٢٥٨
 ١٧٠- اجتماع الانصار في السقيفة ، و ورود المهاجرين الثلاثة عليهم فيها . ٢٥٨ - ٢٥٩
 ١٧١- السقيفة تحت المداقة ، احتجاج ابى بكر و عمر لصرف الامر عن الانصار ٢٥٩ - ٢٦٢
 ١٧٢- اسئلة حول الاحتجاج - الاحتجاج بالشجرة و اضاءة الثمرة . ٢٦٢ - ٢٦٤
 ١٧٣- الثالث من الاسئلة : هل وقعت البيعة سالمة عن الأغراض الفاسدة ؟ ٢٦٥ - ٢٦٦
 ١٧٤- اول من بايع ابابكر : بشير الخزرجى ثم اسيد الاوسى حسداً
 و منافسة لسعد بن عباد . ٢٦٦ - ٢٦٩
 ١٧٥- الرابع من الاسئلة : كيف اكتملت البيعة مع عدم حضور اكابر المسلمين ؟ ٢٦٩ - ٢٧٠
 ١٧٦- الاعتذار بالاجتهاد و ما فيه من الأبراد . كلمات عليّ الأجتهد للبيعة ٢٧٠ - ٢٧٢
 ١٧٧- عدم مبايعة عليّ ستة اشهر ، و مجيىء عمر لأحراق دار فاطمة . ٢٧٢ - ٢٧٤
 ١٧٨- البيعة خارج السقيفة و تصريح عليّ بانته احق للخلافة . ٢٧٤ - ٢٧٦
 ١٧٩- اول من ابتز حقّ عليّ عليّ ما صرح به معاوية . ٢٧٦ - ٢٧٧
 ١٨٠- اول من ريث عن هذا الامر على ما نقل عن عمر . ٢٧٧
 ١٨١- بعض من تخلف عن بيعة ابى بكر ، و اسماء اكابرهم . ٢٧٧ - ٢٧٩
 ١٨٢- البيعة و ما فيها ، أو الاجماع العجيب الذى ادعاه ابن ابى الحديد . ٢٧٩ - ٢٨١
 ١٨٣- الخامس من الاسئلة : اما صرح عمر بكون ذلك البيعة فلتة ؟ ٢٨١ - ٢٨٢

الصّفحة

- ١٨٤- خطبة عمر و تصرّحه فيها بكون البيعة فلتة ولكنّ الله وقيّ شرّها . ٢٨٢ - ٢٨٤
- ١٨٥- حديث ابن عمر عن ابيه في كون البيعة فلتة ، وكون ابي بكر ظالمآله . ٢٨٤ - ٢٨٥
- ١٨٦- تصرّح ابي بكر نفسه بانّ بيعته كانت فلتة . ٢٨٥ - ٢٨٦
- ١٨٧- السّادس من الاسئلة : ماوجه كتمان عمر امر السّقيفة قبل ذهابه اليه ؟ ٢٨٦ - ٢٨٧
- ١٨٨- السّابع من الاسئلة : بماذا وجه الأمر بقتل الصحابيّ العظيم (سعد) ؟ ٢٨٧ - ٢٨٨
- ١٨٩- ملخص ما في «الاستيعاب» في ترجمة سعد بن عبادة الصحابيّ . ٢٨٨ - ٢٨٩
- ١٩٠- ملخص ما في «الاصابة» في ترجمته وعظمة مقامه عند الرسول (ص) . ٢٨٩ - ٢٩٠
- ١٩١- ماالذى أبيع به قتل الصحابيّ البدرى صاحب لوائه ومعتمده في مشاورته . ٢٩٠ - ٢٩٢
- ١٩٢- كلام سعد في السّقيفة . ٢٩٢ - ٢٩٣
- ١٩٣- لزوم سلوك وادى الانصار . ٢٩٣ - ٢٩٤
- ١٩٤- «حُبُّ الانصار آية الايمان و بُغْضُ الانصار آية التّفاق» ٢٩٤ - ٢٩٥
- ١٩٥- امر عمر بقتل سعد ، الصحابيّ العظيم . ٢٩٦ - ٢٩٧
- ١٩٦- عاقبة امر سعد انه قُتل بحوران بالشّام . ٢٩٧ - ٢٩٨
- ١٩٧- توجيهٌ لحضور سعد في السّقيفة ، و حلفه «بانّهم لو بايعوا عليّاً كان اوّل من بايع سعد» ٢٩٨ - ٢٩٩

- ١٢ -

حول العودة الى السّقيفة

- ١٩٨- عودٌ الى السّقيفة . ٣٠٢
- ١٩٩- حدوث الأجماعات ، مبدؤها و مآلها . ٣٠٢ - ٣٠٣
- ٢٠٠- شأن الاجتماع في السّقيفة و عدم كون البيعة فيها فلتة ، بل بالتّوطئة . ٣٠٣ - ٣٠٥
- ٢٠١- التّوطئة ممّن ؟ و لمّن ؟ و ممّن الذى هو «اقلّ حىّ في قريش» ؟ ٣٠٥ - ٣٠٧
- ٢٠٢- شأن البيوت في القلّة والكثرة ، والعزّة والدلّة ، وزمّعات قريش ٣٠٧ - ٣١٠

الصفحة	
٣١١ - ٣١٠	٢٠٣- كيفية التوطئة للسقيفة .
٣١٣ - ٣١٢	٢٠٤- الطرق المتصورة ، والموصول المنتيج منها .
٣١٤ - ٣١٣	٢٠٥- الراجح ، من الطرق ، اجتماع الأنصار . وهو الطريق المختار .
	٢٠٦- كيفية دعوة الأنصار للاجتماع . الدعوة للأنصار ، من الأنصار ، و باسم الأنصار .
٣١٦ - ٣١٥	
٣١٨ - ٣١٦	٢٠٧- شواهد على كون التوطئة للبيعة ، قبل السقيفة .
٣١٩ - ٣١٨	٢٠٨- الشاهد الثاني على التوطئة (كتمان خبر السقيفة)
	٢٠٩- الشاهد الثالث على كون التوطئة قبلا (مبادرة بشير الخزرجي و أسيد الأوسى الى البيعة)
٣٢٠ - ٣١٩	
٣٢٣ - ٣٢٠	٢١٠- بشير و اسيد قبل السقيفة و بعدها .
٣٢٣	٢١١- الشاهد الرابع على التوطئة (كلام معاوية)

- ١٣ -

حول ماجرى بعد السقيفة

٣٢٨ - ٣٢٦	٢١٢- بعد السقيفة واخذ البيعة بالقهر .
٣٢٩ - ٣٢٨	٢١٣- ارضاء ابي سفيان للبيعة ، باعطاء ما بيده من الصدقات .
	٢١٤- ختم الكلام عن السقيفة وما جرى بانها . حلف عمر بتحريق بيت فاطمة على علي . . .
٣٣١ - ٣٢٩	

- ١٤ -

حول نشأة الشيعة

٣٣٦ - ٣٣٤	٢١٥- نشأة الشيعة ونسبتها
٣٣٦	٢١٦- عنوان الشيعة

الصفحة

- ٢١٧- نبذة مماورد في شان عليّ وشيعته في الكتب المعتمدة لاهل السنة . ٣٣٦ - ٣٣٩
 ٢١٨- نبذة اخرى منها ، وفيها ان « من اطاعني و والي علياً من بعدى ،
 هم اصحاب الجنة وهم الفائزون » ٣٣٩ - ٣٤٠
 ٢١٩- عنوان « شيعه عليّ » في كلمات النبي صلى الله عليه وآله وسلم . ٣٤٠ - ٣٤٣
 ٢٢٠- عنوان « الشيعه » في كلمات عليّ واصحابه . ٣٤٣ - ٣٤٨

- ١٥ -

حول الخلافه والأختلاف فيها

- ٢٢١- الخلافه عن الرسول (ص) مننصب الهى عند الشيعه . ٣٥٠
 ٢٢٢- الخلافه عند اهل السنة ، بانتخاب الامه . ٣٥١
 ٢٢٣- مواضع للسؤال عن شرائط المنتخب والمنتخب وكيفية الانتخاب
 وعن الدليل لذلك . ٣٥١ - ٣٥٣
 ٢٢٤- اجتماع اهل الحل والعقد ، وما يرد عليه . ٣٥٣ - ٣٥٥
 ٢٢٥- مافي الاحتجاج بصحة الاجتماع ولزوم الاتباع (لاتجتمع امتي ...
 ومن يتبع غير ...) ٣٥٥ - ٣٥٧
 ٢٢٦- خلافة ابي بكر وانقضاء دوره . ٣٥٧ - ٣٥٨
 ٢٢٧- استخلاف ابي بكر ، عمر (رض) . ٣٥٨ - ٣٦١
 ٢٢٨- كتاب عهد ابي بكر وكيفية كتابته . ٣٦١ - ٣٦٢
 ٢٢٩- ختم و دفع وهم . ٣٦٢ - ٣٦٣

- ١٦ -

حول الوقائع المهمه في خلافة ابي بكر ، رض ،

- ٢٣٠- ماوقعت من الأمور الهامة في خلافة ابي بكر ، ٣٦٦ - ٣٦٧

الصفحة

- ٢٣١- من واجه ابو بكر خلافه- احراق اياس بامر ابو بكر و ندمه منه . ٣٦٧ - ٦٣٨
- ٢٣٢- الفريقان اللتان ابتلى بهما ابو بكر : الأول ، المتنبئون . ٣٦٨
- ٢٣٣- واقعة الأسود العنسي ، المتنبئى وقتله شهر بن باذان الايراني ٣٦٨ - ٣٧٢
- عامل النبي على اليمن .
- ٢٣٤- شأن المتنبئين في عهد ابي بكر . ٣٧٢
- ٢٣٥- طليحة وتنبؤه - قتال خالد و طليحة ، ثم اسلام طليحة في زمان عمر . ٣٧٢ - ٣٧٥
- ٢٣٦- سجاح و تنبؤها و عاقبة امرها . ٣٧٥ - ٣٧٧
- ٢٣٧- موادعة سجاح و مسيلمة ، و مسالمتها ، و تشرية سجاح للمرأة و جان ! ٣٧٧ - ٣٧٨
- ٢٣٨- تنبوء مسيلمة و عاقبة امره ، و بعض مسجعاته و مبتدعاته . ٣٧٨ - ٣٨١
- ٢٣٩- قصة براء بن مالك و شهامته في حرب مسيلمة ٣٨١ - ٣٨٢
- ٢٤٠- الثاني : المتسمون بعنوان اهل الردة . و واقعة قتل مالك بن نويرة ٣٨٢ - ٣٨٥
- ٢٤١- كلام ابي قتادة الانصاري و شهادته باسلام مالك و قول عمر لخالد : ٣٨٥ - ٣٨٨
- قتلت امرأ مسلماً . . .
- ٢٤٢- اشارة الى بعض المطاعن ، في قضية امر خالد بقتل مالك و نزوه ٣٨٨ - ٣٨٩
- على امراته .
- ٢٤٣- سبب عزل عمر ، خالداً عن الامارة في زمانه ٣٨٩ - ٣٩١
- ٢٤٤- كلام من الطبري و ابن الأثير في قضية نزو خالد على امرأة مالك ٣٩١ - ٣٩١
- يورث العجب .
- ٢٤٥- مالك و ميله و هويته . ٣٩١ - ٣٩٢
- ٢٤٦- تذييل : من هم اهل الردة من الاصحاب في الاحاديث التي اسندها- ٣٩٢ - ٣٩٥
- البخاري في صحيحه ؟
- ٢٤٧- ذيل التذييل : اصناف اصحاب الردة . ٣٩٥ - ٣٩٦
- ٢٤٨- ختام في شان علي و الحوض . ٢٩٦ - ٢٩٧

حول خلافة عمر ، رض ،

- ٢٤٩- خلافة عمر ، وجهده في سبيل اعلاء الاسلام . ٤٠٠ - ٤٠٢
 ٢٥٠- مقام عليّ في خلافة عمر و شأنه عنده (لولا عليّ لهلك عمر) ٤٠٢ - ٤٠٣
 ٢٥١- رجوع عمر الى مايشير عليه عليّ (قضية هرمزان) ٤٠٣ - ٤٠٤
 ٢٥٢- قضية بنات يزدرج و قبول عمر ماقاله عليّ في شأنهن . ٤٠٤ - ٤٠٥
 ٢٥٣- اشارة عليّ بذهاب أبي عبيدة الى بيت المقدس . ٤٠٥ - ٤٠٦
 ٢٥٤- اشارة عليّ لفتح بيت المقدس و لزوم ذهاب عمر بنفسه ، اليها . ٤٠٦ - ٤٠٧
 ٢٥٥- انقضاء دور عمر ، و مدة خلافته . ٤٠٧ - ٤٠٨
 ٢٥٦- راي عمر في استخلاف عليّ و كونه « احريهم ان يحملهم عليّ الحق » ٤٠٨ - ٤٠٩
 ٢٥٧- « كان عليّ اولي الناس بالامر » ، علي ما اعترف به عمر ٤٠٩ - ٤١٠

حول الطّريق الثالث

- ٢٥٨- ابداع طريق ثالث للاستخلاف . ٤١٠ - ٤١١
 ٢٥٩- نظرة في سبب العدول (في طريق الاستخلاف) ٤١١ - ٤١٢
 ٢٦٠- اختيار اشخاص من الصحابة للتشورى . ٤١٢ - ٤١٤
 ٢٦١- عود الى واقعة الاستخلاف ، و مكالمة عمر مع اصحاب التشورى
 و تنقيص كلتهم الا عليّاً . ٤١٤ - ٤١٨
 ٢٦٢- مكالمة عمر مع ابن عباس في الاستخلاف . ٤١٨ - ٤١٩
 ٢٦٣- اعتذار ابن ابي الحديد عمّا قاله عمر . ٤١٩ - ٤٢١
 ٢٦٤- قول النّبىّ (ص) في انهم ان ولّوا « عليّاً يجدوه هادياً مهدياً
 يحملهم على المحجة البيضاء و التصراط المستقيم » . ٤٢١ - ٤٢٢

الصفحة	
٤٢٢ - ٤٢٤	٢٦٥- نهاية ذلك الطريق ونجاح تلك المقدمات.
	٢٦٦- وصية عمر لابى طلحة فى اصحاب الشورى وامره بقتل الآبى منهم عمّا رضى به الاكثر .
٤٢٦ - ٤٢٤	
٤٢٨ - ٤٢٦	٢٦٧- كلام عمر فى عدم اجتماع النبوة والخلافة فى بنى هاشم!
٤٢٩ - ٤٢٨	٢٦٨- اهل الشورى وما اعتقد عمر من اوصافهم .
٤٣٢ - ٤٢٩	٢٦٩- الشورى و ماجرت فيها.
٤٣٢	٢٧٠- اقتراح ابن عوف ، وما اجاب عنه على و عثمان .
٤٣٤ - ٤٣٢	٢٧١- ارتاج الكلام على عثمان حين قيامه للخطبة بعد البيعة .
٤٣٥ - ٤٣٤	٢٧٢- تنبيهات حول الشورى : الأول منها .
٤٣٥	٢٧٣- الثانى منها .
٤٣٦	٢٧٤- الثالث منها .
	٢٧٥- العمل بالسيرة مع تنافيه لما جوزوا من العمل بالرأى والاجتهاد قد يتعدّر لوجود الاختلاف .
٤٣٧	
٤٣٩ - ٤٣٨	٢٧٦- ارشاد على الى ان الاصل المتبّع للمسلم ، هو الكتاب والسنة
٤٣٩	٢٧٧- الرابع من التنبيهات .
٤٤١ - ٤٣٩	٢٧٨- الخامس منها .
٤٤٧ - ٤٤١	٢٧٩- ما قيل او يقال ، على الطريق الابداعى الثالث ، الذى ابدعه عمر
٤٤٨ - ٤٤٧	٢٨٠- سبب آخر لحدوث الاختلاف .
٤٥٠ - ٤٤٨	٢٨١- سئوال لاجواب مُقنع له .
٤٥٠ - ٤٥٠	٢٨٢- ختام الكلام فى الشورى .

حول ماجرى فى خلافة عثمان

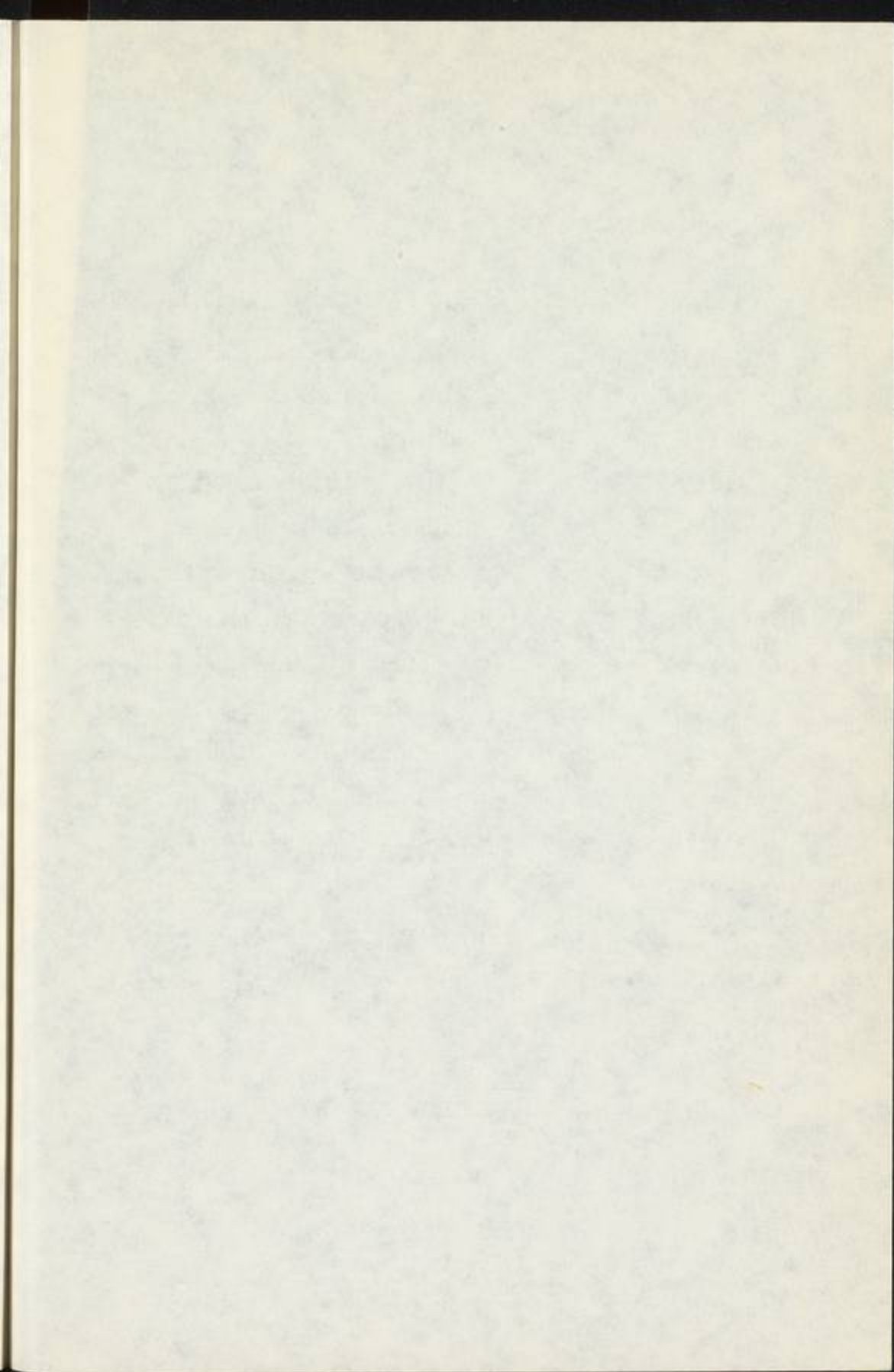
٢٥٦ - ٢٥٤	٢٨٣- عثمان فى خلافته.
-----------	-----------------------

الصفحة

- ٢٨٤- ردّ ابن ارقم صكّ عثمان .
 ٤٥٧ - ٤٥٦
 ٢٨٥- عثمان وعطيّاته لمروان .
 ٤٥٨ - ٤٥٧
 ٢٨٦- قضية عليّ (ع) و عامله مصقلة .
 ٤٥٩ - ٤٥٨
 ٢٨٧- تغيير عثمان سيرته .
 ٤٦٢ - ٤٥٩
 ٢٨٨- أوّل ماتكلّم الناس في عثمان .
 ٤٦٥ - ٤٦٢
 ٢٨٩- عُتبان ابن عوف على عثمان وهجرانه عنه .
 ٤٦٦ - ٤٦٥
 ٢٩٠- بعض مانقّم الناس و الصحابة على عثمان .
 ٤٦٨ - ٤٦٦
 ٢٩١- كتاب عثمان لتسيير اشراف الكوفة الى الشام .
 ٤٦٩ - ٤٦٨
 ٢٩٢- تغريب اشراف الكوفة الى حِمص
 ٤٦٩
 ٢٩٣- الأحداث التي نُسب احداثها الى عثمان .
 ٤٧٢ - ٤٦٩
 ٢٩٤- بعض ما طُعن به على عثمان (رض) .
 ٤٧٤ - ٤٧٢
 ٢٩٥- مآل الأجوبة عن المطاعن .
 ٤٧٥ - ٤٧٤
 ٢٩٦- ندم عثمان ، و توبته .
 ٤٧٧ - ٤٧٥
 ٢٩٧- نقض مروان ، ما أبرّمه عثمان .
 ٤٨٠ - ٤٧٧
 ٢٩٨- فساد مروان و افساده .
 ٤٨١ - ٤٨٠
 ٢٩٩- اجتماع المعتريّين ، في المدينة .
 ٤٨١
 ٣٠٠- كتاب جماعة فيهم عمرو بن بدليل ، الصحابي الى عثمان .
 ٤٨٢ - ٤٨١
 ٣٠١- كتاب اهل المدينة الى عثمان .
 ٤٨٢
 ٣٠٢- احضار عثمان جمعاً من عمّاله واقربائه للمشاورة .
 ٤٨٤ - ٤٨٢
 ٣٠٣- توسّل عثمان بعليّ لردّ الناس عنه .
 ٤٨٧ - ٤٨٤
 ٣٠٤- حول قول عثمان «... سرّ بالآ سرّ بئيه الله...»
 ٤٨٩ - ٤٨٧
 ٣٠٥- قتل عثمان ، وانقضاء دوره .
 ٤٩٠ - ٤٨٩

حول مواقف أمّ المؤمنين ، عائشة ، والصّحابة من عثمان

- ٣٠٦- موقف الصّحابة قبالة عثمان ، و واقعته . ٤٩٢ - ٤٩٤
- ٣٠٧- انّما قتله اصحاب محمّد (ص) و قرآء النّاس . ٤٩٤ - ٤٩٥
- ٣٠٨- كلام عمّار بن ياسر فى عثمان و قاتليه . ٤٩٥ - ٤٩٦
- ٣٠٩- موقف أمّ المؤمنين عائشة . ٤٩٧ - ٥٠٠
- ٣١٠- عائشة كانت من اشدّ الناس على عثمان . ٥٠٠ - ٥٠٢
- ٣١١- عائشة و مكالمتها مع أمّ سلمة . ٥٠٢ - ٥٠٤
- ٣١٢- موقف طلحة و الزّبير تجاه الواقعة . ٥٠٤ - ٥٠٩
- ٣١٣- موقف عمرو بن العاص من عثمان . ٥٠٩ - ٥١٢
- ٣١٤- موقف معاوية من ابن عمّه عثمان . ٥١٢ - ٥١٤
- ٣١٥- ندامة معاوية على خذلانه عثمان . ٥١٤ - ٥١٦
- ٣١٦- استغواء معاوية ، عبيدالله بن عمر . ٥١٦ - ٥١٩
- ٣١٧- علل قتل الخليفة و اسبابها ، بالتلخيص . ٥١٩
- ٣١٨- تأكيد لمّاسلف . ٥١٩ - ٥٢١
- ٣١٩- كلام لعمر بن عبدالعزيز فى ما احدث عثمان . ٥٢١ - ٥٢٣
- ٣٢٠- موقف على (ع) فى خلافة عثمان . ٥٢٣ - ٥٢٥



مقدمة

كتاب الاسلام والشيعة الامامية . . .

لمؤلفه الفاني

محمود الشهابي الخراساني

غُفِرَ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ

الحقوق ، كلها ، محفوظة للمؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على سيدنا محمد سيّد المرسلين ، وخاتم النبيين ، وعلى آله وعترته المطهّرين ، وعلى صفوة اصحابه الراشدين .

و بعد فيقول الحقيير الواني ، محمود الشهابي - الخراساني :

انّ اصدق كلمة يحقّ ان يصدر بها الكلام ، بعد الحمد والتّصليّة والسلام ، كلمة اشهد ان لا اله الا الله ، الاحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً احد . و اشهد ان محمداً عبده - المُنْتَجَب ورسوله المُنْتَجَب ، الصادق المصدّق في كل ما قال و نطق ، و انّ ما جاء به من الشريعة و المنهاج و حنى من الله و حق . و انه صلى الله عليه و آله و سلم ترك للأمة ما ان تمسكوا به لن يضلوا ابداً بعده : كتاب الله و العترة ، و على رأس العترة ، و ابوالائمة ، هداة الأمة ، اهل بيت الرسالة و فروع دوحه السقارة .
اللهم ثبتنا على ما ارتضيت لنا من الدين ، واجعلنا من الممتسكين بما ترك لنا رسولك الامين ، خاتم الانبياء و المرسلين و احشرنا معه و مع عترته الطاهرين و آل بيته المكرمين .

ثم يقول :

مما يتجلى في الاسلام جيداً جليلة هو شدة اهتمامه بالوحدة والاتحاد ، والألفة والاتفاق ، فجعلت فيه آية من آيات المؤمن انه « أَلِفٌ مَسْأَلُوفٌ » وأنزل في حق المؤمنين على سبيل الحصر ، انهم أخوة ، وأمرت الأمة بالاعتصام بحبل الله بالاجتماع ، ومنعت عن التفرق والاختلاف ، وشُرعت لهم الجماعة ، والجمعة ، والعيدين ، والحج للمفوز بالتعاهد والتألف للمجاورين في كل يوم وليلة ، ولاهل المحلة في كل اسبوع ، ولاهل البلدة في كل سنة ، ولاهل البلاد المتباعدة والاقطار- المتناحية المتكثرة في جميع العمر ، ولو مرة ، وفرضت عليهم الزكوات والصدقات ، وسنت العطيآت والنفقات ، لتوطيد اساس المحبة والولاء بين الاغنياء والفقراء (مضافا الى مالها من الخيرات التامة والمصالح العالية العامة)

هذه جليلة الحال عند من تأمل في مقاصد الاسلام ودعاياته ، وتوجهه الى القرآن-

المجيد وآياته ، فانظر الى قوله تبارك وتعالى : « انما المؤمنون اخوة »^١ وقوله ، جل وعلا ، : « و اعتصموا بحبل الله جميعاً ، ولا تفرقوا ، واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فاللف بين قلوبكم ، فاصبحتم بينعمته اخواناً... »^٢ وقوله عز وجل : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا ، واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات... »^٣ وقوله جل جلاله : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ، والذى اوحينا اليك ، وما وصينا

١- الاية العاشرة من السورة ال ٤٩ (الحجرات).

٢- الاية ال ١٠٣ من السورة الثالثة (آل عمران).

٣- الاية ال ١٠٥ (من آل عمران)

بِهِ اِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ، اَنْ اَقْبَيْنَهُمُ الدِّينَ وَلَا تَتَّبِعُوهُمُ فِيهِ...» والى كثير من الآيات ، والروايات ، الواردة بهذا المضمون ، لانطيل بذكرها .

هذا ما اهتم به الدين ، و اراده الله و رسوله ، من المسلمين . فيجب ان تدور عليه حياتهم فى افكارهم ، واقوالهم ، وافعالهم ، وجميع حركاتهم وسكوناتهم ، وكيف لا وجميعهم مؤمنون بانّ اللهم واحد ، و كتابهم واحد ، و شرعهم واحد ، و بالجملة كلهم معتقدون بالدين ، و بكلّ ما ورد فى الدين ، و مدعون بوجوب الطاعة و الامتثال لما ثبت فى الدين باليقين ؟

المسلمون ، بحسب الايمان والاعتقاد ، يحومون حول امر واحد ، و يدورون على محور مركز فارد ، فهم بهذا الاعتقاد والايمان ، ان توجهوا اليه و حافظوا عليه ، كنفس واحدة ، منضمّاً كل الى غيره بالسّخية ، و لا مدخل للخلاف و الاختلاف بينهم ، و ماداموا كان ذلك الايمان والاعتقاد فيهم راسخا ، و كان عملهم وفق ما يقتضيه ذلك الاعتقاد قائماً ثابتاً ، ما انفكوا عن الاتحاد والائتلاف فمابرحوا متعاقبين السيادة والسعادة والاعتلاء .

- ٢ -

ذاك ما هدى اليه الاسلام و ارشد ، و اهتم به الدين و شدّد ، وهذا ما يلزمه خالص ايمان المسلمين و يوجب ادعائهم المتقن و اعترافهم المؤكّد . فمن اين دبّ فيهم تنبّين - الخلاف ؟ وكيف حدث بينهم حدث الاختلاف ؟ و ليم صار اختلافهم بحيث اورث - التفرقة ، و صيرهم فرقة خصيم فرقة ، و جعلهم طوائف تُعادى ، بل تقاتل ، طائفة طائفة ؟

فيا للاسف كم من مجادلات قولية و تعصبات كلامية ، اتفقت بين هذه الطوائف و الفریق ؟ و كم من مجاولات فعلية دامية ، حدثت فى مآقع و اتفق : تارة بين الحنفيّة و بين الشافعية او مرّة بين الحنبليّة و بين غيرها ! وثالثة بين هذه المذاهب و بين الشيعة !

ورابعةً بين الأشعرية وبين المعتزلة، وهكذا كان الامر في سائر الفرق والمذاهب-
الاسلامية؟^١

بل والهفاه حيث يُرى^١، حتى في عصرنا الحاضر، الخلاف والاختلاف والجدال والقتال في المسلمين من مذهب واحد، وفرقة واحدة، و جنسية واحدة، على ماثهويه حكوماتهم الفاسدة النائمة ورؤسائهم الطامعة الغاشمة. و مما يزيد الناهف منه ان ذلك لاجل الاحتفاظ بالشعور والحدود وباسم التعدي والتجاوز على المحدود! اللهم ياربنا، الدين واحد والجنسية واحدة والملية واحدة فما هذه الحدود والموضوعه، والشعور المتنوعة التي تعاند وتقاتل هذه البلده الاسلاميه وهذه الطائفة المحمديه لاجلها تلك البلده، وتلك الطائفة، التي هي اختها والعجيب انها تختفي تحت ستار- الاعتذار بالتدافع عن التعدي، وفي عين الحال تدعي تلك بانها تدفع التجاوز والتخطي! فيالها من مصيبة للاسلام وفي الاسلام. ممن التعدي ايها الاخوان المسلمون؟! والى ابن؟! وعلى من!؟

اقتري^١ ان الله بعث رسوله (ص) لمثل هذه المعانداة؟! او اراد من امته، التي هي خير امة اخرجت للناس، هذه المباغضات والمشاحنات؟! او تكون هذه الاختلافات من الرحمة ويكون فيها خير الملة وصلاح الامة!؟

و يا للحسرة من اوراق، سوّدت بكلمات ناشئة عن التعصب والعدا، كاشفة عن العنت والداد، ماثلة من الرد واليراد، ماثلة عن الصواب والسداد، فارغة عن العدل

١- قال القاضي ابوبكر بن العربي (المتوفى سنة ٤٣٥ هـ. ق) في كتابه «العواصم من القواصم» الذي منشير الى ماقيه وفي ما علق عليه من العصبية والاعتساف والتهيام في كل واد من اودية الخلاف: «... واتصل الهرج الى يوم المساق، وصارت الخلائق عزين، في كل واد من العصبية، يهيمون فمنهم يكرية (يعنى تقولون بافضلية ابي بكر) و عمرية و عثمانية و علوية و عباسية، كل تزعم ان الحق معها وفي صاحبها والباقي ظلوم غشوم مقتر من الخير عديم. وليس ذلك بمذهب ولاقيه بمقالة وانما هي حماقات وجهالات او دسائس للضلالات حتى تضمحل الشريعة وتهزه الملحده من الملة و يلهوهم الشيطان و يلعب...»

والانصاف ، غارقة في عين حمئة من الجور والاعتساف ، بل ربما أرخى في بعضها
عنان القلم فجال في مجال البهتان و ماد في ميدان القذف والافتراء و نال من مخالفه
ماجرح قلب المرؤفة والصدّاقة بالشتم والسبّ والاعتداء !

- ٣ -

اذ ليس الغرض من هذه المقدمة عرض ماضبطه التاريخ او مانسمعها، او نشاهدها
في عصرنا ، عصر التصوير، من تلك الحوادث المؤسفة الناشئة عن العصبية واللداد
و تعداد هذه الوقائع المولمة الباعثة للكآبة و الملال فليقتصر فيها على ايراد واقعتين
منها كي تعتبر اولو الابصار ممّا يفعل التمهصّب باهله من الآثار والاطخار :

حكى عز الدين ، عبد الحميد بن ابي الحديد، في شرحه على النهج (ذيل ما صدر
عن عليّ (ع) في وصف الاثر الكـ كاتني اراهم قوماً كانّ وجوههم ، الميجانـ
المطرفة ...) واقعة هجوم التتار على بلاد الاسلام (سنة ٦١٦ هـ . ق) وكان ذلك
الهجوم في زمانه ، فقال ، بعد نقل فتوحات التتار وما كان منهم من القتل والنهب والسبي
والحرق والهدم والاستيصال :

«... ولم يبق في البلاد الناطقة باللسان الاعجمي ، بلدٌ الا حكم فيه سيفهم ،
او كتابهم ، فاكثر البلاد قتلوا اهلها و سبق السيف العذل ... ولم يبق الا اصبهان فانهم
نزلوا عليها مراراً في سنة سبع وعشرين و ستمائة (٦٢٧) و حاربهم اهلها ، وقتل منـ
الفريقين مقتلة عظيمة ، و لم يباغوا منها غرضاً ، حتّى اختلف اهل اصبهان ، في سنة
ثلاث و ثلاثين و ستماه (٦٣٣) و هم طائفتان : حنفيّة و شافعيّة ، و بينهم حروب
متصلة ، و عصبية ظاهرة . فخرج قوم من اصحاب الشافعي الى من يجاورهم
ويُتأخمهم من ممالك التتار ، فقالوا لهم : اقصدوا البلد حتّى نسلّمه اليكم !!

« فنقل ذلك الى قاآن بن جنكزخان ، بعد وفاة ابيه ، و الملك يومئذ منوط
بتدبيره ، فارسل جيوشاً من المدينة المستجدّة ، التي بنوها و سموها قراقرم ، فعبرت
جيحون مغرّبه (اي متوجّهة الى الغرب) و انضم اليها قوم ممن ارسله جرماغون على

على هيئة المدد لهم ، فنزلوا على اصبهان في سنة ثلاث و ثلاثين المذكورة و حصروها .
فاختلف سيفا الشافعية و الحنفية في المدينة حتى قُتل كثير منهم و فتحت ابواب -
المدينة ، فتحها الشافعية ! على عهد بينهم و بين التتار ، ان يقتلوا الحنفية ! و بعضوا
عن الشافعية ! .

« فلما دخلوا البلد بدأوا بالشافعية ! ! فقتلوهم قتلاً ذريعاً ، و لم يقفوا مع -
العهد الذي عهدوه لهم ، ثم قتلوا الحنفية ، ثم قتلوا سائر الناس ، و سبوا النساء ،
و شقوا بطون الحبالي ، و نهبوا الاموال ، و صادروا الاغنياء ، ثم اضرموا النار ،
فاحرقوا اصبهان حتى صارت تلولاً من الرماد . . . »

و اورد شهاب الدين ياقوت الحموي (ذيل كلمة الرّي من كتابه معجم البلدان)

بعد ما قال :

« . . . فاما الرّي المشهورة فانّي رايتها ، و هي مدينة عجيبة الحُسن مبنية
بالآجر المُستَمَقّ المحكم ، الملمع بالزرقه ، مدهون كما تدهن الغضائر ، في فضاء
من الارض ، و الى جانبها جبل مشرف عليها ، اقرع لا يثبت فيه شيء » هذه العبارة :
« و كانت مدينة عظيمة ، خرب اكثرها ، و اتفق انني اجتزت في خرابها في
سنة ٦١٧ ، و انا منهزم من التتار ، فرايت حيطان خرابها قائمة ، و منابرها باقية ،
و تراويق الحيطان بحالها ، لقرب عهدها بالخراب الا انها خاوية على عروشها .
« فسالت رجلاً من عقلائها عن السبب في ذلك فقال : اما السبب فضعيف ،
ولكن الله اذا اراد امراً بلغه .

« كان اهل المدينة ثلاث طوائف : شافعية ، وهم الاقل ، و حنفية ، وهم الاكثر ،
و شيعة ، وهم السواد الاعظم لان اهل البلد كان نصفهم شيعة و اما اهل الرستاق فليس
فيهم الا شيعة و قليل من الحنفيين ، و لم يكن فيهم من الشافعية احد .

« فوقعت العصبية بين السنة و الشيعة ! فتظافر عليهم الحنفية و الشافعية ،
و تطاولت منهم الحروب حتى لم يتركوا من الشيعة من يُعرف ، فلما افنؤهم !
وقعت العصبية بين الحنفية و الشافعية ! و وقعت بينهم حروب كان الظفر في

جميعها للشافعية ، هذا مع قلة عدد الشافعية ، الا ان الله نصرهم عليهم ! وكان اهل-
الرساق ، وهم حنفية ، يجيئون الى البلد بالسلاح الشاك ، و يساعدون اهل نحلتهم ،
فلم يغنهم ذلك شيئا حتى افنؤهم !!

« فهذه المحال الخراب التي ترى هي محال الشيعة و الحنفية ! و بقيت
هذه المحلة المعروفة بالشافعية ، وهي اصغر محال الرى . ولم يبق من الشيعة و الحنفية
الا من يخفى مذهبه !! . . . »

ثم نقل الحموى لبيان عظمة الرى ، ما حكاها الاضطخري بقوله : « و ليس
بالجبال بعد الرى اكبر من اصفهان » و بقوله : « والرى مدينة ليس بعد بغداد فى المشرق
اعمر منها . . . »

- ٤ -

ومما يزيد العجب لكل من اطلع الى امثال هذه الوقائع ، فى التاريخ من المجادلات-
التي نشأت من العصبية العمياء الصماء ، و حدثت عن الجهالة الجاهل ، فتفرقت منها-
الكلمة و تشتت الامة و انتجت قتل النفوس و هدم البيوت ، و يزداد فى التلهف
والاسف لكل من عرف الاسلام و آمن به ، هو ان الجل ، لولا الكل ، مما اورثت العصبية
ليس امورا مرتبطة بذاتيات الاسلام و جوهره ، داخلة فى صلب الدين و حقيقته ،
مصادمة لاصول الشرع و ضرورياته ، معارضة لاركان الايمان و مسلماته ، بل ربما
يكون البحث ، المورد للعصبية و النزاع ، راجعا الى عدم تحرير محلته ، والى عدم كون-
النقى و الاثبات فى الكلام ثابتا لما كان بينهم موضع وفاق . وعلى اى حال ليست من-
الامور التي يبيح القتل ، و يسوغ الهدم و لاسيما ان كتلا من الطرفين يعلن بالشهادتين
و يعمل بما يعلم انه من الدين ، و يؤمن بما جاء به خاتم النبيين .

اورد ابن ابي الحديد فى شرحه على « نهج البلاغة » (طى الكلام عن غزوة
الحند) نقلا عن الواقدي (بعد نقل ابتلاء المسلمين بغلبة المشركين عليهم) :
« . . . و جعل ابن ابي و المنافقون معه ، يشتمون و يسرون بما اصاب المسلمين

ويُظهرون آفة القول . ورجع عبد الله بن ابي الى ابنه ، وهو جريح ، فبات يَبْكُوى -
الجراحة بالنار ، حتى ذهب عامة الليل و ابوه يقول : ما كان خروجك مع محمد
الى هذا الوجه برأى ، عصاني محمد ! و اطاعنى الولدان ، والله لكانتى انظر الى هذا .
فقال ابنه : لئذى صنع الله لرسوله ، و للمسلمين ، خيراً ان شاء الله .

« قال (يعنى الواقدى) :

« و اظهرت اليهود ، القول التسيىء و قالوا : ما محمد الا طالب مُلك .
ما اصيب هكذا نبى قط فى بدنه ، و اصيب فى اصحابه .

« و جعل المنافقون بخذلون عن رسول الله و اصحابه و يأمرونهم بالتفرق عنه ،
و قالوا لاصحاب النبى (ص) : لو كان من قُتل منكم عندنا ما قُتل .

« حتى سمع عمر بن الخطاب ذلك فى اماكن ، فمشى الى رسول الله يستأذنه
فى قتل من سمع ذلك منهم من اليهود و المنافقين . فقال (ص) : يا عمر ان الله مُظهر
دينه ، و مُعزّ نبىه . و لليهود ذمة فلا اقتلهم !

« قال : فهؤلاء المنافقون يا رسول الله يقولون .

« فقال (ص) : اَلَيْسَ يُظْهِرُونَ شَهَادَةَ اَنْ لَا اِلَهَ اِلَّا اللهُ ، وَاِنِّى
رَسُولُ اللهِ ؟

« قال : بلى ، و انما يفعلون تعوذاً من السيف ، و قد بان لنا امرهم ، و ابدى الله
اضغاثهم .

فقال (ص) : اِنِّى نُهَيْتُ عَنْ قَتْلِ مَنْ قَالَ : لَا اِلَهَ اِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ
يَا ابْنَ الْخَطَّابِ

هذا ما اراد الله من نبى الاسلام ، و ممن آمن به ، و آمن برسوله ، و اتبع دينه ،
فعلى ما ذا يصح ان يُحمل ما صدر عن بعض المسلمين باسم الاسلام ، و حفظ الشرع
ورعاية الدين ، بالنسبة الى اخوانهم من التكفير و التوهين ، و جرح البلاء ، و سفك الدماء
و اهلاك النفوس و حرق البيوت و التخريب ؟

- ٥ -

ماذا يُتصور ان يكون بين الحنفى و بين الشافعى من الاختلاف فى ما هو من -
 الاصول ، و الضرورى فى الدين ، كى يسوغ لهم ما ارتكبوا من السفك ، و القتل
 و الهدم ؟!

ويا سبحان الله ماذا اباح للمسلم ، ان يواد من حاد الله (التتار) و يعاهده على قتل
 اخوانه المسلمين ، و سبى نسايمهم و هدم بيوتهم ؟!

ام ما ذا هو الذى يكون مورداً لانكار من اركان الايمان ، و اصول الاسلام ،
 وهى الشهادة بالوحدانية ، و بالرسالة ، و بالحشر و النشر ، و يوم الجزاء ؟ بل او من -
 الفروع ، وهى العبادات ، المقررة الثابتة فى الدين ، و المعاملات ، و الحدود و الديات ،
 و الاحكام و السياسات ، المسلمة فى الشرع ، لمن قال مثلاً بقيدم القرآن او حدوثه ،
 كى يُمتحن و يُحكّم بقتله ؟ على ان ذلك الاختلاف و امثاله يُشبه ان يكون لفظياً
 بحثاً ، بداهة انه لا يُعقل ان يعتمد عاقل و يقول ان القرآن المؤلف من السور ،
 المؤلف من الآيات ، المؤلف من الجمل ، المؤلف من الكلمات ، المركبة من الحروف ،
 المتدرجة فى التلفظ و الكتابة ، المترتبة بالتقدم و التأخر ، المتحققة فى وعاء الزمان
 المنطبقة على اجزائه ، المتعاقبة المتصرفة الحادثة ، قديم سرمدى غير مخلوق ، و هكذا
 لا يُعقل ان يعتقد من له ادنى شعور و مسكة و يقول من له ادون فهم و ذربة ان القرآن
 باعتبار وجوده العلمى للحق ، تبارك مجده و تعالى شأنه ، و بلحاظ كونه مسطوراً بقلم -
 العناية فى اللوح المحفوظ بوجوده الجمعى ، مُحدث زمانى و مخلوق مكانى فاما معنى
 ذلك الاعتبار و المِحنة ؟ و ما وجه ذلك الابتلاء و الفتنة ؟ و باى دليل من الشرع او حجة
 من العقل استبيح السفك و استسبح اراقه الدم ؟!

ام ماذا هو الذى يُبيح لمسلم اراقه دم اخيه المسلم ، المتفق معه فى قول « لا اله
 الا الله ، محمد رسول الله » ، الموافق له فى الايمان بان ما جاء به الرسول (ص) بقضه
 و قضيه ، حق يجب اتباعه ، و المشابه به فى العمل بكل ما ثبت من الدين حكمه ،

بمجرد كونه معتقداً وقائلاً بافضلية صحابي على غيره ولا سيما اذا كان استناده في ما يعتقد وبقول بالكتاب والسنة واعتماده على الاخبار والآثار؟
 اترى ان هيهنا دليلاً نقلياً ، او حكماً عقلياً علي ان ذلك القول والاعتقاد وخصوصاً في ما صح الاستناد ، وتم الاجتهاد ، ممنوع وحرام . ثم لو سلم كونه حراماً هل ثبت من الشرع او العقل ان فعل الحرام على الاطلاق (اى حتى في ما اذا كان الفاعل ممن ادى اجتهاده من مستند قوى السند ، جلى الدلالة ، جائز الاستناد اليه صحيح الاعتماد عليه ، الى انه لم يعتمد كون ذلك الفعل حراماً في الشرع) يكون ممساً ببيع القتل و اراقة الدم ؟ على ان من ينكر افضلية ذلك الصحابي ، يدعى غيره افضلية صحابي آخر فكلاهما مواسية الحكم وليس الحكم بهتردم احدهما ارجح من الحكم بسفك دم الآخر .

بل آية حجة من الكتاب ، او السنة ، اقيمت على ان من نقل ما حكي من الطعن في بعض الصحابة ، بل على ان من انتقد ، او انتقص ، او طعن عليه في بعض افعاله (ولا سيما مع عدم الاعتقاد بعصمته) يصير مهدور الدم ، واجب القتل (لا ينكر انه امر مرغوب عنه ، غير مستحسن بل بالنسبة الى بعض مذموم مستهجن ولكنه اين هذا من هذر الدم و اباحة القتل ؟)

هل ورد دليل على ان كل واحد من الصحابة معصوم عن الزلل والخطاء ، فلا يجوز نقل طعن المعصوم ولا يبقى لنقد عمله موضوع ؟ اما كان بعض من يصدق عايه عنوان « الصحابي » من المنافقين ؟ و اما قال الله تبارك و تعالى في حق المنافقين : « ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار . . . » ؟
 ثم اما كان في الصحابة من ينتقد وينتقص صحابياً آخر ، بل ويرتكب شتمه ، وضربه ، ولعنه وقتله مع ان اهانة المؤمن ، و لو لم يكن صحابياً ، ممنوع محرّم ؟
 اما روى ان ابا بكر الصديق (رض) قال لطلحة ، الصحابي الذي بشر ،

باعتراده ، على لسان النبي الصادق الامين ، له بالجنة ، : « انت شر الناس اما والله لو وليتكم ل جعلت انفك من ففالك » . ثم قال : « آتيتني وقد كنت عيناك ! تريدان تفيتيني عن ديني ! ... قم ، لا اقام الله رجيتك ! ... »¹

قال الطبري في تاريخه (الجزء الثاني - الصفحة ال ٦١٩) مسنداً عن «عبد الرحمن بن عوف انه دخل على ابي بكر الصديق (رض) في مرضه ، الذي توفي فيه ، فاصابه مهتماً فقال له عبد الرحمن : « اصبحت ، والحمد لله ، بارثاً .

« فقال ابو بكر ، رضى الله تعالى عنه ، اتراه ؟ قال : نعم .

« قال : اني وليت امركم خيركم في نفسي ، فكلكم ورم انه من ذلك يريد ان يكون الامر له دونه ! ورايم الدنيا قد اقبلت . . . و انتم اول ضال بالناس غداً ، فتصد ونهم عن الطريق يمينا وشمالاً ! يا هادي الطريق انما هو الفجر والبحر . فقلت له : خفض عليك ، رحمك الله ، فان هذا يهيضك في امرك ! . . . »

وقال ايضا (الجزء الثاني - الصفحة ال ٦١٩ ايضا -) ، بعد هذا الكلام المنقول :

قال ابو بكر ، رضى الله تعالى عنه :

« اني لا آسى على شيء من الدنيا الا على ثلاث فعلتھن وددت اني تركتھن ، وثلاث تركتھن وددت اني فعلتھن ، وثلاث وددت اني سألت عنھن رسول الله (ص) .

« فاما الثلاث اللاتي وددت اني تركتھن ، فوددت اني لم اكشف بيت فاطمة عن شيء ! . . . ووددت اني لم اكن حرقت الفجأة السلمى ! . . . واما اللاتي تركتھن ، فوددت اني يوم اُتيت بالاشعث بن قيس كنت ضربت عنقه فانه تخيل الي انه لا يرى شراً الا اعان عليه ! . . . »

فهذا ابو بكر الصديق الصحابي يقول كشاف بيت فاطمة ، التي لو لم تكن

١- لما كانت هذه المكالمه واضرابها ، التي لم يصرح في هذه المقدمة بماخذها-

المنقول عنها ، ستورد في متن الكتاب و يصرح هي هنا بماخذها وتفصيلها ترك هنا ذكرها و اجمل في نقلها .

بنت الرسول و بضعته و من كان ايذاؤها ايذائه ، كانت صحابيتها و اية صحابيتها ، سيّدة نساء العالمين اونساء الجنة^١ . ويقول الله نادم على عدم قتل الاشعث الصحابي لانه لا يرى شرّاً الا اعان عليه ! .

وهذا عمر (رض) اما امر بقتل الصحابي العظيم سعد بن عباد ، الذي كان صاحب لواء الرسول (ص) في الانصار ، وكان بدرياً ، وكان دعا الرسول فيه وفي آله بالصلوة والرحمة ، واما قال عمر : « اقتلوا سعداً ! قتل الله سعداً ؟ » واما قال هو ايضا في حق الزبير ، حوارى الرسول ، و ابن عمته ، والمبشر له بالجنة : « عليكم بالكلب » ؟ (في قضية الهجوم على كشف بيت فاطمة). واما قال ايضا : لخالد بن الوليد الصحابي ، سيف الله على ماقال ابوبكر ، : « قتلت مسلماً ! ونزوت على امرته ! والله لأرجمنكك باحجارك ! » ؟
 واما امر بعد حين من امارته في بدء خلافته بتوهينه تجاه الجند ، ومقاسمة امواله ، ثم احضاره و مؤاخذته عن امواله^٢ ؟

١- في صحيح البخاري (الجزء الخامس - الصفحة ال ٢٠) « باب مناقب قرابة رسول الله و منقبة فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه و سلم .
 « و قال النبي صلى الله عليه و سلم : « فاطمة سيّدة نساء اهل الجنة » و فيه ايضا (الصفحة ال ٢١) بالاسناد عن المسور بن مخرمة ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : « فاطمة بضعة مني فمن اغضبها اغضبني »

٢- في الطبري (الجزء الثاني - الصفحة ال ٦٢ -) بالاسناد : « ... ولم يزل عمر عليه (اي على خالد) ساخطاً ، ولامره كارهاً ، في زمان ابي بكر كله ، لوقعته باين نؤيرة . فلما استخلف عمر كان اول ما تكلم به عزله . فقال : لا يلي لي عملاً ابداً . فكتب الى ابي عبيدة ... ثم انزع عمامته عن راسه وقاسمه ماله نصفين ... فقام بلال مولى ابي بكر الى ابي عبيدة فقال : ما سرت به في خالد ؟ قال : امرت ان انزع عمامته ، واقاسمه ماله . فقاسمه ماله حتى بقي نعلاه ... فأخذ نعلًا واعطاه نعلًا . ثم قدم خالد على عمر ، المدينة (كان ذلك في السنة ال ١٣ من الهجرة) .

وفيه ايضا ، بعد ما قدسناه ، بالاسناد عن سليمان بن يسار قال : « كان عمر كلما مر بخالد قال : يا خالد اخرج مال الله من تحت استك ! فيقول : والله ما عندي من مال .

و اما صادر سعداً ، ابن وقاص ، الصحابي الكبير الفاتح ، وغيره من الصحابة -
الكبار الذين كانوا من عماله ، في اموالهم ؟ على ماذا ينبغي هذه المصادرة و المقاسمة ؟
اكانت في اموالهم الشخصية ؟ فلم و باى حق ؟ او في اموال المسلمين ؟
فكيف وهم من اعظم الصحابة و ليسوا بخائنين ؟!
و اما حدّ قدامة بن مظعون على شرب الخمر ، وهو صحابي من السابقين
الاولين ! ؟^١

واخيراً اما امر حين قرب وفاته اباطلحة الانصارى بقتل ستة من كبار الصحابة
ان لم يتفقوا على واحد منهم للخلافة ! او بعضهم المخالف ! ، وهم من العشرة المبشرة
وهم الذين ، على ما قال عمر ، : « مات النبى (ص) وهو عنهم راض » فكل منهم
صالح (و ان اظهر لكل ، سوى على ، عيباً و نقصاً) باعتقاده لان يكون خليفة للرسول
و اميراً للمؤمنين .

و اما ضرب الخليفة عثمان ، الصحابة البدريين : اباذر و ابن مسعود و عمار -

بن ياسر ؟

ثم اى الطرفين صادق في قضية مغيرة بن شعبه : هو او الشهود ؟ فان كان هو الصادق
فتحقق القذف من جانب الشهود و ان كان ادعاء الشهود صدقاً فالزنا محقق ثابت

→

فلما اكثر عليه عمر ، قال له خالد : يا امير المؤمنين ماقيمة مااصبت في سلطانكم اربعين
الف درهم . فقال له عمر : قد اخذت ذلك منك باربعين الف درهم ! قال : هولك .
قال : قد اخذته ! ولم تكن اخذ مال الاعداء و رقيق . فحسب ذلك فبلغت قيمته ثمانين
الف درهم . فنافسه عمر ذلك . فاعطاه اربعين الف درهم ، و اخذ المال . . . فكان عمر
يرى انه قد اشتفى من خالد حين صنع به ذلك .

١ - قال القاضى ابوبكر بن العربى ايضا في كتابه الموسوم بـ «العواصم من القواصم»

ايضا : «فقد حد عمر قدامة بن مظعون على الخمر وهو اميره . و عزله» و قال المعلق على
الكتاب و صححه : « قدامة بن مضعون الجمعي احد السابقين الاولين ، هاجر الهجرتين
و شهد بدرا . . . »

وكلّهم من الصحابة، وممن ادّعت عدالتهم، وممن ادّعى انّهم كالنّجوم، وممن استبيح دم من تكلم فيهم، ونقل ما حكي من نقصهم وعيبهم!!

و اى الصحابيّين العظيمين كاذب : عبدالرحمن بن عوف او المغيرة بن شهبة فى ماحكاه الطبرى فى تاريخه (الجزء الثالث - الصفحة الـ ٢٩٨) ؟ حيث قال :

«... وقال المغيرة بن شهبة لعبدالرحمن (يعنى بعد تمام البيعة لعثمان) : يا ابا محمد قد اصبّت اذ بايعت عثمان و قال لعثمان : لو بايع عبدالرحمن غيرك مارضيئنا ! فقال عبدالرحمن : كذبت يا اعور ! لو بايعت غيره لبايعته و لقلت هذه المقالة ! كان مغيرة الصحابى العادل ! كاذبا منافقا ؟ ام عبدالرحمن كذب فى مقال فى حقّه مؤكدا ؟ .

- ٧ -

ثمّ اذا كان، بتصريح الرسول، صلتى الله عليه وآله وسلم، على ما فى روايات جمّة اوردها البخارى فى صحيحه و نقلناها منه فى الكتاب (ذيل اصحاب الردّة) ، فى - الاصحاب من يُطرّد عن الحوض و يُطرح فى النار (لانهم احدثوا بعد الرسول وانهم ارتدوا بعده على ادبارهم القهقرى!) فكيف يكون كلّهم عدولا؟ و على ما ينبغى ان يحمل انّهم كالنّجوم! بايهم يقتدى يهتدى؟ و اذا كان السبّ قبيحا مذموما (و كذلك يكون) بل على ما يقال : حراماً ممنوعاً ، فما الدليل على قتل من ارتكب هذا الحرام ولاسيّما مع اجتهاد المرتكب و تأويله ، ولو فرض انه مُخطىء ؟

هل من العدل و الانصاف ان يُعدّ مروان بن الحكم، (طريد رسول الله، ص)، الذى قتل ، كما هو المشهور المعتبر (او امر بالقتل، كما قيل) ، طلحة بن عبيدالله، الصحابى البدرىّ الصالح للخلافة (على ما قال عمر و انتخب) ،؟ ام يجعل الصحابىّ الفاسق وليد بن عتبة الذى شهدوا عليه بشرب الخمر و زيادة فى الصلوة حين امارته و امر بحده الخليفة، عثمان، لمجرد ادراكهما النبىّ ، من العدول و من النّجوم؟! و ان يُحكّم بأباحة سفك دم من نقل ذلك فى حقّهما ، او بجواز قتل من سبّهما و انتقصهما؟! او ان يُعتد بانّ من يقتدى بهما يهتدى؟!؟

ليس عمرو بن العاص و ابو موسى الاشعري في الطراز الاول من الصحابة؟
ثم اما ضبط الكتب المعتمدة كيفية مشائمتها وملاعتهما، باقبح وجه، و اسوء تعبير بعد
قضية الحكمية؟

قال الفقيه المالكي في كتابه «العقد الفريد» (الجزء الخامس الصفحة الـ ١٠٥-):
«و قال ابو موسى لعمرؤ : لَعَنَكَ اللهُ ! فَاِنَّ مَثَلَكَ كَمَثَلِ الْكَلْبِ اِنْ
تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ وَاِنْ تَتَرُّ كِه يَلْهَثُ ! » فقال عمرو : لَعَنَكَ اللهُ ! فَاِنَّ
مَثَلَكَ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ اسْفَاراً ! »

هذا النموذج مما ذكر في التواريخ المعتمدة، كالطبري، والكامل، وواضرا بهما، في
ما جرت بين الصحابة انفسهم، من المشاتمة، والملاعنة، والمسابقة، واذ ليس الغرض هنا الّا
رفع الاستبعاد، و ان الاستنقاص لبعض الصحابة، او الانتقاد و الطعن عليه، لم يكن
مستنكرا بينهم، ولا يكون بدعاً من الامور، يستحق المرتكب ان يراق دمه، و تُسزَع نفسه
ولا يضرّ بالايمان بالله و ملائكته و رسله، و لا ينتقض الاعتقاد بما جاء به النبي (ص)
فلنختم الكلام في هذا الشأن بما فعله معاوية من القتل و الدّمن .

- ٨ -

اما عدّ معاوية بن هند ، آكلة الاكباد ، الطليق بن الطليق، الذي سُمّي
امير المؤمنين و خليفة الرسول بل و اتسم خال المؤمنين ، من الصحابة ؟ ثم اما حارب
عليّاً وهو ابن عم الرسول، و صهره ، على بتضعته فاطمة سيّدة نساء العالمين ، و اخوه ،
و النازل بمنزلة نفسه بنصّه ، و وصيّته و خليفته ، الذي لو فرض انه لم تكن منصوصة
خلافته من الله و رسوله فكان منتخبا من الامّة : مهاجرينهم و انصارهم و البدرين منهم
باجمعهم ، انتخاباً اشمل و امتن و اعدل حتّى من انتخاب اول الخلفاء ؟^١

١- لكون الانتخاب من المهاجرين و الانصار كلهم ، لاسن بعض المهاجرين (و هم
الثلاثة الذين كانوا في السقيفة و هم عمر، و ابو عبيدة الجراح ، و عبد الرحمن بن عوف ،
على قول) و من بعض الانصار (و هم غير سعد بن عبادة و اقربائه) . و كونه بلا فتنة
بل مع تريت كامل و تلبث زائد . و كونه بانثيال الناس و اقبالهم عليه لا باقباله على الناس
و جلبهم اليه .

وهو الذي قال الامام احمد بن محمد بن حنبل في شأنه على ما في تاريخ الخلفاء -
(الصفحة ال ١٦٨) لجلال الدين السيوطي (واخرجه الحاكم) :

« ما ورد لأحدٍ من اصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم من الفضائل ما ورد
لعليّ ، رضى الله عنه »

وهو الذي قال النسبي في حقه : « من آذى عليّاً فقد آذاني » وقال ايضا
في شأنه كما في صحيح البخاري (الجزء الخامس) : « أنت مني وأنا منك » وغير ذلك
من الاحاديث المتوافرة ، بل المتواترة ، التي رويت نبذة منها في الكتاب ، و ستمر
عليك فيه ان شاء الله .

نعم ، آذى معاوية رسول الله بايذائه عليّاً بالحرب ، بل آذى الحقّ و العدل
والانصاف ، لا بالحرب فحسب مع عليّ بل بجميع ما فعل بالنسبة اليه من الافتراءات
و وضع الاحاديث والروايات ، والسبّ و التّشتم و اللّعن عليه ، و على جمعٍ من اكابر-
الاصحاب .

امر معاوية بلعن عليّ في جميع البلاد الاسلاميّة على رؤس المنابر بحيث صار-
اللّعن في زمنه ، و زمن اخلافه السوء من بنى مروان ، سنةً تتبّع ، و عادةً لا تُردع
يتقرّب الناس به الى الخلفاء و الى عمّالهم ، و يفتخرون بهذا العمل السييء في اقوالهم .
قال عزّ الدين بن ابى الحديد في شرحه لتهج البلاغة (ذيل و من كلام له ،
عليه السلام ، لاصحابه :- اما انه سيّظنّهركم عليكم بعدى رجل رحب البلعوم ...) :
« ان معاوية امر الناس بالعراق و الشام وغيرهما ، بسبّ عليّ و البرائة منه ، و خطب
بذلك على منابر الإسلام و صار ذلك سنة في ايام بنى امية ، الى ان قام عمر بن
عبد العزيز فآزاه » .

و اورد ايضا نقلاً عن « الكامل » للمبرّد :

« ان خالد بن عبد الله القسريّ ، لما كان امير العراق في خلافة هشام ، كان يلعن
عليّاً على المنبر ، فيقول : « اللّهم العن عليّ بن ابى طالب بن عبدالمطلب بن هاشم ،

صهر رسول الله على ابنته ! و ابا الحسن و الحسين ! » ثم يقبل على الناس فيقول :
هل كَسَيْتُ ؟ ! »

واورد ايضا بالاسناد ، عن عبد الرحمن بن سائب انه قال :

« قال الحججاج يوماً لعبد الله بن هاني ، وهو رجل من بني اود ، حياً من قحطان ،
وكان شريفاً في قومه ، قد شهد مع الحججاج مشاهدته كلها وكان من انصاره واعوانه :
« والله ما كافأتك بعد . . . »

ثم ذكر ابن سائب كيفية المكافاة برسالة الحججاج الى اسماء بن خارجه ، سيد
بنى فزاره ، و امره بتزويج عبد الله بن هاني بابنته ، و ابقاء اسماء من ذلك ، و دعوة
الحججاج بالتسياط و تهديده ، و قبوله التزويج كرهاً ! ثم بعثه الى سعيد بن قيس الهمداني
رئيس اليمانية ، و امره بتزويج ابنته من ابن هاني ، و استنكافه ، و طلب الحججاج ، السيف ،
لقتله ، و تسليم ابن قيس مكرهاً للامر !

ثم قال بعد ذلك :

« نقل الحججاج لابن هاني : قد زوجتك بنت سيد فزاره و بنت سيد همدان
و عظيم كهلان ، و ما اود هناك ؟ ! »

« فقال : لانقل ، اصلح الله الامير ، ذاك فان لنا مناقب ليست لاحد من العرب .

« قال : و ماهي ؟ »

« قال : ما سب امير المؤمنين عبد الملك في نادٍ لناقط .

« قال : هذه منقبة والله .

« قال : و شهد منّا صفتين مع امير المؤمنين معاوية سبعون رجلاً ، ما شهد منّا

مع ابي تراب الا رجل واحد .

« قال : منقبة والله .

قال : و منّا نسوة ندرن ان قُتل الحسين بن علي ، ان تنحر كل واحدة عشر

قلانس ! فنعلن !

« قال : منقبة والله ! ! »

« قال : و ما منّا رجل عَرِضَ عليه شتم ابي تراب و لعنه الالفعل ! ! و زاد ابنه
 حسناً و حسيناً و امّهما فاطمة !
 « قال : منقبة والله !
 « قال : و ما احد . . . »

و اذ كان الغرض من هذه المقدمة بيان التأسّف على ما وقع من الاختلاف الناشئ
 بين المسلمين ، بما لا ينبغي ان بصير موجباً للمتفرقة ، و تشتت الكلمة ، و الاخلال بالوحدة
 فكيف بالمخصومة و الجدل ، و المعاندة و القتال ، ثم بيان مادعا المؤلف الى ترقيم
 هذه الاوراق ، و حدها على تأليف تلك الصفحات ، مع احترازه الشديد عن عمل
 يوهم الخلاف ، و يورث الاختلاف ، و احترامه الوفير لكل من بذل سعيه في سبيل
 بسط الاسلام و نشره ، مخلصاً لله و مريداً للاسلام ، و عمل جهده في العمل باحكام -
 الدين ، و اتباع خاتم النبيين ، و الحماية عن وحدة كلمة المسلمين ، منجلياً بكمال -
 الايمان ، فليقتصر بما ذكر من الاموذج و المثال ، و يُشرع في ما هو الغرض
 من المقال .

كانت الايام ايام عطلة و اصطيف ، و كنت وقتئذٍ خارج البلد (تهران) في -
 المصطاف (ميگون) و ذلك في شهور التصيف من سنة ١٣٧٤ هـ . ق ، زارني فيه يوماً
 احد العلماء الامير كانيّة P. KENNETH W. MORGAN و قال : « اننى اريد
 ان أولّف فصولاً جامعاً بعض شئون الاسلام ، كل فصلٍ منها لشأنٍ منه ، و بقلم واحد
 من علماء احدى البلاد الاسلامية ، و قبلتُ عدّة منهم عدّة فصول و تعهدوا بذلك »
 وسميتهم ، منهم الشيخ محمود التلنتوت ، مفتى الديار المصرية و شيخ الجامع الازهر ، رحمه الله
 تعالى ، في ذلك الوقت ، و سأل عني كتابة الفصل الذي كان في طرحه و رسمه ، تحت
 عنوان « الشيعة » ، و كان من شرطه ان لا يتجاوز الفصل عن خمسين صفحات و طلب
 مني تعيين اسم الكتاب ، فاقترحت تسميته باسم « الاسلام هو الصراط المستقيم »
 (ISLAM - THE STRAIGHT PATH) .

فاعتذرتُ ولكنّه لم يُعفنى واصراً ، فاجبت سؤاله وكتبت مختصراً تحت عنوان «الشيعة» بالفارسيّة ، مقتصراً على بيان معتقدات الشيعة الإماميّة ، اصولاً وفروعاً فارغاً عن ذكر المدارك والدلائل (رعايةً لشرط السائل) فترجم كسائر فصول الكتاب بالانكليزيّة (اخطأ المترجم في موضعين من ترجمته لهذا الفصل ، ولكنّه لا يخفى على الخبير البصير صوابه التّذي كان عليه الاصل) .

فطبع الكتاب بامريكا وترجم من الانكليزيّة بعدة لغات ، منها العربيّة والاردويّة ومما يؤسف ان المترجمين بهاتين اللغتين ، تحت تأثير العصبية ، لم براعيا في ترجمة هذا الفصل جانب العدل والانصاف ، و سلكا في ما ذهبوا طريق الاعتساف . امّا الاوّل جاوز الله عنه ، ففى ما علّق على بعض الموارد من هذا الفصل . و امّا الثّاني ، لاسامحه الله لما فعل ، فكأنّه لم يدرك معنى الترجمة ، ولم يعتقد لزوم رعاية الامانة ، و خيل له انّ له الحقّ في ما كان بصدده باسم الترجمة ، ان يغيّر الاصل على ما يشاء ، و يتصرّف فيه كيف يشاء ، ولهذا قال قبل الشروع ، في ماسمّاه الترجمة ، ما هذا مفاده (على ما ترجم لى من كلامه) : « لَمّا كان مطالب هذا الفصل غير صوابٍ عندي ، فلا اقيّد نفسي بترجمة عين ما فيه ، بل اتصرّف فيه وابدّله بما هو الصّواب عندي ! »

هكذا تفعل العصبية باهلها من الانحراف و الاعتساف فيتولّد منه الخلاف و الاختلاف ، و قديماً ما جنت ايدى العصبية العاصية العاتية على الانصاف و العدل ، و كثيراً ما نسجت عناكب الوهم و الجهل بيوت الواهنة الوهمية العاتية لتضليل العقل و تستير الحقّ .

و ان شئت زيادةً على ما دريت من عتوّ العصبية فانظر الى ما وسّمه متفاضل ! باسم « الصّراع بين الاسلام و الوثنيّة » وكنى بالوثنيّة ، عن التّشيع ! و اتى فيه بالتسبة الى الشيعة من الكلمات الشّنيعة ، ما لا يتجاوز عنه في الشّريعة . و ان تعجب فعجب نقله ، مع تلك التّسمية ، و هذه المآنيّات الباطلة ، حديثاً مسنداً عن « الامام بن الامام عبد الله

بن احمد بن حنبل « عن النبي (ص) : « يا عليُّ ائتت و شيعتُك في الجنة » -
(الصفحة ال ٢٠ من الكتاب) ولتسأل عن هذا المتفاضل علي من يصدق العنوان اي
عنوان « شيعه علي » الذين هم في الجنة ؟

وانظر ايضا الى ما كتبه القاضي ابو بكر بن العربي (محمد بن عبيد الله المعافري -
الاشبيلي المتوفى ٥٤٣ هـ . ق) باسم « العواصم من التواصم » كى ترى ما يصنعه التعصب ،
فى قضائه للباطل على الحق . فتريله فى مقام الدفاع عن امور ، يصادر على المطلوب
تارة و يقتصر بالادعاء ، عن اقامة الدليل مرة فيقول مثلا (ص ٦٣) : « هذا كلفه باطل
سنداً ومتناً . اما قولهم . . . فباطل . واما . . . فزور . واما . . . افكك مثله » واما
نفيه اباذر الى الربيدة فلم يفعل ، كان ابوذر زاهدا ، وكان بقرع عمال عثمان و يتلو عليهم
« و الذين يكتزون الذهب و النفضة و لا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم
بعذاب اليم » وبرا هم يتسعون فى المراكب و الملابس . . . و يقول : « وهذا قهر عظيم
و افتئات على الصحابة ، و كذب فى وجوههم و بهت لهم » و يقول : « وهذه كلفها
مصالح لا نقدح فى الدين ! » (الصفحة ال ٧٧) و مع انه و مصحح كتابه يعتقدان ان الصحابة
كلهم عدول ، مبرثون منزهون ، لا يجوز التكلّم فيهم « و لا ينتقص منهم الا زندق » حتى
قال المصحح فى ما قدمه على الكتاب (ص ٧) : « و الصحابة كانوا اسمى اخلاقاً
و اصدق اخلاصاً لله و ترفعاً عن خصائص الدنيا من ان يختلفوا للدنيا . . . » و قال ايضا
فى المقدمة بهذا العنوان ، « اصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم عدول بتعديل الله
و رسوله لهم ، و لا ينتقص منهم الا زندق » يقول المؤلف فى متن الكتاب فى موضع
« . . . و اضطرب الانصار يطلبون الامر لانفسهم ! او الشركة مع المهاجرين ! » و يقول
فى موضع آخر . « و تعلق بلال العباس و على بميراثهما فى ما تركه النسبى ، من
فدك و بنى النصير و خبير » و فى موضع ثالث :

« . . . ان العباس و علياً (على مارواه الائمة - على ما قال-) اختصما عند عمر

فى شأن اوقاف رسول الله ، صلى الله عليه و سلم ، فقال العباس لعمر : يا امير المؤمنين

اقض بينى وبين هذا الظالم ! الكاذب ! الآثم ! الجائر ! . . . » و نقل المصحح فى ما علقه هنا، الرواية من صحيح البخارى ! ومن «فتح البارى» لابن حجر ! وقال : وفى رواية : « و بينَ هذا الكاذب ، الآثم ، الغادر ، الخائن » ياسبحان الله ممّا صنع التعصّب حتى بالحياة الندى من الايمان ^١ .

وما ينبغي ان يقال لمتعصّب يحمله التعصّب على انكار كلّ ما لا بدّ من التمسكّ به فيقول فى موضع من الكتاب : « انما ذكرت لكم هذا ، لتحترزوا من الخلق و خاصة من المنسّرين ! والمؤرّخين ! و اهل الآداب ! بانّهم اهل جهالات بعهرّ مات الدين ! او على بدعة مصرّين ! فلا تبالوا بما رووا ! ولا تقبلوا رواية الآلا عن ائمة الحديث ولا تسمعوا لمؤرّخ كلاماً ! الآلا للطبرى ، وغير ذلك هو الموت الاحمر والّداء الاكبر فانّهم بنشئون فيه احاديث فيها استحقار الصحابة والسلف والاستخفاف بهم . . . » بالله ايّها القاضى قل لنا : التفسير و التوارىخ و الآداب ، كلّها جهالات و بدع لانّ فيها استحقار الصحابة و السلف الآلا حديث « رواه الائمة » على ما تقول ، لانّ الآثم ، و الغدر ، و الخيانة ، و الكذب المفتري ! قوله على العباس عمّ الرسول ، لعلى ابن عمّه و صهره و كنفه و خليفته (ولو فى المرتبة الرابعة) فى نظرك و امثالك احترام و استعظام و تجليل و تبجيل !؟ و امّا ما قلت فى شأن الطبرى فاعلم انّ جلّ مانقل فى هذا الكتاب مأخوذ من الطبرى و الحمد لله .

انعقد فى عام ١٣٧٦ هـ . ق . مؤتمر اسلامى ببلدة لاهور بباكستان ، بدعوة

١- ايها المعلق المحقق !! اما صح عندك الروايات المتضاربة المصرحة بان ايذاء على ايذاء الرسول و ايذاء الرسول (ص) ايذاء الله، جل جلاله و عظم نكاله هب ان نذر الحياء لاهله الست تدعى انك من العلماء ثم اما تدبرت فى القرآن (و لعنك كنت حافظاً لكلماته الشريفة) و فيه «انما يخشى الله من عباده العلماء» فاخش من الله و لا تؤذيه و ذر العصبية و اكتف بما تفتري على الشيعة و تقول فى تعليقتك على العواصم (الصفحة ٦٧) : «والشيعة يذنون موقف الصحابة من مسيلمة و قومه !! و يدافعون عن المرتدين»

من جامعتها ، فاجتمعت الوفود المدعوة (نحو من اربعين وفداً من اربعين مملكة) من اكثر بلاد العالم المهمة وكان موضوع البحث في احد ايام المؤتمر (تأثير الاجتهاد ، في الاسلام) وكان اول من تكلم في ذلك اليوم في الموضوع المقرر ، احد العلماء الافاضل من مصر ، رحمه الله ، فقال في مآلقي في خطابه بعد ما ذكر ابتداء ائمة الشيعة الاثني عشر باسمائهم :

« ان الشيعة تعتقد ان هؤلاء الائمة مشرّعون وهم يقولون بالقياس ويعتبرونه .. »
 فعجبت من هذا القول وهذه النسبة والقائل استاذ معروف بالتتبع ، صاحب التأليف الكثيرة . فلما وصلت نوبتي اشرت في ما القيت من الخطاب بان ذلك القول منحرف عن التصواب ، ومما يدل على بطلانه ان الشيعة ، كغيرها من المسلمين ، تعتقد ان التشريع الديني لله تبارك وتعالى وهو يوحى بوساطة امين وحيه جبرائيل على رسوله ، وليس في الشيعة من اعتقد نزول جبرائيل بعد رسول الخاتم ، و بعد ان اكمل الله تعالى به (ص) دينه و اتم نعمته ، على احد من الناس كائناً من كان ، فكيف تنسب اليهم ذلك الاعتقاد الباطل ؟!

نعم تعتقد الشيعة ان اهل البيت ادري بما في البيت ، و ان القرآن يعرفه من خوطب به ، و تعتقد ان النبي ، كما استفاضت منه ، « مدينة العلم والحكمة وعلى بابها » ، و تعتقد بان الائمة من صلب علي ذرية الرسول و آله ، و من سلالته و ابناؤه ، و ابواب علمه و حكمته ، و أمناؤه ، آخذون ما قالوا من جدّهم ، و مفسرون بتعليمه ايتاهم ماشكل فهمه على غيرهم ، و يبيّنون ماخفي دركه و اشتبه على غيرهم ، فهم يروون كابراً عن كابر بالسند الموصول الى جدّهم الرسول ، و يبيّنون اصول الدين و فروعه ، مستندة الى ما لا يجوز لمن اسلم الا التسليم منهم و القبول . و ذلك كلّه لظهاره ذاتهم ، و شرافة صفاتهم ، و اتصالهم جسماً و روحاً بالنبي (ص) و انفعالهم عنه . و اين هذا من اعتقاد التشريع ؟

واما نسبة القياس اليهم فامرها عجيب ، و التفتوه بها من مثل الاستاذ بعيد غريب ، و كيف له و الاصاغر من طلبة العلم سمع من الشيعة انه يقول : « وليس من مذهبنا القياس »

وسمع هذا الكلام المروي بالاستفاضة عن امام المذهب ، جعفر بن محمد الصادق (ع) « اَلْسُنَةُ اِذَا قِيَسَتْ مَحَقَّ الدِّينِ » وسمع مذاكرة الامام مع الامام ابي حنيفة في بطلان القياس ، و شاهد من شاهد كتب الشيعة في اصول الفقه ، انه فيها انعقد فصل للكلام على القياس و ابطاله ؟

و العجيب انه لما قلت له ، بعد ما جلسنا معاً ، من اين قلت ما قلت ايها الاخ العزيز ؟ قال : ترجم لي بعض من يعرف الفارسية ، من كتاب فارسي ! فقلت : اكييس عجيباً منك ، مع مقامك السامي في العلم والفضل ، ومع تتبعك الوفير ، و تبحرك الشهير من طرف ، ومع كثرة المؤلفات الموجودة ، قديماً و حديثاً ، من علماء الشيعة بالعربية من طرف آخر ، ان لا تراجع اليها ، و ان تعتمد على ما ترجم لك من كتاب

١- قال الحافظ ابو نعيم الاصبهاني ، في كتابه « حلية الاولياء » (المجلد الثالث - الصفحة ال ١٩٦ -) ذيل ترجمة « الامام الناطق ، ذوالزام السابق ، ابو عبدالله جعفر بن محمد الصادق - » ، بالاسناد عن عمرو بن جميع قال :

« دخلت على جعفر بن محمد انا و ابن ابي ليلى و ابو حنيفة » ، و بالاسناد عن عبدالله بن شبرمة ، قال : « دخلت انا و ابو حنيفة على جعفر بن محمد » فقال لابن ابي ليلى : من هذا معك ؟ قال : هذا رجل له بصر ، و فاذا في اسر الدين قال : لعله يقيس اسر الدين برأيه . قال : نعم . فقال جعفر لابي حنيفة ما اسمك ؟ قال : نعمان . قال : يا نعمان هل قست . . . بعد كلام طويل فقال : يا نعمان حدثني ابي عن جدي ان رسول الله (ص) قال : اول من قاس اسر الدين برأيه ابليس . قال الله تعالى له : اسجد لادم . فقال : « انا خير منه خلقتني من نار ، و خلقتنه من طين » فمن قاس الدين برأيه قرنه الله تعالى يوم القيامة بابليس لانه اتبعه بالقياس »
قال الحافظ بعد ذلك :

« و زاد ابن شبرمة في حديثه : ثم قال جعفر : ايهما اعظم ، قتل النفس او الزنا ؟ قال : قتل النفس . قال : فان الله عزوجل قبل في قتل النفس شاهدين و لم يقبل في الزنا الا اربعة . ثم قال : ايهما اعظم : الصلوة ام الصوم ؟ قال : الصلوة . قال : فما بال الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلوة . فكيف ، ويحك ، يقوم لك قياسك ؟ اتق الله و لا تقس - الدين برايك . »

فارسي ، لاتعرف مؤلفه ، ولا تعلم غرضه ، ولاندرى حداً اطلعاه وعلمه ، ولا حد معرفة المترجم واحاطته على ما ترجمه ، ثم تستند اليه ، وتذكره في مثل هذا المؤتمر العظيم ، الغاص بالعلماء الكبار ، من جميع ممالك العالم وتمام الاقطار ؟

- ١٢ -

انعقد ايضاً مؤتمر اسلامي في عام ١٣٨٢ هـ . ق ببيت المقدس ، وكان المؤتمر مخصوصاً بالوفود من خصوص البلاد الاسلامية ، وكانت الكلمات الملقاة ، في كل المخطبات ، حول قضية « الجزائر » وقضية « فلسطين » ، وفي ما لقيت من الخطاب قلت بعد الحمد والتسليمة :

«رؤينا بالأسناد الموثق (عن طرق متعددة) عن الامام جعفر بن محمد الصادق عن ابيه عن آبائه عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «مَنْ أَصْبَحَ وَلَا يَهْتَمُّ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ» ونحن وانا تابعوا الامام مهتمون غاية الاهتمام بامر الجزائر المظلومة ، وفلسطين المغصوبة ، و تابع لكم في ماترون لحل هذه المشكلة المؤسفة ولكني ، وانا من المسلمين ، لى مالهم وعلى ما عليهم ، اعتقد انه يجب على ان اشير هنا الى ما بهم الاسلام والمسلمين جميعاً ، وهو انه لما دعاني في ايران ، الزعيم الاكبر ، البروجردى ، (قدس سره) ، و طلب منى الحضور فى هذا المؤتمر بنيابته (على ماعبر) ، ظننت ان المؤتمر ، الذى دعا زعيما عظيما كالبروجردى انعقد لامحالة للبحث عن امر اوسع ، و انفع ، و ارفع ، انعقد للبحث عن عالم الاسلام و عمّا اورث للمسلمين ، الذين تقدموا فى الصدر الاول ، تقدما علمياً و عملياً ، تقدماً امارياً و ادارياً ، و استولوا فى اقل مدة تنصوّر ، على غرب العالم و شرقها ، هذا الضعف المفرط المؤسف ، بحيث صار الخائف من شوكتهم ، الخاضع لقدرتهم ، حاكماً مهيمناً عليهم فى بيتهم ، وظلّ المضروب عليه الذلّة والمسكنة ، غاصباً لارضهم ، هاتكاً لارضهم ، مشرّدهم عن مكانهم ، مهدداً لكيانهم .

ثم اشرت الى ما كان المسلمون عليه ، فى الرّعيل الاقدم ، والصدر الاول ، من

من قوة الايمان والعقيدة، ووحدة الارادة والكلمة، بحيث كان عنوان «الاسلام» وعنوان «المسلم» من اية جنسية كان المسلم، وفي اى قطر من الاقطار، عنواناً جامعاً للشئات، رابطاً للمتفرقات، و نقطة مركزية تدور على محورها آلاف و الوف من المسلمين، كل منهم يفتدى بماله و نفسه و عياله فى سبيل حفظ ذلك العنوان الجامع، ولبسطه و اعتلائه، و يعتقد ان الاسلام يعلو ولا يعلو عليه، و يجتهد و يجاهد بان يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً، فكان الاسلام بمجاهدتهم و وحدتهم كما ارادوا و احبوا، و المسلمون على ما يليق بشانهم و على ما شاؤوا.

و اصبحوا فى عصرنا من ضعف الايمان، و التشتت و الافتراق، و العصبية و العناد، بحيث قدموا الجنسية على الاسلام فنرى، حتى فى هذا المؤتمر الذى انعقد باسم «الاسلام»، يؤخّر اسم الاسلام عن «العروبة» فيُهتف بعنوان «العروبة و الاسلام!» و يؤخّر اسم المسلمين عن «العرب» فينادى جهاراً بعنوان «العرب و المسلمون». جاء الاسلام لتوحيد البشر من العرب و العجم و شاء ان يكون عنوان الكل «المسلم» و قضى على سائر العناوين مطلقاً فمن يبتغ غير «الاسلام» شأناً و سوى «المسلم» عنواناً لن يقبل منه، و يكون من الخاسرين. ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فيصيروا من الاذلين الهالكين.

ثم اقترحت لمسئلة الجزائر و فلسطين، و لىما ينفع عامة المسلمين، و يورث الاتحاد و الاتفاق، و يُنتج القوة و القدرة، و يجدد الشوكة و العظمة، ماتلقته الجماعة بالقبول و التحسين¹.

1- كان فى ما اقترحت لمسئلة الجزائر و فلسطين ان يدعو زعيم مملكة الاردن، زعماء البلاد الاسلامية من كل الاقطار فيشاورون و يتخذون الراى النهائى و يعتمرون على العمل به، و يقدسون للعمل بلا تريف و تلبث، و من دون تسامح و تساهل. و مما اقترحت لما ينفع الاسلام و عامة المسلمين ان يتوافق الزعماء على اتحاد برنامج التحصيل و الدراسة فى مدارس بلادهم للشبان فى الدورة الاولى و الثانية كى يتأدبوا على التفاهم بينهم و يربوا على وحدة الفكر و يشبوا على الايمان الراسخ المتين بانهم «الاعلون» ان كانوا مؤمنين.

لعمراً انقضت الجلسة الرسمية، واجتمعت اعضاء المؤتمر في محل صرف -
 الشاى، قال لى شاب فاضل، كان من اساتذة كلية الشريعة بجامعة النيبية متعجباً :
 هل يكون للشيعة، التحديث والاسناد ؟ وقال شيخ من وفد الحجاز فاضل : اليس -
 الشيعة تقول عند الصلوة : « خان الامين » ؟ فقلت للاول : لعن الله العصبية الموجبة
 للافتراق بحيث لانعرف، وانت من العلماء ومن الاساتذة، ان الشيعة لهم اصول
 مسندة الى اهل بيت الرسول، وهم متمسكون بالعترة كما امر الرسول . وقلت للثانى
 بعد استيضاح المراد منه : ليست هذه النسبة الى الشيعة سوى افتراء واختلاق، وليست
 هذه الفرية والبهتان الا لتوليد الاختلاف والافتراق . وانا، والله العظيم، ماسمعتها
 من احد من الشيعة الامامية . ثم لوتفوه بهذا الكلام، ونستجير بالله، احد عند الصلوة
 ، او فى اى وقت وزمان، ومن اى الفرق كان، فاهماً معنيه، قاصداً امره، تكون عند الشيعة
 كافراً بالرسالة ويحكم عليه بما يحكم على من انكر الرسول بل وانكر الله و ملائكته .
 ومن العجيب المولم وجود هذه العصبية الجائرة على الشيعة، حيث ان سائر -
 الفرق الاسلامية حتى اهل العلم منهم لا يراجعون الى الكتب الموجودة المطبوعة التى
 يغلب عددها على الأحصاء، والفهماء علماء الشيعة فى العاوم الاسلامية من التفسير
 والفقه والحديث والرجال والدرابة وغيرها وهى مكتوبة باللسان العربى، ولا يطلعون
 عليها فيقولون فى حقهم ما لا يعلمون من قول الزور وينسبون اليهم ما لا يعرفون ولا يناسب
 بشانهم، من الباطل والغرور .

فاعتذرا بان ورود الكتب من تأليف الشيعة فى بلادنا ممنوع من جانب الحكومة
 مطلقاً، ولذلك لم يتيسر لنا المراجعة وما وافقنا التوفيق للمطالعة .
 قلت لهم : وهذا ايضا من سيئات العصبية الغاشمة، التى تكون الشيعة بريئة
 عنها، وذلك لان فى كل بلد من بلاد الشيعة مكاتب عمومية، ممثلة من الكتب
 الاسلامية، من دون فرق بين المذاهب، وعلماء الشيعة يراجعون فيها، ويستفيدون منها

منها بالفكر الحرّ و بلاعصبية ، فيستمعون القول و يتبعون احسنه . ولعلّه لان وجد لعالم شيعي ، اينما كان ، مكتبة شخصية خصوصية خالية من مؤلف لاخوانه من اهل السنّة سواء كان في التفسير ، او الحديث ، او الفقه ، او غير ذلك ، وكيف لا والشيعه تطلب الهداية والحقيقة ، و تسعى لادراك الحق ، و تكابد للوصول الى النجاة و الرّشاد ، و تريد الحكمة التي من ضالّة المؤمن و تاخذها اينما وجدها ؟

فهذا كتاب « مسائل الخلاف » للشيخ ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، المعروف بشيخ الطائفة (المتوفى سنة ٤٦٠ هـ . ق) يحتوي على مذاهب اكثر الفقهاء البائدة منها ، ك مذهب الشعبي ، و الاوزاعي ، و الطبري ، و الاصفهاني (داود بن خلف الظاهري) وغيرهم و الباقية منها كالمذاهب الاربعة للائمة الاربعة (نعمان ثابت الايراني - ابو حنيفة - مالك بن انس ، محمد بن ادريس الشافعي و احمد بن محمد بن حنبل المروزي) ثم المؤلف يقارن بين تلك الآراء و بين ما ارتضاه رايه ، و اقتضاه مذهبه ، فيستدلّ لما اختاره ، و افق مذهب غيره او خالفه . هذا شأن الشيعة و كتب غيرها ، ولكنّه لعلّه لا يوجد في ما كتبه اخواننا ، علماء السنّة كتابا ذكر فيها فقه الشيعة ، المأخوذ من القرآن و السنّة ، بارشاد من اهل البيت و عتره الرّسول ، حتّى و لو كان بعنوان الرّد و عدم القبول !

- ١٤ -

و يناسب في هذا الموضوع ان يقال : بما ذا يصحّ ان يعتذر اعظم علماء الحديث عند اهل السنّة ، البخاري (محمد بن اسماعيل) حيث ترك التحديث عن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن ابي طالب ، الملقّب بالصادق ، الرّوى عن ابيه عن آباؤه عن جدّه رسول الله (ص) ؟

و الامام الصادق هو الذي لو كان ريب في عصمته و امامته ! لامجال للرّيب في زهده و تقويّه و علمه و هديّه . وهو الذي كان ابو حنيفة يعظّمه و يبجلّه ، ويستفيد منه ، و يتواضع له و هو الذي كما في الحلية لابي نعيم « حدّث عنه من الائمة و الاعلام

مالك بن انس و شعبة بن الحججاج و سفیان الثوري و ابن جريج و روح بن القاسم و سفیان بن عيينة ، و سليمان بن هلال و ... و ... و ... في آخرين . و اخرج عنه مسلم بن الحججاج ، في صحيحه ، محتجاً بحديثه .

و هو الذي نُقِلَ عن الامام مالك بن انس انه قال في حقه : « مَرَّاتٍ عَيْنٌ وَلَا سَمِعَتْ اِذْنَ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ اَفْضَلَ مِنْ جَعْفَرِ الصَّادِقِ فَضْلاً وَعِلْماً وَعِبَادَةً ، وَوَرَعاً (اي بعد الرسول ، ص ،)

و هو الذي كان الامام الشافعي يعترف بعظمة مقامه . و هو الذي كان اصحاب بحثه و المستفيدون من مجلس درسه نحواً من اربعة آلاف (على ما هو المشهور) و كان اصحابه الخاصة الذين دونوا ما املاه عليهم من الاحاديث عن آبائه عن جده رسول الله (ص) اربعة اعماماً نفراً ، و صارت هذه الامالي مشهورة في الشيعة بعنوان « الاصول الاربعة » و من تلك الاصول استخرجت « الاصول الاربعة » المعروفة ، المتداولة ، التي للشيعة بمنزلة الصحاح الستة ، لاهل السنة ، و هي « الكافي » و « فقيه من لا يحضره الفقيه » و « التهذيب » و « الاستبصار » للمحمد بن الثلاثة : الكليني و الصدوق و الطوسي رحمهم الله تعالى .

قال ابن خلِّكان في الوفيات « الجلد الاول - الصفحة ال ١١٢ - طبع تهران -) :
« ابو عبد الله جعفر بن محمد الصادق بن ... كان من سادات اهل البيت و اُتِّبَ بالصَّادِقِ لصدقه في مقالته ، و فضله اشهر من ان يُذكر . و له كلام في صنعة الكيمياء و كان تلميذه ابو موسى جابر بن حيان الصوفي الطرسوسي قد ألف كتابا يشتمل على الف ورقة يتضمن رسائل جعفر الصادق و هي خمسمائة رسالة . . . »

و في « الروضات » (الصفحة ال ٦٩٨) :

« و نُقِلَ عن الذهبي انه قال في كتاب ميزانه عند ذكره و بيانه لمرتبة الامام جعفر بن محمد الصادق : بَرٌّ ، صادق كبير الشأن لم يحتجَّ به البخاري » مع انه يروي كثيراً في صحيحه ، كما حكى عن صريح شارحه الفاضل العيني ، عن عمران-

بن الحِطَّان ، الخارجي ، المادح لعبد الرحمن بن ملجم المرادي وقتله امير المؤمنين^١ .
واعترف الحاكم بن البيهقي التيسابوري في مائتة عن كتابه المشهور في معرفة
اصول الحديث ، بانه : احتج البخاري باكثر من مائة رجل من المجاهدين ! و صحَّ
عند العلماء انه يروي عن الف و مائتي رجل من الخوارج .

« وقال له الامام احمد بن حنبل : سميت كتابك « صحيحاً » و اكثره رواية
الخوارج . و حبسه قاضي بخارا لما قال له : لِمَ رويت من الخوارج ؟ قال : لانهم
ثقات لا يكذبون » .

ثم لو فرض ان جعفر الصادق و آباؤه : باقر العلوم و زين العابدين و سيّد
شباب اهل الجنة و باب مدينة العلم لم يكونوا ائمة معصومين ، و هداة مهديين و عترة
سيّد الأنبياء والمرسلين ولم يكن كل واحد منهم في زمانه ازهد و اتقى و اصلح و اعلم
باحكام الشرع و علوم الدين الّهم يكونوا علماء ، صلحاء ، اصدقاء ، اتقياء ايضاً ؟
و الّهم يكن اتصالهم الرّوحى و قرابتهم الجسمى من الرسول (ص) ابين و اشدّ ؟ و الّهم
يكن علمهم مأخوذاً عن جدّهم ، مستنداً اليه ؟ فلم لم يعبا صاحب التصحيح بهم ، و لم
يعتدّ بشانهم ؟ مع انه نقل كثيراً عن ابي هريرة التّدوسى^٢ (الذى ضربه عمر ، رض ،

١- قال - ملاء الله فاه من النار - :

يا ضربة من كمي ما اراد بها	الا ليبلغ عند الله رضواناً
« انى لا ذكره يوماً فاحسبه	او فى البرية عند الله ميزاناً
« و هو المرادى الذى سفكت	كفاه مهجة شر الخلق انساناً
« اسى عشية غشاها بضرته	مما جناه من الاثام ، عرياناً !! »

٢- فى صحيح البخارى (طبع عبد الحميد - الجلد الاول - الصفحة ال ٣٥ -) بالاسناد
عن ابي هريرة قال : « حفظت من رسول الله (ص) و عائنين ، فاما احدهما فبثنته ، و اما الاخر
فلو بثنته قطع هذا البلعوم » .

فلسائل ان يقول : ايها الصحابي بالله قل لنا ما كان فى الوعاء الذى لم تبثته من -
الاسرار التى افشاها رسول الله (ص) لك ! و كنت جديد الاسلام و كان تمام مدة صحابتك
لم تبلغ اربع سنة و لم يفشها للمصاحب الصديق و للفاروق و لذى النورين و حتى لعلى اخيه

بالدرة لا كثاره الحديث وشاطر امواله بعد عز له عن العمل) ونقل عن ابن حيطان الخارجي وغيره من الخوارج . ليم كل ذلك ايها المحدث الخبير؟ اليس العصبية تزرى بشان العلماء؟ عصمنا الله وجميع اخواننا المسلمين من اتباع الهوى وحفظنا مما يورث التخبُّط في الردى .

ولما انجز الكلام الى هذا المقام ، نشير الى ما ارتكبه عالم آخر من التعصّب . الشديدي ، وهو السبكي (تاج الدين ابونصر عبدالوهاب بن تقي الدين علي بن عبدالكافي السبكي - ٧٢٧ ، ٧٧١ هـ . ق -) مع انه كما في مقدمة كتابه ، طبقات الشافعية ، اخذ على شيخه . الذهبي ، ما ارتكب من التعصّب وهجم عليه شديداً ففي المقدمة للكتاب نقلا عنه ، في ترجمة احمد بن صالح المصري : « واما تاريخ شيخنا الذهبي - غفر الله له - فانه ، على حسنه وجمعه ، مشحون بالتعصّب المفرط - لا - واخذ الله -

→
وصهره ووصيه واول من آمن به وصدقه من الذكور ، ولباقى العشرة المبشرة ولسائر صحابته المبجلة!؟ ثم ان قالها الرسول (ص) لك للبت والنشر فلم عصيته وحرمت الامة عنها؟ وان اختصها بك من جميع الامة وكانت لك خاصة! فما معنى الاعتذار لعدم البت بقطع البلعوم والحلقوم!؟

وفي الصحيح ايضا (الجزء الثالث الصفحة ال ١٠٩ -) بالاسناد عنه ايضا: «يقولون: ان اباهيرة يكثر الحديث ، والله الموعود ، ويقولون : ما للمهاجرين والانصار ، لا يحدثون مثل احاديثه؟ وان اخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالاسواق ، وان اخوتي من الانصار كان يشغلهم عمل امواتهم ، وكنت اسرأ مسكيننا الزم رسول الله على سلاء بطني فاحضرحين يغيبون ، واعى حين ينسون»

ايها الصحابي المحترم! انت تعترف بان حديثك في الكمية (الاكثار) وفي الكيفية (مثل احاديثه) مختلف لحديث سائر الصحابة ، و لاجله قالوا (اي الصحابة) فيك ما قالوا ، ثم تعتذر بما كانك تغافل من ان كثيراً من الصحابة ، كانوا اشد ملازمة ، واكثرها ، منك للرسول (ص) وكانت مدة صحابتهم اطول جداً وكانوا اليه اقرب و لاستماع الحديث ونقله انسب . هب انك كنت في مدة ادراكك الاسلام دائماً مع الرسول وملازماً له هل كانت هذه الاحاديث الكثيرة التي تحدث بها صدر عن الرسول وهو في خلوة معك ولم يكن احد عنده سواك؟ او اختار الرسول ، لما يريد ان تعلمه امته وتعمل وفقه ، نجواك!؟

فقد اكثر الوقعة في اهل الدين ، واستطال على كثير من ائمة الشافعيين و الحنفيين ،
و مال فافطرط على الحشوية ... هذا و هو الحافظ المِدْرَه^١ ، و الامام المبجل ، فما
ظنكك بعوام المؤرخين ؟

فقد تعصب السبكي نفسه للامام الشافعي تعصباً مفرطاً و كآته للحب صار
اصم و اعمى كما سنورد كلامه السخيف و سترى .

و ملخص ما جاء به في مقام تعريف الشافعي انه اتى اولاً باخبار مسنداً من
هذا القبيل : «الناسُ تبعٌ لقريش في الخير و الشر» و «ان الله حرّمات ثلاثاً من
حفيظهنّ حفيظ الله له امرّ دينه و دنياه و من ضيعهنّ لم يحفظ الله له شيئاً . قبل :
وما هي يا رسول الله ؟ قال : حرمة الاسلام ، و حرمتي ، و حرمة رحيمي » و «الا من
آذى قرابتي فقد آذاني و من آذاني فقد آذى الله ، عزّ وجلّ ، » و «من أحبّ
قريشاً أحبّه الله و من أبغض قريشاً أبغضه الله» و «كلُّ سببٍ و نسبٍ منقطعٌ
يومَ القيامة الا نسبي و سببي» و «انما نحنُ و بنوالمطلب هكذا» و شبكتك
بين اصابه . و «انما نحنُ و بنو هاشم شبيء واحد» ثم اتى باخبار في «موالاة
قريش» و «ان الائمة من قريش» و «لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي في الناس
اثنان» .

و بعد ذلك ادعى ان تلك الاخبار بعمومها ، صدرت للدلالة على امامة «ابو عبد الله
محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبّيد بن عبد يزيد
بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي المكي» وقال : «تكفي (اي هذه الاخبار)
في عظمة مقامه» .

ثم بحث عن امه فاطمة ، و انتها هي من احفاد حسين بن علي بن ابي طالب ،
او من قبيلة ازد ، او من قبيلة اسد ، و تجشم لاثبات قول الاول كي يثبت شرفه من
حيث الانتساب بال بيت الرسول ايضاً .

ثم استنتج من تلك المقدمات ان «الامام القرشي» ، الذي لا يختلف عاقلان
في انه من قريش ، هو الشافعي ، رضی الله عنه ، فهو المشهود له بالامامة ، بل بانحصار

١ - «المدرة» جمع «مداره» : السيد و زعيم القوم و المتكلم عنهم

الامامة فيه ، لان «الائمة من قريش» يدلّ ، بحصر المبتدء ، على الخبر ، على ذلك ولانعنى بالامامة ، امامة الخلافة بل امامة العلم والدين ، او اعمّ من ذلك ... »
 « ولو انّ احداً من الخلق ، غيره ، ادعى انه قرشيّ و اراد منّا هذه المرتبة
 لقلنا له :

«اولاً اثبت انتك قرشيّ ، وهيهات ! ... »

«و ثانياً ينبغي ان يكون من التمسكك من العلم والدين بحيث يكون من العلم والدين بحيث يكون من جملة القوم المشار اليهم في هذه الاحاديث ... »
 ثمّ اورد في تجليل الشافعي فصلاً مُشبعاً ، وفيه : انّ الله تعالى كما استاثر لنبية اسم محمد قبل النبىّ كذلك استاثر اسم محمد في قريش قبل الشافعي له !
 وبعد ذلك زعم انه كما ورد في حقه مايدلّ على امامته ، بعمومها ، صدرت ايضاً اخبار للدلالة عليها بخصوصها مثل «لاتسبوا قريشا فانّ عالمها يمثلاً الارض علماء» . و «لانوموا قريشاً واثتموا بها ، و لاتقدّموا قريشاً و قدّموها ، و لاتعلموا قريشاً و تعلموا منها ، فانّ امامة الامين من قريش تعدل امامة الامين من غيرهم و انّ علم عالم قريش ليبسح طباق الارض»

ثمّ نقل عن «ابونعيم عبد الملك بن محمد الفقيه» شرحاً في بيان انّ حديث «عالم قريش يمثلاء الارض علماء» لا مصداق له الا الشافعي ، وانه ان نازع جدليّ مغرور ، و عارض بعليّ و ابن عباس فانتهما من علماء قريش فنقول له :
 «من ذكرت و ان كان في العلم والدين بالمنزلة التي تفوق الشافعيّ الا انّ -
 التصانيف و الشهرة ! و كثرة الاتباع ! مخصوصة بابن ادريس ! » و بعد هذا النقل اورد السبكي راي نفسه و قال :

«... وانا اقول : و لئن سلّمنا انّ امر من ذكرت كذلك ، و لا والله لانسلم ذلك الا تنزلاً ولايعتقده الا احمق (!) فنقول : الشافعي ايضاً من علماء قريش... »
 الخ .

والآن فانظر الى العصبية كيف صارت موجبة لغفلة هذا الرجل الفاضل عن الحق والعدل والانصاف فاورد اخباراً منافيةً للاخبار المستفيضة بل المتواتره التي بصراحتها تدلّ على انه لا فخر لقرشيّ على حبشيّ ، الا بالعمل الصالح ، بل معارضةً للقرآن- المجيد بانّ « اكرمكم عند الله اتقيكم » حرصاً على ان يرجح مذهب الشافعي ، اكون مؤسسّه قرشياً ، على باقى المذاهب الاربعة ، و غفل عن انّ جلّ هذه الأخبار التي صرّحت فيها بكلمة « قریش » موضوعة في زمان بنى امية وآلا فمامعنى لزوم « موالة قریش » على الاطلاق وفيهم البرّ والفاجر والمؤمن والكافر ؟ وعلى ما يحمل قوله « من احبّ قریشا احبه الله ومن ابغض . . . » ومن قریش ابولهب وحمالة الحطب .

واما الخبران اللذان صرّح فيهما بكون « الاثمة من قریش » و بانّه « لا يزال هذا الامر فى قریش ما بقى فى الناس اثنان » فالمراد منها ائمة الشيعة ، ولا سيما الثاني منهما حيث لا ينطبق الا على ما عليه الشيعة ، فانّ الامر زال عن قریش بانقراض خلافة آل العباس . وكيف كان ليس فى هذا العصر امام من قریش (خليفة للرسول) الا على ما اعتقدت- الشيعة .

واما الاخبار التي جىء فيها بلفظ القرابة والرحيم فانطباقها على عتره الرسول وآله وابنائهم من بنته ، اظهر من ان يجترىء من له حياء العلم ، ان يصرفها منهم ويرجعها الى من بينه وبين الرسول فى سلسلة الاجداد نحواً من عشرة فاصلة .

والخبر الذى فيه « الامامة والايتمام والتعليم والتعلم ، وانّ امامة الامين من قریش تعدل امامة الامين من غيرهم ! » فوضعه غير محتاج الى البيان والتوضيح ، وكذا خبر « الناس تبع لقریش فى الخير والشر » لوضوح عدم جواز التبعية فى الشر ، ان فرض كون الخبر على سبيل الانشاء والحكم ، وعدم صدقه ان فرض كونه خبرياً ، لانّ « الناس » على اطلاق الكلمة لم يكونوا ولا يكونون تبعاً لقریش فى اى زمان اللهم الا ان يكون المراد من « الناس » جمع خاص ومن « قریش » ايضا افراد مخصوصة ! .

وامّا استيثار الاسم (لو فرض انه فخر) فانظر ما صنعت العصبية باهلها حيث تغافل عن ان من سماه الرسول من عترته «باقرأ» ، لانه يبقر العلم ، كان اسمه محمداً^١ وهو محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن ابي طالب ، و قد توفّي قبل ولادة الشافعي باكثر من ثلاثين سنة .

و لَعَمْرُ العِلْمِ والعدل انّى استحيى من الحقّ ان اقول شيئاً في ماته نصّب اخيراً من جسارته في حقّ باب مدينة علم الرسول ، الذي قال الشافعيّ نفسه حين قيل له في مسألة : ما تقول فيها يكون عليّ خلاف راي عليّ فقال : اُتَيْتُ لِي قَوْلَ عَلِيٍّ فِيهَا حَتَّى اَضَعَ خَدَيَّ عَلَيَّ الْاَرْضَ تَجَاهَ قَوْلِهِ .

و لنقطع الكلام مع السبكي بتدكار ما يجب تدكاره له ، وهو ابها المتعصب في غير موضعه :

اَ مَا كَانَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصّادِقِ قَرِيبًا؟ اَ مَا كَانَ قَرَابَةَ رَسُولِ اللَّهِ وَ رَحِمَهُ؟ اَ مَا كَانَ الشّافِعِيُّ اسْتِفَادَ مِنْهُ بِوَسْطَةِ شَيْخِهِ مَالِكِ بْنِ اَنْسٍ ، اَ مَا كَانَ عِلْمُهُ وَسِعَ طَبَاقِ الْاَرْضِ؟ اَ مَا كَانَ تَابِعُوا مَذْهَبَهُ فِي كُلِّ الْاَقْطَارِ؟ اَ مَا كَانَ مِنْ اسْتِفَادَ مِنْهُ بِاَلْوَسْطَةِ اَكْثَرَ مِنْ اَلْآفِ؟ وَاَ مَا كَانَ مَقْدَمًا عَلَيَّ الشّافِعِيُّ فِي الدِّينِ وَالزّهْدِ وَالْعِلْمِ وَالزّمانِ؟ وَاَ مَا؟ وَاَ مَا؟ فَكَيْفَ غَفَلْتَ اَوْ تَغَافَلْتَ عَنْهُ وَاَنْتَ فِي رَايِكَ وَ بَاعْتِقَادِكَ ، لَسْتَ مِنْ عَوَامِ الْمُؤرّخِينَ! وَتَنْتَقِصُ مِنْ شَيْخِكَ الذّهَبِيِّ! وَاَلَيْسَ نَسِيتَ اَوْ تَنَاسَيْتَ اَبْنَ رَسُولِ اللَّهِ الْاِمَامِ الصّادِقِ؟ وَاَشْتَرَيْتَ رِضَا الْمَخْلُوقِ بِسَخَطِ الْخَالِقِ .

ثمّ اقول : انّى ما اردت ممّا قلت ، الانتقاص ، والعياذ بالله ، عن الامام الجليل - الشافعي القرشي ، رحمه الله ، وكيف وهو فحل الفضيلة والمنقبة و بحر العلم وفخر الفضل وهو الذي يعرف حقّ آل محمّد الذين وجب حبّهم و فريض في الصلوة ذكرهم و يقول :

١ - هذا من ذرية الرسول و ابنائه و اما من غير الذرية فمحمّد ابن الحنفية ابن عليّ بن ابي طالب (ع) و غيره من اولاد الصحابة مثل محمّد بن طلحة بن عبيدالله و محمّد بن عمرو العاص .

اِنْ كَانَ رَقَضاً حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ
 فَلْيَشْهَدْ الثَّقَلَانِ اَنْتَى رَافِضِيَّ
 و يقول ايضا ، على ما حكى من الصواعق لابن حجر المكي :
 يَا اَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ حُبُّكُمْ
 فَرَضٌ مِّنَ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ اَنْزَلَهُ
 كِفَاكُمُ مِنْ عَظِيمِ الْقَدْرِ اَتَكُمُ
 مَن لَّا يُصَلِّيَ عَلَيْكُمْ لِاصْلَوَةِ لَهُ

بل اردت ان اشير الى تعصب من لا يلبق به التعصب بحيث يغمض عينه ، ويرخي
 السدول بين الحق وبينه ، ويتترك ما يجب ان لا يتترك ، ويمسكك عن اظهار ما لا يجوز
 ان يمسسك ، بل ويتكلم بما يهزه منه الحق والعدل ، ويسخر به الادب والعلم والفضل .

- ١٦ -

نرجع الى ما كنا فيه في جلسة المؤتمر فقلت اخيراً و اتممت به الكلام :
 « نَعَمْ يَا اخواني الاعزة ، ان للشيعه تحديث و اسانيد و اجازات ، ولان يؤكد
 عدم العصبية للشيعه اقول : ان في طريق اسنادي في ما اجازني مشايخي ، رحمهم الله ،
 محمد بن مكّي العاملي ، المقتول بسيف العصبية والمعروف عند الشيعة بالشهيد
 (المقتول في سنة ٧٨٦) الفقيه الاديب الزاهد الذي قلما يوجد له نظير في الاسلام .
 وكان له اجازات كثيرة للتحديث عن اكابر مشايخ اهل السنة ، تربو على سبعين من
 مشيخة الاجازة و شيوخها !

هكذا كان داب علماء الشيعة و ديدنهم في طلب العلم و كسب الفضيلة و ادراك
 الحق و الحقيقة من دون تعصب و حمية جاهلية ، و كذلك كانت المعاملة معهم من
 العلماء !! و اقول و به اختم الكلام و انا الضعيف الذي ليس الا من اصاغر طلبه العلم ، :

١ - « قتل بعد ما حبس سنة كاملة في قلعة الشام ، بالسيف ، ثم صلب ! ثم رجم ! ثم احرق !

بدمشق بفتوى القاضي برهان الدين ! المالكي و عباد بن جماعة الشافعي »

أعلن عندكم ان معرفتي بالأئمة الاربعة و ترجمة حالهم بل و غيرهم من ائمة الفقه من اكابر علماء اهل السنة و اقوالهم فى الفقه و اصوله و الحديث و التفسير لعله لم يكن بادون من معرفة كل واحد منكم فى مذهبكم و قد راجعت كتبهم و طالعتها كراياً بلا تعصب لالآى شىء آخر سوى شوق العلم ، و حبّ درك الحق . و راجعت صحيح البخارى و طالعتها مرتين من اوله الى آخره . و الحمد لله و له الشكر .

- ١٧ -

لانسى ما حصل لى من التأسف و التلهف ممّا رايت من العصبية حين تشرفت بالمدينة المنورة ، بعد التشرف الى مكة المعظمة ، زاده الله شرفاً و تعظيماً ، لاداء العمرة ، و كنت معتكفا فى مسجد النبى ، صلتى الله عليه و آله و سلم ، فرايت شاباً جالساً، قريباً منى ، و بين يديه عدّة كتب ، فظننت انه من طلبة العلم ، و احببت ان اجلس معه و اذاكره ، و استفيد منه ، فقربت اليه ، و سلّمت عليه ، و استاذنت عليه . و اظهر انه من طلاب كلية الشريعة بالمدينة . و سأل هو منى بلدى و لما سمع انى من ايران ، انقلبت حاله ، و اسودّ وجهه ، و تبدل بشه و بسّمه ، و قال بلحن خشن ، و تعبير خفيف ما مذهبك ؟

قلت : مسلم ، يا اخى المسلم . فما لبث ان قال : انتم تقولون عقيب الصلوة :

«خان الامين» !

قلت : كسلاً يا اخى . هذا افتراء عظيم . كيف و نحن نعتقد انه لو قاله احد ، لكان منكر الرسالة ، كافراً ، يجب ان يعامل معه معاملة الكافر المرتد .

قال : والله لقد سمعت باذنى ، هاتين ، من قاله منكم !

قلت : انت مسلم ، ولا يسع لمسلم ان يكذب مسلماً ، فلا اكذبك و حتى

لا اقول لك : من اين علمت انه كان منّا ولم يكن عدوّاً لنا ، شيطاناً مفرّقا بيننا ؟ ولكنى

وقد ذرف عمرى على ستين عاما ، و سافرت اكثر بلاد ايران ، و عاشرت كثيراً من -

الايرانيين ، و حضرت الجماعات و الجُمُعات ، اقول :

والله ما سمعت الى الآن احداً من الشيعة الامامية تفوه بذلك ، وما رايت احداً ذكر لى انه سمع احداً من الشيعة الامامية اتى بهذه الكلمة المنكره ، الخارج قائلها من الاسلام ، قبل الصلوة او بعدها او فى وقت آخر .

فاشندت تحوله بحيث صار وجهه مسوداً ، وما امره ان قال :

«والله لو كان عمر بن الخطاب حياً لا خرجكم من المدينة» ! ثم اضاف

الى ذلك :

« و والله لو كان على بن ابيطالب حياً لجزر رؤسكم » ! و اشار بيده الى

حلقومه !

اخذنتى الحيرة والدهشة من نسبة تلك الكلمة المنكره ، وادعاء السماع شخصاً ممن هو فى طريق كسب العلم و يتبغى ان يكون صادقاً باراً رؤفاً ، مقرونا بالقسم المؤكد ، ثم من الحلف المؤكد ايضا لبيان راي الخليفين : عمر و على ، بالاجراج ! و جزر- الرؤس ! ، فكانته يعلم الغيب و يكون عارفاً بما فى قلوبهما ، من دون شكك و ريب . فقلت : على رسليك ابها الاخ الفاضل المسلم ومهلاً ، هل انت تزعم ان ايماننا و اقرارنا بوحداية الله جل جلاله و برسالة نبيه الخاتم ، و اعتقادنا بان ما جاء به الرسول من الكتاب والسنة ، حق لا ياتيها الباطل ، يوجب ان يخرجنا عمر (رض) من مدينة الرسول (ص) ؟

او تعتقد بان اقامتنا الصلوة فى اوقاتها الخمسة ، و تولي وجوهنا شطر الكعبة- المقدسة ، و صيامنا شهر رمضان ، و ايتائنا الزكوة ، و تحملنا و عشاء الطريق ، و مشاق السفر ، و انفاقنا اموالنا التى كدنا لكسبها ايماننا ، و اتعبنا انفسنا ، و اتمامنا- الحج و العمرة ، كل ذلك بالطوع والرغبة والشوق والفرحة ، يحمله على اخراجنا ؟ ام لاننا نحن الايرانيين من صدر الاسلام و من حين تشرفتنا بشراقة قبوله لم نأل جهداً ولم نقصر اجتهاداً فى سبيل علوم العربية و الاسلامية تأسيساً ، و تكميلاً ، توضيحاً و تقريراً ، تحقيقاً و تعليقاً ببعثه ان يخرجنا ؟ !

تفضل ابها الاخ و قل لى ، ان كنت تدري :

مَنْ الَّذِي كَتَبَ فِي عِلْمِ النَّحْوِ بِأَدَى بَدءٍ بِأَمْتَنٍ وَضَعُ ؟
 وَمَنْ الَّذِي اسْتَسَّ عِلْمَ الْبَلَاغَةِ وَشَيَّدَ اسَاسَهُ وَبَنِيَانَهُ ؟ وَآلَفَ فِيهِ وَابْرَزَ
 عُنْيَانَهُ ؟

وَمَنْ الَّذِي كَتَبَ التَّارِيخَ الْمَعْتَبَرَ الْمَعْتَمَدَ وَالتَّفْسِيرَ الَّذِي هُوَ الْمُسْتَنَدُ ؟ الْيَسُوا
 هُمُ الْإِيرَانِيِّينَ ؟

اليس امامكم الاعظم ابوحنيفة من ايران ؟

اليس مؤلفوا الصحاح الستة كلهم ايرانيين ؟

اليس اكثر فقهاءكم الاعظم من ايران ؟

اليس جل رؤساء الكلام من الاشاعرة والمعتزلة واغلب من اخذتم بيان الاصول

والفروع و تقريرها منهم ، من اهل ايران ؟

اليس المتتبعون في لغة العرب ، المؤلفون فيها ، والمحققون في الصرف والنحو

والاشتقاق وغيرها من علوم الادب اكثرهم من ايران ؟!

انظن ان جزء هذه الاعمال ان يخرجهم عمر (رض) من مدينة الرسول بالاذلال ؟!

كثلا ما هكذا الظن بعدالة عمر وكياسته .

وبآخرة اليس يابنسى الشفيق ! الايرانيون في الحجاز اضياف الله وضياف رسوله

واضياف خلفائه وضيافكم الذين تفتخرون بالقري و تقولون « لنا جففات الغر يلمعن

في الدجى ! » ؟ فكيف تزعم ان عمر (رض) وهو راس العرب يُخرج الاضياف عوضاً

عن ان يكرمهم ؟!

ثم يا اخي الفاضل ! باى ذنب اذنبناه ولاى جرم اجرمنناه ومن اى اثم ارتكبناه ،

لو كان على (ع) حياً لجز رؤسنا ؟

الاننا آمننا بالله ورسله وكتبه وملائكته ، و عرفنا من حق على ما عرفه

به الرسول ؟

ام لاننا اطعنا الرسول في التمسك بكتاب الله وعترته ؟

ام لاننا اجبنا الرسول و تقربنا الى الله بمحبة آل الرسول و ذوى قريبه ؟

ثم اقول لك ايها الشاب العزيز : انى اجل الله، جل جلاله، من ان احلف به في ما انا معتقد به جزماً ، ويكون صادقاً قطعاً ، وهو انه لو كان رسول الله شاهد مانحن فيه ، و راي ان مسلماً في مسجده ، وبعد تمام حجته ، تقرب الى اخيه المسلم ، بظنه ، خالصاً مخلصاً محبباً له من صميم قلبه ، لالائى شىء سوى انه اخوه في الدين ، و اراد ان يالف و ياتلف ، و ان يستفيد من علمه ، و يغترف من فضله ، و لم يأت بكلمة غير الاقرار بانته مسلم ، فقول بل بما قلت ، و حلفت بلا بينة و برهان ، ليكى على غربة الاسلام ، و على عصبية من يدعى الايمان بل وضح على مانسبت الى عمر و على من الافتراء و البهتان .

- ١٨ -

تلك الاقوال و الافعال ، التى مرّ انموذج منها ، الصادرة عمّن ينتمى الى العلم ، و يدعى خلوص الايمان و الاذعان بالاسلام ، و لعله يعتقد انه بروج الاسلام باقواله ، و يؤيده بافعاله ، هى التى تورث الاسى ، و تحدث الاسف ، و تتجلى منها ان شيعه على و تابعوه غدت مظلومة ، فلم تُعرف معتقداتها و انثالت عليها من العصبية مفترياتها و لا بدع في ذلك فان علينا نفسه ايضاً ، كما صرح ، كان مظلوماً .

قال عز الدين عبد الحميد بن ابى الحديد في شرحه على نهج البلاغة (ذيل و من كلامه له عليه السلام لاصحابه : « اما انه سيظهر عليكم بعدي رجل رحب - البلعوم ...) :

« وروى عبد الملك بن عمير عن عبد الرحمن بن ابى بكره قال : سمعت علياً وهو يقول : مالى احدى من الناس ما لقيت . ثم بكى »

١- وليت شعري كيف يجتره على الله من يدعى العلم و الايمان بالله ، ان يقول و يكتب في حق من آمن بالله و رسوله و صدق كتابه المجيد و عمل بما جاء به و جاهد في سبيل اعلاء كلمة الدين و كابد في نشر معالم الاسلام خالصاً مخلصاً ، ما يستحق المرونة و الانصاف عن ذكره ؟ اليس من الافتراء و البهتان و الاجترار على الله ان يقول مسلم ان الشيعه هم اليهود و المجوس ؟ لا اقول فض الله فاك ايها القائل و تبت اصابعك و يدك ايها الكاتب بل اقول : اللهم اهدقونا فانهم لا يعلمون و عليك و على رسولك يجترئون .

وقال ايضا في ذلك الموضوع من شرحه ، بالاسناد عن مسيب بن نجبة انه قال :
 بينا على يخطب اذ قام اعرابي فصاح : وامظلمتمناه ! فاستدناه على . فلما دنا قال
 له : انما لك مظلمة واحدة . وانا قد ظلمت عدد المدرو الوبر .
 وقال ايضا ، بعد ذلك الكلام ، :

« وفي رواية عباد بن يعقوب : انه دعاه فقال : ويحكك ! وانا والله مظلوم .
 هات فلندعُ على من ظلمتنا »

- ١٩ -

ولعله ، وانتهى الكلام الى المظلومية ، كان من المناسب ان نذكر هنا ما اختلفت
 الشيعة وغيرها فيه ، ونشير الى ان وجه الاختلاف ، عند التأمل والانصاف ليس بمثابة
 يورث هذه العصبية الظالمة من اخوانهم المسلمين و يوجب استحقاق الفدح والتوهين
 فهم ، في الحقيقة ، مظلومين كما كان كذلك امامهم على امير المؤمنين^١ .
 فاعلم ان الاختلاف بين الفريقين يؤل الى موضوعين : الفروع ، و الاصول
 (على ما تعتقد الشيعة في الامامة و تقول) .

فاما الاول ، وهو الاختلاف في بعض الاحكام والفروع :

مما لا ارتياب فيه انهم وغيرهم متفقون في ان الكتاب ثم السنة المعتبرة
 اصلا اساسيان لاستنباط الاحكام ، ويجب على كل مسلم مجتهد ان يستند بهما
 في استخراج الوظائف المقررة ، والتكاليف المشروعة ، فيعمل بما ثبت له من الاحكام
 بهذا الطريق .

فلزوم الاستناد بهذين الاصلين مُجمَع عليه بين الفريقين وانما الاختلاف

١- كتب على في ما كتب الى معاوية جوابا « وهو من محاسن الكتب » :

« وزعمت اني لكل الخلفاء حسدت ، وعلى كلهم بغيت ، فان يكن ذاك كذلك
 فليست الجناية عليك فيكون العذر اليك ... »

« وقلت اني كنت اقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى اباع ، ولعمرك لقد اردت ان
 تدم فمدحت و ان تفضح فافتضحت وما على المسلم من غضاضة في ان يكون مظلوماً
 ما لم يكن شاكاً في دينه ، ولا رتاباً بيقينه ، وهذه حجتي الى غيرك قصدها ... »

فى ما يصح الاستناد به فى مالم يوجد فيه نص فى الكتاب ولا فى السنه ، وهذا الاختلاف ليس مخصوصاً باحد الفريقين بل المذاهب كلها فيه سواسية . والاجماع ، وسيرة اهل - المدينة (على راي الامام مالك) والعقل والقياس ، والاستحسان ، والمصالح المرسله وان كان لكل قائل بصحة الاستناد فى مذهب و لكنّه ليس الكلّ مورد الأنفاق للكلّ بل وحتى ما يكون حجّيته منسوبة الى مذهب ليست حجّيته مجمعا عليها فى ذلك - المذهب ، وعلى اى حال لكلّ مذهب حجة على ما اختار واليه ذهب .

وهي هنا اختلاف آخر ليس هو ايضا مخصوص بمذهب دون مذهب وهو فى ما به يتحقق اعتبار السنه من حيث السند . فالشيعه تعتبرها اذا كان الاسناد فيها عن عدول ينتهى الى اهل البيت و عتره الرسول (المعهودين) و منهم الى جدّهم ، او كان عن عدول ينتهى الى احد من الصحابة الذين ثبتت عندها عدالتهم ، وغير الشيعه لا يلتزمون بذلك بل قلّ ما ان يستندوا بحديث كان بذلك الاسناد ، بل قد يعبرون لاثبات ضعف حديث عن طريق و طرحه و جرحه بانّ « فيه فلان و هو رافضى - او شيعى - ! » او « رافضى خبيث ! » او « رافضى كاذب ! » او « شيعى لا يُعبأ بقوله ! » واحسن تعبيرهم فى المقام « انه متهم » او « متهم بالرفض - او التشيع » والعجيب المؤسف انه قد يصير حون يكون رجل من الشيعه « موصوفا بكثرة العبادة » او « غير كاذب » او « موثقاً عند يحيى بن سعيد » (وهو احد الخراريت عندهم ، كالامام بن حنبل) ومع ذلك لا يعتبرون قوله (مع اعتبارهم قول الخوارج ، باستناد عدم كذبهم !)¹

١- و يكفى للانموذج والمثل ان تنظر الى ما اورده العالم المفضل ، السبكي فى كتابه «طبقات الشافعية» وترى التعصب فى ما قال . قال باسناده عن ابي الصلت ، عبد السلام بن صالح الهروى انه قال : «حدثنا على بن موسى ، الرضا ، بن جعفر بن محمد بن على - بن الحسين بن على بن ابي طالب ، رضى الله عنهم ، عن على انه قال : قال رسول الله (ص) : «الايان معرفة بالقلب ، و اقرار باللسان ، و عمل بالاركان»

ثم قال السبكي : ان مدار هذا الحديث على ابي الصلت ، وهو ، وان كان موصوفا بكثرة العبادة ، غير محتج به عند المحدثين ! قال الدارقطنى : «رافضى خبيث ، متهم بوضع

على ان رأى غير الشيعة فى معنى «العدالة» وتحقق حقيقتها، يكون اوسع حيث انهم اعتقدوا ان مجرد «الصحابة» محقق للعدالة فكل صحابى عندهم عادل ولكن - الشيعة لا تعتقد بكفايتها مجردة لان تتحقق «العدالة» بل «الصحابة» قد تجتمع مع العدالة وقد لا تجتمع فليس بينهما ملازمة فيمكن ان يكون صحابى غير عادل كما يكون عادل، غير صحابى.

وعلى اى حال، الاختلاف فى اعتبار السنة من حيث السند، مع غمض العين عن كون وجه الاعتبار عند الشيعة اقوى واثق، والى الاحتياط فى الدين اقرب واوجه، ودليلهم للاعتماد اصح وامتن، ايضا لا يختص الشيعة به، بل فى كل المذاهب - الاسلامية يوجد الاختلاف بين العلماء فى رجال الاسناد ولهذا يعد حديث عند بعض صحيحاً او قوياً او حسناً و عند بعض آخر ضعيفاً غير معتبر (ولذا استسوا وابتكروا علماء الاسلام علمى الدراية والرجال).

→

حديث الايمان» وقال العقيلي : «رافضى خبيث» وقال ابو حاتم : «لم يكن عندي بصدوق» وقال ابن عدى : «متهم» وقال النسائي : «ليس بثقة» ومع هذا الجرح لا يعتبر قول عباس - الدورى : «ان يحيى كان يوثقه» ! ولا قول ابن محرز : «انه ليس ممن يكذب» !

و ابوالصلت هذا هو الذى حدث عنه ابونعيم الاصفهاني فى «الحلية» باسناده عن «ابوالصلت عبد السلام بن صالح الهروى حدثنا على بن موسى، الرضا، حدثنى ابي، موسى بن جعفر، حدثنى ابي، جعفر بن محمد، حدثنى ابي، محمد بن علي، حدثنى ابي، علي بن الحسين بن علي، حدثنى ابي، علي بن ابي طالب، رضى الله تعالى عنهم حدثنا رسول الله (ص) عن جبريل عليه السلام قال : قال الله عزوجل : انى انا الله لاله الا انا فاعبدونى، من جائئى منكم بشهادة ان لاله الا الله بالاخلاص دخل فى حصنى ومن دخل فى حصنى امن من عذابى».

ثم قال ابونعيم : « هذا حديث ثابت مشهور بهذا الاسناد من رواية الطاهرين عن آبائهم الطيبين . وكان بعض سلفنا من المحدثين اذا روى هذا الاسناد ، قال : « لو قرىء هذا الاسناد على مجنون لافاق » فانظر ما اورده ابونعيم وازنه مع ما اورده السبكي تعرف مات فعل العصبية . (المجلد الثالث - الصفحة ال ٩٢ -)

وكيف كان ، هذا النحو من الاختلاف ليس ممّا يضرّ باصل الدين ولا بركن من اركان الايمان واليقين وليس ممّا يُخرج احد طرفي الخلاف عن الاسلام بل عسى ان يكون للامة من مصاديق « اِخْتِلَافُ اُمَّتِي رَحْمَةٌ » .

وامّا الثاني وهو الاختلاف في الخلافة ، فالموضوع ذو وجهين : وجه الوقوع والتحقّق ، ووجه الواقع والحقّ .

ومن الوجه الاول فالكلّ متفقون على ما وقع في الخارج واتفق ، و ثبت في- التاريخ وتحقّق ، ولا ينكر احد ماجرى من امر الخلافة ، ولا ينكر انّ الشيعيين (رض) كانوا في مدّة خلافتهم على ما لا يلبق مقامهما ، وانتهما جاهدا في حفظ الاسلام وبسطه وصيانة الدين ونشره ، ولا ينكر انّ عليّاً (ع) بايعهما ، وان كانت البيعة بعد كشف بيت فاطمة (ع) ، وكانت بعد مدّة لا تقلّ على اصحّ الاقوال ، عن ستّة اشهر ، وكانت بالاكره ، وبعد قول عليّ لابي بكر ، على ما نقل الطّبري عن الزّهري ، ويجيء في موضعه في الكتاب : « كُنَّا نَرَى لَنَا فِي هَذَا الْأَمْرِ حَقّاً فَأَسْتَبَدَدْنَا بِهٖ عَلَيْنَا » ولا ينكر انهما راعيا جانبا عليّ (ع) بالمشاورة والمناصحة ، وانّ عليّاً لم يألُ جهداً في ارشادهما الى ما هو الصواب ، بحيث اشتهر عن الثاني منهما كلمة « لَوْلَا عَلِيٌّ لَهَلَكْتَ عُمَرُ » واستفاض رجوعه الى قوله في قدر ما يحلّ له اخذه لنفسه وعياله من بيت المال ^١ ، ونقل تَعَوُّذَهُ بِاللَّهِ ، من مُعْضَلَةٍ لَيْسَ لَهَا أَبُو حَسَنٍ ^٢ ، الى غير ذلك ، ممّا ثبت في التاريخ ، و ضَبَطَهُ ائِمَّةُ النَّقْلِ وَالتَّحْدِيثِ ^٣ .

١- سيحىء نقل هذا الموضوع في موضعه من الكتاب ، عن الطبري .

٢- سيحىء في الكتاب نقلا عن «الاستيعاب» ، للفقيه الحافظ ابن عبد البر المالكي ، بالاسناد عن سعيد بن المسيب انه قال : « كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس لها ابو حسن » .

٣- وبالجملة كان علي في زمن الخليفتين بحيث يرجعان اليه للمشاورة في الشؤون- السياسية والاجتماعية فحسب ، بل يستفتون منه الاحكام الفقهية ويعملون على ما يقول ويقضى . على انه (ع) ايضا ان راي انحرافاً في حكم ارشدهم الى رايه و يصرح بخلاف ما هم عليه كى لا يصير الامر حكماً دينياً مجمعاً عليه فيصير في المستقبل حكماً فقهما مستندا بالاجماع .

و من الوجه الثانی لا ينبغي الخلاف ، بل ولم يتحقق الاختلاف (إلا من متعصبٍ معاندٍ رأى ان لا يرمى الحق ولا يرعى الانصاف والعدل) في ان علياً نفسه قال في موارد متعدّدة ، نقله غير واحد من العلماء الثقات من اهل السنّة ، وضبطوه في كتبهم المعتمدة المعتمدة ، بانه لمكان قرابته الجسيميّة والروحيّة ، ومقام فضائله - السامية ، التي لا يساجلها ، في مجموعها ، احد من الصحابة ، احق بالخلافة من غيره و ان الخلافة حق له ، و شيعة علي تشايه في هذا القول وتتابعه ^١ (بل والاعاظم من علماء السنّة يصدّقونه ويتابعونه حيث يصرّحون بجواز تفضيل المفضول على - الفاضل للخلافة) .

- ٢٠ -

فالفرقان لا اختلاف بينهم في مسألة الخلافة باعتبار ما وقع في التاريخ اي في ان ثلاثة تقدّموا زمانا على علي بالخلافة وتولّوا امور المسلمين قبله ، و ايد الله الاسلام في زمانهم ببركة وحدة المسلمين و خلوص نيّتهم وقوة مجاهدتهم . وكذا لا اختلاف بينهم في كون علي اقرب الناس و اخصّهم بالرّسول و اجمع - الصحابة ، كائنا من كان منهم ، لجمع الفضائل بحيث لا يدانيه في جميع الفضائل الجمّة احد ، صحابياً كان او غيره ، من الامّة .

وان كان هنا اختلاف ، فيكون في ان الشيعة تعتقد الامامة لعلي ، و تعتقد انه يجب عليها و على كل مسلم كما صرّح الرّسول به ان يتمسكك بعده بالقرآن وبالعترة و علي راس العترة ، و ان تاخذ معالم دينها و احكام فقها عن علي ^٢ و بعد علي عن

١- قد اجاد في ما افاد خليل بن احمد النحوي صاحب العروض في ما حكى عنه و نسب اليه جواباً عن السؤال للدلالة على امامة علي بقوله : « افتقار الكل اليه في الكل و استغناؤه عن الكل في الكل ، دليل على انه امام الكل في الكل » .

٢- قال علي (ع) : « نحن شجرة النبوة ، و محط الرسالة ، و مختلف الملائكة و معادن العلم ، و ينابيع الحكم ، ناصرنا و محبنا ينتظر الرحمة ، و عدونا و مبغضنا ينتظر - السطوة » .

عن اولاده ، وذريته المعهودين ، سلالة سيد المرسلين ، الائمة المهديين الهادين ، وان
تسير بسيرتهم و بالجملة ان متمسك بهم في ما يروون عن جدتهم الرسول (ص) و يبيتون
عن علمهم الموروث ، كى لانضلّ و تكون على ماشاء و اراد جدتهم المبعوث (ص) ١ .
و ذلك الاختلاف الاعتقادى من حيث انه اعتقادى لا يوجب كفر احد الطرفين
و هدّر دمه و من حيث المتابعة فى العمل ايضا لا يوجب الهدر و القتل اذ ليس فيها
مخالفة اصل من اصول الدين و ركن من اركان الايمان و الا فليكن المذاهب الفقهيّة
المتخالفة مخالفاً للدين و منافيا للايمان هذا مع صرف النظر عن كون زعيم الشيعة
و امامها ، علىّ نشأ و نما فى بيت الرسول و فى حجره ، و منه بلا واسطة اخذ الدين
واعطى ما اخذه عن الرسول بأبنائه الطاهرين ، ابناء خاتم النبيين ، و علمهم ما تعلم
من علمه و حكمته (ص) و اينهم من زعماء المذاهب الاربعة و غيرهم الذين لم يدر كوا-
النبيى ولم يشاهدوه ولم يسمعوا منه ، على ان الحصر فى تلك المذاهب ان لم يكن احداث
امر ليس من الدين فى الدين اى ان لم يكن الحصر بدعة ، و كل بدعة ضلالة ، فلا اقل-
من ان يكون بلا دليل و بيّنة من الكتاب و السنّة .

- ٢١ -

الاختلافات الواقعة بين الناس ، باحاط الدين ، قد تكون فى اصله و قد تكون

فى ما فيه .

فان كان الاختلاف فى الاصل فقد يكون بانكار اصل وجود الدين و لزومه كما
عليه الوثنيّة ، بل الشنويّة ، و الماديّون و الدهريّون . وقد يكون بانكار دين لاحق مع

١- قال على ، ع ، (نهج البلاغة) : «فاين تذهبون و انى تؤفكون ا و الاعلام قائمة ،
و الايات واضحة ، و المنار منصوبة ، فاين يتاه بكم و كيف تعمهون و بينكم عترة نبيكم ،
وهم ازمة الحق ، و اعلام الدين ، و السنة الصديق ، فانزلوهم باحسن منازل القرآن...»
وقال (ع) فى موضع آخر : «الا ان مثل آل محمد ، صلى الله عليه وآله ، كمثل نجوم السماء
اذا حوى نجم طلع نجم ، فكانكم قد تكاملت فيكم الصناعات ، و اراكم ما كنتم تأملون»

مع تسليم دين سابق كما عليه اليهود بالنسبة الى المسيحية والاسلام وهما كلاهما (اي- اليهود والمسيحي) بالنسبة الى الاسلام .

وان كان الاختلاف في ما في الدين ، بان يكون الانكار بالنسبة الى امر من - الامور التي اتى به الدين فقد يكون ذلك الامر من الضروريات في الدين ، مثل انكار - الصلوة واضرابها من الفروع ، في دين الاسلام ، وقد لا يكون كذلك وهذا القسم قد يكون مما عليه نص في الكتاب او السنة القطعية ، كحكم القصاص وجوب النية في العبادات .

وقد يكون مما ليس فيه الا ظواهر من الكتاب والسنة لانوجب القطع واليقين بما هو مراد الشارع ، بل تحتل وجهاً آخر ايضا ، سواء كان عدم حصول اليقين مربوطاً بالكلمة او الجملة ، او احتمال وجود معارض ، او ناسخ ، او مخصص ، او مقيّد . او كان لاحتمال نقص في الاسناد او السند ايضا اذا كانت الظواهر من السنة . وقد لا يكون في مورد نص ولا ظاهراً لاستفادة الحكم منه (او يكون ولكن المجتهد يتقصر عن ادراكه ونيله) فيكون الحكم مستنداً الى اجماع معتبر ، او دليل من العقل المستقل (كما ترى الشيعة) او قياس ، او استحسان ، او مصلحة مرسله (كما ترى اهل السنة - على اختلاف اقوال فيها) .

و الحكم الشرعي في الانحاء المذكورة ، من حيث الكفر وعدمه ، مختلف : فان كان الانكار متوجتها الى اصل الدين او الى امر ضروري منه ، بل او كان متوجتها الى ما عليه النص ، ولا سيما اذا كان الانكار مع عناد ، فلا يوجد خلاف في الحكم بكفر المنكر . وان كان الانكار متوجتها الى ما يرجع الى الظواهر او الى ما لا نص له فيه من الشارع في الواقع (او في الاجتهاد مع الفحص الكامل) او الى حجية امر غير - الكتاب والسنة المعتمدة ، او عدم حجتيته فالحكم بكفر منكر حكم من هذا القبيل ، حكم زور وقول بلا دليل و ناش عن الغرور .

ولعله لا يبقى ريب في ان الاختلافات التي لا يتعلق باصل الدين ولا بفروعه بل يكون متعلقاً بالموضوعات الخارجية عن متن الدين ، اصلاً و فرعاً ، كانكار

فضل بعض اوثبات نقص له او ايراد طعن عليه ، من الصحابة كان او من غيرهم ، لا يوجب الخروج عن الدين ولا يجوز الحكم على المنكر بالكفر ولا يستحق المنكر ، القدح والتقويين ، اللهم الا ان يخرج الكلام مخرج الغيبة او البهتان والافتراء وكان ثابتا في الدين عدم جوازه و حرمة فيحكم بحكمه ولا يتعداه .

وكيف كان ، الشبهة في المصداق في هذه الموارد ايضا امر بحاله باق ، فلا معنى للحكم بالكفر والقتل والاحراق . اللهم اهدنا سبيل الرشاد واجعل التقوى ، في القول والعمل ، لناخير الزاد ، وصل وسلم على رسولك وعلى آله الامجاد .

- ٢٢ -

لعل الناظر في هذه الاوراق ، وهو توجه الى ما يكون بين الشيعة وبين اهل السنة ، في الحقيقة والعقيدة ، من الاتفاق ثم يشاهد ما بينهما من حيث التوادد والتحابب والمعاشرة والمخالطة من الاختلاف والافتراق ، تعجب من ذلك ، واحب ان يعرف الباعث لذلك فليرجع الى تاريخ الاسلام وليتدبر الى ما يلخص منه له في هذا المقام : كان المسلمون بعد استقرار الخلافة ، حتى في زمان عثمان ، وكلمتهم واحدة و همتهم متفقة متحدة ، لا تشعب فيهم ولا تحزب لهم ، واما الخلاف الذي حدث في آخر زمانه ، لم يكن بالحقيقة اختلافا كان منشاؤه وجود فرقة خاصة تجاه فرقة اخرى فما كان التفرق والاختلاف فيه بمعني المصطلح والمنظور ، الذي ينبعث من كون اتباع شخص او اشياء مسلكت و مرام قبال مخالفه في مذهبه و مرامه ، بل كان منشاؤه ان المسلمين ، او بعضهم صاروا ناقلين على الخليفة ، طاعنين عليه وعلى عماله من بني امية ، المتجاهرين ، على ما قالوا ، بالفسق والفساد ، المتظاهرين بالجور والعداوة وكانوا ملتزمين من الخليفة ، الصلاح والاصلاح ، سائلين منه النجاح والانجاح ، وهو يتسامح في فعله حتى انجر الى ما انجر اليه ، من قتله .

كان هناك وميض نار تحت الرماد وذلك ان ما كانت بين بنى امية وبين بنى هاشم طوال سنين ، من العصبية والمنافرة و العناد ، صارت خفيفة ضعيفة بظهور الاسلام وغلبيته ، ودخول اكابر سلاله امية و شيوخهم طوعاً وكرهاً فى الاسلام ، وقبولهم رغبة اورهية ما كان من طلبته ، بل صارت فى الظاهر دارسة معدومة ، وتبدل عنوان «القوميه» والتفاخر بها بعنوان «الاسلام» و«المسلم» و«المؤمن» ، اولاً ، وبعنوان «المهاجر» و«الانصار» ، ثانياً ، متداولة معموله .

كان الامر على ذلك ، حتى انتخب عثمان بن عفان بن ابي العاص بن امية للخلافة ، و صارت الخلافة لبنى امية وكان عثمان (رض) يحب بنى امية ، فقرّبهم اليه ، و قدّمهم لديه ، و حمل بنى امية و بنى ابي معيظ^١ (كما تفرّس عمر) على رقاب الناس^٢ ، و آثرهم بالاقياء والاحماس فاحاطه القوم عليه من كل جانب ، ولازموه لزوم عضو لازب ، فكان (رض) لشدة حبه لهم وقوته ، و لضعفه الناشئ عن واهنة شيخوخته ، طوع رغبتهم ، و تحت سلطنتهم ، بل و فى قبضتهم .

قال على (على ما نقله الطبري وغيره ، وسيجىء فى الكتاب) فى ما قال له : «أَمَا رَضِيْتَ مِنْ مِرْوَانَ وَلَا رَضِيَ مِنْكَ إِلَّا بِتَحْرِيفِكَ عَنْ دِينِكَ وَعَنْ عَقْلِكَ ! مِثْلَ جَمَلِ الضَّعِينَةِ يُقَادُ حَيْثُ يُسَارِبُهُ ...»

فركبت بنو امية رقاب الجمهور ، و سلطوا من كل ناحية على الامور ، و حينئذ نبّض فيهم عرق الحمية الجاهلية ، و جهضتهم العصبية الاموية ، و برزت ما كانت

١- ابو معيظ (على زنة رجيل) ابن ابي عمرو بن امية ، من زوجته التى كانت زوجة ابيه ، كما قال ابو الفرج الاصفهاني الاسوي فى كتابه «الاعانى» و حكىناه عنه فى الكتاب كما سيجىء .

٢- نقلنا قول عمر (رض) فى تفرسه فى الصفحة ال ١٧٧ من الكتاب كما سترى ، عن ابن ابي الحديد و فى الصفحة ال ١٨٤ منه ، حكاية عن كتاب «الاسالى» لثعلب مع تفاوت بين المنقولين ، و تفاوتهما فى المفاد و المراد .

كامنة في نفوسهم، من الحقد والحسد والبغضاء على بنى هاشم، ومن الكبر والخيلاء على غيرهم، وظهرت آثار القومية المدروسة في احوالهم و اقوالهم و اعمالهم المنحوسة، فنظروا الى الخلافة المقدسة نظرهم الى السلطنة المدنسة، وزعموا انها لهم بالاستحقاق، و انهم لها بالاستعداد، و عزموا ان يتلقفوها، على ما اقترح و اوصاهم شيخهم و كبيرهم (ابوسفیان) كما تتلقف الكرة، و صمدوا الى ان يحفظوها لهم و فيهم بالمداولة، و تدوا ارجلهم لأن يكونوا كما امر ايضا شيخهم و جعل عليهم الفرض بقوله: « فاجعل بنى امية اوتاد الارض ». اوتاد الارض .

قتل عثمان لفساد حاشيته من قومه، ولا سيما ما كان من مروان ابن عمه، الذي قال علي (ع) في حقه: « اِنَّهُ سَتَلَقَى الْاُمَّةُ مِنْهُ وَ مِنْ وَلَدِهِ يَوْمَ اَحْمَرَ » و « انثال الناس على علي من كل جانب » و « اقبلوا اليه اقبال العوذ المطافيل على اولادها، يقولون: النبيعة... » و « تداكوا عليه تذاك الابل- النهيم الى حياضها يوم ورودها حتى انقطعت النعل و سقط الرداء... » و «... و طيب الحسنان و شق عطفاه... » على ما عبر علي (ع)، نفسه (نهج البلاغة)، و «... انكفوا قيسل ابن ابي طالب انكفاء الجراد، ابصر المرعى » كما عبر مروان في كتابه الى معاوية يخبره بقتل عثمان .

وكان علي (ع) يمتنع و يابى، كما صرح بقوله: «... فَاَبَيْتُ عَلَيْكُمْ، وَ اَمْسَكْتُ بِيَدِي فَنَازَعْتُمُونِي وَ دَافَعْتُمُونِي، وَ بَسَطْتُمْ بِيَدِي فَكَفَفْتُمَا وَ مَدَدْتُمْ بِيَدِي فَجَبَبْتُمَا، وَ اَزْدَحَمْتُمْ عَلَيَّ حَتَّى ظَنَنْتُ اَنَّ بَعْضَكُمْ

١- قال ابو الفرج الاموي الاصفهاني في «الاعاني» سنداً (الجزء السادس): «لما ولي

عثمان، الخلافة دخل عليه ابوسفیان فقال: يا معشر بنى اسية ان الخلافة صارت في تيم و عدى حتى طمعت فيها و قد صارت اليكم فتلقفوها بينكم تلقف الكرة فوالله ما من جنة ولا نار... » و قال ايضا فيه سنداً: « دخل ابوسفیان على عثمان بعد ان كف بصره فقال: هل لنا من عين؟ فقال له عثمان، لا. قال ابوسفیان ان الاسر، اسر عالمية والملك ملك جاهلية فاجعل اوتاد الارض بنى امية » هذا كلام مؤرخ اسوي لا يتصور ان يقول ما يعود و هذه اليه.

قاتلُ بعضٍ ، أو انكم قاتلي ... فبوع عليّ بالاكراه ، ورضي الناس و فرحوا
 «... وَ بَلَغَ مِنْ سُرُورِهِمْ بَيِّنَاتِهِمْ أَيَّاهُ أَنْ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ ، وَ هَدَجَ
 الْبَيْتَ الْكَبِيرَ ، وَ تَحَامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِيلُ ، وَ حَسَرَتْ عَلَيْهَا الْكِعَابُ »
 (نهج البلاغة)

حينئذ تيقّضت الفتنة ، و تجهّزت للنهضة ، فتطابرت الكتب ، و تتابعت الرّسل
 فكتب مروان الى معاوية يحرضها على المخالفة و يمنيها الخلافة . و كتب معاوية اليه
 والى غيره من اجلاف بنى امية و اجلادهم ، و الى كل من يرجو خلافه على عليّ (ع)
 من اكابر الصحابة ، بالوعد والوعيد ، والتصريح والتعريض ، والتهيج والتحرّض ،
 حتّى كتب الى الزبير بانّه اخذ له البيعة من اهل الشّام .

- ٢٤ -

من الماثور قديما ان « الانسان مأخوذ من النسيان » و لعلّ الفحص و الاعتبار
 يوافقه ، اذا لانسان ينسى او يتناسى كثيرا ممّا يرتبط به ، سيّما اذا كانت امورا مذمومة
 لا يراها التلائق بشانها التلاحق ، و لا مناسبا لما يرجوه و يتمتّاه من غرضه السّامى
 و هدفه الفائق .

فلا تعجب اذا ترى ان معاوية نسي او تناسى ان اباه ابوسفيان هو الذى حادّ الله
 و عانده ، و نازع الرّسول و حاربه ، و ما آمن بالله الاّ بالاكراه ، و ما خضع للاسلام
 الاّ بالاجبار و الالجام ، وانّ امّه هند ، امّ الفساد و الافساد ، المعروفة بـ « آكلة الاكباد »
 و هو نفسه كما كتب عليّ (ع) الى زياد بن ابيه ، هو الشيطان :

«... فَأَحْذَرُهُ (يعنى معاوية) فأنما هو الشيطان يأتي المرأة من بين يديه
 و من خلفه و عن يمينه و عن شماله ليقتحم غفلته و يستلب غرته... »
 و كما كتب ايضا الى معاوية نفسه مرّة :

«... و انكك لذهاب في التيه ، روّاغ عن القصد... » و قال في شأنه مرّة

اخرى : « وَاللّٰهُ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدَهَىٰ مِئْسَىٰ ، وَلَكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَتَمَجَّرُ . . . وَكُلُّ غُدْرَةٍ فُجْرَةٌ وَكُلُّ فُجْرَةٍ كُفْرَةٌ . . . »

كان معاوية من « الطُّلَقَاءِ » و يُعْرَفُ بِذَلِكَ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ وَ يُقَالُ لَهُ ذَلِكَ فِي غِيَابِهِ وَحُضُورِهِ حَتَّىٰ فِي زَمَانِ سُلْطَتِهِ . كَتَبَ عَلِيٌّ (ع) إِلَيْهِ فِي مَا كَتَبَهُ جَوَابًا لَهُ :

« . . . وَامَّا قَوْلُكَ : « اَنَا بِنُو عَبْدِ مَنَاةٍ » فَكَذَلِكَ نَحْنُ ، وَ لَكِنْ لَيْسَ أُمِّيَّةٌ كَهَاشِمٍ وَ لِحَرْبِ كَعْبِ الْمَطْلَبِ وَ لَابُوسُقْيَانَ كَابِسِي طَالِبٍ وَ لَالْمُهَاجِرِ كَالطَّلِيْقِ وَ لَالتَّصْرِيْحِ كَاللِّصِيْقِ . . . » وَ فِي كِتَابِ آخَرَ فِي جَوَابِهِ اَيْضًا : « . . . وَ زَعَمْتَ اَنَّ اَفْضَلَ النَّاسِ فِي الْاِسْلَامِ فُلَانٌ وَ فُلَانٌ فَدَكَ كَثْرَتَا أَمْرًا اَنْ تَمَّ اعْتَرَلَكَ كَلْتَهُ ، وَ اِنْ نَقَمَصَ لَمْ يَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ .

وَ مَا اَنْتَ وَ الْفَاضِلُ وَ الْمَفْضُولُ ؟ . . . وَ مَا لِابْتِنَاءِ الطُّلَقَاءِ وَ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْمُهَاجِرِيْنَ الْاَوْلِيَيْنِ ؟ . . . »

قال ابو الفرج الاصفهاني الأُمويّ في كتابه « الاغانى » (الجزء الثالث - الصفحة

ال ١٨) بالاسناد :

« حجّ معاوية حجّتين في خلافته، وكانت له ثلاثون بغلة تحجّ عليها نساؤه و جواريه . فحجّ في احديهما فرأى شخصاً يصلّي في المسجد الحرام عليه ثوبان ابيضان فقال : مَنْ هَذَا ؟ قالوا : شعبة بن غريرض . فارسل يدعوه . فاتاه رسوله . فقال : اجب امير المؤمنين .

قال : اَوّ ليس قد مات امير المؤمنين ؟

قيل : فتأجيب معاوية . فاتاه . فلم يُسلم عليه بالخلافة . فقال له معاوية :

« ما فعلت ارضك التي بتيماء ؟

قال : يُكسّيٰ منها العارى ، و يُردّ فضلها على الجار .

قال : افتبيعها ؟

« قال : نَعَمْ . »

« قال : بكم ؟ »

قال : بستين الف دينار ، ولولا خَلَّةٌ اصابت الحى لم ابعها .

« قال : لقد اغليت . »

« قال : اما لو كانت لبعض اصحابك لاختذتها بستمائة الف دينار ! ثم لم تبال ! »

« قال : اجل ، واذ بخلت بارضك فأنشدنى شعر ابيك يرثى نفسه . »

فقال : قال ابى :

« يا لَيْتَ شِعْرِي حِينَ اُنْدَبُ هَالِكًا . . . » الخ .

« فقال : انا كنت بهذا الشعر اولى من ابيك . »

« قال : كذبت ، ولؤممت ! »

« قال : اما « كذبت » فنعم ! واما « لؤممت » فلم ؟ »

« قال : لانك كنت ميت الحق فى الجاهلية ، و ميتته فى الاسلام . اما فى -

الجاهلية فقانلت النسبى (ص) والوحى حتى جعل كيدك المردود ، و اما فى الاسلام

فمنعت ولد رسول الله (ص) الخلافة ، وما انت وهى وانت طليق بن طليق ؟ ... »

كذلك كان معاوية فى بيته و فى نسبه ، و باعتبار نفسه و حسبه ، و كان معانداً

كايه و امه رسول الاسلام و لمّا فتحت مكة عام ٨ و صار طليقاً دخل فى الاسلام قهراً .

وفى خلافة عمر (رض) صار بأمره اميراً على الشام ولكنه خالف فى امارته سيرة الخليفة ،

التي كانت تابعة لسيرة الرسول (ص) ، و اتبع سيرة من سبقه من البطارقة و تلقىها

بالقبول ، و اقتضى فى امارته الاسلامية سنة كيسرى و قيصر فى الحكومة و السلطنة ،

حتى قال عمر (رض) حين وروده بالشام وشهده دبدبته و ككبته و خدمه و حشمه :

« هذا كيسرى العرب ! » و عنقه على ذلك و عيّرته ، و لكنه ماغيّرته ، بل استحسن

بهذا القول عمله و قرره ^١ .

١- ولا تعجب من كلام مصحح «العواصم» حيث استصح كسروية معاوية بما قال :

اعتاد اهل الشام من ازمته قديمة. بهذا النحو من الامارة ، وكان اطلعهم عن الدين و احكامه ، و معرفتهم بالرسول و اقاربه و اقوامه ، و خبرهم عن سيرته و سيرة من آمن به ، محدوداً حسب ما تلقوا عن معاوية في ايامه ، و مقدراً بقدر ما اقتضت سياسته لبيانه و اعلامه . فلما قُتل عثمان و بويح علىّ و كان معاوية على يقين من انّ عليّاً لا يتحمّل الكسروية و القيصرية ، فلا يدعه و امارته الغاشمة العانية ، و لا يتقبل منه اعذاره الوانية الواهية ، فلا محالة يعزله عن حكومته ، المنحرفة عن سنن الاسلامية - السامية .

على انه يرى انّ عليّاً من بني هاشم و انّ ابنه ، ابنا رسول الله ، فان استقرت خلافته ، انتقلت منه الى ابنه ، و تبقى في بيت هاشم ، و في اهل البيت ما بقى الدهر ،

→

«وقد يظن من لا نظر له في حياة الشعوب و سياستها ان الحاكم يستطيع ان يكون كما يريد ان يكون ، حيشما يكون ، وهذا خطأ فليلبثه من التأثير في الحاكم ! و في نظام الحكم ! اكثر مما للحاكم و نظام الحكم من التأثير على البيئته ...» و ذلك لانه واضرايه ينظرون الى الاسلام نظر من لا يرى ان الحكومة المطلقة في جميع الشؤون و في كل المناطق والبيئات لا بد و ان تكون لله و لرسوله و للقرآن و للاسلام ، فلا حكومة الا حكومة الاسلام ، و لانظام الا نظامه . الاسلام يصوغ البيئته ، و يسوق الناس على وفق احكامه ، و لا معنى لتأثيرها في حكامه . ثم كان المصحح نسي اوتناسى ما قال للدفاع عن معاوية فقال في التعليق الطوال الذي علقه على كلام المصنف (وتكون ولاية الملك لابتهاء معاوية - ص ٢٠٧) : «والذين لا يعرفون سيرة معاوية ! يستغربون اذا قلت لهم : انه كان من الزاهدين ! و الصوفية - الصالحين !» ثم روى عن ابي حملة انه قال : «رايت معاوية على المنبر بدمشق يخطب - الناس و عليه ثوب سرقوع ! و اكد ذلك برواية اخرى عن يونس بن ميسر انه قال : «رايت معاوية في سوق دمشق وهو سرف و رائه و صيفا ! و عليه قميص سرقوع الجيب ! يسير في اسواق دمشق !» فانظر هذه الروايات و تأسف و قل : «ويحك يا مسكين ! يا كسرى - العرب» الدهر انزلك حتى اردفت و صيفك ! و لبست قميصاً سرقوع الجيب ! كأنك نسيت انك في الشام و في بيئته لا بد ان يحكم عليك نظامه القيصرى !»

ولا يبقى لبني أمية فيها مدّ ولا جزر . وهذا ما كانت تخاف منه قريش ، وكان احدى -
الجهات التي سعت في صرف الامر عن عليّ ، فشمّر عن ساعد الخلاف و الثوار
وجعل قتل الخليفة عثمان وسيلة للانتصار .

يظهر من التاريخ جلياً انّهم معاوية في اوّل امره و بادىء بدء خلافة ، كان
مقصوراً على الاخلال بخلافة عليّ و لم يكن له طمع في الخلافة ، لا لمعرفته سوابق
مكانه في الاسلام فقط ، و العلم بدنوّ مقامه و شأنه عند المسلمين فحسب ، بل لانه كان
يعرف ان امر الخلافة ، على ماسبق من الرويّة لا يتمّ الا بانتخاب الاصحاب من المهاجرين
و الانصار ولا ينفذ الا باتفاق اكابر اهل المدينة الاخيار ، و يعلم ما في ذلك من الابتعاد
و انّ دون البيعة له بالخلافة خرط القتاد فاين هو ، و هو عندهم هو ، من ذلك الاتفاق
والاتحاد ؟

بايع عليّاً المهاجرون و الانصار ، و من بقى حياً من البدرين الكبار ، فنال
ما استحقّه من الخلافة و فاز محبّوه و معتقدوه بما اعتقدوا له من الامامة و الولاية ،
و عليّ كان يومئذ على ما كان عليه في ماضى ، و رضى بما قدّر الله له و قضى ، فلم
يحدث خلافاً لمن سلف ، و لم ير حينئذ الا ما كان يريه بعد وفاة النبيّ و لاجله بايع و ائتمف
و هو كما قال :

« . . . انّ الصبر على ذلك افضل من تفريق كلمة المسلمين
و ستمكيت دمايهم . . . و الدين يفسده اذنى و هن و يعكسه اقل
خلق فولّى الامر قوماً لم يألوا في امرهم اجتهاداً . . . »

لم يظهر في مدّة خلافة عليّ مخالفة منه لمن كان قبله ، و لم يكن المسلمين -
التابعين له الا على ما كانوا عليه ، و ما عملوا الا مثله ، و لم يوجد هناك اختلاف
و تفرق ، الا ما حدثته مطامع معاوية و بني امية ، و اورثته مكايدهم باسم عثمان الخليفة ،
اذ جعلوا ذلك ذريعة للضربة على عليّ (ع) و نقض امره ، و كسر شوكته و شأنه ،

و تفریق الجماعة عن حواره ، و التوسّل بذلك الى عزله بل و قتله .

رسم معاوية لنيل ذلك الغرض الفاسد ، والوصول الى ذلك الهدف و المقصد ، بعد «التحريض» الذي ، كما عبّر هو نفسه في كتاب كتبه الى عبدالله بن عامر ، اُحْدُثُ السِّلَاحَ : «... واجعل اكبر عدوتك ، الحذر و احدث سلاحك ، التحريض . . . » ان يُهيئاً اسباباً يضطرّ بها عليّ على الخروج عن مدينة الرسول ، مركز الخلافة ، فكتب الى يعلى بن مُنِيَّة في ما كتب صبيحة ورود كتاب مروان اليه ، يخبره بقتل عثمان : «... وقد كتبتُ الى طلحة بن عبيدالله ان يلقاك بمكة حتى يجتمع رايكما على اظهار الدعوة . . . »

و كتب في ما كتب الى الزبير ، بعد عنوان الكتاب «لعبدالله الزبير ، امير المؤمنين !» «... فانتى قد بايعتُ لك اهل الشام ! فاجابوا ! ... فدونك الكوفة والبصرة لا يسبقك اليهما ابن ابي طالب . . . و قد بايعتُ لطلحة بن عبيدالله من بعدك . . . »

- ٢٧ -

فاز معاوية ببغيته ، و صار الى اُمنيته ، واضطرّ عليّ (ع) بما مهدّه معاوية ، و اعدّه له ، بالخروج عن المدينة ، و انجرّ الامر الى حرب الجمل فاشتدّ الاختلاف و التفريق ، و حصل التحزّب و التشعّب باسم عثمان و بعنوان «شيعة» و تميّز هذا العنوان من تابعي عليّ و شيعة ، لكنّه لا عليّ ولا شيعة و تابعوه ، لم يُظهر و اخلافا للخلفاء السابقين ، ولم يتكلّموا بما يتوهم منه اختلاف مع المسلمين الاولين ، ولم يعملوا عملاً يقطعهم عن المتقدمين (وان كان في شيعة عليّ من يعتقد بكون عليّ احقّ بالخلافة وان غيره استبدّ بحقه) .

استفاد معاوية لتشديد الاختلاف ، و الاخلال بامر عليّ من اية وسيلة يرشدها الى التوسّل بها نكراؤه و دهاؤه ، فامر بالقاء قميص عثمان على المنبر في مسجد الشام و باجتماع النوائح عليه بالضجّة و العويل و البكاء ، للتشجيع و التحريض لاهل الشام ، فلما تمّ كيده ، و تهيئاً اهل الشام لاختذ الثار ، خرج الى صفين و قابل عليّاً و قاتل ،

وصار سببا لقتل عمّار بن ياسر ، وقتل سبعين الف او ازيد من المسلمين ، ولما احسّ باقتراب غلبة الحقّ وظهوره على الباطل ، اوحى شيطانه اليه بمكيدةٍ اخرى ، و التقى في رُوعه ان يأمر برفع المصاحف على الرّماح و القنى . فوصل الى ما احبّ ، و ادرك ما اراد ، من وقوع الاختلاف في جند عليّ و التشتت لكلمتهم ، و التفرّق من جماعتهم و الخلل في اطاعتهم (و قد كان من قبل ذلك خادع بعض المنافقين و المستضعفين من رؤساء جند عليّ و اطعمهم ببذل المال و وعد الجاه) .

و لم يطل الزّمان بعد ذلك حتّى قُتل عليّ^١ و بويع الحسن ، ابنه ، فرأى معاوية أنّه لا يمكن له ان يتّهم الحسن بقتل عثمان ، كما صنع بالنّسبة الى ابيه ، و لا ان يطالب عنه قتلة عثمان ، التّذين لعنّه لم يكن احد من المتّهمين به في قيد الحياة ، فلا بدّ و ان يدخل من باب آخر للفوز بما يتمناه ، فتوسّل بمكائد سُوائى و تعمّل دسائس أُخرى حتّى اضطرّ الحسن الى القاء حبل الخلافة على غاربيها ، و قبول الصّالح من غاصبيها .

- ٢٨ -

و حينئذ ، آل الامر الى ما آل ، و نال معاوية بما لم يكدر يتصوّر ان يتّال ، و اتّسم لقب خال المؤمنين ، و اغتصب عنوان خليفة المسلمين ، فعليه ان يسعى لتشييد مباني سلطنته ، و يجتهد في تحكيم قواعد حكومته ، باسم الاسلام ، و تحت عنوان خلافته ، فما ذا عليه ان يفعل ؟

١- و يعجبني ان اورد هنا ما افاد ، و اجاد في ما افاد المسيحي اللبناني ، جبران خليل

في حق علي حيث قال :

« مات علي بن ابي طالب شهيد عظمته ، مات والصلوة بين شفّتيه ، مات وفي قلبه - الوثوق الى ربه و لم يعرف العرب حقيقة مقامه و مقداره حتى قام من جيرانهم الفرس ، اناس يدركون الفارق بين الجواهر و الحصى ، مات شان جميع الانبياء الباصرين - الذين يأتون الى بلد ليس ببلدهم و الى قوم ليس بقومهم و في زمن ليس بزمنهم ، و لكن لربك شاننا في ذلك و هو اعلم . »

اول امرٍ يهتمه هو ان لا يُبقيَ ولا يندَرَ احدًا ممن كان مخالفه و لا يهواه ،
او كان محبًا لعلی و يهواه .

اما الفرقة الأولى فامرها سهلٌ هَيِّنٌ ، اذ الناس عبید الدرهم و الدینار
و يُستعبدون بالعطيّة و الاحسان «فَطالَمَا اسْتَعْبَدَ الْإِنْسَانَ إِحْسَانٌ» و بيت مال-
المسلمين تحت قبضته ، يتصرف فيه كيف يشاء و على ما يشاء من جانبٍ ، و البلادُ-
الواسعة الاسلاميّة تحت قدرته ، و طَوْعٌ رغبته ، يُعْمَلُ فيها من يشاء ، و يستعمله

١- قال الطبري في تاريخه (الجزء الرابع - الصفحة ال ١٨٠-).

«... وقد الاحنف بن قيس ، و جارية بن قدامة بن بنى ربيعة بن كعب بن سعد ،
و العجون بن قتادة العشمي ، و الحنات بن يزيد ابوسنازل ... الى معاوية بن ابي سفيان
فاعطى كل رجل منهم مائة الف ! واعطى الحنات سبعين الفاً :

«فلما كانوا في الطريق ، سأل بعضهم بعضا فاخبروه بجوائزهم ، فكان الحنات اخذ
سبعين الفاً فرجع الى معاوية.

فقال ما ردك يا اباسنازل ؟

قال : فضحتني في بنى تميم ، اما حسبي بصحيح ؟ او لست ذاسن ؟ او لست سطاغاً
في عشيرتي ؟

فقال معاوية : بلى .

قال : فما بالك خسست بي دون القوم ؟

فقال : اني اشتريت من القوم دينهم ! و وكلتك الى دينك و رايتك في عثمان بن
عفان ، و كان عثمانياً .

فقال : و انا فاشتر ديني ! فامر له بتمام جائزة القوم ! ...»

و في «الاستيعاب» لابن عبد البر بالاسناد عن حسن البصري (كما في كتاب النصائح-
الكافية...» انه قال: «كتب زياد بن ابيه الى حكم بن عمرو الغفاري ، عامله بخراسان:
ان امير المؤمنين كتب الى ان الذهب و الفضة من الغنائم ، له خاصة و ليس لغيره
فيهما حق ، فلا تقسمها بين المسلمين...» و نقل صاحب كتاب «النصائح» ، عن ابن حجر
بأسناد رجاله ثقات : ان معاوية قال في خطبة يوم الجمعة :

« انما المال مالنا و الفيء فيثنا فمن شئنا اعطيناه ! و من شئنا منعناه ! ... »

كيف يشاء من جانب آخر وهو يعلم بدّهائه، وبعمل لبقائه، فيصير المخالف موافقاً، وان لم يكن في الواقع إلا منافقاً .

وامّا الفرقة الثانية وهم اصحاب عليّ (ع) العارفون بشأنه، المحبّون له لعلو مقامه، ورفعة مكانه، وكثرة فضائله، الذين آمنوا بكلام النبي (ص): «عليّ مع الحقّ والحقّ معه يُدورُ أينما دار» .

وسمعوا منه (ص)، او ممن سمع منه (ص)، ما قال في شأن عليّ كقوله: «مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فِي مَحَبَّاهُ وَوَمَاتَ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ الْأَمْنَ وَالْإِمَانَ»^١.

وكقوله: «لَا يُحِبُّ عَلِيًّا مُنَافِقٌ وَلَا يُبْغِضُهُ مُؤْمِنٌ»

وقوله: «عَلِيٌّ مِنِّْي كَنَفْسِي، طَاعَتُهُ طَاعَتِي وَمَعْصِيَتُهُ مَعْصِيَتِي» الى غير ذلك مما ورد عن الرسول (ص) في حقّه (وستمرّ عليك نبذة منها في الكتاب منقولة عن الكتب المعبرة لاهل السنّة، مسندة).

فالداء في هذه الفرقة على اعضاء، والامر معهم مشكل غاية الاشكال، لانهم لا يبيعون الدين بالدنيا، ولا يشرون انفسهم المظتمنة بالايمان، وقلوبهم الممتلئة من حبّ يورث الامن و الأمان، بتلك الايمان وتلك الدرجات السفلى.

شرح معاوية بتصفيه مملكته ممن خالفه، فاشترى من الفرقة الاولى! بالمال والعمل (الامارة والرئاسة) انفسهم واستراحت نفسه بهذه السيامة. و امّا الفرقة الثانية، وهم محبّوا عليّ، ومُفِئِدُوهُ بانفسهم، ومبغضوا معاوية و سلطنته الباغية العاتية، فعزم على ان يُفْنِيَهُمْ وَيَسْتَأْصِلَهُمْ، فصمد للمخالف من هذه الفرقة نحو عنوان «شيعه عليّ» واستغله لمقصوده، فامر عمّاله في جميع البلاد ان يُضْبِتُوا عليّ من يتسم، او يتهم، بالتشيع، و يعذبوهم بالحبس، والزجر، والقتل، ويمتنحونهم بالبرائة عن عليّ (ع) وعن حبه و يحملوهم على لعنه و سبه! او الويل ثم الويل لمن استنكف و ابى، واستعاذ بربه و وفى!

١- وفي المحكي عن كتاب فضائل عليّ للامام احمد بن حنبل «... ان السعيد

كل السعيد، حق السعيد، من احب علياً في حياته و بعد موته»

فصار عنوان «الشيعة» كالعناوين التي يتخذها السياسة، في هذا العصر، وسيلةً لان يكسبوا بها من يخالفهم في السياسة، و يعارض سلطتهم و قدرتهم و شوكتهم بالمنافسة، و عنواناً لان يقهروه و يدمروه بل و يستأصلوه .

استقصاء شيعة عليّ و استأصالهم وان كان مهمّاً عند معاوية، شاغلاً باله، ولكنه لدّهائه، و الابتداع في اهوائه و كياسته لحفظ مقامه و رئاسته لم يكن غافلاً عن مهمّ آخر في سياسته .

قال عليّ في ما كتب اليه : « فَسُبُّحَانَ اللَّهِ مَا أَشَدَّ لُزُومَكَ لِلْأَهْوَاءِ - الْمُبْتَدَعَةِ وَالْمُحِيرَةِ الْمُتَبِعَةِ ، مَعَ تَضْيِيعِ الْحَقَائِقِ وَاطِّرَاحِ الْوَثَائِقِ الَّتِي هِيَ لِلَّهِ طَلِبَةٌ وَعَلَى عِبَادِهِ حُجَّةٌ ... » فشدّة لزومه للاهواء، حمله على الابتداع لتضليل الخلاق، و تضييع الحقائق، بوضع الاحاديث و جعل الاكاذيب، وحتّى بتحريف اسباب نزول الآيات، و تبديل الروايات، و نقل الأراجيف في حقّ عليّ، كى يلتبس الامر على الغيبيّ، و لا سيّما على اهل الشّام، مركز سلطنته و عاصمة حكومته على اهل الاسلام، و تشبه الحقيقة على الامّة في ما صدر في شأن عليّ عن نبيّ الرّحمة، حتّى ينسى الكبير فضائله، و يكبر الصّغير على ما وضعه و افتعله .

وقعت المخاويف و كثرت الاراجيف في زمن معاوية، و عُدّبت نفوس زكية و قُتلت أُخريّ ابيّة، بامرّه و بيد عمّاله و امرائه، باسم « شيعة عليّ » كعمرو بن حمّيق و حُجْر بن عدى الصّحابي . « فصارت هذه السياسة الآثمة الغاشمة، و هذه - المعاملة الجائرة الجابرة، على خلاف شيعة عليّ و تابعيه، باضطهادهم، و ايدائهم، و حبسهم، و قتلهم، علة للفرقة و سبباً لان يُنظر اليهم، وهم في الاسلام من الاقطاب، و فيهم بقيّة من الأصحاب، كانتهم، و العياذ بالله، ليسوا من المسلمين، او ما هم الا فرقة خارجة من الدين ! وهذا ما اشار عليّ (ع) اليه لقوله: « وَإِنَّ أَخْوَفَ الْفِتَنِ عَلَيْكُمْ عِنْدِي فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ . . . »

وقال بعده :

«... وَآيَمُ اللَّهِ لَتَجِدَنَّ بَنِي أُمِيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي كَالنَّابِ-
الضَّرْوِيِّينَ تَعْدِمُ بَيْنِيهَا وَتَخْبِطُ بِيَدِهَا وَتَزْبُنُ بِرِجْلِهَا ، وَتَمْنَعُ دَرَّهَا ،
لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لَا يَبْتَرُ كُنُوفُكُمْ إِلَّا نَافِعاً لَهُمْ أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ ،
تَرِدُ عَلَيْكُمْ فَيَنْتَنَّهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةٍ^١ ، وَقِطْعاً جَاهِلِيَّةً لَيْسَ فِيهَا مَنَارٌ
هُدًى وَلَا عَلَمٌ يُرَى... » (نهج البلاغة) .

كان معاوية راس الفتنة وركنها و أم الفساد و قطبها ، فمن كان بعده من بني أمية
اقتدى به في الفتنة والفساد ، و بنى امر الحكومة والسياسة على اساس اسسها مقدمهم
(معاوية) في التضييق على محبى على و شيعة الامجاد ، و ابعادهم عن امور الحكومة
تأسيأ به في البغى و العناد . فصارت الشيعة حيثما تمكنت و بحسب ما امكنت ، تتكلم
في المعروف والمنكر ، و تذكر كيف صار الامر فيها من حيث الامر والنهى مخالفاً
لما امر به الشرع ، معكوساً لما بيته الدين و قرر ، و تدافع عن حقها و كيانها ، و تمنع
عن معتقدها في محبوبها و امامها ، و تناسى به في ما اعتقده و اظهره ، و تنادى له من
حقه بما بيته و اخبره ، كقوله : « ان الائمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم
لا تصلح على سواهم ولا تصلح الولاية من غيرهم » .

و كقوله : «... و انما طلبت حقا لى... »

و كقوله : «... و اجتمعوا على منازعتى امراً هولياً... »

و كقوله : « ما زلت مظلوما منذ قبض الله رسوله حتى يوم الناس هذا »

و كقوله : « ما زلت مستائراً على ، مدفوعاً عما استحقه و استوجبه »

اورد الطبري في تاريخه (الجزء الثالث - الصفحة ال ٤٧٦) بالاسناد ، قضية

منزل ذى قار في طريق البصرة وخطبة على و مكالمته مع ابنه الحسن (ع) الى ان قال (ع) :

١- الناب : الناقة المسنة . الضروس : السيئة الخلق ، تعض حالبها . تعذب (بالعين-

المهملة و الذال المعجمة) من عذب الفرس اذا اكل بجفاء او عض . تزين (بالزاء المعجم)

تضرب . شوهاء : قبيح المنظر . مخشية (بالخاء المعجمة) : مخوفة ، مرعبة .

«انّ النَّبِيَّ (ص) قُبِيضَ وما آرى اَحَدًا اَحَقَّ بهذا الامرِ مِنِّي ، فبايعَ -
النَّاسُ ابا بكرٍ فبايَعْتُ كما بايَعُوا !
ثمَّ انَّ ابا بكرٍ مَلَكَكَ و ما ارى اَحَدًا اَحَقَّ بهذا الامرِ مِنِّي فبايعَ النَّاسُ
عمرَ بن الخطَّابِ فبايَعْتُ كما بايَعُوا .

«ثمَّ انَّ عمرَ هَلَكَكَ و ما آرى اَحَدًا اَحَقَّ بهذا الامرِ مِنِّي فَجَعَلَنِي
سَهْمًا من سِتَّةِ اسْمُهُمْ ، فبايعَ النَّاسُ عثمانَ فبايَعْتُ كما بايَعُوا !
«ثمَّ سارَ النَّاسُ الى عثمانَ فَقَتَلُوهُ ثُمَّ اتَّوَنِي فبايَعُونِي طائِعِينَ غَيْرَ
مُكْرَهِينَ . . . » و اشباه هذه الكلمات التي ستمرّ على الناظر في الكتاب ان شاء الله .
خلاصة الكلام كان الامر على ما كان عليه المسلمون بلا اختلاف عملي بينهم
حتى اغتصب معاوية امور المسلمين ، وانتصب نفسه للخلافة و امارة المؤمنين ، وتسلط
عليهم باسم الخلافة و خضعوا له خوفاً و طمعاً ، واجتمعوا حوله رغبة و رهبة ، وقامت
راية ضلال على قطبها ، فكالتهم لصاعها و خبطتهم بباعها ، و ظهر ما قاله عليّ (ع)
في حق معاوية و اخلافه من بني امية حيث قال (ع) :

« . . . رايَةُ ضَلالٍ قَدَّ قَامَتْ على قُطْبِها و تَفَرَّقَتْ بِشَعْبِها ، تَكْيَلُكُمْ
بِصاعِها ، و تَخْبِطُكُمْ بِباعِها قائِدُها خارجٌ مِنَ النِّمْلَةِ ، قائمٌ على الضِّلَّةِ فلا يَبْقَى
يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ الا نُفْالَةٌ كَنُفْالَةِ القَيْدِ او نُفَاضَةٌ كَنُفَاضَةِ العِجَمِ ،
تَعْرِ كُكُمْ عِرْكَ الاِديَمِ ، و تَدُوْكُمْ دَوَسَ الحَصِيْدِ ، و تَسْتَخْلِصُ الْمُؤْمِنَ
من بَيْنِكُمْ اسْتِخْلاصَ الطَّيْرِ ، الحَبَّةَ البَطِيْنَةَ من بَيْنِ هَزِيْلِ الحَبِّ . . . »
فاصبحت الشيعة فرقة مخالفة ، لا لمن سبق من الخلفاء بل لمن اسما نفسه
خليفة ، و ادعى ان افعاله على ما رضى الله و رسوله (ص) و على سيرة السلف من-

١- تكيلكم : تاخذكم للهلاك جملة كالكيال يأخذ من الحب . تخبطكم بباعها : من
خبط الشجرة اى ضربها ليتناثر ورقها . و التعبير بالباع لافادة استطالتها عليهم و تناولها
لقريب منهم و البعيد . النفاضة : ما يسقط بالنفض . العجم : كالعدل ، بالكسر ، لفظا ومعنى
وايضا نمط تجعل المرأة فيه ذخيرتها . العرك : الدلك الشديد والحكة الى ان يعفى . الاديم :
الجلد . البطينة : السمينة .

من الراشدين ، واضطرت من خوف معاوية وجور عماله الى التقيية والاختفاء ، وكانت على كل حال ، وفي كل امر من امور الدين ، اصوله وفروعه متبعة بعد علي ، اهل البيت وعترة النبى ، مقتدية بهدى ابناء الرسول وذرية علي ، الذين قرنهم الرسول (ص) بالكتاب ، وتركهما لحفظ الامة عن الضلال بالارتياح ، واعتقدت الشيعة طهارتهم وعصمتهم ، وعرفت علمهم وحكمتهم .

- ٣١ -

والقول الجملى انه لا اختلاف بين الشيعة وبين سائر المذاهب الاسلامية (اللهم الا مذهب من يتبع بنى امية و يصدق احاديثهم الموضوعة) فى الاصول : من التوحيد والنبوة والمعاد . ولا اختلاف بينهم فى ان ماجاء به الرسول (ص) حق لا ريب فيه و كلهم يؤمنون بصدقه ويعتقدون وجوب العمل على وفقه . ولا اختلاف بينهم فى تحقق الخلافة خارجاً على ما ضبطه التاريخ ومضى ، و فى عدم ثمره على الاختلاف لمستقبل الاسلام فى ماضى وانقضى (الاضعف الاسلام وذل المسلمين) . ولا اختلاف بينهم فى ان الامام علياً ابن عم الرسول و صهره ، و ابو ذريته وآله ، و انه بمنزلة نفسه ، و انه كان اول ذكر (او رجل) آمن و صلتى ، و كان وصيه و خليفته كهرون من موسى ، و انه (ع) كان جامعاً لجميع ماتفرق من المكارم والفضائل فى سائر الاصحاب من السخاء والوفاء والزهد والعلم والشجاعة والقراية و اشباهها و انه فرد لا يدانيه فرد و ماجد لا يساجله احد فى ان يملأ الدلو الى العقد .

١- قال الشاعر الشيعى ، انكيت فى مقال من بائيته :

« الم ترنى من حب آل محمد
 « كانى جان محدث و كانى
 بهم اتقى من خشية العار اجر ب
 اعنف فى تقريرهم و اؤاب »
 و فى مقال فى لايته :

« فتلك ولاة السوء قد طال ملكهم
 فحتى م ؟ حتى م الغناء المطول ؟
 « رضوا بفعال السوء فى اهل دينهم
 فقد ايتموا طوراً ، عدا ، و انكلوا »

ايها الاخوان، الاسلام دين الوحدة و الاتحاد، دين الالفه والوداد، دين القوة، دين العظمة والشوكة، دين العزة والرّفة، لادين التّعصب والتفرّق. حسبُ الاسلام و كفاه هذه الاختلافات والمشاحنات، الاترون ما صنع الاختلافات؟ اما تشاهدون ان الاختلاف قسم الاسلام وصيره بقاءاً و رُقعاً ولكل رقعته حكومة، ولكل حكومة طريق خاص لادارة رقعته، و نظام حكومته، و نظم مملكته و بلدته : من الديموقراطية والملكيّة والجمهورية... وعلى كل يجري عليها حكم الدول الجانية المستعمرة! اين الاسلام الذي كان في صدر الاسلام و اين ما عليه المسلمون و يدعونه في هذا الزّمان؟ اين تلك العظمة والعزة للمسلمين؟ و اين هذه الحقارة والذلّة للمدعين؟ انالله وانا اليه راجعون .

تذكرتُ هنا كلاماً من عمر اذكره هنا عسى ان يكون له اثر .

قال الطّبري في تاريخه (الجزء الثالث - الصفحة ال ٢٨١ -) بالاسناد عن

ابن عباس .

« ان عمر قال لناس من قریش : بلغني انكم تتخذون مجالس، لا يجلس اثنان معاً حتى يقال : من صحابة فلان، من جلساء فلان، حتى تحوميت المجالس (اي حدثت العصبية و حصلت الحمية و الحماية) .

« و ايسم الله ان هذا لسريع في دينكم، لسريع في شرفكم، لسريع في

ذات بينكم .

« ولكأنتي بمن ياتي بعدكم يقول : هذا راى فلان. قد قسموا الاسلام اقساماً .

افيضوا مجالسكم بينكم و تجالسوا معاً فانه ادوم لالفتكم، و اتهيّب لكم في الناس»

فياخواني « اِعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً، وَ لَا تَفَرَّقُوا » و كونوا بالحقيقة

اخوة « و اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ » وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا مِنْ بَعْدِ

مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتِ وَ « اَقِيمُوا الدِّينَ وَ لَا تَفَرَّقُوا فِيهِ »

يا اخوان الاسلام تهيأوا للاقدام، فقوموا من رقدتكم، و هبتوا من هجدتكم،

فقد طالبت الهيجرة والصبح سافر ، وامتدت الهجدة واليوم زائل نافر .

افيقوا ، واضربوا العصبية المفرقة على الجدار . افيقوا وكونوا رُحَماء بَيْنَكُمْ
اشِدَاءَ عَلَيَّ الْكُفَّار . افيقوا وَلَا تَرَكْنُوا الَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمْ -
النَّارُ وَتَصِيرَ عَاقِبَتِكُمْ إِلَى دَارِ الْبُورِ .

افيقوا و ذروا تلك الاسماء التي سميتموها ، والالقب التي نابزتموها : من-
الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية ، والتسنن والتشييع ، والاشعرية والاعتزال ،
والتي ما انزل الله بها من سلطان ، ولا اعلمه الله في القرآن ، والتي منها نشأ التقسيم
في الدين ، واليهما يؤل ضعف الاسلام وذل المسلمين .

اخواني ايها الاعزة الكرام ، والامجد العظام ، اسمعوا ممن يحبكم في الاسلام
ذروا التشعب والافتراق وخذوا ما انعم الله عليكم و اراد منكم ، من الالفه والاخوة
والاتحاد ، في ظل الايمان والتمسك بالقرآن ، فان فيه « دواء دوائكم ونظم
ما بينكم » وانه هو « الهادي الذي لا يضل » و « ... انه ليس على احد بعدد -
القرآن من فاقته ولا لاحد قبل القرآن من غني ، فاستشفوه من
آدوائكم ، فان فيه الشفاء من اكبر الداء ، وهو الكفر والنفاق ، والغنى
والضلال » وانه يعصمكم من التشعب والاختلاف ، وكونوا ، بالحقيقة ، مسلمين
كما كان آباؤكم الاولين .

تذكروا ما كان عليه آباؤكم الاولين ، واعتبروا كيف كانوا غالبين قاهرين .
كانوا لاتحاد همتهم ، ووحدة كلمتهم ، وبسط الفضل ونشر العدل ، والاستقامة في
سبيل الحق بحيث يهاب اقوى الملوك والسلاطين عن قدرتهم وشوكتهم و صولتهم ،
واليوم صار المسلمون ، للتخاذل والتفرق والتشعب ، يغزون في ديارهم ويخرجون
ولاحول ولا قوة الا بالله ، من ديارهم .

« اَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمْ الْمَذَاهِبُ ، وَتَتَّبِعُهُ بِكُمْ النِّعْيَاهِبُ ، وَتَتَّخِذُكُمْ -
الْكَوَاذِبُ ؟ وَ مِنْ اَيْنَ تَتَوْتُونَ ؟ وَ اَتَى تَتَوَفَّكُونَ ؟ » (نهج البلاغة)

اياكم ، ايناكم والاختلاف بالعصبية « فان كان لا بد من العصبية فليكن

تَعْصَبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْاِتِّخْلَاقِ وَمَحَامِدِ الْاَفْعَالِ وَمَحَاسِنِ الْاُمُورِ وَالتَّمَسُّكُ
بِحَبْلِ الْاِيْمَانِ وَالْاِيْتِلَافِ فِي ظِلِّ عِنْوَانِ «الاسلام» .

وعليكم بالاعتبار يا اولى الابصار اذكروا ماضيكم الاغرّ، وانظروا الى حاضرکم
وما احاط به من الخطر، واجعلوا «الاسلام»، نَعَمَ «الاسلام»، لتجديد مجدکم الشعار
وَدَعُوا هذه العناوين المختلفة و الافانين المختلفة التي كانت بادئها الدلّة و تكون
عاقبتها التّبار و البوار، ولا تغزوا بينكم لاجلها في عُقْرِ الدّار «فَوَاللّهِ مَا غَزَى قَوْمٌ
قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ اِلَّا ذُلُّوا» ولا تواكلوا ولا تخذلوا ولا تجادلوا، وانظروا كيف
سُنَّتْ عليكم الغارات و مُلِكتْ عليكم الاوطان' .

- ۳۳ -

و لتوجّه اخيراً الى ما كنّا بصدده من بيان الدّاعى لتأليف الكتاب، و الباعث
لتسويد الاوراق، و بيان ماروعى فيه و لنلخص بيان الدّاعى بالاشارة الى سببين :
۱- انّ الفصل الذى كتبه لكتاب «الاسلام صراط المستقيم» كان مختصراً جداً
واقصر فيه بنقل المعتقد من دون اتيان بالدليل و المستند . ولذلك من ترجمه بالعربية
طالب غالباً فى ما علق عليها بالحجّة، ولم يدر انّ المسئول والمنظور لهم يكن الا صرف
بيان الاعتقاد لا الاستدلال والاستناد فوجب ان يكتب ما يشتمل على ما تستند اليه الشيعة
فى الاعتقاد .

۲- انّ التعصبات التي اشرت الى انموذج منها حدانى الى تأليف مختصر يشتمل
على ما يثبت به ان الشيعة فى ما تعتقد و تقول تستند بالمعقول والمنقول، و لهم القدم -
الراسخ فى الفروع و الاصول، و ما نسبه او ينسبه اليهم بعض الجاهلين و المعاندين بهتان
مبين و افتراء غير مقبول . والمسئول ممن يريد الحقّ و يحبّ الحقيقة ان يراجع لكشف
معتقدات الشيعة اصولاً و فروعاً، فى كتب القدماء منهم، كالسيد المرتضى و الشيخ
ابى جعفر الطوسى و المحقق الحليّ (رحمهم الله تعالى) و اضرابهم من علماء الشيعة .

ولمّا كان أكثر ما يشاهد من تلك النتائج المعصبيّة، كُتِبَ بلسان العرب وأكثر المتعصّبين منهم، أو ممّن يعرف لغتهم فرايت ان اكتب هذه الاوراق بذلك اللسان، مع اعترافي بالتضعف والقصور والتقصان في هذا الميدان على ان ذلك لسان القرآن المجيد ويجدران يتبرّك به كل مفيد ومستفيد .

وامّا ماروعى في هذا التّأليف فعدّة امور .

منها : انّ ما نقل فيه ، منقول كلفه ، من الكتب المعتمدة للمعتمدين الاثبات ، من اهل السنّة ، و ذكر غالبا في المتن او في التذييل ، موضع المنقول من الكتب .
ومنها : انّ ما جعل بين علامة « » ولم يُصرّح بالمأخذ فهو علي الاغلب ماخوذ من تاريخ ابي جعفر محمد بن جرير الطّبري ، او منقول من « الكامل » لابن اثير - الجزري .

ومنها : انّ جانب الادب و الاحترام روعى فيه و لو بالرمز فحين ذكر اسم - النّبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم والائمة والخلفاء ، جرى بمثل «ص» و «ع» و «رض» و اذا كان احد الاسماء المذكورة طيّ عبارة منقولة عن كتاب جرى الدعاء او السلام فيه بالصراحة لا بالرمز ، آتينا بعين لفظه و ان تكرر .

ثمّ استوفيت مقاصد الكتاب طيّ ثلثه اجزاء : الجزء الاول (هذا الجزء) يحتوى على البحث حول عشرين مطالب : اول المطالب حول « التوجه الى المبدء و المآل » و اخرها ينتهى بانتهاء خلافة عثمان (رض) . و الجزء الثّاني يتكفل البحث عن فضائل عليّ (ع) ابتداءً و بالبحث حول الامام المهديّ المنتظر انتهاءً . و الجزء الثّالث يحتوى على امتهات ما يترائي منه الاختلاف بين الشيعة و اهل السنّة اصولا و فروعاً .

١ - واما الكتب : فالطبري مطبوع في مطبعة « الاستقامة » بالقاهرة ، و « الكاسل » مطبوع ادارة الطباعة المنيرية بمصر و « الحلية » مطبوع بمطبعة « السعادة » بجوار محافظة مصر . و شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد مطبوع دار الكتب العربية الكبرى و صحيح البخاري الطبع الذي صححه محمد ابن مالك في زمانه ، و نظرفيه عدة من علماء المذاهب باسر السلطان عبد الحميد ، ثم طبع باسره باسلابول .

و في الختام لابدّ و أنّ اعتذر من الناظرين الكرام ، ولا سيما من جهابذة -
الادب والاساتذة في لسان العرب، من قصور الباع وكُسُود المتاع . والمرجوّ من جودهم -
العميم اذا نظروا اليه و شاهدوا فيه اغلاطاً و اخطاءً من حيث اللفظ و التركيب ، ان
يصلحوه و ان عَشَرُوا على زَلَّةٍ و عَشْرَةَ و وقفوا على كِبَيُوتِهِ و هَفُوتِهِ ، ان يعفوا عنه
و يعفروه فانتى نَشْتُهُ على غير هذا اللسان و ان الانسان قلمًا أنّ لا يعترضه السهو
و النسيان .

حَمَدْتُ اللهُ رَبِّي إِذْ هَدَانِي

لِمَا أَبْدَيْتُ مَعَ عَجْزِي وَضَعْفِي

فَمَنْ لِي بِالْخَطَا فَأَرَدَ عَنْهُ

وَمَنْ لِي بِالتَّجْبُولِ وَكَوَّ بِحَرْفِي

رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَ لِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ ، وَ كَثِّرْ عَنَّا

سَيِّئَاتِنَا وَ تَجَاوَزْ عَنَّا ذُنُوبِنَا ، يَا قَدِيمَ الْمَنِّ وَ الإِحْسَانِ .

كُتِبَتْ هَذِهِ الْمَقْدَمَةُ حِينَ تَشَرَّفْتُ بِمَشْهَدِ الإِمَامِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرَّضَا (ع)

فِي أَيَّامِ شَهْرِ الصِّيَامِ مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ وَ تِسْعِينَ وَ ثَلَاثِمِائَةٍ بَعْدَ الأَلْفِ الأَوَّلِ مِنَ الْهَجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ

بِالشَّهْرِ الْقَمَرِيَّةِ (وَفَقُّ «شَهْرِيورِ مَاه» مِنْ سَنَةِ سِتِّ وَ خَمْسِينَ وَ ثَلَاثِمِائَةٍ بَعْدَ الأَلْفِ ،

بِالشَّهْرِ الشَّمْسِيَّةِ) .

وَ اَنَا الضَّعِيفُ الْفَانِي

محمود - الشَّهَابِيُّ - الْخِرَاسَانِيُّ

« فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا... »
(سورة الروم) (الآية ال ٢٩)

- ١ - من أين والى أين؟
- ٢ - الإنسان وشوقه الذاتى .
- ٣ - كمال الانسان ، الخاص به .
- ٤ - سرّ التوجّه الى الدين .
- ٥ - المجهول الانسانى الأهمّ .
- ٦ - طريق الفلاسفة : الماديين والألهيين .
- ٧ - الإنسان عند الفريقيين .
- ٨ - طريق الأنبياء والرسل .
- ٩ - المام ببعض ما استند اليه لأثبات المبدء .
- ١٠ - الطرق الصناعيّة .
- ١١ - تذييل فيه برهان للمؤلف على اثبات المبدء .
- ١٢ - اشارة ، فيها اصول .
- ١٣ - الطرق الفطريّة .
- ١٤ - آيات من القرآن المجيد بعنوان النموذج .
- ١٥ - تكلمة وتذكرة .
- ١٦ - الدين والمتدين .

١- حول التوجّه الى المبدء والمآل

و

ما يقتضيه الحال من الأعمال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

للهِ النّحمدُ عَلى الدّوامِ . وَعَلى رَسولِهِ الخاتمِ مُحَمَّدٍ ، صَلى اللهُ عَلَیْهِ وَسَلَّمَ ،
وَآلِهِ الطّاهِرِينَ الكِرَامِ ، وَأَصحابِهِ الرّاشِدِينَ العِظامِ ، الصَّلوةُ وَالسَّلَامُ الِى
یومِ القِیامِ .

١ - من أين والى أين؟

ممّا لا یكاد یُرتاب فیهِ انّ لِلانسانِ مَجْهولاتٍ كَثیرةً مَتنوّعةً هامّةً ، اهِمّتها
باعتبارِ الواقعِ وأعمّتها من حیثِ الخُلجانِ فی جَمیعِ الضّمائرِ فی اكثَرِ المواقِعِ هو هذا :

مِنْ أَيْنَ جِئْنَا؟ وَالِىَ أَيْنَ نَذْهَبُ؟

یمكنُ انْ یكونَ لِانسانٍ ، بل لِكُلِّ انسانٍ ، مَجْهولٌ مُسدولٌ عَلَیهِ غِطاءُ الخِفاءِ
من كَلِّ نَاحِیةٍ ومن كَلِّ جَهِةٍ بِحِیثِ لا یوجدُ لَه فیهِ وَجْهٌ مُكشوفٌ ، بل كانَ مُستوراً عَلَیهِ
فِى انحاءِ جِهاتِهِ ومَجْهولاً لَه ، عَلَی نَحْوِ الاطلاقِ ، مَدى حِیاتِهِ ، لَكِنَّهُ من الغَریبِ المُستبَعَدِ
جَدّاً انْ یوجدَ انسانٌ ، یصحُّ عَلَیهِ اطلاقُ هَذِهِ الكَلِمةِ ، وَهُوَ لا یَتوجَّهُ الِى هَذَا المَجْهولِ
وَلا یخْطُرُ بِبالِهِ فى مَدّةِ حِیاتِهِ ، ولو مرّةً واحِدةً ، هَذَا المَوْضوعُ :

من أين جئنا؟ والى أين نرُوحُ؟

٢ - الأنسان وشوقه الذاتى

اختلاف افراد
الانسان من
عدة جهات

الأنسان تختلف افراده فى نواح شتى من كيانه: تختلف فى الألسنة والألوان ،
تختلف فى العادات والاحوال ، تختلف فى الأطوار و الأفكار ، تختلف فى الأبدان
والأرواح ، تختلف فى الآداب والأخلاق ، تختلف فى الأهواء والأميال ، تختلف فى
الأماني والآمال ، تختلف فى العقول والألباب وبالجملة تختلف فى الصورة والسيره
والظاهرة والخافية: فبعض الأفراد يميل الى شىءٍ وآخر يذهب الى طريقٍ وثالثٌ
يتخذ مسلكاً ورابعٌ يسلك فى طريق حبه وعشقه وهواه وميله سيلاً رابعاً ، وهكذا ،
فيكون للناس فى مايعشقون مذاهبٌ ولهم بحسب طبائعهم ، طوعٌ تُراثهم وبيئتهم اكنان
وغرائز واغراض وعلائق:

« لا تَحْسَبَنَّ النَّاسَ طَبَعاً واحِداً فَلَهُمْ

غَرَائِزٌ لَسْتُ تُحْصِيهَا وَاكْنَانٌ^١ »

ولكنها مع تلك الاختلافات كلها، كما تتفق تلك الأفراد فى كونها انساناً ،
تتفق باقتضاء من انسانيها المشتركة الجامعة فى غريزة خاصة و سجيةٍ مختصة
وفضيلةٍ ذاتيةٍ ومزيةٍ نوعيةٍ الالهى حبها الذاتى للعلم بحقائق الأمور وشوقها -

١ - لابی الفتح على بن محمد البستى (المتوفى ، فى حدود سنة الـ ٤٠٠ هـ) فى

قصيدته المشهورة التى مطلعها :

« زيادة المرء فى دنياه نقصان »

وقد ترجمتها بالفارسية منظومة، منها فى ترجمة البيت المنقول فى العتن :

« نپندارى تو يكسان طبع مردم كه بيمر هست طبع و خوى ايشان »

الفطريّ التّوعى الى كشف المساتير وتحرّرها الطّبعيّ لدرك الاشياء وفهم المسائل والمشاكل .

الانسان في حبه
الذاتي للعلم

فلا يكاد يوجد فردٌ توجه الى جهاه بأمرٍ آلا وهو يحبّ من صميم خاطره وعمق ضميره ان يزول عنه هذا الجهل ويتحرّى من سويداء قلبه ان ينكشف لدى فكره ذلك المجهول .

فكل فرد في كل حال اذا توجه الى امرٍ وخطر بباله شيء يشناق شوقاً طبيعياً ان يكون هذا الامر مكشوفاً عنده في رمة نواحيه، معلوماً له جملة خوافيه، مرفوعاً من منظره ماستره من حُجبه وغواشيه . بل كل فرد يحبّ حباً فطرياً ان لا يكون له مجهول اصلاً ، ويشناق ان تصير المجهولات بهذا فيرها معلومة له، مكشوفة لديه مطلقاً .

هذا امرٌ خُمربه طينة الانسان ، وسُجّل في صفحة سجيته وارتكز في فُسحة طبيعته وجبلته ، فهو بفطرته الساذجة وطبيعته السليمة متوجه الى رفع الستار عن المجهولات وكشف الغطاء عن المخفيات والمستورات .

ولعله كان بيننا ان من بين تلك المجهولات المحيطة به اقدمها خطوراً بباله واكثرها استحقاقاً للعناية منه والدّها ادراكاً له وآثرها كشفاً عنده واعظمها شأناً لديه هو هذا المجهول :

مِنْ اَيْنَ سِرْنَا؟ والى اَيْنَ نَصِيرُ؟

٣ - كمال الانسان الخاص به

لكل نوع من انواع الموجودات كمالٌ يختص به ويحصل السعادة له اذا وصل

اليه ويكون جميع تطوراته الطبيعية و تحولاته النوعية ، بالحقيقة ، سيراً طبيعياً نحو ذلك الكمال وللوصول الى تلك السعادة .

النوع الانساني أيضاً يختص به كمالٌ خاص يتحرك كل من افراده حركةً طبيعية في سبيل ادراكه واحرازه حتى وافق سعدُ التوفيق لمن وافق فاهتدى الى صراطه المستقيم وسلكت هذا الطريق السوي من دون ان يحدث عائق له يصرفه عن الطريق او يوجد مانع يمنعه عن السلوك، فيصل الى ما ارتضاه شخصه واقتضاه نوعه واراد وامتضاه له ربه وهو كما له النوع الذي يوجدانه يتحقق له سعاداته الشخصية . قوله تعالى .

« وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ٦٨ »^١

ومما أطبقت عليه عقول اولي الألباب ان الأكمل من الأنواع كلها هو نوع الانسان فلاجرم يكون كمان هذا النوع بالنسبة الى سائر الأنواع ارقى و أشرف وسنخ سعاداته ، المتوقعة حصولها لأفراده ، اعلى واجل .

اجل : الانسان نسخة الهيئة جامعة لجميع ما سطر في كتاب الكيان ، ومرآة صافية انعكس فيها مجموع ما تفرق من الكمالات ، فهو بوجوده الكامل جامع شئيات الكمالات و واجدٌ لجميع مراتب الخيرات و السعادات ، لفتت في حقيقته الكاملة ما نُشرت من الحقائق والفضائل وحفت سعادة ذاته بشقاوة ما نُشرت على سائر الموجودات من المكارم والمواهب .

ثم يخرج الانسان من مرحلة تلك القوة الكامنة ويبرز الى مقام الفعلية الراقية الرائقة اذا سلكت في مدارج العمل ارقبها و وصل الى معارج العلم اسنيها فحينئذ يفوز بسعاداته النوعية ويتم لشخصه خلافته الالهية .

والمراد من « العمل » ، التلايق به السلوك الى مدارجه ، هو العمل الصالح وهو الذي يكون بهداية من العقل السليم وارشاد من الفكر القويم منطبقاً على ما اثبتته العلم الصحيح واخبر به المعبر الصادق الفصيح .

والمراد من « العلم » ، التّلازم له اكتسابه ، هو العلم التّدى ينبغى لكلّ فردٍ أن يتوجّه اليه ويتحقّق به وهو بالحقيقة ما يكون أساس سعاداته وقوام خيره ومصالحته وليس هو إلا ان ينكشف لدى عقله العمّال حقيقة هذا السّؤال :

من اين جئنا؟ والى اين نرُوحُ؟ ولِمَ جِئنا؟ وما عَلَيْنَا أَنْ نَفْعَلَ؟

٤ - سرّ التّوجّه الى الدّين

هيهنا نتوقّف هنيهة فننوّجّه ان توجّه النّاس الى ما يعبر عنه باسم « الدّين » وتعلّق خاطرهم به انما هو لامر مرتكزيّ في طبيعتهم فهو معلول عن حبّهم الطّبيعيّ لنيل كمالهم النّوعيّ ومولود عن توجّههم الغريزيّ الى الاطّلاع على بداية حالهم والالتفات الى ما سيصير الامر اليه في ما لهم ويتحصّل لهم من نقصهم أو كمالهم . فكلّ فردٍ ، بحسب فطرته وبقائضه طبيعته ، يريد أن يعلم ما ينبغى ان يعملّ ويحبّ أن يعيش على نحوٍ يقربه الى كماله المطلوب ويوصله الى سعاداته المبتغاة: سعادة النّشأتين والفوز بسموّ المقام في المرحلتين .

ومن هنا يظهر سرّاً قبال الناس في كلّ دورةٍ وكورةٍ، وفي كلّ زمانٍ ومكانٍ، وفي جميع الأعصار والامصار، الى دُعاةٍ ادّعوا معرفة طريقٍ يوصل الانسان الى مبتغاه الفطريّ من سعاداته وقرّروا انظمة قدّروا لزوم رعايتها وتطبيق العمل عليها لمن اراد ان يعيش في حياته عيشاً يصلح لسلوكه سبيل هدايته ويناسب وصوله الى غرضه وغايته . وبالجملة كلّ انسان مجبول على حبّ الكمال: مطبوع على التوجّه الى الخير، مر كوز في عمق وجدانه وضميره طلب السّعادة، ومقطوع عنده ان وصوله الى ذلك المطلوب المحبوب لا يتحقّق إلا اذا عاش على نظامٍ خاصّ في حياته، وعمل على

لوجيه توجه
الانسان الى من
ادعى النبوة

وَفَقَّ مِنْهَاجٍ مُنظَّمٍ لِسكُونَاتِهِ وَحَرَكَاتِهِ. ثُمَّ هُوَ مُأخُوذٌ بِانصَافِهِ وَاعْتِرَافِهِ أَنَّ وَضْعَ ذَلِكَ النِّظَامِ وَتَنْظِيمَ هَذَا الْمُنْهَاجِ وَالقَّرَارِ، أَمْرٌ خَارِجٌ عَنِ طَوْقِ قُدْرَتِهِ وَفِكْرَتِهِ فَحِينَئِذٍ بِالطَّبِيعَةِ يَتَحَرَّكُ نَحْوً مِنْ يَدْعَى الْبَعْثَ لِهَدَايَتِهِ وَارشَادِهِ وَبِالْفِطْرَةِ يَتَوَجَّهَ شَطْرَ مَنْ يَأْتِي بِشَرْعٍ يَزْعُمُ أَنَّهُ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْهِ بِهِ لِتَعْيِينِ مِنْهَاجِهِ .

فَالْأَنْسَانُ بِفِطْرَتِهِ السَّالِمَةِ يُقْبَلُ إِلَى مَدْعَى النُّبُوَّةِ ، سِوَاءِ أَكَانَ صَادِقًا فِي الْوَاقِعِ أَمْ كَاذِبًا ؟

وَبِاقْتِضَاءِ مِنْ طَبِيعَتِهِ الْقَوِيمَةِ يَتَحَرَّى شَرْعَهُ الَّذِي يَدْعَى أَنَّهُ مِنْهَاجُ الْحَيَاةِ وَبِرَنَامِجِ الْعَمَلِ وَيَنْظُرُ إِلَى دِينِهِ الَّذِي يَقُولُ أَنَّهُ دَسْتُورُ الْعَمَلِ لِلْفَوْزِ بِالسَّعَادَةِ فِي الْحَالِ وَالْمآلِ وَالتَّيْلِ إِلَى الْكَمَالِ فِي الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ .

يُقْبَلُ إِلَيْهِ وَيَطَّلَعُ عَلَيْهِ حَتَّى يُمَيِّزَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ وَالصَّادِقَ مِنَ الْكَاذِبِ وَالْهَادِيَ مِنَ الْمُضِلِّ فَيَعْمَلُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَعْمَلَ وَيَعِيشَ عَلَى مَا يَنْبَغِي أَنْ يَعِيشَ .
« فَأَقِيمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ، ذَلِكَكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . »
٣٠ . ١ .

٥ - المجهول الانساني الأهم

قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ مِنْ أَقْدَمِ مَجْهُولَاتِ الْإِنْسَانِ ، وَاهْمِهَا وَأَعْمَمُهَا ، مَجْهُولَتَهُ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِمَبْدِئِهِ وَمآلِهِ وَمَا يَجِبُ عَلَيْهِ ، أَوْ يَلِيقُ بِهِ ، مِنْ أَعْمَالِهِ وَأَفْعَالِهِ فِي حَاضِرِ حَالِهِ فَالْإِنْسَانُ مِنْ أَقْدَمِ عَصُورِ وَجُودِهِ وَكَيَانِهِ تَوَجَّهَ إِلَى هَذَا الْمَجْهُولِ الْهَامِّ وَتَرْتَمَ مَعَ نَفْسِهِ بِمَفَادِ هَذَا الْكَلَامِ : « مِمَّنْ آيِنَ جِئْنَا ؟ وَإِلَى آيِنَ نَنْدُ هَبُّ ؟ وَمَا عَلَيْنَا أَنْ نَعْمَلَ ؟ »

فلننظر الآن الى اولئك الذين تكلموا حول هذا الموضوع وادعوا كشف الغطاء واماطة الستار عن ذلك المجهول . فاعلم :

انّ من استخلص نفسه للتكلم حول هذا المطلوب ، بادعاء الاطلاع عليه ، واستعطف اعنة النظر والتدبير من ابناء نوعه اليه فريقان :

١ - الفلاسفة والحكماء (ومنهم العرفاء والمتكلمون ، هنا) .

٢ - الراسل والانبياء .

فعلى ذمة الفحص والتفتيش ان ننظر الى ما ادعاه كلّ من الفريقين ونبحث ، بالاختصار ، عمّا اعتمدوا عليه واستدلوا به عسى ان نجد ضالّتنا المنشودة في استطراق ذينك الفريقين .

٦ - طريق الفلاسفة

الفيلسوف ، حين توجه الى ذلك المجهول و اراد كشف الغطاء عنه اعتمد على عقله واستند الى فكره و تكلم حول الموضوع بمنطقه وبرهانه فأبان بزعمه ، انّ الانسان من اين جاء؟ والى اين يروح؟ وماذا ينبغي له ان يعمل؟ .
والفلاسفة افترقوا في هذه المسئلة فرقتين اصليتين .

١ - الماديّون .

٢ - الالهيتون .

والأولى منهما فرقة لم يتجاوز اشعة ابصارهم عن افق المادّة ولم يخرق اضواء افكارهم حجب المادّة فما نفذت انظارهم الى ما وراء حدودها و ثغورها وما خرجت عن محيطها الضيقة المنحطّة الى عالي مقام وجودها فلم تقدر ان تدرك حقيقة « الوجود »

على ما هو عليه من السعة والأحاطة فلاجرم تَوَحَّلتْ افكارهم في مَوَحِّلِ «المادة»
الغاسقة وتورطت الباهيم في ورطتها ، فلم يقدرُوا ان يتخلَّصوا منها ويخرجوا الى
عرصة النور، فتوهَّموا ان كلَّ شَيْءٍ موجودٍ ، بُدِءَ « من المادة » ويعود اليها .

فعند هؤلاء لاشيىء في الوجود سوى المادة و شئونها اى حالاتها و تطوراتها
وتبدلاتها فمنها المسير واليه المصير وفيها التحوُّل ومنها التحوُّل واليه التغييرُ
وعنها التغيير ! هو المبدء وهو المنتهى وفيها النشؤُ والأرتقاء .

تلك الفرقة هى التى كان التعبير عنها فى الدهور الخالية باسم «الدَّهْرِيَّين»
وفى عصرنا يعبَّر عنها غالباً باسم «المادِّيَّين» .

الماديون و
الالهيون من
الفلاسفة فى
اعتقادهم للمبدء

والثَّانية منها فرقة نظروا بابصار نافذة و بصائر واسعة و عقول ناقدة و قلوب
واعية و صدور منشرحة فنظروا الى عالم الوجود ونظام الكون من اعلى شاهقٍ يمكن ان
يهوى الانسان بجناح عقله و طائر فكره اليه و يقدر ان ياولى له و يصعد عليه فشاهد و امن
عالم « الوجود » محيطاً اوسع و منظرأ ارفع و اقليماً افسح ، تكون المادة بحدودها
الفسيحة و ثغورها الوسيعة فيه كحلقية فى فلاةٍ و ادركوا رفعةً و علوآ تكون « المادة »
و ما منها احسَّ و اردل و ادون و انزل من ان يبده منه « الوجود » و يعود اليه و تجلَّى لهم
الحقيقة بانَّ الموجود ابتداءً من « الوجود » و اليه ينتهى و يعود و باشراق نور الوجود على
« المادة » استحققت ان يطلق عليها عنوان « الموجود »

فهذه الفرقة عرفوا انَّ المبدء الاعلى موجود مجرد عن المادة ، مقدّم عليها ،
عليةً لتحقّقها و نشأتها ، موجب لتطوّرها و تحوّلاتها و تنوّعها ، و هو حىّ ، عالم ، مريدٌ ،
قادرٌ ، ازلىّ ، ابدىّ ، سرمدىّ ، فيأض ، منزّه عن التبدل و التغيير و التحوُّل و التنقُّل ،
و كما هو المبدء المفيض للكلّ يكون هو المرجع الوحيد للكلّ هو بَرِثُ الارضِ
و من عكسيتها و كلُّ اليه يَرْجِعُونَ ، و هو اَبْدَعُ العقول و انشأ النفوس و فطر الارض

١ - اشارة الى الاية الشريفة : « نعن نرث الارض و سن عليها و لينا يرجعون »

(الاية المتممة للاربعين من السورة الـ ١٩ - سورة مريم -)

والسَّمَاءَ وَخَلَقَ الْمَخْلُوقَ عَلَىٰ اصْلَاحِ نِظَامٍ وَاحْسَنَ طَرَاظًا وَكَمَلَ وَجْهَهُ وَاتَّقَنَ صِنْعَهُ . «صُنِعَ
اللَّهُ النَّدَىٰ أَتَّقَنَ كُلَّ شَيْءٍ» - ٨٨^١

٧ - الإنسان عند الفريقين

ومما يجب ان لا يُغفل عنه هو ان حال الإنسان على زعم الفريق الأول وباقتضاء
مبانيهم و بحسب عقائدهم و مبادئهم حال سائر الموجودات المادية من حيث الكمال
والسعادة فليس له كمال مخصوص ولا سعادة خاصة حقيقية ينبغي له ، فضلاً عن ان
يجب عليه ، ان يسعى لتحصيلها كى يجتهد فى سبيل معرفتها و يجدد و يكدد فى سبيل
تطبيق حر كاتها و سكوناتها الأرادية على سيره الطبيعي نحو كما له النوعى .

الانسان في نظر
الماديين الالهيين

وذلك لان المادى يتطور فى المادة و يتحول فيها ولا يصير شيئاً خارجاً عن
اقليمها مفارقاً عن تأثيرها فهو مادى كيف كان و بأية صورة تحصل و باى لباس
تلبس : مادى فى البداية ، مادى فى النهاية ، و مادى بينهما على كل حالة فاذا
مات فات .

لكن الإنسان عند الفريق الثانى موجود شريف مكرم ، مقامه من حيث روحه
ونفسه فوق المادة و الماديات وله كمال فوق الكمالات الموجودة لسائر الموجودات
فله سعادة تختص به ان عاش فى حياته على ما ينبغي له و شقاوة خاصة اذا انحرف عن
صراطه المستقيم ، الموصل الى كماله المقرر لنوعه ، الممكن المقدر لشخصه ، وهو
لا يفنى بفوات جسمه ولا يبطل بانحلال جسده .

هذه الفرقة قد رت لوصول الانسان الى كماله الثلاثى به وسعادته الخاصة له نهجاً
علمياً و سنناً عملياً و قررت لسلوك تلك الطرق و اجراء هذه المقررات و السنن

٨ - طريق الأنبياء والرّسل

الرّسول بادعاء ارتباطه بعالم الغيب و اتّصاله بنشأة الملكوت و اتّجاهه شطر قدس الحقّ واستفاضته من مبدء الكلّ واستناده بالألهام والوحي يقول:

انّ للموجودات مبدءاً منزهاً عن المادّة و غواشيها لايعتريه نواقص الطّبيعة ولا يشوبه نقائص المادّة والمادّيّة وهو بقدرته الكاملة خلق كلّ شيء وبحكمته الفائقة اتقن كلّ ما خلق .

المادّة وما من صنّعها والمفارق وما من سنخه ، كلٌّ من رَشّحات فيضه ومن آثار صنعه . فكلّ ما سواه قائم به موجود بايجاده وهو قائم بنفسه ، موجود بذاته . وهو على كلّ شيءٍ قدير وبكلّ شيءٍ عليم خبير . هو المبدء الاعلى واليه المرجع في الأخرى لا اله الا هو والحيّ القيّومُ المبدعُ المنشئُ ، الخالقُ المدركُ التمريد القادر هو الأوّلُ والآخِرُ والظّاهرُ والباطنُ .

النّبى يقول :

الله الّذى خلقت الأشياء بعنانيته ، خمّر طينة الإنسان بيدي قدرته ونفخ فيه من روح عظمته فشرّفه بذلك وكرّمه وفضّله على كثير من خلقه ، وقدر له سعادةً وكمالاً وقرّر في جبلته حبّ الكمال التّلاقق به واعدّ له طريق الوصول اليه فارشده الى ذلك الطّريق كى يسعى فيه فيفوز بخيره وصلاحه في معاشه و بسعادته في معاده ويرجع الى مبدئه فانياً عن ذاته باقياً ببقائه ، تعالى شأنه ،

قوله الحق :

« وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ
مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا » - ٧٠ .^١

٩ - المأم ، ببعض ما استند اليه لاثبات المبدء

لا نريد ، في هذه الورقات ، استقصاء الأدلة لكل فريق ولا البحث التحليلي عن
عن كل دليل بل نريد ان نشير الى بعض ما استند اليه كل فريق به ليكون طريقاً الى
معرفة طريقه . فنقول :

ههنا طرق مختلفة يجمعها عنوانان :

١ - فنيّ صناعي .

طرق اثبات المبدء

٢ - فطريّ ارشاديّ .

فالأول هو ما يكون التعبير عنه وفق مصطلحات القوم في المنطق الصناعي
والعلم الألهي البرهاني وسائر العلوم العقلية وفنونها ويكون التنسيق في قوالب القواعد
المقررة في تلك العلوم وعلى اسلوبها . فيكون البيان ، لأهل الاصطلاح انسب والأسلوب
الى درك الخواص اقرب .

والثاني ما يكون التوجه فيه ، في مقام التعبير والبيان ، الى الشعور الذاتى
والدرك الفطريّ والفهم العمومى العرفى والمنطق الطبعى والايمان القلبى فيكون
الخاصة والعامّة في التأثير عنه ، تصديقاً والتحقق به ، ايماناً وتسلماً ، على شرع سواء
وعلى منهج الاستواء .

فالمتكلمون والفلاسفة، طبيعيتهم^١ والهيئتهم، مشائيتهم واشراقيتهم، بل والعرفاء
ايضا، لكون مقامهم مقام الاثبات على امثالهم، وهم الخواص، بل وللتحقيق والثبوت عند
انفسهم، يسلكون الطريق الأول .

والانبياء والرسل، لكونهم مبعوثين على كافة الناس ومرسلين الى عامة
الخلق تكون دعوتهم متوجهة الى العالم والجاهل والعارف والعامي والحاضر والبادي
والكاتب والامّي، يركنون الى الطريق الثاني.

١٠ - الطّرق الصّناعيّة

نشير هنا الى ما استدلّ به المتكلم وما استدلّ به الفيلسوف الطبيعيّ وما استدلّ
به الفيلسوف الالهّيّ ولانظيل الكلام بالشرح والتقد والحلّ والعقد في كلماتهم فانّ
لها مقام آخر. فنقول، تلخيصاً من كلماتهم :

المتكلمون، في مقام الاستدلال على وجود الخالق، يقولون :

« انّ العالم (اى الاجسام و الأعراض) حادث فلا بدّ له من محدث . فان
كان هو ايضاً حادثاً داراً او تسلسل فلا مُحالة يكون المحدث قديماً قائماً بذاته، وهو
خالق الكلّ وموجد ما سواه » .

ودليلهم هذا ، كما ترى، يبتنى على امور:

١ - كون العالم حادثاً، اى موجوداً بعد ما لم يكن .

٢ - افتقار الحادث الى ما يُحدّثه .

١ - اريد بالفيلسوف الطبيعيّ هنا من يتحرى اثبات الواجب القديم من طريق مباحثه
الطبيعية وليس المراد به الفيلسوف الطبيعيّ المادى الذى يتكر الصانع الواجب و يقابل
الفيلسوف الالهّيّ، المعتمد بالاله المبدع الخالق .

٣ - وجوب الأنتها ، الى محدثٍ لم يكن حادثاً بل كان قديماً ازلياً .

٤ - استحالة الدور والتسلسل .

وهذه الامور بعضها ضرورى وبعضها نظرى استدلوا على صحتها واثباتها فان

تمت هذه الأمور وصحت ، تم الدليل وثبت المدلول .

ثم يستدلون على صفات الخالق واحدة فواحدة بالنظر في احوال المخلوق .

١١ - طريق الفيلسوف الطبيعى

الفيلسوف الطبيعى استفاد مما تسلّمه في العلم الطبيعى ويقول :

« وجود الحركة يدل على وجود محركٍ فان كان هذا المحرك متحركاً ايضاً

يحتاج الى محركٍ آخر ، وهكذا ، و من الممتنع اتصال المحركات لا الى نهايةٍ فلا

محالة هناك محركٍ غير متحرك ، هو المحرك الأقدم والمبدء الاول . »

هذا الدليل ايضاً يبنى على امور :

١ - استلزام وجود الحركة وجود محرك .

٢ - عدم كون الحركة ذاتية للمتحرك .

٣ - استحالة اتصال المحركات لا الى نهاية .

٤ - استحالة كون اتصالها على وجه دائر .

هذه الامور ايضاً بعضها بديهى لا يحتاج الى كسب ونظر والبعض الآخر نظرى

احتجوا لها ، فان تمت تم ما أُفيد وثبت بها ما اريد .

فالفيلسوف الطبيعى ، وكذا المتكلم ، ينظر الى المادى والمحسوس ويتدرج

منه الى معرفة المفارق والمجرد وبتعبير آخر يستدل بالمعلول على العلة والاثّر على

دليل الفيلسوف
الطبيعى لاثبات
وجوه الصانع

المؤثر . واما الحكيم الفيلسوف الألهيّ فينظر ابتداءً الى الوجود ويتوجه من العلة الى المعلول .

١٢ - طريق الفيلسوف الألهي

الفيلسوف الألهي يقول :

دليل الفيلسوف
الالهى لايات
الصانع

« كل موجود من حيث ذاته وبلا اعتبار غير معه امّا ان يكون بحيث له الوجود من نفسه اولاً يكون .

« فان كان فهو قائم بنفسه قيومٌ لغيره واجب بذاته من ذاته لذاته .

« وان لم يكن يجب ، فلامحالة لم يكن ممتنعاً ايضاً ، ضرورة كونه مفروض الوجود، فهو في ذاته وبحسب نفسه سواسية النسبة الى الوجوب والامتناع فليس بواجب ولا ممتنع .

« ولكنّه بحسب نسبته الى علته وبشرطها، اذا كانت علةٌ ، يصير واجبا واذا لم تكن ، يكون ممتنعاً . واما مع قطع النظر عن النسبة والشرط فلا وجوب ولا امتناع بل له الامكان بالذات كما كان باعتبار وجود علته واجبا بالغير و باعتبار عدمها ممتنعاً بالغير .

« فالموجود امّا واجب واما ممكن والممكن لا يوجد الا بالغير .

« ولا يمكن ان يكون ذلك الغير ممكناً لا ينتهي الى واجب ، لاستلزامه تقوّم الممكن بمثله في الامكان، ان دار وعدم تحقق ممكنٍ ان فرض ذهاب سلسلة الممكنات لالي انتهاء .»

بل كما يقولون :

« كل سلسلة مرتبة من عللٍ ومعلول، سواء كانت متناهية^١ او غير متناهية، لا بد لها من طرفٍ لا يكون معلولاً لأن السلسلة ان كانت شاملة لعلةٍ غير معلولة فلها الطرف وان لم تكن شاملة فتحتاج الى علةٍ خارجةٍ عنها وهي تكون بالضرورة غير معلولةٍ وآلا كانت داخلية في السلسلة المفروضة وكان الاحتياج بحاله، وقد فرضت خارجة، فعلى كل تقدير لا بد من طرف والطرف واجب بنفسه .

« فكل سلسلةٍ، ينتهي الى موجودٍ واجب بذاته ومن ذاته . »

ثم يستدل الفيلسوف بالنظر في ما يلزم الوجوب والامكان، على صفاته، وبصفاته على كيفية صدور افعاله عنه، واحداً بعد واحد.

١٣ - تذييل

اوردت في بعض رسالاتي^٢ التي دونتها لتحقيق بعض المسائل من الحكمة العالية المتعالية بياناً يناسب هذا المقام وهو ان تمّ يكون برهاناً آخر بلسان الحكمة الالهية، من المؤلف على المطلوب، وهو ان لم يكن اوثق من غيره، يكون اخف مؤنة للنظر واقرب تناولاً لمن استبصر. وتقريره هكذا:

« الموجود، في وجوده، على قسمين :

١ - ومن هذا القبيل يكون الامر اذا فرضنا ان وجود الممكنات على وجه دائر، لان الاشتغال فيه على جملة متناهية كل واحد منها معلول ووجود المعلول من دون طرف، هو العلة، غير معقول .

٢ - عنوان هذه الرسالة « النظرة الدقيقة في مسألة بسيط الحقيقة » كتبها في سالف

الايام لتحقيق ما لهج به الحكماء من قولهم : « بسيط الحقيقة كل الاشياء »

دليل
من المؤلف
لايات المبدء
اليوم

١ - ناقص .

٢ - كامل .

وليس بينهما واسطة ، حقيقة ، اى ليس حدّ بين ما هو كامل ، بقول مطلق ، وبين ما هو ناقص .

« وذلك لانّ ما لا يصدق عليه انه كامل بقول مطلق فهو ناقص .

تقسيم الوجود
الى قسمين

« والكامل ، بقول مطلق ، لا يكون الا بسيطاً ضرورة ان التركيب مناط الافتقار والافتقار رباط النقصان وكيف لا والمركب لا يتحقق الا باجزائه والأجزاء لا يتركب الا بتركيبٍ عن فاعل ولغاية .

« والناقص لا يكون ، بالحقيقة ، الا مركباً ولا اقلّ من كونه مركباً من امر وجوديّ به قوامه وتحققه ومن امر عدميّ يكون لده فناء وجوده ونفاده وعليه يترتب له مرتبة خاصة بها حدّة وعماده .

« والى هذا يشير كليتهم المشهورة ، « كل ممكن زوج تركيبيّ له ماهية ووجود »

« فكلّ ممكن ، كما قالوا ، مركب وكلّ مركب ناقص . »

« ثم بعد ما اوردت انّ ممّا يلازم « الكامل المطلق » امور من « الواجديّة لكلّ الأشياء » و « الواحديّة » و « الأحديّة » و « الأزليّة » و « الأبدية » و من « انه عين الاوصاف الوجودية الكمالية ، كالعلم والأرادة والقدرة واضرابها من الصفات الحقيقية والنوع الذّاتيّة » و بعد ما استدلت على اثبات كلّ واحد منها ببيان وافٍ تفصيليّ واجبت عمّا يمكن ان يتشككك في تقسيم الموجود الى قسميه ويتوهم عدم صحته بجواب شافٍ كافٍ قلتُ :

« ان قلتَ : سلّمنا انّ ذلك التقسيم صحيح صادق وانّ كلّ واحد من

١ - وعندي في هذه الكلية مناقشة تستلقت النظر وهي ان موضوع الكلية بعم بظاها

حتى نفس « الوجود » و « الماهية » من الممكن المركب منهما ، وليس كل منهما مركباً والا لتسلسل والجواب عنها ان الكلية من قبيل العام المخصوص بالمخصص العقلي .

القسمين يمكن ان يكون في الخارج متحقق واقع ولكن امكان الشيء اعم من وقوعه .
 « نعم قسم الناقص ثابت مشهود لا يمكن ان يُنكِر وقوعه وتحققه الا من
 انكر كل شيء حتى نفسه بل وانكاره : واما الكامل بقول مطلق ، فليس مشاهد
 وقوعه ولا يكون بتلك المثابة من الظهور والثبوت وجوده فاثباته بهذا النحو من البيان
 والمناظرة لا يكون الا من باب المصادرة .

« فما هو الدليل على وقوعه؟ وبما ذا يستدل على تحققه ووجوده؟

« قلتُ : قد تقرّر في مقرّره انّ « الأصالة في التّحقّق والتّقرّر » امر سُجّل
 للوجود وليس لما سواه ، وهو ما يعبر عنه بـ « المهية » سوى حظّ الاعتبار والأنزاع
 من الحدود واما العدم البحت فليس له حظّ حتى من اعتبار الحظّ .

« وقد دريت انّ المناط في تقسيم الوجود الى الناقص والكامل هو نقصه او كماله
 في نفسه وذاته وعلى هذا فلا يعقل ان يوجد ناقص الا ان يكون وجوده مستفاداً من الكامل
 وقوامه به وتحققه منه .

وجود الناقص
لا بد وان يستفاد
من الكامل

« وذلك لانه لا يخلو اّما ان يكون وجود الناقص من ذاته وبذاته ولداته فيكون
 غنياً بنفسه اذلياً ابدياً في وجوده فلا يكون ناقصاً وهذا خلاف المفروض واما ان يكون
 وجوده من غيره ، ولا محالة ، يكون بغيره ايضاً .

« فان كان ذلك الغير مما ثلّله في النقصان يكون حاله كحاله في الاحتياج .
 فلانما صان الا وان ينتهي الى غير يكون ذلك الغير كاملاً ، قائماً بذاته ، غنياً عن غيره وهو
 ليس الا نفس الوجود وصرفه ومطلقه الذي لا ثاني له ولا غير تجاهه . ليس كمثل شيء
 والموجودات طرّاً لوجوده كفىء وهو الواحد الأحد الصّمد الذي لم يلد ولم يولد ، ولم
 يكن له كفواً احد .

« هو الذي ليس له نداء يعادله ولا ضدّ يعانده ويقابله ولا كفواً يشاركه ويمائله
 وهو القيوم الذي بجموده قام كلّ وجود ومن فيضه حدث كلّ موجود كما ورد في
 الحديث « يا مَنْ كلُّ شَيْءٍ مَوْجُودٌ بِهِ »

« اللَّهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ، الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ... نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ... » ٣٥

١٤ - إشارة

رايت ان انقل^٢ في هذا المقام ولائبات هذا المرام ما انتجه فكبرى القاصر في جملة « اصول » استستها في بعض مزبوراتي الناقصة بلسان الحكمة والعرفان لعله كان نقله واقعا في محلّه و صار مرجعاً مفيداً لأهله . وهاهي ثلاثة اصول من تلك الاصول يستبصر بها من تيسر له الوصول الى المأمول :

اصول نافعة لاهلها
جدا

« اصل^١ : وعاء « الواقع » اوسع الأوعية المتصورة واشملها . فهو يسع ما يقع في اى وعاء ، مكاناً كان او زماناً اودهرراً اوسرمداً، وعيناً خارجياً كان او ظلاً ذهنياً، بل يسع نفس الأوعية ويشملها .

« اصل : الوجود المطلق ، واعنى به هنا مطلق الوجود ، مقدّم على العدم في متن « الواقع » سابق عليه في نفس الأمر وحقّ التحقّق وكيف لا وفرض تأخّره عنه ومسبوقيته به مستلزم لعدم تحقّقه من راس .

« اصل^٢ : الوجود بقولٍ مطلق لا يعقل ان يكون مسبوقاً بالعدم ، لا لمجرد انّ الشئ لا يقبل ضده بل لامتناع ان يوجد بعد حيث لا وجود لشئ به يوجد من قبل

١ - السورة الـ ٢٤ (النور) .

٢ - والمرجو من فضل الناظر في هذا المنقول وما قبله ان يعذرني في خروجي من طور هذا التأليف حرصاً على تبين هذا الموضوع المهم .

ولا اقتضاء لذاته ان يكون موجودا وَاَلَا لَمْ يَكُنْ يَسْبِقُهُ الْعَدَمُ^١.

١٥ - الطُّرُقُ الْإِرْشَادِيَّةُ الْفِطْرِيَّةُ

استناد الأنبياء والرسل واعتمادهم في دعوتهم الى الله^٢ ليست بالحقيقة الا بطريق واحد ومن وجه فارد وهو ارشاد الناس الى فطرتهم المستقيمة وايقاظهم من الرقدة والغفلة وانقاذهم من ورطة الهلكة والظلمة وهدايتهم الى عرصة النور والبهجة .

«قَالَتْ رُسُلُهُمْ: اقْبِئِ اللَّهَ شَكُّكُمْ، فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِصِ؟ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ...»^{١٠}

«قَالَتْ رُسُلُهُمْ: اِنْ نَحْنُ اِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلٰى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَمَا كَانَ لَنَا اَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطٰنٍ اِلَّا بِاِذْنِ اللَّهِ...»^{١١}

كيفية استدلال
الانبياء والرسل

١٦ - آيات القرآن المجيد

ولنورد من القرآن المجيد نموذجا مما يشير الى ما اعتمد عليه بعض الانبياء

العظام في هذا المقام فانظروا اعتبر :

- ١ - هذا الاصل يؤكد الاصل الثاني ويعاضده .
- ٢ - لا في ادعائهم الرسالة من جانبه فانهم في هذه الدعوى يستندون الى المعجزة ويعتمدون غالبا على اتيان الاية واما في دعوتهم الى الله قد يذكرون المعجزة ايضا فتدبر .
- ٣ - من السورة الـ ١٤ (ابراهيم)

ورد في قصة شيخ الأنبياء ، ابراهيم :

« فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ : هَذَا رَبِّي . »

« فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ : إِنَّنِيَ لَأُحِبُّ الْآفِلِينَ ٧٦ . »

« فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ : هَذَا رَبِّي . »

« فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ : لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ

الظَّالِمِينَ ٧٧ . »

« فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ : هَذَا رَبِّي ، هَذَا أَكْبَرُ . »

« فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ : يَا قَوْمِ إِنَّنِيَ بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ٧٨ »

« إِنَّنِي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ،

وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٧٩ »^١ .

وفي قضية محتجته ايضاً :

« أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ؟

إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ :

« رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ . »

« قَالَ : آتَا حَيِّيًا وَأُمِيتُ . »

« قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا

مِنَ الْمَغْرِبِ : فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ... ٢٥٨ »^٢

١ - من السورة الكه (الانعام) .

٢ - من السورة الثانية (البقرة) .

١٧- ووردت في كيفية دعوة موسى لفرعون وقومه :

« قال : فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى؟ ٤٩ »

« قال : رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ، ثُمَّ هَدَى ٥٠ .

« قال : فَمَا بِالْقُرُونِ الْأُولَى؟ ٥١ .

« قال : عَلِمْتُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَبْضِلُ رَبِّي وَلَا يَنْسِي ٥٢ الَّذِي

جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْنَدًا وَسَلَكْتُ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ

مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى ٥٣ كُلُّوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ .

إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ٥٤ »

وفيها ايضا وردت :

« قال فرعونُ : وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ ٢٣ »

« قال : رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ٢٤ »

« قال لِمَنْ حَوْلَهُ : أَلَا تَسْتَمِعُونَ؟ ٢٥ .

« قال : رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ٢٦ .

« قال : إِنْ رَسُوتُكُمْ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ لِمَجْنُونٍ ٢٧ »

« قال : رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا، إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ٢٨ »

« قال : لَسِنِ اتَّخَذَتْ لِهَا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُوتِينَ ٢٩ »

١ - من السورة الـ ٢٠ (طه)

٢ - هذا الكلام اي نسبة الجنون الى موسى صار مطرحاً للانظار توجيهاً واعتراضاً

وقد كتبت رسالة سميتها « راي العقل السليم في ماجادل فرعون به الكلم » نقلت فيها ما قيل

في هذا الموضوع وشرحت الموضوع بما هو الحق عندي شرحاً وافياً .

طرز احتجاج
موسى في دعوته
الى الله

« قَالَ : اَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ؟ ٣٠ »
 « قَالَ : فَاتِّبِعْنِي بِهَا اِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصّٰدِقِيْنَ ٣١ »
 « فَاتَّقُوا عَصَاهُ فَاِذَا هِيَ تُعْبِئُ مُّبِيْنًا ٣٢ وَتَزَعُ يَدَهُ فَاِذَا هِيَ
 بِيضٌ لِّلنّٰظِرِيْنَ ١٣٣ »

١٨ - ومما ورد في دعوة نبي الاسلام

« قُلْ : مَنْ يَرْزُقْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْاَرْضِ ؟ اَمْ مَنْ يَمْلِكُ
 السَّمْعَ وَالْاَبْصَارَ ؟ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيَخْرِجُ الْمَيِّتَ
 مِنَ الْحَيِّ ؟ وَمَنْ يُدْبِرُ الْاُمْرَ ؟
 « فَسَيَقُولُوْنَ : اللهُ فَقُلْ : اَفَلَا تَتَّقُوْنَ ؟ ٣١ »
 « فَذَلِكُمْ اللهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ اِلَّا الضَّلٰلُ فَاَنْتِ
 تُصِرُّوْنَ ؟ ٣٢ »
 ومنها :

« اَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوْا فِيْ اَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللهُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا
 اِلَّا بِالْحَقِّ ... ٨ »^٣

« اللهُ يَبْدُوْا الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيْدُهُ ثُمَّ اِلَيْهِ تُرْجَعُوْنَ ١١ »^٣
 « يُخْرِجُ الْمَيِّتَ عَنِ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ١٩ »
 « وَمِنْ اٰيٰتِهٖ اَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ٢٠ »

١ - من السورة الـ ٢٦ (الشعراء).

٢ - من السورة الـ ١٠ (يونس).

٣ - آيات من السورة الـ ٣٠ (سورة الروم).

«ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة
ورحمة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون ٢١
«ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف اللسانتكم واللوانتكم... ٢٢
«ومن آياته مناكم بالليل والنهار... ٢٣»

ومنها ايضا :

«هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِ كُنْتُمْ فِي الْمَوَاقِدِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا، جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ، دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ .

«لَعِنَ الَّذِينَ اتَّخَفْتُمَا مِنْ هَذِهِ لَسَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ٢٢

«فَلَمَّا أَتَجَلَّيْتُمْ ، إِذْ هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْتُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ... ٢٣»

ومنها :

«قُلْ : هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ؟ قُلْ :
اللَّهُ يَبْدُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ، فَاتَىٰ تَوْفِكُونَ ٣٤
«قُلْ : هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ؟ قُلْ : اللَّهُ
يَهْدِي لِلْحَقِّ ، أَقْمَنَ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ
لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ؟

«فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ؟ ٣٥»

١ - آيات من السورة الـ ٣٠ (سورة الروم)

٢ - الآيات من السورة الـ ١٠ (سورة يونس)

٣ - من السورة الـ ١٠ (يونس)

ومنها:

« اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاءَ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا، ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ
وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ، يُفَصِّلُ
الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ٣٢ »^١

ومنها:

« قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؟ قُلْ: اللَّهُ. قُلْ: أَفَاتَّخَذْتُمْ
مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا....
« أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ، فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ:
قُلْ: اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ١٦ »^٢

دلالات التوحيد
بلسان القرآن
المجيد

ومنها:

« وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ: مَنْ خَلَقَهُمْ؟ لَيَقُولُنَّ: اللَّهُ. فَاتَىٰ
يُؤْفِكُونَ؟ ٨٧ »^٣

ومنها في بيان صفاته:

« هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، هُوَ
الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ٢٢
« هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الْمَلِكُ، الْقُدُّوسُ، السَّلَامُ، الْمُؤْمِنُ،
الْمُهَيَّمِنُ الْجَبَّارُ، الْمُتَكَبِّرُ، سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٢٣
« هُوَ الْخَالِقُ، الْبَارِئُ، الْمُصَوِّرُ، لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ، يُسَبِّحُ
لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٢٤ »^٤

١ - من السورة الـ ١٣ (الرعد).

٢ - من السورة الـ ١٣ (الرعد).

٣ - من السورة الـ ٤٣ (الزخرف).

٤ - الآيات ٢٢-٢٤ من السورة الـ ٥٩ (الحشر).

١٩ - تكملة

مما يناسب الإشارة اليه هنا ان القرآن المجيد وان كان في مقام الدعوة الى الله سلك طريق الارشاد الى فطرة الناس كما هو ديدن سائر الانبياء ودايمهم ولكنه اشار في بعض آياته الى طريقى الاحتجاج كليهما : الاحتجاج من المعلول الى العلة ومن المحسوس الى المجرد ومن الطبيعية الى ماورائها ، كما كان طريق المتكلم والطبيعى ، والاحتجاج من نفس العلة والانتقال النظري منها الى المعلول ، كما كان مسلك الصديقين من الحكماء الألهيين والعرفاء الواصلين الكاملين :

الغواصين
طريقين

« سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعِنَا لَهُمْ
أَنَّهُ الْحَقُّ .

« أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ .^١

٢٠ - تذكرة

في كلمات ائمة الشيعة المعصومين ، اولياء الله العارفين المكرمين ، وفي خطبهم ولاسيما في « نهج البلاغة » لعلى امير المؤمنين ويعسوب العارفين وفي « الصحيفه » للامام سيد الساجدين وزين العارفين والعابدن في هذا الاسلوب ، مقتبسة من القرآن الحكيم والنور المبين ، ما ينشر منها الصدور وبتنوير بها الالباب والعقول فيتجلى الحق في الأرواح

١ - من السورة ١ ؛ (فصلت).

وعلى النفوس وتطمئن بعرفان الله وذكره، القلوب .

وهكذا في مباحثاتهم مع منكرى الألوهية فَنَسَبَرَّكَ هنا بنقل مارواه شيخ مشايخنا،
الصدوق (ره) في كتابه «التوحيد» - باب القدرة الصفحة الـ ١١٥ -

٢١ - نقل حديث

حدث الصدوق بأسناده عن ابي منصور المتطبب انه قال اخبرني رجل من اصحابي قال : كنت انا و ابن ابي العوجاء و عبدالله بن المقفع في المسجد الحرام فقال ابن المقفع : ترون هذا الخلق و اومأ بيده الى موضع الطواف ما منهم احد اوجب له اسم الانسانية الا ذلك الشيخ الجالس ، يعنى جعفر بن محمد (ع) اما الباقر فرعاع و بهائم .

مناظرة ابن ابي
العوجاء

«فقال له ابن ابي العوجاء: وكيف اوجبت هذا الاسم لهذا الشيخ دون هؤلاء؟
قال : لأنني رايت عنده ما لم ارعندهم ، فقال ابن ابي العوجاء : لا بد من اختبار ما
قلت فيه ، منه .

فقال له ابن المقفع : لا تفعل ، فاني اخاف ان يفسد عليك ما في يدك . فقال :
ليس ذلك رايبك ولكنك تخاف ان يضعف رايبك عندي في احلالك اياه المحل
الذي وصفت . فقال ابن المقفع : اما اذا توهمت على هذا ، فقم اليه وتحفظ ما
استطعت من الزلل ولا تنن عنانك استرسال يسلمك الى عقاب وسمه مالك او عليك .

قال : فقام ابن ابي العوجاء و بقيت و ابن المقفع فرجع الينا فقال :

يا ابن المقفع ما هذا يبشر ، وان كان في الدنيا روحاني يتجسد اذا شاء ظاهراً
ويتروح اذا شاء باطناً فهو هذا .

«فقال له: وكيف ذلك؟ . فقال: جلستُ اليه، فلما لم يبق عنده غيرى ابتدأني . فقال: ان يكن الأمر على ما يقول هؤلاء، وهو على ما يقولون، يعني اهل الطوائف، فقد سلموا وعظبتهم وان يكن الأمر على ما تقولون، وليس كما تقولون، فقد استويتهم وهم . فقلت له: يرحمك الله وای شیبیء يقولون؟ ما قولى وقولهم الا واحد . قال: فكيف يكون قولك وقولهم واحداً وهم يقولون: ان لهم معاداً وثواباً وعقاباً ويدرّون بانّ للسماء الهاً وانّها عمران وانتم تزعمون انّ السماء خراب ليس فيها احد؟ قال: فاغتنمتها منه، فقلت له: ما منعه، ان كان الأمر كما تقول، ان يظهر لخلقها ويدعوهم الى عبادته حتى لا يختلف منهم اثنان؟ ولیم احتجب عنهم وارسل اليهم الرّسل، ولو باشرهم بنفسه كان اقرب الى الأيمان به؟

فقال لى: ويلك: وكيف احتجب عنك من اراك قدرته في نفسك، ونشؤك ولم تكن، وكبرك بعد صغرك، وقوتك بعد ضعفك وضعفك بعد قوتك، وسقمك بعد صحتك وصحتك بعد سقمك، ورضاك بعد غضبك، وغضبك بعد رضاك وحزنك بعد فرحك وفرحك بعد حزنك، وحبتك بعد بغضك وبغضك بعد حبتك، وعزمك بعد اباثك و اباثك بعد عزمك وشهوتك بعد كراهتك وكراهتك بعد شهوتك، ورغبتك بعد رهبتك ورهبتك بعد رغبتك، ورجاك بعد بأسك وبأسك بعد رجائك، وخاطرك بما لم يكن في وهمك وعزوب ما انت معتقده عن ذهنك؟ وما زال يعدّ على قدرته التي هي في نفسى التي لا ادفعها حتى ظننت انّه سيظهر في ما بينى وبينه .»

اثبات الامام
التوحيد على ابن
ابى العوجاء

٢٢ - حديث آخر

وحدث الصدوق ايضا بالأسناد عن هشام بن الحكم (فى باب ان الله،

عز وجل ، لا يُعرف آلا به - ص ٣٠٠ -) « انته قال : قال لي ابوشاكر الديصاني :
« ان لي مسئلة تستاذن لي على صاحبك فانتى قد سألت عنها جماعة من العلماء فما
اجابونى بجواب مشيع .

« فقلت هل لك ان تخبرنى بها فلعل عندى جواباً ترتضيه؟ فقال : انتى احب
ان القى بها ابا عبد الله (ع) . فاستأذنت له . فدخل . فقال له : اتأذن لي فى السؤال ؟
فقال له سل عما بدالك . فقال له : ما الدليل على ان لك صانعا؟ . فقال (ع) :

كلام الامام
فى البات الصانع

« وجدت نفسى لا تخلو من احدى جهتين : اما ان اكون صنعتها انا، او صنعتها
غيرى . فان كنت صنعتها فلا اخلو من احد معينين : اما ان اكون صنعتها و كانت موجودة ،
او صنعتها و كانت معدومة فان كنت صنعتها و كانت موجودة فقد استغنت بوجودها عن
صنعتها وان كانت معدومة . فانك تعلم ان المعدوم لا يحدث شيئاً .
« فقد ثبت المعنى الثالث ان لي صانعا وهو الله رب العالمين .
« فقام وما آحار جوابا »

٢٣ - الدين

ما ارشد الالبياء
اليه لوصول
الانسان الى كماله
وسعادته

الانبياء والرسل يعتقدون انهم مبعوثون من جانب الخالق مأمورون لأرشاد
الخلق وهدايتهم ويقولون :

لا يمكن لأحد من افراد الأنسان ان يفوز الى كماله المطلوب وسعادته المبتغاة وان
يلتذ في الآخرة باللذات الحقيقية ، التى لا عين رأت ولا اذن سمعت ، آلا ان يعيش
فى هذه النشأة الدنياوية على نهج خاص و اسلوب مخصوص وهو ان يجعل اعماله

١- لان غير الله يكون مثلها فيعود الكلام فيه كما كان فى نفسه فيدور الاسرا ويتسلسل .

واقواله وافكاره، بل وكل حركة تصدر منه اوسكون يسكن اليه، منطبقاً على ما قرروا له من برنامجهم الديني و تشريعهم الالهي بحيث يأتي بما أمر به ويجتنب عما نُهي عنه فكان عاملاً لكل ما سطر في برنامج حياته مطيعاً لرمة ما قرّر له في تنظيم حركاته وتقويم سكوناته .

الأنبياء والرسل يرشدون الناس الى :

ان الله الذي خالق كل شيء ورب كل شيء هو اعلمُ بمنافع كل شيء وبمضارّه واعلمُ بمصالح كل فعل ومفاسده ومع هذا هو اشدّ رافة واكثر حبا ورحمةً للانسان من نفسه بنفسه ولنفسه وهو يحب ان يدرك الانسان خيره وكماله وان يحوز صلاحه وسعادته فهو بحسب عنايته الأزلية و باقتضاء تلك المحبة الذاتية الأبدية يكون مريداً لهداية الانسان بتوسيط من افراد من نوعه، كاملين في ذواتهم، صالحين بنفوسهم، مستعدين لأرشاد ابناء نوعهم ولأصلاحهم في جميع شؤونهم وهؤلاء الصالحين المصلحين هم السفراء الكرام والأنبياء العظام .

برنامج الانبياء و
منهاجهم لمن
اراد السعادة

فيوحى من ناحية القدس الى صدورهم الطاهرة المنشرحة آيات بيّنات وينفث روح القدس بامرّه تبارك وتعالى في قلوبهم الزكية النقية سنناً قائمات ويُنزل على ارواحهم الطيبة السامية فرائض محكمات ثم يبعثهم الله لتلاوة آياته على الناس ويأمرهم بهدايتهم الى منافعهم ومضارهم وارشادهم الى مصالحهم ومفاسدهم ويرسلهم لتزكيتهم ولتعليمهم الكتاب والحكمة واخراجهم الى النور من الظلمة .

وبالجملة يرسلهم الله الى عبادته بكتاب مبين يحتوى على برنامج مبين ليكون دستوراً لهم لشؤون حياتهم ومنهاجاً في فنون معاشهم باعتبار صلاح فردهم ونظام جمعهم ومن حيث كيان جسمهم وعلاء روحهم كتاباً كافلاً لبيان ما يصلح لهم في حياتهم الفانية العاجلة ويصلحهم للحياة الطيبة الباقية في الآجلة بحيث لا يغادر ذلك الكتاب والمنهاج صغيرة ولا كبيرة، نافعة ولا ضارة، جليلة ولا حقيرة، الا احصياها وارشد اليها و اوصيها: قوله تعالى .

« كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيتكم

وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ١٥١»^١
 فمن آمن بهم وصدق قولهم وعمل وفق منهجهم واتى بما أمروا به فى كتابهم
 وانتهى عما نهوا عنه ببيانهم يفوز فوزه وخيرته ويؤتى سعادته واجره .

«وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ
 سَوْفَ نُنْتِجُهُم بِأُجُورِهِمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ١٥٢»^٢

* * *

حقيقة الدين
 والمرتدين الحقيقى

فالدِّين هو منهاجُ الهى وبرنامج سماوى نزل به الروح الأمين المقدس على
 قلب الرسول المطهر يشتمل على كل ما يرشد البشر الى صراطه المستقيم وينفعه
 فى سلوك سبيل وصوله الى خيرهِ التاللق وكما له الفائق وسعادته الحقيقية ولذاته
 المعنوية .

والمرتدين هو من كان خاضعا تجاه هذا المنهاج المتين ، مطيعاً لما ثبت من هذا
 الدستور القويم ، عاملاً وفق موادّ هذا البرنامج الأتمّ ، مُسلماً وجهته لمن احسن
 اليه وانعم فأرسل اليه الرسل وانزل لهدايته الكتب .

«وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ
 مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ١٢٥»^٣

١ - من السورة الثانية (سورة البقره)

٢ - من السورة الـ ٤ (النساء)

٣ - من السورة الـ ٤ (سورة النساء)

« كان الناس أمة واحدة
 فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين
 وأنزل معهم الكتاب بالحق... »
 (الآية الـ ٢١٢) (سورة البقره)

- ١ - الرسول.
- ٢ - الرسالة.
- ٣ - دلائل لزوم الرسالة العامة .
- ٤ - دليل خاص للمؤلف سمي « الشؤون الستة »
 للرسالة العامة .
- ٥ - وضع القوانين واكمل غاياتها (تبصرة).
- ٦ - تلخيص الكلام
- ٧ - بماذا يُعرف صدق الرسول في دعوى الرسالة؟
- ٨ - ما هو المعجزة؟
- ٩ - عرفان الرسول بنفس الرسالة .
- ١٠ - خواص الرسول الثلاثة.

٢- حول الرسول والرسالة
 والمعجزة :

٢٦ - الرسالة ودلائلها

اتفقت كلمة ذوى البصائر النافذة ، وانعقدت عقيدة اولى الألباب الناقدة ، الذين عرفوا نظام الوجود ومبدئه واعترفوا بان الوجود مبدهً عالياً متعالياً عالماً مريداً قادراً حكيماً واعتقدوا بان الخلق لم يكن عبثاً وان الانسان لم يترك سدىً وهملاً بل فيه الكرامة والشرف وله الكمال والسعادة ، على ان الرسالة لهداية الناس الى تحصيل كماله وشرافته امر ضرورى لنظام الكل وبعث الرسل شان الهى لأرشاد الانسان طريق خيره وسعادته ودلائلهم على ما استقام من الطرق واستوى من السبل لطف رحمانى يجب عن مبده الكل .

« وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ... ١٥٣ »^١

دلائل
النبوة العامة

استند هؤلاء الأكابر لاثبات هذا المدعى ، لزوم البعث والرسالة ، بدلائل كثيرة تصدى لنقلها ونقدها وشرحها وجرحها الكتب المربوطة ، ولا سيما كتب الفلسفة والكلام وطائفة من كتب الحديث الاسلامى ، ومن اهم ما استندوا اليه من تلك الدلائل ديلان :

١ - دليل « اللطف »

٢ - دليل « المدنية الطبيعية »

والأول هو ما استدلت به المتكلمون ويستفاد مفاده من بعض الاحاديث والايثار .

والثانى هو الذى استند اليه الحكماء والفلاسفة الألهيون . وقد يثرانى من بعض

ظواهر السنن والآثار .

٢٧ - دليل خاص

قد اوردتُ ما احتجُّ بها لهذا الموضوع في مقدمة كتابي المسمّى باسم « ادوار فقه »^١ و اوضحت فيها ما اراد المستدلّ به منه و اشرتُ الى ما اورد به اعتراضاً عليه او ما يمكن ان يتوجّه اليه ثمّ اردفتُها بذكر دليل خاصّ كان فكري ابو عذرة طرحها و خاطرني ابن بجدة نظمها، وفي زعمي انه اسدّ و اقوى لأثبات ذلك المدعى من غيره ممّا احتجّت بها واستذت اليها ولو لم يكن بهذه المثابة من القوة والسداد فيكون، باليقين، لأدراك ابناء زماننا واقناعهم انسب و الى ذوق اخوان عصرنا و طباعهم اقرب .

وهي هنا، و بناء هذه الورقيات على الاختصار، لا يسعنا المجال ولا يقتضى البناء ولا الحال ان نطيل المقال بنقل تلك الأدلّة و الأقوال و ان نذكر نقدها و نتعرض لاستقصاء قاطبة ما احتجّت بها و فحصها كما لا ينبغي ان نعرض عن نقل الكلّ صفاً فوجه الجمع ان نقتصر هنا بايراد ذلك الدليل الخاصّ الذي اطلقت عليه عنوان دليل « الشؤن الستّة » مراعيّاً للتخيّص و الاختصار راجياً من الناظر، الدقّة و الاعتبار . فأعر بصرك و اجيل بصيرتك و انظر الى ما يتلى عليك و استبصر .

١ - كتاب بديع في موضوعه غير مسبوق بما يجاريه في اصله و اسلوبه و هو تاريخ حدوث الفقه الاسلامي ، تشريعاً و تفرّيعاً ، و تطوره من زمان صدور احكامه الى زمان التصدي لاستنباطها بالاجتهاد و التفرّيع الى زماننا ، في اطوارها المختلفة و شئونها المتكثّرة ، الناشئة عن طور الاستنباطات من الفقهاء وائمة المذاهب الفقهية ، البائدة منها و الخالدة ، و قد طبع منه المجلدان و يكون تحت الطبع المجلد الثالث ، الذي ينتهي البحث فيه بانتهاء القرن الثالث ، و المرجو من الفياض الرحمن التوفيق لاتمام الكتاب بتمام مجلداته (البالغة الى عشرة مجلدات)

٢٨ - الشُّثُونُ السِّتَّةُ

قد نبهنا على انّ النُّوعَ الأنساني له كمال خاصّ تكون سعادة كلِّ فرد منه في ان يناله ويفوز به ولا يناله احدٌ الا بالسَّعى في طريقه، وليس السَّعى الا العمل، والعمل لا يبدؤُا وان يكون مناسباً لتحصيل ذلك المطلوب وماحوظا فيه الوصول الى ذاك الغرض والمقصود وتلك المناسبة والملاحظة لانتمّ الا برعاية شئون وجهاتٍ يجب ان تعتبر في كلِّ فرد وشخص، ولا تكمل الا بالتوجّه الى مناسبات واضافات تكون لكلِّ من هذه الجهات مع الجهة الأخرى منها .

وتلك الشُّثُونُ والجهات هي هذه :

١ - ما يكون لكلِّ شخص باعتبار جسمه .

٢ - ما يكون لكلِّ شخص باعتبار روحه .

٣ - ما يكون لكلِّ شخص باعتبار عيشه في هذه النشأة الفانية الدُّنيا .

٤ - ما يكون لكلِّ شخص باعتبار حياته الطَّيِّبَةِ الخالدة في الأخرى .

٥ - ما يكون لكلِّ شخص باعتبار انه فرد من المجتمع الأنساني وعضو له .

٦ - ما يكون للمجتمع باعتبار انه مجتمع للأفراد والأشخاص .

هذه ستّة شئون وجهات تؤثر كل واحدة منها في الأخرى كما تتأثر هي ايضا منها بحيث يمكن ان يتقوى كلُّ شأن منها بالآخر او يضعف منه فهي متفاعلة ابدأً، تكتسب كلُّ واحد من كلِّ واحد قوّة او ضعفاً . ثم تكون لهذه الشُّثُونُ من حيث ذلك التأثير والتأثر والفعل والأنفعال والكسر والانكسار وروابط خاصّة ، و مناسبات مخصوصة ، و اضافات متعاكسة، ومداخلات متقابلة، ومعاملات متعارضة او متعاوضة، فعلى من اعتقد ان له كمالاً، يكون على ذمته السَّعى لان يفوز به ثم ان اراد ان يسعى نحو ذلك الكمال

ويسلك طريق كسبه وكسب سعادته، يجب ان يعرف تلك الروابط والمفاعلات كي يتمكن من رعاية جانبها والعمل على وفق ما يقتضيها وتعديل افراطها وتفریطها، ويتيسر له الوصول الى الصراط المستقيم ومعرفة الحد المعتدل القويم فيتجاوز بالسّلامة عن ذاك الصراط ويقف بالطمأنينة عند هذا الحد فينال من سعادته حظّه الأوفى ويفوز بكماله نصيبه الأعلى.

٢٩ - روابط الشئون

ثم معرفة تلك الروابط والنسب والأحاطة على تلك الإضافات والرتب ومعرفة كيفية التأثير والتأثر، والتفاعل، الناشئ عن الاحوال المختصة بكل، في كل او في بعض ومعرفة كميتها ولاسيما مع التوجه الى الاختلافات التي تحدث في الاحوال والأوضاع وتحقق بحسب اقتضاء ظروف الأمكنة والأزمان ليست امراً مقدوراً ميسراً الا لمن فطر الخلق وخلق البشر واحاط بكل شيء وكل وضع وكل حال وكل شأن وكل عمل واطلع على كل ما لكل من نفع وضرر وخير وشر. وهذا امر لا سبيل لانكاره بل يعترف به كل من راجع وجدانه واتبع انصافه ويدعن لشخصه، بما لا يرتاب فيه، من قصوره ونقصه.

الشئون السعة
وروابط كل منها
مع الآخر

فالله، جلّ جلاله، هو الذي له ما في السموات وما في الأرض، يعلم ما بين ايدي الناس وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه، وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما، وهو العالم المحييط بكل شيء في اي حال، وعلى اي وضع، ومع كل شأن كان الشيء عليه، ومن كل ناحية وكل وجه، وهو اللطيف الخبير الذي لا يخفى عليه خافية ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة، يعلم لطيف الأشياء ودقيقها كما يعلم كبيرها وجليلها، ويحيط بالكل وبالكليات كما يحيط بالأجزاء والجزئيات ويطلع على ادق

انحاء الربط والمناسبة وارقّ جهات التفاعل والمضايفة وهو خير يضع كلّ شيء موضعه وحكيم يتقن ما وضعه وصنعه .

٣٠ - معرفة الروابط

اجل ، ان الله ، عظم شأنه وتعالى مجده ، لاسواه ، كائنا من كان ، يقدر ان يقدر منهاجاً صحيحاً وافياً و يقوى ان يقرّر برنامجاً وسيعاً كاملاً لجميع الشئون والجهات ، ناظر الى سائر النسب والأضافات ، معتبراً كلّ ما يتصور فيها من الروابط المتضائفات المتعاكسات ، محققاً لرعاية ما يتحقق بينها من التفاعلات بحيث يؤدي العمل على وفقه الى نيل الكمال ويصير السالك على نظامه مُدرّكاً للخير والصلاح فائزاً بالسعادة والفلاح في المآل .

الدليل على تعيين
واضع المنهاج

وهو ، تعالى شأنه ، برأفته الكاملة ورحمته الشاملة الواسعة وارادته النافذة وحكمته المتقنة قرّر للناس منهاج و قدرها ان تكون لهم الى ذروة كمالهم طرقاتاً والى اوج سعادتهم معارج ومدارج فأمر ان ينزل بها الروح الامين على الزاكيات من قلوب اصفيائه و صدور اوليائه ، وبعث الاصفياء ليتلّون تلك الآيات الباهرات والمنهاج المحكمات على كافة عبادته وامائه لعلهم يتعلمون الكتاب والحكمة و يعلمون فيعملون فيزكّون فيسعدون .

المنهاج الالهي قانون روعي فيه تلك الشئون وروابطها وكيفية تفاعلها فلو حظ فيه صلاح الجسم وكمال الروح ورفاه العيش في الدنيا وطيب الحياة في النشأة العليا العقبي وصيانة الحقوق المتقابلة للافراد ووظائفهم وتكاليهم ونظم المجتمع وما يصلحه ويكمّله بحيث ينتج صلاح الفرد ورفاهه وعلائه وفلاحه .

تلك الرعاية وذلك اللحاظ ممّا يختصّ بالقوانين الالهية ومنهاجها ويكون

من خواص الأحكام السماوية وشرائعها ولا يمكن ان يوجد فى اى قانون من الموضوعات البشرية وان كان اكمل هذا السنخ من الموضوعات والمشروعات والمناهج بل ليس ولا واحد من وضة هذه المناهج والقوانين يجترى ان يدعى كون مشروعه بهذه المثابة وذلك لأن الاحاطة والعلم بجميع تلك الشئون والجهات والتفاعلات والمناسبات لا يمكن لغير الله جل جلاله، كما اشرفنا .

« ذَلِكُمْ اللهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّبِعُوا
تُؤْفِكُونَ ٦٢ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ
لَهُ الدِّينَ . الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٦٥ قل : انى نهيت
ان اعبد الذين تدعون من دون الله لما جائنى البيئات من ربى
وأمرت ان اسلم لرب العالمين ٦٦ »

٣١ - تبصرة

لعلّه لا يخفى على احد ممن راجع القوانين الموضوعية البشرية وتامل فيها وتوجه الى الغرض من وضعها، انها ما وضعت الا لأجل تنظيم المجتمع نظماً يوجب دفع الهرج، اورفعه، او يوجده، مضافاً على نقض الهرج، كمالاً ما فهذه القوانين ناظرة الى حال المجتمع، بما هو مجتمع، وليست الشئون الخمسة الباقية الأخرى بنفسها معلومة لواضعى تلك القوانين فضلاً عن ان تكون منظورة لهم، ملحوظة عندهم، وفضلاً عن ان تكون روابطها كل مع الآخر وكيفية التفاعل بينها مرعية معتبرة .
فلو فرض وجود كمال ورعايته فى قانون بشرى او ادعى مدع ذلك فبالقطع

القوانين
الموضوعية
البشرية وتقصها

واليقين يكون ذلك بالنظر الى شأن الاجتماع والمجتمع من هذا الحيث ولا يتعداه الى شئون اخرى تختص الافراد، من حيث هم افراد، بها فضلاً عن ان يتجاوز الى الغرض الاسنى من المراتب التي ينبغى ان يكون مرعياً للمقنن و ملحوظاً للشارع في مقام وضعه القانون .

اشارة الى
الاغراض
المرتبة على
وضع القوانين

وذلك لأن احسن الاغراض و اخصصها ، و ادون الغايات و انقصها فى مقام التشريع و وضع القانون ، هو ان يترتب عليه دفع التشاجر و الهرج و التكالب ، او دفعه ، و اشرفها و اسنئها ان يفوز الانسان ، بماله من الشئون و الجهات ، بكماله الاثم الاعلى ، فى تلك الشئون ، فيصير بمراعاة ذلك القانون و العمل به و اتباعه ، فى جسمه صحيحاً سالمأ نقيأ ، قوياً ، و فى روحه زكياً حكيماً عظيماً قوياً نقيأ ، و يصير عيشه فى الدنيا هنيئاً مريثاً بهيأ ، و حياته فى العقبى طيبة راضية مرضية ، و تكون نفسه باعتبار شخصه مستريحة مكرمة محترمة ، و مجتمعه منظماً راقياً معتدلاً ، و ما تقع بين تينك المررتين : الأخص و الأشرف ، من الأغراض متوسطة من حيث الخسة و الشرف ، كما بيناه فى محلته .

و قد بيناهنا ايضاً ان للاجتماع ، اى المجتمع ، كمالاً اولياً و له كمالاً ثانوياً و ما لعله يمكن ان يدركه و يحزره القوانين الموضوعة البشرية ، اذا فرضت كونها كاملة ، هو القسم الأول من الكمال و لا يمكن ان يتجاوزه الى القسم الثانى فهى بالنسبة الى هذا الشأن الواحد الناظر اليه من الشئون الستة ايضاً ناقص غير واف و اما القوانين الالهية فهى ناظرة الى قسمي الكمال محرزة لهما اى اذا عميل على و فقها يتم الكمال بقسميهما . فراجع و اغتنم .

٣٢ - تلخيص الكلام

و يناسب ان يلخص ما ذكر و يجمع ما بسط فنقول :

ملخص القول ومجمله :

انّ الانسان مطبوع على حبّ الكمال، مفطور على طلب الخير، مجبول على ارادة السعادة فيلزمه ان يسعى^١ ويجاهد و يجب عليه ان يسلك في طريق سعيه وسلوكه طريقا يوصله الى مراده و مطلوبه فعليه ان يعمل في حياته على نهج يناسب هذا المرام وان يعيش عيشاً يوافق هذا المقصود والمراد .

ثمّ انّ ممّا لامرية فيه ولا ريب يعتريه ان ذلك لا يتم له الا اذا كان له منهاج يشتمل على مواد مفصلة يتبيّن له منها ما يجب عليه ان يعمل او يجتنب عنه ومن جعل الوجدان قُدوته والانصاف اُسوته يذعن اذعاناً باتّاً بان رسم منهاج صحيح كامل وطرح برنامج وسيع كافل لبيان كل ما يجعل العمل على وفقه بهذا الانسان المطلوب غير مقدور للانسان بنفسه، كائنا من كان .

وضع القانون
الكامل غير مقدور
للانسان

او يمكن ان يحيط انسان على ما يحيطه من شئون افعاله و اقواله و افكاره و حر كاته و مسكوناته حتّى يتيسر له ان يُحصيها و ينظر اليها نظراً يمكنه من ان يعرف منها ما يصلح له و ينفعه بلحاظ جسمه و من جهة عيشه في النشأة الدنيا ثم يعلم علماً يقينياً بانّه لا يحدث من ناحيته اى ضرر بالمجتمع او بشخصه من حيث روحه و نفسه او من حيث حياته الخالدة في الدار الآخرة كى يصلح له ان يجعله بذلك الاعتبار، اعتبار انتفاع جسمه منه، من مواد برنامج و يثبت من انظمة منهاجه فيعمل بثبات القلب و شرح الصدر على وفقه؟ .

ام هل يمكن للانسان ان يعلم ما يمكن ان يضره في شان من الشئون الستة المزبورة و يحيط على جوانبها و على باقى الشئون و يقطع بانّه لا يوجد منه نفع له، ارجح و اكثر و اثر في شأن واحد من الشئون الأخر، او ازيد، حتى يلاحظه في رسمه و طرحه المواد و يراعيه في قرارات المنهاج و يحكم قطعياً بعدم المصلحة فيه و لزوم ترك العمل به؟

٣٣ - سرُّ التَّوَجُّه إلى مدعى الرِّسَالَة

فمن توجّه واعتقد بانّ للافعال البشرية باعتبار الشئون الستة المذكورة وجهَ خيرٍ ووجهَ شرٍّ وجانب نفعٍ وجانب ضررٍ وحيث صلاحٍ وحيث فسادٍ يعتقد جزماً في نفسه ووجدانه ، بل ويعترف بلسانه وبيانه ، بعدم احاطته ، بل وعدم وقوفه ، على نواحي تلك الشئون وجوانبها وعدم معرفته كيفية التفاعل الواقع بينها وحيث الكسر والانكسار ، الواقع في المصالح والمفاسد الكامنة فيها ، ووجه الرّاجح والمرجوح والغالب والمغلوب منها .

الانسان المتفكر
بالفطرة يتوجه
الى مدعى الرسالة

وحينئذ فبالضرورة يتوجه الى من ادعى الرسالة عن جانب الخالق العالم المحيط بكلّ تلك الشئون وجهاتها ، البصير الخبير بجميع الجوانب وكافة الكيفيات ، القادر الحكيم في صنعه وحكمه ، الرؤف الرحيم بخلقه وعباده ، فاذا شاهد من مدعى الرسالة ، المطلوبة ، دليلاً مؤمناً على صدق دعوئه ، وبيّنة قائمة على ما ادعاه ، يؤمن به ويصدقه وياخذ منه ضالته المنشودة ويتلقّى بوساطته شريعته المطلوبة المقصودة ويعتزم على السعي والجهاد بان يجعل اعماله منطبقة على موادّه المنصودة اى يتدين بشرعه ، ودينه و يتبعه في احكامه وقوانينه ، فيعتنق خيره وكماله ويحرز صلاحه وسعادته ويفوز فوزه ونجاحه .

« فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ . مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا مَرَدَ لَهُ مِنْ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ٤٣ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلَا نَفْسِهِمْ يُمَهِّدُونَ ٤٤ » (١) .

٣٤ - بماذا يُعرف صدق الرسول؟

خلق الانسان وارتكز في طبيئته حبّ الذات، الذي نشأ منه حبّ الجاه وحبّ المقام وحبّ السمعة والشهرة، بل وحبّ الحرّية والاستقلال والاستبداد، وحبّ عدم رئاسة الغير عليه، وشدّ أنّ يوجد انسان شاعر ولا يوجد في سويداء قلبه وسرّ ضميره حبّ الاستيلاء على غيره وحبّ السّلطة والرئاسة على بنى قومه، واردة الحكومة ونفوذ الأمر في ابناء نوعه، فيمكن ان يحدث منه فيه داعية الرسالة فتصير الدواعي بحسب تكثّر افراد الأنسان في ادوار وجوده واقطار بروزه وسكونه متوافرة متكاثرة .

فينشأ من تلك الدواعي دعاوى مختلفة متهافئة متعارضة : حقّة وباطلة، فيقع الخلط والامتزاج بين الحقّ والباطل، اذا فرض حقّ بينها، ويتحقّق الشكّك والأرتياب في مقام مميّز الصادق عن الكاذب، ويخفى الحقّ المرغوب، ويشبه الأمر المطلوب على الطالب المحجوب، وينسبّ باب الوصول الى الخير والكمال ويضلّ السالك عن طريق الحقّ وادراك الصواب .

ضرورة وجود
ميزان لتمييز الحق
من الباطل في
دعاوى الرسالة

هذا مع غمض العين ممّا يحدث عنها من التزاحم والتشاجر بين الأفراد ويرتّب عليها من التنافر والتباعد والأفتراق في المجتمع فيصير الاجتماع الذي اقتضاه طباع البشر، ويلزمه بقاء النوع وحياة الأشخاص، معرّضاً للزوال ويقوم الأفتراق والأختلال والأنحلال، محلّ مازال .

وعلى هذا فلامناس عن وجود « ميزان » يوزن به تلك الدعاوى فيميّز الحقّ ويجب ان يكون هنا دليل يُستدلّ به على صدق الصادق وميْحَكك يُعرف به المسموّه والمغشوش، ألا وهو ما اصطلح عليه عنوان المعجزة .

فالمعجزة معيار يُعرف به الصدق وبرهان يُحتجّ به للحقّ وميْحَكك يُمتاز

به الخالص من المشوب و الخليط ، واصل^١ ثابت يحقّ ان يُستند اليه لعرفان الحقّ واثبات الحقيقة ، وهي الوسيلة الوحيدة الوثيقة لمعرفة حقيقة دعوى المدعى والمعيار المعتمد الدقيق لتمييز النبى من المتنبى .

ولعلّ البشر من اقدم ازمنة وجوده وحياته كان متوجّهاً الى ذلك كما انه بلا شكّ عرف اول الالباب منهم ، هذا الميزان الفصل والمعيار الجذّال وعرّفوه للناس فاستندوا اليه واعتمدوا عليه وعرّفوا الرسالة الحقيقة به واذعنوا للرسول الصادق باتّكائه فخضعوا لأدعائه ، باطاعته واتباعه .

٣٥ - ما هي المعجزة ؟

اذا ادعى شخص انه رسول من الله^(١) الى العباد ، مبعوث لهداية الخلق والارشاد ، وادعى ايضاً ان الله ، تعالى شأنه ، مكّنه ان يفعل ما لا يقدر ان يفعله غيره من افراد

١ - وعلى هذا فتقييد « المعجزة بكون المدعى ، ممكن الصدق في دعواه ، كى يخرج منها ما اذا امتنع صدقه بحكم العقل ، كما اذا ادعى انه اله ، او بحكم النقل الثابت كما اذا ادعى احد النبوة بعد نبى الاسلام المقطوع بالنقل الثابت خاتميته » (كما وقع عن بعض اجلة المعاصرين فى مقدمة تفسيره) قيد زائد مستغنى عنه بل قد يكون مفسداً ولا يصلحه القول بانه « واذا كانت الدعوى باطلة قطعاً فماذا يفيد الشاهد اذا اقامه المدعى ؟ ولا يجب على الله ، جل شأنه ، ان يبطل ذلك بعد حكم العقل باستحالة دعواه وشهادة النقل ببطلانها » وذلك لان المعجزة ، اصطلاحاً ، تختص بما يأتى به مدعى الرسالة ، لا غيره ممن يدعى غيرها ، وتلك الدعوى ممكنة الصدق مطلقاً لانه لو سلم انه « لا يجب على الله جل شأنه ، ان يبطل ذلك بعد شهادة النقل .. » فلا يسلم انه يجوز على الله ان يمكنه من ذلك و يقدره عليها بل ان يمكنه بشرائطها ومقوماتها تكون حجة قطعاً ولا بد ان يتصرف فى النقل الثابت ويؤول كما هو شأن التعارض بين العقل والنقل مطلقاً والا لم تكن المعجزة حجة اصلاً فتدبر .

الانسان ، خرقاً للعادة ، فيقدر ان يشفى باذن الله مريضاً ، من دون ان يتوسل لعمله هذا بوسائل عادية يعتاد التوسل بها للتوصل اليه ، او ان يُحيى ميتاً ، وامثال ذلك من خوارق العادة ، كذلك . فيقال لادعاء هذا التمكّن والاقْتدار : التَّحْدَى ولعمله المخارق للعادة ، عقيب هذا التحدى : المعجزة .

فالمعجزة عملٌ يصدر عن مدعى الرّسالة على خلاف مجارى العادة عقيب «التَّحْدَى» موافقاً لما ادّعاه نفس الرّسول ، او اقترح عليه غيره ، وتحرى منه للتسليم لقوله والقبول ، مشروطاً فيها عدم تمكّن غيره من معارضته بأتيان مثله و بهذه المناسبة سُمّيت المعجزة : «معجزة» لأنّ من شرطها ان يكون غير الرّسول عاجزاً عن معارضته ، غير متمكّن على الأتيان بمثل ما جاء به الرّسول من معجزته .

٣٦ - فقوام المعجزة بأمر :

- ١ - ادعاء البعث عن جانب الله بالرّسالة .
- ٢ - ادعاء القدرة على اعمال خارقة للعادة (التحدى) .
- ٣ - صدور تلك الاعمال منه بعد الأداء .
- ٤ - كون العمل المخارق موافقاً لما ادّعاه نفسه ، او لما اقترح عليه وتحرى منه .
- ٥ - عدم تمكّن غيره على معارضته وعلى الأتيان بما يكون مماثلاً لعمله وعلى شاكلته .

عناصر المعجزة
واركانها

فاذا تمّت هذه الأمور تحققت «المعجزة» فيظهر صدق الرّسول وتطمئن النفوس وتخضع للايمان به والاعتراف برسالته والتسليم للعمل على وفق منهاجه ولزوم الأطاعة عن دُستوره وبرنامجه .

ومن هذا الباب ماورد في كتاب الله ، القرآن ، فى شأن نفسه وفى بيان كونه معجزة الرّسول وبيّنة صريحة لرسالته وبعثه ، بل وفى مقام الأشارة الى كون هذه الرّسالة ، لتمامها

وكمالها ، باقية دائمة لأجل كون معجزتها قائمة خالدة . قوله تعالى :

«وَأَن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمِّثْلِهِ
وَادْعُوا شُهَدَائِكُمْ مِمَّن دُونِ اللَّهِ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٢٣ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَئِن
تَفْعَلُوا... » ٢٤ (١)

٣٧ - عرفان الرسالة بنفسها

يعجبني ان اذكر هنا ما تذكرته ، بعد ما ذكرت حقيقة المعجزة وكونها دليلاً
معتمداً مستنداً للعموم ، بها يمتاز الصادق عن الكاذب و يُعرف الرسول الحق وقيل ان
اذكر واشير الى خواص الرسول الثلاثة ، وهو امر جليل ينبغى ان يُعَدَّ التصريح به ، ان
صُرِّحَ به في دين ، كما صُرِّحَ به في دين الاسلام ، اقوى من اية معجزة وادل من اى
دليل عند الخواص وهو على ما روى من طريق محدثي الشيعة (٢) عن علي أمير المؤمنين
في طي حديث :

« اِعْرِفُوا اللَّهَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولَ بِالرَّسَالَةِ وَأُولَى الْأَمْرِ بِالْعَدْلِ وَالْأَحْسَانَ »
فانظر الى هذا الميزان القويم والمعياري الدقيق التسليم لمعرفة الرسول .
اترى ، واريك اهلاً للتدبر والتفكير ومن اولى الأبواب وذوى الانصاف ،
ان يوجد ميزان للخواص انسب وادق وارغب واقرب من هذا الميزان ؟
او هل تظن ان يكون هنا عاقل لبيب ، لا يحصل له كمال الأطمينان بصحة دعوى
من ينادى جهاراً وبصوته العالى : « اِعْرِفُوا الرَّسُولَ بِالرَّسَالَةِ » مشيراً به الى متانة

١ - من السورة الثانية (البقرة) .

٢ - رواه ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني (المتوفى ٣٢٩) فى الكافي ص ٤١
بأسناده عن المفضل بن السكن عن ابي عبدالله (ع) قال: قال امير المؤمنين عليه السلام...
ورواه صدوق الرواة والمحدثين محمد بن على بن بابويه القمي (المتوفى ٣٨١ هـ . ق) فى
كتاب التوحيد ص ٢٩٧ بأسناده عن فضل بن شاذان عن ابي عبدالله... »

برنامجهِ وصحةً منهاجه وحقيةً رسالته؟

أو هل يتصور ان يقترح من لا يطمئن بصدق دعواه ، فضلاً عن اطمينانه بكذبه في ما ادعاه ، لمن يدعوه الى نفسه باسم الرسالة ، سلوك هذا الطريق والتمسكك بهذا المحكك الدقيق وان يأمر الناس لمعرفة صدقه في دعوئه بقوله لهم :

« اعرفوا الرسول ، بالرسالة ؟ » كلاً ثم كلاً .

ثم آعيد النظر الى دين الاسلام وانظر كيف يسوق الناس ويرشدهم الى التفقه والتدبر والتعقل والتفكير والعلم ولايبالي ان يتفرع عليه ان يتفرع عليه ان يحدث منه توهم نقص وفتور في ناحية مما جاء به وارشد اليه بل يكون مطمئناً بان الالباب القوية والعقول السليمة والأفكار الناقدة والبصائر النافذة تجد عند الغور في احكام منهاجه ، ومواد دستوراته ، ضاللتها المشوذة بالفطرة وتكسب برنامجهُ الذي يفوز الانسان بمتابعته واطاعته خيره وسعادته المطلوبة المقصودة .

نعم ، الاسلام يذكر الناس بما في الدين والقرآن المبين :

« ان في ذالك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » ٣٧ (١) .

ويعبر من يغفل عن التدبر في الرسالة ويوقظه بما يقول :

« افلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها » ٢٤ (٢) .

ويأمرهم صريحاً بعرفان اكمل الموازين وادقها واقومها ، لأهلها ، ومتابعته :

« اعرفوا الرسول بالرسالة » .

فانظر هل ترى في منهاج الحق ودين الرحمن واحكام القرآن من تفاوت وارجع البصر هل ترى فيه من نقص وفتور؟ ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئاً وهو حسير . فاستبصر واتبع الحق وكن من الموقنين .

١ - من السورة ال ٥٠ (سورة ق) .

٢ - من السورة ال ٤٧ (سورة محمد «ص») .

٣٨- خواص الرسول الذاتية

ما ذكرناه من « المعجزة » للعموم و « عرفان الرسالة » للخواص ، في مقام معرفة الرسول وتحقيق رسالته وتصديق شريعته والأيمان بدينه ، يكون طريقاً انسياً لمعرفة ما يجب ان يكون في الرسول بما هو رسول وبحسب رسالته اى يكون نتيجة لما هو في شخص الرسول ، بما هو رسول ، من الخواص والصفات اللازمة قصارى الأمر أن « المعجزة » ، التي هي من الآثار الخاصة العملية ، التي هي القدرة على الأتيان بما ادعى عليه ، وتحديثاً به ودعائيه ، طريق عام ينتفع به العامي والخاصي لكن « عرفان الرسالة » ، التي هي من الآثار الخاصة العملية ، التي هي معرفة حقائق الاشياء والعلم بتوابع الأعمال وروابط الأفعال وآثار الحركات ونتائج السكونات ، طريق خاص لا يتمكن من سلوكه والأستفادة منه والأستدلال به والغور فيه إلا من كان له عقل سالم وفهم واسع وفكر صائب ودرك غائر ونظر نافذ واسخ .

واما ما يجب ان يكون الرسول ، في ذاته ولذاته ، متصفاً بها كى يصح باستنادها اتصافه بالرسالة وكانت بالحقيقة كالمبدء لصدور « المعجزة » منه والمنشأ لتمكّنه عن الأتيان بـ « الرسالة » الصادقة الصّحيحة المستقيمة الكاملة كى يصح لمن عرف وجودها فيه ان يستدل بها بطريق « اللّم » على صدقه في دعواه وعلى حقبة الرسالة وما ادّعاها . فهي كما تقرر في الحكمة الايمانية والفلسفة البرهانية خواص ثلاثة :

الأولى - ان يكون بحسب قوته « المتصرفة »^(١) التي تسمى « بقوة المفكرة »^(١)

١ - هذه قوة مشتركة بين الانسان وغيره من الحيوانات فاذا استعملها الانسان باستخدام عقله اياها تسمى بـ « المفكرة » واذا استعملها الحيوان او الانسان باستخدام « الوهم » اياها تسمى « المتخيلة » .

كاملاً غاية الكمال بحيث يتحقق ، بل يتيسر له ويسهل عليه ، شهود ما نزل من باطنه المقدس ، من الصور والهيآت الشريفة الملكوتية الى حسه المشترك فيرى^١ ويسمع ما نزل فيه وبرز عليه كما يرى^١ ويسمع ما يصعد اليه من الخارج ومن عالم الناسوت بلاتفاوت في تلك المشاهدة والسماع^(١).

الثانية - ان يكون بحسب قوته العلامة في غاية الاستداد والكمال بحيث يتجلى له الاشياء بحقائقها وبنسبها وروابطها ، فيرى العلل والمعلولات مترتبة والأسباب ومسبباتها منظمة والملزومات ولوازمها متوالية متسقة فتكون الأمور كلها مكشوفة لديه ولا يخفى عليه شيء ولا يغيب عنه امر ، إلا ما استأثر الله تبارك وتعالى علمه لذاته من مساتير غيبه .

الثالثة - ان يكون بحسب قوته العمالة بمرتبة يتمكن معها من التصرف في عالم الطبيعة واقليم المادة بما شاء واراد ، اذا شاء واراد ، فكان كل جسم ومادة ، بل وجسم الكل ومادة الكل ، تحت ارادته وطوع رغبته ومشيته ، وهذا كما يكون جسم كل شخص وكل اعضاء بدنه تحت قدرته وارادته مطيعا لمشيته ورغبته .

هذه هي الخواص التي لا بد وان يكون لأنسان حتى يصدق عليه انه رسول ويجب على غيره ان يصدقه ، لمصلحة نفسه ، ويتلقى ما آتاه من الرسالة بالقبول والتسليم ويتحرى للعمل بما قرّر له النبي الكريم .

فبالخاصة الأولى ينزل روح القدس الامين بما ينبغي له على قلبه المكين فيبصر

الخواص الثلاثة
الجوهرية
الرسول

٢ - مناط الاحساس في جميع الحواس ، على ما تقرر في محله ، هو حضور المحسوس في « الحس المشترك » (بنطاسيا) ليس الا بالمحسوس ، مرئياً كان او مسموعاً او غيرها لا تصير محسوسة الا بصعودها من باب حاسته المخصوصة الى القوة المسماة بالحس المشترك فالمحسوس محسوس لكونه في تلك القوة ولتقررها فيها لالكونها في حاستها الخاصة . وعلى هذا فما يدركه الانسان في حسه المشترك فهو يكون محسوساً له حقيقة سواء اصعد اليه من الخارج ومن ابواب حواسه الظاهرة فتقرر فيه ، ام هبط اليه من الداخل ومن طريق حواسه الباطنة فتوطن فيه . فتبصر .

ويشاهد الملائكة المقرَّبين ويسمع كلام الله المبين فيأخذ بالوحي من الخالق، ويُعطى بالرسالة للمخلوق ويصير بهذه الخاصَّة ممتازاً عن سائر البشر فيحقِّق له ان يقول: « إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ... »

وبالخاصَّة الثانية يعلم الكتاب والحكمة ويطهر ويزكِّي الأُمَّة ويعطيهم الثَّقَلِ الأكبر والمنهاج الأعظم و يشرع لهم الدُّسُور الأتمَّ الاكمل كي يعرفه الخواصَّ بنفس « الرِّسَالَة » فيتبعونه فيفوزون بما قَدَّر لهم من السَّعادة .

وبالخاصَّة الثالثة يأتي بـ « المعجزة »، حتَّى يتمَّ على العوامِّ ايضاً الحجَّة ولا يبقى لأحد سبيل الى العذر والمجمجة بل الكلَّ يعرفون صدقه فيؤمنون به ويطيعونه .

٣٩- ختام

قد اشترت في اوائل البحث عن « الرِّسَالَة ودلائلها » بانَّ الاستفادة من بعض الأحاديث والأخبار ما يناسب « دليل اللُّطف » فلنجعل ختام هذا البحث حديثاً منها .
قال الصادق عليه السلام، في حديث طويل اجاب فيه عمَّا سئله عنه بعض الزنادقة ومنه « فمن اين اثبت انبياء ورسلاً » :

« انَّا لَمَّا اثبتنا انَّ لنا خالقاً صانعاً متعالياً عنَّا وعن جميع ما خلق، وكان ذلك الصانع حكيماً لم يجزان يشاهده خلقه، لا يلامسُوهم ولا يلامسوه ولا يباشروهم ولا يباشروه ولا يحاجُّهم ولا يحاجُّوه فثبت انَّ له سفراءَ في خلقه وعباده يدلوْنهم على مصالحهم ومنافعهم وما به بقاؤهم وفي تركه فناؤهم فثبت الآمرون والنَّاهون عن الحكيم العليم في خلقه ويثبت عند ذلك انَّ له معبِّرين وهم الانبياء وصفوته من خلقه، حكماء مؤدِّبين بالحكمة مبعوثين بها غير مشاركين للنَّاس في احوالهم على مشاركتهم لهم في الخلق والتركيب، مؤيِّدين من عند الله الحكيم العليم، بالحكمة والدلائل والبراهين والشواهد من احياء الموتى وابرء الأكمه والأبرص ، فلاتخلو ارض الله من حجَّة يكون معه علم يدلُّ على صدق مقال الرِّسُول ووجوب عدالته » .

« وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا
فَاتَّبِعُوا بَيِّنَاتٍ مِّنْ مِّثْلِهِ .
وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
فَأَنْ لَّمْ تَفْعَلُوا، وَلَنْ تَفْعَلُوا، فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي
وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ... »

- ١ - الأديان المشهورة الفاضلة .
- ٢ - الكتب المعروفة السماوية .
- ٣ - القرآن المجيد .
- ٤ - احياء القرآن ذكر الانبياء .
- ٥ - نماذج مما نزل في القرآن بشأن موسى وعيسى .
- ٦ - نبذة مما نزل في القرآن في شان القديسة ، مريم .
- ٧ - تصريح القرآن ببشارة الانبياء السالفة في كتبهم .
- ٨ - عمومية دعوة القرآن .
- ٩ - اهمّ مزايا القرآن (فيه اشارات) .
- ١٠ - اسلوب التحدّي بالقرآن .
- ١١ - وجوه اعجاز القرآن .
- ١٢ - وجه خاص للمؤلف .

٣ - حول الأديان الفاضلة والكتب

المنزلة والأشارة الى

اهمّ مزايا القرآن الكريم :

٤٠ - الأديان المشهورة الفاضلة والنظر فيها

« كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ... ٢١٣ » (١).

وردت في الكتب الدينية ، ولاسيما الإسلاميات منها ، تلويحات وتصريحات الى ظهور اديان عديدة في العالم والى اسامي انبياء ورُسُل كثيرة حتى اشتهر بين الناس ودار على الألسنة والأفواه ان عدّة الأنبياء تبلغ ماة الف واربعة وعشرون الف نبى . قال البيضاوى (٢) في تفسيره ذيل آية « وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ... » من سورة الحج :

« الرَّسُولُ مِنْ بَعَثَهُ اللَّهُ بِشَرِيعَةٍ مُجَدِّدَةٍ يَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهَا .

« وَالنَّبِيُّ يَعْمَهُ وَمَنْ بَعَثَهُ لِتَقْرِيرِ شَرَعٍ سَابِقٍ ، كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَانُوا بَيْنَ مُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، وَلِذَلِكَ شَبَّهَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عُلَمَاءَ أُمَّتِهِ بِهِمْ .

« فَالنَّبِيُّ أَعَمُّ مِنَ الرَّسُولِ . وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سُئِلَ عَنْ الْأَنْبِيَاءِ فَقَالَ :

« مِائَةُ أَلْفٍ وَارْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا . » (٣)

١ - من السورة الـ ٢ (البقرة).

٢ - القاضي عبدالله بن عمر بن محمد بن علي الفارسي الأشعري الشافعي صاحب التفسير المشهور (انوار التنزيل وحقائق التأويل) (المتوفى سنة ٦٨٥ هـ.ق).

٣ - وفي « العقد الفريد » الجزء السابع ص ٣٠١ ومن حديث ابي رافع عن ابي ذر قال: قلت: يا رسول الله صلى الله عليك، كم عدد النبيين؟ قال: مائة الف واربعة وعشرون الفا.

« قيل : فكم الرّسل منهم ؟ قال : ثلاثمائة وثلاثة عشر جماً غفيرا . »
وكيف كانت تلك الكميّة وايّة عدّة كان عدد الأديان الحقّة فلسنا في هذا المقام
بصدد التّحقيق والتّعيين وانّما نريد ان نشير الى الأفضل الأشهر الأقوم منها ، بحسب
ما يعتقده اهل الاسلام ، فنقول :

انّ اشهر الأديان الفاضلة التي تكون لكلّ منها ائباع يعتدّ بها من حيث الكميّة
والكفيّة واعترف بها المسلمون ثلاثة :

١ - دين اليهود .

٢ - دين النصارى .

٣ - دين الإسلام .

والرّسول الذي جاء باوّل هذه الثلاثة هو موسى بن عمران ، الكليم ، وبثانيتها هو
عيسى بن مريم ، المسيح ، وبالثالثها محمد بن عبد الله ، الحبيب .

« شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا ، وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ، وَلَا تَتَفَرَّقُوا
فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ... ١٣ »^(١).

٤١ - الكتب المنزّلة

الكتب التي ارسل الله هؤلاء الرّسل بها الى النّاس ، وهي الاساس لأديانهم
وشرائعهم والمنهاج لهدايتهم ، هي بترتيب اساميهم المزبورة :

١ - التّوراة .

٢ - الأنجيل .

١ - من السورة الـ ٤٢ (سورة الشورى) .

٣ - القرآن المجيد .

فتلك هي امتهات الشرائع الالهية المشهورة وهؤلاء هم اساطين الانبياء الحقمة والرسل الصادقة وهذه هي المهمات من الكتب السماوية التي لكل منها اتباع كثيرة تتجاوز الآن عن مات ملايين .

من بين تلك الكتب المذكورة الموجودة الدينية يختص القرآن بأمر هام يجب على طالب الشرع القويم والفاحص عن الدين الحق والساعي في سبيل تحصيل البرنامج السوي والمنهاج المستوي ان لا يغفل عنه وان يتأمل فيه تأملاً عميقاً دقيقاً وهو الفارق الذي بينه وبينهما من حيث الأستناد و باعتبار السند .

فالتوراة الموجودة ، باعتبار من اليهود انفسهم ، ليست عين الألواح النازلة على الرسول المصدق ، موسى بن عمران الكليم ، بل هو كتاب جُمع بعد وفاة موسى بمدة تتجاوز عن خمسين سنة وقد يوجد في نفس هذا الموجود من التوراة شواهد بيّنة تنادي بهذه الحقيقة .

قال الفاضل المعاصر المصري . محمد فريد وجدى ، في كتابه « دائرة المعارف » بعد ما قال : « يطلق اسم التوروية على الخمسة الكتب الاولى من « الكتاب المقدس » عند المسيحيين ومعنى « التوراة » ، « القانون » باللغة العبرية :

« جاء في دائرة معارف لاروس تحت كلمة « توراة » ما يأتي :

« العلم العصري ولاسيما النقاد الالمانى قد اثبت بعد ابحاث مستفيضة في الآثار القديمة والتاريخ وعلم اللغات ان التوروية لم يكتبها موسى وانها عمل احبار لم يذكروا اسمهم عليها ، التفوها على التعاقب ، معتمدين في تأليفها على رواية سماعية سمعوها قبل اسر با بيل ، بل ذهب بعض العلماء الى ان هذه الأسفار الخمسة ليس فيها كل الروايات الاسرائيلية ولكنها تحتوي فقط على اشارات ورموز وحكايات وان هجرة مصر ، ما هي الا قصة وهمية ، او حادثة رمزية ، ليس لها ادنى اصل حقيقي » انتهى .

« السامرة ، لهم توراة تخالف توروية اليهود وليس يعرف زمن ظهور هذه التوراة

التوراة غير
الألواح

تعدد التوراة
كالانجيل ،
والاختلاف
في نسخها

السامريه وقد اجتهد العلماء في تحديد زمانها فلم يوفقوا له .

« والذي يُعرف انه كان الى القرن السادس عشر مجهولاً وفي السابع عشر جلب العالم ايسريوس نسخاً منه من الشرق وفي الوقت نفسه جلب المسيوهارلى دوسانس سفير فرنسا لى تركيا ، نسخة منه مع كتب آخره انتهى ما قاله محمد فريد وجدى . وكذا الأناجيل الموجودة المتداولة ليس ولا واحد منها نفس الأناجيل الذى نزل على الرسول المعظم ، عيسى بن مريم ، بل جُمعت هذه الأناجيل بعد ان رُفِع عيسى الى بارئه تعالى ، وتأخر الجمع عن الرقع بسنين كثيرة لا يقل اقلها تأخيراً ، عن مدة ثلاثين سنة .

قال الفاضل المعاصر فى كتابه المذكور آنفاً ذيل كلمة « الانجيل » :

« الأناجيل عندنا هو الكتاب الذى انزله الله على رسوله الأمين عيسى . . . اما عند المسيحيين يطلق على الكتب الأربعة ، التى هى انجيل متى وانجيل مرقس وانجيل لوقا وانجيل يوحنا التى هى تراجم حياة عيسى (ع) وفيها اقواله وآدابه واعماله . « انجيل متى » هو اقدم الأناجيل الأربعة كُتِب بعد عيسى (ع) بثلاثين سنة فى اورشليم باللغة العبرية .

تاريخ جمع
الانجيل الاربعه

« انجيل مرقس كُتِب باللغة اليونانية فى روما بعد انجيل متى ونشر حوالى سنة ٦٦١ اى بعده بنحو ثلاثين سنة .

« انجيل لوقا هو الثالث ، وكُتِب بعد السابقين .

« انجيل يوحنا كُتِب بعد موت المسيح (ع) بستين سنة اى سنة (٩٣) (يعنى بعد الميلاد) .

« هذه الأناجيل هى التى اصطلحت عليها الكنيسة المسيحية واعتبرتها حياً وحياً كاتيبها من الله تعالى ولكن وجدت اناجيل اخرى . منها :

« انجيل : ميلاد مريم وطفولة المسيح » نشره العلامة نهيلىو . . .

« انجيل « توما الاسرائيلى » .

« انجيل » جاك الاصغر .

« انجيل » نيكوديم « قالت دائرة المعارف القرن التاسع عشر: يصعب ان يتصور

انجيل اخر غير
الاربعة المشهور

الانسان اليوم ما كان لهذا الانجيل من الاقبال فى كلّ الأجيال الوسطى الى القرن
الخامس عشر .

« انجيل » الطّفولة « هذا الأنجيل قديم جداً وكان منسوباً للحوارى

بطرس

« انجيل » برنابا « وترجم للانكليزية وطبع بها مرارا وهو موافق لما جاء

فى القرآن من ناحية عدم صلب عيسى (ع) وغير ذلك .

« انجيل » مرسيون « هذا الأنجيل تعتبر عند الطائفة المرسيونية . . .

« اوجزنا هذا الفصل من دائرة معارف القرن التاسع عشر الفرنسية « انتهى ما

اورده محمد فريد وجدى فى دائرة المعارف .

هذا كله مع ان الإنجيل ، كما علمت ، تعددت مجاميعه و اختلفت مضامينه

وصار متعددآ بعد ما كان واحدا فالموجود المعروف منها ما نُسب جمعه الى متى ثم

مانسب الى مرقس ثم ما نسب جمعه الى لوقا ثم ما نسب جمعه الى يوحنا ثم الخامس

منها الذى ينسب الى برنابا وهكذا عدة اناجيل اُخر نسب جمعها الى آباء عُمَد ولكن

المشهور المعتمد عند المسيحيين فى عصرنا من تلك الأناجيل هو الأربعة الأوّل .

وكيف كان فمما لامرية فيه ان ما جاء به عيسى لم يكن الا واحداً ، لا اربعا

تختلف كلٌّ مع الآخر فى بعض العبارات والمضامين والمقاصد ، وهذا امر ظاهر لمن

راجع اليها .

اضف الى هذه كلها ان فى هذه الأناجيل توجد ما ينادى بأصرح تعبير واعلى

صوت بانها حكاية حال المسيح (ع) بعد رفعه وصعوده الى الملكوت الاعلى وقراره عند

ربه فى رحمته العليا .

هذا حال التوراة والانجيل الموجودين بين ايدى الفريقين ومع هذا ينسب ان الى

الرسولين العظيمين فلننظر الآن الى القرآن .

٤٢ - القرآن المجيد

اما القرآن فقد اتفق الكل على انه هو الذي امر بجمعه ونظمه وحفظه بعينه ، محمد بن عبد الله ، الجائي به من عند ربه ، وتحقق التواتر المفيد للمقطع واليقين بانته هو الذي حفظه وضبطه وكتبه في حياة خاتم النبيين ، بل وحين ما نزل به الروح الأمين ، جمع من صحابته المقرين .

فالقرآن الموجود بايدي المسلمين هو عين ما جاء به محمد ، الرسول الصادق الأمين ، وادعى انه نزل به الروح الأمين من عالم الملكوت ، ونشأة القدس ومقام الفيض الاقدس ، على قلبه الزكي الطاهر المقدس .

فانتساب القرآن ، هذا الكتاب المنتشر في كل الاقاليم وفي جميع البلاد وتمام الاصقاع من العالم بعينه ، المحفوظة ، الى الرسول الصادق الأمين ، محمد بن عبد الله خاتم النبيين ، امر ضروري مقطوع به لا عند المسلمين فقط بل عند اتباع التوراة والانجيل ايضا .

هذا مع عدم توهم تحريف او تخيل تصحيف فيه ومع عدم زيادة او نقص يعتريه . وليُصَف الى هذه الميزة والخصوصية خصوصيات اُخر تمتاز بها القرآن من ذينك الكتابين وتتفوق عليهما تفوقا جلياً ينبغي لمن يتوخى الحق ويتحرى الحقيقة ويتصدى للتحقيق ان يتوجه اليها ويتدبر فيها واعتبر بها واستبصر منها .

فالضعيف المسود لهذه الوريقات خدمة لسؤالك طريق التحرر واجابة للتمس طلب السعادة والخير والترقي ، ودعاية لأداء ما يجب على ذمة العلم من لزوم ادائه الى الغير المتلقى يشير هنا الى ثلاثة منها .

- ١ - احياء القرآن ذكر الانبياء بالقداسة والتمجيد .
- ٢ - تصريح القرآن بيشارة الانبياء السالفة لبعثة رسول الاسلام .
- ٣ - عمومية دعوة القرآن لجميع الناس في كل مكان وكل زمان الى يوم القيام .

٤٣ - احياء القرآن ذكر الانبياء والرسل

مما يتجلى^١ في القرآن المجيد من خصوصياته السامية هو انه احبب ذكر الانبياء والرسل السالفة وعدّ منهم عدّة من اولى العزيمة وغيرهم وعرّفهم ومجّدهم وبعثهم وصدّقهم بل وامر المؤمنين بالايمان بهم فأتى ما يتلى عليك من الآيات:

فمما نزلت في شأن جمع منهم على سبيل الاجتماع قوله تعالى :

« واذكُرْ عبادنا ابراهيمَ واسحقَ ويعقوبَ اولى الأيدي والآبصار ٤٥ انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار ٤٦ وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار ٤٧ واذكُرْ اسمعيلَ واليسعَ وذا الكفّلِ وكلّ من الاخيار ٤٨ »^١ .

ومما نزلت في شأن بعضهم على سبيل الانفراد قوله تعالى :

« ... واذكُرْ عبيدنا داودَ ذا الأيدِ ... الآيات ٢ .

وقوله تعالى : « يا داود انا جعلناك خليفة في الارض ... الآية ٣ .

ومما نزلت في شأن الإيمان بهم :

« قُولُوا : آمنا بالله وما أنزل الينا وما نزل الى ابراهيمَ واسماعيلَ واسحقَ ويعقوبَ والاسباط وما اوتى موسى وعيسى^١ وما اوتى النبيون من ربهم لانفراق بين احد منهم ونحن له مسلمون ١٣٦ »^(٣) .

١ - السورة ال ٣٨ (ص) .

٢ - السورة ال ٣٨ (ص) .

٣ - السورة ال ٢ (الهمزة) .

اشار القرآن الى قصّة حياة الأنبياء والى امتهات معجزاتهم وكيفية دعوتهم وابتلائهم بجهالة أممهم العادية الجائرة .

اشارات القرآن
الى الانبياء
ومعجزاتهم

فذكر نشأة موسى ودعوته ومعجزاته، من يده البيضاء وصيرورة عصاه حية تسعى، وبين كيفية تكون عيسى ووضع ولادته وحالة نكلمته في مهده واتيانه النبوة والحكمة صبيياً، وصرح بمعجزاته، من شفائه الأكمه والأبرص واحيائه الموتى^١، وبالجملة ذكر القرآن، الناس بايام الله لعلمهم يعقلون فيهدون .

وردت في القرآن المجيد آيات عدة في شأن موسى واخيه هرون وكيفية دعوتهما والأتيان بالمعجزة وفق الدعوة . وكذا في شأن عيسى وامه، وطهارة ذيلها وقداسته ذاتها وبرائة ساحتها مما توهم او تُفوه في حقها . نورد هنا انموذجاً من الآيات - الشريفه .

٤٥ - آيات من القرآن في حق موسى وشأن عيسى^١

ما نُزّلت في القرآن المجيد في حقّ الكليم وشأن الكلمة (المسيح) على انحاء بعضها يكون مشتركاً بينهما وبعضها يكون مختصاً بكل واحد منهما :

فمما نُزّلت في شأنهما وفي شأن ما نُزل عليهما من الكتاب مشتركاً :

١ - قوله تعالى : « ولقد آتينا موسى الكتابَ وقفينا من بعده بالرسول ، وآتينا

عيسى بن مريم البيّناتِ وايدناه بروح القدس ... ٨٧٠ »^١ .

٢ - قوله تعالى : « تلك الرُّسل فضلنا بعضهم على بعض ، منهم من كلم الله ورفع

بعضهم درجات ، وآتينا عيسى بن مريم البيّناتِ وايدناه بروح القدس ... ٢٥٣ »^(٢)

٣ - قوله تعالى : « وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من

التوراة وآتيناه الأنجيل فيه هدىّ ونوراً ومصداقاً لما بين يديه من التوراة وهدىّ

الآيات النازلة من
القرآن في حق
موسى وعيسى
وكما بهما

وموعظة للمتقين ٤٦ » ١ .

ومما نزلت مختصةً بشأن موسى وشأن ما انزل اليه :

١ - قوله تعالى : « واذآتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدُونَ » ٢ .

٢ - قوله تعالى : « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسئل بني اسرائيل

اذجائهم ... ١٠١ » ٣ .

٣ - قوله تعالى : « واذاستسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر

فانبعجت منه اثنا عشرة عينا قد علم كل اناس مشربهم ، كلوا واشربوا من رزق

الله ... ١٦٠ » ٤ .

ومما نزلت مختصةً بشأن عيسى وكتابه ومعجزاته :

١ - قوله تعالى :

« اذقال الله : يا عيسى بن مريم ، اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك

بروح القدس تكلم الناس في المهد و كهلاً ، واذ علمت الكتاب والحكمة والتوراة

والانجيل ، واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيراً باذني

وتبرئ الاكمه والابرس باذني واذ كففت بني اسرائيل عنك اذجتتهم بالبينات

فقال الذين كفروا منهم ان هدا الا سحر مبين ١١٠ » ٥ .

٢ - قوله تعالى :

« واذ اوحيت الى الحواريين ان آمنوا بي وبرسولي قالوا : آمنا ، واشهدنا

باننا مسلمون ١١١ واذ قال الحواريون : يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان

ينزل علينا مائدة من السماء قال : اتقوا الله ان كنتم مؤمنين ١١٢ قالوا : نريد

ان ناكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم ان قد صدقتنا ونكون عليها من

١ - السورة الخامسة (المائدة) .

٢ - السورة الثانية (البقرة) .

٣ - السورة ال ٢ (البقرة) .

٤ - السورة السابعة (الاعراف)

٥ - السورة الخامسة (المائدة) .

مِنَ الشَّاهِدِينَ ١١٣» .

« قال عيسى بن مريم : اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيِّداً لأولينا وآخرنا وآية منك وارزقنا وانت خير الرازقين ١١٤ » ١ .
٣ - قوله تعالى :

« واذا قال الله : يا عيسى بن مريم ائتني من السماء مائدة مني وامني الهين من دون الله ؟ قال : سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ، ان كنت قلتُه فقد علمته تعلم ما في نفسي ، ولا اعلم ما في نفسك ، انت علام الغيوب ١١٦ ما قلت لهم الا ما امرتني به : ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ، فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شئ شهيد ١١٧ » ٢ .
٤ - قوله تعالى :

« يا اهل الكتاب لاتعلموا في دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق ، انما المسيح عيسى بن مريم ، رسول الله وكلمته ، القاها الى مريم ، وروح منه ، فآمنوا بالله ورسوله ، ولا تقولوا : ثلاثة ، انتهوا خيراً لكم ، انما الله واحد سبحانه ان يكون له ولد ، له ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلاً ١٧١ لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعاً » (٣) .

عيسى روح من الله
وكلمته

٤٦ - اشارة

هيهنا نكتة ينبغي ان نشير اليها وهي :

ان رسول الاسلام في هذا التجليل والتبجيل للأنبياء السالفة والتصريح بكونهم

١ و ٢ - السورة الخامسة (المائدة) .

٢ - السورة الرابعة (النساء) .

أولى الكرامات وذوى المعجزات كانه يدعى لزوم صدور الآيات والمعجزات عمّن يدعى النبوة والرسالة ، وهو ايضا منهم ، فكانه يتحدّى بذلك ويذكّرهم بانه ايضا يقدر ان يفعل مثل ما فعلوا ويتمكّن ان يؤتّى بمثل ما آتوا به من المعجزات .

وهذا دليل قوى على كونه مؤمناً بما يقول مطمئناً بانه مؤيدٌ من عند الله مُحِقٌّ صادقٌ فى دعويّه فلم ان يقترحوا عليه بما شاؤا من نظائر ما جاء به هؤلاء الرّسل وأن يلتمسوا منه الأتيان بامثال ما اعترف للانبياء وعليه ان يجيب مسئولهم ويحقّق مأمولهم ويجيبىء بملتسمهم بلاعذر ولاخلاف .

٤٧ - نبذة ممّا نُزلت فى شأن القديسة مريم

كانت عناية القرآن المجيد بشأن القديسة ، مريم ، وبشأن ابنها عيسى شديدة كثيرة وكيف لا وقد انزلت فى حقّها سورةٌ خاصّةٌ بها فيه ، تسمى بسورة مريم وفى هذه السورة نُزّهت ساحة قدسها وقدّست من كلّ ما ليليق بشأن مريم الطاهرة الزكيّة ، نزاهةٌ ذيلها .

وفى غير هذه السورة ايضا نُزلت آيات تدلّ على نزاهة مريم وقداستها وطهارة ذيلها وشرافة ذاتها . منها ما نُزلت فى سورة آل عمران بأحسن تعبير وابلغ بيان : قوله تعالى :

« واذ قالت الملائكة : يا مريم انّ الله اصطفاكِ وطهّركِ ، واصطفاكِ على نساء العالمين ٤٢ يا مريم اقتنى لربّك واسجدى واركعى مع التّراكعين ٤٣ ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك . . . ٤٤ اذ قالت الملائكة : يا مريم انّ الله يبشّرك بكلمة منه ، اسمه المسيح ، عيسى بن مريم وجيهاً فى الدّنيا والآخرة ومن المقرّبين ٤٥ ... »^١ .
ومنها ما نُزلت فى سورة المائدة :

مريم القديسة
مطهرة صديقة

« ما المسيحُ بنُ مريمَ الآ رسولٌ قد خَلَّكَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرِّسْلَ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ... ٧٥ » .
 فَتَرَى أَنْ مَرِيْمَ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ هِيَ الَّتِي طَهَّرَهَا اللهُ مِنَ الْأَدْنَسِ وَالْأَرْجَاسِ
 الْوَاقِعِيَّةِ وَالْوَهْمِيَّةِ وَاصْطَفَاها ، بِلِ وَاصْطَفَاها عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَوصفها بِأَنَّها « صِدِّيقَةٌ »
 وَأَنَّ عِيسَى ، الرَّسُولَ الْحَقَّ الصَّادِقَ ، الَّذِي ذَكَرَهُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ ، هُوَ كَلِمَةُ اللهِ الْوَجِيه
 فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَعَبْدُ اللهِ الْمُقَرَّبَ عِنْدَهُ بِالرَّسَالَةِ وَرَسُولُهُ الَّذِي كَلَّمَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ
 وَعَلَّمَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَارسله الى بنى اسرائيل .
 قوله تعالى :

« وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ٤٦ » قَالَتْ رَبِّ أَنْتَى بِيكُونُ لى وَلَدٌ
 وَلَمْ يَمَسَّ سِنَى بَشَرًا ؟ قَالَ : كَذَلِكَ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ، إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ :
 كُنْ فَيَكُونُ ٤٧ وَيَعْلَمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ٤٨ وَرَسُولًا إِلَى بَنى إِسْرَائِيلَ
 أَنْتَى قَدْ جِئْتِكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنْتَى أَخْلَقَ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ ... ٤٩ »^١
 وقوله تعالى :

« ... إِنَّمَا الْمَسِيحُ ، عِيسَى بْنُ مَرِيْمَ ، رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ الَّتِي أُخْرِجَهَا إِلَى مَرِيْمَ
 وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلُهُ ، وَلَا تَقُولُوا : ثَلَاثَةٌ ، انْتَهُوا ، خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ
 وَاحِدٌ ، سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ، لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكفى بِاللَّهِ وَكِيلًا ١٧١
 لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ ... ١٧٢ »^٢ .

* * *

هذا شأن القرآن باعتبار مميّزته الأُولى فهو احبب ذكرا الأنبياء والرسل بالقداسة
 والطهارة والاتبان بالآيات والمعجزات ولا يوجد في القرآن شيء مما ورد في التوراة ،
 التي بايدينا ، من نسبة بعض الأعمال المنكرة القبيحة التي لا يليق ان يصدر عن آحاد
 الناس وسفقتهم فكيف ، عن الأنبياء العظام والسفيرة البررة الكرام ، الى الأنبياء القديسين
 كشراب الخمر المزبل للعقل وجمع الأب الممخور بيناته (حاشاهم ثم حاشاهم عن ذلك)

تبركة القرآن
 ساحة قدس
 الأنبياء وقرآهم

١ - السورة الثالثة (ال عمران).

٢ - السورة الرابعة (النساء) .

بل القرآن ينزهه ساحتهم المقدسة عن امثال تلك التثمة الفاضحة ويرىء ناحيتهم الظاهرة عن ادناس هذه النسب الكاذبة .

« قُلْ آمَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلٰى اِبْرٰهِيْمَ وَاِسْمٰعِيْلَ وَاِسْحٰقَ وَيَعْقُوْبَ وَاَلْاَسْبَاطِ وَمَا اُوْتِيَ مُوسٰى وَعِيسٰى وَالنَّبِيّوْنَ ، مِنْ رَبِّهِمْ ، لَآ نُفَرِّقُ بَيْنَ اَحَدٍ مِنْهُمْ وَتَحٰنُ لَهٗ مُسْلِمُوْنَ ۝ ٨٤ » .

٤٩ - تصريح القرآن ببشارة الأنبياء السالفة

صرح القرآن الكريم بان في الرسل الحقّة والأنبياء الصّادقة السالفة ، كموسى ابن عمران الكلبي وعيسى بن مريم المسيح من بشرّ برسالة محمد بن عبد الله الحبيب لاتلويحاً الى اوصافه وكمالاته وحالاته فقط بل تصريحاً باسمه وعنوانه .

ففي القرآن المجيد آيات عديدة في مقام تعبير اتباع التوراة والانجيل وتوبيخهم لكتمانهم البشارة وتليبهم الحقّ بالباطل وعدم تصديقهم الرسول الأمين الصّادق .
منها :

١ - قوله تعالى :

« انّ الذين يكتُمون ما انزل الله من الكتاب ويشترّون به ثمناً قليلاً اولئك ما في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب اليم »^١ .

٢ - قوله تعالى :

يا اهل الكتاب ليمّ تكفرون بآيات الله وانتم تشهدون؟ ٧٠ يا اهل الكتاب لم تلبسون الحقّ بالباطل وتكتُمون الحقّ وانتم تعلمون؟ ٧١^٢ .

وفي بعض الآيات تصريح بان « اهل الكتاب » يعرفون رسول الاسلام كما يعرفون ابنائهم ويعرفون رسالته ومع هذا يكتُمون الحقّ وينكرونه . فمن هذا القبيل :

١ - السورة الثانية (البقره) .

٢ - السورة الثالثة (ال عمران) .

١ - قوله تعالى :

« الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٤٦ »^١.

٢ - قوله تعالى :

« الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ ... ٢٠٠ »^٢.

٣ - قوله تعالى :

« لَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ بِسِفْتِ حَيُّونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا ، كَفَرُوا بِهِ ... ٨٩ »^٣.

وفى بعض منها تصريح بان اهل الكتاب شهداء على كونه صادقاً فى رسالته كقوله تعالى :

« وَاذْأَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ لِيَمَّا جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ : أَلَمْ يَقْرَأُوا مَا كُنْتُمْ يُصْرُونَ ؟ قَالُوا : أَقْرَأْنَا . »^٤

« قال : فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين ٨١ ، فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون ٨٢ »^٤.

وبهذه الشهادة اشارت الآية ال ٣٤ من سورة الرعد .
قوله تعالى :

« ويقول الذين كفروا : لست مرسلًا قل : كفى بالله شهيداً بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب ٤٣ »^٥.

١ - السورة الثانية (البقره) .

٢ - السورة السادس (الانعام) .

٣ - السورة الثانية (البقره) .

٤ - السورة الثانية (آل عمران) .

٥ - السورة ال ١٣ (الرعد) .

ومما صرحت بالبشارة وبكون الرسول مكتوباً صراحةً في التوراة والأنجيل عدة آيات .

منها :

١ - قوله تعالى :

« الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَا مَرْهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ١٥٧ » ٢ .

٢ - قوله تعالى :

« إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ ، مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ ، وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ، اسْمُهُ أَحْمَدُ ، فَلَمَّا جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا : هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ٦ » ٣ .

بشارة عيسى
برسالة رسول
الاسلام مصرحا
باسمه

٥٣ - اشارة

ويناسب ههنا اشارة الى نكتة لطيفة وهي انه : يمكن ان يستدل بالآيات ، الواردة في هذا الشأن نفسها ، على صدق رسول الاسلام في دعوته الرسالية . وذلك لأنه لا يعقل من عاقل ان يجترىء على ادعاء امرٍ ويدعو من خالفه في هذه الدعوة الى تصديقه ولزوم الايمان واتباعه ويصرح بان كتابهم الذي آمنوا به يلزمهم ذلك التصديق والايمان والاتباع ويحتج بان نبيهم الذي قوله حجة عندهم صرح في ذلك الكتاب بانه صادق في دعواه وانه رسول حق من عند الله .

٢ - السورة السابعة (الاعراف) .

٣ - السورة ال ٦١ (الصف) .

أَوْ يُمْكِنُ أَنْ يَجْتَرِيءَ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْإِدْعَاءِ مِنْ لَمْ يَكُنْ قَاطِعاً بِصِحَّةِ مَا يَقُولُ،
مَطْمَئِناً بِصِدْقِ مَا يَدَّعِيهِ ؟
وَلَعَمْرُ الْعِلْمِ وَشَأْنِ الْعَقْلِ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ حَتَّى لِلْوَهْمِ أَنْ يَتَوَهَّمَ ، لِمَنْ يُعْتَرَفُ بِعَقْلِهِ
وَيُعْتَقَدُ شَعُورَهُ، أَنَّهُ يَتَمَشَّى مِنْهُ الْأَسْتِنَادَ بِسِنْدٍ يَكُونُ عِنْدَ مُخَالِفِيهِ وَتَحْتَ أَيْدِيهِمْ يَرُونَهُ
وَيَشَاهِدُونَهُ يَتَلَوْنَهُ وَيَقْرَأُونَهُ فَيَسْأَلُ عَنْهُمْ الْمَرَاجِعَةَ إِلَيْهِ وَيَطْلُبُ مِنْهُمْ الْأَنْصَافَ وَالْأَعْتِرَافَ
ثُمَّ يَبْعِثُهُمْ عَلَى كِتْمَانِ حَقِّهِ وَعَدَمِ الْأَقْرَارِ بِصِدْقِهِ وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ
وَلَمْ يَقْطَعْ بِشَاهِدِ صِدْقٍ فِي إِدْعَائِهِ وَلَمْ يَتَحَقَّقْ عَلَى كِمَالِ طَمَأْنِينَةٍ نَفْسٍ مِنْ أَمْرِهِ فَتَدَبَّرَ
وَلَا تَغْفَلَ .

٥٤ - عُمُومِيَّةُ دَعْوَةِ الْقُرْآنِ

مِمَّا يَجْدُرُ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ وَيَتَدَبَّرَ فِيهِ هُوَ أَنَّ دَعْوَةَ الْقُرْآنِ عَامَّةٌ ، لِإِخْتِصَاصِ
لِهَا بِفِرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ وَقَوْمٍ مِنَ الْأَقْوَامِ وَجِيلٍ مِنَ الْأَجْيَالِ وَلَا بِزَمَانٍ خَاصٍّ بِلِ دَعْوَتِهِ
تَتَوَجَّهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً وَتَشْتَمِلُ الْأُمَمَ وَالْأَقْوَامَ قَاطِبَةً : أبيضهم واسودهم واحمرهم
واصفرهم ، فِي كُلِّ الْأَمَكِنَةِ وَجَمِيعِ الْأَزْمَنَةِ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ .
قَوْلُهُ تَعَالَى :

« قُلْ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ، الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ .

رسالة الاسلام عامة

« فَأَمِينُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » ١ .

وقوله تعالى ايضاً :

« وَمَا رَسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » ٢ .

١ - السورة السابعة (الاعراف).

٢ - السورة ال ٣٤ (سبأ).

فالرسالة الإسلامية عناية الهية عامة لجميع الناس وكافتهم ورسالة كافلة لهداية كل قوم وجيل في ازمتهم وامكنتهم وبشارة قائمة بسعادة قاطبة من آمن بها وعمل الصالحات. قوله تعالى :

« ان هذا القرآن يَهْدِي لِيَلْتَى هِي اقوم و يبشّر المؤمنين الذين يعماون الصّالحات ان لهم اجرًا كبيراً ٩١ »^١.

ويتضح ذلك كمال الوضوح اذا توجهنا الى ان الله اعطى رسوله الأمين ، مضافا الى معجزاته المشابهة لمعجزات غيره من الأنبياء والرسل ، معجزة خاصة تناسب عموم الدعوة زمانا و مكانا و عنصرأ و نجارا وهو القرآن ، المعجزة الخالدة ، كما سيتضح لك الآن في المطلب التالي الذي انعقد لبيان « اهمّ مزايا القرآن » فانظر وتدبّر .

٥٥ - اهمّ مزايا القرآن

للقرآن مزية هامة وخصوصية عامة لا توجد نظيرها لغير نبي الاسلام من الرسل الالهية ولانشاهد في غيره من الكتب السماوية ولها شأن كبير جداً يجب ان يتدبّر فيها اولوالبصائر و يتبصّر منها ذوو الأبصار وهي انها بنفس ذاته وجوهر جُمليّه وكلماته معجزة باقية خالدة^٢.

فقد وقع « التحدّي » لرسول الاسلام صلّى الله عليه وآله وسلم بالقرآن في نفس القرآن لامرّة بل مرّات ، ولا باعتبار زمان حيات الرسول بل باعتبار عمود الزمان الى يوم التناد ، ولا باعتبار مكان صدوره و محيط وروده بل باعتبار جميع الأقاليم و سائر الآفاق ولا باعتبار العنصر العربيّ الناطق بالضاد بل باعتبار كل عنصر و نجار ، متى وُجد انسان و اينما وُجد وكيف كان ، بل ولا باعتبار شخص واحد بالانفراد بل ولو على سبيل الاجتماع و معاضدة الأفراد للمقابلة و المعارضة للقرآن ولو كان بعضهم لبعضهم ظهيراً في الأنشاء والأتيان .

٥٦ - التدرّيج في التحدّي

كلّ من سمع بالقرآن وراجع اليه ونظر فيه يرى آياته الواردة في مقام «التحدّي» ويتجلّى له انّ القرآن كيف يتدرّج في هذا المقام الى الأسهل فالأسهل .
فتارة يتحدّى بقوله :

« قُلْ : لئن اجتمعت الأنسُ والجنُّ على أنّ يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً ٨٨ »^١ .
ومرّة يقول في مقام التحدّي :

درجات التحدّي
بالقرآن
في القرآن

« قل فأتوا بكتابٍ من عند الله هو آهديّ منهما (اى من التّوراة والآنجيل)
اتّبعه ان كنتم صادقين ٤٩ »^٢ .
ومرّة ثالثة يتحدّى ويفتحّمهم بقوله :
« ام يقولون : افتريه .

« قل : فأتوا بعشر سورٍ مثله مُفترّيات ، وادعوا من استطعتم من دون الله ان
كنتم صادقين ١٣ فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو
فهّل انتم مسلمون ١٤ »^٣ .
ومرّة رابعة يتحدّى بأسهل امر ، على ظاهر الامر ، ويقتنع عنهم ان يأتوا بسورةٍ
مثله فيقول :

« ام يقولون : افتراه .
« قل : فأتوا بسورةٍ مثله ، وادعوا من استطعتم من دون الله ، ان كنتم

١ - السورة ال ١٧ (الاسراء) .

٢ - السورة ال ٢٨ (القصص) .

٣ - السورة ال ١١ (هود) .

صادقين ٣٨»^١.

ومرة خامسة يجعل التحدى بالزامهم ان يأتوا سورة واحدة من مثله ثم يذكرهم ويرشدهم بتاتا بان ذلك خارج عن طوق قدرتهم فهم لا يقدرّون على الأتيان وليس لأحد منهم سبيل اليه بإمكان .

قوله تعالى :

« وان كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٢٣ فان لم تَفْعَلُوا، وَلَنْ تَفْعَلُوا، فانتقوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ، أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ٢٤ »^٢.

٥٧ - اشارات

المماثلة وما
يظهر منها

الأولى - لعل المراد من «المماثلة» ، الواردة في الآية الأولى من هذه الآيات حيث وقع التحدى فيها باتيان « مثل هذا القرآن » ، المماثلة من حيث الفصاحة والبلاغة .
فصرح بان الأنس والجن وان اجتمعوا فهم مع مشاركتهم ومظاهرة بعضهم لبعض لا يقدرّون على ان يأتوا بقرآن مثل هذا الذي جاء به شخص واحد بلاظهار ولا معاضد .

الثانية - الظاهر من « التحدى » في الآية الثانية ، التوجه الى ما هو المقصود الاصلى من الرسالة وهو الارشاد والهداية لا التوجه الى الفصاحة والبلاغة .

١ - السورة العاشرة (يونس) .

٢ - السورة الثانية (البقره) . وليعلم ان غير هذه الاية التي هي في سورة مدنية ، سائر الايات التي تحدى الرسول بها في القرآن للقرآن ونقلنا كلها ، في سورمكية وهذا امر يرشد المنصف الى ان مشركى مكة وهم اكابر قريش واعاظم العرب وفيهم اسراء اللسان وفصحاء الكلام وبلغاء البيان يسمعون كراراً وفي زمان ممتد هذا التحدى ولم يقدر واعلى معارضته بل وصرح بعضهم على عظمة شأن القرآن رغماً لانفه وانف موافقيه في الخلاف كما نقل عن وليد .

فكأنه اشار الى المعيار الحقيقي وهو « اعرفوا الرسول بالرسالة » وقال انظروا الى هذا البرنامج والمنهاج ووازنوه مع غيره من المناهج ولاسيما الافضل من الكل وهو التوراة والانجيل فباليقين تشاهدون ما له من الكمال في نظمه وتطلعون على احصائه لما يحتاج اليه الناس ، من ضرورياتهم ، ويفيدهم او ينفعهم او يناسبهم ويزينهم ، في اوامره ونواهيہ فتعرفون عظم شأنه وارشاده وتجدونه بحيث لا يوازيه منهاج ولا يساويه ، في الأحتواء على المواد المنظمة السائقة الى السعادة، الهداية الى الخير والكمال، برنامج وكتاب بل ولا يمكن احد ان يأتي بمثله، في هذه الحيثية له، بنظير ومثال .

كمال القرآن
للهداية

ولعل في تنكير لفظ « كتاب » في هذه الآية (بكتاب) اشارة الى ما قلنا . فكأنه اكتفى في هذا المقام من « التحدى » بان الجائي بالمثل ليس مقيداً من حيث اللفظ و باعتبار العبارة ان يراعى الفصاحة والبلاغة فهو في سعة من ذلك ولكنه لا بد له ان يكون ما ياتي به ، مثلاً ونظيراً باعتبار الايشاد والهداية ومن حيث المنهاجية التي ، كما اسلفناه ، يكون كمالها ، او قل كاملها ، منحصر ا بان يكون نازلاً من لدن عليم حكيم كى يكون ناظراً الى جميع الأطراف وجهاً الامور ، جامعا لتمام الست من الجهات والشئون ، في الكمال للقرآن الذي هو اهدى من التوراة والانجيل واكمل وارقى واقوم من كل منهاج ودليل فتدبر .

الثالثة : طال البحث والكلام في كتب التفسير وغيرها ، كالكشف وغيره ، في كلمة « من مثله » الواقعة في الآية الخامسة ، من الآيات المزبورة هنا ، ولا مجال لي الآن لمراجعتها ولا ضرورة هنا لنقلها ونقدها ولكني ، خلافاً لما زعمه بعضهم ، اظن ان كلمة « من » في هذا المورد ليست بزائدة (كما زعمه) بل ولا اظن وقوع زيادة ، ولو كانت بحرف ، في القرآن المجيد الذي بهر بفصاحته و بلاغته عقول الفصحاء والبلغاء وعلى هذا فكأنه كان يهَجِسُ في انفسهم امكان الأتيان بمثل القرآن .

كلمة من مثله
والتحقيق فيها

ولعله ، كما اشرت ، كان بين هؤلاء الذين يقولون ما لا يفعلون . . . من كان مدعياً باللسان ايضاً بامكان الأتيان بمثل القرآن فكان يتفوه به كما بظهور من القرآن المجيد ايضاً .

قوله تعالى :

« واذا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا :

« قد سمعنا ، لو نشاء لَلْقُلْنَا مثْلَ هَذَا ... ٣١ » ١ .

وحينئذٍ فحَقُّ أَنْ يُقَالَ لَهُمْ :

أيُّهَا الْمُتَوَهَّمُونَ الْمُتَفَوِّهُونَ ان كُنْتُمْ مُحَقِّقِينَ فِي وَهْمِكُمْ ، صَادِقِينَ فِي قَوْلِكُمْ ، فَاعْلَمُوا أَنَّا لَا نُلْزِمُكُمْ بِأَيَّانٍ مَّجْمُوعٍ ذَلِكَ « المثل » الهاجس في صدوركم بل نكتفي ان تأتوا بسورة واحدة من مجموع ذلك « المثل » ، المتوهَّم امكان الأتيان به ، فان لم تكونوا فعلتم ذلك ، اى اتيان مثل له من قبل حتى تكونوا قادرين على اتيان سورة من ذلك المثل في الحال ، ولن تقدرُوا البتة الى الأبد ان تأتوا بمثله ، فكونوا على اتِّقَاءٍ مِنَ النَّارِ النَّتَى . . . واعلموا ايضا :

« . . . وأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ٩١ وان اتلوا القرآن ، فمن اهتدى

فَأَنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ : إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ٩٢ » .

« وقل : الحمد لله ، سِيرُكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ... » ٢ .

٥٨ - اسلوب التَّحْدِي فِي الْقُرْآنِ بِنَفْسِ الْقُرْآنِ

انظر الى هذا الأسلوب الأنيق المتين في مقام التَّحْدِي ، من التدرج والتَّنَزُّل ، بالمدارة مع النَّاسِ والعناية بتسهيل الأمر على المخالفين : فطلب منهم مرَّةً اتيان قرآنٍ مثل هذا القرآن وطلب منهم مرَّةً أُخْرَى اتيان « كتاب اهدى منه » وسهَّلَ عَلَيْهِمُ الأَمْرَ وطلب ممن ادعى الأفتراء حينئذٍ ، اتيان عشر سور مثله ، وبالغ زمانا في المدارة والمساحمة والمساهلة حتى قِنِعَ ان يأتوا : « بسورةٍ من مثله » .

١ - السورة الثامنة (الانفال).

٢ - السورة ال ٢٧ (النمل) .

ولعلّه كان بين هؤلاء الذين يقولون ما لا يفعلون ، وينطقون بما لا يريدون ولا يفهمون ، ويدعون بألسنتهم وافواههم ما ليس في قلوبهم وافئدتهم ، من كان يجازف بدعوى امكان الأتيان بمثل القرآن فلزم على النبي الصادق ان يلزمه ويفتحمه ، في ذلك الأدعاء الباطل والقول الجزاف الكاذب ، بالمداراة معه والتفضّل عليه بان يقول له :

ان كان الأمر في امكان الأتيان بمثل القرآن ، كما توهّم وتزعم ، فأنت انت بسورة واحدة ، لا اكثر من ذلك المثل الذي تتخيّل ، او تتكلّم احياناً ، وتدعى بصرف اللسان امكان الأتيان به .

ثم ارجع البصر في تلك الآيات كرّتين واعتبر ممّا يشار اليها منها ، لتبصرك واعتبارك ، في الذّيل :

١ - كيفية امتلاء قلب الرّسول من كثرة الطّمأنينة بنفسه وشدة الاعتماد بصدقه وقوة الوثوق بصحة دعويّه وكمال الأطمينان بعدم امكان معارضته في ما ادّعاه .
فينادى باعلى صوته ويقول ، بأمر ربّه ، مرّة :

« لئن اجتمعت الأنس والجنّ على ان يأتوا بمثل هذا القرآن ... الآية » .

ويشير مرّة أخرى ، بعد جملة « وان لم تفعلوا » ، بكمال الأطمينان ، قاطعاً بعدم امكان معارضة ما تحدّى به بجملة « ولن تفعلوا » على سبيل التأييد في النفي والتعجيز الدائم عن الأتيان بمثل القرآن .

وقد تحقّق صدقه صلّى الله عليه وآله وسلّم في ادّعائه التأييد والدوام الى يومنا هذا مع كثرة مخالفيه ومعانديه واهتمام اكثرهم للاتيان بما يماثله ويساويه فان عدّت نفس هذا الأخبار من قبيل الأخبار بالغيب واحتسب في ما يعجز عنه البشر كان في محلّه بلا ريب .

٢ - كيفية انذاره ايتاهم في ما اذا استمرّوا على الإنكار ، حيث يوقظهم من نومهم ويرشدّهم من جهلهم بهذا التهديد والأندار : متابعتكم ذلك المنهاج الالهى والمنهج السّوى يكون نافعة لكم لالى ومخالفتكم ايتاه ، وانحرافكم عنه ، تضربكم لابي لأنكم اذا لا تؤمنوا به

في القدر عن
الايان بسورة من
مثل القرآن تا يبدأ

ولا تطعيوه ولا تخضعوا له ولا تطبقوا اعمالكم في حياتكم وفق ما ثبت فيه تكونون انتم كافرين خاسرين فتطلع على افئدتكم نار الله الموقدة التي وقودها الناس والحجارة وتهبطون انتم عن شامخ مقامكم الانساني الى محط ادنى واسفل من الطور الحيواني فتصيرون في جميع الشئون الستة، جمعاً و فرداً ، جسماً و روحاً ، دُنْيَى و عقبى ، سائرين سير الأنحطاط او السقوط والنقص والهبوط والجهل والفتور والدنائة والفساد في دار الغرور والشقاوة والهلاك يوم النشور .

٣ - كيفية دعوته ، بعد التحدى والتعجيز ، او ابتداءً ، الى الصلاح والخير .

قوله تعالى :

« فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون »^١

وقوله تعالى :

« قُلْ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ، وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ١٠٨ »^١

وبعد النظر الغائر وارجاع البصر النافذ والتدبير اللائق في القرآن والإعتبار بآياته فكن بارد الصدر ثلج الفؤاد ساكن الجنان مطمئن القلب واعلم انما انزل القرآن بعلم الله وان لا اله الا هو المفيض الرحمن و اسلم الله وآمين بقرانه المجيد وصدق رسوله الصادق الامين صلى الله عليه وآله وسلم واعتقد بصميم العقيدة وخالص الاعتقاد والطوية بان :

« لِلَّذِينَ اسْتَحَابُوا لِرَبِّهِمْ ، الْحُسْنَى ، وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ ، لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ ١٨٠... »

« أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنْمَّا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ
 أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ١٩

« الَّذِينَ يُؤْفُونَ بَعْدَ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ٢٠ وَالَّذِينَ
 يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ
 الْحِسَابِ ٢١ .

« الَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا
 رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ ، السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ
 عُقْبَى الدَّارِ ٢٢ » ١

٦١ - وجوه اعجاز القرآن

نصدى^١ لبيان كيفية اعجاز القرآن وتشخيص وجوهه ، قديما وحديثا ، كثير من
 العلماء والافاضل فالتقوا في هذا الموضوع كتبا كثيرة قيمة^٢ ولعله جاوز الوجوه المهمة
 منها عشرة وجهاً بعضها يتعلق بما هو من شئون الالفاظ من جزالة اللفظ واسلوب
 التعبير ونظام العبارة وافادة المراد وبعضها يرجع الى ما استفاد منه من المعنويات ، كبيان
 المعارف والحقائق وتشريع الأحكام من العبادات والمعاملات والاحكام والسياسات ،
 وكتأثيره في الهداية والارشاد وكأخباره عن المغيبات وما يشبه هذه الامور .

فمن قبيل الاول كون القرآن في اعلى^١ ذروة من مراتب الفصاحة والبلاغة
 بحيث عجز عن الأتيان بمثله ، بل « بمثل سورة من مثله » ، الفصحاء والبلغاء من زمن
 التحدى بقوله : « وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا . . . الْآيَةَ » الى زماننا هذا

١ - السورة ال ١٣ (الرعد)

٢ - منها ما الفه السيد المحقق المعاصر صديقنا الفقيه العلامة هبة الدين الشهرستاني
 ولعل تاليفه هذا كان اوفى لجمع تلك الوجوه وتحقيقها واحوى لميزات القران وتوضيحها .

وهو آخر القرن الرابع عشر من الهجرة .

ومن قبيل الثاني قوله تعالى في بيان حقيقة التوحيد وعرّفان الحقّ : « شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ... ١٨ » وقوله : « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ... السُّورَةُ ١ » مثلاً . ولا يلزمنا هنا اطالة المقال بتكثير المثل لقسم المعارف ، من بيان المبدء والمعاد وشأن النبوة ومقام الأنبياء ، ولالغيره ممّا اشير اليه من سائر انواع هذا القبيل ، من تشريع انظمة الأحكام ومن الأخبار بالمغيبات^٢ وغير ذلك ، كما لا يلزمنا اطالة الكلام في تشريح الأمثلة للقبيل الاول ، وذلك لانّ الكتب المربوطة مشحونة بتفصيل هذه الأمور مكفولة بتشريح هذه الشئون .

٦٢ - وجهٌ خاصٌّ للاعجاز

لكنّه يعجنى ان اشير الى وجه يزيد على تلك الوجوه شرّفنى الله بالهامه والهمنى باحسانه واكرامه ويخصّص بادراكه ، ثمّ الاذعان بأنّه بمنزلة الاعجاز ، من كان من الخواصّ وهو انه :

قد توجد في القرآن جملة مكرّرة بعبارة واحدة في موارد كلّها آلا في موردٍ وقعت فيه زيادة بحرف واحد^٣ فالخبير المتامل والبصير المتدبّر يقف هنا ويتفكّر ويناجي

١ - السورة الثالثة (آل عمران)

- ٢ - عد « الاخبار بالمغيبات » وما يشبه ذلك ، مما ذكر ، من المعجزات ليس بمعنى « المعجزة » الاصطلاحى الذى اعتبر فيه « التحدى » بل بمعنى كون الملأل وهو عجز اتيان الناس بالمثل موجود فيها فاطلاق لفظ المعجزة على امثالها من باب التوسع باعتبار وجود الملاك اللهم الا ان يقال « ابهام وجد التحدى » فى القرآن يورث العموم والشمول لكل ما كان من هذا القبيل فيكون اطلاق عنوان « المعجزة » عليها بمعناها الاصطلاحى قندير .
- ٣ - وهكذا قد يوجد فى موضوعات متشابهة متمائلة ، يقتضى تشابهها ، ظاهراً ، وحدة التعبير ، تعبيرات مختلفة و تغييرات متنوعة فى كلمة على خلاف اقتضاء ذلك الظاهر . من امثلة ذلك ماورد فى قصة موسى واسئلته الثلاثة ، المتمائلة فى الموضوع ، المقتضية ظاهراً وحدة التعبير فى الجواب ، من تغيير التعبير عند الجواب عن كل سؤال فتارة وقع فى الجواب كلمة « اردت » و ثانية كلمة « اردنا » و اخيراً كلمة « اراد ربك » فى هذا التبديل والتغيير ما يرشد العارف ، الخبير بمراتب السلوك ، الفائز بمقام الشهود ومشهد الوصول ، الى ان القرآن « ان هو الاوحى يوحى » وانه معجزة لامثل له يؤتى .

نفسه: لما ذا اختص هذا المورد بهذه الزيادة وماذا اريد من هذه الزيادة والأضافة؟ وبعد التدبّر الفاحص يتعجب ويدهش ممّا يشاهد ويدرك من الاشارات الدقيقة والأسرار الأنيقة المطوية في هذه الزيادة (او التغيير في التعبير) فيذعن اذعاناً باتّاباً بانّ امثال هذه العبارة لا يكاد يكون الا نازلاً من سماء افاضات العليم الحكيم وارداً بالوحي على القلب الطاهر الكريم صادراً عن لسان الرسول الأمين .

ولنذكر انموذجاً لذلك :

قوله تبارك وتعالى في السّورة ال ٤٠ (سورة المؤمن - الآية ال ٦٧)

« هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ .

ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ .

ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ .

ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً .

ثُمَّ لِيَتَّبِعُوا أَسْدَكُمْ .

ثُمَّ لَتَكُونُوا شِيُوخًا .

وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ .

وَلِيَتَّبِعُوا أَجْلاً مُّسَمًّى .

وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ .

واظنك تعلم ان في القران المجيد آيات كثيرة جداً (نحواً من سبعين ٧٠ آية)

ختمت بكلمة التّرجى (لعلّ) واردة على ضمير الجمع المخاطب مسندةً اليه التّعقل

او التّفكّر او التّدكّر او الشّكر وما تضاهاى هذه الامور، كالاتّقاء والاهتداء والأفلاح

والأيقان والاسلام، كقوله تعالى : « لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ » وقوله تعالى : « لَعَلَّكُمْ

تَتَفَكَّرُونَ » وقوله تعالى : « لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » وقوله تعالى : « لَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ » وقوله تعالى : « لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » وقوله تعالى : « لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ »

وقوله تعالى : « لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » وقوله تعالى : « لَعَلَّكُمْ تُؤْمِنُونَ » وقوله

تعالى : « لَعَلَّكُمْ تُسَلِّمُونَ » .

فاعلم انّ نحواً من عشرة موارد منها تكون من النوع الاول ، اى يكون تعلق التّرجى فيها بالتّعقل ، ولا تكون الجملة فى تلك الموارد مصدرّة بالواو العاطفة الا فى مورد واحد وهو فى الآية المزبورة من سورة « المؤمن » كما انّ فى غير هذا النوع ايضا ما صدرت الجملة بالواو الا فى موارد معدودة تقلّ عن عشرة ، وهى الموارد التى يكون وجه العطف فيه ظاهراً بيّناً كقوله تعالى : « . . . ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ٧٢ » (١) .

ايراد وجه خاص
لاعجاز القرآن
من المؤلف

وحينئذ يتوجه الناظر المتفكّر ويتنبّه السّامع المتدبّر الى كشف النّكتة ووجه زيادة حرف « الواو » فى خصوص ذلك المورد الواحد من بين تلك الموارد الكثيرة فىرى من الاشارة السّالّحة الى الحقيقة الكامنة فى الآية ما يتواضع العلم والفلسفة والعرفان لها ويخضع تجاه ما جاء به النّبىّ الامّى ، الذى كانت نشأته بين الجاهليّين ، اقوى عقل نظرى لأكبر شخص كان متضلعاً بالفلسفة والعرفان متصفاً بالانصاف والوجدان .

وكيف لا والعقل النّظرى من الفيلسوف العبرى بأرشاد من البرهان المنطقى والميزان الفكرى يعتقد ويرى انّ لكلّ نوع من الانواع الموجودة كمال يختصّ به وكمال الخاصّ بالانسان هو وصوله الى كمال العقل فهو يسير فى سلوكه سنّ الحيات لاستكمال العقل ويتطوّر فى اطواره ومدارجه من نقطة القوّة الصّرفة وظلمة الهيولانية البحتة ، درجة بعد درجة ومرحلة بعد مرحلة ، الى ان يرد منزل الفعلية ، بل يصل الى غايتها ، ويشدّ فى فعليتها فيصير عقلاً محضاً فى الاشدّاد ويصحّ ان يطلق عليه عنوان « العقل المستفاد » .

٦٣ - الانسان والعقل

الفيلسوف (والحكيم والعارف) فى كلّ مباحثه ومطالبه وغاياته و ماّربه يسعى لتحصيل هذا الكمال ويكدهح للوصول الى ذاك المقام والمآل ولذا تربيّه فى تعريف الفلسفة

والحكمة تارة يصفها بانها :

« هو العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليها بقدر الطاقة البشرية » .

وتارة اخرى بانها هي :

« صيرورة الإنسان عالماً عقلياً مضاهياً للعالم العيني »

وفي كلمات الأنبياء ، معالم الشهود ومشاهد الأيحاء ، ايضاً ما يشير الى ذلك بل يصرح به ولاسيما في كلمات الكامل التام ، رسول الاسلام ، فقد روى عنه عليه السلام عدة روايات ترشد الى ذلك المقام ، منها قوله (ص) لعليّ :

« يا عليّ اذا عنتى الناس انفسهم بتكثير العبادات فعنّ انت نفسك بتكثير المعقولات تسببهم »^١ .

كمال الانسان
بكماله في العقل

ومنها قوله صلى الله عليه وآله وسلم :

« اذا بلغكم عن رجل حسن حال ، فانظروا في حسن عقله ، فانما يجازي بعقله » .

ولعلّه الى هذه الحقيقة يشير عدة روايات وردت عن اهل بيت النبوة ، آل خاتم الرسالة ، والسقارة ، اولى العصمة والطهارة .

منها ما في « الوافي » عن « الكافي » ، في حديث طويل ، عن هشام بن الحكم عن الامام ابي الحسن ، موسى بن جعفر (ع) ذكر فيها عدة آيات منها هذه الآية ، آية سورة المؤمن وقال (ع) في ما قال لهشام :

١ - نقلها بهذه العبارة السيد الداماد من رسالة في المعراج منسوبة الى ابي علي ابن سينا ورايتها في بعض الكتب لغيره من علماء الشيعة ايضاً بهذه العبارة ولكنها في المجلد الاول من حلية الاولياء لابي نعيم الاصفهاني (الصفحة ١٦) باسناده عن عاصم بن ضمرة عن علي ابن ابي طالب وردت هكذا :

« قال (يعنى عليا) : قال النبي : يا علي اذا تقرب الناس الى خالقهم في ابواب البر فتقرب عليه بانواع العقل تسببهم بالدرجات والزلزلي عند الناس في الدنيا وعند الله في الآخرة » وكيف كان فالاستشهاد في محله والاستناد واضح لاهله .

«... يا هشام ما بعث الله انبيائه ورسله الى عباده الا ليعقلوا عن الله .
فاحسنهم استجابة احسنهم معرفة . وآعلمهم بأمر الله احسنهم درجة في الدنيا
والآخرة .»

ومنها ما رواه شيخ مشايخنا العظام ، اول الشهداء السعديين ، قدست اسرارهم ،
في المسئلة الأولى من البحث الثامن ، الذي عقده للبحث عن « البرزخ » في كتابه
« التذكري » ما عين عبارته :

« ... وروى الكليني بعدة اسانيد عن الصادق (ع) : انما يسأل في قبره من
محض الإيمان والكفر واما ما سوى ذلك فيلتهى عنه ورواه محمد بن مسلم و...
وعن الباقر (ع) مثله بطريق ابي بكر الحضرمي....»

ومنها ، وهي كالصريح في هذا المعنى ما روى في المجلد الاول من « بحار
الانوار » عن الباقر (ع) :

« ان الله تبارك وتعالى يحاسب الناس على قدر ما آتاهم من العقول في
دار الدنيا .»

اطوار
حيات الانسان
وادوار وجوده

ولنكتف بهذه الاشارات ونرجع الى ما كنا بصدده من بيان ما يترأى من النكتة
ووجه زيادة « حرف الواو » في الآية وما يستفاد منها من الاشارة الى حقيقة خافية
ف نقول :

ان الآية كما هو ظاهر ، تكون في مقام بيان اطوار الانسان في وجوده وتحققه
من بادي بديء تكوئنه وخلقته الى قصوى نشأته ودرجاته واطواره: فتشير الى جميع مراتب
سيره وسلوكه في مدارجه والى هبوطه في مناهجه ثم صعوده الى معارجة .

العقل
آخر المدارج

فاول ما انشقت به ظلمة عدمه وفطر له الخلق بباريه بقدرته وكرمه ، على ما في
تلك الآية ، خلقه من تراب ، ثم تحوّل منه الى نطفة ، وانحداره من الصلب الى الرحم
ثم تطوره طوراً صار فيه علقة . ثم اخرج الله طفلاً . ثم ، ليبلغ اشدّه ويفوز بكماله في
القوة والعدّة . ثم ، ان لم يكن ممّن قدر له التوفى من قبل ، ليكون شيخاً و ، كيف كان ،

ليبلغَ اجلامسمىّ بالوفاء، سواء اكان الاجل قبل الشّيخوخة ام كان بالبلوغ الى الشّيخوخة، وليبْلُغَ مقامَ التعقّل فيصل الى آخر المقامات والمنازل ويصعد الى ارقى المدارج من المعارج وحينئذ فيُلْقِي جرانه ويتمّ سيره وسلوكه وهبوطه وصعوده في نشأته الدنّيا ويصير من زمرة من اتّصل بالملكوت الاعلى وتقرّب الى مبدء النور الأبهى . فيكون من جهة جامعيتته عالماعقلياً وباعتبار وصوله وتقرّبه نورالهيأ . والحمد لله ربّ العالمين .

هذا انموذج لما قلنا من الاشارات البليغة واللطائف الأنيقة وكم لها من نظائر في القرآن المجيد فتبصّر .

«مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ
رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولُ اللَّهِ
وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ . . .
(سورة الاحزاب)

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ
الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ،
وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا مُحَمَّدٌ
رَّسُولُ اللَّهِ . . .
(سورة الفتح)

- ١ - دين الإسلام خاتم الأديان المحقّة .
- ٢ - القرآن وعرفان المبدء
- ٣ - القرآن وبيان المعاد والمرجع
- ٤ - القرآن ودستوره العملي للانسان
- ٥ - آيات وخطب
- ٦ - اشعار في وصف القرآن للشبليّ المصريّ -
الطبيعيّ، اوالمسيحيّ .

٤ - حول كون الإسلام خاتم
الأديان فمنهاجه اكمل
المناهج واهديها الى -
الرّشاد :

٦٥ - دين الاسلام خاتم الأديان وبتابعه يكتمل الأنسان

المزيّة الأخيرة التي اشرنا اليها للقرآن المجيد ، تناسب كمال المناسبة لما ادّعه الرسول الأمين (ص) من كون شرعه اكمل الشرائع و رسالته بالهدى خاتمة الرسالات ونبوته خاتم النبوات ودينه الحقّ آخر الأديان وغالب على كلّها .

« هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ ... »

وذلك لأنه اتى ، لهداية الناس وارشادهم ، بمعجزة متّحد بها من زمانه الى ان ينقضى العالم وهى موجودة تكون بمرأى ومسمع من كلّ احد الى يوم القيام ، وتدعو الناس فى كلّ زمان وفى كلّ مكان وبكلّ مشاركة ومظاهرة اختيار احد الأمرين :

إِمَّا الْآيَاتِ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ ، بل بمثل سورة من مثله ، وبكتاب آهدى منه .
وَأِمَّا الْأَعْتِرَافَ بِأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِيَلْتَمِسَ هِيَ أَقْوَمَ لِأَنَّ « إِنَّمَا أَنْزَلْنَا بِعِلْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ » والتّصديق بشأنه والأيمان ببقائه والتّسليم لأمره والعمل وفقّ منهاجه واحكامه ، اتقاء من النّار التي وقودها الكافرين وابتغاء لجنّات عدن التي أعدت للمتّقين .

٦٦ - القرآن وبيان المسألة المجهولة

ان القرآن يمتاز عن جميع الكتب التي اختصّت ببيانه المسئلة المجهولة على الانسان، المطلوبة معرفتها له، او تعرّضت لتحقّقها وآثرت تاثيرها فى النفوس والأرواح سواء اكانت تلك الكتب سماوية الهيئة ام فلسفية بشرية .

تصدّى القرآن لبيان تلك المسئلة الهامة للانسان ، (من اين جاء ؟ والى اين يروح ؟ وما عليه ان يفعل فى هذه الحياة) وادّيه بأحسن طراز وعلى اوفى واتمّ بيان

ففيه لكل شيء تبيان ومنه هدى ورحمة وبشرى لكل من اتبعه بتسليم و ايمان وجعله امامه للعمل بما فيه من العدل والاحسان والاجتناب من المنكر والفحشاء والبغى ونقض الايمان . قوله تعالى :

القرآن
وحل المسائل
المجهولة

« نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ٨٩ اِنَّ اللّٰهَ يَأْتِي مُرُّ بِالْعَدْلِ وَاَلْاِحْسَانِ وَاَيُّنَا ذِي الْقُرْبٰى وَاَيُّنَا ذِي الْقُرْبٰى وَيَنْهٰى عَنِ الْفَحْشَآءِ وَاَلْمُنْكَرِ وَاَلْبَغْيِ ، يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُوْنَ ٩٠ وَاَوْفُوا بِعَهْدِ اللّٰهِ وَاَلَا تَتَّقُوْنَ الْاَيْمَانَ ٩١ »^١.

هذا الكتاب يُخرج من آمن به وعمل وفق دُستوره من ظلمات الجهل والظلم الى نور العلم والعدل ويهديهم صراط المستقيم ، صراط العزيز الحميد . قوله تعالى :

« كِتَابٌ اَنْزَلْنَاهُ اِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ الَّتِي النُّورِ بِاِذْنِ رَبِّهِمْ ، اِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ١ »^٢.

ايضا قوله تعالى :

« هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ اِلَى النُّورِ وَاَنَّ اللّٰهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ٩ »^٣.

القرآن برهان قاطع جاء الناس من رب العالمين ليعرفوا به المبدء ونور مبين سطع على سطح الاشياء والأفعال ليكشفوا به ، فيها ، عن وجه الخير والصلاح وصراط سوى ليسلكوا فيه الى السعادة والكمال والفلاح .

قوله تعالى :

« قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَاَنْزَلْنَا اِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ٧٤ »^٤.

١ - السورة النحل (النحل)

٢ - السورة ال ١٤ (ابراهيم)

٣ - السورة ال ٥٧ (سورة الحديد)

٤ - السورة الرابعة (النساء)

وبالجملة اتى هذا النور المبين الالهى فى تحقيق تلك المسئلة وتنقيتها وتوضيحها
وانارة سبيلها واثارة النفوس المستعدة لقبولها وتسليمها بما لا مثيل له وليس ولا واحد من
الكتب التى تصدى لهذا الموضوع يعادله بالبيان وفى التأثير ويوازيه فى فسحة الأداء
والتعبير فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى انزله اليكم والله بما تعملون خبير
واعلموا انه :

« قَدْ جَاءَكُمْ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ، وَإِنْ تَكْفُرُوا
فَإِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ ١٧٠ »
تلك المسئلة الهامة، كما ترى، تشتمل على اجزاء ثلاثة وفى القرآن المجيد تجد العناية
بالتكلم فى كل واحد من هذه الأجزاء الثلاثة با حسن بيان وامتن كلام وافصح تعبير
وابلغ تبيان وتقرير.
واليك البيان :

٦٧ -- القرآن وعرفان المبدء

اما فى الشأن الجزء الأول من المسئلة، وهو معرفة المبدء (من اين جئنا ؟) فقد
اتى القرآن بدقائق عقلية وحقائق عرفانية لا يصل الى دركها وشهوها الا الأوحى
من الحكماء المحققين والعرفاء الواصلين وبياهى باستنباطها من آياته اقوى العقول
الفعالة من اولياء الحكمة والفلسفة واولى الأبواب النافذة فى العلم والمعرفة .
اضف الى هذا ان تلك الدقائق والحقائق قد صيغت للتصريح والتلويح بها،
فى القرآن قوالب ممتازة من الفاظ راثمة تكون فى اعلى شواهد الفصاحة وجمل لا يقدر
ان يرقى الى ذرى بلاغتها طائر الاوهام الطيارة : فالكلمات منها راثمة فائقة موجزة
وعباراتها انيقة، رقيقة معجزة، قابلة لأن يدركها العارف ويفهمها العامى كل بحسب

١ - مقتبس من الاية الثامنة من السورة ال ٦٤ (التغابن).

٢ - السورة الرابعة (النساء)

قابليته وبقدرا استعداده « فَسَالَتْ اَوْ دِيَةً بِقَدَرِهَا »^١ مُيَسَّرَةٌ حَلَاوَةٌ فَهَمَهَا لِكُلِّ مَنْ شَاءَ اَنْ يَتَذَكَّرَ مِنْهَا طَرِيقَ سَعَادَتِهِ وَرَشَادِهِ « وَكَتَقَدُّ بِسَرْنَا الْقُرْآنَ لِيَلِدَّ كَرِفَهْلٍ مِنْ مُدَّكِرٍ »^٢.

ونعمًا هي التي جرت على لسان وليد بن المغيرة احد رؤساء المشركين بمكة في وصف القرآن من حيث حلاوته وعلوه وحطمه غيره .

قال محمد بن جرير الطبري في تفسيره (ذيل سورة المدثر - ال ١٥٦ -)
بأسناده عن عكرمة :

« ان الوليد بن مغيرة جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقرا عليه فكانه رقا له فبلغ ذلك ابا جهل فقال :

« اى عم : ان قومك يريدون ان يجمعوا لك مالا .

« قال : ليم ؟ قال : يعطونك ، فانك انت محمدأ تتعرض لما قبلكه .

« قال : قد علمت قريش انى اكثرها مالا .

« قال : فقل فيه قولاً يعلم قومك انك منكر لما قال وانك كاره له .

« قال : فما اقول فيه ، فوالله ما منكم رجل اعلم بالأشعار منى ، ولا اعلم برجزه

منى ، ولا بقصيده ، ولا بأشعار الجن . والله ما يشبه الذى يقول شيئاً من هذا .

« ووالله ان لي قوله لحلاوة وانه ليس حطيم ماتحتته ، وانه ليس علو ولا يعلى .

« قال : والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه .

« قال : فدعنى حتى افكر فيه .

« فلما فكر . قال : هذا سحر.... »

وفي رواية اخرى حدث به الطبري في التفسير :

« دخل وليد بن المغيرة على ابي بكر بن ابي قحافة (وض) يسأله عن القرآن

فلما اخبره خرج على قريش فقال :

١ - الاية ال ١٧ من السورة ال ١٣ (الرعد)

٢ - ثلاث آيات فى السورة ال ٥٥ (القمر)

« يا عجباً لما يقول ابن ابي كَبِشَةَ ١ .

« فوالله ما هو بشعر ، ولا سحر ، ولا بهتدي من الجنون .

« وان قوله لمن كلام الله .

« فلما سمع بذلك النقر من قريش ائتمروا وقالوا ، وقالوا : والله لئن صبا الوليد

لتصبأَن قريش..... »

والقرآن كما بهر عقول الفصحاء والبلغاء بكلماته وعباراته واسلوبه وبهتهم ، بهر

عقول اولى الالباب بدقائقه و رقائقه ومقاصده وحقائقه فعجب من احتواء القرآن على

ارق الحقائق وادق المقاصد كل فيلسوف خبير وبُهِت وتحيّر فى اشاراته الى اهم

الدقائق كل متفكّر بصير .

والآن فلنرجع الى ما كنّا يصدده من ايراد نبذ من الآيات الواردة فى شان الجزء

الأوّل (عرفان المبدء) فنقول :

أَوْ يَسْتَطِيعُ بَشَرٌ أَنْ يَصُوغَ كَلَامًا فِي هَذَا الشَّأْنِ بَحَيْثُ تَصِلُ صِيَاغَتُهُ فِي الْجَزَالَةِ

والمنازة والدقّة والصحّة والسهولة والمناعة كعب هذا التعبير ؟ :

« قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ

كُفُوًا أَحَدٌ »

او كانت على شاكلة قوله الحق : ؟

« شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . ١٨٠ . » ٢

او كانت عديلاً لقوله تعالى ؟ :

« قُلِ اللَّسْمُ مَالِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ

الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢٦

« تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ

١ - « ... كان المشركون ينسبون النبي الى ابي كبشة ، وكان ابو كبشة رجلا من

خزاعة خالف قريشا فى عبادة الاوثان ، وعبد الشعراء ، فلما خالفهم النبي فى عبادة الاوثان

شبهوه به . وقيل : هى نسبة الى جد النبي (ص) لانه فارادوا انه نزع اليه فى الشبه

(مجمع البحرين)

٢ - السورة ال ٣ (آل عمران) .

مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٢٧
 أو يتصور كلام في هذا الشأن ابلغ وافصح من قوله الجامع الكامل، تعالى شأنه؟
 «هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ
 الرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ
 الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٢٣
 هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٢٤

أو ليس بكاف لمن اراد عرفان الحق الأول، تعالى شأنه، حق الكفاية ان
 يتأمل في هذه الآيات؟:

« قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ
 وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ
 وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ؟ .

« فَسَيَقُولُونَ : اللَّهُ .

« فَقُلْ : أَفَلَا تَتَّقُونَ ؟ ٣١

« فذَلِكُمْ الْحَقُّ ، فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنْتَى تُصْرَفُونَ ٣٢ ...

« قُلْ : هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتَى

تُؤْفَكُونَ ٣٤ .

« قُلْ : اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ لِمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ

أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ٣٥

هذه نبذة مما وردت في القرآن الأجل حول الشأن الأول .

ولعله لا يخفى على الناظر المتدبر ما في الآية الأخيرة من الإشارة الى ما ذكرناه

١ - السورة الثالثة (آل عمران)

٢ - السورة ال ٥٩ (الحشر)

٣ - السورة العاشرة (يونس)

سابقاً من ان تنظيم المنهاج الكامل للهداية والبرنامج الكافل لجميع ما يرشد الانسان الى طريق الخير وكسب الكمال وتحصيل السعادة لا يمكن لأحد غير الله فهو الحق وكلامه بان يتبع الحق .

«... قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذِكْرًا ١٠ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ... ١١»^١

٧٠ - القرآن وبيان المعاد

واماً في الشأن الجزئ الثاني وهو كيفية المعاد (الى اين نروح ؟) فقد وردت في القرآن الحميد لبيان المعاد والنشأة الآخرة والأشارة الى الدرجات المتفاضلة والمراتب المتكثرة في تلك النشأة تبعاً للدرجات متفاوتة في العقل والعلم والمراتب المختلفة في العمل في هذه النشأة الأولى ، كلمات فصيحة وعبارات بليغة وإشارات انيقة وتنبهات موقظة موجزة وآيات بيّنة ليعقل من تدبّر فيها ويفهم منها من نظر اليها كل على ما يُسرّ لما خلق لها .

القرآن ، اماط اللثام عن وجه مجهولات نشأة الآخرة ، وكشف الغطاء عن مبهماتنا ، فإشار الى الموت وكيفية تحققها ، وبين حقيقة الحياة الطيبة الخالدة وحقيقة الكمال والسعادة ، وهدى الى المستقيم من سبُل تحصيلها ، وافصح عن التهلكة والنقص والشقاوة وارشد الى لزوم التجنّب عن سلوك مسالك المهالك والافتحام في مفاوزها .

بيّن القرآن ما يرتبط بالموت وما يرتب عليه بياناً لا يكاد يوجد له في هذه الفسحة مثل ونظير مراعيّاً في البيان والأفصاح اختلاف مدارك الأشخاص وافهام الأصناف وعقول الناس من حيث مقامهم في التدبّر والتعقل والاستعداد .

٧١ - معرفة المعاد في القرآن

فمما وردت في هذا الشأن:

١ - قوله تعالى: «زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنْ يُبْعَثُوا. قُلْ: بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ، وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ٧» ١.

٢ - قوله تعالى: «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا... ٣٠» ٢.

٣ - قوله تعالى: «أَيَّدَامَتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَقِيقٌ ٤» ٣.

حيات الانسان
بعد معاقبه

٤ - قوله تعالى: «أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ: مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ؟ ٧٨ قُلْ: يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ٧٩. الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ ٨٠ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ؟ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ٨١ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ: كُنْ، فَيَكُونُ ٨٢» ٤.

٥ - قوله تعالى: «وَقَالُوا: إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ٢٩ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يُوقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ: أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ؟ قَالُوا: بَلَىٰ وَرَبِّنَا. قَالَ: فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ٣٠ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ»

١ - السورة ال ٦٤ (التغابن)

٢ - السورة الثالثة (ال عمران)

٣ - السورة ال ٥٠ (ق)

٤ - السورة ال ٣٦ (يس)

كَذَّبُوا بِإِيقَاعِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا: يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ، الْأَسَاءَ مَا يَزِرُونَ ٣١
وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ. وَلِلْآخِرَةِ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟ ٣٢»

هذه نماذج مما ورد في القرآن الحكيم لهذا الشأن العظيم وسيتلى عليك آيات أخرى تناسب هذا الموضوع حين البحث عن الأصول الاعتقادية وسيجىء هنا بعض ما أنزل في شأن الجنة والنار ومعاد الأبرار والاشرار .
« يَا ابْنَتَا النَّفْسِ الْمُطْمَئِنِّتِ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّاتِي » .

٧٢ - القرآن ومنهاج العمل

واما في الشأن الجزء الثالث (ما يجب على الإنسان في مقام العمل) وهو الذي له شأن من الشأن وهو ، بالحقيقة ، أمّ الشئون واهمها وأسس قوائم الحياة وانتمها ولأجله يتحرك ويسير كل فرد ، ان يصطاد منهاجاً وميزاناً بل وباتباعه بصير الإنسان انسانا .
ماورد في هذا الشأن الخطير في القرآن الحميد ، هو ، بالحقيقة ، برنامج استوفى تكاليف الإنسان وافصح عن وظائفه ايام حياته في هذه النشأة الدنيوية وهو شريعة انتظم فيها جميع الشرائع والشعائر واشتملت على تمام المواد التي ينفع العمل بها للمعاش وفي المعاد ومنهاج اندرج فيه كيفية العمل في هذه الحياة بحيث يستتبع الكمال وصراط حق سوي بترتب على سلوكه الوصول بالخيرات والسعادات .

القرآن المجيد
شامل لبيان جميع
ما ينفع الناس

القرآن المجيد، وهو اساس التشريع الاسلامي ومبدؤه ومآله وفيه انطوى الأحكام: حرامه وحلاله، كامل شامل محيط جامع .

الشارع الاسلامي احاط بنظره التافذ الواسع المحيط الى جميع شئون الفرد البشري

ورُمته نواحي المجتمعَ الأنساني في كلِّ مراحل الكيان والتحقّق وباعتبار تمام الأوضاع والاحوال ومن حيث جميع شتات الظروف والمقتضيات ، زماناً ومكاناً وقابليّة واستعداداً ، وبالجملة ، نظر الشارع الى كلِّ ما له تأثيراً في سوق البشر الى الكمال وايصاله الى السعادة ثمّ شرع للناس من المنهاج والدين ما لا يمكن ان ينسب وضعه الا الى الله العالم الخبير القادر المحيط بكلِّ شيءٍ من كلِّ ناحيةٍ ولكلِّ شأنٍ يتصور فيه .
فالله تبارك وتعالى اتمّ نعمته على الناس وهدى لهم سبيل الرّشاد وانزل عليهم القرآن وعلمهم الكتاب والحكمة وعلمهم بالقرآن ما لم يكونوا يعلمون . قوله الحق :

«... وَالْأَيْمَنَ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝ ١٥٠ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ۝ ١٥١ »^١

٧٣ - كمال المنهاج الاسلامي

الشرع الاسلامي ، كما لا مثيل له في الشرائع الموضوعية البشرية من حيث الكاملية والجامعية ، وبلحاظ مراعاة الشئون الستة المذكورة ، فهكذا لانظير له في الشرائع السماوية ، فهو يمتاز عن جميعها بالفضيلة والكمال وكيف لا وهو يحتوي على كليّات جامعة لأصلاح المجتمع ولاكمال الفرد وهذا سواء كان لصيانة جسمه وطهارة بدنه ونقاوة جسده ام كان لتزكية روحه وقداسته باله وخلّده وسواء كان لرفاهه في معاشه ام لصلاح لمعاده .

على ان تلك الكليّات الموضوعية والقواعد الكاملة المشروعة روعي فيها تناسبها لكلِّ زمانٍ ولو حظ انطباقها ، على كلِّ مكانٍ وصلوحها لأرشاد كلِّ انسان كائناً من كان وفي ايِّ مصرٍ وعصرٍ بان .

المشروع الاسلامي باحتوائه الأصول والكليّات ونفوذ نظره في جميع نواحي الأشياء

وانحاء الموضوعات ورعايته رُمة مقتضيات الأحوال والأوضاع وتوجهه الى عامة الظروف والأرجاء وبتشريعه حكماً مناسباً لأثقال لكل موضوع في كل وضع وحال ، سواء آكان ذلك الحكم على وجه الاختصاص ام كان بنحو العموم والأشتمال (الأول ما يطلق عليه ، « المسئلة الفقهية » والثاني ما اصطلح له « القاعدة الفقهية ») وسواء آكان ذلك الموضوع منظوراً بعنوانه الأولي الذاتي ام مأخوذاً بعناوينه الثانية الظارية ، شرعٌ وحيدٌ لا يوازيه شرعٌ ومنهاج الهيّ ، يصلح لارشاد البشر و هدايته الى سعادته ليوم الجمع ، وهو يضمن للانسان ، الحياة الطيبة الخالدة و الفوز بالخيرات وكمالته الآلثقة . من اتبعه وعمل به رشد في الحال و فاز بسعادته في المآل .

المشروعات
الاسلامية تضمن
للانسان الحياة
الطيبة الخالدة

« الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيَّ الْكِتَابَ وَ لَمْ يَجْعَلْ لَهٗ عِوَجًا ۙ قِيمًا لِيَتَذَكَّرَ بِآسَاءِ شِدْدِي بَدْءًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۙ »^١
نعم قد انزل الله القرآن، تلك الآيات البينات، ليخرج الناس، من آمن منهم وعمل الصالحات، من الظلمات الى النور .

« ... قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذِكْرًا ۙ ۱۰ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ ، لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ . . . ۱۱ »^٢

٧٤ - القرآن وارشاده الى العمل الصالح

والآن فانظر الى ما يتلى عليك نماذج من الآيات النازلة في شان ما يجب، او ينبغي، ان يعمل بها في هذه الحيات الدنيا وسمع قوله الحق :

« وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَمَا تَعْمَلُونَ

١ - السورة ال ١٨ (الكهف) .

٢ - السورة ال ٦٥ (الطلاق) .

مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُنْفِضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ٦١»^١

ثم تدبر الآيات قوله تعالى :

١ - « لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ، ذَوِي الْقُرْبَى ، وَالْيَتَامَى ، وَالْمَسَاكِينَ ، وَابْنَ السَّبِيلِ ، وَالسَّائِلِينَ ، وَفِي الرِّقَابِ ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ ، وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ، وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ١٧٧»^٢

٢ - قوله تعالى :

« وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ١٣٣ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ١٣٤ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ، وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُ ، وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٣٥ أُولَئِكَ جَزَاءُ هُم مَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ١٣٦ » .

٣ - قوله تعالى :

« إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ، وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٩٥ وَأَوْفُوا

١ - السورة العاشرة (يونس)

٢ - السورة الثانية (البقرة)

بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ، وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ... ٩١»^١

٤ - قوله تعالى :

«يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ٦ فَمَنْ يَعْمَلْ

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ٨»^٢

وعليك بالتدبير والغور في هذه الآية الأخيرة فيا لها من البيان الموجز الجامع الكامل الكافل للارشاد الى الكمال والخير والسعادة .

أجل من يعمل مثقال ذرة خيراً في هذه الحياة الدانية يراه بعينه في الدار العالوية الآخرة وهكذا من يعمل مثقال ذرة شراً يريه وكيف لا و«كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ٣٨»^٣

الانسان رهين
عمله ان خيرا
فخيرا وان شرا
فشرا

ولعلى باب مدينة العلم ، عليه السلام ، في هذا المضممار كلمات بليغة نجعل نبذاً منها ختام الكلام عن « الرسالة » ثم نتبرك بالفحص عن حال شخص « الرسول » محمد ابن عبد الله ، رسول الاسلام صلى الله عليه وآله وسلم ، ونشير الى بعض ما كان له من المجد والعظمة والكرامة والجلالة^٤ وعلى الله التكلان ومنه التوفيق وهو المستعان .

قال عليه السلام على ما في نهج البلاغة :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَعَ الْإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ ، وَأَعَزَّ أَركَانَهُ عَلَى مَنْ غَالَبَهُ فَجَعَلَ آمِنًا لِمَنْ عَلِقَهُ ، وَسَلِيمًا لِمَنْ دَخَلَهُ ، وَبِرَهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ ، وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ ، وَنُورًا لِمَنْ اسْتَضَاءَ بِهِ ، وَفَهْمًا لِمَنْ عَقَلَ ، وَلُبًّا لِمَنْ تَدَبَّرَ ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّسَ ، وَبَصِيرَةً لِمَنْ عَزَمَ ، وَعِبْرَةً لِمَنْ اتَّعَطَّ ، وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ ، وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ ، وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ ، وَجَنَّةً لِمَنْ صَبَرَ ، فَهَوُ الْبَلَجُ الْمُنَاهِجُ ،

١ - السورة ال ١٦ (النحل) .

٢ - السورة ال ٩٩ (الزلزلة) .

٣ - السورة ال ٧٤ (المدثر) .

٤ - وسنورد هنا ايضا نبذة من الايات التي تناسب هذا الموضوع اى منهاج العمل .

وَأَوْضَحَ الْوَلَايِجَ، مُشْرِفَ الْمَنَارِ، مُشْرِقَ الْجَوَادِ، مُضِيئَ الْمَصَابِيحِ، كَرِيمَ الْمِضْمَارِ، رَفِيعَ الْغَايَةِ، جَامِعَ الْحَكْبَةِ، مُتَنَافِسَ السَّبْعَةِ؛ شَرِيفَ الْفُرْسَانَ، التَّصَدِيقَ مِنْهَاجَهُ، وَالصَّالِحَاتُ مُنَارَهُ... الْخُطْبَةُ « (ص ٩١٠)

وقال عليه السلام ايضا :

« بَعَثَهُ بِالنُّورِ الْمُضِيئِ، وَالْبِرْهَانَ الْعَجَلِيَّ، وَالْمِنْهَاجَ الْبَادِيَّ، وَالْكِتَابَ الْهَادِيَّ... أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ، وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ وَدَعْوَةٍ مُتَلَفِّفِيَةٍ، أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ، وَقَمَعَ بِهِ الْبِدْعَ الْمَدْخُولَةَ، وَبَيَّنَّ بِهِ الْأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ، فَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا تَنْحَقُّ شِقْوَتُهُ وَتَنْفَصِمُ عُرْوَتُهُ وَتَعْظُمُ كِسْبَتُهُ، وَيَكُونُ مَتَابَهُ إِلَى الْحَزَنِ الطَّوِيلِ وَالْعَذَابِ النَّوِيلِ »

أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْتَغُونَ وَلَهُ اسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَالْيَهُ يُرْجَعُونَ ١٨٣ انّ الدين الجامع لكل خيرٍ وصلاحٍ، الكافل للستعادة والفلاح عندالله، الاسلام .

« وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ (من وقت ظهوره

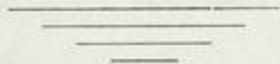
الى يوم النشور) وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٨٥ »

رفعة مقام القرآن
وسموه حتى في
نظر المنكرين
والماديين

وهيئنا وقدحان حين ختم الكلام عن القرآن المجيد يعجبني ان اورد ما تذكّرتها من الايات التي انشأها في شان القرآن المجيد، المصري الكافر بالاسلام، بل بكلّ دين، شبلي شمّيل صاحب كتاب « النشوء والارتقاء » وهي هذه :

« دَعُ مِنْ مُحَمَّدٍ فِي سَدَى قُرْآنِهِ	ما قد دنحاه للحمّة الغايات
« إِنِّي وَإِنْ كُذِّبْتُ بِدِينِهِ	هل اكفّرَنَ بِمُحْكَمِ الْآيَاتِ؟
« وَمَوَاعِظَ لَوْ أَنَّهُمْ عَمِلُوا بِهَا	ما قَيَّدُوا الْعُمُرَانَ بِالْعَادَاتِ
« نِعْمَ الْمُدَبِّرَ وَالْحَكِيمَ وَإِنَّهُ	رَبُّ الْفَصَاحَةِ مِصْطَفَى الْكَلِمَاتِ

«رجل الحجة رجل السياسة والدِّهاء»^١ بَطَلٌ حَلِيفُ النَّصْرِ فِي الْغَارَاتِ
 «ببلاغة القرآن قد جَلَبَ النَّهْيُ»^٢ وبسيفه انحنى على الهامات
 «مِنْ دُونِهِ الْأَبْطَالُ»^٣ فِي كُلِّ الْوَرَى من غائبٍ او حاضرٍ او آتٍ
 «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي
 الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ»^٣ ٥٧
 صدق الله العظيم



١ - هذا على مذهبه المادى الطبيعى الذى لا يخضع للوحى والالهام .

٢ - لعله يشير بهذه الكلمة الى ابطال كتاب « الابطال » لفيلسوف الانكريزى ،

كارليل توماس .

٣ - السورة العاشرة (يونس)

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ
إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ
أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ
آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

(القرآن المجيد)

« . . . حتى آفَضْتَ كَرَامَةَ اللَّهِ ، سَبْحَانَهُ
وَتَعَالَى ، إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ النَّمَعَاتِ مَنْبِيئًا
وَاعَزَّ الْأُرُومَاتِ مَغْرَسًا عِثْرَتُهُ
خَيْرُ الْعِثْرَاتِ وَسُرَّتُهُ خَيْرُ الْأُسَرِّ »

(نهج البلاغه)

- ١ - رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم .
- ٢ - أسرة الرسول المكرمة .
- ٣ - اوصافه في خلقته وحليته وشمائه .
- ٤ - خلقه العظيم .
- ٥ - بعثته المباركة .
- ٦ - دعوة الرسول .
- ٧ - نماذج مما دعا اليه الرسول .

٥ - حول شخصية الرسول ، العُظمى
صلى الله عليه وآله وسلم :

٧٧- رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم

لا اظن ان يوجد في طول التاريخ البشرى وعرضه تاريخ حياة فرد من افراد الإنسان، رسولاً كان او غيره ، كتاريخ حياة رسول الاسلام محمد بن عبد الله مضبوطاً بجزئياته : في استقصاء جميع شئونه واستقراء كل ما يتعلق به من حالاته ، في حياته وصفاته وسماته في ذاته واحصاء حر كاته و سكوناته واقواله وافعاله وكل ذلك على النحو الجلي الذي لا ريب فيه ولا خلاف يعتر به.

استوفى تاريخ محمد بن عبد الله ، رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم ، في رمة نواحي حياته وفي كل شئونه وجهاته ، سواء اكان من حيث أسرته السامية- الشريفة ام كان باعتبار خصوص والده الماجد او والدتها المكرمة ام كان من حالاته الشخصية وحياته الفردية من بادي بدء تكونه في الأصلاب الشامخة والأرحام الطاهرة ومن فاتحة امره وطلوعه الى حين وفاته ورجوعه وذلك لكونه مطمئناً للانظار ، مورداً للتوجه والاعتبار مضبوطاً في الخواطر و الأذهان تتداولته الألسنة و الأفواه وتتناقلته القراطيس والأقلام وتتناولته الأسماع والأبصار .

ضبط التاريخ ، تاريخ ، الرسول مبتدء من آبائه وامهاته وزواج والديه الى يوم تولده ورضاعه وفظامه الى يوم ترعرع فيه الى يوم رشده ونشؤيه الى يوم بعثه ونبؤيته الى حين رجوعه الى ربه كل يوم من ايام حياته، بل كل لحظة من لحظات وجوده ، سواء اكان في حر كاته ام سكوناته وسواء اكان في افعاله ام اقواله ، في جلواته ام خلواته حتى في كيفية معاشرته مع نساته ومحاورته مع زوجاته .

فانظر الى شزيمة منها نوردها ، هنا مراعيًا جانب الاختصار والتلخيص واعتبر.

٧٨- أسرة الرسول المكرمة

كانت قبيلة قريش اشرف قبائل التي استوطنت من سواف الاعصار بمكة ،

تاريخ حيات نبي
الاسلام اشمل
تاريخ للحيات
واكملة

خير بلاد الحجاز وأمّ قريشها ، وكانت اسرة بنى هاشم اشرف سلالة انسلت من تلك القبيلة والسلالة وكان من هذه الأسرة والفخذ ومن مشاهير هذه العشيرة والبطن^١ بل ورئيسها المعظم وشيخها المكرّم عبدالمطلب بن هاشم وكان لعبد المطلب عدة ابناء احبهم الى الوالد الماجد اصغرهم عبدالله ، والد محمد ، الرسول الكريم^٢ .

تُوّفّي عبدالله وكان ابنه ، محمد حملاً ، على اصحّ القولين ، اوله سبعة اشهر على قول ، وماتت امّه بالأبواء (الأبواء موضع بين المدينة وبين مكّة) حين انصرافها من زيارة اخواله ولما استكمل محمد بعد وقتئذ سبع سنين ، وكان كفيلاً امره جده عبدالمطلب . وتُوّفّي جده وله ثمان سنين ، على المشهور ، او ست ، او عشر على قولين آخرين .

تكفل ابي طالب للنبي (ص)

وحين ما قربت وفاة جده عبدالمطلب او صي^١ به الى عمّه ابي طالب فكفله عمّه ، ابوطالب واسمّرت كفالته . فلما بلغ اثنتي عشرة سنة خرج به عمّه الى الشام وفي هذا السفر رآه الراهب ، بحيراء ، واسرّ ببعض شأنه الى عمّه ابي طالب وامرّه ان لا يذهب به الى الشام وعرفه عداوة اليهود له وحذّره منهم فأرجعه عمّه مع بعض رجاله الى المدينة .

١ - « الفخذ في العشائر اقل من البطن ، اولها الشعب ، ثم القبيلة ثم الفصيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ » (صحاح اللغة)

٢ - « نذر عبدالمطلب ، حين لقي من قريش العنت في حفز سزم ، كما نذكره ، لئن ولد له عشرة نفر وبلغوا معه حتى يمنعه ليتجرن احدثهم عند الكعبة لله تعالى . فلما بلغوا عشرة وعرف انهم سيمنعونه اخبرهم بنذره... » (الكامل)

« فجملة التي تزوجهن عبدالمطلب خمس فولدن له اثني عشر ابناً ، على ما في الصفوة او ثلاثة عشر ، على ما في « ذخائر العقبى » او عشرة ، على ما في « سيرة بن هشام ... » (تاريخ الخميس)

وكيف كان ، كان عبدالله اصغرهم حين اراد عبدالمطلب ، التجر والاعباس وبعده حمزة كانا اصغر سناً من عبدالله ولعلهما ولدا بعد وفاة عبدالله ولم يدركا زمانه وعلى هذا فكان عبدالله اصغر الموجودين وقتئذ .

قال عليّ في خطبة يذكر فيها الأنبياء :

« فاستودعهم في افضل مستودع واقربهم في خير مستقر تناسختهم كرائم الاصاب الى مطهرات الأرحام . كلّمنا مضي منهم سلف قام منهم بدين الله خلف . حتى افضت كرامة الله ، سبحانه وتعالى ، الى محمد صلى الله عليه وآله . فأخرجته من افضل المعادن منبتاً واعز الأرومات مغرّساً ، من الشجرة - التي صدع منها انبيائه ، وانتخب منها امثاله ، عثرته خير العثر ، وأسرته خير الأسر ، وشجرته خير الشجر ، نبئت في حرم ، وسبقت في كرم ، لها فروع طوال ، وثمر لا ينال . فهو امام من اتقى وبصيرة من اهتدى ، سراج لمع ضوئه وشهاب ساطع نوره وزند برق لمعه ، سيرته القصد ، وسنته الرشد ، وكلامه الفصل ، وحكمه العدل » .

مفرد النبي
وعترته
وسيرته وسنته

وقال عليه السلام في خطبة اخرى له :

« مستقره خير مستقر ، ومنبته اشرف منبت في معادن الكرامة ومما هدي السلامة . قد صرفت نحوه افئدة الأبرار ، وثنيت اليه ازمة الأبصار ... »

وقال في موضع آخر :

« ... اخناره من شجره الأنبياء وذوابة العلياء وسرة الباطحاء ومصاييح الظلمة وينابيع الحكمة » .

٨٠ - اوصافه في خلقته وشمائله وحليته

عن امالي الشيخ ، علي ما في بحار الأنوار ، عن ابن الصلت عن ابن عقدة بأسناده عن الإمام علي بن موسى الكاظم عن آباءه عن جده علي ، عليهم السلام ، حين قالوا

١ - اسرة الرجل رهطه و رهط الرجل قومه وقبيلته .

٢ - جمع « مهله » على خلاف القياس نظير « محاسن » في جمع « حسن » و « مساوي »

في جمع « سوء » .

له : صِفٌ لَنَا نَبِيْنَا (ص) كَأَنَّا نَرَاهُ فَأَنَّا مُشْتَاقُونَ إِلَيْهِ .

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

« كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ أَيْضَ اللَّوْنِ مُشْرَبًا حَمْرَةً ^١ أَدْعَجَ الْعَيْنَيْنِ ^٢ سَبِطَ الشَّعْرَ ^٣ كَثَّ اللَّحْيَةَ ذَاوَقِرَةً ^٤ دَقِيقَ الْمَسْرُوبَةِ ^٥ كَأَنَّمَا عُنُقُهُ أَبْرِيقُ فُضَّةٍ يَجْرِي فِي تِرَاقِيهِ الذَّهَبِ . لَهُ ، شَعْرٌ مِنْ لَبَّتِهِ ^٦ إِلَى سُرَّتِهِ كَقَضِيبِ خَيْطٍ إِلَى السَّرَّةِ ، وَلَيْسَ فِي بَطْنِهِ وَلَا صِدْرِهِ شَعْرٌ غَيْرُهُ ، شَثْنُ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ شَثْنٌ ^٧ الْكَعْبَيْنِ . إِذَا مَشَى ^٨ كَأَنَّهُ يَنْقَلَعُ مِنْ صَخْرٍ ، إِذَا أَقْبَلَ كَأَنَّمَا يَنْحَدِرُ مِنْ صَبَبٍ ^٩ . إِذَا التَّفَتَّ ، التَفَتَّ ^{١٠} جَمِيعًا بِأَجْمَعِهِ كُلِّهِ . لَيْسَ بِالْقَصِيرِ الْمُتَرَدِّدِ ^{١١} وَلَا بِالطَّوِيلِ الْمُمَغِطِ ^{١٢} وَكَانَ فِي الْوَجْهِ تَدَاوِيرٌ ، إِذَا كَانَ فِي النَّاسِ غَمْرَهُمْ ^{١٣} كَأَنَّمَا عَرَّقَهُ فِي وَجْهِهِ اللَّوْلُو ، عَرَّقَهُ أَطْيَبُ مِنْ رِيحِ الْمُسْكِ . لَيْسَ بِالْعَاجِزِ وَلَا بِاللَّئِيمِ . أَكْرَمُ النَّاسِ عَشْرَةَ [عَشِيرَةَ خ ل] وَالنِّهْمُ عَرِيكَةٌ وَاجْوَدُهُمْ كَفَاءٌ ، مَنْ خَالَطَهُ بِمَعْرِفَةِ أَحَبِّهِ وَمَنْ رَأَاهُ بِدَيْهَةٍ هَابَةٍ ، عِزُّهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ يَقُولُ بِأَغْيَتِهِ : لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ ^{١٤} مِثْلَهُ ^{١٥} صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . »

اوصاف النبي
(ص) على ما وصفه
على (ع)

ووصفها أم معبد الخزاعية لزوجها ، أبو معبد ، حين هجرته ، صلى الله عليه وآله

- ١ - عالياً حمرة على بياضه .
- ٢ - شديدة السواد في شدة بياضها .
- ٣ - خلاف الجعد . أي كان مسترسل الشعر .
- ٤ - كان يصل شعر رأسه إلى شحمة الأذن .
- ٥ - الشعر وسط الصدر إلى البطن .
- ٦ - موضع القلادة من الصدر .
- ٧ - مثل شتل ، لفظاً ومعنى ، يقال : فلان شتل الأصابع أي خشن الأصابع وغلظها .
- ٨ - من فوق .
- ٩ - المتناهي في القصر .
- ١٠ - تمغط وامغط الشيء استمد وطال . أصله منمغط (والانمغاط هو التمداد في الطول) قلبت نون المطاوعة وادغمت في الميم فصارت منمغط .
- ١١ - كان فوق كل من كان معه .
- ١٢ - أي يظهر عزه في وجهه ولا قبل أن يعرف فمن رآه بغتة لا يعغفى عليه عزه .

وسلم، الى المدينة ومروره في مسيره نحوها بخيبتها في قصةٍ ستجيبىء اليها الإشارة فقالت في ما وصفته صلى الله عليه وآله وسلم لزوجها :

« ظاهرُ الوضائة ، ابلج ، مُشرقُ الوجه ، حَسَنُ الخُلُق ، لم تَعِيَهُ نَجَلُهُ ١ ولم تزره صَعَلُهُ (دقة الرأس والعنق) وَسِيمٌ قَسِيمٌ ، فى عَيْنَيْهِ دَعَجٌ ٢ وفى أشعاره وَطَفٌ (كثرة شعر الحاجين) .

وفى صوته صَحَلٌ (اى خشونة) وفى عُنُقِهِ سطح ، أَحْوَرٌ ، أَكْحَلٌ ، ازجٌ ٣ أَقْرَنُ ٤ ، شديد سواد الشعر ، اذا صَمَتَ علاه الوقار ، وان تكلم علاه البهاء . أَجْمَلُ النَّاسِ وَأَبْهَأُهُمْ من بعيد ، واحسنهم ، واحلام من قريب . حَلَوُ الْمَنْطِقِ فصل ، لانزُرٌ ولاهذِرٌ ٥ كأنَّ مَنْطِقَهُ خَزْرَاتٌ نُظْمِنُ بِتَحْدَرَنَ . رَبْعَةٌ ٦ لاتفحم عينٌ من قَصْرِ ، ولاتشنتوه من طُول ، غُصْنٌ بين غُصْنَيْنِ فهو أَنْضَرُ الثلاثة منظرًا واحسنهم قدرًا . له رفقاء يحفون به ، اذا قال استمعوا لقوله ، واذا أَمَرَ تَبَادَرُوا الى أمره محفود ٧ . »

فقال زوجها ، ابومعبد :

« والله هذا صاحب قريش الذى ذكروا من امره ما ذكروا ، لقد هممت ان اصحبه ، ولأفعلن ان وجدت الى ذلك سبيلاً . »

٨٢ - وصف هند بن ابى هالة حلية النبى

قد ورد فى كتب « العامة » و « الخاصة » المعتبرة بأسنادهم عن الامام الحسن بن

١ - سعة العين و حسنه .

٢ - شدة سواد العين مع سعتها .

٣ - « ازج حاجبه : رق فى طول فهو ازج » .

٤ - « مقرون الحاجبين » .

٥ - فصل بين الحق والباطل . لانزُر . بطنى ولاهذر : متكلم بما لاينبغى .

٦ - الوسيط القامة » .

٧ - مخدوم .

على بن ابيطالب انه قال :

« سألتُ خالى هند بن ابى هالة التميمى (ابو هالة ، هذا ، كان زوج خديجة -
الأول قبل تزويجها برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فولدت له هنداً وهالة ولذا عبر
الأمم (ع) عن هند بن خديجة بالعخال) عن حليّة رسول الله (ص) وكان وصافاً
للنّبى (ص) فقال :

« كان رسول الله فخماً مُفخماً يتّسلاً لؤُوجهه تَلَأُ القمريّة البدر ، اطولّ
من المربوع واقصرّ من الشّدب ، رَجَلُ الشّعْر ، ان انفرت عقيقته فرق والآفلا يجاوزُ
شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره ، ازهر اللّون ، واسع الجبينين ارجّ الحاجبين
سواغ غير قرن بينهما ، له عرق يدره الغضب ، اقنى العرينين ^١ ، له نورٌ يعلّوه ،
يحسبه منّ لمّ يقامله ^٢ اشم ^٣ ، كثّ اللّحية ، سهل الخدين ، ضليع الفم ، اشنب ^٤ ، مفلج
الاسنان دقيق المسرّبة ، كأنّ عنقه جيد دُميّة ^٥ فى صفاء الفضّة ، معتدل الخلق ،
بادناً متماسكاً سواء البطن والصدر ، بعيد ما بين المنكبين ، ضخم
الكراديس ^٥ ، انور المتجرد ، موصول ما بين اللبّة والسرة بشعر بجرى كالخطّ ، عارى
الشدين والبطن ممّا سوى ذلك ، اشعر الذراعين والمنكبين واعالى الصدر ، طويل
الزّدين ، رجب الرّاحة ، شثن الكفينّ والثّقديّين ، سائل الأطراف ، سبط القصب ،
خمصان الأخصيين ، مسيح القدمين ينبوعهما الماء ، اذا زال زال قلباً ، يخطو تكفّواً
ويمشى هونا ، ذريع المشية ، اذا مشى ^٦ كأنّما ينحطّ فى صيّب ^٦ ، واذا التفتّ التفتّ

اوصاف النبى
على ما وصفه هند
ابن ابى هالة

١ - قنى الانف : « ارتفع وسط قصبته وضاقت منخراه » - العرينين : « جمع عرانيين ،
الانف كله او ما صلب منه » .

٢ - « شم الانف : ارتفع اعلاه » .

٣ - « شنب الرجل : كان ابيض الاسنان حسنها »

٤ - « دمية ، جمع دمي : الصور المزينة فيها حمرة كالدّم »

٥ - « الكردوسه ج كرداس وكراديس : كل عظم تكرّس اللحم عليه » .

٦ - فى استقرار قدماه .

جميعاً . خافض الطرف ، نظره الى الأرض أطول من نظره الى السماء، جُلَّ نظره الملاحظه . يَبْدُرُ مَنْ لَقِيَهُ بِالسَّلَامِ .

« قال قلت له : فصيف لي منطقه . فقال :

« كانَ وَاللهِ نَبِيُّ اللهِ اَبْيَضَ اللَّوْنِ مُشْرَبًا حُمْرَةً »

الى آخر ما نقلناه آنفاً عن « بحار الأنوار » عن علي أمير المؤمنين (ع) .

٨٣ - خُلِقَ العَظِيم

اتفق كلام المخالف والمؤلف واجمع المنازع والمتابع على ان محمداً

صلى الله عليه وآله وسلم كان في جميع اطوار حياته ممتازاً بالكمال عن سائر ابناء النوع فكان متخلياً عن الرذائل متخلياً بجميع الفضائل وكان صديقاً أميناً بحيث اشتهر عندهم بوصف الأمانة واعترف له الداعدائه بأنه صادق أمين حتى لقبوه بينهم بمحمد « الأمين » .

كان النبي (ص)
كاملاً في جميع
الاصناف الكماله

لما كان صلى الله عليه وآله وسلم مسدداً مؤيداً من عند الله ، مكرماً مقرباً لديه ، كانت شيمته شريفة زكية طاهرة ، واخلاقه حميدة عظيمة فاضلة ، واعماله سديدة مرضية سالحة . نعم كل من في الوجود يعمل على شاكلته ويرشح بما استودع في وعاء سجيته وارتكز في اناء طويته .

قال علي (ع) في بعض خطبه امرأ للتأسي بالرسول (ص) :

« فتأسَّ بنبيك الأَطيب الأَظهر - ص - فأنَّ فيه أُسوةً لمن تأسَى و عزاءً

لمن تعزَى . واحبُّ العباد الى الله ، المُتأسَى بنبيِّه والمقتصِّ لاثره قَصَمَ الدنيا قَصْماً ولم يُعْرِها طَرْفًا ، أَكْضَمَ اهل الدنيا كَشْحاً وَاخْمَصَهُم من الدنيا بَطْناً ، عُرِضَتْ عليه الدنيا فأبى ان يقبلها ، وعلم ان الله سبحانه ، ابغض شيئاً فأبغضه وحقَّرَ شيئاً فحقَّره وصغَّرَ شيئاً فصغَّره ولقد كان (ص) يأكلُ على الأرض ويجلسُ جلسة العبد ، ويخْصِفُ بيده نَعْلَهُ ، ويرقع بيده ثوبه ويركب الحمارَ العارى ، ويردِّف خَلْفَهُ ، ويكونُ السُّتْرُ على باب بيته فتكون فيه التصاوير ، فيقول :

« يا فلانة - لأحدى ازواجه - غَيَّبِيه عَنِّي فَأَنَّى إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْه ذَكَرْتُ
الدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا .

« فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ ، وَامَاتَ ذَكَرَهَا مِنْ نَفْسِهِ ، وَاحِبٌّ أَنْ تَغِيبَ
زَيْنَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ . . . ، خَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا خَمِيضاً وَوَرَدَ الْآخِرَةَ سَلِيمًا ، لَمْ يَضَعْ
حَجْرًا عَلَى حَجَرٍ حَتَّى مَضَى السَّبِيلَ وَاجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ . . . »^١

٨٤ - جامعية الرسول لجميع الكمالات

و لأجل كونه (ص) خير البرية طفلاً و انجبها كهلاً ، اطهر المطهرين
شيمةً و اجود المستمطرين ديمةً قوجهت اليه النفوس «فصُرِفَتْ نَحْوَهُ افئدةُ الأبرار
و تُنْبِتُ إِلَيْهِ اِزِمَةَ الأَبْصَارِ ، دَفَنَ اللهُ بِهِ الضَّغَائِنَ وَ اَطْفَأَ بِهِ الشَّوَاهِرَ ، أَلْفَ بِهِ
اِخْوَانًا وَ فَرَّقَ بِهِ أَقْرَانًا ، وَ اعَزَّزَ بِهِ الدَّلَّةَ وَ اذَلَّ بِهِ العِزَّةَ ، كَلَامُهُ بَيَانٌ وَ صَمْتُهُ
لِسَانٌ »^١ .

كان رسول الله (ص) في كل صفات الكمال فوق كل كامل حتى كان في
شجاعته فوق كل شجاع فاصغ الى علي ، اشجع الشجعان ، وما قاله في شان شجاعته
الرسول (ص) :

قال الطبري (الجزء الثاني - الصفحة ١٣٥-) في تاريخه لبيان شجاعته (ص) :
« . . . عن علي قال :

« لمّا ان كان يوم بدر و حضر الناس اتقينا برسول الله فكان من اشد الناس
بأساً و ما كان منا احد اقرب الى العدو منه »

وقال ايضاً :

« عن علي يقول :

« ما كان فينا فارس يوم بدر غير مقداد بن الأسود و لقد رأيتنا و ما فينا الا نائم »

كان رسول الله
من اشد الناس
بأساً

«آ رسول الله قائماً الى شجرة يصلّي ويدعو حتى الصبح» .

٨٥ - بعثته المباركة

اكتمل محمد صلى الله عليه وآله وسلم اربعين سنة فبعثه الله بالرسالة و امره بالدعوة وكان الجهل وقتئذ حاكماً على البسيطة ، ولا سيما على جزيرة العرب ، مشرق الرسالة و مطلع الدعوة ، وكان سوء الخلق فاشياً في قاطنيتها و قبح العمل مستحسناً عند عاكفيتها : كانوا ينكرون الله و يعبدون الأوثان ، انحطت افكارهم و تدنّت عقولهم بحيث كانوا يصنعون من الخشب و الحجر اصناماً و يسمونها باسماء يتدعونها ثم يعبدونها و يدعونها لقضاء حاجاتهم و يلتمسون منها الخير و يطلبون بها دفع الشر و يترقبون من تلك المجسمات الجامدة المصنوعة بايديهم نيل النفع و دفع الضرر !! .

أَرَبُّ يَبُولُ الثُّعْلُبَانِ بِرَأْسِهِ ۱؟

لَقَدْ ذَلَّ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثُّعَالِبُ

بلغ توغل طائفة منهم في الجهالة و تحصلهم بالدنائة و الرذالة ، بل و السفاهة و الحماقاة الى ان كانوا يصنعون من التمر صنماً فيعبدونه و يدعونه لحاجتهم و يتضرعون عنده و يتوسلون اليه و يخضعون لديه ثم إذا جاع احدهم هجم الى معبوده المصنوع و اكله لسدّ الجوع !!

جهالة العرب
الجاهلي

هكذا كان حال بعض الأفخاذ و البطون و القبائل و الشعوب في الجاهلية

و هذا انموذج من رذائة عقولهم و شناعة رأيهم و دنائة فكرهم و فظاعة عملهم و رذالة خلقهم فكانت عاداتهم سيئة و اخلاقهم رذيلة و آدابهم منحطة و اعمالهم خسيسة دنية : يفتخرون بالغارة ، و القتل ، و الظلم ، و التعدى بالأعراض و النواميس ، و التجاوز بحقوق الضعفاء ، في انديتهم ، و يرتجزون بتذكار رذائلهم المزبورة في حروبهم و يباهون بها في اشعارهم حين تجمعتهم في اسواقهم .

١- «الثعلب معروف قال الكسائي : الاثنى ثعلبية و الذكور ثعلبان ...» (صحيح اللغة)

دفن البنات
حيا

يتعصبون على بناتهم عصيبة عمياء فيدفنونها احياء ويتجاوزون حقوق النساء فيكروهن على البغاء يأخذون منهن اجورهن من البغي والفحشاء ويتغنون بهذه الوسيلة الخسيسة الفاضحة عراض الحياة الدنيا ويطلبون بهذا الكسب الدني زيادة المال والشراء، ويقولون بانهم يتبعون في ذلك الآباء .

« وَاذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَائُنَا . . . ٢٨ » بل وقد ينسبون ذلك الى امر الله ويقولون : « . . . وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ، قُلْ : إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ . . . ٢٨ » تبياً لتلك العقائد والأقوال وتعنسا، وترحاً لذيات الأخلاق والعادات والأعمال وقبحاً . « قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا ١٤٠ » ٢

٨٦- جزيرة العرب في الجاهلية

و خلاصة القول انه استولى على الجزيرة ، الفساد في جميع نواحي حياة القاطنين بها و ظهرت الدنائة والردالة من قاطبة شئون اكثر ساكنيها .

فنفذ الفساد في العقول والأراء والأخلاق وبرز الفسوق من الاعمال والعادات والأداب و صارت آثار الجهل و اطوار الجاهلية فاشية راسخة في عرصة حياتهم ، ولا سيما بمكة ، كظلمات في بحر لحي يغشاه موج ، من فوقه موج ، من فوقه سحب ظلمات بعضها فوق بعض ، ذلك هو الضلال المبين .

قال علي (ع) في بعض خطبه ٣ :

« أَرْسَلَهُ عَلِيٌّ حِينَ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَهَقْوَةٍ عَنِ الْعَمَلِ وَغَبَاوَةٍ مِنَ الْأُمَمِ . بَعَثَهُ وَالنَّاسُ ضُلَّالٌ فِي حَيْرَةٍ وَحَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ .

« قَدْ اسْتَهْوَتْهُمْ الْأَهْوَاءُ وَاسْتَنْزَلَتْهُمْ الْكِبْرِيَاءُ وَاسْتَخَفَّتْهُمْ الْجَاهِلِيَّةُ . الْجَهْلَاءُ ، حَيَارَى فِي زَلْزَالٍ مِنَ الْأَمْرِ وَبَلَاءٍ مِنَ الْجَهْلِ . فَبَالِغَ (ص) فِي النَّصِيحَةِ

١- السورة السابعة (الاعراف).

٢- السورة السادسة (الانعام).

٣- نهج البلاغة .

وَمَضَى عَلَى الطَّرِيقَةِ وَدَعَا إِلَى الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ»

وقال (ع) فى كلامٍ آخَرَ له ١ :

«وَأَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فِتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ وَطُوْلَ هَجْرَةٍ مِنَ الْأُمَمِ وَعِزَامٍ مِنَ الْفِتَنِ وَانْتِشَارٍ مِنَ الْأُمُورِ ، وَتَلَطُّظٍ مِنَ الْحُرُوبِ ، وَالدُّنْيَا كَاسِيفَةُ النُّورِ ، ظَاهِرَةُ الْغُرُورِ ، عَلَى حِينِ اصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِيهَا وَآيَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا وَاغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا .

«قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ الْهُدَى ، وَظَهَرَتْ أَعْلَامُ الرَّدَى ، فَهِيَ مَتَهَجِّمَةٌ لِأَهْلِهَا عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا ، ثَمَرُهَا الْفِتْنَةُ ، وَطَعَامُهَا الْجِيْفَةُ وَشِعَارُهَا الْخَوْفُ ، وَدِثَارُهَا السَّيْفُ .

لَمَرِ الدُّنْيَا
وَطَعَامِهَا

«فَاعْتَبِرُوا عِبَادَ اللَّهِ وَادْكُرُوا تَيْبِكَ النَّبِيِّ أَبَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ بِهَا مُرْتَهِنُونَ وَعَلَيْهَا مُحَاسِبُونَ . . . الْخُطْبَةُ»

وقال (ع) فى موضعٍ آخَرَ ٢ :

«إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ وَآمِنًا عَلَى التَّنْزِيلِ وَأَنْتُمْ مَعَشَرُ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وَفِي شَرِّ دَارٍ .

«مُنِيخُونَ بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ ، وَحَيَاتٍ صَمٍّ ، تَشْرَبُونَ الْكَدِيرَ وَتَأْكُلُونَ الْجَشْبَ ، وَتَسْفِكُونَ دِمَائِكُمْ وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ ، الْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ ، وَالْآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ» ٣

حَالُ الْعَرَبِ
قَبْلَ الْإِسْلَامِ

«لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ»

١ و ٢ - نهج البلاغة .

٣ - «الاناختة ، المقام . الخشن جمع خشناء : و وصف الحيات بالصم لانها اخبثها اذ لا تنزجر بالاصوات كانها لاتسمع . . . والجشب ، الطعام الغليظ ، او ما يكون منه بغير ادم . معصوبة اى مشدودة تمثيل للزوبها لهم وقد جمع فى وصف حالهم بين فساد المعيشة وفساد العقيدة و الملة» (محمد عبده)

يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَمَلُّهُمْ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ١٦٤ هـ

٨٧ - دعوة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

شَدَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، بِأَعْبَاءِ الرِّسَالَةِ كَاهِلَ عَبْدِهِ الْحَبِيبِ ، مُحَمَّدِ الْآمِنِ ، وَقَوَى عَضُدَهُ لِأَدَاءِ تِلْكَ الْأَمَانَةِ فَشَمَّرَ الرَّسُولُ عَنْ سَاعِدِ الْجَهْدِ لِلرِّشَادِ وَالْهُدَايَةِ ، حِينَ كَانَ قَوْمُهُ عَلَى مَادِرِيَّتٍ مِنَ الْغَوَايَةِ وَالْجَهَالَةِ ، وَقَامَ بَيْنَهُمْ بِتَعْلِيمِ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ وَبِتَرْكِيَةِ نَفْسِهِمْ وَتَطْهِيرِ قُلُوبِهِمْ مِنْ أَدْنَسِ الْجَاهِلِيَّةِ وَأَرْجَاسِ الشِّرْكِ وَالْعَصِيَّةِ .

تَوَجَّهَ الرَّسُولُ أَوَّلًا إِلَى إِصْلَاحِ الْعُقُولِ وَتَصْحِيحِ الْعَقَائِدِ الْبَاطِلَةِ بِصِرْفِ افْكَارِهِمْ عَنْ صِنَاعَةِ الْأَصْنَامِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَبِعَطْفِ بَصَائِرِهِمْ وَابْصَارِهِمْ شَطْرَ الْحَقِّ الْمَطْلُوقِ تَعَالَى شَأْنُهُ ، وَبِتَوْحِيدِ آرَائِهِمْ لِلتَّوَجُّهِ بِعِبَادَةِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْوَاحِدِ الصَّمَدِ ، عَظَمَ مَجْدُهُ .

فَأَوَّلَ مَا دَعَا النَّاسَ إِلَيْهِ كَانَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ :

« قُولُوا : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » تَفْلِحُوا »

وكرر هذا الدعوة ، دعوة الأيمان بالله وحده وعدم عبادة غيره ، بعبارات مختلفة وكان كلما يدعو كفار مكة ومشركي قريش إلى التوحيد والإيمان بالله يسخروا منه ويستهزؤا به ويؤذوه والله تعالى يأمره بالصبر ويذكره أن هذه الدعوة دارت على هذا المنوال فكانت الأحزاب والأقوام في جميع الأزمنة والأيام يكذبون انبيائهم ويستهزؤون بهم ويسخرون منهم ويؤذونهم فاصبر على ما يقولون ولا تفتري في دعوتك لما يعملون . قوله تعالى :

« ... جَنَّاتٍ مِمَّا هُنَالِكَ مِنَ الْأَحْزَابِ ١١ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ١٢ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ١٣ إِنَّ كُلَّ أَلَّا كَذَّبَ الرَّسُولَ فَحَقَّ عِقَابُ ١٤ ... »

«اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝١٧»^١
 كان الكافرون في استهزائهم قد ينسبونه الى الجنون و الى السّحر وقد يُظهرون
 التعجّب من دعوته الى التّوحيد : قوله تعالى :

«وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَكَالَ الْكَافِرُونَ : هَذَا سَاحِرٌ
 كَذَّابٌ ۚ أَجَعَلَ الْإِلَهَةَ الْهَاءَ وَاحِدًا؟! إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَانطَلَقَ
 الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امشُوا ، وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهِتِكُمْ ۝٢٦ . وهو (ص)
 يقول بامر الله :

«قُلْ : اتَّعِبُدُونِ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَالًا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۝٧٦»^٢
 و توجهه ثانيا الى لفت انظارهم نحو عاداتهم السيئة و آدابهم الدنيّة و اخلاقهم
 الذميمة الرذيلة و اعمالهم الطالحة القبيحة ، فدعاهم الى الصدق و العدل و اداء الأمانة
 و الوفاء بالعهد و الترحم و صلة الارحام و رعاية جانب الوالدين و الاحسان بهما ، و العفة
 و الشجاعة ، و المروءة ، و الأنفاق ، و حماية الضعفاء ، و حسن السلوك مع الأُسراء
 و العبيد و الإماء ، و ابناء المال بدوى القربى و اليتامى و الفقراء و المساكين و ابناء السبيل
 و اشباه هذه من الأخلاق الفاضلة و الأعمال الصالحة و الآداب الراقية .

درجات الدعوة
 و التعليم
 و التربية

و ردّ عههم عن الكذب و الظلم و الخيانة و الغدر و نقض العهد و القساوة و قطع
 الأرحام و عقوق الوالدين ، وحتّى قول الأُفّ لهما ، و عن الفحشاء و البغى و الجبن و الحرص
 و البخل و الوئد و الغيبة و التسمية و النفاق و الشقاق و البهتان و الأفتراء و اضرابها من
 الأخلاق المرذولة و الأداب المنكرة و الأعمال المذمومة و العادات السيئة و الرسوم
 المنحطة الجاهليّة .

ثم قرّر لهم نظامات روعى فيها حفظ حقوق كل واحد من الرّجل و المرثة و الزّوج
 و الزّوجة و الوالدين و الاولاد و الصّغير و الكبير و العالم و المعلم و العارف و الجاهل و الفقير

١- السورة ال ٢٨ (ص)

٢- السورة ال ٢٨ (ص)

٣- السورة الخامسة (المائده)

والغنى والوالى والرعية بحيث ان جعلت برنامج الحياة وعمل بها تحصل العدالة الحقيقية بين قاطبة الطبقات و صنوف الأصناف و جميع الأفراد فى اى شأن من الشئون الإجتماعية ، فتحقق السعادة الدنيوية والأخروية لكل فرد من افراد الأنسان .

٩٠ - منهاج الدين ناظر الى الفرد والجمع

مما ينبغى ان لا يغفل عنه انه (ص) توجه فى مرحلة وضع الأنظمة و شرع الأحكام و نظم منهاج الى جهتين :

جهة الأفراد باعتبار الذات بلحاظ كونها فى المجتمع كجزء له .
وجهتها باعتبار العناوين والصفات الخاصة بها .

فجعل الناس من ناحية الجهة الأولى اى بما اتهم ابناء نوع و اجزاء جمع ، اكفاء تجاه الشرع سواسية الوضع والحكم قبال القانون .

شروع الاسلام
ينظر الى الفرد
كمنظرة الى
المجتمع

ومن ناحية الجهة الثانية و بلحاظ اتصافهم بعناوين ثانية و اوصاف سامية قيمة ، اصناف تدور فى الأهم الأتم مدار العلم والعمل ويكون مناط الفرق و الاعتبار الاسنى هذين الأمرين فقال ، تبارك و تعالى ، باعتبار العلم :

« ... هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ... » ١
وقال ، عز وجل ، باعتبار العمل :

« ... إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقِيكُمْ ... » ١٣

فمن ناحية الجهة الثانية :

« لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ » ١٣ ٢

١- السورة ال ٣٩ (الزمر)

٢- السورة ال ٤٩ (الحجرات)

«يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَسْأَلُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ١١٤»^١
صدق الله العظيم : أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ
وَمَا لَهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ١٦٢ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ . . . ١٦٣»^٢
«رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي بِالْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا
فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ١٩٣»^٣

٩١ - نماذج مما دعا اليه الرسول

نختم الكلام في هذا المقام بايراد نماذج مما يناسب ذلك الشأن العظيم من آي
القرآن الحكيم :

منها قوله تعالى :

«إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَأُتْبِئِ ذِي الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَيَنْهَىٰ
عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٩٠»^٤

ومنها قوله تعالى :

«قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ : أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ، نَحْنُ نُرْزِقُكُمْ
وَأَيْهَاتُمْ ، وَلَا تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ ، وَلَا تَقْتُلُوا
النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ ، أَلَّا بِالْحَقِّ ، ذَلِكُمْ مَا وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ١٥١»

آيات من القرآن
المجيد بعنوان
النثال للدعوة

ومنها قوله تعالى :

١-٢٠٢١- السورة الثالثة (آل عمران)

٤- السورة ال ١٦ (النحل)

«وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ، إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ
وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ، لَنْ نَكْلِفَ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا، وَإِذَا قُلْتُمْ
فَاعْدِلُوا، وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ، وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا... ١٥٢»^١
ومنها قوله تعالى :

«لَا تُكْرِهُوا فَتِيَانِكُمْ عَلَىٰ الْبِغَاءِ، إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا، لِيَبْتَغُوا
عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا... ٢»^٢
ومنها قوله تعالى :

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ، إِلَّا
أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ، وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنَّ اللَّهَ
كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ٢٩»^٣
ومنها قوله تعالى :

«وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ. فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ
رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا
وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ
فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ... ٦»^٤
ومنها قوله تعالى :

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا، وَلَا
تَعْضِلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ، إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ
مُبِينَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ... ١٩»^٥

من حقوق
النساء حين
المعاشرة معهن

١- السورة السادسة (الانعام).

٢- السورة ال ٢٤ (النور).

٣- السورة الرابعة (النساء).

٤- السورة الرابعة (النساء).

٥- السورة الرابعة (النساء).

ومنها قوله تعالى :

«وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ، لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا لِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ ٣٢ ... الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ ، بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ .

«فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ ، حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ . . . ٣٤»^١
 هذه نماذج من مواد البرنامج العمليّة التي نزله روح القدس من الربّ بالحقّ لهداية الناس وارشادهم الى سعادتهم المبتغاة ولتكميل نظامهم الاجتماعيّ في هذه الحياة .

«قُلْ : نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ١٠٢»^٢

١- السورة الرابعة (النساء).

٢- السورة ال ١٦ (النحل).

«وَآنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ *
 وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ *
 فَلَمِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ : إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ
 (سورة الشعراء ٢٦)

فأصدع بما تؤمر وَاَعْرِضْ
 عَنِ الْمُشْرِكِينَ
 (سورة الحج ١٥)

- ١- أول من آمن بالرسول و صلى معه
- ٢- قيام الرسول بدعوة عشيرته وبيان مقام علي منه (ص).
- ٣- دعوة الرسول كافة الناس .
- ٤- نشر الدعوة و آثارها .
- ٥- شعب ابي طالب .
- ٦- خروجه (ص) الى الطائف .
- ٧- بيعة العقبتين .
- ٨- مؤامرة قريش لقتله (ص) .
- ٩- مبيت علي في مضجعه (ص) .

٦- حول كيفية الدعوة بمكة
 وسبب الجاء الرسول الى الهجرة :

٩٢ - اول من آمن بالرسول و صلى معه

لما اكرم الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بكرامة الرسالة و بعثه لدعوة الناس الى طريق الهداية والسعادة كان اول من لبي دعوته و آمن به و صدقه من النساء خديجة ، زوجته ، البارعة على اترابها ، التي عاشت معه قبل البعثة نحواً من خمس عشر سنة ، و رأت من صفاته و اخلاقه و حالته و اعماله فى تلك المدّة ما يطمئن به القلب و تسكن اليه النفس ، و شاهدت منه الملكات الفاضلة و الأداب الفائقة التي لا يمكن لمن شاهدها و تدبّر فيها و نظر بعين الأنصاف اليها الا التصديق لما قال و الايمان بما جاء و الأطاعة لما اراد و شاء .

صدقته من النساء اقربهنّ اليه و اعرفهنّ به و اعلمهنّ بحاله ، زوجته ، خديجة ، و من الرجال على بن ابي طالب الذى كان اقربهم اليه و آثرهم لديه و اعرفهم بظاهرته و خافيته و سرّه و علنه و ابصرهم بمشاهدة الأنوار الالهية عليه و آنسهم بأدراك الاحوال الملكوتية منه و اسبقهم فى سماع الاذكار الربانية ، من التسبيح و التوحيد و التهليل و التكبير و التمجيد و التعظيم لله ، تعالى شأنه ، و الآيات النازلة ، عن لسانه .

خديجة ،
ام المؤمنين ،
اول من آمن
من النساء

٩٣ - انتخاب النبى (ص) علياً من ولد ابي طالب

كان لأبى طالب ، شيخ بنى هاشم و كبيرهم ، عم رسول الله و كافله بعد جدّه ، اولاد كثيرة و عائلة ثقيلة و كانت تلك السنون سنين مجدبة و الأزمة شديدة و المؤنة أزمة فأشار محمداً صلى الله عليه وآله وسلم الى عمّه الآخر ، عباس بن عبدالمطلب و كان من ايسر بنى هاشم و اثريلهم ، و الى حمزة بن عبدالمطلب ، عمّه الثالث ، بان يذهبوا جميعاً الى ابي طالب و يسأل كل واحد منهم عنه ، واحداً من اولاده ليأخذه معه و يتكفل تربيته فلما وردوا عليه و التمسوا منه ، استثنى ابو طالب ، عقيلاً ، لشدة

اختيار الرسول
(ص) علياً كولد
له و تربيته
في حجره

حبه آياه ، لنفسه و خيّرهم في اختيار من ارادوا من باقى اولاده فاختر محمد ،
عليّاً وجاء به الى بيته ، ولم يتجاوز سنّه و قنثنيّ ست سنين فكان صلى الله عليه و آله
و سلم ينظر اليه نظر الوالد الرؤوف الى ابنه المطيع المحبوب فرآه في حجره الأظهر
و رواه من فيض بحره الأزخر بالتعليم و التكميل و التزكية و التهذيب .

فكان الامر ، كما عبر الطبري في تاريخه (الجزء الثاني الصفحة ٥٧) :

« وكان ممّا انعم الله به على عليّ بن ابي طالب عليه السلام انه كان في حجر
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل الاسلام »

٩٤- تربية النبي عليّاً و تعليمه كولد له

و لعنّ الحقّ حقيق ان يقال :

صاغ محمد ، ببراعته في صياغته ، من ذلك الذهب الأحمر و الصبىّ
المستعدّ الأظهر صياغة الهيئة لامثيل له في التأريخ البشرى و عمل بحذاقته البارعة في
عمله و مهارته الكاملة في صناعته ، و هو صناعة الإنسان بالتربية و التعليم ، انسانا
كاملاً راقياً ربّياً نيّالاً يشبّبه في حالاته العجيبة و كمالاته العلية و مقاماته الرفيعة
و مشاهدته الذوقية و معارجه الروحية و مدارجه العملية و عواطفه الرقيقة و معارفه
الدقيقة العميقة ، بعد معلّمه و مربيه الأوحد ، احد فهو المثل الأعلى لنفس الرسول -
الخاتم و الأنموذج الأسنى الأنمّ للانسان الألهى الكامل الاعظم .

على في الكمال
مثل اعلیٰ
لرسول (ص)

٩٥- سنّ عليّ وقت ايمانه

آمن عليّ برسالة الرسول و صدّق بما جاء به من عند الله بعد خديجة و قبل
جميع من آمن به و صدّقه و كان سنّه اذ ذلك على اصحّ الأقوال و اكثرها ثلاث عشر

١- شهرة و الأقالق بخمسة عشر ، بل ستة عشر ايضاً ، مروى منقول في الكتب المعتمدة

بقية العاشية في الصفحة الآتية

سنة فكان على هذا القول مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيته وتحت تكفله و تربيته قبل بعثته سبع سنين .

وهو «اول ذكر» او «اول رجل» صلى مع الرسول بدعوته و امره^١ .
قال الطبري في تاريخه :

«... فقال بعضهم :

«كان اول ذكر آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم و صلى معه و صدقه بما جاء به من عند الله علي بن ابي طالب»

وقال ايضا ، بأسناده عن ابن عباس ، :

«اول من صلى علي»

اول رجل آمن
بالله وصدق
الرسول في
دعوته علي(ع)

بقية الحاشية من الصفحة الماضية

ففي «العقد الفريد» للفقير المالكي (الجزء الخامس - الصفحة ال ٦٨-) تحت عنوان «فضائل علي بن ابي طالب ، كرم الله وجهه» :

«... ابوالحسن قال : اسلم علي وهو ابن خمس عشرة سنة ، وهو اول من شهد ان لاله الا الله وان محمداً رسول الله»

وفي «الاستيعاب» (الجزء الثالث - الصفحة ال ٣٠-) لابن عبد البر المالكي (المتوفى ٣٦٣) بأسناده عن الحسن قال : «اسلم علي رضي الله عنه ، وهو ابن خمس عشرة سنة» وعن طريق محمد بن مسعود عن الحسن ايضا قال : «اسلم علي وهو اول من اسلم ، و هو ابن خمس اوست عشرة سنة» ثم قال ابن عبد البر : قال ابن وضاح : مارايت احداً قط اعلم بالحديث من محمد بن مسعود . . .»

١- ومن هذا يعلم ان علياً كان بالغاً مكلفاً يحسن من الرسول دعوته الى الاسلام و امره بالصلوة .

٢- الجزء الثاني - الصفحة ال ٥٦-٥٧- من التاريخ الطبري . و نقل «الفيح المحدث الحافظ» ابن عبد البر في «الاستيعاب» رواية عن ابن فضيل بأسناده عن حبة بن جرير العرفي قال : سمعت علياً رضي الله عنه يقول : لقد عبدت الله قبل ان يعبدني احد من هذه الامة خمس سنين» وقال ابن الاثير في الكامل (الجزء الثاني - الصفحة ٣٧ -) : «اختلف العلماء في اول من اسلم مع الاتفاق على ان خديجة اول خلق الله اسلاماً فقال قوم : اول ذكر آمن علي ، روى عن علي عليه السلام انه قال : انا عبد الله و اخو رسوله و انا الصديق الاكبر لا يقولها بعدى الا كاذب مفتر ، صليت مع رسول الله (ص) قبل الناس بسبع سنين»

و بأسناده عن جابر بن عبد الله :

« بُعث النبي (ص) يوم الاثنين و صلتى على يوم الثلاثاء »

و بأسناده عن زيد بن ارقم :

« أول رجل صلتى مع رسول الله (ص) على عليه السلام . »

و بأسناده عن عليّ (ع)

« انا عبد الله واخو رسوله و انا الصديق الأكبر لايقولها بعدى الا كاذب مفتر »

صليتُ مع رسول الله قبل الناس بسبع سنين »

قال « الفقيه الحافظ المحدث » ابن عبد البر المالكي فى كتابه « الاستيعاب فى

اسماء الاصحاب » :

« وقال ابن شهاب و عبد الله بن محمد بن عقيل و قتادة و ابن اسحق :

« أول من اسلم من الرجال على »

« واتفقوا على ان خديجة أول من آمن بالله و رسوله و صدقه فى ماجاء به ثم

على بعدها »

٩٦ - قيام الرسول بدعوة عشيرته الأقربين و مقام على فيها

بدء الرسول (ص) فى دعوته بأهل بيته و بمن هو اعرف الناس بحالاته و صفاته

و كان منحصرًا اذذاك فى شخصين : زوجته الطاهرة ، خديجة ، و ابن عمه الذى كان

منه بمنزلة ولده ، على ، فاستقبلا دعوته و صدقاه فى دعوته و اظهرا الأيمان به و بما

جاءه من عنده فصليًا معه .

ثم قام ، بأمر الله و وحى منه اليه ، بدعوة عشيرته الأقربين ، قوله تعالى :

« وَاَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ٢٤ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٢٥ »^١

نقل ابن الأثير في «الكامل» (الجزء الثاني - الصفحة ٤٠-٤١-) عن ابن عباس :
 صعود الرسول بعد نزول آية الإِ نذار و هتافه « يا صباحاه » و اجتماعهم اليه ... الخ .
 ونقل ايضا عن جعفر بن عبدالله بن ابي الحكم : كيفية دعوة الرسول عشيرته
 بعد النزول و حضور خمسة و اربعين رجلاً و مبادرة ابي لهب بما قال من الزور و سكوت
 رسول الله في ذلك المجلس و دعوتهم ثانية و قوله :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ وَاسْتَعِينُهُ وَأُؤْمِنُ بِهِ وَاتَّوَكَّلُ عَلَيْهِ .
 وَاشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . إِنَّ الرَّائِدَ لَا يَكْذِبُ
 أَهْلَهُ . وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ خَاصَّةً وَ إِلَى النَّاسِ
 عَامَّةً وَاللَّهُ لَتَمُوتُنَّ كَمَا تَنَامُونَ وَلَتُبْعَثُنَّ كَمَا تَسْتَبْقِطُونَ ، وَلَتُحَاسِبُنَّ
 بِمَا تَعْمَلُونَ ، وَ إِنَّا هِيَ الْجَنَّةُ أَبْدَأُ وَ النَّارُ أَبْدَأُ »

تصديق ابي طالب
 دعوة الرسول

و حينئذ فقال ابو طالب :

مَا أَحَبَّ إِلَيْنَا مُعَاوَنَتَكَ ! وَاقْبَلْنَا لِنَصِيحَتِكَ ، وَ أَشَدَّ تَصَدِّقَتَنَا
 لِحَدِيثِكَ . وَ هَذَا بَنُو أَبِيكَ مُجْتَمِعُونَ وَ إِنَّمَا آتَانَا أَحَدَهُمْ ، غَيْرَ أَنِّي
 أَسْرَعُهُمْ إِلَى مَا تُحِبُّ فَامْضِ لِمَا أُمِرْتَ بِهِ ، فَوَاللَّهِ لَا أَزَالُ أَحُوطُكَ
 وَ أَمْنَعُكَ . . .

٩٧ - النص بالخليفة في دعوة العشيرة

قال محمد بن جرير الطبري في تاريخه (الجزء الثاني - الصفحة ٦٢ - ٦٣-)
 بأسناده عن ابن عباس عن علي بن ابي طالب قال :

« لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) : « وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ
 الْأَقْرَبِينَ » دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ :

« يَا عَلِيُّ أَنْ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَنْذِرَ عَشِيرَتِي الْأَقْرَبِينَ . . . فَاصْنَعْ لَنَا صَاعًا مِنْ
 طَعَامٍ وَ اجْعَلْ عَلَيْهِ رَجُلًا شَاةً وَ اْمَلَأْ عُسًا^١ مِنْ لَبَنٍ ثُمَّ اجْمَعْ لِي بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلَبِ

١ - القدح العظيم و الرفد اكبر منه .

حتى اكلتمهم وابلغتهم ما امرتُ به .

« ففعلتُ ما امرتني ، ثم دعوتهم له ، وهم يومئذ اربعون رجلاً ، يزيدون رجلاً او ينقصونه ، فيهم اعمامه : ابوطالب وحمزة و العباس و ابولهب فلما اجتمعوا اليه دعاني بالطعام الذي صنعتُ لهم فجئتُ به . فلما وضعتُه تناول رسول الله (ص) حذيةً^١ فشقها باسنانه ثم القياها في نواحي الصحيفة ثم قال :

خذوا بياسمِ الله .

فأكل القوم حتى مالهم بشيءٍ من حاجة وما ارى^١ الا موضع ايديهم .
وايئسُ الله الذي نفس على بيده وان كان الرجل الواحد منهم لياكل ما قدمتُ لجميعهم .

ثم قال :

اسق القوم فجتهم بذلك العُسّ فشربوا منه حتى رَوَوْا منه جميعاً .

وايئسُ الله ان كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله .

فلما اراد رسول الله (ص) ان يكلمهم بدَرَه^٢ ابولهب الى الكلام فقال :

لَقِدْ مَا سَحَرَكُمْ صَاحِبِكُمْ .

فتفرق القوم ، ولم يكلمهم رسول الله (ص) .

١ - بالحاء المهملة والذال المعجمة (على زنة جزية) على ما في الصحاح « قطعة من اللحم قطعت طولاً » و بمعناها « حزة » بالحاء المهملة والزاء المعجمة (على زنة قذة) التي وردت مكان « الحذية » في كتاب الكامل (الجزء الثاني الصفحة ٤١ - ٤٢) وورد فيه ايضاً مكان « شقها باسنانه » كلمة « نثفها باسنانه » وسكان « لقدما سحركم » كلمة « لعلمنا سحركم » كما ورد في تفسير الطبري (الجزء التاسع عشر - سورة الشعراء - الصفحة ١٢٢) عند نقل الرواية بعينها مكان « لقدما سحركم » كلمة « لهدما سحركم » ونقل المحشي عن « اللسان » : « وفي الحديث ان ابا لهب قال « لهدما سحركم صاحبكم » وهي كلمة يتعجب بها يقال : لهد الرجل اي ما اجلده » ثم قال المحشي هو كقولنا لشد ما قال فلان اي ما اشد .

فقال الغد :

« يا على ان هذا الرجل سببني الى ما قد سمعت من القول ، فتفرق القوم قبل ان اكلتهم فعدلتنا من الطعام بمثل ما صنعت ثم اجمعهم الي .
 قال : ففعلت ، ثم جمعتهم . ثم دعاني بالطعام فقربت لهم . ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا حتى ما لهم بشيء حاجة .
 ثم قال : اسقهم . فجئت بذلك العس فشربوا حتى رَوَوْا منه جميعاً .
 ثم تكلم رسول الله فقال :

« يا بني عبدالمطلب اني والله ما اعلمُ شاباً في العرب جاء قومَه بافضل مما جئتكم به اني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة . وقد امرني الله ان ادعوكم اليه .
 « فَأَيُّكُمْ يُوَازِرُنِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ عَلَى أَنْ يَكُونُ أَخِي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ .

نص الرسول (ص)
 بخلافة علي
 واخاه له

« قال : فاحجم القوم عنها جميعاً .
 « فقلت ، واني لا اجدُ لهمُ سناً و.... :
 « انا يا نبي الله اكون وزيرك عليه . فأخذ برقبتي ثم قال :
 « ان هذا اخي ووصيِّي وَخَلِيفَتِي فِيكُمْ فَاسْمَعُوا لَهُ وَاطِيعُوا .
 « قال :

« فقام القوم يضحكون ويقولون لإبي طالب :
 « قَدْ أَمَرَكَ أَنْ تَسْمَعَ لِابْنِكَ وَتُطِيعَ » .

٩٨ - الوراثة من الرسول

وقال ايضا في تاريخه (ذلك الجزء - الصفحة ٦٣) بأسناده عن ربيعة بن ماجد:

١ - لا يذهب عنك ما في قوله (ص) « ان هذا اخي وصيِّي وخليفتي » : « فاسمعوا له واطيعوه » ثم تدبر في قول القوم لابي طالب ، ضاحكين « قد امرك ان تسمع لابنك و تطيع » فانصف للشيعة في ما يقول من كون هذه القضية مما اشتملت النص بالخلافة لعلي .

« ان رجلا قال لعلّي عليه السلام يا امير المؤمنين بم ورثت ابن عمك^١ فقال
عليّ .»

« هاؤم ، ثلاث مرّات ، حتّى اشربّ الناس ونشروا آذانهم . ثم قال :
« جمع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، اودعا رسول الله ، بنى عبدالمطلب ، منهم
رهطه ، كلّمهم يأكل الجذّاعة ويشرب الفرق^٢ .»

« قال : فصنع لهم مّدأ من طعام ، فاكلوا حتّى شبعوا وبقي الطّعام كما هو ،
كأنّه لم يمّسّ ، قال :

« ثمّ دعا بغمّر فشربوا حتّى روّوا وبقي الشّراب كأنّه لم يمّسّ ولم يشربوا .
قال : ثمّ قال :

« يا بنى عبدالمطلب انّى بعثت اليكم بخاصّة والى الناس بعامة وقد رايتم
من هذا الأمر ما قدر ايتم فايكم يبايعنى على ان يكون اخى وصاحبى ووارثى؟
« فلم يقم اليه احد .

« فقمتم اليه ، وكنت اصغر القوم ، قال : فقال :
« اجلس .»

« قال : ثمّ قال ثلاث مرّات ، كلّ ذلك اقوم اليه فيقول لى : اجلس . حتّى
كان فى الثالثة فضرب بيده على يدى .

« قال فبذلك ورثت ابن عمى دون عمى^٣ .»

٩٩- من النصوص بخلافة عليّ

قضية انذار الرسول عشيرته وردت فى الكتب المعتمدة المعتمدة من كتب العامة

١ - اى بما ذا تقدمت فى الوراثة عن النبي على عمك العباس .

٢ - الجذعة محرّكة اثنى جذع محرّكة ايضا وهو قبل الثنى « والفرق مكياى معروف
بالمدينة وهو ستة عشر رطلا والقمرا ايضا : القمح الصغير ، وقد يحرك . . . » (صحيح اللغة) .

٣ - اى وما ورثه عمى العباس .

والخاصة ولاخلاف بين علماء المسلمين في اصلها وروى الطبرى وغيره تنصيب الرسول، صلى الله عليه وآله وسلم، بخلافة اول من صدق، في ذلك اليوم، رسالته وقيل وزارته ومعاونته على ذلك الأمر واراد وراثته وصحابته .

وكذا لاخلاف في احجام الحاضرين المدعويين بل وفي استهزاء بعضهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما لاخلاف في ان علياً هو الذى آمن وصدق، وفي ان الاكثر اثبتوا ان الرسول (ص) امرهم باطاعتهم عنه .

وان كان هنا اختلاف يسير في النقل فيكون في بعض الكلمات والعبارات كما وقع في بعض المنقولات تكرير الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قوله « ثلاث مرات » وتصديق على، لاغيره، اياه في كل من تلك المرات .

وكيف كان تكون ما نقلت من قول الرسول في تلك القضية « ان هذا اخي ووصيى وخليفتى فيكم فاسمعوا له واطيعوا » وقول القوم ضاحكين مستهزئين لأبي طالب : « قد امرك ان تسمع لابنيك وتطيع » تكون عند الشيعة من النصوص الصادرة عن الرسول لخلافة على وولايته ولزوم متابعتها واطاعته .

١٠٤ - ابدال لفظ الحديث

بعد ما كتبت كيفية قيام الرسول بدعوة عشيرته على مادريت، في مسوداتي الى هنا وختمت الكلام فيها اتفق لى الآن، حين نقلها الى هذه الميضية، وكان ذلك بعد سنوات، مراجعة كتاب « اعيان الشيعة » تأليف العالم الخبير الثقة البصير المجاهد بعلمه وعمله فى سبيل اعلاء الدين السيد محسن الأمين، الحسينى العاملى، عامله الله بلطفه العميم فرايت فيه ما يناسب نقله هنا تتميماً لانتفاع الناظرين :

قال، قدس سره، بعد ما نقل رواية الطبرى عن تاريخه، كما نقلناه :

« ورواه الطبرى فى تفسيره مثله سندا ومتناً الا ان الطابيعين - جرياً على الشئنة الأخزمية - ابدلوا قوله : « على ان يكون اخي ووصيى وخليفتى فيكم » بلفظ

« على ان يكون اخي وكذا وكذا » وأبدلوا قوله: « ان هذا اخي ووصيتي وخليفتي فيكم » بلفظ « ان هذا اخي وكذا وكذا » وابقوا قوله: « فاسمعوا له واطيعوا » وفيه كفاية ، وما حذفوه وابدلوه اشارة الى ماصرح به في التاريخ يقيناً ، لاتحاد السند والمتن فيهما الا في كلمتي « كذا وكذا » وعلمت ان الدكتور محمد حسين هيكل المصرى اثبتته في كتابه حياة محمد في الطبعة الاولى وحذفه في الطبعة الثانية ، نزولاً عند ارادة من ضغط عليه ، فانظر ، واعجب .

« ولما كان تصحيح هذا الحديث من الأهمية بمكان فلا بأس بالاشارة الى جملة ممن رواه من اجلاء علماء المسلمين ، ليُعلم بذلك اشتهاره واستفاضته بينهم . فرواه محمد بن جرير الطبري في تاريخه وتفسيره ، كما سمعت ، ورواه ، منهم ، البغوي ، كما ستسمع . ورواه منهم الثعلبي في تفسيره . قال :

« اخبرني الحسين بن محمد بن الحسين : حدثنا موسى بن محمد : حدثنا الحسن بن علي بن شعيب العمري : حدثنا عبد الله بن يعقوب : حدثنا علي بن هاشم عن صباح بن يحيى المزني عن زكريا بن ميسرة عن ابي اسحق عن البراء قال :

« لما نزلت « وَاَنْذِرْ عَشِيْرَتَكَ الْأَقْرَبِيْنَ » جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى عبدالمطلب ، وهم اربعون رجلاً ، الرجل منهم يأكل المسنة ويشرب العُسّ فامر علياً برجل شاة فأدّمها^١ ثم قال : ادنوا باسم الله .

« فدنا القوم عشرة عشرة فاكلوا حتى صدروا . ثم دعا بقعب^٢ من لبن فجرع منه جرعة ثم قال : اشربوا باسم الله فشربوا حتى رَوَوْا . فبَدَرَهُمْ ابولهب فقال : هذا ما^٣ سحركم به الرجل . فسكت رسول الله (ص) ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك من الطعام والشراب ثم اندرهم ، فقال :

١ - « والادام ما يؤتدم به تقول منه : آدم الخبز باللحم يأدم ، بالكسر ، » (صباح) .

٢ - « القعب قلع من خشب مقعر » .

٣ - وفي هذا النقل وردت مكان « لعلماء » و « لقدما » و « لهدما » جملة « هذا ما

سحركم » والله العالم بحقيقة الامر .

« يا بنى عبدالمطلب انى انا التذير اليكم من الله، عز وجل ، والبشير فاسلموا واطيعونى تهتدوا .

« ثم قال :

« من يؤاخينى ويوارزنى ويكون وليى ووصيى بعدى وحليفى فى اهلى ويقضى دينى ؟ .
« فسكت القوم .

آخاعلى، الرسول
ووارزه ويكون
وليه ووصيه
وحليفه بعده

« فأعادها ثلاثاً ، كل ذلك يسكت القوم ويقول على عليه السلام : « انا » .
« فقال فى المرّة الثالثة : « انت » فقام القوم ويقولون لأبى طالب : « اطع ابنك فقد أمر عليك » واورد هذا الحديث ، النسائى فى « الخصائص » قال :

« اخبرنا الفضل بن سهل : حدثنى ابن علفان بن مسلم : حدثنا ابو عوانة عن عثمان بن المغيرة عن ابى صادق عن ربيعة بن ماجه ان رجلا قال لعلى بن ابى طالب :
« يا امير المؤمنين لم ورثت دون اعمامك ؟ . قال :

« جمع رسول الله (ص) ، او قال : دعا رسول الله (ص) بنى عبدالمطلب فصنع لهم مئداً من الطعام فأكلوا حتى شبعا وبقى الطعام كما هو ، كأنه لم يمّس ، ثم دعا بعسّ فشربوا حتى رووا وبقى الشراب كأنه لم يمّس ، او لم يشرب .

« فقال : يا بنى عبدالمطلب ، انى بُعث اليكم خاصّةً والى الناس عامّةً وقد رايتم من هذه الآية^١ ما قد رايتم ، وايتكم بيايعنى على ان يكون اخى وصاحبى ووارثى ؟ .
« فلم يقم اليه احد . فقامت اليه ، وكنت اصغر القوم .
« فقال : اجلس .

« ثم قال ثلاث مرّات ، كل ذلك اقوم اليه فيقول : اجلس حتى اذا كان فى الثالثة ضرب بيده على يدى . ثم قال : فبذلك ورثت ابن عمى دون عمى » .

١ - ولعلك تكون على ذكر ما اوردته عن الطبرى آنفاً حيث كان فى ذلك النقل والايراد مكان هذه الكلمة (من هذه الاية) كلمة « من هذا الامر » واظن ان الانسب فى فى المقام كلمة « من هذا الاية » فهو الاصح فتدبر .

« اقول (السيد محسن الأمين) هذا التعليل في الميراث لا يصح ان اريد ارث المال : امّا عندنا فلان الميراث للبنت بالفرض والردّ و امّا عند غيرنا فلان الانبياء لا يُورث الا ان يراد ارث العلم ولكن ظاهر السياق خلافه ^١ .

« واورد هذا الحديث صاحب « السيرة الحلبية » بنحو ما مرّ عن الطبري الى ان قال :

« يا بنى عبدالمطلب ، ان الله قد بعثنى الى الخلق كافة وبعثنى اليكم خاصة فقال : **وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ، وانا ادعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان : شهادة ان لا اله الا الله و انى رسول الله . فمن يجيبني الى هذا الامر ويوازرني على القيام به؟ قال على : انا يا رسول الله .

« قال (يعنى صاحب السيرة الحلبية) : وزاد بعضهم فى الرواية « يكن اخى ووزيرى ووارثى وخليفتى من بعدى فلم يجبه احد منهم فقام على وقال : انا يا رسول الله . قال : اجلس ثم اعاد القول على القوم ، ثانياً فصمتوا . فقام على وقال : انا يا رسول الله . فقال : اجلس . ثم اعاد القول ثالثاً فلم يجبه احد معهم فقام على فقال : انا يا رسول الله . فقال : اجلس ، فانث اخى و وزيرى و وصيى و وارثى و خليفتى من بعدى » .

١ - اقول : والظاهر عندى ان التعليل صحيح و المراد بالوراثة و رائة المولوية وهى بالحقيقة ، الخلافة . وذلك لان الرجل السائل على ما هو الظاهر يعلم ان الوراثة المالية عن الرسول ، اذا اعترف بانه يورث ، تكون خاصة لبنته فليس لاحد مع وجودها حق فى ماله و ان الوراثة العلمية لاعمى لها عند التحقيق فان العلم المنتقل من النبى الى على انتقل اليه فى زمان حياته فصار على فى زمان حياة الرسول « باب مدينة العلم » وفتح الرسول عليه الفباب من العلم و زقه الرسول العلم زقا فالذى يصح فيه الوراثة هو خلافة المولوية (من كنت مولاه فعلى مولاه) وهذا ظاهر السياق ايضا لان السائل مثل عن « امير المؤمنين » فى موقع خلافته و لعل سمع من على فى بعض خطبه احقيته بالخلافة فمثل عنه ما مثل و اجاب عليه السلام بما اجاب و الله العالم .

«ثم حكى (اي صاحب السيرة) عن ابن تيمية انه قال في الزيادة المذكورة: «انها كذب وحديث موضوع، من له ادنى معرفة في الحديث يعلم ذلك وقد رواه مع زيادته المذكورة ابن جرير والبعثي بأسناد فيه ابو مريم الكوفي وهو مجتمَع على تركه وقال احمد: انه ليس بثقة، عامة احاديثه بواطيل وقال ابن المديني: كان يضع الحديث.»

١٠١ - كلام للسيد الأمين مع ابن تيمية

«اقول (السيد محسن الامين):

«لا شيء اعجب من قدح ابن تيمية، المجسم (بشهادة ابن بطوطة مشاهدة) والتذى مات سجيناً، بيد اهل نخلته، على الاقوال والعقائد المنافية لملة الاسلام، في الأحاديث المستفيضة عند جميع المسلمين بالهوى والغرض وقوله «ان من له ادنى معرفة بالحديث يعلم ذلك».

«مع ان من عنده ادنى معرفة يعلم ان قدح ابن تيمية فيه لم يستند الى معرفة، بل الى التحامل على علي واهل بيته والنصب، فقد سمعت سند هذا الحديث في الرواية الطبري في تاريخه وتفسيره ورواية الثعلبي له في تفسيره وليس فيه ابو مريم الكوفي، على فرض صحة ما قاله في رواية البغوي وان في سندها ابو مريم الكوفي وانه ضعيف فهل اذا كان الحديث مروياً بعدة طرق بعضها ضعيف يكون قدحاً في سنده؟ بل الرواية الضعيفة ان لم تكن معتزدة ومتقوية بالروايات الصحيحة غيرها لا يكون ضعفها موجبا للقدح في الصحيحة. وكل من كان له ادنى معرفة بالحديث يعلم ذلك.

«ورواه من مشاهير علماء الشيعة وثقات محدثيهم...»

ثم نقل السيد الأمين روايتين من طرق الشيعة احديهما من الشيخ الصدوق محمد بن علي بن ابي الحسين، بابويه (المتوفى سنة ٣٨١) بأسناده وثانيتها من الشيخ الطوسي ابو جعفر محمد بن الحسن (المتوفى سنة ٤٦٠) في مجالسه بأسناده، مثل رواية الطبري بعينها (مع تفاوت يسير في بعض الألفاظ) ثم قال:

كلام للسيد محسن
العاملي مع
ابن تيمية

« وبعد توافق علماء الفريقين على هذه الرواية لم يبق لما ذكر ابن تيمية قيمة . »
انتهى ما اردت نقله من « اعيان الشيعة » - الجزء الثاني - الصفحة ٩٧-١٠١)
وعليك بالتدبر التام والأنصاف .

١٠٢ - دعوة الرسول (ص) الناس كافة

بعث الله رسوله بالحق فصدقته زوجته ، خديجة ، وآمن به ابن عمه ومن ربي في حُجره ، علي . ثم مكث الرسول ثلاث سنين وانذر عشيرته الاقربين فلم يصدقوه منهم في تلك الدعوة الا من صدقه باديء بدء من قبل ، مع حداثة سنه ، الذي كان منه بمنزلة ابنه وهو ابن عمه و« اخيه » و« وصيه » و« وزيره » و« خليفته » (علي مانص صاتي الله عليه وآله وسلم به في كلامه) وهو علي . فكان علي ، في تلك المدة ، في الرجال امة واحدة !

بعث الرسول
وكان على له
امة واحدة
في الرجال

فمحمد ، صلى الله عليه وآله وسلم ، كان الرسول وعلي بوحدته وانفراده في الرجال ، كان الأمة !

ثم بعد مضي ثلاث سنين من مبعثه ، والحال هذه من خفاء الدعوة العامة والقيام بدعوة العشيرة الاقربين ، امر الله رسوله ، صلى الله عليه وآله ، بتعميم الدعوة وعلان الرسالة ودعوة الناس كافة فأوحى اليه :

« فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ٩٤ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ٩٥ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ٩٦ »^١ .
حينئذ قام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بدعوة المشركين وانذار المستهزئين واعلن ما امره الله به من امر الدين .

قام الرسول (ص) وهو على اخلاقه العظيمة وصفاته السامية وفضائله الكاملة - الحميدة واعماله الصالحة الفاضلة يدعو عامة اهل بيته وقاطبة طائفة قريش وكافة الناس

الى الله الواحد الأحد الفرد الصمد ويعلمهم الأداب الفاضلة والأعمال الصالحة ويهديهم الصراط المستقيم الى الخيرات ويرشدهم طريق الوصول الى الكمالات والسعادات ويردعهم عن عبادة الأوثان ويزجرهم عن الشرك وينهيهم عن اعمالهم الرذيلة وفعالهم السيئة الشنيعة .

لكن القوم، ولاسيما اكابر قريش منهم، وهم اولئك الذين خُمرت طينتهم بالعصبية والجهالة الجهل والتكبر والخيلاء وحب المال وحب الجاه وطلب الرئاسة والاعتلاء وكانت شيمتهم اللجاج وشنشنتهم الجور والعناد وديندتهم البغي والفساد، لايتوجهون الى الرسول (ص) الا بالأنكار والأستهزاء والأيداء واذ لم يتمكنوا هؤلاء الأكابر من ايدائه ولم يجترؤا على الأستهزاء به خوفاً من شيخ البطحاء وكبير العشيرة، عمه المكرم اوغروا نسايتهم بل اغروا صبيانهم على ايدائه فكان الصبيان احياناً يترصدونه في السكك والمعابر فاذا طلع (ص) فيها يشتمونه ويستهزؤون به ويرمونه بالحجارة ويؤذونه:

والرسول الرؤف الرحيم يحتمل كل ذلك بحفاوة قلب وطلاقة وجه وسعة صدرٍ وشدة رافةٍ تفوق رافة الوالد الودود الكريم ويشغل بما أمر به من هدايتهم وارشادهم ونصحتهم رجالاً ونساءً كباراً وصغاراً، شأن الأنبياء والرسل، اولى العزيمة والرافقة والرحمة، صلى الله عليه وآله وسلم .

كان على في تلك الاحوال في اكثر الأحيان ملازماً لابن عمه الرسول لايفتر عن مراقبته ولايفترق عن ملازمته وكان بالنسبة اليه كظله يتبعه ويدور اينما دار فيراقبه ويدافع عنه مع الامكان حتى قيل: حين يتعدى الصبيان والغلمان، باغراء اكابر قريش، حدود الأدب ويتجاسرون على رسول الرب فعلى يذب عنه ويفرقهم ايدي سبايفرون منه فرار الحمر المستنفرة من القسورة .

ملازمة على
لرسول

١٠٣ - نشر الدعوة وآثاره

طالت واستمرت مدة اقامة الرسول (ص) بمكة، بعد ان بعثه الله بالرسالة، ثلاث

عشر سنة واجاب في تلك المدة دعوته ، بعد زوجته ، خديجة المكرمة ، وابن عمه عليّ عده من مشركى اهل مكة كان اسبقهم عتيقه زيد بن حارثة او العتيق ابوبكر ، الصديق (رضي) اوغيرهما على اختلاف الاقوال والروايات في ذلك .

دخل في تلك المدة من اهل مكة ، في دين الله ، افراد معدودة ، واحداً بعد واحد ، وخرج صيت الدعوة المباركة من داخل مكة الى خارجها فجاء نفر من اهل يثرب الى مكة وتشرفوا بلقاء الرسول (ص) وسمعوا منه وآمنوا به وبايعوه .

سير الدعوة
ونشرها

صارت الدعوة حينئذ سائرة نحو الشيع والتقدم سالكة سبيل الاعتلاء والتفوق فاحس قريش وسائر المشركين بانشقاق قمر الدعوة وانشعاب انوارها الباهرة وانبساطها الى خارج مكة وادركوا اقتراب ساعة خذلانهم وتضعف كياناتهم .

على ان الرسول (ص) كان يُعيرهم على اتخاذهم من دون الله آلهة ، لانصر ولا تنفع ، ولا تنطق ولا تسمع ، ويردعهم عن اعمالهم السيئة وعاداتهم المنكرة ويطعنهم في اخلاقهم المرذولة . فيقول :

« وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَإِيْخْلُقُوْنَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُوْنَ
وَلَا يَمْلِكُوْنَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُوْنَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً
وَلَا نُشُورًا ۝٣١ » .

ويقول :

فضيق المشركين
على الرسول
واصحابه

« . . . فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ
بِكُمْ نَفْعًا ؟ بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝١١ » .^٢

تلك الأوضاع والأحوال كبرت على المشركين وبعثهم للتضييق على الرسول وعلى تابعيه المعدودين اشد التضييق بحيث الجاؤهم الى ترك موطنهم ، مكة ، فاضطروا الى الخروج منها والهجرة الى غيرها .

١ - السورة ال ٢٥ (الفرقان) .

٢ - السورة ال ٤٨ (الفتح) .

١٠٤ - هجرة المؤمنين الى الحبشة

ضاقَت ارض مكة على المؤمنين المعدودين بما رَحِبَتْ فَاشار الرسول ، صلى الله عليه وآله وسلم ، بخروجهم عن مكة ، بلد الأمن ، واذن لهم بالهجرة الى الحبشة فخرجوا خائفين مترقبين وتسَلَّلوا هاربين خائفين وهاجروا الى الحبشة لاجئين جالين . فبقى الرسول بمكة مهجورا عن عدة من اصحابه واقربائه ويحميه الشيخ الشهم ابوطالب عمه الشريف المكرم ، وكان يفديه بنفسه وولده وعشيرته . في مدة حياته وقد صرح نفسه بذلك في موارد عديدة وانشد قصائد في ذلك ضبطها التاريخ الصحيح في صفحاته . منها ، من قصيدته اللامية :

« ولما رأيتُ القومَ لاوُدَ فيهم
 وقد قطعوا كلَّ العرى والوسائلِ
 « ألم تعلموا أنّ ابننا لا مكذبُ
 لَدَيْنَا ، ولا يعنى بقول الأباطيلِ
 « وَاَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغمامُ بوجهه
 ثِمَالُ النِّتَامِ عَصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ
 « يطوف به الهلاك من آل هاشم
 فهم عنده في نعمةٍ وفواضلِ
 « كَدَيْتُمْ وبيتِ الله يُبْزَى محمداً
 ولما نطاعين دونه ونُقَاتِلُ
 « ونُسلم حتى نُصْرَعَ دونه
 ونُذهل عن ابنائنا والحلائلِ
 « لَعَمْرِي لقد كَلَّفْتُ وَجداً باحمد
 وَاَحْبَبْتُهُ حُبَّ الحبيبِ المواصلِ

ايات من لامية
 ابي طالب فيها
 تصريح يكون
 الاسلام حقا غير
 باطل ودليل
 على ايمانه

« وَجَدْتُ بِنَفْسِي دُونَهُ وَحَمِيَّتُهُ
 وَدَارَتُ عَنْهُ بِالذَّرِي وَالْكَلَاكِلِ
 « فَلَا زَالَ فِي الدُّنْيَا جَمَالًا لِأَهْلِهَا
 وَشَيْنًا لِمَنْ عَادَى وَزِينَ الْمُحَافِلِ
 « حَلِيمًا رَشِيدًا حَازِمًا غَيْرَ طَائِشٍ
 يُوَالِي آلَهُ الْحَقَّ لَيْسَ بِمُحِلِّ
 « فَيَأَيَّدُهُ رَبُّ الْعِبَادِ بِنَصْرِهِ
 وَأَظْهَرَ دِينًا حَقَّهُ غَيْرَ بَاطِلٍ

١٠٥ - معاقدة قريش على مُعاداة الرسول

امتدَّ مَدَى التَّضْيِيقِ عَلَى الرَّسُولِ وَعَلَى أَصْحَابِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَاشْتَدَّ أَيْدَاهُمْ حَتَّى اجْتَمَعَ الْمُشْرِكُونَ فَتَعَاقَدُوا عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بَأَن يَقْطَعُوا عَنْهُمْ : فَلَا يَنَازِلُ كَحَوْثِهِمْ وَلَا يَمَامِلُهُمْ وَلَا يَكَا مَوْهَمُهُمْ وَلَا يَجَالِسُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَسْلَمُوا إِلَيْهِمْ رَسُولَ اللَّهِ . وَكَتَبُوا تِلْكَ الْمَعَاهِدَةَ وَالْمَعَاقِدَةَ عَلَى صَحِيفَةٍ وَعَلَّقُوهَا فِي الْكَعْبَةِ .

ضَاقَتِ الْأَرْضُ عَلَى الرَّسُولِ وَحُمَاتِهِ بِمَا رَحِبَتْ ، بَعْدَ هَذِهِ الْمَعَاقِدَةِ الْقَاسِيَةِ الْمَشْتُومَةِ ، فَاضْطُرَّ حَامِي الرَّسُولِ ، أَبُو طَالِبٍ ، إِلَى تَرْكِ الْبَلَدِ الْأَمِينِ وَالْأَنْجِيزِ إِلَى الشَّعْبِ ، شَيْعِبِ ابْنِ طَالِبٍ ، فَخَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَأَقْبَلَ وَبَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَعَهُ ، وَالرَّسُولُ فِيهِمْ بِمَنْزِلَةِ الْكَعْبَةِ يَطُوفُونَ حَوْلَهُ ، نَحْوَ الشَّعْبِ وَلَجَأُوا إِلَيْهَا وَمَكثُوا فِيهَا نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِ سِنِينَ ، أَوَّلَهَا لَيْلَةٌ أَوَّلَ الْمُحَرَّمِ مِنَ السَّنَةِ السَّابِعَةِ لِلْبَعْثَةِ .

كَانَ الشَّعْبُ لِهَؤُلَاءِ اللَّاجِئِينَ بِالْحَقِيقَةِ كَالْمَنْفَى ابْلِ كَمَحْبَسٍ حُبْسُوا فِيهَا وَابْتَلَوْا فِي تِلْكَ الْمَدَّةِ الطَّوِيلَةِ أَشَدَّ الْبَلَاءِ : فَالْمِيرَةُ عَنْهُمْ مَقْطُوعَةٌ ، وَمَعَاشِرَتُهُمْ مَعَ غَيْرِهِمْ مَمْنُوعَةٌ ، لَا يَتِمَكَّنُونَ مِنَ الْخُرُوجِ عَنِ الشَّعْبِ إِلَّا أَيَّامًا قَلِيلًا فِي الْمَوَاسِمِ لِلْمَنَاسِكِ ، وَلَا يَمْكَنُ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَارِجِ ، خَوْفًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ الْمَعَاقِدِينَ ، أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِمْ فَضْلًا عَنْ أَنْ

يساعدهم بشيء من الطعام وسائر الحاجيات .

اشتد الامر في الشعب على المحصورين واشتد حتى بلغ الأمر حدّاً كبيراً جدّاً فكان يُسمع اصوات صبيانهم من الجوع ، ومع تلك الحالة والشدة كان الرسول بينهم معزّزاً مكرّماً معظماً يقديه عمّه الماجد العظيم بماله ومهجنه وولده واخوانه وعشيرته ولاسيما بولده عليّ فكان يوصي ابنه الشاب الشجاع المؤمن المخلص عليّاً بالتصحية في سبيل الرسالة ولازال يشجعه ويقويه ويؤكد عليه القيام بطاعته والثبات في حفظه وحراسته وكان يأمر عليّاً في الليل ان ينام مضجع محمد بعد تحويل منامه (ص) ، حتى لا يظهر على الاعداء ميته (ص) فان كان شقى هناك راصداً للفتك به جوف الليل مريداً لقتله يسلم ابن اخيه محمد الرسول وان ترتب عليه قتل ابنه عليّ !

١٠٦ - امر الصحيفة ونهاء الحصر

صار امر الشعب للمحصورين بحيث اثر في اهل مكة فصاروا يتذاكرون هذا الظلم الموجه ويستبشعونه ويتأمرون لذلك العقوق ويستنكرونه فتوجه بعض اكابرهم وهم « هشام بن عمرو العامري و زهير بن ابي امية ابن المغيرة المخزومي والمطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف و ابوالبختري بن هشام وزمعة بن الاسود الاسدي » الى شدة القساوة فرقت قلوبهم ولانت نفوسهم وعزموا على حماية المحصورين واطلاق سبيلهم وخرق الصحيفة الملعونة فعدوا ليلاً مجتمعاً سرياً ودبروا امر تمزيق الصحيفة فأصبحوا ذاهبين الى اندية قريش فأقبل زهير بن امية اليهم وقال بصوت عال :

« انّا كلّ الطعام وتلبس الثياب وبنوهاشم هلكت لايباع ولايبتاع منهم !
والله لا اقعده حتى تُشقق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة . . . »

وكان ذلك بعدما كان الرسول اخبر عمّه اباطالب بضياح الصحيفة واكل الأرزصة ما كان فيها ، من ظلم وجور وقطعية رحم ، وبقاء ما كان فيها من ذكر الله وبعد انباء ابي طالب ، المشركين بما اخبره الرسول وبعد مشاهدة المشركين ان ما انبأ الرسول

دفع الحصر
من بني هاشم

من النبأ الغيبى، الألهى كان حقاً وصدقاً، على ما فُصِّلَ في كتب السِّير والتَّوَارِيخ . واذ ليس بناء هذه الاوراق على الاستقصاء والتفصيل فمن اراده فليراجع تلك الكتب . وكيف كان تمَّ دَوْرُ الشَّعب والحصار فخرج منه المحصورون المحبوسون بعد تحمّلهم ما تحمّلوا من الشَّدائد والمكاره والآلام .

ولأبى طالب ابيات فى هذه الواقعة، منها فى قصيدته البائية:

ابيات من ابى
طالب فى امر
الصحيفة

« وقد كان فى امر الصحيفة عبرة^١ »

متى ما يُخَبَّرَ غائبُ القومِ يُعْجِبُ

« مَحَا اللهُ مِنْهَا كُفْرَهُمْ^٢ وَعَقُوقَهُمْ »

وما نَقَمُوا من ناطقِ الحقِّ مُعْرِبِ

« وَأَصْبَحَ مَا قَالُوا مِنْ الْأَمْرِ بَاطِلًا^٣ »

وَمَنْ يَخْتَلِقُ مَا لَيْسَ بِالْحَقِّ يَكْذِبُ^٤ »

والمعروف من ابى طالب فى امر الصحيفة قصيدته الدالية المفصلة التى منها:

« أَلَا هَلْ آتَىٰ بِحَرِيَّتِنَا^٥ صُنْعَ رَبِّنَا^٦ »

على نَأْيِهِمْ^٧ وَاللهُ بِالنَّاسِ آرَوْدُ

« فَيُخَبِّرُهُمْ^٨ أَنَّ الصَّحِيفَةَ مَزُفَّتْ^٩ »

وَأَنَّ كُلَّ مَا لَمْ يَرْضِهِ اللهُ مُفْسِدٌ^{١٠} »

وقال ابو طالب بعد الخروج عن الشَّعب وقُبَيْلَ وفاته ابياتاً يُوصِيُ فيها بنى-

هاشم عموماً وابنيه علياً وجعفرأ و اخويه حمزة وعباسا، خصوصاً بحراسة الرسول ونصرته

والذَّود عن حريمه . منها هذه :

١ - الجزء الثانى من « الكامل » (الصفحة ٦٢) ولابى طالب قصيدة بائية اخرى

ضبطها ايضاً اهل السنة فى كتبهم فيها تصريح بتصديق ابى طالب للنبوته اولها :

« الا ابلغا عنى على ذات بيننا لؤياً وخصا من لؤى بنى كعب

« الا تعلموا انا وجدنا محمدا نبياً كموسى خط فى اول الكتب ... »

٢ - اراد المهاجرين الى الحبشة، لكونهم وراء البحر.

« اَوْصِيَّ بِنَصْرِ النَّبِيِّ الْخَيْرِ مَشْهُدُهُ
 عَلِيًّا ابْنِي وَعَمَّ الْخَيْرِ عَبَّاسًا
 وَحَمْزَةَ الْأَسَدِ الْمَخْشِيِّ جَانِبُهُ
 وَجَعْفَرًا إِنْ يَذُودُونَ النَّاسَ
 وَهَاشِمًا كُلَّهَا اَوْصِيَّ بِنَصْرَتِهِ
 إِنْ يَأْخُذُوا دُونَ حَرْبِ الْقَوْمِ آمْرًا
 كَوْنُوا، فِدَى لَكُمْ نَفْسِي وَمَا وَلَدَتْ،
 مِنْ دُونِ أَحْمَدَ عِنْدَ الرَّوْعِ اتْرَاسًا
 بِكُلِّ أَيْضَنْ مَصْقُولٍ عَوَارِضُهُ
 تَخَالُهُ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ مِقْبَاسًا

ايضا ابي طالب
 بنصر نبي الخير،
 الرسول (ص) ،

١٠٧ - خروج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الى الطائف

انقضى دور الحصر في الشعب، كما دريت، ولكنه لما ينقض دور الأبتلاء بالأيداء فجاء دور على الرسول امر واشد.

لم يمض من خروج المحصورين من الشعب ورجوعهم الى مكة اكثر من ستة اشهر حتى توفي عم الرسول، وحاميه الشهم الغد، ابوطالب، وعمره بضع وثمانون سنة « وبعد موته بثلاثة ايام توفيت ام المؤمنين، خديجة زوجة الرسول، الصديقة الكريمة الحفيدة فآثر موتها فيه صلى الله عليه وآله وسلم اثراً عميقاً واغتم على تينك الفاجعتين غمماً شديداً. ومن الذي يعلم ان موتها لم يكن من مقاساتهما الشدائد والمكاره والآلام، في الشعب وهما من حيث الشيخوخة وتكلف الحفظ والحراسة عن غيرهما، من المحصورين وتكفل شئون معاشهم وحياتهم فكانا لشيخوختهما ابتلاؤهما اكثر ومقاساتهما الآلام اشد؟

١ - هذا احد الاقوال في تاريخ وفاتهما وهي هنا، كما في امثاله، اختلاف كثير لسنا في

هذه الاوراق بصدد البحث عنها وتحقيق ما هو الحق فيها. والله العالم.

وحينئذ تجاسرت قريش على مكاشفة الرسول بالأيداء واجتراء عليه القوم بالتجاهر في الاعتداء. وقد اشار الرسول الى ذلك بقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

« مَا نَأَلَتْ مِنِّي قَرِيْشٌ شَيْئًا اَكْرَهَهُ حَتَّى مَاتَ اَبُو طَالِبٍ ١ » .

ذهاب الرسول
الى الطائف
للدعوة وايداء
اهلها اياه

لما اشتد الأمر على الرسول، عزّم ان يخرج الى الطائف ويدعو أهلها الى الله عسى ان يجد من قلوبهم انفتاحاً ويرى من صدورهم انشراحاً فان لم يكونوا ان يقبلوا - الدعوة و يؤمنوا بالله وحده فلعلهم يجيروه وينصروه و يؤوؤه ويمنعوه من قومه ، الجاهلين الجائرين .

ولكن أهل الطائف لم يقبلوا دعوته ولم يستجيبوا له نصرته ولم يجيروه ولم يؤووه بل آذوه اكثر واشدّ ، ممّا آذوه سفهاء قريش بمكة واغروا به سفهائهم و عبيدهم يسبّونه و يصيحون به حتى اجتمع عليه الناس والجأوه الى الحائط ١ و الزموا الخروج من الطائف ورموه بالحجارة حتى دُميت قدماه فاضطرّ الى الخروج منها الى مكة .

عودة الرسول (ص)
من الطائف
واستجارته
بمطعم بن عدى

خرج من الطائف كئيباً حزيباً ردّه الطائف وهو يعلم انه لا تقبله مكة فأقام بنخله خارج مكة واستجار للدخول بمكة اخيراً الى مطعم بن عدى حتى يبلغ رسالة ربه فأجاره وامر بنيه وقومه ان يلبسوا سلاحهم وقال لهم : « كونوا عند البيت فأنتى قد آجرت محمداً » .

« واصبح المطعم بن عدى قد لبس هو وبنوه وبنو اخيه فدخلوا المسجد . فلما رآه ابو جهل قال : امجيراً ام متابع ؟ .

قال : بل مجير .

قا : فأجرنا من آجرت .

فدخل النبي (ص) مكة واقام بها ٢ »

١ - الجزء الثاني من تاريخ الطبرى - الصفحة ٨٠

٢ - الجزء الثاني من الطبرى (الصفحة ٨٢) .

١٠٨ - بيعة العقبتين

دخل النبي (ص) مكة في جوار مطعم واقام بها وكان يعرض نفسه في الموسم اذا كانت على قبائل العرب يدعوهم الى الله ويخبرهم انه نبي مرسل ويسألهم ان يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به .

و «يقف على منازل القبائل من العرب فيقول :

« يا نبي فلان اني رسول الله اليكم ، بأمر من الله ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وان تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد وان تؤمنوا وتصدقوني وتمنعوني حتى ابين من الله ما بعثني به »

وفي احدي «المواسم» .

« عرض نفسه على قبائل العرب فبينما هو عند العقبة اذلقى رهطاً من

الخزرج

« قال : افلاتجلسون حتى اكلمكم ؟

« قالوا : بلى !

« فدعاهم الى الله وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن

« فاجابوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام ثم انصرفوا عن رسول الله

صلتي الله عليه وسلم اجمعين الى بلادهم فلما قدوا المدينة على قومهم ذكروا

لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوه الى الاسلام حتى فشافيهم فلم يبق دار من

دور الأنصار الا وفيها ذكر من رسول الله (ص) حتى اذا كان عام المقبل ، وافى الموسم

من الأنصار اثني عشر رجلاً فلقوه بالعقبة ، وهي العقبة الأولى فبايعوا رسول الله صلى الله

عليه وسلم على بيعة النساء وذلك قبل ان يفترض عليهم الحرب »

قال عبادة بن الصامت :

« كنت في من حضر العقبة الأولى وكنا اثني عشر رجلاً فبايعنا رسول الله

بيعة النساء في
العقبة الأولى

صلّى الله عليه وسلّم على بيعة النساء ، وذلك قبل ان يفترض الحرب ، على ان لانشارك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل اولادنا ولا نأتى بيهتان نفتريه بين ايدينا وارجلنا ولا نعصيه فى معروف.....»

وبعد ذلك :

« فلما انصرف عنه القوم بعث معهم رسول الله (ص) مصعب بن عمير بن هاشم ابن عبدمناف وامره ان يُقرّتهم القرآن و يعلمهم الاسلام ويُفقههم فى الدين . وكان يسمّى مصعب بالمدينة : « المُقرّىء » وكان منزله على اسعد بن زراره بن عدس ، ابى اُمامة ، فأقام عنده يدعوا الناس الى الاسلام حتى لم تبق دار من دُور الأنصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون »

فكان بعد العقبة الأولى وبيعة ستة نفر من الخزرج ، وان كان الرسول صلّى الله عليه وسلّم فى ضيقٍ من اذى المشركين ولكن الرسالة نهضت تمشى نحو الامام رويداً ويتقدم بالتشّرع والنفوذ يوماً فيوماً و تدخل من بيت الى بيت و تخرج من الداخلى الى الخارج حتى انتشر صيتها الى يثرب ، مدينة الرسول ، فاعتنق الاسلام نفرٌ من اهلها وفشا فيها سريعا فلم يبق فيها دار من الانصار الا وقد دخلها الاسلام .

« ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة ، وخرج من الأنصار من المسلمين الى الموسم مع حجّاج قومهم من اهل الشّرك حتى قدّموا مكة فواعدوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم العقبة ، من ايام التشريق »

فمضوا بعدمضى الثلث من الليلة المُواعدة متسللين مستخفين حتى اجتمعوا فى الشّعب عند العقبة ، وهم سبعون رجلاً ومعهم امرئتان ، فجاءهم رسول الله (ص) ومعه عمه العباس ، وهو بعد على دين قومه ، فتكلّم العباس بما حاصله اتمامه الحجّة عليهم فى القيام بحفظ الرسول و منع المخالفين عنه . ثم تكلم النبى (ص) فتلا القرآن ودعا الى الله ورغب فى الاسلام ثم قال :

« ابايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه نساكم وابنائكم . »

فبايعوه وهذه البيعة في العقبة الثانية « في ذى الحجة واقام الرسول بعدها بمكة ببيعة ذى الحجة والمحرم والصفر وخرج مهاجراً منها الى المدينة في شهر ربيع الأول وقدمها يوم الاثنين لأثنتي عشرة ليلة خلت منه » .

بيعة الحرب في
العقبة الثانية

« و بايع رسول الله من بايع من الأوس والخزرج في العقبة الآخرة ، وهي بيعة الحرب ، حين اذن الله عز وجل في القتال بشروط غير الشروط في العقبة الأولى . واما الأولى فانها كانت على بيعة النساء... وكانت بيعة العقبة الثانية على حرب الاحمر والاسود » .

١٠٩ - اذن القتال

بعد تمام هذه البيعة (البيعة الثانية) اذن الله لرسوله (ص) في القتال بقوله تعالى :

« وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ »

وبعد تضيق قريش على المسلمين بايذائهم بالحيس والفتنة « امر رسول الله

صلّى الله عليه وسلّم اصحابه ممن هو معه بمكة من المسلمين بالهجرة والخروج الى المدينة واللحوق باخوانهم من الانصار وقال :

امر الرسول (ص)
بالهجرة الى
المدينة

« اِنَّ اللَّهَ ، عزوجل ، قد جعل لكم اخواناً وداراً تأمنون فيها :

« فخرجوا ارسالاً^١ واقام رسول الله بمكة ينتظر ان يأذن له ربه بالخروج

والهجرة الى المدينة ... ولم يتخلف معه بمكة احد من المهاجرين الا اخيد فحيس

او فتن آل علي بن ابي طالب و ابو بكر بن ابي قحافة.... »

١ - « اول من هاجر الى المدينة ابوسلمة بن عبدالاسد » هاجر الى المدينة قبل بيعة

اصحاب العقبة رسول الله بسنة وكان قدم على رسول الله بمكة من ارض الحبشة فلما آذته قريش وبلغه اسلام من اسلم من الانصار خرج الى المدينة مهاجراً .

ثم هاجر بعده عامر بن ربيعة معه امرئته ، ثم عبدالله بن جحش و ابو احمد بن جحش وكان رجلاً ضريراً البصر وكان يطوف مكة اعليها واسفلها بغير قائد .

« ثم تتابع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ارسالاً . . . »

١١٠ - مؤامرة قريش لقتل الرسول

وحيثُ هبَّ المشركون، بزعمهم، من هَجَعَتهم وانتهبوا من غفلتهم و تيقَّظوا من رقدتهم فشمروا عن ساعد العداوة وتهيَّأوا الأطفاء نور الله بكلِّ ما لهم من القوة والحيلة والقساوة .

وذلك لما كانوا يعرفون ان يثرب دار مُنعة وان القوم ذوو شوكة واولو بأس و نجدة فاذا خرج الرسول اليها ولحق بمن فيها اشتدَّ ظهره وظهر امره ولعله صار الامر الى ما لا يمكن دفعه، فقاموا وقعدوا، وقالوا وسمعوا، فعزموا على ان يلدروا الامر قبل ان لا يقدرُوا .

اجتماع قريش
في دار الندوة

فاجتمعوا في «دار الندوة»، نادى المؤامرة، للتأمُر، فقالوا واستمعوا، وتذاكروا وتشاوروا، وبعد محاورات كثيرة اتفق رأيهم على ما اقترحه قُدوتهم في العصبية والجهل، ابوجهل، وكان رأيه ان يختاروا من كلِّ بطن من المشركين، من قريش ومن غيرها من القبائل والأفخاذ، «فتى جكداً نسبياً وسيطاً فيهم» فيأخذ كلَّ منهم سيفاً صارماً ويذهبون ليلاً الى بيت محمد فيضربونه باسيافهم المسلولة ضربة رجل واحد كي لا يعرف قاتل بعينه فيتفرق الدم في القبائل وصار الامر مشتبهاً على بنى هاشم فلا يتمكنون من اخذ القاتل من شخص واحد او قبيلة معينة ولا يجترئون ان يحاربوا تلك القبائل المتحددة المتكثرة فيتحيرون ولا يدرون كيف يصنعون وبالضرورة بالعقل منهم يرضون وباخذ الدية عنهم يقنعون .

في محكي «الأمالي» عن ابي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر :

اتفاق قريش على
راي ابي جهل

« فقال ابوجهل : لكن اري لكم ان تعمدوا الى قبائلكم العشرة فتنذبوا من كلِّ قبيلة رجلاً نجلاً (اي اصيلاً) ثم تسلحوه حُسَاماً عَضْباً وتمهل الفتيه حتى اذا غسق الليل وغور، يئتوا باين ابي كبشة^١ يياتاً فيذهب دمه في قبائل قريش جميعاً

١ - « في الخبر قال ابوسفيان : لقد عظمت ملك ابن ابي كبشة .

« كان المشركون يبنسون النبي الى ابي كبشة وكان ابو كبشة رجلاً من خزاعة . . .

الى آخر ما نقلناه ذيل مطلب ٦٨ سابقاً عن مجمع البحرين .

فلا يستطيع بنو هاشم وبنو المطلب مناهضة قبائل قريش في صاحبهم فيرَضُونَ حينئذٍ بالعقل منهم .

١١١ - العدة المنتخبة

اختلف الأقوال في تعيين العدة المختارة لذلك الشأن الخطير، فالأقل لا تقل عن عشرة، كما يترأى من محكى الأمالي آنفا (وفي صريح بعضها انها لا تقل عن خمسة عشر رجلاً) والأكثر لا تتجاوز عن خمسين .

وفي بعض الأخبار: كانت العدة تلك الليلة خمسة وعشرين . وعن «الخرائج»: «لما كانت الليلة التي خرج فيها رسول الله (ص) الى الغار كانت قريش اختارت من كل بطنٍ منهم رجلاً ليقتلوا محمداً فاختارت خمسة عشر رجلاً من خمسة عشر بطناً، كان فيهم ابولهب من بطن بنى هاشم، ليتفرق دمه في بطون قريش فلا يمكن بنى هاشم ان يأخذوا بطناً واحداً فيرَضُونَ عند ذلك بالدية فيُعْطُونَ عَشْرَ دِيَّاتٍ وَحِكْيَ عَنِ امَالِي الشَّيْخِ بِالْأَسْنَادِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ :

«... فلما اجتمع اولئك النفر من قريش يطيفون ويرصدونه و يريدون قتله، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وهم جلوس على الباب خمسة وعشرون رجلاً فأخذ حَفْنَةَ مِنَ الْبَطْحَاءِ ثُمَّ جَعَلَ يُدِرُّ عَلَى رُؤْسِهِمْ...»

وفي كتاب «البدء والتاريخ» المنسوب الى ابى زيد احمد بن سهل البلخي: «... فتفرقوا على هذا (يعنى رأى ابى جهل فى المؤتمر) وجمعوا من فتيان قريش اربعين شاباً واعطوهم السيوف وامروهم ان يغتالوا النبى (صلعم) ويقتلوه... فأتوا داره واحاطوا به يرصدونه حتى ينام فيبيتون به، واتاه الخبر من السماء فثمبت حتى امسى ثم اضطجع على فراشه وتجلل رِبْطَةً لَهُ حَصْرَاءُ وَالرُّصْدَ يَرَوْنَ

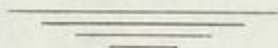
غيبه المهاجرين
على الرسول (ص)
فى بيته

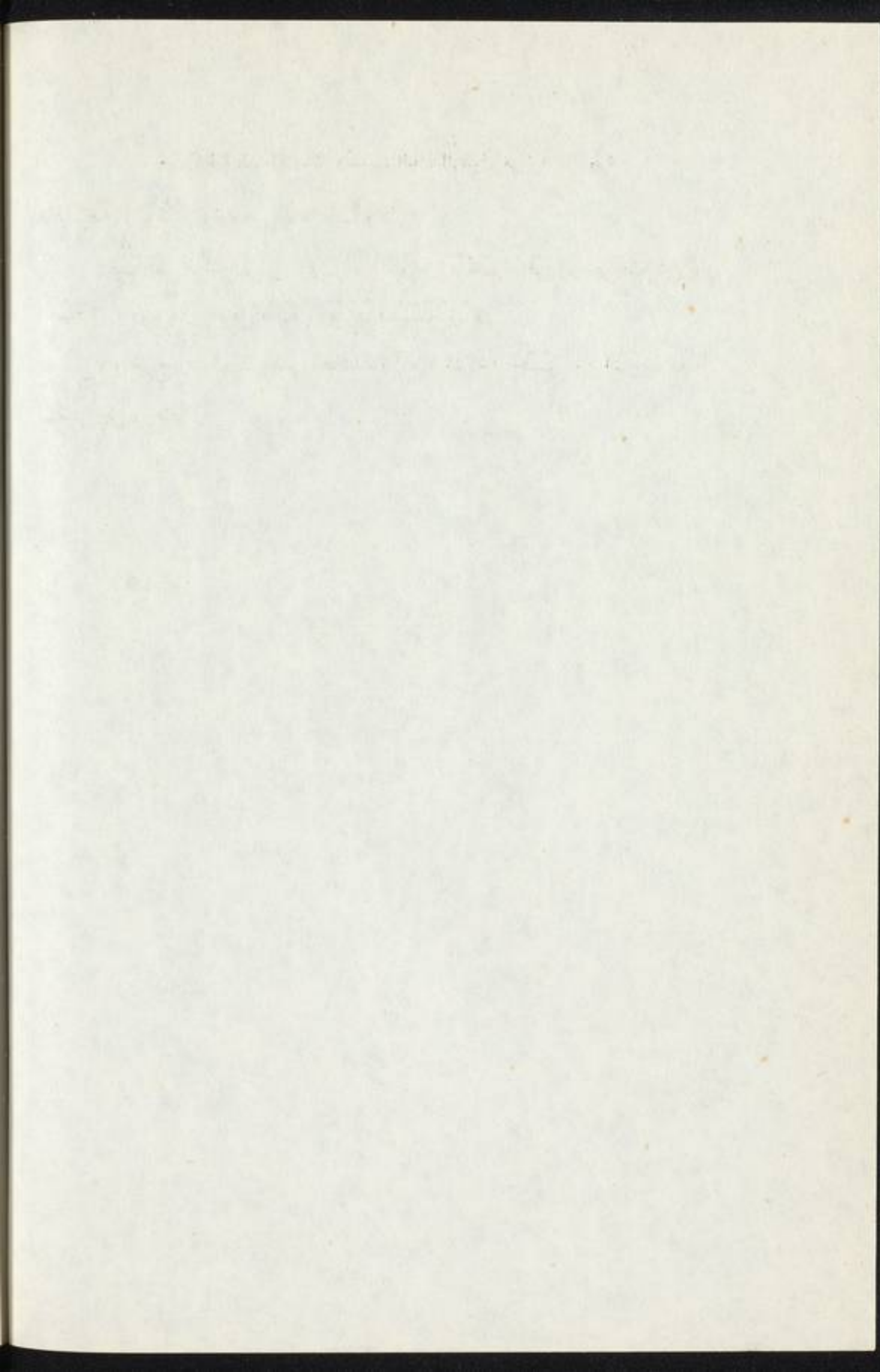
ماصنعهُ و يرقبُون نومَه . فدعا عليّاً وقال :

« نَسَمُ على فراشِي وان اتاك ابوبكر فأخبره اني قد خرجت الى ثور
أَطْحَل ، وهو غار باسفل مكة ، ومُرّه فليكن حَقّ بي .

« و خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وقد اخذ حَقْمَةً من التراب فجعل

يَنشُرُ على رؤسهم »





« وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ
وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ »

(في تفسير « التبيان » : ورؤى عن أبي جعفر عليه السلام انه

قال : نزلت في عليّ حين بات على فراش رسول الله

صلى الله عليه وآله وبه قال عمر بن شبة)

« وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ

آوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ، لَهُمْ

مَغْفِرَةٌ وَّرِزْقٌ كَرِيمٌ »

(الآية ال ٧٥ من السورة ال ٨)

« قال رسول الله لعليّ :

« أَنْتَ أَحْيَى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ »

« وَوَزِيرِي وَوَارِثِي »

(الأربعة الخوارزمي)

١- بدء الهجرة الى المدينة .

٢- في طريق المدينة .

٣- وروده (ص) بالمدينة .

٤- أوّل خطبة خطبها حين وروده .

٥- في المدينة .

٦- اصطفاء الرسول عليّاً اخاً لنفسه .

٧- غزوات الرسول وسراياه .

٨- شأن عليّ في تلك الغزوات .

٩- سرعة نشر الاسلام وشدة تأثيره .

١٠- الاسلام خارق للعادة في التعليم والتربية .

٧- حول الهجرة الى المدينة

و

ما جرى فيها وترتب عليها:

١١٢ - بدء هجرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

وافتداء على له بنفسه

اتفقت كلمة قريش على ذلك الرأي فتفرقوا لتعبية ما اجتمعوا عليه فأجمعوا امرهم، وابدعوا كيدهم، واسرعوا مكرهم، احضروا من فتيان القبائل وشبّانهم من اختاروا واعلموهم مادبروا وواعدوهم الليلية، الاجتماع حول بيت الرسول والأحاطة بمضجعه ثم ضربته باسيافهم دفعة واحدة ضربة قاطعة.

فأوحى الله عز وجل الى رسوله الأجلّ ونبأه بما ازمعوا عليه وامره بان لا ينام تلك الليلة فى منامه واذن له ان يخرج من بيته مهاجراً الى يثرب فاسرّ النبى (ص) بذلك لعلى، مخزن سرّه الفريد، وعيبة علمه الوحيد، وزيره وخليفته، واستقرّ الامر على ان ينام على تلك الليلة فى بيت الرسول ويخلفه فى مبيته ويراقب كمال المراقبة فى اخفاء هذا الأمر كي لا ينشأ للمهاجمين اخف تخيل، واضعف توهّم، واوهن تفرّس فى امره حتّى يتمكن الرسول من الخروج بالسلامة والصحة، ويتيسر له المسافرة والمهاجرة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلى.

« نَمَّ عَلَى فِرَاشِي وَاتَّشَحَّ بِبُرْدِي الْحَضْرَمِيِّ الْأَخْضَرِ فَمَمَّ فِيهِ » .

١ - تاريخ الطبرى (الجزء الثانى اصفحة ٩٩) .

وفيه ايضاً (الصفحة ٩٩) « . . . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام فى برده ذلك اذا نام . . . قال ابو جعفر: زاد بعضهم فى هذه القصة فى هذا الموضع « وقال له : ان اتاك ابن ابى قحافة فأخبره انى توجهت الى ثور، فمره فليالحق بى وارسل الى بطعام واستاجر لى دليلاً يدلنى على طريق المدينة . . . » وفيه ايضاً (الصفحة ١٠٠)
« وقد زعم بعضهم ان ابا بكر اتى علياً فسأله عن نبى الله صلى الله عليه وسلم فأخبره انه لحق بالغار من ثور، ان كان لك فيه حاجة فالحقه . فخرج ابو بكر مسرعاً فلحق نبى الله فى الطريق فسمع رسول الله (ص) جرس ابى بكر فى ظلمة الليل فحسبه من المشركين . . . »

وكان الرسول ينام في برده ذلك حين ينام .

١١٣ - عليّ (ع) في مضجع الرسول (ص)

نام عليّ ، مظهر الأيمان والأخلاص والوفاء والمثل الأعلى للبطولة والشجاعة والفتوة والمروثة والصفاء في مضجع الرسول و منامه وقام بأعباء التضحية و الأفتداء باحسن قيام في مقامه .

كان عليّ تلك الليلة نائباً عنه، خليفة له، قائماً مقامه، بل كان نفسه وعينه عندهم انصف وفتح عينه .

قيام عليّ (ع)
منام الرسول (ص)

اتشح عليّ بالبرد المحضرمي الأخضر و نام في فراش الرسول الأطهر صلى الله عليه وآله وسلم وغطى وجهه الأكرم الأنور وخرج الرسول ودخل المشركون ، وهم عليّ يقين من ان النائم في الفراش هو نفس محمد . و اراد واحين ماوردوا ان يتموا ما قصدوا ، فيهجموا عليه باسيافهم المسلولة و يضربوه ضرباً بل ويقطعوه ارباً ارباً ولكن الله ، تعالى شأنه ، اراد غير ذلك فاقترح بعضهم ان لا يسرعوا في ما ارادوا و يترشوا في ما قصدوا حتى اذا نامت العيون واستولى على الأرجاء ، السكون ، حين استدبر الليل واستقبل الفجر يحملون عليه بسيوفهم فيشفون بقتله قلوبهم .

صادف هذا الرأي و الاقتراح مورد قبول الكل فأحاطوا حول الدار والمنام ، واشتدوا المراقبة ، وترقبوا اقتران الفجر ولاريب ان علياً كان يعلم ما يريدون ، ويسمع ما يقولون ، و يترصد ما يقصدون ومع هذا كان رابط الجاش ، مطمئن البال ، ساكن القلب ، متملك النفس ، منشرح الصدر ، لا حراك له ولا اضطراب ، ولا اى عمل يورث اذنى شكك لهم و ارتياب كان قلبه المليء بالأيمان ممتلئاً بالسرور والنشاط و صدره متوسعاً بالفرح والأنبساط وكيف لا وهو يرى انه في افتدائه هذا وتضحيته صار باعنا لنجاة من هو اعز عليه من نفسه ، وهو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فالآن وقد تخلص الرسول من شر هذه الفئة الشريرة ونجا ، من المخطر المحدق به وراح واستراح فدع الهلاك والفناء يتوجه ، الى اى شخص يتوجه ، عليّ كان هو او غير عليّ ، كل

الأشخاص عند عليّ سواسية لا قدر لحياتهم تجاه حياة الرسول ولا قيمة لوجودهم اذا توجه خطر علي ذلك الوجود .

هذا كل ما يخطر ببال عليّ ، ويجتاز علي خاطره ويرتكز في نفسه ويتسرّب الي ضميره .

سكينة علي ،
ورباط جاشه

اجل : انّ عليّاً فرحان بانّه شري نفسه ابتغاء رضاء الله وعوض منها ببقاء رسول الله ، قوله تعالى :

« وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ . وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ ٢٠ » ١ .

١١٤ - كشف الحقيقة

كانت الحالة في تلك الليلة علي مادريت : المشركون علي أهبة الهجوم وعدة الفتك بالرسول وعليّ في فراشه (ص) علي طمأنينة قلب وسكون نفس ورباط جاش وهو مسرور مبتهج بترقب فرج الرسول ورفع البلاء عنه .

اقتربت الساعة واضطربت النفوس المهاجمة والقلوب القاسية وحان حين العمل ونيل الأمل فكشف عليّ عن قمر وجهه وقام عن الفراش علي ساقه . القي الغطاء فارتفع الخفاء فظهر لهم الخطاء فبهتوا في دهشة ووقفوا من وحشة ، اخذتهم الحيرة وغلبتهم الحسرة ، وفاجتتهم الشكك والريبة ، فارتابوا : أهّم ايقاظ أم رقد؟ وهذا الذي يرونه عليّ أم محمد؟ متى جاء عليّ ونام؟ وكيف راح محمد وابن راح وقام؟! !

١ - من السورة الثانية (البقرة) . في تفسير « التبيان » :

« قال قتادة : نزلت هذه الآية في المهاجرين والانصار وقال عكرمة : نزلت في ابي ذر

الغفاري . . .

« و روى عن ابي جعفر (ع) انه قال : نزلت في علي حين بات علي فراش رسول الله (ص)

لما ارادت قريش قتله حتى خرج رسول الله (ص) وقات المشركين اعراسهم . وبه قال عمر بن

شبة . . . »

وما طالت الرّيبة اكثر من بُرْهة حتّى رجعوا الى انفسهم وعلّموا انهم ايقاظ
وما يروونه حقيقةً يرونها باعينهم وحقّ يشاهدونه بابصارهم وايقنوا انّ من قام بأزائهم
علىّ لامحمد فليس لهم الآن عليه سلّطة ولا يد .

فالآن، وفتوة علىّ وشهامته وبطولته ومروثته ابطلت ما كانوا يترصّدون، وافتداؤه
وتضحيته نقضت ما يقصّدون، فما عليهم ان يفعلوا؟! فما يفعلون؟ وكيف يصنعون؟
واين يذهبون؟!

اكتشاف الامر
على المشركين

سألوا عليّاً عن الرّسول ومحلّه والحوا عليه واصرّوا بل وهدّدوه فما عرفوا
منه شيئاً فلا جرم حرصاً على الوقت ان لا يفوت وطمعاً في الوصول الى الرّسول خرجوا
من البيت وذهبوا مع القافة المهترّة يقفون الأثر لعلّهم يقفون عنه بخبر .

١١٥ - قفوا اثر الرّسول (ص)

تتبع القائفين اثره الى غار ثور (نقب في جبل ثور بأسفل مكّة) الّذى التجأ اليه الرّسول
وخفى مع ابى بكر فيه^١ وهناك انقطع الأثر واشتبه الخبر . فوقفوا يتذكرون وتوقّفوا
يتشاورون وحينئذ اضطرب الصّاحب في الغار، وحزن فانزل الله سكينة على رسوله
وسكن، واينده الله بجنود لم يروها .

وقع الخلاف بينهم وتخيّر وا فتحاوروا : هل دخل محمد الغار وغار! ام ذهب
الى السّماء وطار؟!

١ - اختلف كلمات الشيعة في صحابة ابى بكر للرّسول في تلك الليلة فبعض قال :
« ان الرّسول اخبر ابا بكر وهند ابن ابى هالة ، القضية وامرهما بالجلوس والانتظار في
موضع معين فلاقهما الرّسول حين خرج من البيت في ذلك الموضع واستصحب ابا بكر معه واذن
لاين ابى هالة ان يرجع الى مكّة . »

وقال صاحب « الخرائج » بعد ذكر خروجه (ص) من البيت :
« فرأى ابا بكر قد خرج يتجسس عن خبره وقد كان وقف على تدبير قريش من جهتهم
فاخرجه معه الى الغار ... »

رأوا على باب الغار بيت العنكبوت ولم يتفطنوا انه من او هن البيوت فارتابوا
وترددوا في افكارهم وصرف الله عقولهم فارتدوا على ادبارهم . انصرفوا آيسين خائبين ،
ورجعوا الى مكة ناعسين خاسرين قوله تعالى :

«وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَالَّذِينَ تَابُوا وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَالَّذِينَ تَابُوا وَالَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَالَّذِينَ تَابُوا
اِثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا . فَمَا نَزَلَ
اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا . وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ
كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةَ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا . وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٤٠ » .

١١٦ - في طريق المدينة

استخفى الرسول من الكافرين بغار ثور ويشس المشركون ، بعد عدم تفتنهم بوجوده
في الغار ، من ان يظفروا به فانصرفوا الى مكة بالخيبة والحسرة .

لبث الرسول ثلاث ليال ثم خرج نحو المدينة وكان في صحبته ابوبكر ابن
ابي قحافة وعبدالله بن اريقط^٢ ، وهو الذي جاء لهما براحتين وكان دليل الطريق
في هذا السفر .

ظهرت عن الرسول (ص) في هذا الطريق كرامات صارت سبباً لهداية من كان
التوفيق رفيقاً له ولعلّه يناسب ان تذكر تلك الكرامات هيئتها ولكنّه رعاية للاختصار
المنظور في هذه الوريقات يُكتفى بذكر قضية واحدة ضبطها اكثر التواريخ والأخبار
وهي ملخصة : على ما في الكتب المعتمدة :

١ - من السورة التاسعة (التوبة) .

٢ - في الاصابة وعبدالله بن اريقط ويقال : اريقط بالبدال بدل الطاء المهملتين . . .
دليل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وابي بكر لما هاجرا الى المدينة ثبت ذكره في «الصحيح»
وانه كان على دين قومه . . . ولم ار من ذكره في الصحابة الا الذهبي في «التجريد» وقد
جزم عبدالغنى المقدسي في السيرة له : بانه لم يعرف له اسلاماً وتبعه النووي في تهذيب
الاسماء .

« . . . ثم مرّ في سيره بخيمة أمّ معبد الخزاعية فسألاها هل عندها شيء ؟
 فقالت : والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القيرى ، والشاءُ عازب (بعيدة
 غير حاضرة) ، وكانت سنةً شهباء .

« فنظر رسول الله الى شاةٍ في كيسر الخيمة (جانبها) فقال : ما هذه الشاة يا
 أمّ معبد ؟

« قالت : شاة خلتها الجهد عن الغنم .

« فقال : هل لها من لبن ؟

« قالت : هي اجهد من ذلك .

« فقال : اتأذنين لى ان احلبها .

« قالت : نعم ، بأبى وامسى ، ان رايت به حلبا فاحلبها .

« فمسح رسول الله (ص) بيده ضرعها وسمى الله ودعا فتفاجت عليه (فرجت
 بين رجلها واعدت للحلب) ودرت فدعا بأناء لها يربض الرهط (يريد ظرفا كبيرا
 واءاء وسيعا) فحلب فيه حتى علكته الرغوة . فسقاها فشربت حتى روت وسقى
 اصحابه حتى روتوا ثم شرب وحلب فيه ثانيا حتى ملأ الأناء . ثم غادره عندها . فقتل ما
 لبث ان جاء زوجها ابو معبد يسوق اعنرا عجاجا يتساوكن هزالا فلما راى اللبن
 عجب . فقال :

« من اين لك هذا . والشاة عازب ، ولا حلوبة فى البيت ؟ :

« فقالت : لا والله ، الا انه مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت

ومن حاله كذا وكذا .

« قال : والله ، اتى لأراه صاحب قريش الذى تطلبه . صيف لى يا أمّ معبد . . . »

١ - ومن طرق الشيعة: فى البحار، نقلا عن « اعلام الورى » فى باب معجزاته صلى الله
 عليه وآله وسلم : « من معجزات النبى (ص) حديث شاة ام معبد وذلك ان النبى (ص)
 بقية العاشية فى الصفحة الاتية

فوصف شمائل جماله الانور الاظهر على ما اسلفنا نقله .

١١٧ - وروده (ص) بالمدينه

كان من كيفية وروده (ص) المدينة انه بعد ارتحاله يوم الجمعة من قباء وتجميعه باصحابه الجمعة في اليوم الذي ارتحل فيه من قباء في بطن وادٍ لبني سليم بن عوف ، وكانت هذه الجمعة اول جمعة جمعتها الرسول في الاسلام كما ان الخطبة التي خطبها في هذه الجمعة كانت اول خطبة خطبها بالمدينة، عمّد نحو المدينة فعلى ما في الطبري :

اول جمعة
جمعتها
الرسول (ص)
في الاسلام

« ركب ناقته وارخى لها الزمام فجعلت لانمرّ بدارٍ من دُور الأنصار الا دعاه اهلها الى النزول عندهم وقالوا له : هلم يا رسول الله الى العدد والعدّة والمتّعة . فيقول لهم : خلّوا زمامها فاتّها مأمورة . حتّى انتهى الى موضع مسجده اليوم فبركت على باب مسجده ، وهو يومئذٍ مِرْبَدٌ لغلّامين يتيمين من بني النّسجاري حَجْرٍ مُعَاذِ بْنِ عَفْرَاءِ .

« فلما بركت لم ينزل عنها رسول الله (ص) ثم وثبت فسارت غير بعيد ورسول الله واضع لها زمامها لايشئنها به ثم التفتت خلفها ثم رجعت الى مبرّكها اول مرة فبركت فيه ووضعت جرانها ونزل عنها رسول الله (ص) فاحتمل ابوايوب رحلته فوضعه في بيته فدعته الأنصار الى النزول عليهم فقال (ص):

بقية الحاشية من الصفحة الماضية

لما هاجر من مكة وبعه ابو بكر و عامر بن فهيرة و دليلهم عبيد الله بن اريقط اللثمي... ثم نقل القضية، مع اختلاف يسير في بعض الكلمات لما اوردها في المتن ، وكيف كان فالمراد من لفظة « المعجزات » ما يشملها و يشمل « الكرامات » لخصوص « المعجزة » بمعنيها - الاصطلاحى المتعبّر فيه « التعمد » ولعل المعجزة و الكرامة كائتا من قبيل « الفقير » و « المسكين » اذا اجتمعتا افترقتا واذا افترقتا اجتمعتا .

« المرء مع رحله . فنزل على ابى ايوب ، خالد بن زيد بن كليب ، فى بنى غنم - بن النجار .

« وسأل رسول الله (ص) عن الميربند : لمن هو؟ فأخبره معاذ بن عفراء وقال : هو لتيميم ، لى سأرضيهما . فأمر به رسول الله (ص) أن يبني مسجداً و نزل على ابى ايوب حتى بنى مسجده و مساكنه و تولّى بناء مسجده صلى الله عليه وسلم هو بنفسه و اصحابه من المهاجرين و الأنصار . . . »

كان أوّل عمل منه صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة ، بناء هذا المسجد و بعدهما مسجداً بالذبيحة و الشهقة .

اول مسجد
بنى المدينة

١١٨ - تاريخ الهجرى

مما حدث أوّل قدومه (ص) المدينة أمره بالتاريخ . قال الطبرى (الصفحة - ال ١١٠ من الجزء الثانى) فى تاريخه :

« ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة امر بالتاريخ فى ما قيل ، حدثنى . . . عن ابن شهاب : ان النبى (ص) لما قدم المدينة ، و قدمها فى شهر ربيع الاول ، امر بالتاريخ (قال ابو جعفر) : فذكر انهم كانوا يؤرخون بالشهر و الشهرين من مقدمه الى ان تمت السنة . و قد قيل : ان أوّل من أمر بالتاريخ فى الاسلام عمر بن الخطاب رحمه الله . »

يقول مؤلف هذه الأوراق و يؤيد قول الأوّل فى امر التاريخ ، ما جاء فى كتاب « مجمل التواريخ و القصص »^١ فىناسب ان نورد هنا ترجمته عن الفارسية :

قال فى الفصل الذى عقدها لبيان الحوادث الواقعة بعد الهجرة فى السنة الأولى :

١ - كتاب فارسى نسختها المنحصرة بخزانة الكتب المليية بباريس تحت رقم (فارسي ٦٢) اخذ عكسها العلامة محمد القزوينى ثم طبع بتهران بتصحيح الشاعر الفاضل سلك الشعراء ، بهار ، و الكتاب يشتمل على التاريخ الى سنة ال ٢٠ هـ الهجرية القمرية و لمه توفى المؤلف فى تلك الاوان .

« وفي هذه السنة اشترى النبي عليه السلام سلمان الفارسي هكذا قرأت

في تأليف حمزة بن الحسن ، ربّ التاريخ ، قالوا :

« كان سلمان من قرية « جيان » بأصْبَهان وكان اسمه ماهبذ بن بدخشان بن

آذرجشنس (آذر كَشَسب) ابن مردسالار وينتهي نسبه الى منوچهر ، ملك العجم ، وفرّ ،

لأمر جزائي صدر منه ، الى دير راهب بالشّام ودخل في المسيحية وكان ينتقل من

صومعة الى اخرى حتى استعبده يهودى يُسمى عثمان بن الأشهل .

ولمّا هاجر النبي (ص) ابتاعه من اليهودى واعتقه وكتب له عهداً كتبه على بن

ابى طالب عليه السلام وهذه عين النسخة لفظاً بلفظ:

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما افدى محمد بن عبد الله ، رسول الله ، سلمان -

الفارسي من عثمان بن الأشهل اليهودى ، ثم القُرظى ، بغرس ثلاثمائة نخلة واربعين

اوقية ذهباً . وقد برىء محمد بن عبد الله ، رسول الله ، لثمن سلمان الفارسي ، وولاؤه

لمحمد بن عبد الله ، رسول الله ، واهل بيته . لاسيلا لأحد على سلمان .

كتاب عهد شراء
رسول الله سلمان
الفارسي

« شهد على ذلك ابوبكر بن ابي قحافة وعمر بن الخطاب وعلى بن ابي طالب

وحذيفة بن سعد بن اليمان و ابوذر الغيفارى والمقداد بن الأسود و بِلال مولى

ابى بكر و عبد الرحمن بن عوف .

« وكتب على بن ابي طالب يوم الاثنين فى جمادى الأولى من سنة مهاجر

محمد بن عبد الله ، رسول الله . »

« وكان لسلمان ابن اخ اسمه ماه آذر بن فروخ بن بدخشان ، واسرتهم بشيراز

ولهم عهد من النبي بخط امير المؤمنين على ، على اديم ابيض و عليه خاتم الرسول

و ابى بكر و عمر و عثمان و على . وهذا العهد وان كان فى السنة التاسعة من الهجرة

ولكنه اثبتناه هنا للمناسبة . وهذه نسخته بخط على ، كرم الله وجهه ، لفظاً بلفظ :

١ - « . . . والاوقية ، فى الحديث ، اربعون درهماً . وكذلك كان فى ماضى فاما اليوم

فى مايتعارفها الناس و يقدر عليه الاطباء فالاوقية عندهم وزن عشرة دراهم وخمسة اسباع

درهم ، وهو استار وثلاثا استار ، والجمع الاواقى « (صحاح اللغة) .

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد رسول الله سأله سلمان باخيه ماه آذر فروخ و اهل بيته و عقبه من بعده ، ما تناسلوا ، من اسلم منهم ومن اقام على دينه سلم الله ^١ .

« احمد اليك الذي امرني ان اقول : لا اله الا الله وحده ، وحده ، لا شريك له ، اقوالها و امرُ الناس بها وان الخلق خلقُ الله والامر كلمةُ الله ، خلقتهم واماتهم وهو ينشرهم واليه المصير ، وان كل امر يزول ، وكل شيء يبید و يفتنى ، وكل نفس ذائقة الموت . من آمن بالله و رسوله كان له في الآخرة دعةُ الفنازين ، ومن اقام على دينه تركناه فلا اكراه في الدين .

« فهذا كتاب لاهل بيت سلمان : ان لهم ذمة الله ، على دمايتهم واموالهم في - الأرض التي يقيمون فيها ، سهلها و جبلها و مراعيها و عيونها ، غير مظلومين ، ولا مضيق عليهم .

« فمن قريء عليه كتابي هذا ، من المؤمنين و المؤمنات ، فعليه ان يحفظهم و بكرمهم و يسرهم ولا يتعرض لهم بالأذى و المكروه . وقد رفعت عنهم جزأ الناصية و الجزية و الخمس و العشر الى سائر المؤمن و الكلف .

« ثم ان سألوكم فاعطوهم ، وان استعانوا بكم فاعينوهم ، وان استجاروا بكم فاجيروهم ، وان اسأوا فاغفروا لهم ، وان أسبىء اليهم فامنعوا عنهم ، ولهم ان يعطوا من بيت مال المسلمين في كل سنة مأتى حيلة في شهر رجب و مائة في الأضحية فقد استحق سلمان ذلك منا ، ولأن فضل سلمان على كثير من المؤمنين ، و أنزل في الوحي علي « ان الجنة اشوق من سلمان الى الجنة » وهو ثقتي و اميني و تقي و تقي ، ناصح لرسول الله و المؤمنين ، و سلمان منا اهل البيت .

١ - هكذا في النسخة المطبوعة ، و اظن ان السطرين الى « سلم الله » زيادة ممن كانت

النسخة بيده و كانت نسخة العهد من كلمة « بسم الله » التي صعب بكلمة « سلم الله » .

« فلا يخالفنّ احد هذه الوصيّة في ما امرت به من الحفظ والبرّ لأهل بيت سلمان وذراريهم ، من اسلم منهم ومن اقام على دينه ، ومن خالف هذه الوصيّة فقد خالف الله ورسوله وعليه اللّعة الى يوم الدين ، ومن اكرمهم فقد اكرمني وله عند الله الثواب ، ومن اذاهم فقد اذاني وانا خصمه يوم القيامة ، جزاؤه نارُ جهنّم ، وبرئت منه ذمّتي والسلام عليكم .

« وكتب عليّ ابن ابي طالب بامر رسول الله في رجب سنة تسع من الهجرة وحضر ابوبكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد وسعيد وابوذر وعمّار وعيينة وبلال والمقداد وجماعة اُخر من المؤمنين » .

ثم قال مؤلّف الكتاب (مجمل التواريخ والقصص) ما ترجمته :

« انّ هذا العهد موجود بيد اولادهم في هذا الزّمان (سنة ٥٢٠ - تاريخ تأليف الكتاب -) وقد استحضره بعينه من شيراز سلطان محمد (ابن ملكشاه التسلجوقي - ٤٩٨ - ٥١١ هـ . ق .) فلما رآه قبله وبكى ثم امر باستنساخه وردّ الأصل الى صاحبه بعد ما اكرمه وخوّله عطاءً كثيراً » انتهى ما اردنا نقله من الكتاب .

اوردت العهدين بتمامهما واطلت الكلام بنقلهما في هذه الوُرُيقات ، مضافاً لما يظهر منهما من تايد ذلك القول في بدء حدوث التّاريخ الهجري ، راجياً لأن يصبر سبباً للفحص والبحث عن وجودهما لعلّ الله بسرّ العثور عليهما .

واتفق لي قبل عهدي بما في الكتاب المذكور من العهدين بما لا يقلّ عن عشرة سنين انّ ليلة كنت بمجلس كان منعقداً لمهرجان الغدير بتهران (وهي ليلة الثامنة عشر من شهر ذي الحجّة) فعرف صاحب المجلس ، كما هو المعمول ، جمعاً من الحاضرين لي وكان فيهم رجلاً زرادشتياً فعجبت من حضوره في المهرجان المذهبي وسألت عنه فقال : لاتعجب فأنتي من آل سلمان وعندنا عهد بخطّ عليّ بن ابي طالب وصيّ به الرسول (ص) لنا ونحن نحبّ عليّاً وحضرت مجلس مهرگانه مفتخراً به .

فاستبعدت ذلك وانكرته باطناً ولمّا رايت العهد يتّين بعد مدّة في الكتاب اسفت على ماجرى لي من المسامحة في التفتيش والتّحقيق وارجو من الله ان يحدث بعد ذلك امراً .

كلام المؤلف
في شان الثاني
من العهدين

١١٩ - ورود عليّ بالمدينة

ورد الرسول (ص) المدينة ، بتلك الكيفية ، ثم جاء عليّ ولحق به في المدينة وقد تحمّل في طريقه من المشقة والتعب ما ابكت الرسول ، شفقة عليه ورحمة له . قال ابن الاثير في كتابه « الكامل » :

« واما عليّ فأنه لما فرغ من الذي امره به رسول الله (يعني ردّ الودائع والأمانات) هاجر الى المدينة . فكان يسير الليل ويكمن النهار حتى قدم المدينة وقد نفضت قدماه . فقال النبيّ (ص) : ادعوا لي عليّاً . قيل : لا يقدر ان يمشي فأناه النبيّ صلى الله عليه وسلم واعتنقه وبكى ، رحمةً لِمَا بقدميه من الورم وتغسل في يديه وامرّها على قدميه فلم يشتكهما بعد حتى قُتل » .

١٢٠ - خطبة الرسول (ص) بالمدينة

اول خطبة خطبها الرسول (ص) في اول جمعة صليها بالمدينة في بني سالم بن عوف ، علي ما اورده الطبري :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ وَأَسْتَغْفِرُهُ وَأَسْتَهْدِيهِ وَأُؤْمِنُ بِهِ وَلَا أَكْفُرُهُ وَأُعَادِي مَنْ يَكْفُرُهُ .

اول خطبة خطبها
النبي (ص) في
اول جمعة
صليها بالمدينة

« وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَالنُّورِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ عَلَى فِتْنَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وَقَلْبِهِ مِنَ الْعِلْمِ ، وَضَلَالَةٍ مِنَ النَّاسِ ، وَأَنْقِطَاعٍ مِنَ الزَّمَانِ ، وَدُنُوبٍ مِنَ السَّاعَةِ ، وَقُرْبٍ مِنَ الْأَجَلِ .

« مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشِدَ وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَى وَقَرِطَ وَضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا .

« وَأَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَاحْذَرُوا مَا حَذَرَكُمْ اللَّهُ مِنْ نَفْسِهِ وَلَا -

أَفْضَلَ مِمَّنْ ذَكَرْتُ نَصِيحَةً وَلَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ذِكْرًا .

« وَأَنَّ تَقْوَى اللَّهِ لَمَنْ عَمِلَ بِهِ ، عَلَى وَجَلٍ وَمَخَافَةٍ مِنْ رَبِّهِ ، عَوْنٌ صَدَقَ عَلَى مَا تَسْبَعُونَ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ .

« وَمَنْ يُصْلِحِ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ مِنْ أَمْرِهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ لَا يَتَوَى بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَ اللَّهِ يَكُنْ ذِكْرًا فِي عَاجِلِ أَمْرِهِ ، وَذُخْرًا فِي مَا بَعْدَ الْمَوْتِ حِينَ يَفْتَقِرُ الْمَرْءُ إِلَى مَا قَدَّمَ ، وَمَا كَانَ مِنْ سِوَى ذَلِكَ يَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ، أَمْدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ . وَالَّذِي صَدَقَ قَوْلُهُ وَأَنْجَزَ وَعَدَهُ لَا خُلْفَ لِدَلَايِكَ فَأَنَّهُ يَقُولُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَىَّ وَمَا أَنَا بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ .

اصلاح النفس
و تقوى الله

« فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي عَاجِلِ أَمْرِكُمْ وَأَجَلِهِ ، فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمُ لَهُ أَجْرًا . وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا .

« وَأَنَّ تَقْوَى اللَّهِ يُوقِي مَقْتَهُ ، وَيُوقِي عَقُوبَتَهُ وَيُوقِي سَخَطَهُ ، وَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ يُبَيِّنُ الْوُجُوهَ ، وَيَرْضِي الرَّبَّ ، وَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ .

« خذُوا بِحِظِّكُمْ وَلَا تُفَرِّطُوا فِي جَنَابِ اللَّهِ . قَدْ عَلِمَكُمْ اللَّهُ كِتَابَهُ ، وَنَهَجَ لَكُمْ سَبِيلَهُ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَيَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ .

« فَأَحْسِنُوا كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ . وَعَادُوا أَعْدَاءَهُ ، وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَسَاكِمُ الْمُسْلِمِينَ ، لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ . وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ .

« فَأَكْثِرُوا ذِكْرَ اللَّهِ وَاعْمَلُوا لِمَا بَعْدَ الْيَوْمِ فَإِنَّهُ مَنْ يَصْلِحْ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ يَكْفِهِ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ ، ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يَقْضِي عَلَى النَّاسِ وَلَا يَقْضُونَ عَلَيْهِ وَبِمَلِكِكَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ . اللَّهُ أَكْبَرُ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَظِيمِ .

١٢١ - في المدينة

ورد الرسول (ص) المدينة وقد هاجر قبل وروده وبعده جمع من المسلمين اليها. وجاء علي[ؑ] ولحق به في المدينة فكان المسلمون بالمدينة فريقيين: مكِّيَّين ومدَنِيَّين، وان شئت فقل: المهاجرين والانصار. كانت تسكن بالمدينة قبل هجرة الرسول قبيلتان:

١ - الخزرج .

٢ - الأوس .

وكان بينهما عداوة عريقة ومنافسة قديمة شديدة تُفضى غالباً الى الحرب والمقاتلة وكان ينتهز كل منهما الفرصة للغلبة على الأخرى^١ وتذليلها حتى ظهر الإسلام واعتنقته أولاً عدّة من قبيلة الخزرج وبعدها عدّة من الأوس .

نزل الرسول (ص) بالمدينة فأُنعِمَ اللهُ عليهم وآلَفَ بين قلوبهم وجعلهم اخواناً بعد ما كانوا اعداءً قوله تبارك وتعالى :

« وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا... ١٠٣ »^١

الاسلام الف بين
قلوب الاعداء
وصيرهم اخواناً

فاتَّفَقوا جميعاً على نصرة الاسلام و مساعدة الرسول، ومن ورد عليهم من مسلمي مكّة، وكانوا يؤوّنهم في بيوتهم، ويشاركونهم بأموالهم، ويؤثرونهم على انفسهم، ولو كانت بهم خصاصة، ويتسابقون في النصرة والمعاضدة، فسمّاهم الله باسم «الانصار» كما سمّى الواردين عليهم من مسلمي مكّة باسم «المهاجرين» .

انزل الله تعالى في حقّ الفريقين، ومن اتبعهم بأحسان :

« وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي

تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ ١٠٠»^١ .
استقرّ الرسول (ص) ، والمهاجرون بالمدينة واستقبله اهلها خيرا استقبال فأمن
الأذى واطمئن واستراح وانقطعت يد قريش والمشركين عن ايذائه وتمكّن من انفاذ
ما امره الله به واجرائه فأخى بين المهاجرين والأنصار وجعل الله بعضهم اولياء بعض
يتشاركون ويتناصرون ويتوارثون .

قوله تعالى :

«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ، وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ... ٧٢»^٢
ومدحهم الله بحقيقة ايمانهم وخلوص اعتقادهم ، ووعدهم جنة النعيم والرزق
الكريم فقال ، تبارك وتعالى ، :

« وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا
وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ٧٤ »^٣ .

١٢٢ - اصطفاء الرسول علياً للأخاء

آخى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين اصحابه من المهاجرين والأنصار
كل مع الآخر ، وكانوا تسعين رجلاً نصفهم من المهاجرين والنصف الآخر من الأنصار
على المواساة في الحيات والتوارث بعد الممات^٤ .

وآخى ايضا بين المهاجرين بعضهم مع بعض وفي هذه المؤاخاة اتخذ علياً
اخاً لنفسه ولم يؤاخ احداً غيره .

١ - السورة التاسعة (التوبة) .

٢ - السورة الثانية (الانفال) .

٣ - السورة الثامنة (الانفال) .

٤ - نسخ حكم ذلك التوارث بعد واقعة بدر بقوله تعالى « واولوالارحام بعضهم اولي

بعض ... ٧٥ . الاية » سورة الانفال .

فعلى، بعدما كان له شرف نُشُوءِهِ في حجر الرسول (ص)، وشرف تربية الرسول
 آيَّاه كولدِهِ، وبعد شرفه بسبقه في الإسلام في الصلوة والأيمان، وبعد شرفه بافتدائه عن
 الرسول وخلافته له في مبيته وفي قضاء ديونه واداء اماناته بمكة وغير ذلك ممَّا شرفه
 الله ورسوله بها وكرم الله وجهه لها، صار متشرفاً بأخائه للرسول المختار، من بين
 سائر المهاجرين والأنصار.

ولعمُرُ الحقِّ والأنصافِ هذا شرف لا يوازيه شرف، ومنزلة لا يعادلُها منزلة،
 ومقام يدرك ولا يوصف فكن ممن تدبّر وانصف.

في المحكى عن المتقى للكاظمي :

كيفية المواخات
 بين المؤمنين

« وفي هذه السنة (يعنى السنة الأولى) آخى^١ بين المهاجرين والأنصار. وذلك
 انه لما قدم المدينة آخى^١ بين المهاجرين والأنصار على الحقِّ والمواساة، يتوارثون
 بعد الممات، دون ذوى الأرحام، وكانوا تسعين رجلاً : خمسة واربعين رجلاً من
 الأنصار. وقيل : كانوا خمسين ومائة من الأنصار وخمسين ومائة من المهاجرين. وكان
 ذلك قبل بدر »

١٢٣ - اخوة الدنيا والآخرة لعلي مع النبي (ص)

وفي محكى « المناقب » عن تاريخ البلاذرى والسلمى، وغيرهما، عن -
 ابن عباس، وغيره :

« لما نزل قوله تعالى « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ١٠ »^١ آخى رسول الله
 صلى الله عليه وآله وسلم بين الأشكال والأمثال فأخى^١ بين ابى بكر وعمر، وبين عثمان
 و عبدالرحمن، وبين سعد بن ابى وقاص وسعيد بن زيد، وبين طلحة والزبير، وبين
 ابى عبيدة وسعد بن معاذ، وبين مصعب بن عمير و ابى أبوب الأنصارى، وبين ابى ذر
 و ابن مسعود، وبين سلمان وحذيفة، وبين حمزة وزيد بن حارثة، وبين ابى التدرء

و بِلَال، و بين جعفر الطيار و معاذ بن جبل، و بين المقداد و عمار، و بين عائشة و حفصة،
و بين زينب بنت جحش و ميمونة، و بين ام سلمة و صفية، حتى آخا بين اصحابه
باجمعهم على قدر منازلهم، ثم قال (ص):

« اَنْتَ اَخِيٌّ وَاَنَا اَخُوكَ يَا عَلِيُّ »

لاخي النبي (ص)
علياً

وفي « المناقب » ايضاً :

« الترمذى و السمعاني و النطنزي انه قال ابن عمر و زيد بن حارثة :

« آخى رسول الله بين اصحابه و جاء على تدمع عيناه فقال : يا رسول الله آخيت
بين اصحابك و لم تؤاخ بيني و بين احد ! فقال النبي : اَنْتَ اَخِي فِي الدُّنْيَا و الْآخِرَةِ » .

وفي المناقب ايضاً :

« وفي فضائل احمد : انما تركت لِنَفْسِي ، اَنْتَ اَخِي و انا اَخُوكَ .
وفيه برواية زيد بن اوفى : و الَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا اَخَرْتُكَ اِلَّا لِنَفْسِي ، و اَنْتَ
مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هِرُونَ مِنْ مُوسَى اِلَّا اِنَّهُ لَانبِيٌّ بَعْدِي الخبير .

« وفي « الأربعين » عن الخوارزمي قال ابو رافع : ان رسول الله التفت الى

علي فقال :

« انت اخي في الدنيا و الآخرة و وزيرى و وارثى » .

« وفي « اعتقاد اهل السنة » : روى مخدوج بن الذهلي ان النبي (ص) لما

منزلة علي
من الرسول

آخا بين المسلمين اخذ بيد علي فوضعها على صدره و قال :

« يَا عَلِيُّ اَنْتَ مِنِّي وَاَنَا مِنْكَ بِمَنْزِلَةِ هِرُونَ مِنْ مُوسَى الخبير » .

١- هاتان الكلمتان عين ما وقعتا في قضية انذار العشيرة و قد اشرنا هنالك، ذهل الصفحة :

انه لا يصح ان يراد من الوراثة هنا الا المولوية، وهي الخلافة، لان وراثة المال، ان
كان هنا مال و لم يكن حديث « نحن معاشر الانبياء لانورث » مسلماً، لا تكون الالفاظمة
و الزوجات و وراثة العلم كما عرفت لا تصح الا على التوسع و التجوز لان ما استفاد علي من
علم الرسول كان قبل وفاته (ص) لا بعده حتى يصح ان يطلق عليه الارث فبقى ان يكون
المراد منه المولوية. فتدبر.

وفي المناقب ايضا :

« في زيادات المُسند » بسنده عن سعيد بن المسيَّب قال :

« آخا (ص) بين اصحابه في مكة فآخا بين ابي بكر و عمر ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ،

وقال لعلّي : انت اخي » .

وفيه ايضا :

« احمد في مُسنده ، بسنده عن حذيفة بن اليمان ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قال :

« آخا رسول الله (ص) بين المهاجرين و الأنصار و كان يؤاخى بين الرجل و نظيره ،

ثم اخذ بيد عليّ فقال : هذا اخي »

وفي سيرة ابن هشام :

« قال ابن اسحق :

« و آخا رسول الله ، صلّى الله عليه و آله و سلّم ، بين اصحابه من المهاجرين و الأنصار

فقال ، في ما بَلَغْنَا ، و نعوذ بالله ان نقول عليه ما لم يقُل ، :

« تآخروا في الله اخويّن آخويّن .

» ثم اخذ بيد عليّ بن ابي طالب فقال : هذا اخي .

« فكان رسول الله ، سيّد المرسلين ، و امام المتّقين ، و رسول ربّ العالمين ، الذي

ليس له خطير و لا نظير من العباد ، و عليّ بن ابي طالب ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، آخويّن » .

وفي المناقب :

« موفق بن احمد بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال سمعت عليّاً يقول :

اَنَا آخُو الْمُصْطَفَى لِاشْكِكَ فِي نَسَبِيْ

رُبِّيْتُ مَعَهُ وَسَبَّطَاهُ هُمَا وَلَدِيْ

جَدِّيْ وَجَدُّ رَسُوْلِ اللهِ مُتَّحِدٌ

وفاطيم زوّجتيّ لا قول ذي فندي

صَدَقْتُهُ وَجَمِيعُ النَّاسِ فِي بُهْمٍ
 مِنْ الضَّلَالَةِ وَالْأَشْرَاقِ فَيُنَكِّدُ
 فَالْحَمْدُ لِلَّهِ شُكْرًا لِأَشْرِيكَ لَه
 الْبَرُّ بِالْعَبْدِ ، وَالْبَاقِي بِلا آمَدٍ «

١٢٤ - المدينة والأسلام

ورد الأسلام بعد نزول الرسول (ص) بالمدينة واستقراره فيها في دور جديد من الحياة : دور المسارعة في النفوذ والتقدم والشيع ، دور الأنبساط والنشوء والنشاط . فما لبث حيناً آلا وقد تجلّت للعرب حقيقته فعرفتها القبائل ، واقتبل الناس على التصديق به ، والايمان بأدابه ، وعرفوا مآتم واكمل فيه منهاجاً ، فتسابقوا للدخول في دين الله وقبول منهاجه افواجاً .

كان زمن اقامة الرسول (ص) بالمدينة ومدة حياته فيها ، مدة قصيرة لا تتجاوز عن عشر سنين آلا بشهورٍ واتفقت له في هذه المدة غزوات ، اذا فُحص عن عللها واسبابها وبُحث عن مجارى الاحوال والأوضاع عند حدوثها يظهر على المحقق - الخبير المنصف ان جلّ تلك الغزوات ، ان سامحنا ولم نقل كلّها ، كانت بالحقيقة دفاعية لانعراضية ولعله لا يتجاوز عدد كل من قُتل في سبيل هذه الدعوة من المؤمن والمشارك في تلك المدة وفي هذه الغزوات لا تتجاوز عن الف نسمة آلا بقليل ! .

وكيف كان مع كون التفوق بين عِدّة وعِدّة في جميع غزواته الأوليّة للعدو ، كان النصر والتظفر للمسلمين على المشركين والكافرين .

فتلك غزوة بدر كانت فيها عِدّة المشركين المهاجمين تسعمائة وخمسين ، على قول ، والف ومأنا وخمسين ، على قول آخر ، وثلاثة آلاف ، على قول ثالث وكان لهم مأنا فرس يقودونها ولم تكن للمسلمين عِدّة تتجاوز عن ثلاثمائة آلا ببضعة عشر ولم يكن لهم اكثر من فرسين وسبعين بعير وستة ادرع وثمانية سيوف !!

اشارة الى
الغزوات
والسرايا

وهذه غزوة أُحُد لم تكن عدّة المسلمين فيها تتجاوز عن سبعمائة وفيهم خمسون فارساً وكانت عدّة المشركين من قريش، بقيادة ابي سفيان، ثلاثة آلاف، والقبيلتين، فيهم مائة فارس وبقية ركبهم ولهم سبعمائة درع وحملوا نسايتهم معهم للتحرير والتضييق فكان يحرضن الرجال بما اشتهرت من ارجوزة هندة زوجة ابي سفيان، التي يعرف منها مقدار ثرائهم وحدث غنائمهم، وهي على ما في «الكامل» :

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقٍ^١ نَمَشِيْ عَلَى النَّمَارِقِ
مَشَى الْقَيْطَا الْبَوَارِقِ وَالْمُسْكُكُ فِي الْمَمَارِقِ
وَالدَّرُّ فِي الْمَخَانِقِ اِنْ تُقْبِلُوا نَعَانِقِ
وَنَقْرَشِ النَّمَارِقِ اَوْ تُدْبِرُوا نَفَارِقِ
فَرَاقَ غَيْرٍ وَاَمِيقِ^٢

هذه العدة غير من استأجرها ابو سفيان من الاحابيش والمتطوعة التي قيل في عدتهم : انها كانت القبيلتين في هذه الهجمة للقتال مع النبي والمسلمين . وهي غزوة خندق كانت عدّة المشركين فيها على قول ثمانية عشر الف رجل والمسلمون لم تتجاوز عدتهم عن ثلاثة آلاف .

اصطلاح
«الغزوة»
و«السرية»

ارباب السير والتواريخ اصطلاحوا على ان يسموا ما حضره النبي (ص) من المقاتل والحروب بنفسه باسم «الغزوة» وما ارسل اليها عدّة من المسلمين بأمره واحده من الأصحاب باسم «السرية» .

كان جميع غزوات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، على ما ضبطوها ست وعشرين غزوة وجميع سراياه ست وثلاثين سرية .

١ - ارادت بلفظة «طارق»، النجم وفي القرآن المجيد « والسما والطارق، وما ادريكك

ما الطارق، النجم الثاقب .»

٢ - في تاريخ الطبري ضبط هكذا : نحن بنات طارق ان تقبلوا نعانق ونبسطن

النمارق.... الخ

١٢٥ - شأن عليّ في تلك الغزوات

ممّا يجب أن لا يغفل عنه ، بل لا بدّ وان يذكر ، ولو كان بالأشارة والأجمال ، انّ في كلّ تلك المعارك والغزوات كان لعليّ (ع) بفتوته و مروئته وشجاعته و ايمانه و اخلاصه و افتدائه لحفظ الرّسول ، وتضحيتته في سبيل الدعوة ونشر الرّسالة ، سهمٌ لنصر - المسلمين وكسر المشركين واعداء الدّين ، سهمٌ يفوق كلّ السّهام ولا يُقاس بسهم احدٍ منهم كائناً من كان .

كان عليّ قطب الرّحى والبطل الفدّى في الوغى ، مبارزته في بدر وابتلاؤه في أحد وافتداؤه لابن عمه و اخيه ، الرّسول (ص) في هذه الأخيرة مشهورة ، بل متواترة ، وفيها قيل في حقّه :

« لَأَسَيْفٌ أَلَا ذُو الْفَقَارِ وَلَا فِتْيٌ أَلَا عَلِيٌّ » .

قال ابو الفرج الأّموى في « الأغاني » (الجزء ال ١٤ - الصّفحة ال ١٧) :

« قال محمّد بن جرير الطّبري : وحدّثنا ... قال :

« لما ولى اصحاب الالوية يومَ الأحد ، قتلهم عليّ بن ابي طالب عليه السّلام ، ابصر رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم جماعةً من مشركي قريش فقال لعليّ : احمل عليهم .

« فحمل عليّ ففرّق جمعهم وقتل عمرو بن عبد الله الجُمَحي .

« ثمّ ابصر جماعةً من مشركي قريش فقال لعليّ : احمل .

« فحمل ففرّق جمعهم وقتل شيبة بن مالك ، احد بنى عامر بن لؤي .

« فقال جبريل عليه السّلام :

« انّ هذه لكم واساة .

١ - في الطبري (الجزء الثاني - الصّفحة ١٩٧ -) « لما قتل عليّ بن ابي طالب اصحاب

الالوية ابصر رسول الله ... الى آخر ما نقله صاحب الاغانى .

مواصلة على
يوم الاحد

« فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« هُوَ مِنِّيْ وَآنَا مِنْهُ .

« فقال جبريل : وانا منكم .

« فسمعوا صوتاً : لَاسَيْفٍ اِلَّا ذُو الْقَارِ وَلَا فِتْيٍ اِلَّا عَلِيٌّ .

وفي تلك الحرب قتل عليُّ طلحة بن عثمان ، صاحب لواء المشركين ولم

يُجهز عليه ^١ .

وفي الأغاني ايضاً ^٢ :

« ثم ان طلحة بن عثمان ، صاحب لواء المشركين قام فقال :

« يا معاشر اصحاب محمد ، انكم تزعمون ان الله عز وجل يعجلنا

بسيوفكم الى النار ويعجلكم بسيوفنا الى الجنة فهل منكم احد يعجله الله بسيفي الى الجنة

او يعجلني بسيفه الى النار؟

« فقام اليه عليُّ بن ابي طالب رضى الله عنه ، فقال :

والذى نفسى بيده لا افارقك حتى يعجلك ^٣ الله عز وجل بسيفي الى النار او

يعجلني ^٤ بسيفك الى الجنة .

فضرب عليُّ فقطع رجله فبدت عورته . فقال :

اَنْشُدْكَ اللهُ وَالرَّحِيمِ يَا ابْنَ عَمِّ . فتركه .

« فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعليُّ : مامنك ان تُجهز عليه ؟

قال :

« ابن عَمِّي نَاشَدْنِي حِينَ اَنْكَشَفْتَ عَوْرَتَهُ فَاسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ » .

١ - « اجهزت على الجريح اذا اسرعت قتله وقد تمت عليه » (صحاح اللغة) .

٢ - واصله من الطبرى ايضاً .

٣ - فى الطبرى : حتى اعجلك .

٤ - فى الطبرى : حتى تعجلني .

١٢٦ - عليّ وغزوة الخندق

وناهيك في ذلك ان تذكر غزوة الخندق و مبارزة عليّ، الشجاع العريبد، عمرو بن عبدودّ، الذي بألف فارس يعدل في الشجاعة ويعدّ^١ ولذا صدر في عليّ ومبارزته هذه من النبيّ الأجد :

« بَرَزَ الْإِيْمَانُ كُلُّهُ إِلَى الشَّرِكِ كُلِّهِ » .

وصدر ايضاً لبيان عظمة تلك المبارزة عنه صلوات الله وسلامه عليه :

« ضَرَبَتْهُ عَلِيٌّ يَوْمَ الْخَنْدَقِ أَفْضَلَ مِنْ عِبَادَةِ الثَّقَلَيْنِ » .

في كتاب « ينابيع الموده » عن « المناقب » مسنداً عن زياد بن مطرف قال :

« كان ابن مسعود يقرأ :

« وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ بِيَعْلَى »^٢ .

« وسبب نزوله ان عمرو بن عبدودّ وكان فارساً مشهوراً يعدل بالف فارس ، قد شهد بدرأ ولم يشهد أحدأ. ويوم الخندق نادى هل من مبارز؟ فلم يجبه أحد.

« فقام عليّ عليه السلام وقال : انا يا رسول الله .

« فقال : انه عمرو . واجلسه .

« فنادى ثانية فلم يجبه أحد.

« فقام عليّ عليه السلام وقال : انا يا رسول الله وان كان عمرواً .

١ - وفيه قال مسافع بن عبد مناف :

عمرو بن عبد كان اول فارس جزع المذاد وكان فارس يليل

(جزع : قطع . المذاد : موضع بالمدينة وهوالموضع الذي حفر الرسول فيه الخندق .

يليل . موضع) .

٢ - الآية ال ٢٥ من سورة الاحزاب (٣٣) وفي التبيان في تفسير الآية « وقيل :

وكفى الله المؤمنين القتال ، بالريح والملائكة وقيل : وكفى الله المؤمنين القتال ، بعلي

عليه السلام ، وهي قراءة ابن مسعود ، وكذلك هو في مصحفه ، في قتله عمرو بن عبدود

وكان ذلك سبب هزيمة القوم » .

مبارزة علي
وضربه
يوم الخندق

« فاستأذن النبي صلى الله عليه وسلم .

« قال حذيفة بن اليمان : البسه رسول الله درعه ، الفضول ، وعممه عمامته ، السحاب ، على راسه تسعة ادوار وقال : تَقَدَّمْ .

« فلما ولي قال النبي :

« بَرَزَ الْإِيمَانُ كُلَّهُ إِلَى الشَّرِكِ كُلِّهِ . »

« وقال : رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا »

وفى المحكي عن المناقب عن حذيفة ، رضى الله عنه : قال رسول الله (ص) :
« ضَرْبَةُ عَلِيٍّ يَوْمَ الْخُنْدَقِ أَفْضَلُ مِنْ أَعْمَالِ أُمَّتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

وحدث المؤرخ المحدث ، الخطيب البغدادي (المتوفى ٤٦٣ هـ . ق .) في ترجمته
عن « لؤلؤ القيصري » بأسناده عن النبي (ص) .
« لَمُبَارَزَةُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، لِعَمْرُو بْنِ عَبْدِوَدَّ يَوْمَ الْخُنْدَقِ أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ أُمَّتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

١٢٧ - عليّ وغزوة خيبر

نجعل ختام الكلام في بيان مقام عليّ في « الغزوات » ، ما ثبت واشتهر منه في قضية « خيبر » وما صدر في شأنه في هذه الواقعة من الرسول الأكرم (ص) وما قدر الله لعليّ من قتله « البطل المجرّب » اليهودي المشتهر باسم « مرحب » ومن فتحه ذلك الحصن المشيد .

قال الطبري في تاريخه بأسناده الى بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِي (الجزء الثاني - الصفحة ال ٣٠٠ -) انه قال :

« لَمَّا كَانَ حِينَ نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ بِحِصْنِ أَهْلِ خَيْبَرَ ، أُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

اللّوآء^١ عمر بن الخطّاب و نهض من نهض معه من النّاس فلقوا اهل خيبر فانكشف
عمر واصحابه فرجعوا الى رسول الله (ص) يُجيبينه اصحابه و يُجيبنهم .

« فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لَأُعْطِينَ اللّوآءَ غَدًا رِجَالًا يُحِبُّ اللهُ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ^٢ .

« فلما كان من الغد تناول لها ابوبكر و عمر .

« فدعا علياً عليه السلام، وهو ارمد، فتقل في عينيه واعطاه اللّوآء و نهض

معه من النّاس من نهض .

« فلقى اهل خيبر . فاذا مرحب يرتجز ويقول :

قَدْ عَلِمْتَ خَيْبَرُ أَتَى مَرْحَبٌ

شَاكَ السَّلَاحَ بَطْلٌ مُّجَرَّبٌ

أَطْعَنُ أَحْيَانًا وَحِينَئِذٍ أَضْرِبُ

إِذَا اللَّيْثُوثُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

« فاختلف هو و عليّ ضربتين . فضربه عليّ على هامته حتى عض السيّف

منها باضراره وسمع اهل العسكر صوت ضربته فماتتأم آخر النّاس مع عليّ عليه السلام

حتى فتح الله له ولهم . »

وقال الطّبري ايضاً (الجزء الثاني الصفحه ٣٠١) بأسناده « عن ابي رافع مولى

رسول الله صلى الله عليه وسلم » انه قال :

١ - العلم وهودون الراية . قيل : سمي باللواء لانه يلوى لكبره فلا ينشر الا عند الحاجة .

٢ - وفي الجزء الرابع من صحيح البخاري (الصفحة ٥٣) وفي الخامس منه (الصفحة

ال ١٣٤) باسناد عن سهل بن سعد «رضي الله عنه» (وباسناده عن سلمة بن الاكوع) قال :

« كان عليّ رضي الله عنه تخلف عن النبي صلى الله عليه وسلم في خيبر وكان به رمد . فقال :

انا اتخلف عن رسول الله؟! فخرج عليّ فلحق بالنبي (ص) فلما كان مساء الية التي في

صباحها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا عطين الراية ، او قال : لياخذن هداً رجل

يحبّه الله ورسوله ، او قال : يحب الله ورسوله : فاذا نحن بعلي ، وما نرجوه ، فقالوا : هذا عليّ

فاعطاه رسول الله ففتح الله عليه . »

« خرجنا مع علي بن ابي طالب حين بعثه رسول الله (ص) برايته^١ فلما دنا من الحصن خرج اليه اهله فقاتلهم فضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده فتناول علي رضي الله عنه ، باباً كان عند الحصن فتترس به عن نفسه . فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه . ثم القاه من يده حين فرغ . فلقد رايتني في نفر سبعة ، انا واثمهم نجهد علي ان نقلب ذلك الباب فما نقله . »

مبارزة علي
مرحب

لما بارز علي عليه السلام مرحباً وسمع ما يرتجز به ارتجز مجيباً له بقوله :

اَنَا النَّدِيُّ سَمْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَةَ

كَلَيْثِ غَابَاتِ كَرِيهِ الْمُنْظَرَةَ

أَوْ فِيهِمْ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَةَ^(٢)

ولما دنا علي عليه السلام من حصون خيبر أطلع يهودي من علا الحصن وقال: من انت؟ فقال: علي بن ابي طالب فقال اليهودي: عكوثم وما أنزل على موسى. هكذا كان شأن علي في سائر الغزوات وكان في الجبل ، بل في الكل ، حامل راية رسول الله (ص) ، وصاحب لوائه وحامي حوزته والملبى لدعوته والمسارع لنصرته والمفدى بمهجته .

١٢٨ - سرعة نشر الاسلام

كانت مدة اقامة الرسول (ص) بمدينة ، مدة قصيرة جداً وهذه المدة القصيرة هي تمام ما تمكن الرسول فيها من اظهار ما أمر به ، بلا معارض يمنعه من اهله ، ومن ابلاغ الأحكام وتلاوة آيات الله على الناس و تزكيتهم وتعليمهم الكتاب والحكمة ولأخراجهم من الضلالة ولتنظيم الأمور وتأليف القلوب وتعديل المعاملات وتحسين-

١ - الراية : علم الجيش وهي اكبر من اللواء .

٢ - مكيال كبير واسع .

الأداب والمعاشرات وتجهيز المؤمنين للمدافعات والتعرّضات وتعبيتهم للسرايا والغزوات واعدادهم للرّشاد والأرشاد، كلّ ذلك على احسن نظام، واكمل دستور، واعدل قانون، وامتن برنامج، واصلح قرار، وابين شريعة ومنهاج.

اشرقت شمس الرسالة على تلك النواحي الغاسقة فتنوّرت ارواح اولئك الأفراد الجاهلة المنحطّة في مدة قصيرة وانثرت فيها تأثيراً سريعاً عميقاً لم يسبق له مثيل في تاريخ البشر. وبحقّ كان هذا التأثير بحيث لو كان «التّحدّي» وقع به، لكان جديراً به ان يُعدّ «معجزة» ويدعى بهذا العنوان والسّمة.

انظر الى العادات الدنيّة السّابقة والآداب الرّديّة الخسيّة والرّسوم القبيحة الشّنيعة والأعمال الذّميّة والعصبية الجاهلية العريضة والى تلك القلوب القاسية والعقول الجافّة الجافية المظلمة كيف زهقت ومحقت وكيف لانت ورقّت.

تأثير الاسلام
السريع في العربية
والتهذيب

ثمّ ارجع النّظر الى الحالات الحادّة والتّحولات اللاحقة من الآداب السامية والرّسوم الحميدة والأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة والعواطف الرقيقة الشريفة والأفكار النيرة المنيرة كيف نشأت؟ وكيف رسخت في القلوب القابلة وتمكّنت من النفوس المستعدة وتملّكت الأرواح وتسيطرّت على الجوارح وتسلّطت على الظواهر والسراير؟

راحت عنهم حكومة الكبر والخيلاء وزالت عن بينهم سيادة الظلم وسلطة الجور والعدوان ولاحت فيهم محبة التّواضع والخشوع ودالت ايام الأمن ودور العدل والأخوة والمساواة والمواساة.

تجلّت على النفوس المستعدة انوار الأيمان فتنوّرت ارواحهم بشروق اليقين والأخلاص والعرفان، وانشرحت صدورهم بسطوع الحقّ والحقيقة، واستولت على قلوبهم محبة الله ورسوله، واحاطت على جميع جوارحهم وعلى شراشركيانهم حال المطاوعة والأطاعة لِمَا اراد الله منهم وامرهم بها من احكام الدين.

صارت تلك النفوس بحيث يتجلّى سرّهم في سرائرهم ويظهر ما في ضمائرهم

من ظواهرهم فزالوا عن طريق الفساد والخلاف، وما زالوا في كلِّ امرٍ وكلِّ عملٍ ناظرين الى وجه الحقِّ منه، عاكفين على حيث الخير و الصلاح عنه، حافظين لطور الصدق و الخلوص فيه، مخلصين قصد القربة و الزُلْفَى، قاصدين للفوز بسعادة رضوان الله تبارك و تعالیٰ في العقبى.

وَحَقٌّ أَنْ يُقَالَ فِي حَقِّهِمْ .

« كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ . . . ١١٠ » ١ .

١٢٩ - الأسلام خرق العادة في التربية و التعليم

وُجِدَتْ في العالم الانساني قادة غفيرة و نشأت بين الأمم و الملل ساسة جمّة كثيرة، سواء كانوا داعين باسم الله، مدعين للاتصال بعالم الغيب، هادين الى الفضائل و سائقين الى المكارم، ادلاء الى السعادة و الكمال ام ناظرين الى اصلاح الملك، مدعين التولى للاشتغال بنظم المجتمع و نظام الاجتماع، و ساعين في اعلاء شئون المشهود من عالم الشهود؟، و كيف كانوا، رزقوا التوفيق، قلّ ام كثر، في سبيل مادّعوا و ادّعوا .

لكنه ممّا لا ينبغي الأرتياب فيه انه لم ترعين الدهر و ما سمعت اذن التاريخ قائداً يشبه رسول الأسلام في توفيقه باعتبار سرعة نفوذه في افراد كثيرة و قوّة رسوخه في قلوبهم الحجرية القاسية بحيث صاغ من تلك العناصر الساقطة هيآت فاضلة و اشكال معتدلة قاسطة قيّمة .

بدلّ الأسلام، بالحقيقة، تلك الافراد المتكاثرة الفاسدة في جميع شئون حياتها الى افراد سالحة راقية فاضلة في رمة اطوار كيانها.

هل اتفق لقائده، الهياً كان او عادياً، ان لا يكون وارثاً لرئاسة نظام، ولا يكون صاحب ثروة و غناء، ولا يكون له عشيرة توافقه، و قبيلة تعاضده و تساعده و لا تكون له عدّة

وسلاح، ولا يكون متخزناً من مكتب او مدرس و معهد، ولا يكون كاذباً منافقاً محيلاً
 خداعاً يتكلم على ما يهويه مخاطبوه، و ينطق مكرراً ومكيدةً بما يرضيه سامعوه بل
 كان محيط حياته مغلوباً للهرج والمرج، محكوماً باستيلاء الجور والعدوان، معتاداً للتجاوز
 على حقوق الضعفاء، مسيطراً على الأفراد، الجهل والعصبية والخيلاء واللجاج والاستبداد
 والاستعلاء وحب السيادة والرئاسة، مرتكزاً فيهم الاعتقاد بالأوثان والاصنام وكان
 ذلك القائد الوحيد في ذلك الجمع العنيد صفر الكف وكانت في قومه وقبيلته، بل في
 اقربائه وعشيرته، من خالفه وعانده، اعداء الداء له اشداء عليه ومع تلك الأوضاع
 والأحوال غلب واستولى على اولئك الأشخاص الذين كانوا متصلبين في الكبرياء
 والخيلاء، متعرقين في الاستبداد واللجاج، متعصبين بالجهالة، متمسكين بالقساوة، اشداء
 في العداوة، الداء في اللجاجة، الذين قست قلوبهم فهي كالحجارة او اشد قسوة؟

تبدل الاسلام
 الافراد المنحلة
 وتوجيهه

اجل، غلب عليهم اخلاقه الفاضلة، واعماله الصالحة، وكلماته الفصيحة، وبياناته
 البليغة الجذابة المعقولة، المقبولة، وعواطفه الكاملة العالية، ورافته المتجلية بالخلوص
 والوفاء، ومحبتة المتجلية بالعبادة لكل فرد، من الرجال والنساء والصغار والكبار و من
 وافقه على دعواه وتابعه او خالفه عليها ونازعه، وبسعة قلبه في الحلم والصبر على الأذى،
 وشرح صدره في كظم الغيظ والعفو عمن اساء اليه والصفح عن جار عليه واعتدى
 وبأيمانه بما جاء به من الرسالة، وبمراعاته الحق والعدالة.

«هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ
 كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا ۚ ۲۸ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى
 الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرِيَهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ
 وَرِضْوَانًا سِيَّمَاهُمْ فِيهِ وَجُوهِهِمْ مِّنْ آثَرِ السُّجُودِ ۚ ۲۹...»

استولى الرسول تملك الوسائل المعنوية، والكمالات النفسية، والفضائل الشخصية،
 والتأييدات الالهية، والأسباب الغيبية، على اولئك الطغام الألداء والخصام الأشداء

بحيث صاروا من صميم قلوبهم انصاره واودائه واتباعه واحبائه .

فهو بتلك الصفات السامية، والتسمات الراقية، والخصال الفاضلة خلب عقولهم وجذب قلوبهم وغلب نفوسهم حتى بدلهم من شخصيتهم السابقة الفاسدة اشخاصاً صالحة يُقدونه لا بأموالهم فحسب بل بنفوسهم ونفوس آبائهم ونفوس ابنائهم ونفوس اخوانهم واقاربهم، ويعظّمونه في صدورهم اعظم ما يتصور، ويكرّمونه ويطيّبونه بشر اشرا اعضائهم وجوارحهم .

فهم ، وهم ، بعدما كانوا على ارذل الأخلاق صاروا على افضلها .

ليس من خوارق العادات ان شخصاً على فقره ، الذي يفتخر به ، وعلى وحدته وانفراده ، وعلى كثرة اعدائه ، الألداء الأثرياء ، يؤثر في هؤلاء الأعداء الأقوياء بحيث يغيّرهم في كل ما اعتادوا بها من الرذائل والتسخائف وكبروا عليها من العادات والأهواء ويبدّلهم لا في ظواهر الشئون ومجاري الأمور فقط بل ، في الاكثر ، في اكنان التضمائر واعماق الغرائز والسرائر ، وفي سويداء القلوب والصدور ، وفي اغوار العقول وتخوم النفوس . ؟

ليس من العجب ، العُجاب ان يُصاغ من تلك المواد الخبيسة الدنيّة الدنيويّة هذه الهيآت الشريفة ويصوّر في تلك الهيوليات الضعيفة الناقصة الطاغية هذه الصور العلية الملكوتيّة الألهيّة الطائعة! ؟

١٣٠ - من الوقائع العجيبة لتأثير الاسلام

وحسبك للاذعان لما ذكرنا من تذكّر حالاتهم ومراجعة تاريخ حياتهم ما حكاه الطبري في تاريخه بأسناده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال :

« خرجنا مع رسول الله (ص) في غزوة ذات الرقاع من نخل فأصاب رجل من المسلمين امرأة من المشركين . فلما انصرف رسول الله (ص) قافلاً اتى زوجها ، وكان غائباً ، فلما أُخبر الخبر حلف ان لا ينتهي حتى يهريق في اصحاب محمد (ص) دمًا

فخرج يتبع اثر رسول الله (ص) فنزل رسول الله (ص) منزلاً فقال : مَنْ رَجُلٌ
يَكْلَأُنَا لَيْلَتَنَا هَذِهِ ؟ . فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار . فقالا : نحن
يا رسول الله . قال : فكونا بقم الشعب ، وكان رسول الله (ص) واصحابه قد نزلوا الشعب
من بطن الوادي .

رسوخ الاسلام
في القلوب

« فلما خرج الرجلان الى قم الشعب ، قال الأنصاري للمهاجري : اي الليل تحب
ان اكفيك : اوله او آخره ؟ قال : بل اكفني اوله . فاضطجع المهاجري فنام وقام
الأنصاري يصلّي . واتي زوج المرأة فلما راي شخص الرجل عرف انه ربيثة القوم .
فرمى بسهم فوضعه فيه فنزعه فوضعه ، وثبت قائماً يصلّي ! ثم رماه بسهم آخر فوضعه
فيه فنزعه فوضعه ، وثبت قائماً يصلّي . ثم عادله بالثالث فوضعه فيه فنزعه فوضعه ، ثم
ركع وسجد . ثم اهب صاحبه فقال : اجلس فقد اُتيتُ .

« قال : فوثب المهاجري . فلما رآهما الرجل عرف انهم قد نذروا به .
« ولما راي المهاجري ما بالأنصاري من الدماء قال : سبحان الله : اقلأ اهنبتني
اول مارماك؟! قال : كنت في اول سورة اقرأها فلم احب ان اقطعها حتى انفذها!
فلما تتابع على الرمي ركعت فاذنتك .
« واييم الله لولا ان اضيع ثغراً امرني رسو الله ، صلى الله عليه وسلم ، بحفظه لقطع
نفسى قبل ان اقطعها او انفذها ! » .

١٣١ - ختام البيان للتأثير

هكذا كان رسوخ الأيمان في قلوبهم ونفوذ التعاليم في نفوسهم فيحق ان يقال :
وحق العدل والحق لقد وفق ذلك الصائغ الألهي فصاغ بمهارته في التزكية
والتهديب ، ويحذاقته في التربية والتعليم ، وبشدة علاقته بصنعتة ، وكثرة محبته للخلق ،
وقوة اطاعته للخالق ، وبخلوص مجاهدته في طريق ارشاد الناس وهدايتهم ، اشخاصاً
استولوا بأيمانهم وروحانيتهم واخلاصهم واخلاقهم واعمالهم واعتدالهم وعدالتهم

لاعلى محيط الجزيرة ولا على نجار العرب فقط بل على اكثر الأقاليم والبلاد، وعلى ارقى -
العناصر واقوى الأقوام والملل، وفي اقصر مدّة واكلّ زمان .
كان رسول الإسلام من الصّفاء والأخلاق والرّحمة والرّأفة والأيمان، وتجلّى
الحقّ والحقيقة فى اقواله وافعاله و اطواره واحواله، على شأنٍ لم يتفق ان يلاقه احد
ويستمع منه ويطلع على مقصده ومرامه آلا ان يخضع تجاه عظمة ايمانه ، ويعتقد من
صميم قلبه بصداقته فى دعوته فيؤمن به و يصدّقه فى رسالته (اللهم آلا افرادا نادرة
شاذة ران على نفوسهم رين اللّجّاح والعناد، ورسخ فى قلوبهم وسخ التكبّر وذرّن الخيّلاء
والتجبرّ وهم الذين ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وضرب على ابصارهم غشاوة، لا يرون
آلا انفسهم الخسيسة الخبيثة، ولا يمشون آلا مكبّين على وجوههم المنكوسة، لهم قلوب
لا يفقهون بها و آذان لا يسمعون بها واعين لا يبصرون بها، امثال ابى جهل و ابى لهب،
وما اقلّ ان يوجد لهما فى الجهالة والعصبية والغرور والاستكبار نظير ومثال) .

« مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ
 وَاللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ »
 (قالها ثلاثا، كما نقل ابن المغازلي الشافعي،
 او اربعا، كما حكى عن الامام ابن حنبل،)

يُنَادِيهِمْ يَوْمَ الْغَدِيرِ نَبِيِّهِمْ
 بِخَمِّ فَأَسْمِعِ بِالرَّسُولِ مُنَادِيًا

الى

فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا وَلِيِّهُ
 فَكُونُوا لَهُ أَنْصَارَ صِدْقِ مُوَالِيَا
 هُنَاكَ دَعَا : اللَّهُمَّ وَالِ وَلِيِّهُ
 وَكُنْ لِلَّذِي عَادَى عَلِيًّا مُعَادِيًا
 (نسب الى حسن بن ثابت)

١ - حجة الوداع .

٢ - الخطبة فيها .

٣ - اكمال الدين واتمام النعمة .

٤ - غدیر خم .

٥ - بيان المولوية لعلي .

٦ - كلمات مع المنكرين .

٧ - حول غدیر خم .

٨ - ترك الرسول ، الشقطين للامة .

٨ - حَوْلَ مَا جَرَتْ فِي سَفَرِهِ الْأَخِيرِ
 إِلَى مَكَّةَ لِلْحَجِّ :

١٣٢ - حجّة الوداع

أيد الله رسوله لبيان احكامه وتبليغ رسالاته فشمّر الرسول عن ساعد الرسالة بالبيان والبلاغ وقرّر للناس ما اوحى الله تعالى اليه من الأحكام وشرائع الإسلام وتدرّج في ذلك من زمن بعثته الى حين رحلته فكانت الاحكام صدوراً كنزول القرآن نجوماً، مبدؤها بدايته ومنتهاها نهايته كلّ ذلك بحسب ما يقتضيه الأوضاع ويرتضيه الاحوال. تجهز الرسول للحجّ واداء مناسكه وتعليم احكامه وآدابه وتعيين سنّته ومواسمه وامر الناس بالجهاز له، وخرج اليه لخمسة ليال بقين من ذى القعدة من السنّة العاشرة ومعه عدّة كثيرة من اصحابه واتباعه، لعلّها لا تنقل من مائة الف، وقد قيل بكون العدة : نحواً من مائة الف وثلاثين الف .

اراد الرسول (ص)، في هذا السّفر، ان يعرف الناس سنن الحجّ، ويبيّن الفرائض ويعلمهم ما شرع لهم من المناسك، ويربيهم المواقف والمواسم ويبلغهم ما حان حين ان يبلغهم .

قال الطّبري في تاريخه :

« فحين وقف بعرفة قال : هذا ، الموقف ، للجبل الذي هو عليه ، وكلّ عرفة موقِفٌ . وقال حين وقف على قُزَح ، صبيحة المزدلفة :

« موقِفٌ .

« ثمّ لما نَحَرَ بالمنحَر قال :

« هذا المنحر وكلّ مينيّ منحر .

« ففضي رسول الله (ص) الحجّ وقد ارى مناسكهم وعلمهم ما افترض عليهم في حجّتهم في الموقف ورَمَى الجمار والطّواف بالبيت وما أحلّ لهم في حجّتهم وما حرّم عليهم فكانت حجّة الوداع وحجّة البلاغ ، وذلك ان رسول الله (ص) لم يحجّ

بعدها .

ارادة الرسول
مناسك الحج
وتعليمه الفرائض

١٣٣ - الخطبة

وفي هذا اليوم خطب على الناس خطبته التي بين لهم فيها ما بين وهي على ما نقله الطبري :

« نَحْمَدُ اللَّهَ وَأُثْنِي عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ :

« أَيُّهَا النَّاسُ . اسْمَعُوا قَوْلِي فَأَنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْفَاكُمْ

بَعْدَ عَلَمِي هَذَا بِهَذَا الْمَوْقِفِ أَبَدًا .

« أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ دِمَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ ، إِلَى أَنْ تَلْقُوا

رَبَّكُمْ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا وَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا . وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ

فَبَسًا لَكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ وَقَدْ بَلَغَتْ .

« فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلْيُؤَدِّهَا إِلَى مَنِ اسْتَأْمَنَهُ عَلَيْهَا .

« وَإِنْ كُلُّ رِبَا مَوْضُوعٌ وَلَكُمْ رُؤُوسَ أَمْوَالِكُمْ ، لَا تَظْلِمُونَ وَلَا

تُظْلَمُونَ . قَضَى اللَّهُ إِنَّهُ لَارِبًا . وَإِنْ رِبَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ

مَوْضُوعٌ كُلُّهُ .

« وَإِنْ كُلُّ دَمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ . وَإِنْ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ ،

دَمَ رَيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَكَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي لَيْثَ فَقَتَلَهُ بَنِي

هَذِيلَ ، فَهُوَ أَوَّلُ مَا أَبْدَأَ بِهِ مِنْ دِمَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ أَمَا بَعْدَ أَيُّهَا النَّاسُ

فَأَنَّ لَكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ حَقًّا وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ حَقًّا : لَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ

لَا يَبْذُوطِينَ فَرُشَكُمْ أَحَدًا تَكَرَّهُونَهُ ، وَعَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ

مُبَيَّنَةٍ ، فَإِنْ فَعَلْنَ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ آذَنَ لَكُمْ أَنْ تَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ

وَتَضْرِبُوهُنَّ غَيْرَ مُبْرِحٍ ، فَإِنْ انْتَهَيْنَ فَلَهُنَّ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ

بِالمَعْرُوفِ وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَأَتَهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٍ لَا يَمْلِكُنَّ

حرمة الربا

حق الرجال على النساء وحققن عليهم

لَا نَفْسَيْنِ شَيْئًا، وَإِنِّكُمْ إِنَّمَا آخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمُ
فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ .

استعصاء الخير
بالنساء

« فَأَعْقِلُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَاسْمَعُوا قَوْلِي فَأَنِّي قَدْ بَلَغْتُ وَتَرَكْتُ
فِيكُمْ مَا إِنْ اِعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ .

« أَيُّهَا النَّاسُ اسْمَعُوا قَوْلِي فَأَنِّي قَدْ بَلَغْتُ وَأَعْقِلُوا تَعَلَّمْنَ .
« إِنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ أَخُ الْمُسْلِمِ وَإِنَّ الْمُسْلِمِينَ إِخْوَةٌ فَلَا يَحِلُّ
لِأَمْرِيءٍ مِنْ أَخِيهِ إِلَّا مَا أَعْطَاهُ عَنْ طَيْبِ نَفْسٍ فَلَا تَظْلِمُوا
أَنْفُسَكُمْ . اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ ؟ » .

المسلم اخ المسلم

وحينئذ .

« قالوا :

« اللَّهُمَّ نَعَمْ .

« فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« اللَّهُمَّ اشْهَدْ »

١٣٤ - اكمال الدين واتمام النعمة

فرغ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من الحجّ وبلغ ما بلغ ثم ودّع بيت ربه
وقفل راجعاً نحو المدينة مع صحابته .

فلمّا وصل « غدبرخم » من « الجحفة » ٢ (هي مرحلة تتشعب فيها الطّرق :

١ - في هذا الموضع لم يذكر الامرين (الثقلين) بل اسراً واحداً منهما وهو القرآن
المجيد وما من نسخه وشأنه، وهو السنة، وفيه اندرج الامر الثاني لانه مستفاد من الاول وبيان له .
٢ - « في الحديث : « وقت لاهل الشام، الجحفة » بضم الجيم، هي مكان بين مكة
والمدينة محاذية لذى الحليفة من الجانب الشامي قريب من رابغ بين بدر و خليص . سميت
بذلك لان السيل اجحف باهلها اى ذهب بهم وكان اسمها قبل ذلك ، مهيعة . . . »
(مجمع البحرين) .

فطريق منها الى المدينة وطريق الى العراق . تفترق هناك القوافل فيأخذ كل قوم طريقه) وقف وامر بأرجاع من تقدم من القوم سالكاً طريقه الى بلده ومقصده وبأيقاف من تأخر منهم واراد ورود طريقه، حتى رجع السابق الى التلاحق ولحق التلاحق بالسابق واجتمع الجميع في ذلك الموضع فصلتني، صلى الله عليه وآله وسلم، بهم الظهر وكان اليوم في شدة الحرارة ثم قام خطيباً، على اقتاب الجمال وقال، بعد حمد الله والثناء عليه، :

« فَاَنْظُرُوا كَيْفَ تَخْلَفُونِي فِي الثَّقَلَيْنِ؟ »

ونادى مناد : ما الثقلان يا رسول الله؟ قال :

« الثَّقَلُ الْأَكْبَرُ ، كِتَابُ اللَّهِ طَرَفٌ وَيُدَّ اللَّهُ وَطَرَفٌ بِأَيْدِيكُمْ فَتَمَسُّكُوا بِهِ

لَا تَنْضَلُوا » .

التمسك بالقرآن
وبالعروة

« وَالْآخِرُ الْأَصْغَرُ ، عِثْرَتِي .

« وَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ نَبَأَنِي أَنَّهُمَا لَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضِ .

« فَسَأَلْتُ ذَلِكَ لَهُمَا رَبِّي فَلَا تَقْدُمُوهُمَا فَتَهْلِكُوا وَلَا تَقْصُرُوا

عَنْهُمَا فَتَهْلِكُوا » .

ثم اخذ بيد عليّ فرفعها حتى رؤى بياض آباطهما وعرفه القوم اجمعون فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ أَوْلَى النَّاسِ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ؟

قالوا : الله ورسوله اعلم . قال :

« إِنَّ اللَّهَ مَوْلَايَ وَأَنَا مَوْلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنَا أَوْلَى بِهِمْ مِنْ

أَنْفُسِهِمْ فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ .

« اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ » .

قال، صلى الله عليه وآله وسلم، الجملة الأخيرة الدعائية ثلاث مرات، كما في

المحكيّ عن ابن المغازلي الشافعي، بأسناده عن زيد بن ارقم، اواربع مرات،

كما في المحكيّ عن « الفضائل » لأحمد بن محمد بن حنبل، رابع الأئمة الأربعة

المشهوره .

ثم قال :

« وَأَحِبَّ مَنْ أَحَبَّهُ وَأَبْغَضَ مَنْ أَبْغَضَهُ وَأَنْصَرُ مَنْ تَنْصَرَهُ
وَأَخْذُلُ مَنْ خَدَلَهُ وَأَدِرُّ الْحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ .
« أَلَا قَلِيلٌ الشَّاهِدُ ، الْغَائِبَ » .

وبعد هذا قبل أن يتفرق الجمع نزلت آية : الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ
دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا . . .
الآية ٣ « ١ .

١٣٥ - نزول الآية يوم الغدير

قال الخطيب البغدادي (المتوفى سنة ٥٦٣ هـ . ق .) في ترجمة حبشون بن موسى
من تأريخه ، بأسناده عن ابي هريرة انه قال :

« من صام يوم ثمان عشرة من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً وهو يوم
غدير خم ، لما اخذ النبي (ص) بيد علي بن ابي طالب فقال :
« أَلَسْتُ وَلِيَّ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ
فَعَلَيْ مَوْلَاهُ .

استجاب صيام
يوم غدير

« فقال عمر بن الخطاب : بَخَّ بَخَّ لَكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ . أَصَبَحْتَ
مَوْلَايَ وَمَوْلَى كُلِّ مُسْلِمٍ ٢ فَاَنْزَلَ اللَّهُ : الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ .

تهنئة عمر و تحيته
لعلي على مولاه

١ - من السورة الخامسة (المائدة) .

٢ - قال الشيخ سليمان الحنفي في « ينابيع المودة » :

« وفي « مشكوة المصابيح » عن البراء بن عازب قال : « ان النبي (ص) لما نزل
بغدير خم اخذ بيد علي فقال : الستم تعلمون اني اولي بكل مؤمن من نفسه ؟ قالوا : بلى .
فقال : اللهم من كنت مولا فعلي مولاه . اللهم وال والاه وعاد من عاداه .

بقية الحاشية في صفحة لآتية

«ومن صام يوم سبعة وعشرين من رجب كتب له صيام ستين شهراً وهو اول يوم نزل جبرئيل على محمد (ص) بالرسالة»^١ اشتهر هذا الحديث من رواية حبشون. انتهى كلام الخطيب .

١٣٦ - آية التبليغ

ونزلت في ذلك اليوم ، قبل قيام الرسول ، صلى الله عليه وآله وسلم ، بالصلوة والخطبة وابلغ مولوية علي فيها ، آية التبليغ قال الله تبارك وتعالى:
 «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ . . . الآية ٤٧»^٢ .
 صرح الرسول ، صلى الله عليه وآله وسلم ، بذلك حيث قال في تلك الخطبة ، على ما نقل عن كتاب «الولاية في طرق حديث الغدير» تأليف ابي جعفر محمد بن جرير الطبري (المتوفى سنة ٣١٠ هـ . ق.) ، :

نص الرسول (ص)
 على خلافة علي
 وامامته

« ان الله تعالى : بلغ ما انزل اليك من ربك

» وقد امرني جبرئيل عن ربي ان اقوم في هذا المشهد وأُعَلِّمُ كلَّ ابيض واسود :

ان علي بن ابي طالب اخي ووصيي وخليفتي و الامام بعدي

بقية الحاشية في صفحة الماضية

« قال : فلقبه عمر بن الخطاب «رض» قال : هنيئاً لك يا ابن ابي طالب ، اصبحت

سولي كل مؤمن ومؤمنة . رواه احمد ايضا . اخرجه احمد في مسنده عن زيد بن ارقم

بظريقتين : عن عطية العوفي عن زيد بن ارقم ، و عن ابن ميمون عن زيد بن ارقم .

ايضاً اخرجه احمد عن عمر بن الخطاب «رض» .

١ - عسال ان تتوجه من اتحاد قدر اجر الصيام في اليومين (يوم البعث بالرسالة

ويوم النصب بالخلافة) وتتفطن منه الى النسبة بينهما والمناسبة لهما .

٢ - السورة الخامسة (المائدة) .

« اِنَّ مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فِهَذَا عَلِيٌّ مَوْلَاهُ اَلَا وَقَدْ اَدْبَتُ . اَلَا وَقَدْ بَلَغَتْ »

انكار المخالف

انكر بعضهم نزول الآيتين (آية الأكمال وآية التبليغ) في ذلك اليوم وفي هذا الشأن ولكن الخبير بالأخبار والجدير منه الانصاف لا يرى في ميزان الاعتبار لهذا الإنكار وزن ومقدار كيف لا وقد صرح جم غفير وجمع كثير من اكابر علماء اهل السنّة بتزولها يوم الغدير وفي شأن علي عليه السلام .

منهم علي ما في كتاب « الغدير » ، وغيره :

محمد بن جرير الطبري في « كتاب الولاية » والحافظ ابن مردويه الأصفهاني (المتوفى سنة ٤١٠) والحافظ ابو نعيم الأصفهاني (المتوفى سنة ٤٣٠) في « كتاب ما نُزِلَ من القرآن في علي » و ابن المغازلي الشافعي (المتوفى سنة ٤٣٨) والحافظ ابو بكر الخطيب البغدادي (المتوفى سنة ٤٦٣) في تاريخه ، والحافظ ابو سعيد السجستاني (المتوفى ٤٧٧) وغير هؤلاء الأكارب من اعظم العلماء .

وهكذا انكر بعضهم نزول آية التبليغ في ذلك اليوم بغدير خم وهذا الإنكار ايضا مما لا اعتداد به ولا اعتبار له ، بعد تصريح الأعلام من علماء اهل السنّة بتزولها في غدير خم . منهم (ايضا علي ما في كتاب « الغدير » ، وغيره) :

محمد بن جرير الطبري والحافظ ابن ابي حاتم ، ابو محمد الحنظلي الرازي (المتوفى سنة ٣٧٧) والحافظ ابو عبد الله المحاملي (المتوفى سنة ٣٣٠) والحافظ ابو بكر الشيرازي (المتوفى سنة ٤٠٧) والحافظ ابن مردويه والشعبي النيسابوري (المتوفى سنة ٤٢٧) والحافظ ابو نعيم الأصبهاني والحافظ ابو سعيد السجستاني والحافظ ابو القاسم ابن عساكر الشافعي (المتوفى سنة ٥٧١) وفخر الدين الرازي الشافعي (المتوفى سنة ٦٠٦) والحافظ عز الدين الراسمعي (نسبة الى المدينة راس عين بديار بكر) الموصلي الحنبلي (المتوفى سنة ٦٦١) و بدر الدين العيني الحنفي

(المتوفى سنة ٨٥٥) ونور الدين الصباغ المالكي (المتوفى سنة ٨٥٥) وغيرهم الى ثلاثين من اكابر العلماء الذين سماهم مؤلف « الغدير » وسمى كتبهم ونقل عين عباراتهم وعين ارقام صفحات كتبهم المنقولة عنها. فمن شاء فليرجع المجلد الأول من كتاب « الغدير » (مطبوع تهران الصفحة ال ٢١٤ - ال ٣٣٨) .

١٣٧ - كلمات مع المنكرين

ولولم يشاء المنكر ان يرى ما في كتب هؤلاء الاعاظم من التصريحات فليراع جانب الأنصاف و الحق و ليتفضل بالجواب لنفسه عما لعله يخطر ببال شخصه ، ايضا ، هنا من الأسئلة . منها :

١ - ماذا هو الأمر الهام الذي امر الله رسوله بتبليغه بهذه الشدة والتأكيد بحيث ان لم يفعل كان كل ما فعله من تبليغ الأحكام و الدين و الرسالة كأنه لم يكن شيئاً مذكوراً وكان كأنه ما بلغ رسالته ؟

٢ - اَو يصح ان يذهب الى وهم ان الرسول ، صلى الله عليه وآله وسلم ، كان (والعاذ بالله) سامح قبل نزول هذه الآية في دعوة الناس الى التوحيد او الى تبليغ حكم من الأحكام الفرعية حتى يصح ان يهدد وينزل في شأنه « وان لم تفعل ... » ؟

٣ - اَو ليس هذه الآية في سورة المائدة وهي سورة مدنية ، نزلت بعد فتح مكة (في رمضان سنة ثمان) وقبول اكابر الكافرين ، واعاظم المشركين ، الدعوة ودخول العرب من اقطار الأرض ، ارض الجزيرة ، افواجاً افواجاً في الدين وقبول الشرعة باليقين ؟ ثم آتيس في نفس هذه السورة وقبل هذه الآية ، في التوحيد والنبوة والمعاد ، من الأصول ، وفي العبادات والمعاملات والعقود و الاحكام والسياسات و المحللات والمحرمات ، من الفروع ، بلاغات صريحة ، و بشارات و انذارات بيّنة ، وآيات واضحة فصيحة ، من دون مجاملة و مساهلة ؟

اولا يكفي المنصف صراحة هذه الآية وصرامتها ؟ « لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ الآية ١٧ » في حق المسيحيين ؟ و هذه الآية الأخرى و صراحتها في حق اليهود « وَقَالَتِ الْيَهُودُ

اسئلة ينبغي ان يتدبر فيها

يَدُ اللَّهِ مَغْلُوبَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعِينُوا بِمَا قَالُوا . . . الآية ٦٦ » وهذه الآية « فيما نقضهم ميثاقهم لعناتهم . . . الآية ١٣٠ » ؟ وتلك الآية وما صرحت بها في حقيهما « وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ . . . الآية ١٨ » .

وانظر الى صراحة الكلام في حق الكافرين والمنافقين والذين هادوا « يَا أَيُّهَا الرِّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِآفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا، سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ . . . ٤١ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ . . . ٤٢ »

ثم انظر الأحكام الفرعية في هذه السورة الشريفة من وجوب الوفاء بالعقود واحلال بهيمة الأنعام إلا ما خرج وعدم جواز احلال شعائر الله ولا الشهر الحرام . . . وتحريم الميتة والدم . . . والامتنع من الأكل والشراب واحلال الطيبات وما مسكن المعلمة من الجوارح واحلال المحصنات وعدة من الاحكام الأخر ، كالوضوء والتيمم ووجوب العدل وجزاء السحارِب والمفسد في الأرض وقطع السارق والسارقة والقتصاص وعدم اتخاذ اليهود والنصارى اولياء ، وغير ذلك .

وبعد ذلك كله : هل ينبغي ان يتوهم انه صلى الله عليه وآله وسلم سامح ، خوفاً من احد ، في تبليغ الأصول او الفروع كى يحتاج الى التشجيع بالعصمة ، والتهديد بعدم تبليغ الرسالة ؟ .

١٣٨ - تجاهر الرسول بالدعوة

كثرت كتلا ، كان الرسول حين كان بمكة وبعث للرسالة ، وحيداً في بادية - الأمر ضعيفاً من حيث التابع والناصر حتى اضطر الى الألتجاء بشعب ابى طالب والحصر فيه ، ومع تلك الأوضاع والأحوال لا يخاف احدا . يجاهر بالدعوة ، ويعلن ما أنزل اليه و أمر به من الهداية والأرشاد والتبليغ ، فيقرأ من دون خوف « تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ » في حق ابى لهب و يتلو على رؤس الأشهاد « ذَرْنِي وَمَنْ

عدم خوف النبي
من اصل الدعوة
ولا من تبليغ
المنهاج والشرعة

خَلَقْتُ وَحِيدًا إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨ فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ١٩ ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ٢٠ سَأُصَلِّيهِ سَقَرَ ٢٦ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرَ ٢٧ لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ ٢٨ » في حق الوليد بن المغيرة الذي وصفه في آيات أخر بما يقول ابن عباس « لانعلم ان الله وصف احداً بما وصفه به من العيوب وهى : ١ حَلَّاف مَهْيَبٌ ١٠ هَمَّازٍ مَشَاءٍ بِنَمِيمٍ ١١ مَنَاعٍ لِلخَيْرِ مُعْتَدٍ ائْتِيْمٌ ١٢ عَتُلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيْمٌ ١٣ » ويقرأ « اَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا اِذَا صَلَّى ١٠ كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَه لِنَسْفَعَنَّ بِالنَّاصِيَةِ ١٥ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ١٦ فَليُتَدْعُ نَادِيَهُ ١٧ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ١٨ »^٤ في حق ابي جهل حيث « قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، لما انتهره حيث نهاه عن الصلوة : لقد علمت ما بها رجل اكبر نادياً منى لاملان عليك هذا الوادى ان شئت خيلاً جرّداً ورجلاً مردأً »^٥ وهؤلاء الثلاثة من اعظم قريش واكابرهم .

هكذا كان حاله صلى الله عليه وآله وسلم في عدم خوفه في التبليغ والدعوة وهو بمكة في قلة الناصر وقوة المعاند فكيف وهو بالمدينة وقد فتح قلوب عرب - الجزيرة واستولى على بلادهم وتسلط على نفوسهم وغلب على امّ البلاد، مكة، وخضع له جبابرتها، وصدق برسالته طوعاً وكرهاً اكثر الطوائف والقبائل .

فممن كان يخاف؟ وممّ يحترز ويحتاط حتى يسامح ولا يفعل ما امره الله؟! اذا كان ذلك الأمر من سنخ الدعوة الى التوحيد والرسالة او كان من قبيل ابلاغ الشرائع والأحكام العملية الفرعية أو ليس قد بلغها من ذى قبل؟ أو ليس جأها فسى السور النازلة قبل فتح مكة وفي نفس السورة التي هذه الآية فيها ؟ أو بقي حكم مهم

١ - السورة ال ٧٤ (المدثر) .

٢ - تفسير الجلالين .

٣ - السورة ال ٦٧ (الفلم) .

٤ - السورة ال ٩٦ (العلق) .

٥ - تفسير الجلالين .

من هذا القبيل لم يكف ببلغها قبل نزول الآية فبلغها بعدها ؟

و بالجمله فمما كان يخاف الرسول فيتعلل في الأبلغ حتى يؤل الأمر الى التقوية والتشجيع من الله تبارك وتعالى بقوله «... وَاللَّهُ يُعَصِّمُكَ مِنَ النَّاسِ...»؟ بل من جليات الأمور حتى لدى العقل الضعيف ، فضلاً عن المضاعف منه، ان الرسالة والمخافة من الدعوة، ضربتان لا تقترنان وضدان لا يجتمعان فكيف يختار الخبير، العليم التقدير من هوائف من الأندار والتبشير وليس للرسالة جدير .

اجل ، ما كان الرسول يخاف من المشركين والكفار ولا من احد في تبليغ اصول الاسلام وفروع الاحكام ، ولا بد له من حيث انه رسول ان لا يخاف ، ولكنه كان يخاف في امر خلافة علي ويحتاط في ابلاغها ، على الاسلام . اصف الى ذلك ما كان يعرفه الرسول من بعض حبيهم للرئاسة وطمعهم في الزعامة ومن بعض بغضهم لعلي قاتل - المشركين والكفرة .

١٣٩ - وهم وحسم

كان بعضهم توجه الى بعض ما اشرنا اليه من الأسئلة و عرف ان مصب نزول آية التبليغ امر جليل هام وسياقها بأبى أن يكون لأمر من الأمور الاعتقادية الاصلية او العملية الفرعية ولم يشأ اولم يقدر ان يعترف بأن نزولها كان في غدبرخم وكان في امر - الخلافة لعلي كما صرح به جماعة من علماء اهل السنة ، على ما عرفت ، وتقوله الشيعه فعاذ من الحر بالرمضاء ولاذ الى السواد من البيضاء فقال في تفسيره :

« يا ايها الرسول بَلِّغْ » جميع (مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ) ولا تكتم منه شيئاً خوفاً من ان تنال بمكروه (وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ) اي لم تبليغ « جميع » ما انزل اليك (فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ) بالافراد والجمع لأن كتمان بعضها كتمان كلها (وَاللَّهُ يُعَصِّمُكَ

١ - ولعل في التعبير بكلمة « من الناس » (في خصوص هذا الموضع) في قوله « والله

يعصمك من الناس دون « الكافرين » او « المشركين » كان اشعاراً بذلك .

مِنَ النَّاسِ) ان يقتلوك . وكان صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فقال : انصرفوا فقد عصمى الله . رواه الحاكم ^١ وجعل الامر الهام الذى خاف الرسول في اظهاره من ان ينال بمكروه تبليغ « جميع » ما انزل اليه بـ « الأفراد » و « الجمع » فعليه ان لا يخاف احداً ولا يكتم منه شيئاً .

وانت ترى ما فى هذا الرأى فى التفسير ، والوهم للتقدير . وذلك لأن تقدير لفظ « جميع » لا يضمن ولا يغنى من جوع بل يفسد المعنى وبخالف حقيقة الأمر اذ مما لا يخفى على احد ان ما انزل الى النبى (ص) من ربه نزل نجوماً فى مدّة تتجاوز عن عشرين سنة ولم ينزل جميعه الى النبى كى يصح امره بتبليغه وكل ما انزل اليه من الآيات والأحكام كان بالأفراد لا « الجمع » وبلغه الرسول حين نزوله وما خاف احداً ولا كتم شيئاً وآية التبليغ هذه فى سورة المائدة التى قال المفسر فى اول السورة بانها « مدنية وآياتها ١٢٠ نزلت بعد الفتح » وقد بلغ الرسول قبل نزولها فى مدّة لا تقل عن عشرين سنة جل ما انزل اليه من القرآن وما أمر به من الأحكام فماذا يفيد تقدير لفظ « الجميع » ؟ :
ايصح ان يتوهم ان الرسول (ص) ، بحكم هذا التقدير ، أمر بتبليغ ما بلغه سابقاً مما انزل اليه من القرآن و اعادة ما بين من الأحكام و ضمها مع ما بقى منها حتى كان عاملاً بما امر من تبليغ الجميع ؟ كلا ولا اراده المفسر ايضا . فلا بد وان يكون المراد ان يبلغ ما سيقرر من الاحكام و ما ينزل من القرآن نجوماً و افراداً حين تقريرها ونزولها . وحينئذ فيعود السؤال جديداً وهو :

ما هو الأمر الهام الذى كان بينه وبين سائر المتزلات والاحكام التى نزلت فى مدّة تربو على عشرين سنة هذا الفرق العظيم الذى « كتمه الرسول خوفاً من ان ينال بمكروه » و وعده الله العصمة من « ان يقتلوه » و اوعده و هدده بضياح تبليغ رسالته وكونه كأن لم يكن ؟

الشبهة ، وجمع من غيرها ايضا ، تقول بنزول هذه الآية فى حجة الوداع بغدير خم ،

وفى شأن الخلافة التى بها يتم الرسالة، وبعدم تبليغها كأنه ما بلغ الرسالة لأن حفظ -
الرسالة على ما ينبغى وعلى ما اراده الله وقصده الرسول يتوقف على خلافة من اصطفاه الله
وارتضاه الرسول .

بلغ الرسول (ص) ما امره الله بتبليغه من الأحكام نجومياً ونجومياً ومابقى من جميع
ما يجب عليه ان تبليغه إلا امر الخلافة والوصاية وهذا امر يناسب تبليغه فى آخر عهد -
الرسالة واقتراب ارتحال الرسول ويكون هذا الأمر للرسالة بمنزلة آخر لبنة لأكمال -
البناء واتمامه فبوضعها فى محلها، يكمل الدين وتتم النعمة ويتحقق تمام التبليغ
فيحق يوم وضعها وتبليغها ان ينزل « الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ... »

١٤٠ - اسئلة ، على المخالف ان يجيب عنها

لَوْ اَغْمَضْنَا عَنْ الْحَقِّ وَاَصْرُرْنَا عَلَى ان نَزُولِ الْآيَةِ فِي يَوْمِ آخِرِ لَيْلَةِ يَوْمِ غَدِيرِ خَمٍّ
(كما تعتقده الشيعة عامة) وقال به بعض اكابر العلماء من اهل السنة) بل فى يوم
سابق على يوم الغدير (كما يدعيه العامة من اهل التسنن) فلننظر اى حكم من الاحكام
وضع فى ذلك « اليوم » السابق او فى غير ذلك اليوم وقبله؟ ثم فى اى شأن كان ذلك -
الحكم حتى صار بحيث كان مكتملاً للدين ومتمماً للنعمة؟

اكان ذلك يوم بلغ فيه الرسول (ص) حكم الصلوة او الصوم او الحج او -
الجهاد او غيرها مما يشبهها من الأحكام الفرعية؟ اكان ابلاغ هذه الأحكام فرادى
فرادى بهذا المكان من الجدارة ان ينزل فى شأنه « الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ... الْآيَةَ؟
ثم ايوجد بين الاحكام المنجمة فى الصدور فرق من حيث الفرعية حتى يستحق
واحد منها بان ينزل فى حقه حين صدوره وابلاغه : « الْيَوْمَ اكْمَلْتُ... »؟

وبعد للتبسيط والتى لو زعم زاعم ان المراد من اكمال الدين واتمام النعمة فى
ذلك اليوم ان جميع ما اراده الله وضعه من الأحكام و ابلاغه ثم فى ذلك اليوم وختم
فما بقى فى مقام الوضع وكتاب الشرع حكم الا وقد نزل وبلغ فهذا الاعتبار ، اى

اعتبار الجمع والتّمَام والوضع والمختام ، كمل الدين وتمّت النعمة .

ليس على هذا الزعم يجب ان يكون آخر حكم يتمّ به الجمع ، صادراً و اصلاً قبل نزول الآية او قبيلها؟ وانت ممن تكون في ذكره ان الآية في سورة المائدة وهي على ما نقلنا نزلت بعد فتح مكة وقد صدرت وبلّغت بعد الآية احكام حتى ولعله في نفس تلك السورة وبعد هذه الآية .

وبأخرة هل يوجد بين تلك الموضوعات والمشروعات ما يكون بمنزلة الخلافة- الحافظة للدين ، الحامية عن حمى الشرع، التي تعتقد الشيعة ان الآية ناظرة اليها ، نازلة آخر ايام النبى ، ويغدير خم؟

ثمّ كما اسلفنا ، هل يتصور انه كان في المسلمين من يخالف تبليغ حكم او دستور كائنا ما كان من الاحكام الشرعيّة حين صدور آية التبليغ ؟ فلا محالة يجب ان يعتقد انه كان حكماً لا يوافق ما يهويله ويميل اليه بعض الناس وامراً لا يناسب ما يريد- بعض النفوس والأشخاص وليس امر بهذه المثابة سوى امر الخلافة والوصاية .

على انه بناء على نزول آية التبليغ يوم غدير خم ، كما عليه الشيعة عامّة والخواص من اعظم اهل السنة ، بلغ الرسول ، الأحكام كلّها قبل ذلك اليوم (يوم الغدير) وعصمه الله من الناس في تبليغها سابقاً فعلى ماذا ينبغي ان يحمل قوله تشجيعاً لرسوله وتقوية له: « وَاللّٰهُ بِعَصِمِكُمْ مِّنَ النَّاسِ »؟

١ - « وقوله : اليوم اكملت لكم دينكم ، في تاويله ثلاثة اقوال : احدها قال ابن عباس والسدى واكثر المفسرين : ان معناه اكملت لكم فرائضى وحدودى امرى ونهيبى وحلالى وحرامى... قالوا ولم ينزل بعد هذا على النبى (ص) شىء من الفرائض في تحليل شىء ولا تحريمه وانه عاياه السلام مضى بعد ذلك باحد وثمانين ليلة... وقال الحكم وسعيد بن جببير وقتادة : معناه اكملت لكم حجكم وافرديكم بالبلد الحرام دون المشركين... وهو الذى اختاره الطبرى قال: لان الله قد انزل بعد ذلك قوله : يستفتونك في الكلاله قل اله يفتيكم في الكلاله... وقال الفراء هي آخر آية نزلت... »

(التبيان للشيخ الطوسى)

هذه اسئلة كانت تختلج بالبال وعلى المنصف المتدبر ان يتأمل فيها ويختار للجواب عنها طريقة تقنعه ومسلكاً يرضيه ويشبعه :

١٤١ - حول غدِيرِخَم

القي النبيّ خطبة بغديرخَم، وكلّم بما كان عليه ان يتكلّم، وبلغ ما أمر به وبشّر بما أنزل اليه من اكمال الدين واتمام النعمة على المسلمين، ويرضى الربّ عن كون- الاسلام لهم الدين و بأنّ الله مولاه وهو مولى المؤمنين و بأنه اولى منهم بأنفسهم وان- ابن عمّه وصهره واخيه، عليّاً، بعده مولى من كان هو مولاه .

ثمّ استاذن شاعر رسول الله، صلّى الله عليه وآله وسلم، حسان بن ثابت الأنصارى ان ينشد فى عليّ وشأنه، فى هذا اليوم فأذن له الرسول فأنشأ وانشد :

يُنَادِيهِمْ يَوْمَ الْغَدِيرِ نَبِيَّهُمْ

فَأَسْمِعْ بِالرَّسُولِ مُنَادِيًا

يقول : فَمَنْ مَوْلَاكُمْ ووليككم؟

فقالوا ، ولّم يدؤوا هناك التّعاميا :

إِلَهُكَ مَوْلَانَا وَأَنْتَ وَلِيْنَا

ولّم ترّمينا فى الولاية عاصياً

فقال له : قُمْ يَا عَلِيّ فَأَنْبِيّ

رَضِيْتُكَ مِنْ بَعْدِي إِمَامًا وَهَادِيًا

فَمَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا وَلِيّه

فكوثوا له انصار صدق موالياً

هناك دعا : اللهم والِ وليّه

وَ كُنْ لِلدِّيْ عَادِي عَلِيًّا مُعَادِيًا

١٤٢ - طرق حديث غدِيرِخَم

قال الشيخ سليمان البلخي الحنفى النقشبندى فى كتابه القيم ، « ينابيع المودّة » ،

في الباب الرابع الذي عقده لتقل حديث « سفينة نوح » و « حديث باب حِطَّة بني اسرائيل » و « حديث الثَّقَلَيْنِ » و « حديث يوم الغدير » (الصفحة ال ٣٠ طبع تهران) :

« وفي المناقب : اخرج محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ خبر « غدير خم » من خمسة وسبعين طريقاً وافرد له كتاباً سماه « كتاب الولاية » .
 « ايضاً اخرج خبر « غدير خم » ابو العباس احمد بن محمد بن سعيد بن عقدة وافرد له كتاباً وسماه « الموالات » وطُرِّقَه من مائة وخمسة طريقٍ .
 « حكي العلامة علي بن موسى :

« وعلي بن محمد ، ابي المعالي الجويني ، الملقب بـ « امام الحرمين » استاذ ابي حامد الغزالي رحمهما الله يتعجب ويقول :

« رايت مجلداً في بغداد في يد صحافٍ فيه روايات خبر « غدير خم » مكتوباً عليه : « المجلد الثامنة والعشرون من طرق قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْهِ مَوْلَاهُ » و يتلوه المجلد التاسعة والعشرون « انتهى ما في بنابيع المودة » .

قال الخطيب في تاريخ بغداد (ذيل ترجمة ابي عمرو يحيى بن محمد الأخباري - الصفحة ٢٣٦ من المجلد ال ١٤ -) :

١ - يقول مؤلف هذه الاوراق : وفي كتاب « صراط المستقيم الى مستحقى التقديم » لابي محمد نور الدين (او زين الدين) علي بن محمد بن يونس العنقجوري البياضي - العاملي النبطي (المتوفى سنة ٨٧٧ هـ . ق) :

« صنّف الحسين بن جبير كتاباً سماه « نخب المناقب لال ابي طالب » اختصره من كتاب الشيخ محمد بن شهر آشوب ... الى ان قال : « فقد وردت في خبر الغدير واسانيده ، الطواسير . قال ابن شهر آشوب : قال جدي : سمعت الجويني يقول : شاهدت مجلداً ببغداد في رواة هذا الخبر مكتوباً عليه « المجلد الثامنة والعشرون و يتلوها التاسعة والعشرون »

« اخبرنا ابن بكير : اخبرنا ابو عمرو ويحيى بن محمد بن . . . الأخبارى ، فى منزله بدرب السّاج ، فى جوار ابن الشّونيزى فى سنة ثلاث وستين وثلاثمائة ، حدّثنا ابو جعفر احمد بن محمد عبدالرحمن بن ابى ليلى قال :

« سمعت عليّاً - بالرحبة - يَنشُدُ النَّاسَ : من سمع رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، يقول :

« مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَى مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ »
 « فقام اثني عشر بدرياً فشهدوا انّهم سمعوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول : من كنت مولاه فعلى مولاه . اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . »

استهاده على
من الصحابة
لحديث غدیر خم

وقال ابو الفرج عبدالرحمن ، المعروف بابن الجوزى ، (المتوفى سنة ٥٩٧) فى كتابه « صفة الصّفة » :

« وعن زاذان قال : سمعت عليّاً - بالرحبة - وهو ينشد الناس : من شهد رسول الله (ص) فى يوم غدیر وهو يقول ما قال .

« فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا انّهم سمعوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول : مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَى مَوْلَاهُ رَوَاهُ الْأَحْمَدُ » - يعنى ابن حنبل -

وفى يابيع المودّة للشيخ سليمان الحنفى (الصفحة ٣٢ - ٣٣ - طبع الحجرى بتهران -) .

« اخرج ابو نعيم فى الحلية ، وغيره ، عن ابى الطفيل انّ عليّاً قام فحمد الله واثنى عليه ثم قال :

« أَنشُدُ اللَّهَ مِنْ شَهِدِ يَوْمِ غَدِيرِ خَمٍّ ، أَلَا قَامَ . وَلَا يَقُومُ رَجُلٌ يَقُولُ : « نُبِّشْتُ » أَوْ « بَلَّغْنِي » أَلَّا رَجُلٌ سَمِعَتْ أَذْنَاهُ وَوَعَاهُ قَلْبُهُ .

شهادة سبعة
عشر صحابياً
بسماعهم الحديث
عن الرسول (ص)

« فقام سبعة عشر رجلاً ، منهم خزيمه بن ثابت وسهل بن سعد وعدى بن حاتم وعقبة بن عامر و ابو ايوب الأنصارى و ابو يعلى الأنصارى و ابو الهيثم بن التيهان ، ورجال من قریش .

« فقال عليّ : هاتوا ما سمعتم . فقالوا :

« نشهد انّا اقبلنا مع رسول الله (ص) من حجة الوداع نزلنا بغدير خم . ثمّ نادى بالصّلوة فصلّينا معه . ثمّ قام فحمد الله واثنى عليه ثمّ قال : ايّها النّاس ما انتم قائلون؟ قالوا : قد بلغت . قال : اللّهمّ اشهد، ثلاث مرّات، ثمّ قال :

« اتى اوشيكك انّ اُدعى فأجيب وانّى مسؤل وانتم مسؤلون . ثمّ قال :

« ايّها النّاس انّى تارك فيكم الثّقليّين : كتاب الله وعترتى ، اهل بيتى ، ان تمسّكتم بهما لنّ تضيّلوا فانظروا كيف تخالفوني فيهما وانّهما لنّ يفترقا حتّى يبردا على الحوض نبيّانى بذلك اللّطيف الخبير . ثمّ قال :

« انّ الله مولاى وانا مولى المؤمنين . الّستمّ تعلمون انّى اولى بكم من

انفسكم؟ قالوا : بلى . قال ذلك ثلاثا . ثمّ اخذ بيدك يا امير المؤمنين فرفعها وقال :

« من كنت مولاّه فهذا علىّ مولاّه . اللّهمّ وال من والاه وعاد

من عاداه .

« فقال عليّ : صدقتم وانا على ذلك من الشاهدين . »

١٤٣ - تواتر حديث غددير

يقول المؤلّف لهذه الوريقات ابن العارف العلامة الحاج شيخ عبد السلام، قدّس

سره ، محمود الشّهابى الخراسانى :

ليس فى جميع الأحاديث حديث يشبه حديث « الغدير » فى كثرة السند والطريق (اللّهمّ الا حديث الثّقليّين) فى كثرة عناية اهل العلم من كلّ فريق به، فما اعرف حديثا وصل الأهتمام به والعناية بشأنه بحيث ان يؤلّف فى خصوصه، بل فى خصوص رواته، تأليفاً مشتملاً على ما يقرب ، او يبلغ ثلاثين مجلّدة وقد ألفوا قديما وحديثا فى شان حديث الغدير وبيان طرقه وآسناده واستفاضته، بل وتواتره ، وتوضيح مفاده كتباً كبيرة ورسائل كثيرة .

واخيراً ألف في هذا الشأن ، الفاضل المتتبع المعاصر الأمينى النجفى كتاباً سماه باسم « الغدير » وهذا الكتاب ، فى ما رأيت واعلم ، اوفى كتاب ألف فى هذا الموضوع واجمع تأليف قام مؤلفه الغدير بهذا الشأن .

فالمؤلف المتتبع ادام الله توفيقه^٢ احاط بمسئلة الغدير فى جميع ارجائها وبرؤمته ما يتعلق بأطرافها ، من الكتاب والسنة والآثار والأقوال والأشعار والحكايات والأخبار والكتب المؤلفة فى هذا المضممار .

قال فى المجلد الأول فى الصفحه ال ١٤ .

« ولا احسب ان اهل السنة يتأخرون من الامامية فى اثبات هذا الحديث والبخوع لصحته والركون اليه والتصحيح له ، والأذعان بتواتره ، اللهم الا شذآذ ... فأن المثبتين المحققين للشأن ، المتولعين فى الفن لا تخالجهم اية شبهة فى اعتبار اسانيدهم التى انهوها متعاضدة متظافرة ، بل متواترة ، الى جماهير من الصحابة والتابعين . واليك اسماء جملة وقفنا على الطرق المنتهية اليهم على حروف الهجاء . . . »
ثم نقل اسمائهم وانهى عدد الذين انتهت الطرق اليهم من الصحابة الى مائة وعشرة صحابياً وقال :

اذعان
اهل السنة
بعوار الحديث

« هؤلاء مائة وعشرة من اعظم الصحابة الذين وجدنا روايتهم لحديث الغدير . ولعل فى ما ذهب علينا اكثر من ذلك بكثير . وطبع الحال يستدعى ان تكون رواة الحديث اضعاف المذكورين لأن السامعين الوعاة له كانوا مائة الف او يزيدون . . . »
وفى ذيل تلك الصفحه علق على قوله فى المتن : « بل متواترا » ما عين لفظه
كثرة
طرق الحديث
وعبارته :

١ - وان سبقه فى هذا الموضوع صاحب كتاب « عبقات الانوار » السيد السند المتتبع الجليل المعتمد ميرحامد حسين الموسوى الكهنوى الهندى (المتوفى ١٣٠٦ هـ . ق .)
رحمه الله تعالى ، فى ذلك الكتاب ، كما اعترف نفسه بالاستفادة من علومه المودعة فيه واظهر الشكر المتواصل له ولولده (راجع الصفحه ال ١٥٧ من المجلد الاول من « غدير ») .
٢ - توفى رحمه الله فى هذه الاواخر بتهران (سنة)

« رواه احمد بن حنبل من اربعين طريقا وابن عُدَّة من مائة وخمسة طُرُق وابن السَّعِيد السَّجِسْتَانِي من مائة وعشرين وابو بكر الجعابي من مائة وخمسة وعشرين طريقاً . وفي تعليق هداية العقول (الصفحة ال ٣٠) عن الأمير محمد السيميني (احد شعراء الغدير في القرن الثاني عشر) ان له مائة وخمسين طريقاً .»

ثم اتبع اسامي الصحابة بنقل اسامي « الرواة لحديث الغدير من التابعين » الى ان انهى عددهم الى اربعة وثمانين .

ثم ذكر طبقات الرواة من العلماء قرناً بعد قرن من القرن الثاني الى القرن الحاضر (القرن الرابع عشر من الهجرة النبوية) على ترتيب وفياتهم حتى انهيهم الى ستين وثلاثمائة عالم .

ثم ذكر اسامي المؤلفين في خصوص حديث الغدير من العلماء الاعاظم كابن جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠) والحافظ ابو العباس احمد بن محمد بن سعيد الهَمْدَانِي المعروف بـ « ابن عُدَّة » (المتوفى ٣٣٣) وانهى عددهم الى ست وعشرين مؤلفاً . ونقل عن كتاب « الهداية والنهاية » لابن كثير (المجلد ال ٥ ، الصفحة ٢٠٨) : « وقد اعتنى بأمر هذا الحديث ابو جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب -

١ - قال **ياقوت الحموي** في المجلد ال ١٨ من كتابه معجم الادباء (على ما في «الغدير» ايضا) في ترجمة **محمد بن جرير الطبري** : « له كتاب فضائل **علي بن ابي طالب** رضي الله عنه تكلم في اوله بصحة الاخبار الواردة في غدير خم ثم تلاه بالفضائل ولم يتم ... »

وقال (في الصفحة ال ٧٤) : « وكان اذا عرف (يعني الطبري) من انسان بدعة ابعد واطرحه . وكان قد قال بعض الشيوخ ببغداد : بتكذيب غدير خم وقال : ان **علي بن ابي طالب** كان باليمن في الوقت الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بغدير خم ... وبلغ **ابو جعفر الطبري** ذلك ، فابتدء بالكلام في فضائل **علي بن ابي طالب** وذكر طرق حديث خم فكثر الناس لاستماع ذلك ... »

وفي «الغدير» ايضا (ج ١ ص ١٥٢) « وقال الذهبي في طبقاته (ج ٢ - ص ٢٥٤) لما بلغ **محمد بن جرير** ان **ابن ابي داود** تكلم في حديث غدير خم ، عمل « كتاب الفضائل » و تكلم في تصحيح الحديث ثم قال (يعني الذهبي) : قلت ، رايت مجلداً من طرق الحديث لابن **جرير** فانه هشت له و لكثرة تلك الطرق ... »

التفسير والتاريخ فجمع فيه مجلدين اورد فيهما طرقة والفاظه . . .
ونقل ايضا عن الحافظ ابي العلاء العطار الهمداني انه قال:
« اروي هذا الحديث بمأني وخمسين طريقا ! »

رواية الحديث
من مأني وخمسين
طريقا!

١٤٤ - دلالة الحديث

وبالجملة: شأن حديث غدیر خمّ اعظم واجلى من ان يحوم حول صدورها ريب
وشبهة وكيف لا واتفق عليه اكابر علماء الفريقين من السنّة والشيعة في الأزمنة السالفة
اللهمّ آلا من نصب العداوة وطلب الغواية واتبع الهوى والعصبية وكان ممّن ختم الله
على سمعه وكان على بصره غشاوة ووقع تحت تأثير الحكومة الأموية المروانية الباغية
الغاشمة واما في عصرنا هذا والكتب منشورة، والمراجعة اليها ميسورة، والأفكار حرّة
مينيرة، والأنظار حول حرم الحق بالتحقيق، وتمييز الحقيقة ودرك الواقع، طائفة دائرة فلا يكاد
يوجد بين ابناء العلم و اخوان الدين و اولياء النّصيفة و اولى التحقيق والمعرفة من يأذن
لوهمه، بعدالمراجعة والمطالعة، ان يقرع باب شكك و ارتياب .

نعمّ قد ارتكب بعض من تقدّم زمانا، في معنى العبارة و دلالتها (لا فى اصل
صدورها و عبارتها) ما يمجّ منه الطّباع و يعجّ عنه العلم و العدل و الأنصاف وهو ان
لفظة « مولى » استعملت في اللّغة لمعان كثيرة مثل « ابن العم » و « الناصر » و « القريب »
وغير ذلك ممّا يقرب هذه المعاني فتكون الكلمة، في الحديث، محتملة مجمّلة ولا يصحّ
ان يحمل على خصوص الولاية و الامامة و الخلافة التي تعتقدها الشيعة و تحملها عليها .
ولكنكك ، وانت ممّن في ذكره نواحي الواقعة ، واطنكك ممّن تدبّرت
مطاوى الكلمات الواردة و احطت بالمطالعة على تلك الأحوال و الأوضاع ، لا اراكك
آلا وان غمرتك العجب ممّا افتعل في ساحة العلم و الأدب و لهزتك الأسف على ما استحلّ
من انتهاك حرمة العدل .

لمعلات باردة

اليس ذمّة الأنصاف رهينة التوجّه الى خصوصيات الواقعة و عرضها على
الفاحص من التدبّر و الغائر من التأمل؟ ثمّ اما كان الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم

لمّا وصل الى الجُحفة (وهى ملتقى الطّرق : طريق مصر و طريق العراق وطريق -
المدينة) واوشك ان تتفرّق الرّفقة وتتشعب الشعوب من القبائل ومن فى الصحبة فيأخذ
كل منها طريقه و يسلك سبيله، وقف (ص) فى المحلّ كى يلحقه من تأخّر، و امر
بارجاع من سبق وتقدّم؟

فلمّا اجتمع الكلّ فى الموضوع، فى هاجرة ذلك اليوم القاظ الحارّ، أمر بأن-
ينادى ' الصلوة جماعة ' ولما فرغ من الصلوة قال للجماعة ما قال .

اترُيبك تزعم، و اظنك من اهل التدبّر و الأنصاف، انّ ذلك الأهتمام
بالاجتماع ثمّ القاء الخطبة فى هذا الوضع من شدّة الحرارة واضطراب القلوب وانتظار-
التفوس كان لأن يعلن: بانّ عليّاً « ابن عمّه » او « قريبه » او « ناصره »؟ ثمّ ما ذا؟.

حاشا العقل والعدل عن مثل هذا الزعم وحاشا الرسول التذى ما ينطق عن الهوى،
ثمّ حاشاه، عن ارتكاب مثل هذا العمل اللغو والقول اللغو .

ثمّ آو ما قدّم الرسول (ص) فى تلك الخطبة مسئلة عن الناس : « مَنْ هُوَ
أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ؟ » وبعد ذلك آو ما اجاب عنهم فى بيان السّؤال وتوضيحه:
« اِنَّ اللَّهَ « مَوْلَايَ » وانا « مَوْلَىٰ » المؤمنين، وَاَنَا أَوْلَىٰ بِهِمْ مِنْ أَنفُسِهِمْ؟
واما عبّر عن اولوية الله ورسوله بلفظة « مَوْلَايَ » و« مَوْلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ » عين
تلك اللفظة التى عبّر بها فى حقّ علىّ وعقبها بقاء التفرّيع؟

فهل يُستساغ فى مشرب الذّوق والأدب ان يكون المراد من لفظه « المَوْلَىٰ »
فى المتفرّع غير ما كان أريد منه فى المتفرّع عليه؟ اللهمّ الا ان يتحامق معاند ويتجاسر
فيقول تلك اللفظة فى المتفرّع عليه يكون ايضا بمعنى « ابن عمّ » او « القريب »
او « الناصر » .

دَعِ الذّوق و الأدب يذهب سبيله وقل: على هذا فما معنى قول عمر (رض)
المنقول سابقاً عن تاريخ بغداد للخطيب مسنداً الى ابى هريرة بعد تلك الخطبة فى
ذلك المحلّ :

المولوية
فى الحديث
وما يصح ان يكون
مراداً فيه منه

« بَخَّ بَخَّ لَكَ يَا ابْنَ اَبِي طَالِبٍ . اصْبَحْتَ مَوْلَايَ وَمَوْلَى كُلِّ مُسْلِمٍ » ؟
 ثمَّ آوَا مَا اَنْبَأ الرَّسُولَ (ص) فِي هَذِهِ الْوَاقِعَةِ ، او فِي هَذِهِ السَّفَرِ ، بِاقْتِرَابِ اجَابَتِهِ
 دَعْوَةَ رَبِّهِ بِقَوْلِهِ :

« اِنِّي يَوْشِيكَ اِذَا دُعِيَ فَاُجِيبْ وَاِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ رَبِّنَا
 وَعِترَتِي ، اَهْلَ بَيْتِي ، فَانظُرُوا كَيْفَ تَحْفَظُونِي فِيهِمَا » ؟
 ثمَّ آوَا مَا عَبَّرَ بِلَفْظِ الْمَاضِي بِقَوْلِهِ : « مِنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَى مَوْلَاهُ » ؟
 وَآلِيسَ فِي هَذِهِ الصِّيَاغَةِ لِلْكَلامِ اِشَارَةٌ اِلَى اِنْقِضَاءِ مَوْلَوِيَّتِهِ الشَّخْصِيَّةِ وَاقْتِرَابِ
 دَوْرِ خَلِيفَتِهِ فِي الْمَوْلَوِيَّةِ ، لِلْمَوْلَوِيَّةِ ؟ .

وَبَعْدَ ذَلِكَ هَلْ يَلِيقُ بِشَأْنِ مَنْ كَانَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ بِمَكَانٍ وَمِنَ الْعَدْلِ وَالنِّصْفَةِ
 فِي مَرْحَلَةٍ ، اَنْ يَتَجَاسَرُ وَيَقُولَ : اِنَّ لَفِظَةَ « مَوْلَى » فِي تِلْكَ الْخُطْبَةِ اَرِيدُ مِنْهَا « ابْنَ-
 الْعَمِّ » او « الْقَرِيبِ » او « النَّاصِرِ » او مَا يَقْرَبُ مِنْهَا . ؟
 وَفِي الْخَاتَمَةِ : اَوَّلًا يَكُونُ فِي الدَّعَاءِ الْمُؤَكَّدِ ، ثَلَاثًا ، او اَرْبَعًا ، (اللَّهُمَّ وَال...)
 عَقِيبَ اثْبَاتِ الْمَوْلَوِيَّةِ اِشْعَارًا بَيِّنًا بِأَنَّ مَقَامَ الْمَوْلَى مَقَامُ الْعَصْمَةِ فَيَجِبُ مَوَالَاتُهُ وَيَحْرَمُ
 مَعَادَاتُهُ وَآلًا فَكَيْفَ يَدْعُو النَّبِيَّ ، النَّاطِقَ بِالْوَحْيِ ، الدَّاعِيَ اِلَى الْحَقِّ لِابْنِ الْعَمِّ وَ « النَّاصِرِ »
 او « الْقَرِيبِ » الْمَحْتَمَلِ مِنْهُ الْخِطَاءُ وَالْاِنْحِرَافُ عَنِ الْحَقِّ ، بِمِثْلِ هَذَا الدَّعَاءِ ؟ فَتَامَلْ جَيِّدًا .

١٤٥ - تَذَكُّرَةٌ فِيهَا تَبْصُرَةٌ

وَهِيَ نَكْتَةٌ أُخْرَى يَنْبَغِي التَّوَجُّهُ إِلَيْهَا وَالتَّدَبُّرُ فِيهَا وَهِيَ اَنْ :

فِي عِدَّةٍ مِنَ الرِّوَايَاتِ الْوَارِدَةِ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ بَلْ فِي كُلِّهَا اِبْتِدَاءُ الرَّسُولِ بِشَأْنِ-
 الثَّقَلَيْنِ (كِتَابِ اللَّهِ وَالْعِتْرَةِ) وَتَرْكُهُمَا فِي الْأُمَّةِ لَهَا وَصْرَحَ بِعَدَمِ اقْتِرَاقِهِمَا حَتَّى يَرْدَا
 عَلَيْهِ الْحَوْضُ وَنَهَى اَعْنِ التَّقَدُّمَ عَلَيْهِمَا وَانَّهُ يورثُ الْهَلَاكَهَ كَمَا اَنَّ التَّأَخَّرَ وَالْقَصُورَ

التقدم على
 العترة كاللفظ
 في حقها يورث
 الهلاك

عنهما بتر كهما، ايضاً، يوجب الهلاك^١ ثم عتب ذلك بقوله: « من كنت موليه فعلي مولاه » ثم كرر اخيراً قوله: « اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » ثلاثاً، كما حكى عن ابن المغازلي الشافعي، او اربع مرات، كما حكى عن الامام احمد بن حنبل (رض). او يبقى، بعد التوجه الى هذه الكيفية من الابتداء والتوسط والانتهاء في المقال، ريب في مارامه الرسول^٢ (ص)؟ او يجوز ان يستأذن الوهم خطوره في بال احد بأن يكون المعنى من لفظة « مولى » في عبارة الخطبة غير المولوية التابعة لمولوية الله ورسوله والتي هي شان من شونها؟

« إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا، الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ^٣ »

في «ينابيع المودة» للشيخ سليمان الحنفي عن ابن المغازلي الشافعي بأسناده الى زيد بن ارقم انه قال: « اقبل النبي، صلى الله عليه وسلم، من مكة في حجة الوداع حتى نزل بغدير الجحفة وخطب. قال:

« ايها الناس اسألکم عن ثقتي كيف خلفتموني فيهما: الأكبر منهما كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به ولا تضلوا والآخر منهما عترتي »

١ - « ان اللطيف الخبير نبأني انهما لن ينفرقا حتى يردا على الحوض. فسالت ذلك لهما ربي. فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا... »

٢ - ولا سيما اذا توجهنا الى ما رواه الحاكم في « المستدرک »، وغيره في غيره، بسند صحيح عن ام المؤمنين، ام سلمة، قالت: سمعت رسول الله (ص)، يقول: علي مع القرآن والقرآن مع علي لن ينفرقا حتى يردا على الحوض» والى ما ذكره ابن مردويه في كتاب المناقب من مائة وثلاثين طريقاً: « ان العترة علي وفاطمة والحسن والحسين ».

٣ - الاكثرون علي ان الاية نزلت في حق علي. وان شئت الاحاطة علي ما قيل فيها نقلاً فعليك بمراجعة تفسير محمد بن جرير الطبري وتفسير التبيان للشيخ ابي جعفر

« ثم اخذ بيد عليّ فرفعها فقال :

« مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ . اَللّٰهُمَّ وَا لِ مَنْ وَا لَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ » . قالها ثلاثا .

وفيه ايضا عن موفق ابن احمد الخوارزمي عن الأعمش . . . الى زيد بن

ارقم قال :

« نزل النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بغدير خم فقال فيه :

« تَرَكْتُ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ ، أَحَدُهُمَا أَكْبَرُ مِنَ الْآخِرِ :

« كِتَابُ اللَّهِ وَعَيْتَرَتِي ، أَهْلُ بَيْتِي ، فَاَنْظُرُوا كَيْفَ تَخْلَفُونِي فِيهِمَا

فَأَنْتَهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّىٰ يَرِدَا عَلَيَّ النَّحْوَسَ »

« ثم اخذ بيد عليّ وقال :

« مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْ مَوْلَاهُ وَمَنْ كُنْتُ وَلِيًّا فَهَذَا وَلِيِّي » .

« ثم قال :

« اَللّٰهُمَّ وَا لِ مَنْ وَا لَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ »

« فقلت (يعني الراوي) :

« انت سمعت هذا ؟ قال ما كان هناك احدٌ الا وقد رآه بعينه وسمعه بأذنه .

فيحق ان يتمثل هنا بما نُسب الى عليّ من قوله :

« وَلَمْ أَرَ مِثْلَ ذَلِكَ الْيَوْمَ يَوْمًا

وَلَمْ أَرَ مِثْلَهُ حَقًّا أُضِيْعًا » ٢

١ - في تغيير التعبير عن كلمة « مولى » بكلمة « ولي » في مقام انكسار ما يزيل كل

وهم في معنى كلمة مولى .

٢ - في بعض المجاميع القديمة ما هذه خلاصته :

« قال الكميت : لما قلت قصيدتي :

« وَيَوْمَ الدُّوْحِ دُوْحُ غَدِيرِ خَمِّ ابَانَ لَهُ الْوَلَايَةَ ، لَوْ اطِيعَا »

رأيت علياً في المنام فقال لي : انشد قصيدتك العينية فأنشدتها فقال : « ولم ار مثل

ذلك اليوم يوما » البيت .

قال ابو الفرج الأموي الأصفهاني في كتابه «الأغانى»^١ بأسناده عن يزيد بن عيسى بن مورك .

قال :

« كنتُ بالشَّامَ زمنَ وُلِّيَ عمر بن عبد العزيز وكان بـ «خناصرة» وكان يعطى -
الغرباء مائتي درهم .

قال :

« فجئته . فأجده متكأً ، على ازاروكساءٍ من صوفٍ . فقال لى :
« ممَّن انت؟ قلت: من اهل الحجاز . قال: من ايهم؟ . قلت : من اهل المدينة
قال : من ايهم؟ . قلت : من قريش . قال: من اى قريش؟ قلت: من بنى هاشم . قال:
من اى بنى هاشم؟ . قلت: مولى اعلی . فسكتُ . قال: ممَّن؟ قلت: ابن ابى طالب .
« فجلس فطرح الكساء ثم وضع يده على صدره وقال: «آنا وآللهِ مولى اعلی»
ثم قال :

« أشهيد على عددٍ ممَّن ادرك النسبى (ص) يقول : قال رسول الله (ص) : من
كنت مولاة فعلى مولاة »

١٤٦ - ختام الكلام فى حديث غدیر

ولنختم الكلام هنا بما اورده اليعقوبى (احمد بن ابى يعقوب الكاتب . المتوفى
بعد سنة ٢٩٢ هـ . ق .) فى تاريخه .

قال بعد ما نقل خطبة الرسول (ص) فى حجة الوداع حين وقوفه عند زمزم :
« ... ولم ينزل صلى الله عليه وآله وسلم مكة وقيل له فى ذلك : لو نزلت
يا رسول الله بعض منازلك . فقال : ما كنت لأنزل بلداً أُخرجتُ منه
« وخرج (ص) ليلاً منصرفاً الى المدينة فصار الى موضعٍ بالقرب من الجحفة يقال

له: « غدِيرِخَم » لثمانى عشرة ليلة خلت من ذى الحِجَّة .

« وقام خطيباً واخذ بيد عليّ بن ابي طالب (ع) فقال: الستُ اولىٰ بالمؤمنين من- انفسهم؟ قالوا: بلىٰ يا رسول الله قال: فمن كنتُ مولاَه فعلىٰ مولاَه. اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه . ثمّ قال (ص): ايّها النّاس انّى فرطكم وانتم واردون علىّ الحوض، انّى سائلكم حين تردون علىّ، عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما؟ قالوا: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: الثّقْل الاكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فاستمسكوا به ولا تفلتوا ولا تبدلوا، وعترتى، اهل بيتى .»

١٤٧ - ترك الرسول الثّقليين للامّة

حجّ الرسول (ص) بأصحابه قُبَيْل وفاته وبلّغ في رجوعه عن الحجّ ما امر الله ان يبليّغه فاكمل الله دينه واتمّ نعمته ذلك اليوم فقد اقام الرسول بأمر الله تعالى من يجب ان يلى امور المسلمين من بعده على ما بيّن له وعلمه واعده فأخبر، صلّى الله عليه وآله، بانّ عليّاً يكون مولى لمن كان الرسول مولاَه، ولمن كان هو اولى بهم من انفسهم من المؤمنين .

وكانته لمّا عبّر عمّا اراد ذلك اليوم ابلاغه من الخلافة، بصيغة الماضى وقال: «من كنتُ مولاَه...»، اشار الى انقضاء حياته، وانصرام امده، واقتراب اجله، ووصول نوبة خليفته . وهكذا وقعت الواقعة وصدقّت الاشارة فلم يعش بعد ذلك بأزيد من شهرين، ألا بقلائل من ايام .

قال «الفتية الحافظ المحدث، ابو عمرو ويوسف، المشهور بابن عبد البر، المالكي»
(٤٦٣-٣٦٣) فى كتاب «الاستيعاب» (الجزء الثالث، الصّفحة ٢٨) :

« وروى ابو داود الطيالسي قال : اخبرنا ابو عوانة عن . . . عن ابن عباس : انّ رسول الله (ص) قال لعلىّ ابن ابي طالب : ائتت ولىّ كلّ مؤمنٍ بعديّ . . . وكلمة «بعديّ» الواقعة فى هذه الرواية (وهكذا كلمة «كلّ» ممّا يجب ان

بتدبير فيها ويتوجه منها الى مناسبتها لما اشرنا اليه من التعبير بصيغة الماضي في الحديث.

١٤٨ - القرآن مع السنة، والعمرة

لَبَّى الرَّسُولَ (ص) دَعْوَةَ رَبِّهِ وَقَدْ فَرَّغَ مِنْ اِدَاءِ رِسَالَتِهِ بِحِذَائِهَا وَبَلَغَ مَا اُمِرَ بِتَبْلِيغِهِ .

فخلف : اولاً دستوراً دينياً، وقانوناً الهياً، ومنهاجاً سماوياً .

الآء و هو القرآن الكريم الذى لا يأتىه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومن شئون القرآن وفروعه، السنة التى قام (ص) بها قولاً او فعلاً او تقريراً .

ولا مريه ان السنة شأن من القرآن وفرع له وهو شرع من الله وقدامر، جلّ وعلا، بأخذها ومتابعتها .

فقال ، تعالى وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ... ١٧

وقال تبارك وتعالى ١ : لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ... ٢١ » ٢

وقال ، عزّ من قائل : وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ٣ اِنْ هُوَ اِلَّا وَحَىٰ بُوحَىٰ ٤ ٣ .

واستخلف ثانياً ، من نفسه واهله وعترته ، من ربه في حُجْرِهِ ، وكمّله بتربيته ، وعلمه مجامع حكمته ، وقوّمه بمكارم اخلاقه ، وعرفه بأنه من علمه باب مدينته ، كى يبين بعد رحلته (ص) مقاصد الدين ويرشد الامة الى حقائق الشريعة ويقيمهم على العمل بالمنهاج . وان شئت فقل : استخلف من يفسر القرآن و يقرّر السنة كى يكون بأقامة التفسير والتقرير ، على ما ينبغى ويليق ، حافظاً ناشراً للدين عوناً غوثاً للمسلمين .

١ - السورة ال ٩٥ (العشر) .

٢ - السورة ال ٥٣ (النجم)

٣ - السورة ال ٣٣ (الاحزاب) .

فَكَمَّلَ (ص) ما كان عليه اكماله، من تأسيس الاصل و تعريف الفرع، وتمم ما ارادا تمامه، من اعطاء المنهاج والارشاد، الى من به الأبقاء والرواج .
 وحق له ان يصرح بما تواتر عنه :

« اِنْتِي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللَّهِ وَعَيْتِرَتِي »

وصح عنه ان يرشد الأمة الى ما لهذين الثقلين من النفاسة والعظمة وعلو القدر وجمالة التأثير ويقول :

« مَنْ تَمَسَّكَتْ بِهِمَا لَنْ يَضِلَّ أَبَدًا ... »

ويؤكد ذلك بأنهما :

« لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضِ ... »

قال صاحب ينابيع المودة فيه :

« وفي الصواعق المحرقة: روى هذا الحديث ثلاثون صحابياً وان كثيراً من

طرقه صحيح وحسن » .

فهنيئاً لمن انصف من الأمة، فحمد الله تعالى على ما اكرم الناس في ذلك اليوم من اكمال الدين واتمام النعمة، بتعريف العترة.

صدق الله الحكيم العظيم :

« الْيَوْمَ اكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَاتَّمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي

وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا » .

« قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْه مَا حُمِّلَ
وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ . وَإِنْ تُطِيعُوهُ
تَهْتَدُوا ، وَمَاعَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ
الْمُبِينُ »

(سورة النور الآية ال ٥٤)

« فَانظُرُوا كَيْفَ تَخْلَفُونِي فِي
الثَّقَلَيْنِ فَلَاتَقَدِّمُوهُمَا فَتَهْلِكُوا
وَلَا تَقْصُرُوا عَنْهُمَا فَتَهْلِكُوا
(من النبوي المستفيض ، بل المتواتر)

« فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ... »
(سورة النور ٣٦)

- | | | |
|--|---|---|
| <p>١ - مرض الرسول (ص)</p> <p>٢ - امره بأتيان اللوح والدواة .</p> <p>٣ - مخالفة امره و حدوث الاختلاف .</p> <p>٤ - انصراف الرسول عما امر به .</p> <p>٥ - ماذا الذي اراد (ص) كتابته .</p> <p>٦ - الشرعة والعتره هما تركة الرسول .</p> | } | <p>٩ - حول ماجرى في مرض الرسول
صلّى الله عليه وآله وسلم
و حين وفاته :</p> |
|--|---|---|

١٤٩ - مرض الرسول (ص)

مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم واشتد مرضه، فأراد ان يترك للامة كتاباً يوصيهم فيه بأمرٍ مهم يشغل باله في تلك الحالة فقال لمن كان حوله :

« ايتوني باللوح والدواة اكتب لكم كتاباً لا تضلّون بعده »^١.

فقال بعض من حضر، وبشما هتذروهمجر، « ان رسول الله يهجر » !!

وكثر اللغظ والأختلاف عند النبي (ص) فقال (ص) : « قوموا ».

وكان ابن عباس يقول :

« الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله و بين ان يكتب لهم ذلك الكتاب

من اختلافهم ولغظهم » .

قال الطبري في تاريخه (الجزء الثاني - الصفحة ال ٤٣٦) بأسناده عن سعيد

بن جبير عن ابن عباس انه قال :

« يوم الخميس وما يوم الخميس ؟ »

« قال (اى ابن جبير) : ثم نظرت الى دموعه تسيل على خديه كأنها نظام اللؤلؤ.

قال : قال رسول الله (ص) :

« اتوني باللوح والدواة ، او بالكتف والدواة ، اكتب لكم كتابا لاتضلون

بعده » .

امر الرسول
باتيان اللوح
والدواة

« قال (اى ابن عباس) : فقالوا : ان رسول الله (ص) يهجر ».

١٥٠ - صحيح البخارى وحديث الكتابة

اورد البخارى هذا الحديث فى صحيحه بأسناده عن طرقٍ متعدّدة فى مواضع

١ - فى تاريخ الطبرى (الصفحة ٤٣٦ من الجزء الاول) بأسناده عن سعيد بن

بقية الحاشية فى الصفحة الاتية

كثيرة من صحيحه^١.

منها (الجزء الاول - الصفحة ال ٣٤) : بأسناده عن ابن عباس قال :
« لما اشتد بالنبي (ص) وجعه قال :

« ايتوني بكتاب اكتب لكم كتاباً لاتضلوا بعده »

« قال عمر : « ان النبي غلبه الوجع ، وعيننا كتاب الله ، حسبنا. »
« فاختلفوا وكثر اللغط . قال :

« قَوْمُ مَوْأَسَنِي وَلَا يَنْبَغِي عِنْدِي التَّنَازُعُ » .

فخرج ابن عباس يقول :

« ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين كتابه » .

ومنها (الجزء الرابع - الصفحة ال ٩٩ - باب اخراج اليهود من جزيرة العرب)

بأسناده عن سليمان الأحول سمع سعيد بن جبير سمع ابن عباس ، رضى الله عنهما ،
يقول : يوم الخميس وما يوم الخميس؟ ثم بكى حتى بل دمه الحصى . قلت : يا ابن
عباس ما يوم الخميس؟ قال : اشتد برسول الله (ص) وجعه فقال : « ايتوني بكتف
اكتب لكم كتاباً لاتضلوا بعده ابدا » .

بقية الحاشية من الصفحة الماضية

جبير عن ابن عباس قال : « يوم الخميس وما يوم الخميس؟ » قال : ثم نظرت الى
دسوعه تسيل على خديه كأنها نظام اللؤلؤ . قال : قال رسول الله (ص) : « ايتوني
باللوح والدواة ، اوبالكتف والدواة ، اكتب لكم كتابا لاتضلون بعده . وقال : فقالوا : ان
رسول الله بهجر » .

٢ - نقلنا هذه الاحاديث من نسخة صحيحة عن الصحيح ، صححها جمال الدين محمد بن

مالك واعربها ، وكانت في خزانة كتب بمصر فأرسلطان عبد الحميد العثماني عدة من العلماء
من المذاهب الاربعة لمراجعة النسخة ومقابلتها ثم بعد تمام الامر طبعت بأمر السلطان في
مطبعة بولاق بمصر المحمية وجعلها وقفا عاما . ودورة من مجلداتها الاربعة موجودة بخزانة
كتب كلية الحقوق بجامعة تهرن .

مخالفة عمر لامره
الرسول (ص)
على ما حدث به
البخارى ايضا

«فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: ماله؟ آهجرًا؟ استفهموه فقال:

«ذروني فالدِّيُّ اَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُو نَنِيَّ اليه»^١.

ومنها (الجزء السادس - الصفحة ال ٦) بأسناده عن ابن عباس، رضى الله عنه، قال:

«لمّا حضّر رسول الله (ص)، وفى البيت رجال، فقال النبىّ (ص).

«هلمّوا اكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده».

«فقال بعضهم: ان رسول الله قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله».

«فاختلف اهل البيت (يعنى من كان فى البيت من الرجال) واختصموا فمنهم

من يقول: قرّبوا يكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده. ومنهم من يقول غير ذلك.

«فلمّا اكلوا اللغو والأختلاف قال رسول الله (ص): قُومُوا».

«... فكان يقول ابن عباس: ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله

وبين ان يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلفهم ولغطهم».

ومنها (الجزء السابع - الصفحة ال ١٢٠) بأسناده عن طريق الزهري... عن

عبدالله بن عباس قال^٢:

«لمّا حضّر رسول الله (ص)، وفى البيت رجال، فيهم عمر بن الخطاب، قال

النبىّ (ص):

«هلمّ اكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده».

«فقال عمر: ان النبىّ قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن. حسبنا كتاب الله».

١ - نقل البخارى ايضا (فى الجزء السادس - الصفحة ال ٩) من صحيحه عين هذه.

الرواية باختلاف يسير كحذف كلمة «بكتف» وتبديل كلمة «لا تضلّوا» بكلمة «لن تضلّوا» وكلمة «ماله؟، آهجر؟» بكلمة «ما شأنه؟ آهجر؟» وامثال ذلك.

٢ - نقل البخارى ايضا هذه الرواية بعين الفاظها فى الجزء التاسع باب كراهية الخلاف

من صحيحه (الصفحة ال ١١١).

«فاختلف اهل البيت فاختلفوا» الى آخر ما مرّ نقله .

١٥١ - الحديث من غير كتاب البخارى

وفي كتاب البَدءِ والتاريخ، المنسوب الى ابى زيد احمد بن سهل البلخى .

«وروى الواقدى عن الشَّعبى عن ابن عباس (رض) قال :

«لمّا اشتدّ وجع رسول الله (ص) قال : ايتونى بدواة وصفحةٍ اكتب لكم كتابا

لن تُضلّوا بعده ابدا .

«فتنازعوا . فقال بعضهم : مالكم؟ اَهَجَرَ؟ فاستعيدوه . وقال عمر: قد غلبه-

الوجع، من لفلانة وفلانة؟ حسبنا كتاب الله . فلما لغطوا عنده قال : دَعُونِى

قَوْمُوا . فَقَامُوا^١ .

١٥٢ - ماذا اراد الرسول (ص) ان يكتب؟

والآن ننظر ونرى الأمر الذى كان ينبغى ان يشغل خاطره الشريف فى تلك الحالة

وبهمّة اظهاره وتقديره فى تلك الحين حتى امرهم باتيان ما يكتب فيه، وبيّن لهم ما ان-

قبلا منه وعملوا به، فازوا بالرّشاد وحفظوا عن الضلال ابد الآباد .

افتضى ماذا كان ذلك الأمر الهامّ المهمّ؟

هنا نرى الشيعة تعتقد ان ما اهمّه (ص) لم يكن شأنه شأن الأحكام الفرعية -

الجزئية بل كان امراً اساسياً اصلياً خطيراً ذا بال جدّاً وليس ذلك الا تعيين من يخلفه

بعده كتباً . ولم يكن هو الا ابن عمّه وصهره علىّ، الذى يدور مع الحق اينما دار ولا

١ - قال السيد محسن العاملى (ره) فى الجزء الاول من كتابه اعيان الشيعة (الصفحة-

ال ١٠٧) : «... ولكن فكرة الرجعة اول من قال بها عمر بن الخطاب روى ابن سعد فى

«الطبقات» بسنده عن ابن عباس: ان النبى (ص) قال : ايتونى بدواة وصحيفة اكتب لكم

كتابا لن تضلوا بعده ابدا قال عمر: من لفلانة وفلانة؟ مدائن الروم، ان رسول الله ليس

بميت حتى تفتحها، ولومات لانظرتاه كما انتظرت بنو اسرائيل موسى (الحديث) .

ولا يفترق من الثقل الاكبر ويكون التمسك به ، ليدورانه مع الحق ، عصمة عن الضلال الى الأبد كما صرح بذلك شفهيًا بغدير خم و اشار اليه في حديث الثقلين ، وفي مواضع أخر .

تؤيد الشيعة ذلك الاعتقاد والنظر بما خلاصته :

هل يصح ان يتوهم ان ما اراد الرسول (ص) كتابته ، كان امرا مخفياً على الحاضرين ، مستوراً على المستمعين^١ ؟ او كان في نظرهم وبحسب تصورهم ، امراً راجعاً بشأن موضوع جزئي شخصي لا يضر بشخص خاص من الحاضرين ، او بغرض مخصوص منهم ، ومع هذا بادر بعض من خالف ممن حضر بقوله في حق من نزل في شأنه :

« مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى » وانه :

« مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ . اِنْ هُوَ اِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ »

بانته (ص) « هَجَرَ » (نعوذ بالله) كما نقل على طريق الخبر ، او « آهَجَرَ » على سبيل الأنشاء والاستفهام ، كما رايت في ما نقل عن صحيح البخارى ، فصار بهذا القول الزور والكلام الساقط المرذول ، سبباً للاختلاف واللغط وباعثاً لأنضجار النبى (ص) وانصرافه عما اراد وقصد . ؟

١٥٣ - ملاحظة كلام المانع

نذر ذلك القوك الزور والكلام الباطل يموت بترك ذكره ونظر الى ذلك - الكلام الذى صدر بتعبير ، اعلمه بحسب الظاهر ، برعاية حريم الأدب اقرب على انه قائله فى الصّحاح والمسانيد معين بشخصه مصرّح باسمه فى المسند « للامام ، ابن-حنبل ، (حديث ٣١١١) بأسناده « ... عن ابن عباس قال :

١ - وكيف يتوهم ذلك وكان ذلك معروفاً عند الناس معمولاً وحسيك ما ترى من عمل ابي بكر (رض) عند سوته من احضاره الكاتب واملائه عليه عهدته فى استخلافه عمر (رض) فاعتبر .

« لما حضر رسول الله (ص) و في البيت رجال و فيهم عمر بن خطاب قال
النبي (ص) :

« [هَلُمَّ] اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده ابداً .

« فقال عمر : ان رسول الله قد غلب عليه الوجع . و عندكم القرآن . حسبنا
كتاب الله .

« فاختلف اهل البيت فاختلفوا فمنهم من يقول : قربوا يكتب لكم كتاباً
لا تضلوا بعده . وفيهم من يقول : ما قال عمر .

« فلما اكثروا اللغو والاختلاف » الى آخر الحديث و ففوق ما ريت عن صحيح -
البخاري آنفاً ، و ورد في صحيح مسلم وغيره ، .

فعلى ماذا ينبغي ان يحمل صدور هذا القول « ان رسول الله قد غلب عليه الوجع !
و عندكم القرآن ! حسبنا كتاب الله ! » وقد صدر عن رجل كان في سامي مراتب السياسة
والدراية والدهاء والعقل والتدبير و اظهار الايمان والاخلاص ؟

١٥٤ - توضيح المقال

هل كان الرجل يحتمل ان الرسول (ص) اذا اطيع امره و جسيء بكتاب و دواؤه
يامر بكتابة شيء في شأن الأمور العادية ! او يوصى برعاية شأن ذلك الرجل او احد
من اصدقائه ، او يُملي عليهم بخلافته او خلافة من لا يخالفه ، من بعده ، ومع هذا النحو
من الاحتمالات بادر بما قال و حال بين الرسول و بين ما اراد بما حال ؟

او ينبغي ان يتوهم ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم اهمته في تلك الحالة
ان يامرهم بكتابة امر يتعلق بالفروع ، كالطهارة والصلوة والصوم والخمس والزكاة
واشباهاها ، من قسم العبادات ، او امر يرتبط بقسم العقود والمعاملات ، كالبيع والصلح والمزارعة
والمساقاة والقراض والسكاح واضرابها ، او امر يرتبط بالايقاعات ، كالطلاق و امثالها ،
او امر يرتبط بالاحكام ، كالغصب والارث والاقرار ، او بالسياسات ، كالحدود والديات

والتعزيرات؟ فأمرهم الرسول صلى الله عليه وآله بأتيان الكتاب والدّواة ليكتب لهم ما لن يضلّوا بعده ابداً، فمنعهم عن اطاعة الرسول من منع، ولهج بما لهج حتى حصل الغوغا، وحدث الاختلاف والبغضاء، وتأثر عن ذلك من عصمه الله عن الزلل والخطل والخطاء، حتى اظهر انصرافه عمّا أمرهم بالقيام من عنده والخروج من بيته .

ثمّ انه لو فرض ان ذلك الامر الذي اراد الرسول كتابته كان من قبيل الأمور- المذكورة فما الذي حمل الرسول على كتابة خصوص هذا الحكم وقد جرت العادة في ابلاغ الاحكام كلّها شفهيّاً لا كتبيّاً؟ وماذا يمكن ان يكون ذلك الحكم الجزئي المقيّد المحدود المفروض كونه من تلك الاحكام كى يعصم الأمة من الضلالة الكلية المطلقة؟ وبعدها التّيسر والتّيسر لو كان منها وكان امر امصرحاً فى كتاب الله وكان حسّب الأمة ذلك و يكفيهم، فكيف خفى على الرسول ولم يعرف (والعياذ بالله) انّ الأمة عندهم كتاب الله وهو حسبهم وهم فى غنبيّة عن ان يكتب لهم ما لا يضلّون بعده ابداً، وظهر ذلك على فرد من الأمة، بعد ما كان خافياً على الرسول، فنبّه الأمة وعرفهم ذلك؟ او يتصوّر ان يكون امرٌ بهذا الشأن، الخطير الذى يكون العلم به موجبا لعدم الضلال المطاق الى ابدالآباد ويكون بحيث يقول ابن عباس، حبر الأمة وفقهها، بعد- الواقعة: «... الرّزيّة كل الرّزيّة.... الخ»، من مقولة ما عرفت وقلنا؟

ثمّ لو كان كذلك وما كانت ارادة الرسول ناظرة الى الكتابة فى شأن الخلافة وكانت الخلافة عند ابن عباس قبل خلافة عليّ واقعة موقعها مستقرة فى قرارها وموضعها فماذا اراد ابن عباس من قوله «الرّزيّة....»؟

١٥٥ - سؤال عمّا يرتفع به الضلال

وكيف كان يخلع بالبال هنا سؤالٌ وهو انه هب ان يتسامح فى كلام عمر او اى رجل كان، وذو ما اراد ورام ممّا لهج وقال، كى يكون مشكوك الصدور، مشكوك المراد، اليس كلام الرسول فى طلبه اللوح والدّواة، لحفظ الامّة عن الضلالة مقطوع الصدور، منصوص المنفاد؟ والتيسر المنع عن الكتابة وانصراف الرسول امر

معلوم؟ مقطوع وحينئذ يقال: كلام الرسول ظاهر في ان عدم الضلال للامة ابدأ منوط بما يريد ان يكتب فاذا لم يتحقق ما اريد لم يتحقق ما اُنيط .
وعلى هذا فغير الشيعة ، التي تعتقد دركها مراد الرسول والاطاعة له والعمل به ، وهو منكر لما تعتقده الشيعة من مراد الرسول ولا يعرف ايضاً شيئاً آخر لما اراده فيطيعه و يوافق عمله عليه كي لا يضلّ ابداً ، كيف يكون له الحال من حيث عدم الضلال ؟ فتدبر جيداً .

١٥٥ - غرض المانع

مما تعتقده الشيعة ، عصمة الانبياء والرسول ولا سيما سيدهم وخاتمهم وسيد الكل ، محمد بن عبدالله . وتعتقد اعتقاداً راسخاً باتاً بانّه ، صلى الله عليه وآله وسلم ، ما ضلّ و ما غوى لا في حال السلامة ولا في حال غلبة الوجد ! وما ينطق عن الهوى لا بالطمع ولا للفرع ، وتعتقد ان اطاعة الرسول و الانقياد لأوامره واجبة في كل حال « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَ أَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ٢٠ »^١ فتقف عند قول الرجل ، ولو بدّل بالأنشاء ، الخبر واستصح بلفظة « آهجر » ، وتكل امر القائل الى ما قضى الله له وقد رثم تنظر الى ما نقل ، حتى في صحاحهم عن عمرو من تلك العبارة الساقطة - الساخطة المستبشرة : « ان الرسول قد غلب عليه الوجد » ، ولا سيما مع اردافها بقوله « وعندكم القرآن . وحسبنا كتاب الله » ، وترى فيها ما دُبّر من السياسة وتتعجب فتقول :

اذا فرض ان الناطق بها كان لا يحب خلافة علي ، او يحب ويريد استخلاف غير علي ، او كان يتوقعها لنفسه ، ويتيقن ان امر الكتابة لو تم لا يتم الا باستخلاف علي ولا تضر تلك الكتابة احداً الا من كان مائلا الى الخلافة ، آملاً لها ، آيساً ان تكون الكتابة بشأنه و في حقه ، او بشأن من يريده ويحبه ، فماذا على ذلك المتيقظ العارف بالحال ان يفعل او يقول في ذلك المجال كي يدفع او يرفع ما رامه الرسول (ص) واراد؟ هل يوجد في شرع السياسة و عرف التدبير طريق اقصر و اثر مما سلكه

واشاد؟ او قول "انفذوا عرق في الممخادعة مما خادع به وكاد؟

او ليس في استعمال تلك الكلمة او التعبير بهذه العبارة استنتاج احدى النتيجتين

ضرورياً لامناص منه؟:

١ - فان اثر المنع والتكلم بذاك الكلام البشع الكريه و تلك العبارة المرذولة ، في النفس النبوية المعصومة وحدث منه اللفظ والاختلاف فصار سبباً لانصراف الرسول عمّا اراد وامر، كما اثر وانصرف ورفض^١ فهو المطلوب المؤثر .

٢ - وان لم يؤثر في نفسه الزكية الطاهرة فألحّ واكد ما اراد، واصرّ وابرم ما رام، واطهر ما خفى من قصده، وكشف عن مستور ضميره، وامر بكتابة ما أمر به، فلهذا الكلام المرذول اثره التلازم المقصود وهو انقسام العروة بألقاء الشبهة وحلّ العقدة باحداث الشكك والريبة .

وفي ما نقلناه عن كتاب « البدء والتاريخ » آنفاً، مسندا عن الشعبي عن ابن عباس: «... وقال عمر: قد غلبه الوجع، من لفلاة؟...» ولعلهما كانتا من الرواقي اي صاحبات الرقي^٢، تظهر على المتأمل المنصف جلية الحال في ما فعل المانع وقال،

١ - في المسند للإمام أحمد بن حنبل (الجزء الخامس) بأسناده عن جابر : « ان النبي دعا عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتابا لا يضلون بعده. قال: فخالف عليها عمر بن الخطاب حتى رفضها » اقول : كان عمر (رض) على ما يرى في مواضع متفرقة يرى جواز مخالفة الرسول (ص) بحسب اجتهاده ورايه سواء في حياته (ص) او بعد وفاته ! قال الشيخ الامام ابو عبدالله الدمشقي الحنبلي، المعروف بابن القيم الجوزي، (٦٩١-٥٧٥ ق.) في المجلد الاول (الصفحة ٢٦٢) من كتابه (زاد المعاد في هدى خير العباد) : «... وان المغيرة بن شعبة يكنى بابي عيسى فقال له عمر : اما يكفيك ان تكنى بابي عبدالله؟ فقال : رسول الله (ص) كنانتي . فقال : ان رسول الله قد غفر له من ذنبه ما تقدم وما تأخر وانا لفي جلجلتنا . فلم يزل يكنى بابي عبدالله حتى هلك » . وفي الاغانى (الجزء الثالث عشر ذيل ترجمة المغيرة بن شعبة وردت هذه الحكاية مع اختلاف يسير . فراجع .

٢ - في الصحاح « الرقية معروفة والجمع رقى ... وقول الراجز : لقد علمت والاجل- الباقي » ان لن ترد القدر الرواقي . كأنه جمع امرأة راقية ... »

وفي ما أكد الرسول (ص) من قوله: دَعُونِي دَعُونِي... قَوْمُوا...»، كما في البدء والتاريخ، او قوله (ص): «ذَرُونِي فَإِنِّي أَنَا فِيهِ خَيْرٌ مِمَّا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ» كما في الصحيح للبخاري، فتدبر.

١٥٦ - مخرج الكلام المانع!

قال عز الدين، عبد الحميد بن ابي الحديد في شرحه على نهج البلاغة:
«وقال (يعني عمر): «مُتَعَتَانِ كَانَتَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ (ص)، وَأَنَا مُحَرَّمُهُمَا وَمُعَاقِبٌ عَلَيْهِمَا: مُتَعَةُ النِّسَاءِ وَمُتَعَةُ الْحَجِّ» وهذا الكلام وان كان ظاهره منكراً فله عندنا مخرجٌ وتأويل وقد ذكره اصحابنا الفقهاء في كتبهم.

«وكان في اخلاق عمر، والفاظه جفاءً وعنجهيةً ظاهريةً يحسبها السامع لها انه اراد بها ما لم يكن قد اراد: او يتوهم من تحكي له انه قصدها بها ظاهراً ما لم يقصده».

ثم قال:

«فمنها الكلمة التي قالها في مرض رسول الله (ص) ومعاذ الله ان يقصدها بظاهرها ولكنها ارسلها على مقتضى خشونة غريزية ولم يتحفظ منها، وكان الأحسن ان يقول: مغموراً او مغلوباً بالمرض» وحاشاه ان يعنى به غير ذلك».

١ - هذا القول «الاحسن» المقبول عند ابن ابي الحديد ايضا مردود عند-

الشيعة لان الشيعة لاعتقادها «العصمة» للرسول، صلى الله عليه وآله، بمعناها الذي تعتقده، لا يسلم، بل ولا يتوهم، ان يكون للمرض امكان ان يغلب الرسول او يغمره بحيث يصير جائزاً لمسلم ان لا يصبغى الى قوله ولا يطيعه في اسره. ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق في اية حالة عن الهوى. ثم كيف يمكن ان يحمل ذلك القول على غير ظاهره مع ان حجبية ظواهر الالفاظ مما لا يكاد ان يتكرر ولا سيما هذا القول المقرون بالعمل وهو «المنع»؟ فتدبر.

١٥٧ - اعتراف عمر بمنعه عن الكتابة

قال ابن ابي الحديد ايضا (الجزء الثانى عشر من شرحه فى ذيل كلامه عليه السلام
« لله بلاد فلان فقد قوم الأمد... ») :

« عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال :

« دخلت على عمر فى اول خلافته وقد القى له صاعٌ من تمر على خصفة. فدعانى
الى الأكل فاكلتُ ثمرةً واحدةً واقبل يأكل حتى اتى عليه ثم شرب من جرةٍ كانت
عنده واستلقى على مرفقة له وطفق يحمدا لله، يكرر ذلك . ثم قال :

« من اين جئت يا عبد الله ؟

« قلت من المسجد .

« قال : كيف خلّفت ابن عمّك؟ فظننته يعنى عبد الله بن جعفر

« قال : لم أعن ذلك . انما عنيتُ عظيمكم اهل البيت .

« قلت : خلقتُه يمتحُ بالغرْب (الدلو العظيمة) على نجيلات من فلان ،
وهو يقرأ القرآن .

« قال : يا عبد الله عليك ماء (؟) (مائة) البُدُن ان كتمتها . هل بقى فى نفسه

شئٌ من امر الخلافة ؟

« قلت : نعم .

« قال : آيزعمُ ان رسول الله نصّ عليه ؟

« قلت : نعم . وازيدك : سألتُ ابى عمّا يدعيه فقال : صدق .

« فقال عمر : لقد كان من رسول الله ، ولقد اراد فى مرضه ان يصرّح باسمه فمنعت

من ذلك اشفاقاً وحيطة على الاسلام ! لا وربّ هذه البنية لاتجتمع عليه قریش ابداً

ولو وليها لانتقضت عليه العرب من اقطارها . فعلم رسول الله انى علمت ما فى نفسه فأمسك

وابى الله الا امضاء ما حتم .»

ثم قال ابن أبي الحديد:

« ذكر هذا الخبر احمد بن ابي طاهر صاحب كتاب تاريخ بغداد في كتابه^١

مسنداً » .

وكيف كان خالف عمر (رض) رسول الله في امره (ص) باتيان اللوح والدّواة وانجرّ الخلاف الى اللّغظ والأختلاف بحيث « رفض » النّبى (ص) ما قصد و اراد ونال عمر بما شاء وكان له المراد .

ففى المسند للإمام احمد بن محمد بن حنبل بأسناده الى جابر .

١ - كتاب تاريخ بغداد هذا الذى ذكره ابن ابي الحديد هنا ، غير تاريخ بغداد - المعروف تاليف ابي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي (المتوفى سنة ٤٦٣ هـ . ق .) وكان ذلك مقدماً بالزمان على هذا . فقد نقل الخطيب عن ذلك الكتاب فى تاريخه فقال (فى المجلد الاول) عند « ذكر مقدار ذرع جانبي بغداد » : « اخبرنا محمد بن علي الوراق ... قال : ذكر احمد بن ابي طاهر فى « كتاب بغداد » ان ذرع ... الخ » وعلى هذا كان عنوان الكتاب وسمته « كتاب بغداد » لا « كتاب تاريخ بغداد » كما ورد فى عبارة ابن ابي الحديد ولعله كانت زيادة كلمة « تاريخ » من ابن ابي الحديد ويؤيد ذلك ما ذكره ابن النديم فى « الفهرست » (فى تعديد مؤلفات احمد بن ابي طاهر بقوله : « وله من الكتب ... كتاب بغداد » هذا ، ولكن ياقوت الحموى قال فى معجم الادباء (ذيل ترجمة ابي الفضل احمد بن ابي طاهر) : « واسم طاهر طيفور ، مروزي الاصل ، احد البلغاء الشعراء ، الرواة ، من اهل الفهم ، المذكورين بالعلم ، وهو صاحب كتاب « تاريخ بغداد » فى اخبار الخلفاء والامراء وایامهم . مات سنة ثمانين ومائتين ... »

ونقل ياقوت فى ما نقل عن ابن النديم ، فى تعديد كتب ابن ابي طاهر « كتاب بغداد » وعلى هذا يحتمل زيادة كلمة « تاريخ » فى كلام ياقوت ايضا ويحتمل ان يكون - الكتاب معنونا بكلا العنوانين ولعله كان عنوانه الحقيقى « كتاب اخبار بغداد » كما ورد فى « مروج الذهب » للمسعودى (٢٤٦) فانه فى اول الجزء الاول منه (بعد ما قال : « وقد ألف الناس كتباً فى التاريخ والاخبار ... » وعدة من المؤلفين وسمى كتبهم فى هذا الباب) قال : « و احمد بن ابي طاهر صاحب كتاب المعروف بـ « اخبار بغداد » ... » وقال فى الجزء - الثالى منه (الصفحة ٤٨٩) ، ذيل ترجمة المعتضد : « وكانت وفاة احمد بن ابي طاهر - الكاتب صاحب كتاب اخبار بغداد سنة ثمانين ومائتين » .

« انّ النبيّ دعا عند موته بصحيفة ليكتب فيها كتاباً لا يضلّون بعده. قال (يعني جابر) : فخالف عليها عمر بن الخطّاب حتّى رفضها » .

١٥٨ - توجيه انصراف الرّسول

ولعلّ زاعم يزعم أنّ مرامه الرّسول (ص) ان كان امراً له هذا الشّأن الجليل فكيف رفضه الرّسول وانصرف عنه؟ فليتكبر انّ الامر صار دائراً بين المهمّ والأهمّ ولا ريب في حكم العقل بان اختيار الأهمّ، اقوم والزم . وذلك لأنّه لمّا رأى رسول الله (ص) خلاف من خالف ، وهو رأس اهل الحلّ والعقد ورئيسهم ، خاف ان ينجرّ الخلاف في الخلافة الى الخلاف في اصل الرّسالة^١ لأن القوم كانوا حديثي عهد بالاسلام فاذا حدث الاختلاف بين اكابرهم يرتدّون ويرجعون القهقريّ وينبذون سائر الأحكام والأوامر ايضاً وراء ظهورهم العوجاء .

وكأنّه كان الأمر منه (ص) بأتيان ما أمرّ ، مع كونه عارفاً بالأوضاع والأحوال وما سيحدث من المخالفة والأمتناع ، لملاحظة امور :

١ - وقد صرح الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بذلك ، كما نقله ابن ابي الحديد (شرح نهج البلاغة - الجزء الثاني - الصفحة ٧٨ -) ، وسنذكره في محل آخر من حديث ذهاب عائشة الى ام سلمة « لمخادعتها على الخروج للطلب بدم عثمان ... » ووقوع تذكيرات من ام سلمة لعائشة واعترافها بها: « ... قالت ام سلمة : واذكرك ايضاً: كنت انا وانت مع رسول الله (ص) في سفر له ، وكان عليّ يتعاهد نعلي رسول الله (ص) فيخصفها ويتعاهد اثوابه فيغسلها فنقبت له نعل فاخذها يومئذ يخصفها وقعد في ظل سمرة وجاء ابوك ومعه عمر فاستأذنا عليه . فقمنا الى العجائب ودخلا يحادثاه في ما ارادا . ثمّ قال : يا رسول الله انا لاندري قدر ما تصحبنا فلوا علمتنا من يستخلف علينا ليكون لنا بعدك مفزعا . فقال لهما : اما الى قدارى مكانه ولو فعلت لتفرقتم عنه كما تفرقت بنو اسرائيل عن هرون بن عمران فسكتا . ثمّ خرجا . فلما خرجنا الى رسول الله (ص) قلت له وكنت اجرا عليه منا ، من كنت يا رسول الله مستخلفاً عليهم؟ فقال : خاصف النعل . فنزلنا فلم نر احداً الا علياً . فقلت يا رسول الله ما ارى الا علياً . فقال : هو ذاك فقالت عائشة : نعم اذكر ذلك ... »

- ١ - لعلّ من يبطن الخلاف لا يتجرّى ، والحال تلك الحال ، على اظهار ما كان يكمنه وبيطنه من المخالفة .
- ٢ - تمييز المخالف من الموافق ، والمطيع عن غيره .
- ٣ - تنبيه الأمة وابقاظهم لمعرفة من خالف .
- ٤ - لفت الأنظار الى مكانة المخالفة لمكان شأن المخالف والدلالة على وجه العذر في الانصراف والرفض .

١٥٩ - فائدة امر الرسول

مما ينبغي ان يتوجه اليه و يتذكر هنا هو ان امر النبيّ (ص) بأتيان الكتاب والدّواة كان له اثره المطلوب على اى حال وذلك لأنه لو كان الأمر يؤدّى الى الموافقة والأطاعة منهم ، فيملى الرسول عليهم ما اراد فالمطلوب حاصل وان كان يُفضى الى الخلاف ، كما حدث ، فلامحالة ينعكس صديقه فتطلع الأمة فى الأزمنة اللاحقة التى تغيرت تلك الاوضاع والأحوال وزهقت الأطماع والأموال والأهوال ، فيتوجه من ليس له نظر الا الى استخراج الحقائق من المتون واستظهار الوقائع من البطون والكمون ، ويتدبّر فى تشخيص ارادة الرسول و توجيهها و يتفكّر فى تعليل المخالفة وتحليلها فيعرف مراد الرسول (ص) ويخضع له بالأطاعة والقبول وهو المطلوب .

« وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ٦٩ » .

١٦٠ - ماترك الرسول للأمة

ولنرجع الى ما كنّا فيه ، من حديث وفاة الرسول (ص) :
توفّى النبيّ ، وقد وفقه الله تعالى و ايده لأداء الرسالة وتمام الدعوة كمال التوفيق

فقد خلف لهداية الناس و تزكيتهم وتعليمهم منهاجاً قويماً وبرنامجاً مستقيماً بل ترك، فيهم نوراً مبيناً وسراجاً منيراً: « القرآن وما من شئونه وفروعه، هي السنة » .

ثم خلف لبيان هذا المنهاج، الهادي للتي هي اقوم، ولتفسيره وتاويله وحراسة مآربه ومقاصده السامية العليا وارشاد الخلق اليها، قادة هداةً وساسةً دُعاةً وائمةً كُفاةً: « اهل بيته المكرمة وعترته الطيبة الطاهرة، وعلى اصل العترة ورأسها » ونصّ على انهما لا يفترقان حتى يردا عليه الحوض :

وبعد ذلك فالامة واختيارها فان عرفت شأنهما وتمسكت بهما سلكت طريق-
الرشاد والهداية، وفازت بالكمال والصلاح، ونالت بالسعادة والسداد وان رفضت جمعتهما تورطت في الغواية والضلالة وتخبطت في الهلكة والشقاوة قوله صلى الله عليه وآله وسلم: « . . . وانتي تركت في ما بينكم اثنين لن تضلوا ما ان تمسكتم بهما من بعدي : كتاب الله وعترتي »^١ .

كتاب الله والعترة

١٦١ - عليّ هو الهادي

قال محمد بن جرير الطبري في تفسيره (ذيل آية « اِنَّمَا اَنْتَ مَنَّذِرٌ وَّلِيكُلٌّ قَوْمٍ هَادٍ - سورة الرعد) :
« حدثنا احمد بن يحيى عن ... عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال :

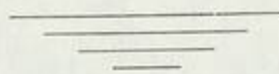
« لما نزلت « اِنَّمَا اَنْتَ مَنَّذِرٌ ، وَّلِيكُلٌّ قَوْمٍ هَادٍ » وضع صلى الله عليه وسلم يده على صدره فقال :
« اِنَّا الْمُنْذِرُ ، وَّلِيكُلٌّ قَوْمٍ هَادٍ وَاوْمًا بِيَدِهِ عَلِيٌّ مَنَّكِبٌ عَلَيَّ فَقَالَ :
« اَنْتَ الْهَادِي يَا عَلِيُّ ، بِيكُتِّ بِيَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ بَعْدِي »^٢ .

علي يهدي
المهتدون
بعدا الرسول (ص)

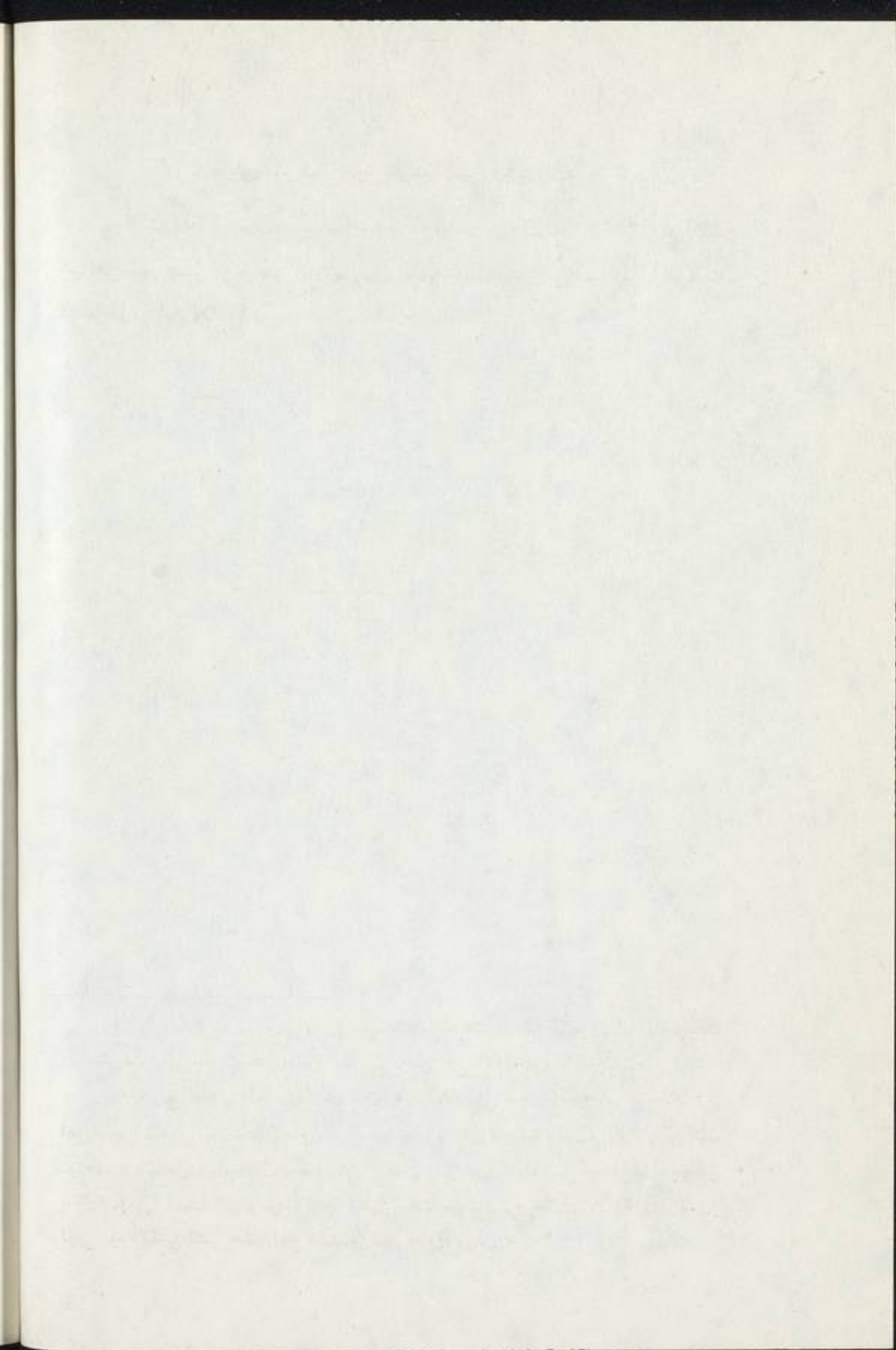
١ - ترجمة تفسير محمد بن جرير الطبري (سورة محمد ، ص ،) .

٢ - وفي كلمة « بعدي » وفي كلمة « من بعدي » في الرواية المذكورة أنفاً ما لا يخفى على المنصف المتدبر.

كانت وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يوم الاثنين بلاخلاف و لليلتين
بقيتا من شهر صفر الخير على المشهور بين الشيعة والمحكي عن التهذيب^١ من السنة
العاشرة وهو ابن ثلاث وستين سنة .



١- وفي الكافي «... وبقى بمكة بعدبعثه ثلاثة عشرسنة ثم هاجر الى المدينة ومكث
بها عشر سنين ثم قبض لائنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الاول يوم الاثنين...»
وفي تاريخ الطبرى «اما اليوم الذى مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلاخلاف بين
اهل العلم بالاخبار، فيه انه كان يوم الاثنين من شهر ربيع الاول غير انه اختلف فى اى الاثنان كان
موته، صلى الله عليه وسلم، فقال بعضهم فى ذلك عن فقهاء اهل الحجاز قالوا : قبض
رسول الله (ص) نصف النهار يوم الاثنين لليلتين مضتا من شهر ربيع الاول... وقال الواقدي:
توفى يوم الاثنين لثنتى عشره ليلة خلت من شهر ربيع الاول...»



« إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ
 أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً »
 (الآية ال ۳۳ - من سورة الاحزاب -)

« وَسئِلت عائشة ، رضی الله عنها عن
 امیر المؤمنین علی بن ابی طالب رضی الله عنه،
 فقالت :

« وَمَا عَسَيْتُ أَنْ أَقُولَ فِيهِ وَهُوَ
 أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَسَلَّمَ قَدْ جَمَعَ شَمَلَتَهُ عَلَى عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ
 وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَقَالَ : هَؤُلَاءِ أَهْلُ
 بَيْتِي ، اللَّهُمَّ اذْهَبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ
 وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً .
 « قيل لها :

« فكيف سرت إليه ؟ قالت انا نادمة وكان
 ذلك قدراً مقدوراً » .

(المحاسن والمساوي للبيهقي)

۱ - من هي عترة الرسول الطاهرة ؟

۲ - آية التطهير .

۳ - مقام اهل البيت .

۴ - موضع علي في العترة .

۵ - علي في نشأته وتكوّنه الذاتى .

۶ - نبذة مما صحّ في شأن عليّ .

۱۰ - حَوْل العترة واهل البيت :

١٦٢ - من هي عترة الرسول الطاهرة؟

كانت للرسول، صلى الله عليه وآله وسلم، ازواج عدة، اولهن زواجا، واكملهن شرفاً وكرامة، واشرفهن نتاجاً، سيّدة نساء مكّة و « سيّدة نساء الجنّة » خديجة بنت خويلد .

سبقّت خديجة باسلامها على غيرها من النساء والرجال، وصلت قبل كل واحدٍ مع الرسول، وانفقت ثروتها الوفيرة في سبيل اعلاء كلمة التوحيد وتأييد الاسلام والمسلمين، وجدّت واجتهدت لحفظ الرسول ونشر الرسالة وبثّ الايمان، واصطبرت في الشدائد والنوائب كلّها مع الرسول، وتجرّعت الغصص والهموم حتّى رفعها الله الى ملكوته العليا، واختار لها القرب بجواره الاعلى، في العاشر من شهر رمضان المبارك من السنة العاشرة للبعثة، بمكّة، وهي بنت خمس وستين سنة .

اسلام خديجة

كانت خديجة حبيبة رسول الله فهو، صلى الله عليه وآله وسلم، يُحبّها، ويُكثر من ذكرها، ففي حديث عائشة، كما في صحيح البخارى ومسلم :
« ما غيرتُ على احدٍ من نساء النبيّ (ص) ما غيرتُ على خديجة، ومارايتها ولكنّ النبيّ يُكثرُ ذِكْرَها وربما ذبح الشاةَ ثمّ يقطعها اعضاءاً ثمّ يبعثها في صدائق خديجة .

« فقلت له : كأنّه لم يكن في الدنيا الا خديجة ! فيقول :
« انها كانت حبيبة لي ، وكانت عاقلةً ، وكان لى منها ولد .

وزاد مسلم « وانتي رزقتُ حبّها » .

رُزقتُ خديجة من رسول الله عدة اولاد: القاسم وعبدالله، الملقين بالطيب والظاهر، ومن البنات : زينب ورقية وامّ كلثوم، ثمّ فاطمة الزهراء، وهي اصغر بناتها .

ام المؤمنين
خديجة وحب
النبي (ص) لها

اولاد خديجة
من النبي (ص)

١٦٣ - فاطمة الزهراء

كان الرسول (ص) يحب ابنته فاطمة اشد الحب ، يحبها لأنها نذكار لزوجته - الجليلة الحبيبة ، التي فدت بنفسها وبما لها ، الوفير في سبيله ، وسبيل دعوته ، يحبها لمكان فضائلها النفسية ومكارمها الذاتية^١ ، فهي كما أعلن الرسول (ص) في حقها بضعة منه من اذيلها فقد اذيله ، ولذلك هي سيّدة نساء العالمين ، يحبها لأنها أم الذرية واصل العترة ، منها نسلت سلالة النبوة وبها انتشرت سادة الطاهرين اولاد سيّد المرسلين ، الائمة المعصومين ، والهداة المهديين .

في صحيح البخارى باب مناقب قرابة رسول الله ومنقبه فاطمة عليها السلام بنت - النبى ، صلى الله عليه وسلم :

« وقال النبى صلى الله عليه وسلم :

« فاطمة سيّدة نساء اهل الجنة » (الجزء الخامس - الصفحة ٢٠ -) .

وفيه ايضا ، فى الباب المذكور (الصفحة ال ٢١) : بالاسناد عن المسور بن مخرمة ان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . قال :

« فاطمة بضعة منى فمن اغضبها اغضبني » .

وفيه ، ايضا (الجزء الرابع - الصفحة ال ٢٠٣ -) بأسناده عن عائشة (رض) :

قالت :

« اقبلت فاطمة تمشى كأن ميسيتها مشى النبى (ص) فقال النبى (ص) :

١ - نفل الخطيب البغدادي (المتوفى سنة ٤٦٣ هـ . ق .) فى تاريخه (فى ترجمة حسين بن معاذ) بأسناده عن عائشة ، ام المؤمنين ، انها قالت : قال رسول الله :

« اذا كان يوم القيامة نادى سناد : يا معشر الخلائق طاطاوا رؤسكم حتى تجوز فاطمة بنت محمد » ونقل بسند آخر عنها عن النبى (ص) :

« ينادى سناد يوم القيامة : غضوا ابصاركم حتى تمر فاطمة بنت محمد » .

« مرحباً بابنتي » ثم اجلسها عن يمينه ، او عن شماله ، ثم اسرَّ اليها حديثاً فبكت .

« فقال لها : لِمَ تبكين؟ .

ثم اسرَّ لها حديثاً فضحكت .

« فقلت : مارايتُ كالـيوم فرحاً اقربَ من حزن .

فسألتها عما قال . « فقالت : ما كنتُ اُفشي سرَّ رسول الله . حتى قبض

النبي فسألتها . فقالت :

« اسرَّ الـيَّ ان جبريل كان يعارضني القرآن كلَّ سنهٍ مرهً وانه

عارضني العام مرتين ، ولا اراه الا حصر اجلي وَاِنَّكَ اَوَّل اهل بيتي

لِحاقاً بي . فبكت . فقال : اما ترضين ان تكون سيده نساء اهل الجنة؟ ،

اونساء المؤمنين ، فضحكت لذلك .

وعن صحيح مسلم ١ :

« انما فاطمة بضعة مني ، يؤذيني من اذاها ويُسِرُّني من اسرها »

وعن الترمذي ١ :

« انَّها بضعة مني يُرِيْبُنِي ما رابها ويؤذيني ما آذاها .

« وعن عائشة ، وقد سُئِلَتْ : ايُّ الناس احبَّ الـي النبي (ص)؟ قالت : فاطمة .

قيل : من الرجال؟ قالت : زوجها .

« اخرجه الترمذي .

« وعنـها قالت : ما رايتُ رجلاً احبَّ الـي النبي من علي ولا احبَّ

اليه من فاطمة » ١ .

١٦٤ - علي وفاطمة

لما كانت فاطمة من ابيه الرسول (ص) بهذه المكانة من المحبة الفائقة ،

اختار الرسول لها أَحَبَّ الخلق لديه ، و اقربهم اليه ، وآثرهم عنده ، أولهم اسلاماً ،
 وصدقهم ايماناً ، واكملمهم علماً وفقها ، وفضلهم خلقاً ، واسخيتهم نفساً ، واشجعهم
 قلباً ، وامزهم اشجاعة ، واشدّهم جهاداً ، واسدّهم اقداماً ، وازيدهم اخلاصاً ، واخلصهم
 عملاً ، واغزهم اجتهاداً ، واعرقهم حسبا ونسباً و ادباً ، واشبههم بنفس الرسول كمالاً ،
 وانسبهم له اسرةً ونجاراً ، و اكثرهم له طاعة و حباً و وداداً ، الا وهو ابن عمّه ،
 الذي ربّاه من اوان صباه ، كولد له في حجره ، وارفضاه اخاً لنفسه ، بل واصطفاه ، على
 ما في آية المباهلة ، عَيْنَ نَفْسِهِ .

١٦٥ - الحسن والحسين ابنا رسول الله

اختار ، صلى الله عليه وآله وسلم ، لبضعته الحبيبة ، حبيبه الفداء ، وزوجها منه ،
 فقرن السعدين بزواج الحبيين ، وصارت نتيجة ذلك القران السعد ، والزواج المبارك ،
 منهما عدة اولاد ذكوراً و اناثاً منهم ابنا سمى الرسول (ص) اكبرهما باسم « الحسن »
 واصغرهما باسم « الحسين » وكان ينظر اليهما نظر الوالد الرؤف الرحيم الى ولده الصميم
 ويحبهما حباً شديداً يتجاهر به ، وكثيراً ما يعبر عنهما بلفظة « ابناي » ، ويعرفهما
 بانتهما سيّدا شباب اهل الجنة وهما امامان قاما او قعدا .

١٦٦ - حُبّ النّبىّ (ص) الحسنين وابويهما (ع)

نقل الشيخ سليمان الحنفى فى « الباب الرابع والخمسون - فى فضائل الحسن
 والحسين رضى الله عنهما » من كتابه القيم ، بنايب المودّة ، عدّة احاديث « صحيحة »
 و « حسنة » فى حُبّ النّبىّ (ص) لهما ، يناسب ان يُورَدَ هنا بعض منها .

١ - « المزير ، الشديد القلب ... قال العباس بن مرداس :

ترى الرجل النحيف فتزدرية
 و يرى اسد مزير .
 (صحاح)

ابنا رسول الله
 سيّدا شباب
 اهل الجنة

فمنها :

« في سنن الترمذى : حدثنا . . . (بأسناده) ان رسول الله (ص) اخذ بيد

الحسن والحسين وقال :

(حب النبي (ص)
فاطمة و ابنه
واباهما

« مَنْ أَحَبَّنِي وَأَحَبَّ هَلْدَيْنِ وَأَبَاهُمَا وَأُمَّهُمَا كَانَ مَعِي

فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ . »

« ايضا اخرج هذا الحديث احمد في «المسند» وموفق الخوارزمي و الترمذى

عن انس بن مالك قال :

« سئل عن رسول الله (ص) : آى اهل بيتك احب اليك؟ قال (ص) :

« الحسن والحسين . »

« وكان ، صلى الله عليه وآله وسلم ، يقول لفاطمة :

« اُدْعُوْنِي لِيْ اِبْنِيَّ . فَيَشْمُهُمَا وَيَضُمُّهُمَا اِلَيْهِ . »

ومنها :

« اخرج الطبرانى عن ابى هريرة قال :

« خرج علينا رسول الله (ص) ومعه حسن و حسين ، هذا على عاتقه وهو يلثم هذا

مرّةً وهذا مرّةً حتى انتهى الينا فقال :

« مَنْ أَحَبَّهُمَا فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ أَبْغَضَنِي . »

« وروى الخطيب فى تاريخ بغداد (بأسناده) عن ابى هريرة قال :

« سمعت رسول الله (ص) يقول :

على غير من ابنه

« مَنْ أَحَبَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَبْغَضَهُمَا فَقَدْ

أَبْغَضَنِي . »

« وروى ايضا فيه (بأسناده) : قال رسول الله (ص) :

« الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ . وَأَبُوهُمَا خَيْرٌ

مِنْهُمَا . »

١٦٧ - حديث الكساء وآية التطهير

قال « شيخ الاسلام ، امام الحنفاظ » ابن حجر العسقلاني الشافعي (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ . ق .) في كتابه « الأصابة » .

« ... واخذردائه فوضعه على علي وفاطمة والحسن والحسين وقال :

« اِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ٣٣ »^١ .

وفي « المسند » للإمام احمد بن محمد بن محمد بن حنبل (الجزء الثالث) بأسناده عن انس بن مالك :

« ان النبي (ص) كان يمر ببيت فاطمة ستة اشهر ، اذا خرج الى الفجر ، فيقول : « الصلوة يا اهل البيت . انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا » .

وفي ينابيع المودة (كتاب مودة القربى) (بأسناده) عن انس بن مالك :

« كان النبي (ص) يأتي كل يوم باب فاطمة عند صلوة الفجر فيقول :

« الصلوة يا اهل البيت . انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا » تسعة اشهر (وفي موضع ستة اشهر) بعد ما نزلت : « وَامْرَأَتِ هَلْكَتْ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ١٣٢ »^٢ .

« وَرَوَى هَذَا الْخَبْرَ عَنْ ثَلَاثِمِائَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ »^٣ .

١ - السورة ال ٢٣ (الاحزاب) .

٢ - السورة ال ٢٠ (طه) .

٣ - هكذا في مودة القربى وقد اشرنا سابقاً ان في محكي « المناقب » لابن مردويه

انه ذكر من مائة وثلاثين طريقاً : « ان « العترة » علي وفاطمة والحسن والحسين »

وفى يبايع المودّة (الباب الرابع والخمسون فى فضائل الحسن والحسين
رضى الله عنهما) :

« وفى مسند احمد من حديث امّ سَلِيمَة قالت :

« دخل علىّ و فاطمة ومعهما الحسن والحسين فوضعهما فى حُجْرِهِ فقبلهما
واعتنق عليّاً باحدى يديّهِ و فاطمة بالأخرى فجعل عليهم خميصه (ثوب مربع)
سوداء . . . »

« وله طرق وفى بعض طرقه « كساء » بدل « خميصه » .

« واصله فى صحيح مسلم عن عائشة قالت :

« خرج النبىّ غداة وعليه مرط مرجّل من شعر اسود فجاء الحسن بن علىّ
فأدخله . ثمّ جاء الحسين فأدخله معه . ثمّ جاءت فاطمة فأدخلها . ثمّ جاء علىّ فأدخله .
ثمّ قال :

« انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهّركم تطهيرا »

وفى كتاب « المحاسن والمساوى » للبيهقى :

« و سئِلْتُ عائشة ، رضى الله عنها ، عن امير المؤمنين علىّ بن ابى طالب ،

رضى الله عنه فقالت :

« فما عسيتُ ان اقول فيه و هو احبّ الناس الى رسول الله ، صلى الله عليه وآله

وسلم . لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جمع شملته علىّ بن علىّ و فاطمة

والحسن والحسين وقال :

« هؤلاء اهل بيتى . اللهم اذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا »

« قيل لها :

« فكيف سرت اليه؟ قالت : انا ناديت . وكان ذلك قدراً مقدوراً .

وفى « تاريخ الخلفاء » للسيوطى (الصفحة ال ١٦٩) .

« واخرج مسلم عن سعد بن ابى وقاص قال :

اصحاب الكساء
وطهارتهم

« لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ «... نَدْعُ ابْنَانَا وَابْنَاتِكُمْ... ٦١ » دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ :
« اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي » .

١٦٨ - العترة هي اهل البيت

قال ابن ابي الحديد في شرحه بياناً لقوله عليه السلام «... وَكَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةٌ نَبِيِّكُمْ » :

« وَقَدْ بَيَّنَّ رَسُولُ اللَّهِ (ص) عِتْرَتَهُ مَنْ هِيَ ؟ لَمَّا قَالَ : « اِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الشَّقَلِيَّيْنَ » فَقَالَ :

« عِتْرَتِي ، اَهْلُ بَيْتِي » .

« وَبَيَّنَّ فِي مَقَامٍ آخَرَ : مَنْ اَهْلُ بَيْتِهِ ؟ حَيْثُ طَرَحَ عَلَيْهِمُ الْكِسَاءَ وَقَالَ حِينَ نَزَلَتْ « اِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ... » :

« اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ اَهْلُ بَيْتِي فَادْهَبِ الرَّجْسَ عَنْهُمْ »

« فَاِنْ قُلْتَ : فَمَنْ هِيَ الْعِتْرَةُ الَّتِي عَنَاهَا امِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذَا الْكَلَامِ ؟
« قُلْتَ : نَفْسَهُ وَوَلَدَهُ . وَالْاَصْلُ ، فِي الْحَقِيقَةِ ، نَفْسُهُ لِأَنَّ وَلَدِيَّهٖ تَابَعَانُ لَهُ
وَنَسَبْتُهُمَا إِلَيْهِ كَنَسْبَةِ الْكَوَاكِبِ الْمَضِيئَةِ مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ الْمَشْرِقَةِ . وَقَدْ نَبَّهَ النَّبِيُّ (ص)
عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ :

« وَأَبْوُوكُمْ خَيْرٌ مِنْكُمْ... »

وَفِي يَنْبِيعِ الْمَوْدَةِ (الصفحة ال ٢٥) عَنْ مُسْلِمٍ بِالْإِسْنَادِ « عَنْ يَزِيدَ بْنِ حَبَّانَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَرْقَمٍ » :

« قَالَ : دَخَلْنَا عَلَيْهِ (يَعْنِي عَلِيَّ بْنَ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ) فَقُلْنَا : لَقَدْ رَأَيْتَ خَيْرًا لَقَدْ
صَاحَبْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ ، حَدَّثْنَا يَا زَيْدُ مَا سَمِعْتَ عَنْ

اهل بيته اهل
الكساء وهم
العترة واصلهم
على (ع)

رسول الله (ص) . . . الى ان قال (ص) : الا وانى تارك فيكم الثقلين احدهما كتاب الله عز وجل . . . وعترتى اهل بيتى . . . فقلنا: من اهل بيته؟ نساؤه؟ قال: آيّم - الله ان المرأة تكون مع الرجل، العصر من الدهر ثم بطلتها فترجع الى ابيها وقومها، واهل بيته صلى الله عليه وسلم اصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده .

قد تحصل مما وردت في هذا الشأن واوردنا نبذة منها ان المراد من «العتره» و«اهل البيت» باتفاق الشيعة وموافقة الأكاير من علماء اهل السنة: هو على وفاطمة والحسن والحسين والذريرة الطاهرة المعصومين من ولد الحسين (المنصوصة اسمائهم والمعروفة اشخاصهم) .

١٦٩ - الصلوة على آل محمد، وهم العتره فى الصلوة

كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحب ابنته، فاطمة، وزوجها، علياً، وابنيهما، الحسن والحسين، حباً يأنهج به، ويفصح عنه، ويتهج بتذكاره، ويلتذ من تكراره، فصرح بذلك مرات متعددة وبعبارات مختلفة تؤدى معنى واحداً وهوان هؤلاءهم منه و«من آذاهم فقد آذاه ومن ابغضهم فقد ابغضه» و«من والا هم فقد والا» و«من عاداهم فقد عاداه» وهم احد الثقلين الذين تركهما لحفظ الأمة عن الضلال .

وكل ذلك لم يكف لوجود النسبة البحتة، بل لمكانتهم الفاضلة، وفضائلهم - السامية، ومناسبتهم الذاتية وسنخيتهم الجوهرية، وكيف لا وهم الذين طهرهم الله واذهب عنهم الرجس، وكرمهم وشرّفهم فجعل علياً والرسول تحت عنوان «انفسنا» فى آية المباهلة وفاطمة بضعة منه والحسن والحسين ابنيه، سيدى شباب اهل الجنة .

فهم «اهل بيت» الرسول (ص) و«عترته»، وهم آله المنتجبون وصفوته، الذين يتوقف على اتصال ذكرهم بالرسول، للتصاية فى التشهد، كمال الصلوة بل صحته.

وهم هداة الأمة وقادتها وسرارة الأمة وساستها .

وقد صرح الرسول (ص) في ما صرح به في غدِير خَم وفي غيره بانَّ « العترة » مع القرآن ، وهما الثقلان تَرَكَهُمَا وخَلَفَهُمَا لحفظ الأمة عن الضلال ، فهما لا يفترقان الى يوم القيام ومن تمسك بهما في اى عصر وزمان و اى بلد ومكان كانا له كافيان فيكون من السعداء ولن يضلّ ولن يشقى^١ .

فى صحيح مسلم بن الحجاج (باب الصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم
الصلوة على الال
فى الصلوات
بعد التشهد) :

« عن ابي مسعود الأنصارى قال : اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن فى مجلس سعد بن عبادة فقال له : بشير بن سعد : امرنا عز وجل ان نصلّى عليك يا رسول الله فكيف نصلى عليك يا رسول الله ؟ قال : فسكت رسول الله (ص) حتى تمنينا انه لم يسأله ثم قال رسول الله (ص) : قولوا :

« اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد . والسلام كما قد علمتم » .

١٧٠ - خطبة الحسن (ع) وتصريحه بانهم العترة

وأحد الثقلين

خطب الحسن بن على عليهما السلام ، بعد بيعة الناس له بالخلافة ، (على ما حكى فى كتاب ينابيع المودة عن كتاب « المناقب » لابن مردويه) فقال فى ما قال :
« نَحْنُ حِزْبُ اللَّهِ الْغَالِبُونَ . وَنَحْنُ عِتْرَةُ رَسُولِهِ الْأَقْرَبُونَ .

١ - قد تكرر، حكاية عن المناقب لابن مردويه ، انه ذكر فيه من مائة وثلاثين طريقاً ان العترة ، التى امرت الامة بالتمسك بها كى لن يضلوا ، هم على وفاطمة والحسنان .

وَنَحْنُ أَهْلُ بَيْتِهِ الطَّيِّبُونَ . وَنَحْنُ أَحَدُ الثَّقَلَيْنِ الَّذِينَ خَلَقَهُمَا جَدِّي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ فِي أُمَّتِهِ . وَنَحْنُ ثَانِي كِتَابِ اللَّهِ ، فِيهِ تَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ فَالْمُعْوَلُ عَلَيْنَا تَفْسِيرُهُ ... »

١٧١ - مثل اهل البيت

العترة، واهل البيت، وآل محمد، هم الذين يعرفون القرآن ويفسرونه وبرشدون الى سبيل الهدى والسعادة ويسلكونه ولهذا قال الرسول في حقهم :
 « ان مثل اهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك »^١ ، او غرق^٢ .
 وايضا قال صلى الله عليه وآله وسلم :
 « وانما مثل اهل بيتي فيكم مثل باب حطة » في بنى اسرائيل من دخله غفرت له .

الى غير ذلك مما قال (ص) في شأنهم و اشار به الى حقهم و بان لبيان مقامهم و فضلهم . كل ذلك لكونهم اكمل و افضل و اتقى و ازهد من كل من سواهم فانهم من الرسول بضعة ، خلقوا من طينته و نوره ، و نشأوا في بيت الوحي و الرسالة ، و رضعوا من ثدى الكرامة و الامامة ، و ربوا في حُجُر الطهارة و السفارة ، لا يقاس بهم من الامة احد ، ولا يوازيهم في صفاتهم و كمالانهم الحسبية و النسبية بشر .
 فهم بتلك الفضائل و الكمالات ، رضيعا لبان مع الحق ، يدور معهم اينما داروا ، و بتلك المكارم و الصفات استحقوا اقتران ذكرهم في التصلية بالرسول (ص) .
 قال الخطيب في تاريخ بغداد (في ترجمة حسين بن نصير) بأسناده عن بريدة الخزازي قال :

١ - « كما عن مشكوة المصابيح » .

٢ - « كما عن جمع الفوائد رواية عن احمد بن حنبل » (ينابيع المودة) .

« قلنا: يا رسول الله قد علمنا كيف « السلام » عليك. فكيف « الصلوة » عليك؟

قال (ص) :

« قُولُوا : اَللّٰهُمَّ اجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَرَحْمَتَكَ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَّآلِ مُحَمَّدٍ كَمَا جَعَلْتَهَا عَلٰى اِبْرَاهِيْمَ اِنَّكَ حَمِيْدٌ مَّجِيْدٌ »

١٧٢ - على لا يُقاس به احد

في « مودة القربى » على ما في ينابيع المودة :

عن ابي وائل عن ابن عمر ، رضى الله عنه ، قال :

« كنا اذا عددنا اصحاب النبى قلنا : ابوبكر وعمر وعثمان » فقال رجل :

يا ابا عبد الرحمن ! فعلى ؟ قال : على من اهل البيت ، لا يُقاسُ به احد . هو مع رسول الله فى درجته . ان الله يقول : « الَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ » ففاطمة مع رسول الله فى درجته وعلى معهما .

وفيه ايضا : « وعن احمد بن محمد الكرزوى البغدادى ، رضى الله عنه ، قال :

سمعت عبد الله بن احمد بن حنبل قال :

« سألت ابي عن « التفضيل » فقال : ابوبكر وعمر وعثمان . ثم سكت .

فقلت :

« يا اَبَتِ : ابن على بن ابي طالب ؟ »

قال : هو من اهل البيت ، لا يُقاسُ به هؤلاء .

قال على نفسه فى كلام له نقله عنه ، الفقيه المالكى ابن عبد ربه (المتوفى

٣٢٨ هـ . ق .) فى كتابه القيم « العقد الفريد » (الجزء الرابع - كتاب العسجدة -) :

« ألا ان الأبرار عترتى ، وأطائب أرومتى ، أحلم الناس صيفاراً
وأعلم الناس كباراً . ألا وانا اهل البيت ، من علم الله علمنا وبحكم الله
حكمتنا ومن قول صادق سمعنا فان تشبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا ،

مقام على
واهل البيت
على ما قال
ابن عمر
واحمد بن حنبل

مَعَنَا رَايَةَ الْحَقِّ مَنْ تَبِعَهَا لِحَقِّ وَمَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا غَرِقَ الْآلِاَ وَبَيْنَا
تُدْرِكُ تِرَةً كُلُّ مُؤْمِنٍ وَبَيْنَا تُخْلَعُ رِبْقَةُ الذُّلِّ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ وَبَيْنَا فَتِيحَ
وَبَيْنَا خُتَيْمَ .

جَعَلَنَا اللَّهُ وَايَاكُمْ مِمَّنْ عَرَفَ لِلْعِتْرَةِ ، الْحَقِّ ، وَأَمِنَ بِمَا قَالَ فِي شَأْنِهِمْ -
الرَّسُولِ الْمَصْدَقِ ، وَعَمِلَ بِمَا أَمَرَ بِهِ مِنَ التَّمَسُّكِ بِهِمْ وَصِدْقٍ . فَتَفُوزُ بِسَعَادَةِ
النَّشْأَتَيْنِ ، بِتَمَسُّكِنَا بِذِيْلِ الثَّقَلَيْنِ .

١٧٣ - مَوْضِعَ عَلِيٍّ مِنَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

كَانَ عَلِيٌّ ابْنُ عَمِّ الرَّسُولِ (ص) وَتَحْتَ كِفَالَتِهِ وَتَرْبِيَتِهِ فِي بَيْتِهِ وَفِي حُجْرِهِ ،
وَكَانَ أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْهِ ، وَأَنْسَهُمْ بِهِ ، وَاخْلَصَهُمْ لِلْإِفْتِدَاءِ فِي سَبِيلِهِ ، وَاحْتَبَهُمْ لَدَيْهِ ،
وَلِذَا زَوَّجَ ابْنَتَهُ الْمَحْبُوبَةَ وَبَضَعْتَهُ الطَّاهِرَةَ مِنْهُ وَاتَّخَذَهُ صَهْرًا لَهُ .

لَمْ يَكُ يَتَجَاوَزُ سَنَةَ عَلِيٍّ سِتَّةَ سِنَةٍ حِينَ ذَهَبَ الرَّسُولُ (ص) مَعَ عَمِّيهِ ، عِمَّاسَ
وَحُمَزَةَ إِلَى بَيْتِ عَمَّتِهِ الْأَكْبَرِ أَبِي طَالِبٍ لِتَخْفِيفِ كَاهِلِهِ عَنْ أَعْبَاءِ الْعَائِلَةِ بِاسْتِصْحَابِ
بَعْضِ وُلْدِهِ فَارْتَضَى النَّبِيُّ (ص) عَلِيًّا وَآتَى بِهِ إِلَى بَيْتِهِ الْمُبَارَكِ كَابِنًا لَهُ ، فَجَعَلَهُ تَحْتَ
تَرْبِيَتِهِ وَتَكْفَلَهُ .

كَانَ ذَلِكَ قَبْلَ بَعْتِهِ (ص) بِالرَّسَالَةِ بِسِنِينَ (سَبْعَ ، أَوْ أَكْثَرَ) فَكَانَ عَلِيٌّ فِي
حُجْرِهِ وَتَحْتَ مِرَاقِبَتِهِ وَتَرْبِيَتِهِ حِينَ بَعَثَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

قَالَ عَلِيٌّ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فِي بَعْضِ كَلِمَاتِهِ الْمَنْقُولَةِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ :

« وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ (ص) بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ
وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ وَضَعْنِي فِي حُجْرِهِ وَأَنَا وَكَيْدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ
وَيَلْقُنِي فِي فَرَاشِهِ وَيَمَسُّسُنِي جَسَدَهُ وَيَشْمُنِي عَرْفَهُ وَكَانَ يَمَضِغُ الشَّيْءَ
ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ .

وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلِي وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلِي .

نشأ علي في حجر
الرسول وفي دار
الوحي وبيت
الانزال

وَلَقَدْ قَرَّبَ اللَّهُ بِهٖ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهٖ ، مِنْ لَدُنْكَ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ
مَلَائِكَتِهِ بِسَلْطَنَتِكَ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ وَمَحَاسِنِ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ ،
لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ .

وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ أَتِّبَاعَ النَّفْصِيْلِ أَنْتَ أُمَّهٖ يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ
عِلْماً مِنْ اخْلَاقِهِ وَيَأْمُرُنِي بِالْإِقْتِدَائِ بِهِ .

هكذا كان موضع علي من رسول الله (ص) كما افصح على نفسه عنه ويعرفه -
الناس منه . بعث الله محمداً بالرسالة فكان على اول من آمن به وصدقه وصلى معه
واتبعه فهو كان كما صرح بنفسه في الخطبة القاصعة :

« . . . فلم يجتمع بيت في الاسلام غير رسول الله وخديجة وانا والثهما .
ارى نور الوحي والرسالة واشم روح النبوة ولقد سمعت رنة الشيطان
حين نزل الوحي عليه (ص) . »

١٧٤ - علي والقرآن

كان علي (ع) مع الرسول (ص) في بيته حين البعثة واول نزول الوحي : « وَاسْتَسْقَى
عُرْوَةً مِنْ مَنبَعِ النَّبُوَّةِ وَرَضَعَتْ شَجَرَتُهُ ثَدْيَ الرَّسَالَةِ وَتَهَدَّكَتْ اغْصَانُهُ
مِنْ نَبْعِ الْأِمَامَةِ وَنَشَأَ فِي دَارِ الْوَحْيِ وَرُبِّيَ فِي بَيْتِ التَّنْزِيلِ وَكَمْ يُفَارِقِ
النَّبِيَّ فِي حَالِ حَيَاتِهِ إِلَى حَالِ وَفَاتِهِ .^١ »

لم يكند يفارقه قبل البعثة وبعدها ، لا في الحضر ولا في السفر ، لا في السهل ولا
في الحزن ، لا في البر ولا في الجبل لا في الضيق ولا في السعة ، لا في الحرب ولا في الصلح
والدعة لا في السر ولا في العلن ، ولا في الشدة ولا في الرخاء .

وقد اشار عليه السلام بذلك حيث قال :

« وَاللَّهِ مَا مِنْ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي بَرٍّ أَوْ سَهْلٍ أَوْ جَبَلٍ فِي لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ إِلَّا وَأَنَا
أَعْلَمُ فِي مَنِ نَزَلَتْ وَفِي أَيْ شَيْءٍ نَزَلَتْ . »

١ - مقتبس من كلامه المنقول في نهج البلاغة .

وحيث قال بعد قدومه الكوفة (على ما فصل في الباب التاسع و الثلاثين من كتاب الينايع) ١ :

« ... اِنِّي لَأَعْرِفُ نَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ وَمَحْكَمَهُ وَمُتَشَابِهَهُ .
وَمَا مِنْ حَرْفٍ نَزَلَ اِلاَّ وَاَنَا اَعْرِفُ فِيْ مَنْ اُنزِلَ وَفِيْ اَيِّ
يَوْمٍ وَفِيْ اَيِّ مَوْضِعٍ اُنزِلَ
اَنَا الَّذِيْ اَنْزَلَ اللهُ فِيْى وَتَعَيَّيْهَا اُذُنٌ وَاَعِيَةٌ » فَاِنَّا كُنَّا عِنْدَ
رَسُولِ اللهِ (ص) فَيُخْبِرُنَا بِالْوَحْيِ فَاَعِيَةٌ وَيَفْهَمُوْنَهُمْ فَاِذَا خَرَجْنَا قَالُوْا : مَاذَا
قَالَ ؟ ١ »

١٧٥ - على مع القرآن لن يفترقا

« وفي رواية طويلة^٢ رواها، في من رواها، الحاكم في المستدرک بسند صحيح
عن ام المؤمنين ام سلمة قالت : « سمعت رسول الله (ص) يقول :
« على مع القرآن والقرآن مع علي لئن يفترقا حتى يريدا على
الحوصن » .

« رواها ايضا احمد بن موسى بن مردويه في كتابه « المناقب » من عدة طرق.
منها بأسناده عن محمد بن ابي بكر قال :

الحق مع على
وعلى مع الحق

« حدثتني عائشة ان رسول الله (ص) قال :
« الحق مع علي لئن يفترقا حتى يريدا على الحوصن » .
« وروى اخطب خطباء خوارزم بأسناده عن ثابت مولى ابي ذر عن ام سلمة
قالت : سمعت رسول الله (ص) يقول :

١ - نقل عن « شرح المواقف » للمدقق الشريف بهذه العبارة : « قوله تعالى : وتعيها

اذن واعية اي حافظه ، اكثر المفسرين على انه على ... »

٢ - بناء المقالة .

« عَلِيٌّ مَعَ الْقُرْآنِ وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّىٰ يَرِدَا عَلِيًّا الْحَوْضَ » .

كتب عليه السلام في جملة ما عهد به الى مالك الأشتر حين ولاء مصر :
 « وَلَوْ رَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أَوْلِيَ الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا » .

اهل الرسول
هم اولو الامر
وهم الذين
يستنبطون

« فَالرَّدُّ إِلَى اللَّهِ ، أَلَا خَذُّ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ . وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ ، أَلَا خَذُّ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ الْغَيْرِ الْمُتَفَرِّقَةِ . وَنَحْنُ أَهْلُ الرَّسُولِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، الَّذِينَ نَسْتَنْبِطُ الْمُحْكَمَ مِنْ كِتَابِهِ وَنُمَيِّزُ الْمُتَشَابِهَ مِنْهُ وَنَعْرِفُ النَّاسِخَ مِمَّا نَسَخَ اللَّهُ ... »

هذه الروايات واضرابها المتواترة تشير كلها الى مقام علي ومرتبه في الدين واحكامه ، وبالنسبة الى القرآن ومقاصده و اغراضه ، وتشير بان عليا « رأس العترة » واصلمها .

١٧٦ - اشارة الى نكتة

وفي ختام هذه الروايات يناسب ان نشير الى نكتة تختلج بالبال وهي :
 ان جملة « لن يفترقا حتى يردا علي الحوض (او لا يفترقا الى) » صدرت عن الرسول ، في موضعين ، لعله لا يوجد لهما ثالث : احدهما في هذه الروايات الواردة بشأن علي مع القرآن وثانيهما ماوردت بشأن « العترة » والقرآن .
 وكذلك جملة « لن تضلوا بعده » (او لاتضلوا بعده ابدآ) صدرت عنه صلى الله عليه وآله وسلم في موضعين ، لعله لا ثالث لهما بهذا الاسلوب ايضآ : احدهما في ما وردت بشأن التمسك بالقرآن والعترة . وثانيهما في ما وردت بشأن الأمر بأتیان كتاب ودواة عند احتضاره ، صلى الله عليه وآله .

أوليس في ذلك تنبيه و ايماء الى كمال ارتباط هذه الموضوعات في تلك -
المواضع بل بالحقيقة اتحادها و وحدتها عند الرسول و في نظره صلى الله عليه وآله وسلم ؟
فتدبر .

١٧٧ - عليّ في نشأه الديني

كان عليّ (ع) كما تعلم اول من سمع القرآن و علمه ، و عمل به ، و تحقّق
بحقيقته ، و تشرف بمعرفته ، و تخلّق باخلاق الرسول العظيمة ، و استضاء من انوار
علومه العميمة ، و اطّلع على بعثه بالرسالة ، فتأدّب بأدابه اقدم و اكثر من اى فرد من -
الصّحابة ، و تأثر من ارشاده و هدايته ، لا سبق و اقدم تأثّر فحسب ، بل اشدّ و انفذ و ادم
تأثّر . يمكن ان يتأثر به غيره ، ممّن فاز بعده بشرف الاسلام و كرامة الصّحبة .

و كيف لا؟ و هو الذى ، مع سبقه بقبوله الاسلام على الكلّ ، باتّفاق الكلّ ، كان
قلبه الشريّف لحدائنه و طهارته كمرآة صافية خالية عن كلّ نقش و رقص ، آلاماً
انتقش فيه ، من جملوات جمال الله الواحد الأحد ، و اشراقات جلاله و عظّمته و قدرته
و كبريائه و جبروته ، و آلاماً علمه الرسول ، صلى الله عليه وآله وسلم ، من حال
مبدئه ، و من برنامج حياته ، و كيفية ما ينبغى له ان يختاره من اطواره و اقواله و اعماله
و افكاره ، و من عاقبة حاله فى معاده ، و صيرورة امره اليه فى مآله ، و آلاماً كان يرى
و يعرف من الرسول من خلوصه و ايمانه و افعاله و صفاته و سائر حالاته .

شدة تأثير تربية
الرسول (ص)
فى عليّ

فلك التجلّيات الالهية ، و التعاليم النبوية و المشاهدات العينية ، رسخ فى
سويداء خاطره و نفذ فى اعماق قلبه ، و اثر فى مكنتون نفسه و روحه و نور شراشر وجوده
بحيث صحّ له و حقّ ، ان يكشف عن تلك النورانية العريقة العميقة ، فى الأزمنة
اللاحقة بما اشتهر من قوله :

« لَوْ كُشِفَ الْغِطَاءُ مَا أَزْدَدَتْ يُقَيِّنَا »

١٧٨ - مولدُ عليٍّ ومماتهُ

وُلد عليٌّ، على ما هو المشهور، في بيت الله، مهد الأيمان، (الكعبة) وعاش ممسوساً بنور الأيمان، وانتقل الى جوار ربّه الأعلى من بيت الله (مسجد الكوفة) بكمال الأيمان وتمام الأخلاص و فاز بسعادته العظمى كما لهج به حين ضربه الشقى المرادى، عبد الرحمن بن الملجم، فقال :

« فُزْتُ وَرَبَّ الكَعْبَةِ »

مطلع على (ع)
ومفر به بيت الله

فطلعت شمس وجوده (ع) من شرق بيت الله (الكعبة) وغربت حين افولها في بيت الله . (مسجد الكوفة) فكان موضع ولادته كموضع شهادته . نعم طلع عليٌّ (ع) من الحقّ ودار معه حيثما دار ورجع الى الله الحقّ ولحق بالمكرمين الفائزين بالحقّ .

١٧٩ - اخلاص عليٍّ

كان ايمان عليٍّ غير مسبوق بالشرك والألحاد، غير مشوب بدرن الشبهة والأرتياب، غير مقرون بالتمززل والأضطراب، فهو في ايمانه خالص مخلص، ثابت كالجبل الراسخ لا يحرّكه العواصف والقواصف، ولذا كان يقى الرسول بنفسه وبقديه بحويائه ومهجته .

صرّح عليٌّ بذلك بعد قول الرسول (ص) له بأخائه، (على ما فى المناقب) :

« انما اخترتُكك لِنَفْسِي اَنْتَ اَخِي وَاَنَا اَخُوكَ فى الدُّنْيَا والآخِرَةِ »

وبكائه شوقاً وفخراً بأخائه، فقال :

« اَقْبِنِكَ بِنَفْسِي اَيْهَا المُصْطَفَى الدِّينِ »

هَدَانَا بِهِ الرَّحْمَنُ مِنْ عَمَّةِ الْجَهْلِ

وَاقْدِيكَ حَوْبَائِي ، وَمَا قَدْرُ مُهْجَتِي ؟

لِمَنْ اَنْتَمَى مِنْهُ الى النَّفْرِعِ وَالْأَصْلِ

وَمَنْ ضَمَّنِي مُدْكُنْتُ طِفْلاً وَيَافِعاً
 وَانْعَشَنِي بِالْبِرِّ وَالنَّعْلِ وَالنَّهْلِ
 وَمَنْ جَدَّهُ جَدِّي وَمَنْ عَمَّهُ عَمِّي
 وَمَنْ أَهْلُهُ أُمِّي وَمَنْ بِنْتُهُ أَهْلِي
 وَمَنْ حِينِ أَخَا بَيْنَ مَنْ كَانَ حَاضِراً
 دَعَانِي وَأَخَانِي وَبَيَّنَّ مِنِّي فَضْلِي
 وَمِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِ وَنُقِلَ عَنْهُ حَتَّى فِي كِتَابِ الْمَعَاصِرِينَ مِنْ فَضْلَاءِ أَهْلِ السَّنَةِ قَوْلُهُ :

مُحَمَّدُ النَّبِيُّ أَخِي وَصِهْرِي
 وَحَمْرَةُ سَيِّدِ الشَّهَادَةِ عَمِّي
 وَجَعْفَرُ الَّذِي يُمَسِّي وَيُضْحِي
 يَطِيرُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ ابْنُ أُمِّي
 وَبِنْتُ مُحَمَّدٍ سَكْنِي وَعِرْسِي
 مَنْوُطٌ لِحْمِهَا بَدْمِي وَلَحْمِي
 وَسَيْطَلُ أَحْمَدٍ وَلَدَايَ مِنْهَا
 فَأَيُّكُمْ لَهُ سَهْمٌ كَسَهْمِي؟
 وَصَلَّيْتُ الصَّلَاةَ وَكُنْتُ فَرْداً
 فَمَنْ ذَابَدَعِي يَوْمَ كَيَوْمِي؟

مفاخرة علي (ع)

١٨٠ - الرسول، صلى الله عليه وآله وسلم، وعلي

من اصل واحد

كان علي في جميع اوصافه وفضائله وكمالاته ، من العبادة والعدالة والشجاعة
 والفتوة والمروءة والسخاء والوفاء والورع والزهد والتقوى والعلم واضرابها، من الكمالات
 والفضائل ، شخصاً فardاً ، متميزاً عن سائر الصحابة ، وكان قمرأ تالياً لشمس الرسالة

متأسياً بالرسول ، متأدياً بأدابه ، متابعاً له في اقواله وافعاله ، مطيعاً لأوامره ولذلك حين آخا الرسول (ص) بين المؤمنين ، اتخذها خاً لنفسه فأشار بذلك الى ان علياً انسب به (ص) من غيره واشبه له في كمالته واقرب اليه في فضائله وصفاته فهو وعلى من اصل واحد لا يوازيهما احد في مراتب العرفان والايمان ولا يؤاخيهما من حيث كمال الفضيلة والكمال والأخلاص ، كائناً من كان .

وللاشارة الى ذلك التناسب والتشابه قرنه الله ، تعالى ، برسوله (ص) وجعله كنفسه في قضية المباهلة التي هو ذابئلى عليك .

١٨١ - تاكيد لما سبق من مقام علي من الرسول (ص)

اتفقت كلمة ارباب التاريخ ، واهل السيرة ، وعلماء التفسير ، على ان اساقفة نجران وعلماؤها حين وفدوا الى مدينة الرسول للمناظرة معه (ص) وانتهى الأمر الى قرار المباهلة معهم غداً انزل الله :

« قل تعالوا نَدْعُ ابْنَانَا وَابْنَاتِكُمْ وَنِسَائِنَا وَنِسَائِكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ٦١ »^١ .
جاء الرسول صباح الغد ولم يكن معه الا ابن عمه ، صهره واخاه علي ، وابنته ، فاطمة ، وابناه منهما ، الحسن والحسين^٢ .

فلما رأى الاساقفة والعلماء ان الرسول (ص) جاء ، واتي معه بأعز الأنفس لدينه وانفسها ، وباحبتها عنده وآثرها ، علموا انه على يقين من ربه ، واطمئنان من نفسه ، وایمان راسخ من امره ، فانصرفوا عن المباهلة ، واقترحوا المصالحة ، واقتنعوا بالمسالمة .

على من الرسول
بمنزله نفسه

١ - من السورة الثالثة (آل عمران) .

٢ - « واخرج مسلم عن سعد بن ابي وقاص قال : لما نزلت هذه الاية « نَدْعُ ابْنَانَا ... الايه » دعا ، صلى الله عليه وآله وسلم ، علياً و فاطمة و حسناً و حسيناً فقال : اللهم هؤلاء اهلى » (تاريخ الخلفاء للسيوطي - الصفحة ١٦٩) .

فجعل الله علياً في آية المباهلة هذه داخلاً في كلمة « أَنْفُسِنَا » ووضعه في اعلى موضع يليق به، وادرجه في ما عبّر به عن رسوله .

عقد الشيخ سليمان الحنفى في كتابه « ينابيع المودة » باباً لبيان « انّ علياً ، كرم الله وجهه ، كنفس رسول الله ، صلى الله عليه وسلم » وهو السابع من ابواب الكتاب واورد فيه عدّة احاديث في هذا المعنى من « الصّحاح » و « المسانيد » وغيرها من الكتب - المعتمدة المعتمدة عند علماء السنّة ، نورد بعضها منها هنا :

منها :

« عن مسند احمد بن حنبل عن عبد الله بن حنطب قال : قال رسول الله (ص) لو فندّ ثقيف حين جاءه :

« لَتَسَلَّمُنَّ اَوْ لَا بَعَثُنَّ اليكم رجلاً كَنَفْسِي لِيضْرِبَنَّا اعناقكم وليَسْبِيَنَّا ذراريكم وليأخذنَّ اموالكم .

« فالتفت الى عليّ واخذ بيده فقال :

« هُوَ ، هَذَا . مرتين » ١ .

ومنها :

« عن زوائد المسند عبد الله بن احمد بن حنبل عن . . . عن ابن عباس قال : قال رسول الله لأُمّ سَلَمَةَ ، رضى الله عنها :

« يا امّ سَلَمَةَ عليّ منّي وانا من عليّ : لَحْمُهُ مِنْ لَحْمِي وَدَمُهُ مِنْ دَمِي وَهُوَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى .

١ - وفي شرح ابن ابي الحديد (المجلد الاول - الصفحة ٩٧ -) : « ... وفي

هذه الواقعة كان الخبر المشهور عن رسول الله (ص) قال لبنى وليعة : لتنتهن يا بنى وليعة او لا بعثن عليكم رجلا عدل نفسى يقتل مقاتلكم ويسبى ذراريكم .

« قال عمر بن الخطاب : فماتت الامارة الايومئذ وجعلت انصب له صدرى رجاء

ان يقول : هو هذا . فأخذ بيد علي وقال : هذا » .

« يَا أُمَّ سَلِيمَةَ ، اِسْمَعِي وِ اشْهَدِي ، هَذَا عَلِيٌّ سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ »

١٨٢ - حديث المنزلة

مما ينادى بعلو منزلة عليّ وفضل مقامه وسمو موضعه وشدّة اتصاله بالرّسول وقربه منه ، حديث «المنزلة» .

رُوى حديث المنزلة عن طرق كثيرة معتمدة اوردها مشيخة اهل الحديث واساطينهم في صحاحهم و مسانيدهم و مناقبهم ، وما شبهها من كتبهم الموثوقة بها عندهم ، المعتمدة عليها لديهم .

جمع صاحب ينابيع المودة عدّة منها واوردها في الباب السادس من الكتاب وهو الباب الذي « في ذكر الأحاديث الواردة في انّ حب عليّ من الإيمان و حديث فتح خيبر و حديث المنزلة » ننقل هنا ايضاً بعضاً منها من ذلك الكتاب :

منها :

« عن صحيح البخاريّ بأسناده عن سعد بن ابى وقاصّ قال : قال النّبىّ (ص)

لعليّ :

« أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هِرُونَ مِنْ مُوسَى ؟ »

« وعن صحيح مسلم بأسناده عن سعيد بن المسيّب عن عامر بن سعد بن ابى-

وقاصّ عن ابيه ، قال :

« قال رسول الله (ص) لعليّ :

« أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هِرُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا بَنِيَّ بَعْدِي »

« قال سعيد : فاحببت أن أشفهه بها سعداً . فلقيت سعداً ، فحدثته بما حدثنى

به عامر .

١- في الجزء الخامس (الصفحة ال ١٩ من طبع بولاق بإمر السلطان عبدالحميد)

هذه الرواية مسندة عن البخاريّ عن ابراهيم بن سعد بن ابى وقاصّ .

فقال : اناسمعه . قلت : انت سمعته ؟ فوضع اصبعه على اذنيه فقال : نعم
وآلا فاستكتكتا^١ .

ومنها :

« عن احمد بن حنبل و عن ابى المؤيد موفق بن احمد الخوارزمى بنديهما
عن زيد بن ابى اوفى قال :

« دخلتُ على رسول الله (ص) فى مسجده و قد آخا بين اصحابه فقال على :
يا رسول الله فعلت باصحابك وما فعلت بى فقال صلى الله عليه وآله :

« وَالَّذِى بَعَثَنِى بِالْحَقِّ نَبِيًّا اَخَرْتُكَ لِنَفْسِى ، فَاَنْتَ كَمِىْنِى
بِمَنْزِلَةِ هٰرُونَ مِنْ مُوسٰى اِلَّا اَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِى ، فَاَنْتَ اَخِىْ وَاْرِثِىْ وَاَنْتَ
مَعِىْ فِى قَصْرِى فِى الْجَنَّةِ مَعَ اِبْنَتِىْ فَاطْمَةَ وَاَنْتَ رَفِيقِى .
ثم قرأ : اِخْوَانًا عَلٰى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِيْنَ »^٢

ومنها :

« عن صحيح ابن ماجه ، بأسناده عن سعد بن ابى وقاص ، قال :
« قَدِمَ مَعَاوِيَةَ فِى بَعْضِ حِجَّاتِهِ فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدٌ فَذَكَرُوا عَلَيْهِ فَاغْضَبَ
سَعْدٌ فَقَالَ : تَقُولُ لِهٰذَا الرَّجُلِ ؟ ! سَمِعْتُ رَسُوْلَ اللهِ (ص) يَقُوْلُ :

« مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْهِ مَوْلَاهُ »

و سمعته يقول :

« اَنْتَ مِىْنِىْ بِمَنْزِلَةِ هٰرُونَ مِنْ مُوسٰى ، اِلَّا اَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِى »

و سمعته يقول :

١- استكك : صم . قال ابن سبجان على ما فى الاغانى :

فان كان نادى دعوةً فسمعتها

فشلت يدي واستكك منى المسامع

٢- الاية ال ٤٧ من السورة ال ١٥ (الحجر) .

«لَا عَظِيمَيْنَ الرَّايَةَ الْيَوْمَ (غداً) رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»^١.

وفى صحيح البخارى^٢ بأسناده عن مصعب بن سعد عن ابيه : ان رسول الله (ص) خرج الى تبوك واستخلف علياً فقال : اتخلفنى فى الصبيان والنساء ؟ قال (ص) : «الآن ترضى ان تسكون منى بمنزلة هرون من موسى ، الا انه ليس نبى بعدى ؟»

وفى صحيح البخارى ايضاً^٣ فى «باب مناقب على بن ابي طالب القرشى الهاشمى ابي الحسن رضى الله عنه» : وقال النبى لعلى عليه السلام : «اننت منى وانا منك» .

و روى البخارى ايضا عين هذه الجملة فى باب عمرة القضاء (الجزء الخامس الصفحة ال ١٤١) فى قضية ابنة حمزة .

ولنجعل ختام الكلام فى هذا المقام مارواه ابن حجر العسقلانى الشافعى (٧٧٣ - ٨٥٢ . هـ) فى (الجزء الرابع الصفحة ال ١٧٠) بالأسناد عن ابي ليلي الغفارى ، انه قال : «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« سَيَكُونُ مِنْ بَعْدِي فِتْنَةٌ فَاِذَا كَانَ ذَلِكُ فَالزَمُوا عَلِيَّ بْنَ اَبِي طَالِبٍ فَانَّهُ اَوَّلُ مَنْ اَمَنَ بِيْىِ وَ اَوَّلُ مَنْ يُصَافِحُنِيْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَهُوَ الصِّدِّيقُ الْاَكْبَرُ ، وَهُوَ فَارُوقُ هَذِهِ الْاُمَّةِ ، وَهُوَ يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِيْنَ وَ الْمَالُ

على
يسوب المؤمنين

١- قد اوردنا بعض ماورد فى الصحيح (الجزء الخامس) فى هذا الشأن . وفيه ايضا بأسناد البخارى « عن سلمة ، رضى الله عنه ، قال : كان على ، رضى الله عنه ، تخلف عن النبى (ص) فى خيبر وكان رمداً . فقال : انا اتخلف عن النبى ؟ ! فلحق نلما بتنا الليلة التى فتحت قال : «لاعطين الراية غداً ، او ليأخذن الراية غداً ، رجل يحب الله ورسوله ، يفتح عليه» فنحن نرجوها . فقيل : هذا على . فأعطاه ففتح عليه» .

٢- الجزء السادس - الصفحة ال ٣١ - (طبع بولاق) .

٣- الجزء الخامس .

يَعْسُوبُ الْمُتَنَافِقِينَ^١.

١٨٣ - تلمخيص المقال في هذا المجال

والآن ، وقد كنّا في بيت النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم حال احتضاره وامره باتيان الكتاب و الدّواة و شاهدنا ما وقع هنا من اللّغظ و الجدل فقادنا نظم الكلام الى-
الاشارة بنبذة يسيرة ممّا ورد عنه (ص) في شأن عليّ توطئة لما استراه من حديث السّقيفة و بعده ، فلنلخص المقال و نرجع الى سرد حديث وفاة النبيّ (ص) و ما حدث بعدها فنقول :

خلاصة القول : انّ الرّسول قد اكمل التعريف بمقام عليّ عند الله و عنده و في الأمتة و بموضعه منه ، و باختصاصه به ، و بأنّه شأن من شأنه ، و حسنة سامية من حسناته ، كلّ ذلك في مدى حياته و لا سيّما قبيل وفاته بعد رجوعه من حجّة وداعه في موضع غدِير خُم ، و اشار بانّ ذلك التعريف و التّعيين من اكمال الدّين ، و اتمام النّعمة ، و ابلاغ ما أنزل اليه من الرّسالة و اتمّ التعريف بالأبصاء اليه بأن يؤدّي دينه و ان يتولّى غسله و كفنّه و دفنه .

لم يجعل
النبي (ص)
احداً اميراً
على علي

و بالجملّة انّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم اعلن في موارد متعدّدة متناسبة و باساليب مختلفة في التعبير ، متفكّة في الوصف و التعريف ، موضع عليّ من نفسه (ص) ، و اظهر علو شأن عليّ في مقام القرب الى الله و قرابته ، في الجسم و الرّوح منه (ص) ، و امتيازّه في الفضل و التّفضيلة عمّن سواه ، و استحقيقه لأن يكون له-
المولويّة و الخلافة .

و لذلك كما تعتقد الشيعة و تصرّح به لم يجعله مدى حياته تحت اّمارة غيره

١- و في جمع الجوامع (المعروف بالجامع الكبير) لجلال الدين السيوطي : «ان هذا اول من آمن بي ، وهذا اول من يصابحنى يوم القيامة ، وهذا الصديق الاكبر ، وهذا فاروق هذه الامة ، يفرق بين الحق و الباطل ، وهذا يعسوب المؤمنين ، و المال يعسوب الظالمين» (قاله لعلي)

ولم يُدخله في جيش أسامة الذي أُدخل فيه اكابر الصحابة كأبي بكر وعمر (رض) وغيرهما و امرهم بالخروج معه تحت امارته^١ .

ختام الكلام

و لنجعل الختام في هذا الباب ما اورده جلال الدين السيوطي (٨٤٩ - ٩١١ هـ . ق) في كتابه جمع الجوامع (المعروف بالجامع الكبير) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

« ان وصيّي وموضع سرّي وخير من اترك بعدي و ينجز عديتي و يقضى ديني عليّ بن ابي طالب » و نقل الحديث عن :

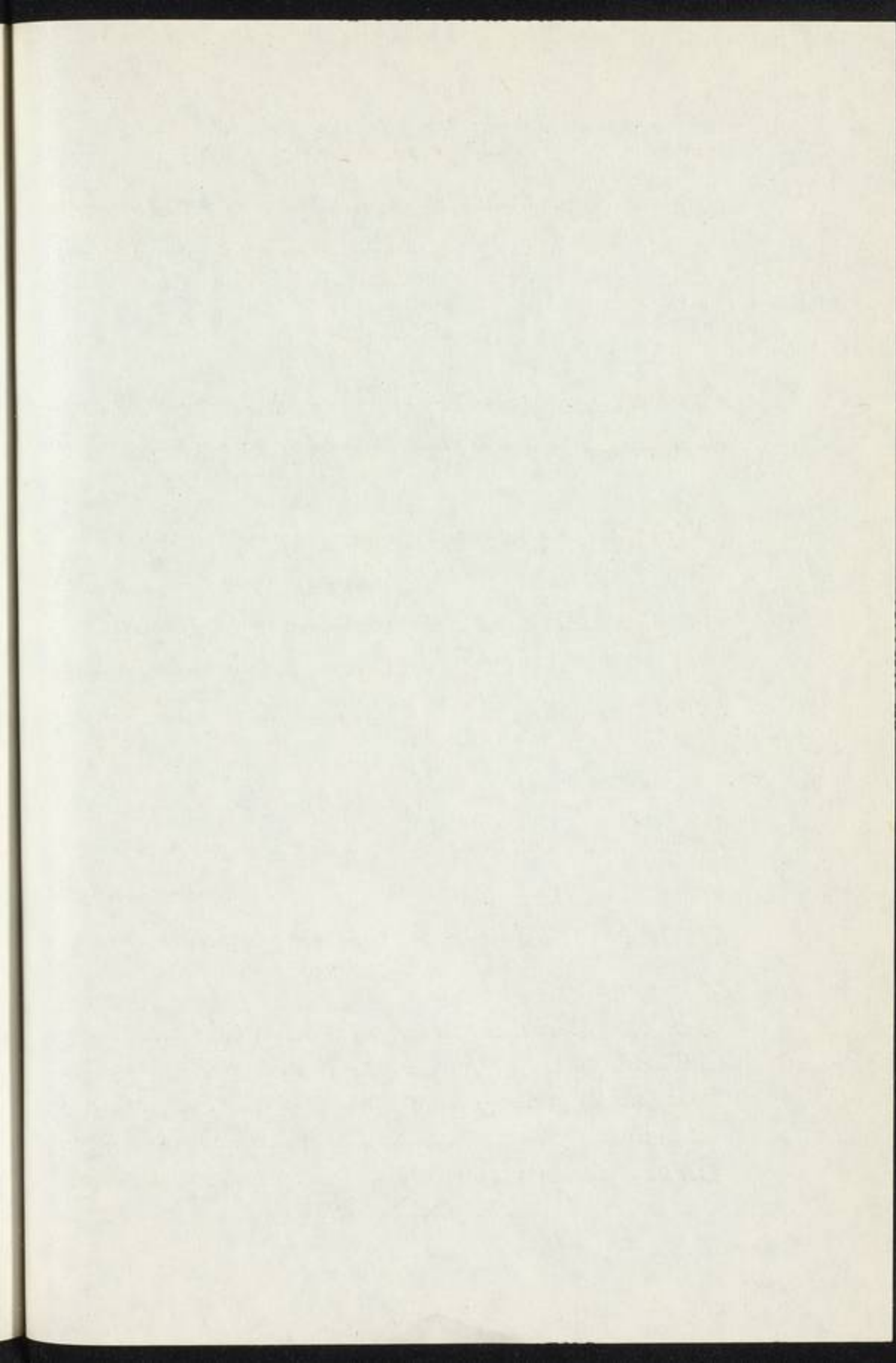
« مجمع الزوائد (ج ٩ الصفحة ال ١١٣) كتاب المناقب ، مناقب عليّ باب ، في ما وصي به رضى الله عنه » وقال : و عن سلمان قال : قلت :
« يا رسول الله ان لكل نبي وصيًّا فمن وصيِّك ؟ فسكت عني . فلما كان بعد رأني فقال :

« يا سلمان فاسرعت اليه . قلت لبنيك قال :

« تعلم من وصي موسى ؟ قلت نعم ، يوشع بن نون . قال : ليم ؟ قلت : لانه كان اعلمهم يومئذ . قال :

« فان وصيّي وموضع سرّي . . . و ذكر الحديث . وقال رواه الطبراني . . .)

١- انتخاب اسامة وهو شاب لم يتجاوز سنه ثمانية عشر سنة ، لهذا المهم و امارته على شيوخ الصحابة و اكابرهم مثل ابي بكر و عمر و اضرايهما مضافاً الى ماتعتقده الشيعة في توجيهه من اخلاء المدينة عن من يحتمل ان يطمع في الخلافة و يصير مانعاً لخلافة عليّ يحتمل ان يكون لاخضاع الاكابر و الشيوخ لمن كان سنه اقل منهم فاذا وقع لهم الانتقاد و الخضوع لاسامة ، و سنه سنه ، فلعله يسهل عليهم الانتقاد لعل و سنه يثيف على ثلاثين سنة و يقرب من اربعين ولا يعتذرون بأنه اقل سنّاً منهم .



«إِنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ فَلْتَةٌ وَقِيَ اللَّهُ شَرَّهَا .
فَمَنْ عَادَ إِلَى مِثْلِهَا فَأَقْتُلُوهُ»
(مأثور عن عمر، رض ،)

خلافة ابي بكر و ماوقع فى ايامها

- ١- السقيفة و تعيين الخليفة .
- ٢- الاجتماع فى السقيفة .
- ٣- السقيفة تحت المداقة .
(وفىها ايراد امور سبعة جديرة بالتأمل)
- ٤- اجتهاد القوم .
- ٥- اهل البيت احق بالامر .
- ٦- الاتفاق للأبتراز .
- ٧- البيعة والاجماع .
- ٨- حديث الفلنة .
- ٩- كتمان امر السقيفة .
- ١٠- اباحة قتل الصحابى .
- ١١- قتل سعد بن عبادة (الصحابى المكرم)

١١- حول الخلافة والخليفة :

١٨٤- السقيفة و تعيين الخليفة

وردت عن النبي (ص) ، كما دريت ، تلويحات و تصريحات بتعريف عليّ ، و وصف شأنه و تعيين حقّه ، و شاعت بين الناس و دارت على الألسنة و الأفواه فكان يحقّ لعليّ ان يؤكّد في نظره و رايه انه لا يكاد يخطر ببال احد ان ينازعه في ما هو حقّه فكيف بارادته ان ينتزع عنه ماخوله الله و رسوله من الحقّ و يصرف عنه الولاية و الخلافة و لاسيما بتلك السرعة و العجلة اى حين كان جسد الرسول المطهر بين ايديهم لم يغسل و لم يدفن بعد ! (كما صرّح بذلك نفسه في بعض خطبه)
ولكنّ الدهر ذوشئون فيأتى بعجائب لا يكاد تصدّقه العقول ، و لا يوشك ان يتصورها الصافيه من القلوب .

قال ابن ابي الحديد في شرحه على « نهج البلاغة » بعد ما نقل تأكيد الرسول و تشديده لخروج اسامة و جيشه في مبعثه ، و تناقل اسامة و تساهل بعض الصحابة و اشتداد غضب رسول الله (ص) لذلك و رجوع اسامة مع ابي بكر و عمر و ابي عبيدة لما ظهر لهم آثار وفاة الرسول . صلى الله عليه و آله و سلم ، الى المدينة :
« فانتهوا الى رسول الله ، صلى الله عليه و آله ، حين زالت الشمس من يوم الاثنين و قد مات ، واللواء مع بُرَيْدَةَ بن الخصيب . فدخل باللواء فركزه عند باب رسول الله ، وهو مغلق و عليّ و بعض بنى هاشم مشتغلون بأعداد جهازه (ص) و غُسله .
» فقال العباس لعليّ ، و هما في الدار .

« اُمدد يدك ، ابايعك فيقول الناس : عمّ رسول الله بايع ابن عمّ رسول الله فلا يختلف عليك اثنان ^١ .

اقتراح العباس
لعليّ ، البيعة
و كيفية المتكلمة
بينهما

١- هذا الاقتراح من العباس وهو ، هو ، في عقله و تدبيره و تحنكه و شيوخوته

بقية الحاشية في الصفحة الاتية

« فقال له :

« أَوْ يَطْمَعُ فِيهَا طَامِعٌ غَيْرِي ؟

« قال : ستعلم !

« فلم يلبثا ان جائهما الأخبار بانّ الأنصار اقعدت سعداً لتبایعه وانّ عمر

جاء بابى بكر فبايعه وسبق الأنصار بالبيعة . »

١٨٥ - على (ع) و اشتغاله بتجهيز الرسول (ص)

اجاب الرسول داعى الحق ولباه ، و فاز بما يتمناه من الانتقال الى جوار الله و لُقياه ، وكان على مملوء القلب من الحزن و الغم ، مشغول البال بما اصابه من عظيم المصيبة ، لا يكاد يخطر بباله موضوع الخلافة ولا يُهمّه الا خطر فقد الحبيب . . .

على ان مثله مع ذلك المقام الشامخ الظاهر ، و تلك الكلمات الواردة من- الرسول بشأنه و فى حقّه ، لا بدّ وان يكون ، بحسب العادة ، فى اطمئنان القلب ، و انشراح الصدر ، و فراغ البال من ذلك الجانب ، جانب الخلافة .

و كيف كان فتولّى ما كان عليه ان يتولّى فاشتغل بتجهيز الرسول بالغسل والكفن و الدفن .

كان على فى شغل شاغل من امر التجهيز و لا يخطر بباله ما كان فى سقيفة

بقية الحاشية من الصفحة الماضية

وقربه من رسول الله (ص) وعلاقته بالاسلام وكونه اسن من على يرشد الى امور:

منها استحقاق على للخلافة عن الرسول .

و منها اولويته من غيره .

و منها عدم مانع لقبول العرب ، او القوم خلافتها ، بعد السن او بعد الثار او بعد

عدم جواز اجتماع الخلافة والنبوّة فى بيت كما تفوه بذلك .

و لعمر العدل و الانصاف لو قدمه من اخره و خضع له من منعه و ساعده من عانده

لتمايلت القلوب اليه و تمالات القوم عليه بل و خضعت رقاب العرب و العجم لديه .

بنى ساعدة فى حال التكوّن والتحقّق فقد تماثلت فيها عدّة لا يخلو جمعهم ممّن لم يؤثر الإسلام بعد فى طبائعهم الجاهليّة القاسية اثره العميق الراسخ ولم يستأصل عروق الغرور والخيلاء والنخوة من نفوسهم ، ولم يبرّح بقايا حبّ النفس والجاه و ارادة العلوّ والرئاسة والاستكبار فى قلوبهم ، فاجتمعوا للبحث عن الخلافة وتعيين الخليفه ودارالبحث بينهم وانجرّ الكلام الى المجادّلة والمشاحنة حتى اوشك ان ينجرّ الأمر الى مالا تُحمد عاقبته .

١٨٦- اجتماع الأنصار فى السقيفة

خلاصة القول : لما اجتمعت الأنصار فى السقيفة وصل خبر السقيفة وما كان يجرى فيها الى عمر (رض) فهتف بابى بكر (رض) فأسرعا الى السقيفة ولقيا ابا عبيدة الجراح (رض) فذهبوا اليها وكانت غاصّة باهلها من الأنصار ، فارغة عن المهاجرين الابرار وكان ظاهر الامر انهم يريدون ان يبايعوا سعد بن عبادة رئيس الخزرج وكبيرهم . وكانوا « اخرجوه اليهم » ، وهو مريض لا يقدر على الحركة وعلى الأسماع ، فأعدته الأنصار ليبايعه ، و اوشك الامر ان يتم له ففاجاهم ورود المهاجرين الثلاثة : ابى بكر و عمر و ابى عبيدة .

ورود المهاجرين
الثلاثة بسقيفة

قال الطبرى فى تاريخه ١ :

« فتكلّم ابوبكر فلم يترك شيئاً نزل فى الأنصار ولا ذكره رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من شأنهم الا وذكره . وقال : لقد علمتم ان رسول الله (ص) قال :

١- قال الطبرى فى تاريخه (بعد قضية غزوة حنين و اعطاء الرسول (ص) الغنائم فى قريش و قبائل العرب دون الانصار ، و بعد ذكر تأثر الانصار و تألمهم من ذلك ، و اسر الرسول سعد بن عبادة ان يجمع قومه ، و اجتماعهم بأمر الرسول (ص) لاستماع كلامه (ص) : قال فى آخر ما قال لهم : « فوالذى نفس محمد بيده ، لولا الهجرة لكنت امراً من الانصار . ولو سلكت الناس شعباً و سلكت الانصار شعباً لسكنت شعب الانصار . اللهم ارحم الانصار و ابناء الانصار و ابناء ابناء الانصار . . . »

«لَوَسَّلَكَ النَّاسُ وَاذِيًا وَسَلَّكَتِ الْأَنْصَارُ وَاذِيًا سَلَّكَتُ وَاذِي الْأَنْصَارِ»
ولقد علمت يا سعد ان رسول الله قال ، وانت قاعد ، : قريش ولاة هذا الأمر
ثم بعد مجادلات بويح ابوبكر .

قال الطبري ايضا في تاريخه :

« . . . فقالت الأنصار ، او بعض الانصار ، لا نُبَايِعُ اِلَّا عَلِيًّا »

و في رواية من الطبري بأسناده :

«وَأَتَى عُمَرُ الْخَبَرَ (يعني خبر الاجتماع في السقيفة) فَأَقْبَلَ إِلَى مَنْزِلِ النَّبِيِّ (ص)
فَارْسَلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ، وَ ابوبكر في الدار و علي بن ابي طالب عليه السلام دائب في
جهاز رسول الله ، فأرسل الى ابي بكر ، ان اخرج الى . فأرسل اليه انتي مشغل .
فأرسل اليه : انه قد حدث امر لابد لك من حضوره . فخرج اليه .

« فقال : أما علمت ان الأنصار قد اجتمعت في سقيفة بنى ساعدة ، يريدون
ان يولوا هذا الأمر سعد بن عبادة ؟ و احسنهم مقالة من يقول : منا امير ومن قريش
امير . فمضيا مسرعين نحوهم فلقيا ابا عبيدة بن الجراح . فتماشوا اليهم ثلاثتهم . . . »

١٨٧ - السقيفة تحت المداقة

مما يجدر بالمنصف ان يتوقف عنده ويتأمل فيه من ماجرايات قضية السقيفة
امور اوردها ابوجعفر محمد بن جرير الطبري (مرجع المؤرخين ومعتمد المفسرين)
في تاريخه ونحن نوردها هنا مراعيًا في نقلها عين الفاظها وهي هذه :

الأول :

« ان الأنصار ، او بعض الأنصار ، قالت : لانبايع الا عليًا »

هذا ما نقله الطبري ويناسبه ما نقله ابن ابي الحديد عن كتاب « السقيفة » لابي بكر

احمد بن عبدالعزيز الجوهرى انه روى عن حباب بن يزيد عن جرير بن المغيرة :

« ان سلمان والزبير والأنصار كان هويهم ان يبائعوا علياً عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم . . . »

ارادة الشيخين
ان يبائعا علياً

بل ونقل عن ابي بكر الجوهري ايضاً انه قال في ذلك الكتاب :

« وسمعت ابازيد عمرو بن شبة يحدث رجلاً بحديث لم احفظ أسناده قال :

« مرّ المغيرة بن شعبة بأبي بكر و عمرو ، وهما جالسان على باب النبي (ص)

حين قبض . فقال :

« ما يقعد كما ؟

« قالوا :

« ننتظر هذا الرجل يخرج فنبايعه ، يعنيان علياً ،

« قال :

« أتريدون ان تنظروا حبل الحبلّة^١ من اهل هذا البيت ؟ ! وسعوا في

قريش تتسع^٢ .

١- « ونهى عن بيع حبل الحبلّة » ، بتحريكهما : اي في ما بطن الناقة ، او حمل الكرمة

قبل ان تبلغ او ولد الولد الذي في البطن ، وكانت العرب تفعله »

(قاسوس)

وفي « الصحاح » : « وحبل الحبلّة نتاج النتاج وولد الجنين . وفي الحديث : نهى

عن حبل الحبلّة . . . وربما جاء بالتسكين » .

قال ابو نعيم ، في الحلية بعد ما قال عن مالك عن نافع عن ابن عمر « ان

النبي (ص) نهى عن بيع حبل الحبلّة » : مشهور من حديث مالك في الموطأ .

٢- لا يخفى على الناظر ان هذا النقل لا يوافق ما نقلوه وما اوردناها من حديث السقيفة

في هذه الاوراق ولا يلائم ايضاً ما يراه اصحابان ، ولا سيما الثاني منهما في امر الخلافة .

فان كان النقل صدقاً والحديث صحيحاً يمكن ان يكون هناك امر رآه الشاهد ولا يراه

الغائب كان بحسبه لازماً ان يراقب و يتدارك .

وكيف كان فما نسب الى المغيرة من القول لا يخلو عن ملائمة شديدة لما عرف

في التاريخ من طور فكر هذا الصحابي الداهي و ظهوره في اعماله و اقواله .

«قال : فقاما الى سقيفة بنى ساعدة»

الثانى :

انه كان الاحتجاج على من اراد الولاية من الأنصار ، للانصار ، بأن النسبة الى قريش والقراية من النسبى (ص) تكون لها شأنها الخاص ، و اثرها اللائق بها فى امر الولاية و الخلافة ، فعلى رواية انه (ص) قال : الأئمة من قريش ، وعلى رواية اخرى قال : «قريش ولاة هذا الأمر»^١

احتجاج ابي بكر
وعمر لصرف
الامر عن الانصار

وقال ابوبكر (رض) فى تقرير الأحتجاج و تأكيده :

« . . . فهم اول من عبّد الله فى الأرض و آمن بالله و بالرّسول و هم اولياؤه و عشيرته ، و احقّ الناس بهذا الأمر من بعده ، و لا ينازعهم ذلك الا ظالم . و انتم يا معشر الأنصار من لا ينكر فضلّه فى الدين . . . »

وقال عمر (رض) فى كلام عارضّ به حباب بن المنذر فى السقيفة فى ما قال :

١- لا يذهب عليك ان مفاد امثال هذه الروايات (ان فرضت صحة صدورهما) ليس انشاء حكم ايجابى بل يكون مصاغها الاخبار و يظهر ذلك بما رواه الخطيب البغدادي فى تاريخه (ذيل عبدالله بن محمد بن ابي الاسود (المتوفى سنة ٥٢٢٣ هـ . ق) - المجلد العاشر - الصفحة ١٨٢ هـ) - بأسناده عن عمرو بن العاص قال النبى صلى الله عليه وسلم : «الناس تبع لقريش فى الخير و الشر» و بما رواه ايضا (فى المجلد العاشر - ٥٣١٥ هـ) ذيل ترجمة عبدالله بن ابي مقاتل) بأسناده « . . . ثم قال النبى (ص) « . . . اما بعد يا معشر قريش فانكم ولاة هذا الامر » . و اظهر من الروايتين فى الاخبار ماورد فى تاريخ الطبرى (الجزء الثانى - الصفحة ٤٤٤ هـ) - فقد روى بأسناده (قضية سقيفة) :

« . . . فتكلم ابوبكر فلم يترك شيئا نزل فى الانصار ، ولا ذكره رسول الله من شأنهم الا و ذكره .

«وقال : لقد علمتم ان رسول الله قال : لو سلك الناس وادياً و سلكت الانصار واديا سلكت وادى الانصار .

«ولقد علمت ياسعد ان رسول الله قال ، و انت قاعد ، : قريش ولاة هذا الامر فبر الناس تبع لبرهم و فاجرهم تبع لفاجرهم . . . »

« . . . ولنا بذلك على مَنْ اَبى من العرب ، الحجّة الظاهرة والسّلطان المبين .
« مَنْ ذا يَنازِنا سلطانَ مُحَمَّدٍ وِ اِمَارَتِهِ ، ونحن اولياؤُهُ وعشيرتُهُ اَلَا مُدُلٌّ
بباطلٍ او متجانفٍ لائِمٍ او متورّطٍ في هَلَكَةِ ؟ »

١٨٨ - اسئلة حول الاحتجاج

ولا على الباحث المنصف ان يمكث هنا هُنَيْهَةً و يتأمل الاحتجاج ويحلّلها
فيري بما ذا يَصِحّ ان يجاب على و شيعته ان سألوا :

اولاً : اَما قال الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم على ما نقله ابو بكر نفسه :
« لَو سَلَكَ النَّاسُ وادياً . . . لسَلَكْتُ وادى الانصار . . . »^١

ثمّ اما اجتمعت الانصار على سعد بن عبادّة ؟ بل اما اجتمعت على على فقالت :
« لانبايع الا علياً ؟ فليمّ لم يسلكوا سبيل الانصار وما عذرهم في عدم الأُسوة بالنبى
المختار ؟

النظر
في الاحتجاج

هَبّ انّ لهم العذر بالنسبة الى سعد بن عبادّة بانّه لم يكن من قريش و صحّ
عندهم انّ « الائمة من قريش » فما عذرهم بالنسبة الى على و سلوك الانصار وادى بيعته
بقولهم « لانبايع الا علياً » اما كان هو ايضاً من قريش !؟

و ثانياً : اذا كان الملاك في الاحتجاج و الاستدلال لزوم كون الخليفة من قريش
و لزوم كونه « اول من عبد الله و اول من آمن بالله و بالرسول ، و كان مناط الاحقيّة
بهذا الأمر كونه من اوليائه و عشيرته ، فهل كان في قريش احد اولى و احقّ من على

١- وفي المنقول عن كتاب السقيفة لابي بكر الجوهري :

« . . . لنا بذلك الحجّة الظاهرة على من خالفنا و السلطان على من نازعنا . من ذا
يخاصمنا في سلطان محمد و ميراثه و نحن اولياؤُهُ ؟ . . . »

و بما يستلقت النظر في هذا المنقول كلمة « و ميراثه » و كلمة « سلطان محمد » و كلمة
« و نحن اولياؤُهُ » فيه و في ما نقل في المتن .

بهذا المناط؟ اما كان هو اول من آمن و صدق؟ اما كان هو الذى عبد و صلى سنين لم يكن احد غيره و غير خديجة، ام المؤمنين،؟ و هل كان فى عشيرة الرسول و اوليائه احد اقرب رحماً منه اليه (غير العباس ، الذى يقترح على على ، البيعة) و اخص به منه ، و آثر و احب لديه عنه ، و اقرب عنده ، كى يكون بخلافة الرسول احق منه ، و لا يكون فى منازعته له ، فى حقه « مدل بباطل » ، او « متجانف لاثم » ، او ظالم متجاوز و متعد متجاسر؟

و لئن ذر ما تقوله شيعة على ، او يصح ان تقول هنا ، فى سنبله ، و ننظر الى على نفسه ، و نصغى ما يقوله فى هذا المقام :

فمن كلام له (ع) لما انتهت اليه انبياء السقيفة بعد وفاة رسول الله (ص) ، قال عليه السلام :

« ما قالت الانصار؟ »

قالوا : قالت : منّا امير و منكم امير .

قال :

فهلّا احتججتهم عليهم بان رسول الله وصى بأنّ يحسن الى محسنهم

و يتجاوز عن مسيئهم ؟

قالوا : و ما فى هذا من الحجّة عليهم ؟

فقال : لو كانت الامامة لهم لم تكن الوصية بهم .

ثم قال : فما ذا قالت قريش ؟

قالوا : احتجّت بانها شجرة الرسول .

فقال : احتجّوا بالشجرة و اضاعوا الثمرة .

فليُنظر الى هذا الكلام « احتجّوا بالشجرة . . . » و ليتأمل فيه كيف احتجّ

عليهم بعين ما احتجّوا لهم فاستدلّ لنفسه بعين ما استدّلّوا ، بامتن تعبير . فما الطفّه

و اظرفه استدلالاً ؟ .

و فى نهج البلاغة ، بعد كلام طويل له عليه السلام ، :

« و اعْتَبَاهُ اتَّكُونُ الْخِلَافَةَ بِالصَّحَابَةِ وَالْقُرَابَةِ . . . ؟ » قَالَ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ ،
 رَحِمَهُ اللَّهُ ، : وَرُويَ شَعْرُ لَه فِي هَذَا الْمَعْنَى :
 « فَإِنْ كُنْتَ بِالشُّورَى مَلَكَتْ أُمُورَهُمْ
 فَكَيْفَ بِهَذَا وَالمُشِيرُونَ غُيِّبَ ؟
 وَإِنْ كُنْتَ بِالقُرْبَى حَاجَجْتَ خَصِيمَهُمْ ؟
 فَغَيَّرْكَ أَوْلَىٰ بِالنَّبِيِّ وَاقْدَمُ »

١٨٩ - السؤال الثالث هل كانت البيعة سالمة

عن الأغراض الفاسدة؟

والثالث:

انه اما كانت في صرف الأمر عن سعد بن عبادة ، سيّد الخزرج ، بعد ما كاد ان يتم له ، وفي عطفه الى ابي بكر وتمامه له ، عوامل قويّة من الحسد والعصبية والمنافسة القومية والسياسة الشخصية ؟!

ابن عم سعد
وحده عليه

وذلك ان بشير بن سعد ، وهو ابن عم لسعد بن عبادة ، كان حاسداً عليه في رئاسته ، ومنافساً له على مقامه ومكانته ، لا يكاد يتحمّل رئاسة ابن عمّه على خاصّة قبيلته ، الخزرج ، فكيف يرضى ويتحمّل ان يرثه خليفة الرسول وامير المؤمنين ورئيساً على عامّة القبائل من المسلمين ؟

هذا ، ومن جانب آخر كانت الأوس والخزرج في الجاهلية اعداءً فالّف الله بينهما بالاسلام واصبحتا بنعمته اخواناً فلما رأت « الأوس » في السقيفة « ما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عبادة قال بعضهم لبعض ، وفيهم اُسَيْدُ بنُ حُضَيْمِرٍ ، وكان احد النقباء : وَاللّهِ لئن وليتها الخزرج عليكم مرّةً لازالت لهم عليكم بذلك ، الفضيلة ولا جعلوا لكم معهم نصيباً ابداً . »

كان الأمر على ما علمت في قبيلة الخزرج نفسها من التنافس والتحاسد وهكذا كان الأمر بين القبيلتين : الخزرج والأوس ، ولذلك لمّا تمّ كلام ابي بكر في السقيفة وتكلّم حباب بن المنذر^١ من الأنصار بكلامه المشهور:

١ - « الحباب المنذر الجموح ... شهد بدرًا و هو ابن ثلاث و ثلاثين سنة . . . »

« يا معشر الأنصار املكوا عليكم امركم... انا جُنْدٌ يَلْهَى المَحْكَمَاتُ وَعُدَّةٌ يَنْفُهَا
 الْمُرَجَّبُ فَأَنْتُمْ وَاللَّهِ أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْهُمْ... »^١ وعارضه عمر على ذلك وقال في
 ما قال :

« ولنا بذلك على من أبى من العرب، الحجّة الظاهرة... الخ » ودار الكلام بينهما
 وصار الى الخشونة والغلظة حتى قال عمر له : « اذًا لَيَقْتُلُكَ اللهُ » وقال هو لعمر : « بل
 اِيَّاكَ يَقْتُلُ » وحينئذ فقال ابو عبيدة :

« يا معشر الأنصار انكم أول من نصر وآزر فلا تكونوا أول من غيّر »^٢.

١٩٠ - أول من بايع ابا بكر

هي هنا انتهز بشير بن سعد، ابن عم سعد بن عبادة، الفرصة واغتنمها فتكلم
 ونصح الأنصار وحثهم من مخالفتهم ومنازعتهم وقال في ما قال :

→

وكلهم ذكره في البدرين، الا ابن اسحق في رواية سلمة عنه. وكان يقال له: « ذوالراي »
 وهو الذي اشار على رسول الله ان ينزل على ماء بدر للقاء القوم. قال ابن عباس فنزل
 جبريل عليه السلام فقال : « الراي ما اشار به حباب » وشهد احد والخندق والمشاهد
 كلها مع رسول الله (ص) وهو القائل يوم السقيفة « انا جدي لها المحكم وعذيقها المرجب
 منا امير ومنكم امير » مات الحباب المنذر في خلافة عمر... (الاستيعاب).

١ - الجزء الثاني من « الكامل » (الصفحة ال ٢٢٣) والطبرى.

٢ - وفي تاريخ اليعقوبي « وقام عبدالرحمن بن عوف (بعد ابي عبيدة -
 وعلى هذا كان المهاجرون اربعة -) وتكلم فقال :

« يا معشر الانصار انكم وان كنتم على فضل فليس فيكم مثل ابي بكر وعمر وعلى .

« وقام المنذر بن الارقم فقال :

« ما ندفع فضل من ذكرت، وان فيهم لرجلا لو طلب هذا الامر لم ينزعه فيه احد ،

يعنى على بن ابي طالب. »

التنافس
والتحاسد في
الخزرج وبينها
وبين الاوس

«ألا ان محمدًا من قريش وقومه احق به واولى وَاَيُّمُ الله لا يراني الله اُنزعهم في هذا الأمر ابدأ» .

وحينئذ أُتيح لأبي بكر (رض) ما يركن اليه و يتقوى به في ما دبّر و اراد فأشار الى صاحبيه ، عمر و ابي عبيدة ، ودعى الانصار الى بيعة من اختاروه منهما وردّ الصاحبان عليه بأنّه احق لتولّى الأمر وقال له :

« ابسط يدك نبايحك » .

« فلماً ذهباً لبياعه سبقهما اليه بشير بن سعد فباعه .

« فلماً رأى الحجاب بن منذر ذلك من بشير ، وكان يُعرف الحسد والمنافسة منه لسعد ، ناداه :

« يا بشير بن سعد عقت عقاقاً ما احوجك الى ما صنعت ؟ انفست على ابن عمك الأمانة ؟ » .

هكذا روى الطبري في تاريخه (وابن الأثير في كتابه « الكامل ») و روى ابن ابي الحديد عن كتاب السقيفة لأبي بكر الجوهري ، بعد نقل قول ابي بكر لعمر (رض) : « هلم نبايحك » وقول عمر له « بل ايتك نبايع » :

« قال عمر : فكنت اول الناس مديده الى ابي بكر فباعه ، الا رجلاً من الأنصار ، ادخل يده بين يدي ويد ابي بكر فباعه قبلي » .

فكان بشير بن سعد الخزرجي من الأنصار هو الذي فتح باب البيعة و بعد بيعته وصل دور أُسَيْدِ الْاَوْسِي .

فلماً رأى أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْمٍ ما فعله بشير من مبادرته الى البيعة ، وهو من الخزرج وابن عمّ للمترشح للأمانة والخلافة ، سهل عليه الأمر فقام و بايع ابا بكر .

و في الأغاني (الجزء ال ١٤ - الصفحة ال ١٤ ذيل ترجمة نعمان بن بشير بن

سعد :

« . . . وله صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم ولأبيه بشير بن سعد . . . و ابوه

بشير بن سعد اول من قام يوم السقيفة من الأنصار الى ابي بكر ، رضى الله عنه ، فباعه ثم تواتت الأنصار فباعته . . . »

قال ابوبكر احمد بن عبد العزيز ، على ما نقل عنه ابن ابى الحديد :

« فلما رأى بشير بن سعد الخزرجى ما اجتمعت عليه الأنصار من تأمير سعد بن عبادة ، وكان حاسداً له وكان من سادة الخزرج قام فقال :

« ايها الأنصار اننا وان كنا ذوى سابقة ... ان محمداً رجل من قريش وقومه احق بميراث امره . وائتم الله لايرانى الله انازعهم فى هذا الأمر . فاتقوا الله ولا تنازعوهم ولا تخالفوهم » .

« فقام ابوبكر وقال :

« هذا عمر و ابو عبيدة ايتهما شتم

« فلما بسط يده وذهب ليباعنه سبقهما اليه بشير بن سعد .

« فنادى حباب المنذر :

« يا بشير عتقتك عقاقاً ، والله ما اضطرك الى هذا الأمر الا الحسد لأبن عمك .

« ولما رأت الأوس ان رئيساً من رؤساء الخزرج قد بايع قام أسيد بن حضير ،

وهو رئيس الأوس فبايع حسداً لسعد ايضا و منافسة له ان بلى الامر ، فبايعت الأوس

كلها لمّا بايع أسيد » .

وقال الزبير بن بكتار فى كتابه « الموقبيات » (ينقل ابن ابى الحديد ايضا عنه) :

« وذكر محمد بن اسحق ان الأوس تزعم ان أول من بايع ابابكر بشير بن

سعد . وتزعم الخزرج ان أول من بايع أسيد بن حضير » .

وكيف كان فقالت الأنصار بعضهم لبعض : « فقوموا فبايعوا ابابكر فقاموا اليه

فبايعوه فانكسر على سعد بن عبادة وعلى الخزرج ما كانوا اجمعوا له من امرهم » .

١ - يظهر من هذه العبارة ان عبد الرحمن بن عوف ، او غيره من المهاجرين ، لم

يكن فى السقيفة .

١٩٣ - السّؤال الرّابع كيف اكتملت البيعة مع عدم حضور الأكاير؟

ورابعاً :

ليس ممّا اتفق عليه الكلّ أنّه وقعت البيعة على ما وقعت ولم يكن في السّقيفة
وقتل من المهاجرين عدّة من الأكاير؟

فما كان هناك علىّ ، ابن عمّ الرّسول وصهره واخوه ، وما كان ايضاً عباس ، عمّ
الرّسول ، وعثمان ذوالنورين ، والزبير ، حواريّ الرّسول ، وطلحة وسعد بن ابي وقاص
وعبدالرحمن بن عوف (على اكثر الروايات وعلى ما يستظهر من كلام ابي بكر حين
اقتراح البيعة) وغيرهم من قريش واكايرهم وما كان هناك سلمان وابوذر ومقداد وعمّار
واضرابهم العظما من اصحاب الرّسول ، المهاجرين البدرين ، والتّذين قام بجهدهم
وجهادهم ، النّاشي من خلوص ايمانهم عمود الاسلام ، ولم يكن في السّقيفة ايضاً أسامة بن
زيد الّذي كان بأمر الرّسول اميراً عليهم وكان عليهم ان لا يتخلّفوا عنه .

الحاضرون
في السّقيفة
من المهاجرين

كانت عدّة من حضر في السّقيفة من المهاجرين ثلاثة : ابوبكر وعمر و ابو عبيدة
(او اربعة على رواية) وهم وان كانوا من كانوا ولهم شأنهم ومقامهم ، ولكنّه يبقى هنا
للسّؤال مجال ، فيقال :

هل نزلت آية او صدرت رواية تفرض على سائر المهاجرين وعموم المسلمين
فضلاً عن القرشيين ، ولاسيما بنى هاشم ، عشيرة الرّسول الأقربين ، وفيهم عمّه وابن
عمّه ، اتّباع تلك الغدّة في ما رأوه من امر الخلافة وعملوا به من فعل البيعة؟
ثمّ أوّ يصحّ عند العقل أنّ يحكم بأن سائر الأكاير (غير هؤلاء الثلاثة ، وهم ،
هم في الفضل والفضيلة والنسبة والقراية والصّحبة ، يلزمهم ان يتبعوا اولئك الثلاثة في
ما رأوه في مثل هذا الأمر الهامّ فيجب عليهم الأطاعة في هذا الشأن الخطير ، الواقع فلتة
(كما ادّعوا) ، والتّسليم بلامناقشة ولا نكير؟! !

أَوَ هَلْ يَقْتَضِي الْعَدْلُ أَنْ لَا يُرَاعَ لِلْغَائِبِينَ ، وَهَمَّ أَكْثَرُ الْمُجَاهِدِينَ ، وَفِيهِمْ أَقْرَبُهُمْ إِلَى الرَّسُولِ ، وَاحْتِبَهُمْ لَدَيْهِ ، حُجَّتَهُمْ وَإِنْ يُجْبَرُوا عَلَى أَمْرٍ غَابُوا هُمْ عَنْهُ وَمَا حَصَلَ مِنَ الْحَاضِرِينَ ، الْأْتِفَاقُ عَلَيْهِ؟ فَهَذَا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَأَوْلَادُهُ وَأَقْرَبَاؤُهُ ، وَلَعَلَّ ابْنَ الْمُنْذِرِ وَأَصْحَابَهُ ، اسْتَنْكَفُوا فِي السَّقِيفَةِ عَنِ الْبَيْعَةِ .

وَلَعَلَّتْكَ تَكُونُ مَمَّنْ لَا يَشْكُكَ فِي إِنْ الْعَقْلَ وَالشَّرْعَ وَالْأَنْصَافَ وَالْعَدْلَ عَلَى التَّطَابُقِ وَالتَّوَافُقِ فِي إِنْ الْجَوَابَ عَنْ هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ لَا يَصِحُّ إِلَّا بِاخْتِيَارِ جَانِبِ النَّفْيِ .

١٩٤ - الْأَعْتَادُ بِالْأَجْتِهَادِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْأَيْرَادِ

إِنْ قِيلَ :

اجْتِهَادُهُمْ إِجَازٌ لَهُمُ الْوَرُودُ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ ، وَالْأَقْدَامُ بِمَا رَأَوْا مِنَ الرَّأْيِ وَزَعَمُوا فِيهِ مِنَ الْمَصْلُحَةِ .

فَلْيَتَأَمَّلْ فِي ذَلِكَ الْأَجْتِهَادِ وَفِي هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ الَّتِي تَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ :

١ - هَلْ يَجُوزُ الْأَجْتِهَادُ مَعَ وَجُودِ النَّصِّ ؟

٢ - هَلْ كَانَ الْأَجْتِهَادُ خَاصًّا بِفِئَةٍ وَلَمْ يَكُنْ جَائِزًا لِغَيْرِهِمْ ؟

٣ - هَلْ كَانَ الْغَائِبُونَ عَنِ السَّقِيفَةِ ، وَفِيهِمْ عَلِيٌُّّ وَأكْبَرُ الْأَصْحَابَةِ ، جَاهِلِينَ بِمَا يَقْتَضِيهِ الدِّينُ مِنْ مَصَالِحِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ ، عَاجِزِينَ عَنِ الْأَجْتِهَادِ قَاصِرِينَ ؟ .

٤ - بِمَاذَا ثُبِتَ اعْتِبَارُ ذَلِكَ الْأَجْتِهَادِ : بِدَلَالَةِ آيَةٍ أَوْ إِشَارَةِ رِوَايَةٍ ؟ إِنْ كَانَتْ فَايُنْ هِيَ ؟ .

وَكَيفَ اخْتَصَّتْ بِاعْتِبَارِ بَعْضِ الْأَجْتِهَادَاتِ دُونَ بَعْضٍ أَوْ بِاعْتِبَارِ اجْتِهَادِ بَعْضِ الْمُجْتِهِدِينَ دُونَ غَيْرِهِمْ ؟ .

وَمَا مَنَاطُ التَّرْجِيحِ فِي الْأَعْتَابِ ؟ .

وَبِأَيِّ دَلِيلٍ يَجِبُ عَلَى مَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَ الْأَجْتِهَادِ أَنْ يَتَّبِعَ بَعْضَ الْمُجْتِهِدِينَ دُونَ بَعْضٍ ، وَهَمَّ سَوَاسِيَةً ، مِنْ حَيْثُ الْأَطْلَاعُ عَلَى الْمَدَارِكِ ، وَالْعِلْمُ بِالْمَبَانِي وَالذَّلَائِلِ ، وَالْعِلَاقَةُ

برعاية الخيرات والمصالح ؟ .

اللهمّ ألا ان يقال : اعتبار اجتهاد دون غيره ، وان لم يكن هنا مرجح او كان
وكان مع غير المعتمد ، ايضاً بالاجتهاد !

وبالجملة أما كان الغائبون من المهاجرين امثال الحاضرين في الاجتهاد ، ان لم
يكونوا افضل واقوى ؟ فكما ان اجتهاد الحاضرين جوز لهم الأقدام في هذا الأمر -
الخطبر الهامّ جاز ان يكون اجتهاد الغائبين ادّى الى خلاف ما رآه الحاضرون فارشدهم
الى وجود الاجحام عمّار أوّه وراموه ، والى ترك الأقدام على ما دعّوا اليه وارادوه ،
ولزوم التريث والتلبّث والتشاور لا ارتكاب البغته والفلته والتبادر .

هَبّ انّ درك المصلحة لتقض ما كان ان يُبرّم من بيعة سعد في السقيفة ، حملهم ،
بل واضطرّهم الى السّرة والفلته لبيعة من بايعوه ، فهتلا تركوها بعد التقض ودفّع سعد
باختيار الأُمّة ومشاورتهم ؟ اللهمّ الا ان يدعى انه وجب شرعاً ولزم عقلاً على من بويع
بتلك الكيفيّة ان يحفظ تلك البيعة ويُجبر الغائبين ويلزّمهم بها !!

ثمّ اذا صحّ ان يستند في لزوم البيعة ووجوب التبعيّة ، على من كان حاضراً في
السقيفة ولم يبايع ، كسعد بن عبادة واولاده واقربائه ومن كان رأيه معه ، او على من لم
يكن حاضراً فيها ، بوقوع البيعة في السقيفة (او كما يعبر عنه «الأجماع » من اهل
الحلّ والعقد) وانعقادها فماذا هو الذي يصحّ ان يستند اليه شرعاً (سوى الرأى
الشخصى - الأجتهد ! -) لتصحيح بيعة أول من بايع فيها ؟ وما هي الحجّة الشرعية
على صحّة البيعة من باديتها ؟ .

فهل يجوز ان يتوهمّ بيعته كانت مستندة بآية ناصّة او رواية ، عامّة او خاصّة ،
بل او بيعة او اجماع ، بل او حتّى مشاوره ومؤامرة من اهلها ؟ .

واعلّ الى هذا المعنى اشار الفاروق (رض) حيث عبّر عن تلك البيعة بانّها « كانت
فلتنة » وشدّد في القول حتّى امر بقتل من عاد الى مثلها ، كما ستعرف عن قريب .

١ - وليس لاحد ، ولو كان من القائلين بالقياس الفقهي او بالقانون العقلى المشهور:

وكيف كان، اذا كان، ولم يكن هنا لك سوى الرأى الشخصى فالأشخاص فيه شرع سواء و افراد المسلمين كلهم، من الحاضرين والغائبين، ولاسيما المهاجرين - السابقين، والبدريين المجاهدين، سواسية الحق فى الرأى والنظر، متمائل الاختيار فى القبول او الرد، ولو وجدنا فرق فيكون بالبيعة اى بعدها وبتمام شرائطها للبيعة وقبل تحققها وتامها من اهلها فتدبر.

١٩٥ - عدم مبايعة على ستة اشهر

قضى امر البيعة وتم شأن ذلك الحدث الجسكلى فرُفع لواء الخلافة وانتخب الخليفة، على ما عبر عنه على (ع)، بالاستبداد لا بالاستشهاد، وبالمبادرة لا بالمشاركة، وعلى ما صرح به عمر (رض)، على نحو «الفلته» والبغته لاعلى وجه التريث والمهله .
قال على لأبى بكر فى مقال :

→

« حكم الأمثال فى ما يجوز ولا يجوز، من جهة المماثلة الثابتة، واحد» ان يقول اذا كان قتل الداعى او القائد واجبا فقتل البادى اوجب . وذلك لان « الاجتهاد » على ما وسعوا فى تفسيره يجوز ان يصير رافعا للنص كما صار كذلك فى عدة موارد منها فى قضية مالك بن نويرة الذى قتله خالد بن الوليد وتزوج من اسرته ليلة قتله فتكلم عمر، ابا بكر و « اكثر عليه فى ذلك. فقال : هيه ! يا عمر، تأول فأخطأ. فارفع لسانك عن خالد فالى لاشيم (يعنى لا اعمد) سيفاسله الله على الكافرين . وودى مالكا . . . » (الكامل - الجزء الثانى، الصفحة ٢٦٣، -) .

وقال عمر (رض) مخاطبا لخالد بعد ان قام اليه ونزع اسهما كان مغرورا فى عمارة خالد وحظهما : « ارناء ؟ ! قتلت مسلما ثم نزوت على اسرته ! والله لارجمنك باحجارك . . . » (الجزء الثانى من الكامل - الصفحة ٢٦٣ - فانظر الى القول فى الاجتهاد وسعته كيف يبرىء خالد لقتل المسلم ونزوه على زوجته ؟ ثم كيف يجوز للخليفة ان يحمل عمل خالد على التأويل والاجتهاد بحيث يأمر عمر ان يرفع لسانه عنه مع انه يعلم ان خالد قتل مسلما (لانه ودى عنه) ونزا على اسرته و عمر نفسه يحلف باستحقاق خالد للرجم ومع ذلك لا يرحمه بعد القدرة عليه ، وهذا ايضا بالاجتهاد .

« أَفْسَدَتْ عَلَيْنَا أَمْرَنَا لَمْ تَسْتَشِرْ وَلَمْ تَرَ عَ حَقَّنَا » .

أورد الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ نَقْلًا عَنْ الزُّهْرِيِّ ، بَعْدَ سُؤَالِ رَجُلٍ عَنْهُ « أَقَلَّمَهُ بِيَابِعِهِ عَلِيٌّ سَنَةَ أَشْهُرٍ؟ » وَبَعْدَ قَوْلِهِ فِي جَوَابِهِ : « لَا وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ حَتَّى بَايَعَهُ عَلِيٌّ » ١ ، كَيْفِيَّةَ ذَهَابِ أَبِي بَكْرٍ إِلَى بَيْتِ عَلِيٍّ وَقَدْ جَمَعَ بَنِي هَاشِمٍ عِنْدَهُ :

« فِقَامَ عَلِيٍّ وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَالْإِثْنَاءِ عَلَيْهِ قَالَ :

كُنَّا نَرَى لَنَا فِي هَذَا الْأَمْرِ حَقًّا فَاسْتَبَدَدْتُمْ بِهِ عَلَيْنَا » .

قَالَ الْفَقِيهُ الْمَالِكِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ ، ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ ، فِي الْجُزْءِ الْخَامِسِ مِنْ كِتَابِهِ « الْعَيْقَدُ - الْفَرِيدُ » بَعْدَ مَا سَمَّى « الَّذِينَ تَخَلَّفُوا عَنْ بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ ، عَلِيٌّ وَ الْعَبَّاسُ وَ الزُّبَيْرُ ... فَفَعَدُوا فِي بَيْتِ فَاطِمَةَ حَتَّى بَعَثَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ ، عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِيُخْرِجُوا مِنْ بَيْتِ فَاطِمَةَ وَ قَالَ لَهُ :

« أَنْ أَبِوَا فِقَاتِيهِمْ .

فَأَقْبَلَ بِقَبْسٍ مِنْ نَارٍ عَلَى أَنْ يَضْرُمَ لَهُمُ الدَّارَ . فَلَقِيْتَهُ فَاطِمَةُ فَقَالَتْ :

يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أَجِئْتَ لِتُحْرِقَ دَارَنَا؟!

قَالَ : نَعَمْ أَوْ تَدْخُلُوا فِي مَا دَخَلْتَ فِيهِ الْأُمَّةُ ...»

وَقَالَ أَيْضًا :

« وَمِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : لَمْ يَبَايِعْ عَلِيٌّ ، أَبَا بَكْرٍ حَتَّى مَاتَتْ فَاطِمَةُ وَذَلِكَ لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ مَوْتِ ابْنَتِهَا فَأَرْسَلَ عَلِيٌّ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَأَتَاهُ فِي مَنْزِلِهِ فَبَايَعَهُ وَقَالَ :

« وَاللَّهِ مَا نَفْسِنَا عَلَيْكَ مَا سَأَقِ اللَّهُ إِلَيْكَ مِنْ فَضْلٍ وَخَيْرٍ . وَلَكِنَّا نَرَى أَنْ لَنَا فِي هَذَا الْأَمْرِ شَيْئًا فَاسْتَبَدَدْتَ بِهِ دُونَنَا وَمَا نُنْكِرُ فَضْلَكَ » .

صَرَّحَ عَلِيٌّ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ وَحَلَفَ عَلَى مَا صَرَّحَ بِهِ ، بِأَنْ تَخَلَّفَهُ عَنِ الْبَيْعَةِ لَمْ يَكُنْ نَاشِئًا عَنْ حَسَدٍ ، أَوْ حَبِّ جَاهٍ ، أَوْ هَوَى نَفْسٍ ، أَوْ بَخْلِ ، أَوْ عَدَاوَةٍ لَهُ ، أَوْ رِذْيَةٍ

١ - وَفِي « الْكَامِلِ » لِابْنِ الْأَثِيرِ (الجزء الثاني - الصفحة ٢٢٠ -) : « ... وَالصَّحِيحُ

أَنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا بَايَعَ الْآبِعِدَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ » .

مجيبى عمر
لاحراق دار
فاطمه وفيها
على والعباس
والزبير

بريها فيه، او غير ذلك، من الدواعي النفسانية بل كان لاعتقاده ان ابا بكر استبد في ما كان الحق لعلي فيه، وافسد عليه ما كان له، تصديده وتولييه.

١٩٧- البيعة خارج السقيفة

نقل ابن ابي الحديد عن كتاب السقيفة لأبي بكر بن عبدالعزيز ما نصه الفاظه :
«اجتمعت بنوامية الى عثمان بن عفان واجتمعت بنو زهرة الى سعد وعبد الرحمن فأقبل عمر اليهم وابوعبيدة فقال : مالي اراكم ملتائين ! قوموا فبايعوا ابا بكر فقد بايع له الناس وبايعه الأنصار.

فقام عثمان ومن معه وقام سعد وعبد الرحمن ومن معهما فبايعوا ابا بكر وذهب عمر ومعه عصابة الى بيت فاطمة ، منهم أسيد بن حضير وسلمة بن اسلم فقال لهم :

« انطلقوا فبايعوا . فأبوا . عليهم . وخرج اليهم الزبير بسيفه .

فقال عمر : عليكم الكلب ! . فوثب عليه سلمة بن اسلم فأخذ السيف من يده فضرب به الجدار . ثم انطلقوا به وبعلی ، ومعهما بنوهاشم ، وعلی يقول : « انا عبد الله وآخو رسول الله » حتى انتهوا به الى ابي بكر . فقيل له : « بايع » فقال :

« انا احق بهذا الأمر منكم ، لا بايعكم . وانتم اولي بالبيعة لى . اخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليكم بالقربة من رسول الله فأعطوكم المقادة وسلموا اليكم الأمانة ، وانا احتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار فأنصفونا ، ان كنتم تخافون الله ، من أنفسكم واعرفوا لنا من الأمر مثل ما عرفت الأنصار لكم . وآلا قبوا بالظلم وانتم تعلمون » .

« فقال عمر :

« انتك لست متروكا حتى تباع !

تصريح على
بانه احق
للخلافة

« فقال له عليّ :

« أُحَلِّبُ يَا عَمْرُو حَلْبًا لَكَ شَطْرُهُ ، أُشَدُّدُ لَهُ الْيَوْمَ أَمْرَهُ لِيُرِدَّ عَلَيْكَ غَدًا . لَا وَاللَّهِ لَا أَقْبِلُ قَوْلَكَ وَلَا أُبَايِعُهُ . »

فقال له ابو بكر : « فأن لم تبايعني لم اكرهك » .

« فقال له ابو عبيدة »

« فقال عليّ :

« يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ ، اللَّهُ ، اللَّهُ ، لَا تُخْرِجُوا سُلْطَانَ مُحَمَّدٍ عَنْ دَارِهِ وَبَيْتِهِ إِلَى بَيْتِكُمْ وَدُورِكُمْ وَلَا تَدْفَعُوا أَهْلَهُ عَنْ مَقَامِهِ فِي النَّاسِ وَحَقِّهِ ، فَوَاللَّهِ يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ لَنَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْكُمْ . أَمَا كَانَ مِنَّا الْقَارِيءُ لِكِتَابِ اللَّهِ ، الْفَقِيهُ فِي دِينِ اللَّهِ ، الْعَالِمُ بِالسَّنَةِ الْمُضْطَلَعُ بِأَمْرِ الرَّعْبَةِ ؟ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَفَيْسِنَا . فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى فَنَزَادُوا مِنَّا الْحَقَّ بَعْدًا » ١ .

فقال بشير بن سعد :

« لو كان هذا الكلام سمعته منك الأنصار يا عليّ ، قبل بيعتهم لأبى بكر ما اختلف عليك اثنان ، ولكنهم قد بايعوا ! » .

١ - لا يذهب عليك متانة هذا الاحتجاج و ظرافته فانظر كيف احتج بما كانوا احتجوا به على الانصار بل اعاد عليهم لنفسه ، عين عباراتهم و اشار بان الخلافة حقه وهو اهله اولاً ثم صرح وحلف بان اهل البيت ، وهو اصلهم و رأسهم ، احق بهذا الامر من غيرهم ثانياً ثم بين ووضح ملاك الاهلية والاحقية وهو لقراءة لكتاب الله والفقة في دين الله والعلم بالسنة والاضطلاع بأمر الرعية وحلف بالكناية بانه هو الذي فيه الملاك . واخيراً لما اقام الحججة عليهم نصحهم و انذرهم عن اتباع الهوى وازدياد البعد من الحق . و حينئذ فجرى الحق على لسان بشير بن سعد حيث قال : لو كان هذا الكلام سمعته منك الانصار . . . الخ

لم يبايع على
حتى ماتت فاطمة

« وانصرف عليّ الى منزله ولم يبايع ولزم بيته حتى ماتت فاطمة ، فبايع . »
وقال الطبري في تاريخه (بعد ذكر واقعة السقيفة) :
« فبايع الناس ، واستتبوا للبيعة . وتخلّف عليّ و الزبير واخترط الزبير سيفه
وقال : لا اُغمده حتى يبايع عليّ . . . »

١٩٨ - أول من ابتز حقّ عليّ ما صرّح به معاوية

ارسل محمد بن ابى بكر حين كان غازماً على الخروج مع عليّ الى صفين
كتاباً الى معاوية بن هند وذكر فيه مقام عليّ ونصح معاوية و انذره فكان في ما كتبه
معاوية في جوابه (على ما حكى ، ابن ابى الحديد عن نصر بن مزاحم - المجاهد الاول -
الصفحة ٢٨٤ -) :

« ذكرت حقّ عليّ بن ابى طالب وقديم سابقته ، وقرابته من نبيّ الله ، ونصرته له ،
ومؤاساته ، في كلّ خوف وهول ، واحتجاجك علىّ وفخرك لفضل غيرك
لابفضلك . فأحمده الهأ صرف ذلك الفضل عنك وجعله لغيرك .

« فقد كنّا و ابوك معنا في حياة نبيّنا نرى حقّ ابن ابى طالب لازماً لنا وفضله
مبرّزا علينا .

الفاطمه على
ابتزاز حق علي
ومخالفتها له

« فلمّا اختار الله لنبيّه ما عنده ، واتمّ له ما وعده ، واظهر دعوته ، وافلج حجّته
قبضه الله اليه .

« فكان ابوك وفاروقه ، أول من ابتزّه وخالفه على ذلك .

« اتّفقا واتّسقا ثمّ دعواه الى انفسهما .

« فأبطأ عنهما وتلكأ عليهما .

« فهتّمّا به الهجوم وارادا به العظيم .

« فبايعهما وسلّم لهما .

« لا يُشركانه في امرهما ، ولا يطلّعانه على سرهما ، حتى قبضا وانقضى امرهما ،

ثمّ اقاما بعدهما ثالثهما عثمان بن عفّان فان يكن مانحن فيه صوابا فابوك
اوله وان يكن جوراً فابوك أسه ونحن شركاؤه فبهديله اخذنا، وبفعله اقتدينا . راينا
اباك فعل ما فعل فاحتدينا مثاله واقتدينا بفعاله فعيب اباك بما بدالك او دَعُ والسلام .
هذا ما كتب معاوية في حقّ عليّ و في شأن من ابتزّه ، وخالفه بالانتفاق
والأتساق، وهمّ الهموم به ، و اراد العظيم له واكرهه على البيعة، ثمّ صرف الأمر منه الى
ثالث ثلاثة .

١٩٩ - أوّل من ريّث عن هذا الامر

يناسب ان نذكر هنا ما نقل من عمر بن الخطّاب (رض) في هذا الشّان .
قال ابو الفرج الأصبهاني الأموي (في ترجمة « زهير و اخباره » من كتابه
الأغانى) بأسناده عن عمر بن عبد الله اللّيثي . قال : قال عمر بن الخطّاب ليلة مسيره
الى الجابية :

« ابن ابن عبّاس ؟ فأناه . فشكّلت تخلف عليّ بن ابي طالب رضى الله عنه .

« فقال : أوّلم يعتذر اليك؟

« قال : بلى ! .

« قلت : هو ما اعتذر به .

« ثمّ قال : أوّل من ريّثكم عن هذا الأمر ، ابوبكر .

ان قومكم كرهوا ان يجمعوا لكم الخلافة والنّبوة . . . »

٢٠٠ - بعض من تخلف عن بيعة ابي بكر

قال اليعقوبي في تاريخه :

« وجاء البراء بن عازب (يعني بعد السقيفة) فضرب الباب على بنى هاشم

وقال :

« يا معشر بنى هاشم! بوبع ابوبكر . فقال بعضهم :
 « ما كان المسلمون يُحدِّثون حدثاً نغيب عنه ونحن اولىٰ بمحمد .
 » فقال العباس : فَعَلُّوْهَا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ .
 » وكان المهاجرون والأنصار لا يشكِّون في عليّ عليه السلام .
 » فلمّا خرجوا من الدّار قام الفضل بن العباس ، وكان لسان قريش ، فقال :
 « يا معشر قريش : انّه ما حقّت لكم الخلافة بالتّمويه ونحن اهلها .
 » دونكم وصاحبنا اولىٰ بها منكم .

« وقام عتبة ابن ابي لهب فقال :

مَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ الْأَمْرَ مُنْصَرِفٌ

عَنْ هَاشِمٍ ثُمَّ مِنْهَا عَنْ أَبِي الْحَسَنِ
 عَنْ أَوَّلِ النَّاسِ إِيمَانًا وَسَابِقَةً
 وَأَعْلَمِ النَّاسِ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ
 وَأَخِيرِ النَّاسِ عَهْدًا بِالنَّبِيِّ وَمَنْ
 جَبْرَيْلُ عَوْنٌ لَهُ فِي الْغُسْلِ وَالْكَفَنِ
 مَنْ فِيهِ مَا فِيهِمْ لَا يَمْتَرُونَ بِهِ
 وَلَيْسَ فِي الْقَوْمِ مَا فِيهِ مِنَ الْحُسْنِ

» فبعث اليه عليّ فنهاه .

« وتخلّف عن بيعة ابي بكر قوم من المهاجرين والأنصار ومالوا مع عليّ ابن-

ايات في استبعاد
انصراف الامر
عن علي (ع)

اسماء الاكابر
من المخالفين

١ - وفي « قاموس الرجال » (المجلد الرابع - الصفحة ١٢ -) للمحقق الشوشتری المعاصر
 نقلا عن المفيد في ارشاده « ان خزيمه بن ثابت ، ذوالشهادتين ، انشأ يقول في غضبهم
 لحق امير المؤمنين عليه السلام : ما كنت احسب هذا الامر منصرفاً ... الخ و زاد بعد ما
 في المتن من الايات ، هذا البيت :

ها ان بيعتكم من اغين الغين .»

ماذا الذي ردكم عنه فنعلمه

ابى طالب ، منهم العباس بن عبدالمطّاب و الفضل بن العباس و الزبير بن العوام -
ابن العاص و خالد بن سعيد و المقداد بن عمرو و سلمان الفارسي و ابوذر الغيفاري
و عمار بن ياسر و البراء بن عازب و ابي بن كعب . . . »

٢٠١ - البيعة ، او الاجماع ، وما فيها

مما يورث العجب اطلاقهم لفظ «الاجماع» على تلك «البيعة» فى كلماتهم ،
واعجب منه ما نقل ابن الحديد عن «اصحابه» فى تصحيح ذلك «الاجماع» بحقيقة
معنى الكلمة ، واغرب من هذا جداً ادعاء تأثير صحة خلافة عمر فى صحة خلافة
ابى بكر باستناد حصول «الاجماع» على خلافة عمر . فانظر واعتبر .

فهو ، ابن ابى الحديد ، بعد ما نقل كلام قاضى القضاة فى «اجماع الأمة على
خلافة عثمان» ورد السيد المرتضى عليه واطال بما نقل عنهما من التنصص و الأبرام
قال :

« قلت : اما اذا احتجّ اصحابنا على امامة ابى بكر بالاجماع فاعتراض حجّتهم ،
بخلاف سعد وولده واهله اعتراض جيد ، ولا يقول اصحابنا فى جوابه :
« هؤلاء شدّ آذ فلان تحفيل (اى لانعتد) بخلافهم وانما المعتبر بالكثرة التى
بأرائهم . »

تأثير اللاحق
فى ما سبق
وتصحيحه !!

وكيف يقولون هذا وحجّتهم «الاجماع» ولا اجماع؟
ولكنّهم اجابوا عن ذلك بأن سعداً مات فى خلافة عمر فلم يبق من يخالف فى
خلافة عمر فانعقد «الاجماع» عليها ! و بايع ولد سعد واهله من قبل . واذا صحّت
خلافة عمر صحّت خلافة ابى بكر لأنّها فرع عليها . ومحال ان يصحّ الفرع ويكون
الأصل فاسداً !

فهكذا يجيب اصحابنا عن الاعتراض بخلاف سعد ، اذا احتجّوا بالاجماع . . .
فيا لله ولهذا الجواب من اصحاب الوفا ! وهل يكون هذا الجواب الا مصداقاً جليلاً
للاكل من القفا .

ان كنت ممن يتعجب من غرابة هذا الجواب من اصحاب العدل وارباب الفضل للتصحيح والمرمة فاعلم ان العجائب جمّة فهذا جلال الدين السيوطي ، علامة - العلماء مفضل الفضلاء ، قال في ما قال في حق عبد الملك بن مروان (تاريخ الخلفاء - الصفحات ١٢ - ٢٢٠ -) .

« افضى الأمر الى عبد الملك والمُصحف في حُجره فأطبقه وقال : هذا آخر - العهد بك . . . »

« . . . وهو اول من غدر في الاسلام . . . واول من نهى عن الأمر بالمعروف . »
« وقوله في الخطبة التي خطبها بالمدينة : « . . . والله لا يأمرني احد بتقوى الله بعد مقامي هذا الا ضربت عنقه » .

« وقلت (السيوطي) : لو لم يكن من مساوي عبد الملك الا الحجاج ، وتوليته اياه على المسلمين وعلى الصحابة ، رضى الله عنهم ، يُهينهم قتلاً وضرباً وشتماً وجسماً ، وقد قتل من الصحابة واکابر التابعين ما لا يُحصى ، فضلاً عن غيرهم ، وختم في عنق انس وغيره من الصحابة ختماً ، يريد بذلك ذلهم ، فلا رحمه الله ولا عفا عنه . »

ومع ذلك قال (السيوطي) : « وُلد عبد الملك سنة ست وعشرين (٢٦) بوبع بعهد من ابيه في خلافة ابن الزبير ، فلم تصحّ خلافته . وبقي متغلباً على مصر والشام . . . الى ان قتل ابن الزبير سنة ثلاث وسبعين فصحّت خلافته من يومئذ . »
وقال في موضع آخر (من تاريخ الخلفاء) :

« والأصحّ ما قاله الذهبي : ان مروان لا يُعدّ في امراء المؤمنين بل هو باغٍ خارج على ابن الزبير ولا عهده الى ابنه بصحيح وانما صحّت خلافة عبد الملك من حين قتل ابن الزبير » .

تصحيح خلافة
عبد الملك
بقوله ابن الزبير
الخلافة!

١ - اليس من العجب العجاب ان يصير الباغي على الخلافة والقاتل له ، خليفة وصارت خلافته « صحيحة » من حين قتله الخلافة . اللهم الا ان يكون المراد من الصحة في قوله

٢٠٢- السُّؤال الخامس اما صرّح عمر (رض) بكون

تلك البيعة فلتة ؟

و خامساً :

أما كان « بيعة ابي بكر كانت فلتةً و قى الله شرّها » كما اشتهر بينهم ، وحتى اعترف بها الشيخان ^١ ؟

صرّح عمر نفسه (رض) بذلك وقد نقل عنه في الكتب المعتمدة المعتمدة الكثيرة منها التاريخ الطبري فيه « بعد ما كان سمع عن بعضهم انه قال : « لو قدمات امير المؤمنين (يعنى عمر) لقد بايعت فلاناً » صعد المنبر وقال :

« ثم بلغنى ان قائلًا منكم يقول : لو قدمت امير المؤمنين بايعت فلاناً .
« فلا يغرنّ امرءاً ان يقول : ان بيعة ابي بكر كانت فلتة . فقد كانت كذلك غير ان الله و قى شرّها .

ان بيعة ابي بكر
كانت فلتة

« و انه كان من خبرنا حين توفى الله نبيّه (ص) ان عليّاً و الزبير و من معهما تخلّفوا عنّا فى بيت فاطمة و تخلّفت عنّا الأنصار باسرها و اجتمع المهاجرون الى ابي بكر ^٢ .

→ معنى آخر لا يفهم العرف و على اى حال ليس هذا اول قارورة كسرت فى الاسلام فهو معاوية ، الباغى على على الخليفة بالحق ، يحاربه و يجارب الصحابة الكبار و يقتلهم فيصير خليفة المسلمين و امير المؤمنين : و تصح خلفته (على ما ابداه السيوطى) بعد ما لم تكن بصحيحة !

١- وفى تاريخ الخلفاء للسيوطى ، فى فصل المبايعه لابي بكر (رض) :

« روى الشيخان ان عمر بن الخطاب (رض) خطب الناس مرجعه من الحج فقال فى خطبة « قد بلغنى ان فلاناً منكم يقول : لو مات عمر بايعت فلانا . فلا يغترن امرؤ... »
٢- ماذا اراد عمر (رض) بهذه الجملة و الجملة التى بعدها (و بايعه المهاجرون) و لم ينقل احد اجتماع المهاجرين الى ابي بكر قبل السقيفة ولا اجتماع المهاجرين فى السقيفة غير ابي بكر و عمر و ابي عبيدة (وعلى رواية و عبدالرحمن بن عوف) كى يصح « بايعه المهاجرون » ؟ فابن كان ذلك المجتمع ؟ و من كانوا هؤلاء المجتمعون من المهاجرين . اللهم الا ان يقال : كان الاجتماع من اجتماع قبل السقيفة و لتدبير امر السقيفة فتدبر .

« فقلت لأبى بكر : انطلق بنا الى اخواننا هؤلاء من الأنصار . فانطلقنا نؤمهم .

« فلما اشفقتُ الاختلاف قلت لأبى بكر : ابسط يدك ابايعك .

« فبسط يده فبايعته و بايعه المهاجرون و الأنصار .

« ثم نزلنا على سعد (وهو وجيعٌ مُزْمَلٌ) حتى قال قائلهم : قتلتم سعد بن

عبادة ! فقلت : قَتَلَ اللهُ سعدا »

قال ابن ابي الحديد بعد نقله هذه القضية عن الطبري كما نقلنا :

« فاما حديث « الفلثة » فقد كان سبق من عمر ان قال :

« ان بيعة ابى بكر فلتنة و قى الله شرها . فمَن عادَ الى مثلها فاقْتُلوه »

٢٠٣ - خطبة عمر (رض) و كون البيعة فلتة

قال « الامام العلامة عمدة المؤرخين » و عمادهم عز الدين على بن ابي الكرم

محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ، المعروف بابن الأثير

الجزري ، (المتوفى سنة ٥٦٣٠ هـ . ق) في كتابه الكامل (الجزء الثاني - الصفحة ال ٢٢٠)

« وقال ابن عباس : كنت اُقرئُ عبد الرحمن بن عوف ، القرآن فحجَّ عمر

وحججنا معه فقال لى عبد الرحمن :

« شهدت امير المؤمنين اليوم بمنى وقال له رجل : سمعت فلاناً يقول : لو مات

عمر لبايعتُ فلانا .

« فقال عمر : انى لقائم العشيّة بين الناس احذرهم هؤلاء الرهط الذين

١- قال ابن ابي الحديد (المجلد الاول الصفحة ال ١٢٣ من شرحه) : « وقال شيخنا

ابو القاسم البلخي : قال شيخنا ابو عثمان الجاحظ ان الرجل الذى قال « لو مات عمر

لبايعت فلانا » عمار بن ياسر قال : لو قد مات عمر لبايعت عليا عليه السلام و هذا القول

هو الذى هاج عمر ان خطب بما خطب به . وقال غيره من اهل الحديث : انما كان

المعزوم على بيعته لو مات عمر ، طلحة بن عبيدالله .

يريدون ان يغتصبوا الناس امرهم^١ .

« قال : فقلت :

« يا امير المؤمنين انّ الموسم يجمع رَعاع النَّاسِ و غوغائهم و هم الذين يغلبون على مجلسك و اخاف ان تقول مقالة لا يعوُّها ولا يحفظوها [ولا يضعونها على مواضعها] و يطيروا بها [كلّ مطير] ولكنّ امهل حتى تقدّم المدينة و تخلص باصحاب رسول الله صلّى الله عليه و سلم فتقول ماقلت [متمكّنا] فيبعووا مقاتلك .

« فقال : و الله لأقومنّ بها أوّل مقام اقومه بالمدينة .

« قال : فلمّا قدمت المدينة هجرت يوم الجمعة لحديث عبد الرحمن فلمّا جلس عمر على المنبر حمد الله و اثنى عليه ثمّ قال ، بعد ان ذكر الرّجم و مانسَخ من القرآن فيه ، :

« انّه بلغني انّ قائلًا منكم يقول : « لو مات امير المؤمنين بايعت فلانًا ، فلا يغرّن امرءًا ان يقول : انّ بيعة ابي بكر كانت فلتة . فقد كانت كذلك و لكنّ الله و قى شرّها^٢ و ليس منكم من تقطع اليه الأعناق مثل ابي بكر و انّه كان خيرنا حين توفّي رسول الله (ص) . و ان عليًّا و الزبير و من معهما تخلّفوا عنّا في بيت فاطمة . . . »^٣

١- لا تستل عن امر السقيفة و الاغتصاب فظن به خيرا .

٢- حدث البخارى فى صحيحه (الجزء الرابع - باب رجم الحبلى من الزنا اذا احصنت) بأسناده عن ابن عباس هذا الحديث بزيادات :

منها ، الاشارة الى انزال الله آية الرجم .

و منها آية « ان لا ترغبوا عن ابائكم فانه كفر بكم ان ترغبوا عن آبائكم . . . » .

و منها فى آخره قوله (رض) : « فمن بايع رجلا على غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذى بايعه تغرة ان يقتلا » .

٣- ما نقلناه عن الكامل المذكور فى الطبرى (الجزء الثانى - الصفحة ٤٤٥) .

٢٠٤ - حديث ابن عمر عن ابيه في كون البيعة فلتة

قال ابن ابي الحديد (شرح نهج البلاغة) : (نقلاً عن الشافى للسيد المرتضى)
« روى الهيثم بن عدى عن عبدالله بن عباس الهمدانى عن سعيد بن جبير ،

قال :

« ذُكر ابو بكر عند عبدالله بن عمر فقال رجل :

« كانا والله شمسى هذه الأمة و نوريتها .

« فقال ابن عمر : وما يدريك ؟ قال الرجل : اليس قد ائتلفا ؟

« قال ابن عمر : بل اختلفا ، لو كنتم تعلمون .

« اشهد اننى كنت عند ابي يوماً ، وقد امرنى ان احبس الناس عنه ، فاستأذن

عليه عبدالرحمن بن ابي بكر فقال عمر : دُوببة سوء و لهو خير من ابيه !

« فأوحشنى ذلك منه . فقلت ، يا ابا ، عبدالرحمن خير من ابيه ؟ !

« فقال : ومن ليس خير من ابيه ؟ لا ام لك . ائذن لعبدالرحمن .

« فدخل عليه . فكلّمه فى الحطّيبية الشاعر ان يرضى عنه ، وقد كان عمر

حبسه فى شعره قاله .

« فقال عمر : ان فى الحطّيبية اوداً فدعنى اقومه بطول حبسه .

« فألحّ عبدالرحمن و ابي عمر فخرج عبدالرحمن .

« فأقبل على وقال :

« فى غفلة انت الى يومك هذا ، عما كان من تقدّم اُحيمقُ بنى تيم علىّ

و ظلمه لى ؟

« فقلت : لاعلم لى بما كان من ذلك .

١ - « و الحطّيبية ، الرجل القصير قال ثعلب و به سمي الحطّيبية لدمايته . »

« قال : يا بُنَيَّ فما عسيت ان تعلم ؟ »

فقلت : والله لهو احبّ النَّاس من ضياء ابصارهم .

« قال : ان ذلك لكذلك على رغم ابيك و سخطه . »

« فقلت : يا ابيت افلا تجلّى عن فعله بموقف فى الناس لتبين ذلك لهم ؟ »

« قال : وكيف لى بذلك مع ما ذكرت انه احبّ الى النَّاس من ضياء ابصارهم ؟ »

اذن يُرَضِّح راس ابيك بالجدل :

« قال ابن عمر : ثم تجاسروا الله فجسر فما دارت الجمعة حتى قام خطيبا فى-

الناس فقال :

« ايها الناس ! ان بَيْعَةَ ابي بكر كانت فَلَئْتَهُ وَقَى اللهُ شَرَّهَا فَمَنْ دَعَاكُمْ

الى امثليها فاقتلوه »

٢٠٥- تصريح ابي بكر بكون البيعة فلتة

قال عز الدين بن ابي الحديد ايضا : (المجلد الاول - الصفحة ال ١٢٨)

« و فى كتب غريب الحديث » فى تمّة كلام عمر :

« فأبىما رجل بايع رجلا بغير مشورة من الناس فلا يؤمر واجد منها تغيرة

ان يُقتل »

« قالوا : غرر تغيراً و تغيرة كما قالوا : حلل تحليلاً و تحيلة و علل تعليلاً

و تعلية ، وانتصب ههنا لأنه مفعول له . و معنى الكلام انه اذا بايع واحداً آخر بغتة

من غير شورى فلا يؤمر واحد منهما لأتتهما غرراً بأنفسهما تغيرة و عرضها لأن

يُقتل »

وقال ايضا (المجلد الاول - الصفحة ال ١٣٢-) رواية عن ابي بكر بن عبدالعزيز

الجوهري ، بعد نقل ذهاب عمر و عصابة ، منهم أسيد بن خضيم ، الى بيت

فاطمة و اخذهم سيفى على و الزبير و كسرها ثم اخراج عمر اياهما وسوقهما لأخذ

البيعة :

ظلم ابي بكر
لعمري فى تقدمه
عليه على ما قال
به عمر

«ثم قام ابوبكر فخطب الناس واعتذر اليهم وقال :
« ان بيعتي كانت فكتة وقي الله شرها وخشيت الفتنة . . . »

٢٠٦- السؤال السادس ماوجه كتمان عمر امر السقيفة ؟

وسادساً :

لما اذا اراد عمر (رض) ان يكتف امر السقيفة ، قبل ذهابه اليها عن غير ابى بكر من المهاجرين ؟

فقد كان اكابر المهاجرين مجتمعون فى بيت النبى (ص) و ، على ما دريت من قول الطبرى ، كان ابوبكر معهم فيه « فلما اتى عمر الخبير فأقبل الى منزل النبى (ص) فأرسل الى ابى بكر : ان اخرج الى . . . فخرج اليه فقال : اما علمت ان الانصار قد اجتمعت فى سقيفة بنى ساعدة ؟ . . . فمضيا مسرعين نحوهم . فلقيا ابا عبيدة بن الجراح فتماشوا اليهم ثلاثهم . . . »

وهي هنا يتوجه هذا السؤال :

لِمَ خُصَّ ابوبكر بالأطلاع على هذا الأمر الهام الذى يتعلق بالاسلام ، ويتوقف على آراء المسلمين عموماً ، ويرتبط بالمهاجرين ، ولا سيما القرشيين منهم ، وفيهم عم الرسول و ابن عمته و زوج ابنته ، خصوصاً ؟

ولِمَ لم يُخبر بذلك العباس وعليساً والزبير وغيرهم من الأكابر والأقارب- الذين كانوا فى بيت الرسول وكان ابوبكر فيهم و معهم ؟!

اترى ان هذين العظيمين يزعمون ان افشاء الامر و اظهاره لهؤلاء الأكابر ، ودعوتهم الذهاب معهما جميعاً الى السقيفة يوجب لهم و هن و فشل فى افحام الانصار و صرف الأمر عنهم و عطفه على المهاجرين او على خصوص قريش ؟!

أو تزعم ان هؤلاء الأكابر من قريش و المهاجرين كانوا راضين بالبيعة لمن اراداه و يرياه ، موافقين لمن اقترحاه و مع هذا اقدموا فى كتمان الأمر عنهم و اخفاء الواقعة عليهم ؟

أَوْ تَظَنَّ أَنَّ الْأَنْصَارَ فِي السَّقِيْفَةِ كَانُوا بِحَيْثُ إِذَا وَرَدَ عَلَيْهِمْ هَؤُلَاءِ الْعِظَمَاءُ مَنَعُوهُمْ وَطَرَدُوهُمْ وَلَمْ يَرْتَضُوا بِصَحَابَتِهِمْ مَعَهُمَا فَأَسْفَقُوا لَهُمْ وَلَمْ يَخْبِرَاهُمْ صَوْنًا لِكِرَامَتِهِمْ !؟

اما كان هذا من « اغتصاب الناس امرهم » الذي لا يرتضيه عدل عمر (رض) و يتحاشاه كما صرح به في مانقله ابن الاثير عنه و اوردناه آنفاً ؟

٢٠٧- السؤال السابع بما ذا يوجبه الأمر بقتل الصحابي العظيم ؟

و سابغاً (وبه نكتفى عن السؤال)

ما هو الامر الذي سوغ لعمر ان يأمر بقتل سعد بن عبادة ، بل لما ذا اراد ان يقتله بنفسه ؟

فلننظر ماذا هو الذي اباح دم هذا الصحابي الكبير وصيره مهذور الدم بل جعله واجب القتل ؟

أَفْتَرَى مَنْ سَعَدُ بْنُ عَبَادَةَ ؟

هل كان سعد في السقيفة اشرك بالله العظيم ؟ او انكر رسوله وكفر بدينه ؟ او قتل مؤمناً متعمداً بغير حق ؟ او ارتكب عملاً منكراً و اتى بفاحشة مبينة استوجب القتل ؟

لعلك ايها الناظر لاتعرف سعداً و تحب ان تعرفه فانظر الى ما اورد بتعريفه «الحافظ ، المحدث ، الفقيه ، المالكي ، ابن عبد البر (المتوفى سنة ٤٦٣) في كتابه «الاستيعاب في اسماء الأصحاب» و اعرف شأنه ايضا مما عرفه به « شيخ الإسلام ، امام الحنفا ، الفقيه ، الحافظ ، المحدث » ابن حجر العسقلاني الشافعي (المتوفى سنة ٨٥٢ هـ . ق) في كتابه « الأصابة في تمييز الصحابة » . و ان صعب عليك النظر في ذينك الكتابين المعتبرين فأعير نظرك لمحةً وانظر الى ما نلخصه منهما ، مع حفظ عين عبارتهما ، و نذكره لك فاعرفه ثم آتصيف :

٢٠٨- ملخص ما في الاستيعاب

قال ابن عبدالبرّ :

« سعدُ بنُ عبادة بن دليم . . . الأنصاري كان نقيباً شهيد العقبّة و شهيد بدرأ على ما قاله جماعة ، منهم الواقدي . . . وكان جواداً ، سيداً في الأنصار ، وجيهاً ، له رئاسة و سيادة يعترف قومه له بها .

« و في هذا السعد و سعد بن معاذ جاء الخبر المأثور انّ قريشاً سمعوا صائحا بصيحح ليلاً على ابي قبيس :

« فأن يسلم السعدان يصبیح محمداً

بمكة لا يخشى خلاف المخالف »

« والى هذين السعدين ارسل رسول الله (ص) يوم الخندق يشاورهما في ما اراد ان يعطيه يومئذ عبيسنة بن حصين من ثمر المدينة لينصرف بمن معه من غطفان ويخذل الأحزاب فاراد الرسول (ص) اعطاء الثلث و ابي عبيسنة الا ان يأخذ النصف فأرسل رسول الله (ص) الى سعد بن معاذ و سعد بن عبادة دون سائر الأنصار ، لأن ابن معاذ كان سيد الأوس و ابن عبادة كان سيد الخزرج فشاورهما في ذلك . فقالا : « يا رسول الله ان كنت أميرت بشيء فافعله وامض له ، و ان كان غير ذلك فوالله لانعطيهم الا السيف .

فقال رسول الله :

« لم أومر بشيء . لو أميرت بشيء ماشاورتكما . وانما رأي اعرضه عليكما » فقالا : يا رسول الله ما طمعوا بذلك منّا قطّ في الجاهلية فكيف الرسول و قد هدانا الله بك و اكرمنا و ابدنا ؟ والله لانعطيهم الا السيف .

١- في النسخة بالثاء المثلثة و يحتمل ان يكون في الاصل بالمنقوطين و كيف كان فالمراد به التمر.

« فَسَرَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) بِذَلِكَ وَقَالَ لِعَبِيدِنَةَ ، وَ مِنْ مَعَهُ ، : ارجع فليس بيننا و بينكم آلا السيف .

لم يبايع سعد
حتى مات بعد
مضى سنتين
و نصف من
خلافة عمر

« وَ تَخَلَّفَ سَعْدُ بْنُ عَبَّادَةَ عَنْ بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَ خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَ لَمْ يَنْصَرَفْ إِلَيْهَا إِلَى أَنْ مَاتَ بِحُورَانَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ، بِسِتِّينَ وَ نِصْفَ مَضْيَا مِنْ خِلافةِ عُمَرَ وَ ذَلِكَ سَنَةَ خَمْسِ عَشْرَةَ .

« وَ لَمْ يَخْتَلِفْ أَحَدٌ أَنَّهُ وَجِدَ مَيِّتًا فِي مِغْتَسَلِهِ وَ قَدْ اخْضَرَ جَسَدُهُ وَ لَمْ يَشْعُرُوا بِمَوْتِهِ حَتَّى سَمِعُوا قَائِلًا يَقُولُ وَ لَا يَرُونَ أَحَدًا :

نَحْنُ قَتَلْنَا سَيِّدَ الْخِـ سَزْرَجَ سَعْدَ بْنَ عَبَّادَةَ

نَحْنُ رَمَيْنَاهُ بِسَهْمٍ سَمِينٍ لَمْ نُحْطِ فِؤَادَهُ

« وَيُقَالُ : إِنْ الْجَنِّ قَتَلْتَهُ . » أَنْتَهَى مَا فِي الْأَسْتِعَابِ مَلَخَصًا .

٢٠٩ - ملخص ما في الأصابة

و ملخص ما أورده ابن حجر العسقلاني في شأن ابن عبادة في كتابه «الأصابة» .
« سعد بن عبادة بن دليم ، كانت لأُمها عمرة بنت مسعود صحبة و ماتت سنة خمس و شهد سعد العقبية و كان أحد النقباء . و اثبت البخاري شهوده بدرأ .
« وقال ابن سعد : كان يكتب بالعربية و يُحسن العومَ والرَّمْيَ فكان يقال له : «الكامل» و كان مشهوراً بالجود ، هوَ و أبوه و جدّه و ولده .

« و عن ابن عباس : كان لرسول الله (ص) في المواطن كلَّها رابتان : مع عليّ راية المهاجرين و مع سعد بن عبادة راية الأنصار .

« وقال قيس بن سعد : زارنا النبيّ (ص) في منزلنا فقال (ص) :

١- قيس بن سعد هذا كان بمنزلة الشرطي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم على ما في الكتب المعتمدة . منها في كتاب «البدء والتاريخ» (الصفحة ١١٥ من المجلد الثاني) : «ومن ولده (يعني ولد سعد) قيس بن عبادة ، الداہی ، الشجاع ، الفطن ، وهو من شيعة علي ، فكان للنبي (ص) بمنزلة الشرطي يهاهه الناس مالا يهابون غيره و كان صاحب راية الانصار يوم بدر»

«السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ . . . الحديث . وفيه : ثمَّ رفع يده فقال :
«اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَوَتَكَ وَرَحْمَتَكَ عَلَيَّ آلِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ» وروى
ابو يعلى من حديث جابر قال : قال رسول الله (ص) :

«جَزَى اللَّهُ عَنِّي الْآنَ نَصَارَ خَيْرًا وَلَا سِيَّمَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَزْمٍ وَسَعْدِ بْنَ عُبَادَةَ»
و رُوِيَ مِنْ طَرِيقِ ابْنِ سَيْرِينَ قَالَ :

«كَانَ أَهْلُ الصُّفَّةِ إِذَا امْسَوْا انْطَلَقَ الرَّجُلُ بِالوَاحِدِ وَالرَّجُلُ بِالْأَثْنَيْنِ وَالرَّجُلُ
بِالْجَمَاعَةِ فَأَمَّا سَعْدٌ فَكَانَ يَنْطَلِقُ بِثَمَانِينَ .

«وَقَصَّتْهُ فِي تَخْلُفِهِ عَنْ بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ مَشْهُورَةٌ . . . » انتهى ما في «الأصابة»
ملخصاً ايضاً .

وقال ابو نعيم في حلية الأولياء (المجلد السادس - الصفحة الـ ٣٢٧) بالأسناد
عن عبد الله بن وهب عن الامام مالك بن انس انه قال :

«ان رَاهِبًا كَانَ بِالشَّامِ فَلَمَّا رَأَى اَوَائِلَ اصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الَّذِينَ قَدِمُوا الشَّامَ . . . »

«وقال : والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا بَلَغَ حِوَارِيَّ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، الَّذِينَ
صَلَبُوا عَلَى الخَشَبِ ، وَنُشِرُوا بِالمَنَاشِيرِ ، مِنْ الأَجْتِهَادِ مَا بَلَغَ اصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

« قال عبد الله بن وهب : قلت لمالك بن انس : تسميهم . فسمي ابا عبيدة
ومعاذاً وبيلاً وسعد بن عبادة »

٢١٠ - مالك بن أبيح به قتل الصحابي البدرى ؟

قدورد في سائر الكتب المعتمدة المعتمدة في شأن ذلك الرجل العظيم ، والصحابي -
الكبير ، المعاضد للنبي ، والمجاهد البدرى ، الذي كان رأس اهل الحل والعقد ،
وسيد اهل الكرم والمجد ، ومعتمد الرسول في مشاورته ، وصاحب لوائه ورايته ،
مثل ماورد في الكتابين و نقلنا ملخصهما .

سعد وما بلغ
من الاجتهاد
في العمل الصالح

فهل كان من الجزاء الخير الذى دعا به النبى له ، و من ثمرات السلام و الصلوة و الرحمة عليه و على آله ، ان يصير دمه مُباحاً ، و يُحرّض على قتله ؟ !
 ماذا اوجب ، ام اباح ، قتل الصحابى البدرى ، صاحب راية الرسول فى المواطن كلها ؟

هل كان حضوره فى السقيفة (بل احضاره و اخراجه و اقعاده - لأنه كان مريضاً-)
 اباح دمه و اوجب قتله ؟

او هل كان كلامه فى موضوع الأمانة (للاخلافة) اورث ذلك ؟ فلماذا ؟ ولم
 يكن ذلك كفراً بالله و لامخالفاً لنص من القرآن او نقل من السنة (على حسب مادعوا)
 اولاً اقل من اجماع صحيح .

أو هل يصح ان يقال : ان ميله الى الرئاسة و حبه الأمانة التى فوّض امرها ،
 على ما قالوا و اعلنوا ، من جانب الله و رسوله ، باختيار الأمة و انتخابهم فلهم تعيين
 الأمير (او الخليفة) ، مبيحاً لأراقة دمه و اباحة قتله ؟
 فما الدليل عليه ؟

هل كان هنا نهى شرعى و منع دينى يمنع فرداً من الأمة ان يهوى الى الأمانة ،
 ويريدها لنفسه ، و يعمل لنيلها ، و يسلك طريق الوصول اليها ، و يعزم على حفظ الإسلام
 و المسلمين ، و اعلاء كلمة الدين ؟

اليس اذا لم يكن هنا نص من الله و رسوله على شخص خاص للخلافة (كما قالوا)
 جائز لكل واحد من افراد المسلمين اذا رأى من نفسه التمكن و الصلاح ، كائنا من كان ،
 ان يريد لها لنفسه ، و يدبر فى سبيل تحصيلها لشخصه ، بل يعارض غيره ان رآه غير
 صالح او يرى نفسه اصلح ؟

سعد و طول
 صحبته و كثرة
 جهاده و اجتهاده

فكيف بسعد ؟ و هو هو ، من طول الصحبة للنبى (ص) و خلوص الخدمة له ،
 و شدة الدفاع عنه ، و كثرة الجهاد بنفسه و ماله و قومه و عشيرته فى سبيل اعلاء الدعوة .
 هنا مع علوّ شأنه حسباً و نسباً و عظمة مقامه فى الأنصار بحيث كان مرشحاً بينهم ،

باتفاقهم ، للأماره حتى « آخر جوه مريضاً » و « أقعدته الأنصار » لأن يباعدوا معه و قد كان كاملاً في السخاء والشجاعة ، اصيلاً في الأماره ، عريقاً في الرئاسة ، فقد كان طيلة الزمان رئيساً على قومه ، كأبائه ، نافذاً امره في قبيلته ، ومع ذلك كله كان له مقام الشيخوخة والتحنك والتجربة والممارسه في العرب و في الاسلام . على ان لقومه و قبيلته الخاصه من الأنصار ايضاً كان مقامهم الشامخ في الاسلام و بين المسلمين ، كما ابان عنه سعد نفسه ، على ما نقل عنه في الكتب المعبره ، وهو ذاته نقلها .

٢١١ - كلام سعد في السقيفة

قال محمد بن جرير الطبري في تاريخه (مسنداً) :

« ان النبي لما قبض اجتمعت الأنصار في سقيفة بني ساعدة فقالوا :

« نولت هذا الأمر بعد محمد ، عليه السلام ، سعد بن عبادة ، و اخرجوا سعداً اليهم ، و هو مريض ، فلما اجتمعوا قال لابنه ، او بعض بني عمه ، : اني لا اقدر لشكوى ان اسمع القوم كلهم كلامي ولكن تلق مني قولي فاسمعهموه . فكان يتكلم و يحفظ الرجل قوله . فيرفع صوته فيسمع اصحابه .

« فقال بعد ان حمد الله و اتنى عليه :

« يا معشر الأنصار لكم سابقه في الدين و فضيله في الاسلام ليست لقبيله من العرب ان محمدًا ، عليه السلام ، لبث بضع عشرة سنة في قومه يدعوهم الى عبادة الرحمن ، و خلع الأنداد و الأوثان فما آمن به من قومه الا رجال قليل . وكان ما كانوا يقدرون على ان يمنعوا رسول الله و لا ان يعزوا دينه و لا ان يدفعوا عن انفسهم ضيماً عموا به .

مقام الانصار
في الاسلام

« حتى اذا اراد بكم الفضيله ، ساق اليكم الكرامة و خصكم بالنعمة فرزكم الله الأيمان به و برسوله و المنع له و لاصحابه و الأعزاز له و لدينه و الجهاد لأعدائه .

« فكنتم اشد الناس على عدوه منكم و اثقله على عدوكم من غيركم حتى

استقامت العرب لأمر الله طوعاً و كرهاً و اعطى البعيدالمقادة صاغراً داخراً حتى ائخذ الله عزّ وجلّ ، لرسوله بكم الأرض ، و دانت باسيافكم له العرب ، و توفاه الله وهو عنكم راضٍ و بكم قدير عين . استبدوا بهذا الامر دون الناس^١ .

« فأجابوه بأجمعهم : ان قد وُفِّقَت في الرأى و اصبَت في القول و لن نعدو ما رأيت . نوليكَ هذا الامر فانكك فبنا مُقْنَعٌ و لصالح المؤمنين رضى »

هذه كلمات القيها سعد ، بعد ما كانت الأنصار مجتمعاً في السقيفة ، متفقاً على توليته هذا الأمر ، ثم اخراجه مريضاً اليهم ، و نطق بها ذلك اليوم .

فهل كان قصد الأنصار و اتفاقهم على توليته او اخراجهم اياه سيئة منه يوجب

قتله ؟ !

او هل يوجد و يرى في ما قال ، بعد ما اخرجوه مريضاً اليهم و صدقوه باجمعهم و هم اكثر من غيرهم و فيهم من الصحابة و البدرين من لا يخفى شأنه ، ان كان المناط الكثيرة او الصحبة او الجهاد في البدر ، و رأوه صالحاً و اجابوه بانه : موفق في الرأى ، مصيب في القول بل ولّوه هذا الأمر قولاً ، لأنه «مُقْنَعٌ فيهم و لصالح المؤمنين رضى» ما يسبغ قتله و يبسح دمه ؟ !

٢١٢- لزوم سلوك وادى الأنصار

ثمّ من جانب آخر :

أما سلكت الأنصار وادياً ، و هو اجتماعهم لأمارته و ولايته ، و اخراجهم اياه مريضاً ، و اجابتهم له (باجمعهم) بالتوفيق و الاصابة ، و اتفاقهم على توليته ، لكونه مُقْنَعاً فيهم و رضى لصالح المؤمنين ؟

ليس فرضاً على من كان مؤمناً بانّ له في رسول الله اسوة حسنة سعياً كان او غيره

١- و في هذا التعبير (دون الناس) ما لا يخفى .

ان يتأسى بالرسول ويسلك وادى الأنصار ويخضع لرأيهم ، ويتبع اجماعهم ، وان يترك وادى الناس ، لو كان يوجد هناك واد ، ولم يكذب يوجد ، بل احدثوا ووجدوا (المهاجرون الثلاثة) بعد ورودهم فى السقيفة وادياً آخر ؟

و بعد اللتيآ و التي آما كان الأوفق لمن يتبع النبى و يطيع اوامره ان يحفظ وصية الرسول صلى الله عليه وآله و سلم فى كرشه و عيبتيه ، الأنصار ، و ان يقبل من محسنهم و يتجاوز عن مسيئهم ولا سيما اذا كان من الأنصار سيدهم و شيعهم ، سعد بن عبادة ؟

٢١٣ - حبّ الأنصار آية الايمان و بغضهم آية النفاق

ففى المسند للإمام احمد بن محمد بن حنبل (الجزء الخامس) بأسناده عن أنس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال :

« انّ الأنصار كيرشيسى^١ و عيبتى^٢ و انّ الناس يكثرون و يقلون ، فاقبلوا من محسنهم و اعفوا عن مسيئهم »

وفى صحيح البخارى (الصفحة ال ١١ من الجزء الثانى) بأسناده عن ابن عباس قال :

« صعد النبى (ص) المنبر و كان آخر مجلس جلسه متعظاً ملحفةً على منكبَيْه قد عصب رأسه بعصابة و اتنى عليه ثم قال : ايها الناس الى فتابوا اليه . ثم قال :

« اما بعد فأنّ هذا الحى من الأنصار ، يقلون و يكثُر الناس فمن ولى شيئاً

ايضا النبى
بالانصار خيرا

١ - « ... و فيها لغتان : كرش و كرش مثل كبد و كبد و كرش الرجل ايضا عياله من صغار ولده و الكرش ايضاً الجماعة من الناس و منه الحديث : الانصار ، كرشى و عيبتى » (صحاح اللغة)

٢ - العيبة : من الرجل موضع سره ، ماتجعل فيه الثياب .

من امة محمد فاستطاع ان يضر فيه احداً، او ينفع فيه احداً فليقبل من محسنهم ،
و يتجاوز عن مسيئهم »

وفيه ايضاً (الجزء الأول - الصفحة ال ١٢-) بأسناده عن انس عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال :

« آية الأيمان حبُّ الأنصار و آية التناق بغض الأنصار »

وقال عمر نفسه (رض) على ما في الصحيح ايضاً (الجزء الخامس باب فضائل
اصحاب النبي صلى الله عليه و سلم) في حديث طويل اوصى في آخره للخليفة من-
بعده قبيل وفاته :

« و اوصيته بالانصار خيراً ، الذين تبوءوا الدار و الأيمان من قبلهم ، ان
يقبل من محسنهم ، و ان يعنى من مسيئهم »

وفيه ايضاً بأسناده « عن ابن عباس رضى الله عنهما » (الجزء الرابع) قال :

« خرج رسول الله في مرضه التى (الذى) مات فيه بمسحفة . . . حتى جلس
على المنبر . . . ثم قال :

« اما بعد فان الناس يكثررون و يتقيل الأنصار حتى يكونوا فى الناس بمنزلة
الملح فى الطعام .

« فمن ولي منكم يضر فيه قوماً و ينفع فيه آخرين فليقبل من محسنهم
و يتجاوز عن مسيئهم »

« فكان آخر مجلس جلس به النبي (ص) » (روى البخارى هذه الرواية فى الجزء-
الخامس من صحيحه ايضاً - الصفحة ال ٣٥١-)

وفيه ايضاً (الجزء التاسع - الصفحة ال ٨٦-) بأسناده عن ابى هريرة ، و ايضاً
بأسناده عن عبد الله بن زيد ، عن النبي (ص) انه قال :

« لولا الهجرة لكنت امرأاً من الأنصار و لو سلكك الناس وادياً ، او شعباً لسلكت
و ادى الأنصار و شعبها »

وفيه ايضا «باب قول النبي صلى الله عليه وسلم اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئتهم» (الجزء الخامس الصفحة ال ٣٤) بأسناده عن انس بن مالك يقول : مرّ ابوبكر، و العباس ، رضى الله عنهما بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون فقال : ما يبكيكم ؟ قالوا : ذكرنا مجلس النبي (ص) منا . فدخل على النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك قال : فخرج النبي (ص) وقد عصّب على راسه حاشية برد . قال فصعد المنبر ولم يصعده بعد ذلك اليوم فحمد الله واثني عليه ثم قال :

«أوصيكم بالأنصار فانهم كرشى وعيبتى وقد قضاؤا الذى عليهم وبقى الذى لهم . فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئتهم»

وفي جمع الجوامع ، المعروف ب«الجامع الكبير» لجلال الدين السيوطى (المتوفى ٨٤٩ - ٩١١ هـ . ق) نقلاً عن البخارى و احمد بن حنبل و ابى داود و ابن ابي خيثمة و جمع آخر (الحديث ال ٧٥٢٧) :

« انكم يا معشر الأنصار لاتهاجروا الى احد ولكن الناس يهاجرون اليكم . والذى نفس محمد بيده لا يحب رجل ، الأنصار حتى يلتقى الله الا لقي الله تعالى وهو يحبه ، ولا يبغض رجل الأنصار حتى يلتقى الله الا لقي الله وهو يبغضه »

٢١٤ - امر عمر بقتل سعد ، الصحابى العظيم :

وكيف كان فماذا التذى يسوغ لصحابى عظيم مثل عمر (رض) ان يحرض على قتل هذا الصحابى الكبير سعد بن عباد ، الذى لم يجترح ما يبيح قتله ويهدر دمه ، ولم يقترب ما يسوغ قتل نفسه المحترمة ، بل كان فى جملة من رضى الله تعالى عنهم وبشّرهم بالجنة ؟ قوله تعالى :

«وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنِ الْمُتَجَرِّبِينَ وَاللَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدِهِمْ لَنَنصُرَهُمْ جَمِيعًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدِهِمْ لَنَنصُرَهُمْ جَمِيعًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدِهِمْ لَنَنصُرَهُمْ جَمِيعًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدِهِمْ لَنَنصُرَهُمْ جَمِيعًا

مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِ بْنِ فِيئِهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ^١
 وماذا هو الدليل الذى جوز له (رض) ، ان ينادى جهاراً (بعد ما كادوا يطؤون
 سعد بن عبادة فقال ناس من اصحابه :

« سعد ! اتقوا الله سعداً لا تطؤوه » و يقول :

« اقتلوه ! قتله الله ! »

ثم يقوم على راسه و يصرخ عليه :

« لقد هممت ان اطأك حتى تندر عضوك ! » و حينئذ فاهتم سعد لحفظ حياته

فجمع نفسه و اخذ بلحية عمر و قال :

« والله لو حصصت^١ منه شعبة^٢ ما رجعت و فيك واضحة^٢ »

٢١٥ - عاقبة امر سعد

هكذا كان ماجرى بين عمر و سعد فى السقيفة . فان سليم و خلص سعد فى
 ذلك اليوم فما نجا مما اريد به ، و ان تأخر ، و ما تخلص عما دبر له و ان تستر .
 فقد قال الفقيه ، ابن عبد ربه المالكي فى الجزء الخامس من كتابه « العبد الفريد »
 « و اما سعد بن عبادة فانه رحل الى الشام .

« ابو محمد عن الكلبي قال :

بعث عمر رجلاً الى الشام فقال : ادعه الى البيعة و اعمل له بكل ما قدرت عليه

فان ابى فاستعن الله عليه .

« فقدم الرجل ، الشام فلقبه بحوران فى حائط فدعاه الى البيعة .

« فقال : لا اباع قرشياً ابداً .

و اخيراً
 قتل سعد

١- اى قطعت او نقصت .

٢- الاسنان التى تبدو عند الضحك (الثنايا)

« قال فأتى اقاتلك .

« قال : و ان قاتلتني .

« قال : افخارج انت ممّا دخلت فيه الأمة . ؟

« قال : امّا من البيعة فانا خارج .

« فرماه بسهم فقتله »

٢١٦- توجيه لحضور سعد في السقيفة

علّمه كان في محلّه ان نجعل ختام الكلام عن سعد ، كلاماً يتّضح به وجه حضوره في السقيفة و اعتذاره عنه فنقول :

لا يبعد ان يكون حضور سعد في السقيفة (حيثما اخرجوه اليهم ، مع مرضه) لاحتماله ان الأمر سيتمّ لعليّ لآلته كان يعلم ما صدر عن النّسبي (ص) في مواطن شتى في شأنه وحقّه ، بحيث عرفها المهاجر والأنصار و كان يعلم انّ الأنصار يعرفون الحقّ لعليّ (و لهذا قالوا على ما نقل الطّبري وغيره : « لانباع آلا عليّاً » كما نقلناه سابقاً) فبعد اللّتيّ والتي فأن كان الأمر لعليّ ، على ما زعمه فيها و نعمت ، وان رأى انّ الأمر على غير ما يزعم و يريد ، ويكون هنا دسيسة لتحويل الأمر الى غير من له الحقّ ، فيدافع عن الحقّ و لا اقلّ من ان يدفع و يصرفه عمّن ادّعاه بالباطل (بزعمه) و لو استلزم ذلك ترشيح نفسه ، او امتناعه عن بيعة غيره ، فلمّا ورد السقيفة واستشتمّ التّوطئة زعم انّ الأوفق للوضع والاصحّ للمحال والارجح في ميزان العقل ان يقول ما قال :

ويؤيد ما احتملناه و ذكرناه ما نقله صاحب كتاب « الدرّة النّجفيّة » بهذه العبارة (الصفحة ال ٢٤٨) :

« . . . ما ذكره محمّد بن جرير الطّبري في كتاب المواهب عن ابي علقمة

عن سعد بن عبادة .

« قال : قلت لابن عبادة ، و قد مال الناس الى بيعة ابي بكر ، : الا تدخل في

مادخل فيه المسلمون . ؟

« قال :

د و انهم
لو بايعوا علياً
كان اول
من بايع سعد،

« اليك عنى فوالله لقد سمعت رسول الله (ص) يقول : اذا انامت تضلّ الأهواء
و يرجع الناس الى اعقابهم فالحقّ يومئذ مع عليّ و كتاب الله بيده ، لاتبايع احداً غيره .
« فقلت له : هل سمع هذا الخبر احد غيرك من رسول الله (ص) ؟ فقال :
« اناس فى قلوبهم احقادٌ و ضغائن .

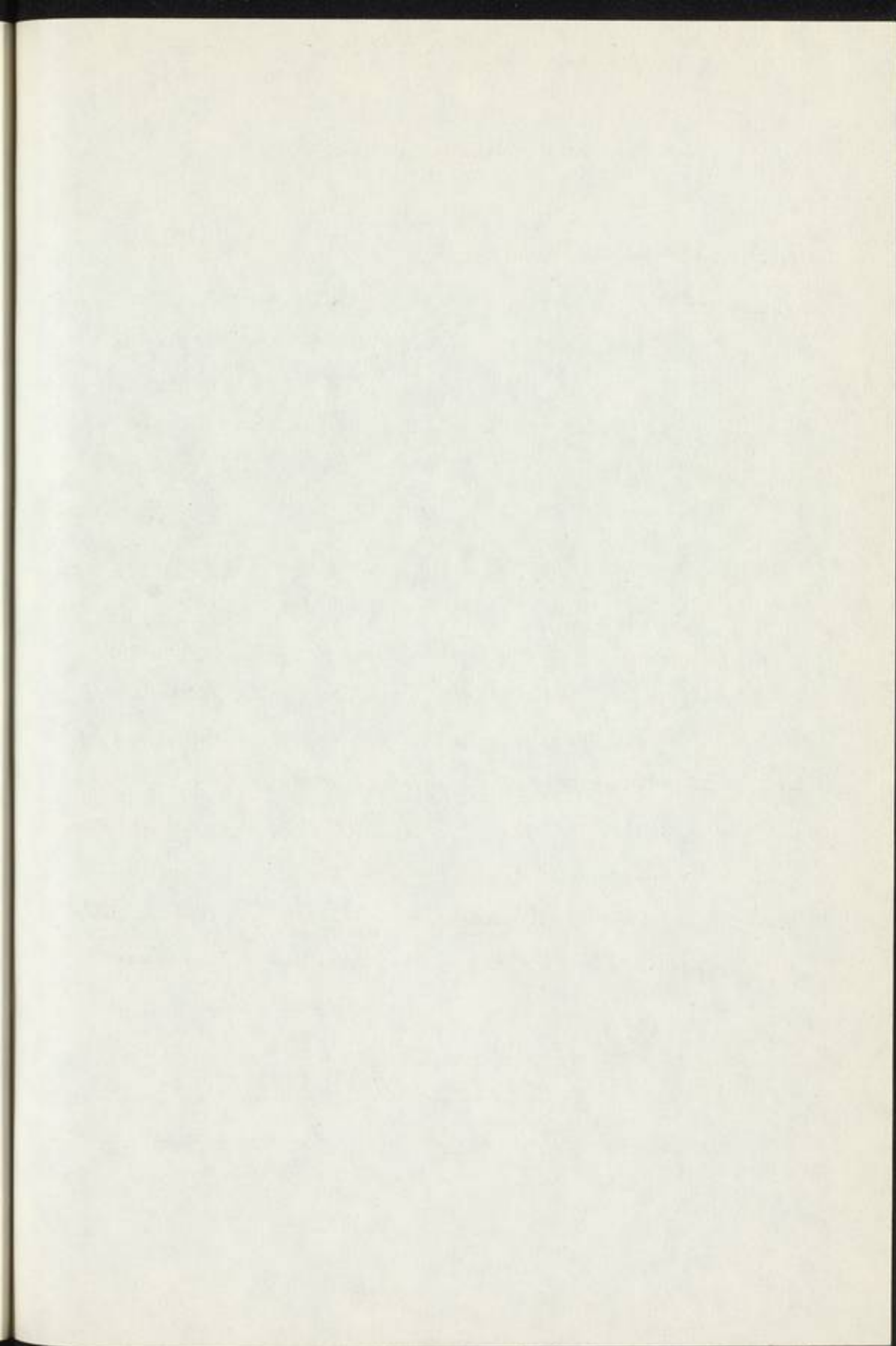
« قلت : بل نازعتك نفسك ان يكون هذا الأمر لك دون الناس كلهم .
« فحلف انه لم يئهم بها و لم يردّها و انهم لو بايعوا عليّاً كان اول من بايع
سعد . »

ثم قال صاحب الكتاب (الدرّة النجفية) عن الشيخ الفاضل ابو السعادات الحلّي
فى شرحه على الدعاء انه روى :

« اجتمع ابوبكر و عمر و ابو عبيدة فى سقيفة بنى ساعدة يطلبون الحكم و البيعة
من غير اكتراث باهل البيت و بنى هاشم ، و كل واحد من هؤلاء الثلاثة يرجو الأمر ،
و الحكم لنفسه و يعطفه على صاحبه فانكر عليهم الأنصار و اصرّوا على الدفاع و الامتناع
و احتجّوا عليهم بما قال رسول الله (ص) فى عليّ من التوكيد فى امامته فى مواطن شتى
و بأمرهم بالتسليم عليه بأمره المؤمنين .

« فقال ابوبكر : قد قال ذلك لكن نسخه النبى بقوله : « انا اهل بيت كرمنا الله
و اصطفانا بالنبوة و لم يرض لنا بالدنيا و ان الله لا يجمع لنا النبوة و الخلافة .
« فصلدّاه عمر و ابو عبيدة فى ذلك و علّاقعود عليّ فى بيته و الأشتغال بتجهيز-
النّبىّ (ص) دون تصدّى امر الخلافة لعلمه بتحويل الامر عنه .

« فقالت الانصار : اذاً والله لانرضى بأمارة غيرنا علينا ، منّا امير و منكم امير ...
و معهنّا قد اصرّ بعض اهل السقيفة فى التخلّف من بيعة ابى بكر و قالوا : لاتبايع احداً
غير عليّ بن ابى طالب . وقد صرّح به سيد المحلّين فى « روضة الاحباب » .



... فكان أبوك، وفاروقه، أول من ابتزّه
وخالفه على ذلك.

«تَفَقَّأَ وَاتَّسَقَا . ثُمَّ دَعَاهُ إِلَى أَنْفُسِهَا ...
(من كتاب معاوية إلى ابن أبي بكر)

زَعَمُوهَا فَلْتَةٌ فَاجِتَةٌ لا وَرَبَّ الْبَيْتِ وَالرُّكْنَ الْمَشِيدِ
إِنَّمَا كَانَتْ أُمُورًا نُسِجَتْ بَيْنَهُمْ أَسْبَابُهَا نَسْجَ الْبُرُودِ
(لبعض الأقدمين)

- ١- عودٌ إلى السَّقِيفَةِ .
 - ٢- حدوث الاجتماعات .
 - ٣- هل البيعة كانت فلتة .
 - ٤- زَمَعَات قريش .
 - ٥- التَّوْطِئَةُ وقضاء اللَّيْلِ .
 - ٦- أمور يُسْتَأْنَس منها التَّوْطِئَةُ .
- ١٢- حول العودة إلى السَّقِيفَةِ :
- الأول : انكار عمر (رض) موت الرسول
صلَّى الله عليه وآله وسلَّم .
 - الثاني : اخفاؤه (رض) خبر السَّقِيفَةِ .
 - الثالث : عدم صحَّة كون الاجتماع ...
 - الرابع : ماورد في كتاب ...

٢١٧- عود الى السقيفة

اجتمعت الأنصار في السقيفة ، وانضم اليهم المهاجرون الثلاثة وتمت البيعة ، على مادريت ، فلننظر الآن في ذلك الاجتماع ونبحث هل كان امراً مخلوق الساعة فلتة ، وشأناً اتفاقياً ، وبالصدفة ، او كان مولود التدبير والتوطئة ، وكان نسج الليالي والأيام ، ومبرماً بالتفكير والمؤامرة ؟

لعل الباحث عن الحقيقة لا يكاد يتجاوز هذا الموضوع الا وقد اختلج بباله اسئلة من هذا القبيل فيسئوفه الامر ان ينكشف له وبصير مشوقاً الى درك الواقع ، ومشتاقا اليه .

فينبغي ان نرجع الى السقيفة ونعيد النظر فيها ونحلل ما يحتمل ان يستند تأسيسها اليه من الأمور الجلية والخفية بحسب ما يناسب هذه الوريقات عسى ان تنكشف امثال هذه المسائل والاسئلة . و ليقدم هنا مقدمة كلية وهي :

٢١٨- حدوث الاجتماعات

الاجتماعات البشرية وان كانت قد تحدث بالمصادفة ، وتكون بالاتفاق والمباغثة ولكنها نادرة جداً والغالب في حدوثها وتحصلها هو ان يوجد لها الروية والحزم ، ويحدثها التوطئة والتدبير ، من رجال ذوي الأيدي والابصار ، واشخاص اولى الجاه والاعتبار ، اهل الحل والعقد ، و ارباب العزم والقصد ، لأغراض عالية تعود الى القوم ، او النوع ، او لأطماع محدودة تختص بالشخص ، او لغير ذلك ، فقلما ان تجتمع افراداً لأمر ولم يكن اجتماعهم مستندا الى يد قوية او ايادي جامعة ، ظاهرة كانت او خفية ، ولاسيما اذا كان للشئون الهامة التي تكون في مقام ارفع من ان تنالها

مبدء الاجتماعات
و ما لها

افكار العامة ابتداءً ، وفي افق ابعد من ان تنفذ فيه شعاع ابصار اواسط الناس ، فكيف بادانهم ، مستقيماً ، و في محيط اوسع من ان يصير مَطْمَحاً و مجالاً لأنظار الكل ، و مَطْمَعاً لأميالهم . فلننظر كيف كان حدوث الاجتماع في السقيفة ؟

٢١٩- شأن الأجماع في السقيفة

جاء الإسلام و غلب على المسلمين ما يُبعدهم عن التشتت و الفرقة ، و يُقرّبهم الى التآلف و الوحدة ، فانقلب ما كان فيهم من التفاخر بعناوين القبائل و الأقسام ، و التلهي بالتكاثر بالعشائر و الأفاخذ ، الى التوجه بعنوان واحد ، و هو الإسلام ، فضعف في المسلمين عنوان القبيلة و القوم و الطائفة و العشيرة و اضربها ، و ذهبت تلك العناوين ، و لو حيناً من الدهر ، اذ راج الرياح ، و صار عنوان «المهاجر» و «الأنصار» عنواناً اسلامياً دينياً للمسلمين ، و كان ذلك باعتبار التضحية في سبيل الإسلام بالأنفس و الأموال ، و بلحاظ السعي و الجهد في طريق كسب الكرامة الحقيقية بسلوك طريق التقوى و الصالحات من الأعمال .

هكذا كان الأمر في زمن رسول الله ، صلى الله عليه و آله و سلم ، فلما لبى دعوة الحق ، و يا للأسف تشعبت الكلمة فاجتمعت الأنصار : فاجتمعت الانصار ، بما هم انصار ، في السقيفة ، و اجتمعت بنو امية حول عثمان ، سيدهم و كبيرهم ، و اجتمعت بنو زهرة حول عبد الرحمن بن عوف و سعد بن ابي وقاص ، يترصدون ما يحدث ، و امّا بنو هاشم ، عشيرة الرسول الاقربون ، فكانوا في بُهتٍ من عظمة المصيبة و في شغل من تجهيز الرسول .

و بين تلك الاجتماعات لم يكن اجتماع ، من حيث التأسيس و التجمع ، لغرض مصرح به و مقصد معين ظاهر ، هو البحث في موضوع الامارة ، اجتمعوا له ، و من حيث العدة و العدة ، اعظم و اهم من اجتماع الأنصار في السقيفة .

فمن الذي كان باعثاً لذلك الأجماع العظيم المنتج ؟

و كيف حصلت تلك التوطئة ؟

اكانت من الأنصار ؟ ام من المهاجرين الكبار ؟

فأن كانت من الأنصار فمن كان راس التَّوطئة و بانيتها ؟ اسعدُ كان ، وهو مريض لا يقدر على الخروج ؟ وقد رايت تصريح الطَّبري ، و غيره من عمَّد ارباب التَّاريخ ومعتمديها ، بأنهم « أَخْرَجُوا سَعْدًا إِلَيْهِمْ وَهُوَ مَرِيضٌ » و « أَقْعَدْتَهُ الْأَنْصَارَ لِيُبَايِعُوهُ » وكان بحيث لا يقدر على اسماع القوم كلامه ولذا « قال لابنه ، او لبعض بنى عمه : انى لا اقدر لشكوى ان اُسمع القوم كلامى ولكن تَلَقَّ مِنِّى قَوْلِى فَاسْمِعْهُمْ مَوْه.. » او غير سعد منهم ؟ فمن كان ذلكك الغير من الأنصار ؟

وعلى هذا فهل كان ذلك الغير يريد الأنتاج لنفسه ؟ ولا يُرى فيهم ، على ما يُعرف من حالهم ، من كان يتوقع ، بل يتوهم ، لنفسه ذلك المقام ، او يريده لغيره ؟ ولا يُظنُّ ان احداً ممن كان له خبر عن المؤامرات والمؤتمرات التى تنعقد فى زماننا ، و الزمان يدور كهيئته ، يتوهم ان مؤتمراً يوجد من جمع كثير و بارادة اشخاص اولى الحزم و التدبير من دون ان يكون ذلكك الجمع دبّر الأمر من ذى قبل و ابرموا لحمته وسديله ، و نسجوه على منوال يُحتمل ان يصير مانسجوه خارجاً عن اختيارهم و يملكه غيرهم .

قال ابن ابى الحديد :

« ان الشيعه لم تسلّم لعمر » ان بيعة ابى بكر كانت فلتة . . . قال محمد بن

ما كافت البيعة
فلتة

هانى المغربى :

و لكنَّ امراً اُبْرِمَ بَيْنَهُمْ
وَ ان قال قومٌ فلتةٌ غيرُ مبْرَمٍ

وقال آخر :

زَعَمُوها فلتةٌ فاجئةٌ

لا و رَبَّ الْبَيْتِ وَ الرُّكْنِ الْمَشِيدِ

انما كانت اُموراً نُسِجَتْ

بَيْنَهُمْ اسبابُها نَسَجَ الْبُرُودُ

هذا مانسبه ابن ابى الحديد الى الشيعه و نقله عنهم فالشيعه ، لافحسب ، بل كل

من تدبّر في الأمر واعتبر نواحيه بالنظر والفكر بعيد جداً ان يعتقد ان اجتماع السقيفة كان من الاجتماعات الاتفاقية والفجائية بل يعلم ان يداً قوبية ، ومحركة غير مرثية كانت من ورائه ، محيطة عليه من جميع نواحيه و جهاته .

٢٢٠- التوطئة ممّن؟ ولِمَ؟

جملة القول ان ذلك الاجتماع حدث و حصل بتوطئة من بعض المهاجرين ، وبتدبيرهم ولأستفادتهم^١ ولما كانت المصلحة في الاجتماع والاستفادة منه لانتم لهم الا باجتماع خصوص الأنصار وبلاشركة من سائر المهاجرين، فواظبوا بعض الأنصار على ايجاد الاجتماع في السقيفة وعلى « اخراج سعد وهو مريض اليهم » والى ترشيحه للأمانة لتطبيع من لا يكاد يتوجه الى باطن الأمر و سر الاجتماع ، من اقاربه وعشيرته وقومه ، ليسهل عليهم الحضور و يحصل الاجتماع المنظور ولعله كان لبشير الخزرجي ابن عم سعد و منافسه في الأمانة ولأسيّد بن خضير الأوسي ، كبير الأوس وسيدهم و مطاعهم ، اللذان تقدّما على الأنصار كلّها في البيعة ، بل و تبادلوا اليها و سبقا كلّ الحاضرين ، سهم و فير ، و نصيب كثير في تلك المواطة و التوطئة ، وفي تدبير ذلك الاجتماع في السقيفة .

و ذلك لأن المواطنين عرفوا ان النسبى (ص) لا يبرء من مرضه و انه يرحل عن قريب الى جوار ربّه فتحلّقوا عن جيش اسامة و اتّاقلوا حتّى غضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و شدّد في خروجهم عن المدينة و اكد التزامهم الجيش و الحركة مع اسامة .

و كانوا يعرفون ايضاً ان قریش و سائر المهاجرين ، و فيهم على و العباس و الزبير و عثمان و اشباههم لا يتنازلون لخلافة من كان دونهم في الحسب و النسب و لا يخضعون لأمانة من لا يدانيهم ، باعتقادهم ، في القرابة او السبب .

١- ان كنت في ذكر سمانقنا سابقا عن الطبري (طى الامر الخامس) من قول عمر (رض) «... واجتمع المهاجرون الى ابي بكر» (يعنى قبل السقيفة) تتفطن الى التوطئة.

ويعلمون ان قريشا و ان كانوا « كرهوا ان يجمع لبني هاشم النبوة والخلافة » ،
على ما نقل عن عمر (رض) ، و لكنهم اذا دار الامر بين علي و بينهم لا يتجاوزون عنه ،
ولولم يكن ذلك حباً لعلي بل لكرهتهم تحمّل امارة من هو « اقل حياً و اذل بيتاً »
وادون أسرة منهم .

وناهيك في ذلك ما صرح به ابوسفيان ، حين رأى الاجتماع على بيعة ابي بكر
واقبل عليهم ، من قوله :

« اما والله انى لأرى عجاجة لا يُطْفِئُهَا اِلا الدَّم .

« يا لعبد مناف ! فيم ابوبكر من امركم ؟

« ايّن المستضعفان ؟ ايّن الأذّان ؟ يعنى علياً والعبّاس .

« ما بال هذا الامر في اقل حتى قريش ؟

ثم قال لعلي : ابسط يدك ابايعك فوالله ان شئت لأملأتها على ابي فضيل ،
يعنى ابابكر ، خيلاً و رجلاً .

فامتنع علي عليه السلام فلما يتس منه قام عنه وهو ينشد شعر المتلمس :

ولا يُقِيمُ عَلِيّاً ضَيْمٌ يُرَادُ بِهِ

اِلاّ الأذّان : عَيْرُ الحَيِّ والنَّوْتِدِ

هذا على الخسفِ مرْبُوطِ برُمته

وَذا يُشَجُّ فلا يرثي له اُحدٌ »

وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي (الصفحة ال ٦٧) : « و اخرج الحاكم و صحّحه

الذهبي عن مرة الطيب قال : جاء ابوسفيان بن حرب الى علي فقال :

« ما بال هذا الامر في « اقل قريش قلّةً و اذلتها ذلاً ؟ » - يعنى ابابكر -

والله لئن شئت . . . »

وفي مروج الذهب (المجلد الثاني - الصفحة ال ١٤) - في واقعة الجمل عن عمير -

بن الاهلب الضبّيّ احد اصحاب الجمل ، او كما عبّر نفسه عند موته عن نفسه : « مخدوع

المرّة » انه قال :

« اذل بيت
في قريش
واقل حياً »

لقد اوردتنا حومة الموت اُمتنا فلم تنصرف الا ونحن رواء
 اَطَعْنَا بنى تيمٍ لشقوة جدنا وَمَا تَيْمٌ اِلَّا اَعْبُدْ، وَاِمَاءٌ
 حكى ابن ابي الحديد عن كتاب «السقيفة» لأبى بكر بن عبد العزيز الجوهري .
 «جاء ابوسفيان الى على عليه السلام ، فقال :
 «وليتيمُ على هذا الأمرِ» اذَلَّ بَيْتٍ فِي قُرَيْشٍ انا والله لئن شئتُ لأملأنها
 على ابنى فضيل خيلاً ورجلاً
 وحكى ايضا (فى المجلد الاول الصفحة ال ١٣٠) عن ذلك الكتاب : « ان
 اباسفيان لما بويع عثمان قال :

كلام ابي سفيان
 فى شان تيم وعدي

« كان هذا الأمر فى تيم و انى لَيْتَيْمٌ هذا الأمر ؟
 « تم صار الى عدى . وعدى فابعد وابعد .
 « ثم رجعت الى منازلها واستقر الأمر قرارها فتلقفوها تلقف الكفرة !

٢٢١ - شأن البيوت فى العزة والذلة

ومما يدل على ان شأن البيوت فى العزة والذلة لها، كان امر امرت كزاً فى نفوسهم
 وكان من الصعب العسير جداً ان يعترف الاعز الاعلى منها للادنى والاذل ويخضع
 لحكومته و امارته ، ماورد فى عدة كتب معتمدة وهى :

« نازع ابوسفيان ، ابابكر فى امر فأغلظ له ابوبكر فقال ابوقحافة :
 « يا بُنَى ! اتقول هذا لأبى سفيان ، شيخ البطحاء ؟!
 قال :

الاسلام
 رافع بيوت
 وواضع بيوت

« ان الله رفع بالاسلام بيوتاً ووضع بيوتاً . فكان ممّا رَفَعَ ، بيتك يا ابا و ممّا
 وَضَعَ بيت ابي سفيان »

روى المدهائى فى كتاب « الأمثال » (على ما حكاه ابن ابي الحديد) :
 « ان رسول الله لمّا خرج من مكة بعرض نفسه على قبائل العرب خرج الى

ربيعة ، و معه علي^٤ (ع) و ابوبكر (رض) فدفعوا الى مجلس ربيعة . فتقدم ابوبكر
وكان نسابة ، فسلم . فردوا عليه ، السلام فقال :

«ممن القوم ؟»

«قالوا : من ربيعة .»

«قال : امين هامتيا ام مين لهازميا^١ ؟»

«قالوا : من هامتيا^٢ العظمي .»

«فقال : من اي هامتيا العظمي انتم ؟»

«قالوا : من ذهل الأكبر .»

«قال : افمنكم عوف ، الذي يقال له : لاجر بوادي عوف ؟»

«قالوا : لا .»

«قال : افمنكم بسطام ، ذوالنواء و منتهى الأحياء ؟»

«قالوا : لا .»

«قال : افمنكم الحوهران ، قاتل الملوك و سالبها انفسها ؟»

«قالوا : لا .»

«قال : افمنكم المزدلف ، صاحب العمامة الفردة ؟»

«قالوا : لا .»

«قال : افانتم اخوان الملوك من كيندة ؟»

«قالوا : لا .»

«قال : فلستم اذا ذهل الأكبر . انتم ذهل الأصغر .»

«فقام اليه غلام^٣ ، قد بقل وجهه ، اسمه دغقل فقال :

ان علي سائلنا ان نسأله والتعب لانعرفه اوتحمليه

١- اللهزمة «عظم فاتيء في اللحي تحت الاذن وهما لهزمتان» جمع لهازم .

٢- هامة كل شئ رأسه و رئيسه و سيده من الهوم .

«يا هذا انك قد سألتنا فأجبتناك ولم نكتممك شيئاً . فممن الرجل؟

«قال : من قريش .

«قال : يخُّ يخُّ اهلُ الشرف والرئاسة . فمن اى قريش انت؟

«قال : تيمم بن مرة .

«قال : امكنت ، والله ، الرامى من الشعرة . امنكم قصى بن كلاب الذى

ناب ابي بكر

جمع القبائل من فيهر فكان يدعى مجتمعا؟

«قال : لا .

«قال : افمنكم هاشم الذى هشم لقومه التريد؟ [ورجال مكة مسنتون

عجاف]^١ .

«قال : لا .

«قال : افمنكم شيبه الحمد مطيم طير السماء؟ [الذى كان وجهه قمر امضيثا]

«قال : لا .

«قال : افمن المقيضين بالناس انت؟

«قال : لا .

«قال : افمن اهل الندوة انت؟

«قال : لا .

«قال : افمن اهل الوفادة انت؟

«قال : لا .

«قال : افمن اهل الحجابة انت؟

«قال : لا .

«قال : افمن اهل السقاية انت؟

«قال : لا .

١ - «واستوا اذا اصابهم الجدوبة...» (صحيح اللغة).

« فاجتذب ابوبكر زمام نافته ورجع الى رسول الله (ص) هارباً من الغلام .

« فقال دَعْفَل :

صادف دَرَّ السَّيْلِ دَرًّا يَدْفَعُهُ

[في هَضْبَةٍ تَرَفَعُهُ وَتَضَعُهُ]

« أما والله لو ثبتت لأخبرته : أنك من زَمَعات قريش .

« فَتَبَسَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وقال عليُّ لأبي بكر ، لقد وقعت

يا ابابكر من الأعرابي على باقة^٢ قال : آجَلٌ ، ان لكل طامة طامة والبلاء

موكل بالمنطق . فذهبت مثلاً^٣ »

٢٢٢- كيفية التوطئة للسقيفة

ولنرجع الى ما كنا فيه من امر السقيفة . قلنا : ان المواطاة و التوطئة على ما

يترائى كانت من بعض المهاجرين مع بعض الأنصار بعد ما عرفوا عاقبة مرض الرسول

وعلموا ان قريش وسائر المهاجرين ، وفيهم علي و العباس ، لا يتنازلون للخلافة في غيرهم

وايقنوا ان قريش ، وشيخهم ابوسفيان ، وان كرهوا جمع النبوة والخلافة في بنى هاشم ، كما

زعم عمر ، لكتهم يتحاشون عن التسليم لخلافة من كان « اقل حياً » و « اذل بيتاً » ،

وكان « من زَمَعات قريش » والخضوع لها .

الى هنا وصل كلامنا ، فنعود الى تمام البحث في ما عدنا الى السقيفة ونقول :

١- « الزمعة : التلعة الصغيره . ومنه « أنك من زمعات قريش » اى لست من اشرافهم»

(مجمع البحرين)

٢- اى داهية . الرجل الذكى العارف لا يدهى .

٣- نقلت هذه الحكاية فى الجزء الثالث من كتاب «العقد الفريد» (الصفحة ال ٢٧٤)

وفى كتاب «المحاسن والمساوى» للبيهقى (الصفحة ال ٧٦-٧٧) مع اختلاف يسير فى بعض-

الكلمات اشرنا الى بعضها بالمعقتين . وايضا نقلها محى الدين العربى فى كتابه « محاضرة-

الابرار و ساسرة الاخبار» مع اختلاف يسير جدا .

وعلموا ايضا ان الانصار قلوبهم مع عليّ ، يحبّونه و يعتقدون عظمة شأنه ، وعلوّ قدره ، ولم يكن لهم عصبية في « جمع النبوة والخلافة في بني هاشم » ، ولم يكن من عليّ ثارٌ في الانصار ، كما كان منه في قريش ، و غير ذلك من الأمور التي كانوا يعرفونها في هذا المورد .

فما كان يليق بهم ان يفعلوا ؟

و لنفرض ، حملاً لتصحيح عملهم ، انّهم (رض) لم يكونوا قاصدين للامارة والخلافة ، لنفسها ، ولا مرئيين للعلوّ والرئاسة ، لأنفسهم ، وحتى لم يكونوا مخالفين لخلافة خصوص عليّ ، بل كانوا مشفقين لحفظ الاسلام ، خائفين من تفرّق الكلمة ، فزعين الى اختلاف الأمة ، و نازعين الى الاتّحاد و الاتّفاق ، هل كان لهم ، و هم اهل الحلّ والعقد ، ذوو الحزم والعزم ، والحال هذه ، مناص من ان يتدبّروا الأمر و يعالجوا الواقعة قبل وقوعها و ينتهزوا الفرصة قبل فواتها بوفات الرسول و يواطئوا مع موافقيهم بتوطئة الامور لما بعد الوفات ؟

ما ذا ينبغي ان يفعل الرّجل اليقظ المدبّر الحازم في امثال تلك الأوضاع

و الأحوال ؟

لايكاد يرتاب من كان له ادنى مسكة انّ على العاقل الحازم الذي له علاقة بالأمر ، في مثل هذه الحالة ان يشمّر عن ساعد الجدّ و الجهد لتدارك الأمر في اسرع وقت و بأمتن وجه .

فيكون أوّل ما يفعل ان يجتمع مع من يظنّ موافقته في المآرب و المقاصد ، و يربطه طامعاً في الفوائد و العوائد ، فيتأمرون و يتذاكرون ، فيختارون اقصر طريق يوصلهم الى المطلوب .

فليفحص هذه الطّرق كي نعرف الطّريق الموصول و نعلم انه كيف ينبغي الوصول

اليه ؟ و عليّ ما ينبغي ان يكون السلوك فيه ؟

٢٢٣- الطّرق المتصوّرة، و الموصل المنتج منها

هل يكون من الطّرق الصّحيحة ان يطرح الموضوع مع عشيرة الرّسول الأقربين و رأسهم عليّ، و هو ولو لم يكن منصوص الخلافة، او لم يكن يعتقد انها حقّه، او لم يكن في سويداء خاطره ارادتها لنفسه، فلا اقلّ من عدم اطمئنانهم بموافقتهم في مآرامه فلا يجوز ايقاظه فضلا عن طرح المنظور معه؟ او مع سائر بنى هاشم و الأقربين من العشيرة (و فيهم العباس، عمّ الرّسول، و هو الذي يعتقد الخلافة لعليّ و يقترح عليه ان يبايعه «حتّى يقول الناس بايع عمّ الرّسول» فيتبعونه بالبيعة و يتمّ الأمر لعليّ) و حالهم في عدم الاطمئنان بموافقتهم لهم في منظورهم تلك الحال؟

او هل يكون من الطّرق السّويّة ان يُشاوّر مع قريش، و فيهم ابوسفيان، و هو على ما عبّر عنه ابو قحافة و ارتكز في الأذهان «شيخ البطحاء» و هو الذي لعنه لا يرى في الرّئاسة حقّاً لغيره، فكيف اذا كان هذا الغير «اقلّ حياءً» و «اذلّ بيتاً» في قريش، كما كان يصرّح به، و لا يكاد يرضى بها الا لنفسه، و لكنّه لما كان يرى ان بينه و بين مطلوبه بون بعيد، و دون وصوله اليه خرط القتاد، فلا بدّ و ان لا يخرج الأمر من بنى عبد مناف، و لا سيّما عمّن يُمَدّ الأعناق اليه، و تسكن القلوب و الأصوات لديه، و هو عليّ و آل فعمّ الرّسول، العباس؟

أو هل يجوز ان يستدعى المهاجرون اجمعون و يُطرح الموضوع في مُجتمَعهم و يُعلن بالمنظور في ندوتهم، و فيهم من فيهم من قريش و من بنى هاشم و من مؤاليهم و محبّتهم؟

أو هل يصحّ في عرف السّياسة و التدبير، ان يُدعى القبيلان : المهاجرون

١- و يرشد الى هذا انه يحرضهما و يشجعهما معاً فيقول : « اين المستضعفان؟ اين الاذلان... فوائده ان شئت لاملانها على ابي فضيل، يعني ابا بكر، خيلا و رجلا... » و يتمثل بيت المتلمس «ولا يقيم على ضيم يراد به، الا لاذلان...»

والأنصار كى يُؤلَّفَ منتمى من الفريقين ومؤتمراً من القبيلين ثم يجعل الأمر شورى بينهم فى هذا النادى؟

اوليس ، اذذاك ، من المظنون المتشاخم بالعلم ، بل من المعلوم المقطوع حدوث الأختلاف بمخالفة المهاجرين اجمعين اولاقل بمخالفة بعضهم وعدم خضوعهم لامارة من كان «اقل حياً» و«اذل بيتاً»؟

اجتماع بنى امية
و بنى زهرة
حول اكابرهم

وقد عرفت مما نقلنا حكايته عن ابي بكر بن عبد العزيز ان «بنى امية اجتمعت الى عثمان ، و بنى زهرة الى سعد و عبد الرحمن بن عوف» وعلمت ان بنى هاشم كانت فى بيت الرسول (ص) و حول على لجهاز الرسول (ص) فتعرف من ذلك ان كل من يترقب له الامارة والخلافة من المهاجرين كان حوله اجتماع من حبه و بيته ولا ذكر هنا من حى تيم و عدى فهل كان عدم اجتماعهم حول كبرائهم لكونهم «اقل» ، واذل كما عبر ابوسفيان او لاُمور آخر؟ العلم عند الله .

وكيف كان فلا بد للوصول الى المطلوب ، و تحصيل البيعة من تأليف افراد ، و تكوين اجتماع .

٢١٤- الرجح من الطرق ، اجتماع الأنصار

اجاب دعوة ربه نبي الرحمة ، واستولى الدهش والحيرة على الأمة ، وملك التائر والتحيير العامة ولا سيما الأقرباء والعشيرة ، بنى هاشم .

فعلى ، والحالة تلك الحالة ، لمكانه المعلوم و قرابته الخاصة ، لا بد وان يكون بصدد جهاز الرسول بتغيبه و تكفينه و تدفينه (ص) فهو مشغول به ، منصرف عن كل شىء سوى هذا الأمر الشاغل ، ولا هم له و لأقربائه و اوليائه الا بما يرتبط بهذا الشأن - الهام العاجل .

فأذا كان هنا من اراد صرف الخلافة الى نفسه ، لما يرى فيه من المصلحة للاسلام ، او لما يحب و يهوى من الرئاسة (والعباد بالله) و اتباع الهوى ، فما عليه ان يفعل فى

فى الحاضر من الوقت ؟ و بما ذا يرشده التدبير و الرأى ؟

أَمِنْ الحزم ان يسلك طريق الأناة و التسامح فى الأقدام فىؤخّر الأمر الى فراغ
على و اقرباء النبى (ص) من الجهاز و يأخذ بالصبر و التراخى الى ان يستقر الأفكار ،
و تطمئن قلوب الأصحاب ، و تسكن النفوس عمّا دهمته من الانقلاب و الاضطراب
و تجد الأمة و اولياء النظر و الفكرة فرصة للتوجه و الخوض فى تشخيص المصلحة
و المفسدة ، و تمييز الحق من الباطل ، و تعيين الاقرب الأنسب الأفضل الأولى ؟
الآ لا يكون من الواضحات و كالشمس فى رابعة النهار ان فى ذلك التوانى
و التأخير آفات ؟

الطريق المختار

أَوَ لَيْسَ مِنَ الْمُتَيْقِنِينَ انّ التّأخِيرَ ان لم يورث اتمام الأمر لعلىّ او للعبّاس ،
اولغيرهما من اكابر قريش و اعظم الاصحاب ، كالزبير و طلحة و عثمان ذى النورين ،
فلا اقلّ يورث صرفه عمّن ليس له حى يساعده و بيت يعاضده ، او على ما قال ابوسفيان
من كان « اقلّ حياً » و « اذلّ بيتاً » ؟

و كيف كان فلامناص من التعجيل فى الأقدام و التسريع بالانتماء بحيث لا يطلع
المهاجرون على الأمر الآ بعد اتمامه و على هذا فلا بدّ وان لا يكون التأليف و الاجتماع
الآ من الأنصار فحسب .

هذا ما يجزم به الحزم ، و يحكم به العزم ، و يقتضيه التدبير و الكياسة ، و يرتضيه
الحكمة و الدهاء و السياسة .

فالآن ، و الحال على ما تدرى ، كيف ينبغي ان يكون الأقدام لدعوة الأنصار
و جمعهم ؟ و باى طريق يصلح تحريضهم على الاجتماع ، بحيث يبادرون اليه بلا تأمل ،
و يسارعون فيه من دون اختلاف و تفرّق ؟

٢٢٥- كيفية دعوة الأنصار للاجتماع

أَمِين المصلحة ان تكون الدعوة باسم احد من اقرباء الرسول (ص) او باسم
خصوص على ؟

الْتَيْسَس في هذا الهتاف والدعوة نقض الغرض مما يبرام، والوقوع في ما يُحذَر
منه و يُخَاف ؟

أَمْ هل من المصلحة ان يكون الهتاف والدعوة باسم خصوص الصّاحب ، ابي بكر
وهو مع انه ليس من الأنصار يكون « اقل حياً » و « اذل بيتا » في المهاجرين الأبرار
واحتطاً شأننا للرئاسة عند الانصار من رؤسائهم الكابرين و شيوخهم الشاغلين ؟

الدعوة للانصار
من الانصار
وباسم الانصار

فلاجرم من ان تكون الدعوة للانصار، من الأنصار، وباسم الأنصار اى يكون -
الدّاعى لهم منهم و باسم شخص من عظمائهم فلا بدّ و ان يكون المرشح للامارة ابتداءً
من انفسهم ، وان يكون اعظمهم عندهم قدراً ، و ارفعهم لديهم شأنًا ، و اكبرهم مقامًا ،
واقربهم فيهم أسرةً ، و اكثرهم حياً ، و اعزهم بيتاً ، و اشرفهم ذاتاً ، و اجلتهم
بين المهاجر و الأنصار شخصًا ، و اعرفهم سخاءً و شجاعةً و كمالاً ، وهو في ذلك -
الوقت لم يكن آل اسعد بن عبادة ، شيخ المدينة و رئيس الأنصار و كبيرهم ، و حامل
لواء الأنصار بأمر الرسول (ص) في الغزوات والحروب .

فأعدوا القوم لذلك و هتفوا باسمه فاجتمعت الأنصار في السقيفة « و اخرجوا
سعد بن عبادة اليهم وهو مريض لا يقدر على الحركة »^١ و جرى فيها ماجرى من ورود -
الفجائى (على ظاهر الامر) المهاجرين الثلاثة بموقعه و احتجاجهم بأنّ « الأئمة من

١- احضار سعد في السقيفة و اخراجه اليها ، مع ما هو فيه من المرض ، كان في
عرف العزم و شرع التدبير ، لازماً و ضرورياً و ذلك لانه لو لم يحضر لم تجتمع عشيرته
فيها ولو اجتمعت لم تباع حتى ترى رأيه و تتحقق نظره و اذنه ، فلم يتيسر ما هو المطلوب
من عقد السقيفة و سرعة البيعة على انه لو لم يكن حاضرا لم يصر مغلوبا بتلك الكيفية و كان
بعد على حجته و قدرته ، مؤثراً في مخالفته ، سيما اذا وافق عليها و مال الي معاضدته و مبايعته .

من قريش» و سَبَقَ بشير بن سعد الخزرجي ، ابن عم سعد ، الى البيعة فلتة ثم مبادرة أُسيد الأوسى اليها ثم قول بعض الانصار (ولعلهم كانوا في المواطنين واعدوا لذلك من قبل) لبعضهم «فقوموا فبايعوا ابابكر . . .» و جسارتهم السريعة الغير المعتادة على ان يَطَّأوا سعداً كى ينصرف هو واقربائه عن الموضوع و ينعطف اهتمامهم بحفظ نفس سعد فصار الهرج بحيث خافوا ان يتلف سعد فيذهب بحياته هو وجاء الغوغاء فينادوا : «اتقوا الله ، سعداً لانطأوه» . و فى هذه الجسارة والجرأة ما يُرشد المتدبر الى سبق- التوطئة فتدبر .

و بالجملة يظهر من جميع ذلك ان الانصار لم تجتمع بدعوة رئيسهم ، سعد ، بل اخرجوه اليهم فلم تكن التوطئة من قبيله و لم يكن ايضاً هو عالماً بها محتملاً لها وكيف يتصور ان تكون التوطئة من سعد ، وهو هو فى الحنكة والتجربة ، و لم يك ينضجها بحيث يستنتج منها ما اراد بل بصير الأمر بحيث كاد ان يُقتل ؟ او كيف يمكن ان يكون عالماً بها و لم يأخذ اُهْبته و لم يكمل عُدته ؟
ومما يُستأنس منه ان الاجتماع فى السقيفة كان بتوطئة من قبيل و قضاء فى- الليل وكانت التوطئة للخلافة من قبيل من نال بها و احرزها ، امور نشير اليها :

٢٢٦- شواهد على كون التوطئة للبيعة من قبل

الأول :

انكار عمر (رض) موت الرسول (ص) .

قال ابن ابي الحديد :

« وروى جميع اصحاب السيرة ان رسول الله صلى الله عليه و آله لما توفى

كان ابوبكر فى منزله بالسُّنْح^١ فقام عمر بن الخطاب فقال^٢ :

١- بضم السين والثون ، او يسكون الثون ، على ما قيل ، موضع بعوالى المدينة ، فيه

منازل بنى الحارث بن الخزرج .

٢- «ان رجلاً من المنافقين يزعمون ان رسول الله توفى . والله ما سات ولكنته ذهب ←

« مامات رسول الله (ص) ولا يموت حتى يظنهم دينه على الدين كله . وليس رجيعن
وليقطعن ايدى رجال وارجلهم ممن ارجف بموته . لا اسمع رجلاً يقول : مات
رسول الله الا ضربته بسيفي .

« فجاء ابوبكر وكشف عن وجه رسول الله (ص) وقال :

« بأبى و أمى طبت حياً و ميتاً . والله لا يذيقك الله الموتين ابداً .

« ثم خرج والناس حول عمر وهو يقول لهم : انه لم يموت . و يحلف .

« فقال : ايها الحالف على رسلك .

« ثم قال : من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات و من كان يعبد الله فان الله

حي لا يموت . قال الله تعالى :

« اِنَّكَ مَيِّتٌ وَاِنَّهُمْ مَيِّتُونَ . وقال :

« اَفَاِنْ مَاتَ اَوْ قُتِلَ ، اِنْقَلَبْتُمْ عَلَيَّ اَعْقَابِكُمْ . . . »

ثم نقل ابن ابي الحديد « ماتكلمت الشيعة فى هذا الموضع » وما اجاب قاضى-

القضاة فى كتاب « المغنى » عنها و ما اعترض به السيّد المرتضى فى كتاب « الشافى »

على ذلك الجواب و بعد اللتى والتى قال :

« و نحن نقول :

« ان عمر كان اجل قدراً من ان يعتقد ما ظهر عنه فى هذه الواقعة و لكتته لما

علم ان رسول الله (ص) قد مات ، خاف من وقوع فتنة فى الامامة و تغلب اقوام عليها

اماً من الأنصار او غيرهم .

« و خاف ايضاً من حدوث ردّة و رجوع عن الاسلام فأنه كان ضعيفاً بعد

لم يتمكن .

« و خاف من تيرات تُشنّ و دماء تُراق ، فان اكثر العرب كان موتوراً فى

← الى ربه كما ذهب موسى بن عمران . والله ليرجعن رسول الله فليقطعن ايدى رجال وارجلهم

زعموا انه مات » (الكامل لابن الاثير الصفحة ال ٢١٩) و ما يستلفت النظر فى هذا المنقول

اطلاق « المناقنين » على من زعم ! الوفاة ، ثم الحلف بعدم موته (ص) !

في حياة رسول الله (ص) يقتل من قَتَلَ اصحابه منهم . . . »
 « فاقترضت المصلحة عنده تسكين الناس . . . وكذلك عمر اظهر ما اظهر
 حراسة للدين و الدولة الى ان جاء ابوبكر وكان غائبا بالسُّنْح ، و هو منزل بعيد عن
 المدينة .

« فلما اجتمع ابي بكر قوى به جأشه و اشتد به ازره و عظم طاعة الناس له
 و ميلهم اليه ، فسكت عن تلك الدعوى التي كان ادعياها ، لأنه قدامن بحضور ابي بكر
 من خَطْبٍ يحدث او فساد يتجدد . . . »

يقول كاتب هذه الكلمات . بيالى انى رايت فى بعض الكتب المعتمدة ، و لا
 اذكره الآن ، لبعد العهد و طول الزمن ، ان قبل مجيىء ابي بكر و قراءة الآية
 على عمر قرء بعض من حضرهنا على عمر (رض) عين ماقرأها بعده ابوبكر عليه
 فلم يلتفت اليه ولم يعتد به و لم يسكت عن تلك الدعوى فكأنه لم يسمع ماتليت عليه
 ولعله ينتظر مجيىء ابي بكر اليه .

ماقاله
 ابن ابي الحديد
 توجيها لاكار
 عمر موت
 النبي (ص)

٢٢٧ - الشاهد الثانى على التوطئة

الثانى :

كتمان عمر (رض) خبر السقيفة و عدم افشائه لمن حضر من اكابر المهاجرين .
 قال الطبرى فى تاريخه (وغيره ايضا فى كتبهم) :
 « لما اتى عمر الخبر فأقبل الى منزل النبى (ص) فأرسل الى ابي بكر ،
 و ابوبكر فى الدار ، و على بن ابي طالب (ع) دائب فى جهاز رسول الله فأرسل الى
 ابي بكر ان اخرج الى انه قد حدث امر لا بد لك من حضوره .
 « فخرج اليه فقال : اما علمت . . . فمضيا مسرعين نحوهم فلقيا ابا عبيدة بن
 الجراح فتماشوا اليهم ثلاثهم . . . »

كتمان
 خبر السقيفة

فمما لا يكاد ان يرتاب فيه ان العادة (والعقل السليم والطبع المستقيم) فى مثل

تلذك الحادثة تحكم بان يُعلن بما حدث، من اجتماع الأنصار، عند قاطبة المهاجرين ، اهل الرأى والحل والعقد ، و يُشاور معهم و يُستعان بهم و يُستمد في مؤامرتهم من آرائهم ولا سيما في تلك الحالة ، الحالة التي كانت اكابر المهاجرين حاضرين هنا ، وفيهم صهر الرسول واخوه و ابن عمته على ابى طالب وعمته العباس وحواربه الزبير و طلحة و اعظم الصحابة كسلمان و ابى ذر و مقداد و عمارة و اضرابهم ، فالانحراف عن الطبيعة العرفية الساذجة و العادة المألوفة المرضية ، بل و راي العقل ، لا يكون الا وان يكون لسبق توطئة للامر و تقدم مشاوره و مؤامرة و تدبير له .

٢٢٨- الشاهد الثالث على كون التوطئة قبلاً

الثالثة :

عدم صحته كون التوطئة من سعد بن عبادة .

لا يصح ان يتوهم ان اجتماع الأنصار فى السقيفة كان بتمهيد و توطئة من سعد بن عبادة وذلك لأنه كان « مريضاً مزملاً » لا يقدر على الحركة بحيث « اخرجوه اليهم » فلتة و « اقعده » بغته على انه لو كان بتمهيد منه لم يصبر الأمر الى ما آل اليه من سرعة خيبته و شدة و طئته .

فمن ذا الذى مهّد الأمر و أعدّه و هيأ السقيفة فدعا الأنصار اليها و ندبهم

للإجماع فيها ؟ فلننظر :

كان فى من حضر السقيفة أسيّد بن حُضير ، سيّد الاوس و رئيسهم المُطاع عندهم و النَّافذ امره فيهم ، و كان ايضاً ممّن حضر بشير بن سعد الخزرجى ، ابن عم سعد بن عبادة . وله فى الخزرج ، كما دريت ، شأن من الشأن و موقع و مكان .

افترى ، و انت على ما يُظن بك ممّن ترعى الأنصاف و تحيط خبيراً باطراف الواقعة و الأكثاف ، انهما حضرا فى السقيفة ليكونا عوناً على اماره رقيهما و من كانا يحسدان عليه و بنافسانه فى رئاسته و هو سعد بن عبادة ؟ او حضرا فيها ليشاهدا بيعة

اصحابهما و قبيلتيهما آياه ؟ او حَضْرًا لأخذ البيعة و تحصيل الامارة والرئاسة لنفسهما
و مع هذا النظر اخرجوا سعداً المكرّم المقدم عليهما اليهم و لم يصرفا الأنصار من
اخراجهم اليهم ؟

لا يُظنّ بك هذه الظنون ، و لا سيّما مع ما تنذّر ان بشيراً هو الذي سبق
بالببيعة فسهّل الطريق بمخالفته القوم و الفريق ، فريق الخزرج ، انصار سعد .
و لعلك على ذكّر من قول الطبري هذا :

« . . . اشار ابو بكر الى صاحبيّه : عمر و ابى عبيدة . و دعا الانصار الى بيعة
من شاؤا منهما . و ردّ الصّاحبان عليه بانّه احقّ لأن يتولّى الأمر و قالاله : ابسط يدك
نبايعك .

سياق
بشير الخزرجي
الى المبايعه
و سراع
اسيد الاوسى
فى المتابعه

« فلماً ذهباً لبيايعا ، سبّتهما اليه بشير بن سعد فبايعه . . . »
و بعد ان بايع بشير الخزرجي ، بايع أسيد الأوسى فتمّ التدبير و قضى بما
سبق من التوطئه و التمهيد و حينئذٍ قالت عدّة ، اُعدت لذلك من غوغاء الأنصار ،
لبعضهم :

« و . . . فقوموا فبايعوا ابابكر . فقاموا اليه فبايعوه . . . » و وثبت تلك العدة
على سعد و وطنوه كى يشغل هو ، و اقرباؤه ، بحفظ نفسه الأهمّ ، و يشغلوا عن ما كانوا
فيه من المهمّ المهمّ ، فتمّ بذلك ما ارادوا و قضى الأمر على ما كادوا و اشادوا .

٢٢٩- بشير و اسيد قبل السقيفة و بعدها

مما يستلفت النظر ان بشيراً و أسيداً قديذكران مع ابى بكر و عمر (رض)
قبل جريان واقعة السقيفة و كأنه لا ينسى مافعل للسقيفة و فيها ، فيذكران بعدها
و لا سيّما اسيدا فيتوجه اليه بالاجارة و المجازاة و يتقابل بالأثابة و المكافاة .

امّا ما يكون من قبيل الأول :

قدحكى ابن ابى الحديد نقلاً من « كتاب السقيفة » لأبى بكر احمد بن عبد العزيز

بأسناده عن عبد الله بن عبد الرحمن ، في قضية امر النّبى (ص) أسامة بن زيد بالأغارة على مؤتة حيث قُتل أبوه ، زيد ، و ان يغزو وادى فلسطين ، انه لما افاق الرسول في مرضه :

« . . . فجعل يقول :

« أَنْفِذُوا بَعثَ أُسَامَةَ . لعن الله من تخلف عنه . ففكر ذلك .

« فخرج أسامة واللواء على رأسه و الصحابة بين يديه حتى اذا كان بالجرف نزل . ومعه ابوبكر وعمر و اكثر المهاجرين . و من الأنصار اسيد بن حضير و بشير بن سعد^١ . . . »

واما ما يشعر بالثاني :

فقد حكى ابن حجر العسقلاني الشافعي (٧٧٣-٨٥٢ هـ . ق) في كتابه «الأصابة»

رواية عن الواقدي من طريق طلحة بن عبيد الله التيمي :

« قال كان ابوبكر لا يقدم احداً من الأنصار على أسيد بن حضير »

وفي «الأصابة» ايضاً ، رواية عن عروة ، قال :

« لما مات أسيد بن حضير باع عمر ما له ثلاث سنين فوفى بها دينه و قال :

« لا اترك بنى اخي عالة ، فردّ الارض و باع ثمرها^٢ .

١- اختصاص الخروج مع اسامة بهما لعله كان من اجل موافقتهما مع الصحابين او

مخالفتها لعلى ، ولا كذلك سائر الانصار ، وكان نظر الرسول (ص) كما تعتقد الشيعة في بعث اسامة اخلاء المدينة من المخالفين . والله العالم بحقائق الامور .

٢- لعله لم يوجد في تاريخ الاسلام موردا آخر عمل فيه عمر (رض) مثل ما عمل

في هذا المورد وقال فيه مثل هذا القول : « لا اترك بنى اخي . . . » اللهم الا ان يدعى عدم

وجود ميت في زمانه من المسلمين بحيث كان مدينا حتى لا يترك بنوه عالة ! وكيف كان

فحمل عمر نعهه بنفسه . و تقديم ابي بكر اياه على كل واحد من الانصار كائنا من كان

يبين ايضا علو قدره و سمو مقامه عندهم .

وقال ابو عمرو يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر «الفتية المحافظ المحدث - المالكي» (٣٦٣ - ٤٦٣ هـ . ق) في كتابه الاستيعاب :

« تُوِّقَى اسيد بن حضير في شعبان سنة عشرين . . . و حمله عمر بن الخطاب بين العمودين من عبد الأشهل حتى وضعه بالبقيع وصلى عليه »

وقال ايضا :

« واوصى (يعنى اسيداً) الى عمر بن الخطاب فنظر عمر في وصيته فوجد عليه اربعة آلاف دينار فباع نخله اربع سنين باربعة آلاف وقضى دينه . وقيل انه حمل نعشه بنفسه بين الأربعة الأعمدة وصلى عليه . »

وعلى هذا فمن القريب جداً ان يكون لهذين الأنصارين العظيمين دخل عظيم في تلك التوطئة ووساطة قوية ، خفية او جلية ، لاصل الاجتماع و تكوينه في - الأبتداء كما كان لأقدامهما سريعاً على البيعة و ابرام امرها بعداً اثرها المطلوب في - الأنتهاء .

من
اركان التوطئة
بشير و اسيد

فانظر مرافقه أسيد و معاضدته بعد السقيفة في امر البيعة ، لعمر (رض) :

قال ابوبكر ، احمد بن العزيز ، في « كتاب السقيفة » (على ما حكى ابن ابي - الحديد عنه) بأسناده عن ابي الاسود قال :

« غضب رجال من المهاجرين في بيعة ابي بكر بغير مشورة .
« وغضب على و الزبير فدخلا بيت فاطمة ، عليها السلام ، معهما السلاح .
فجاء عمر في عصابة ، منهم أسيد بن حضير و سلمة بن سلامة بن وقس ، وهما من بنى عبد الأشهل .

« فصاحت فاطمة عليها السلام و ناشدتهم الله .

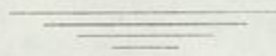
« فأخذوا سيفي على و الزبير فضربوا بهما الجدار حتى كسروهما . . . »

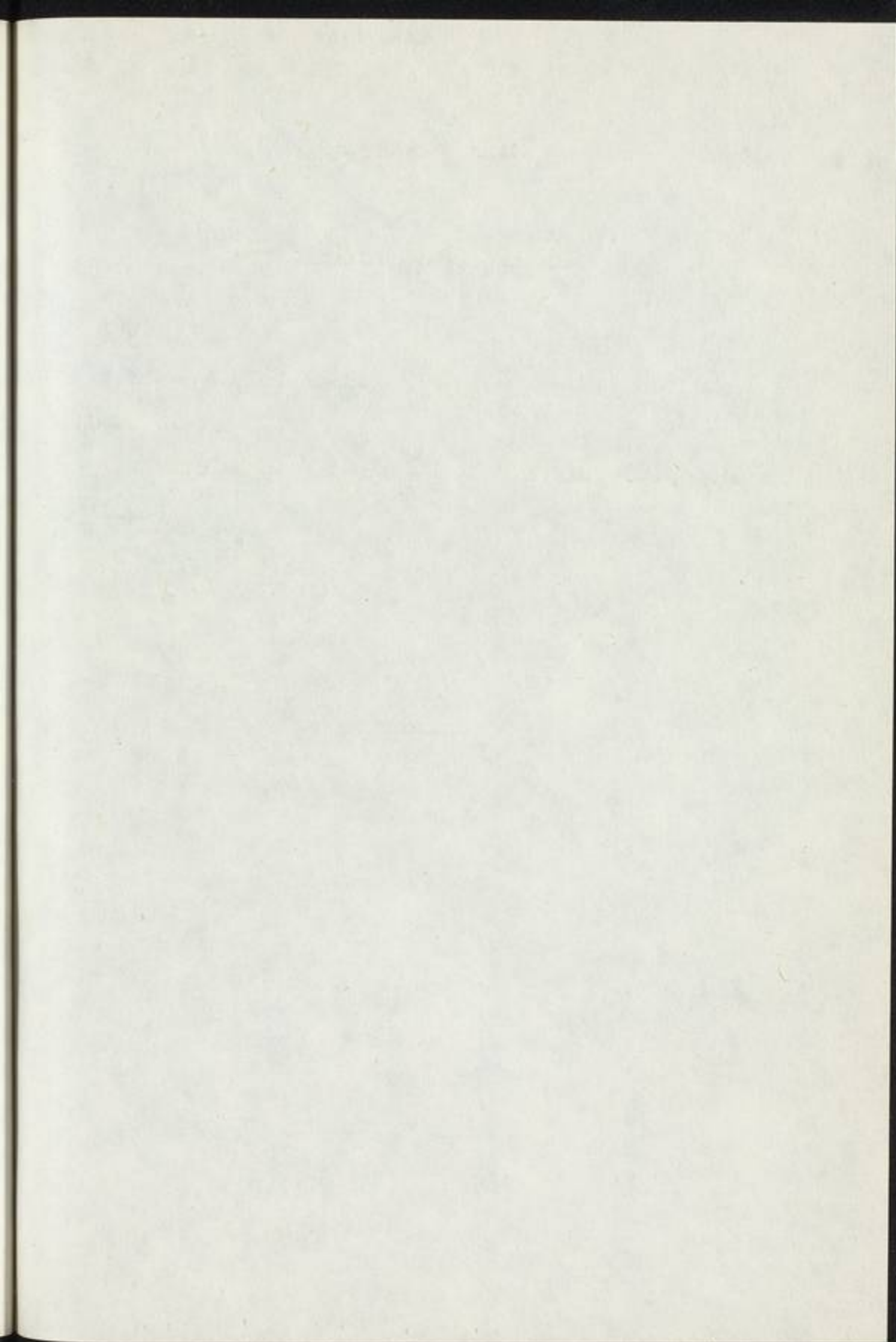
٢٣٠ - الشاهد الرابع على التواطئة

الرابع :

كلام معاوية في كتابه لمحمد بن ابي بكر (رض) و هذا عين لفظه (قد مرّ سابقاً بعض ما فيه) :

« فكان ابوك و فاروقه اول من ابتزّه و خالفه على ذلك ، اتفقا و اتسقا ثم دعواه الى انفسهما » .





... فَإِنْ كُنْتَ بِرَسُولِ اللَّهِ طَلَبْتَ فَحَقَّنَا أَخَذْتَ .
 وَإِنْ كُنْتَ بِالْمُؤْمِنِينَ فَتَحَنُّ مِنْهُمْ ...
 فَإِنْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ يَجِبُ لَكَ بِالْمُؤْمِنِينَ فَمَا
 وَجَبَ إِذْ كُنَّا كَارِهِينَ ...
 (من كلام عم الرسول ، عباس ، لأبي بكر)

فَإِنْ كُنْتَ بِالشُّوْرَى مَلَكَتْ أُمُورَهُمْ
 فَكَيْفَ بِهَذَا وَالمُشِيرُونَ غَيْبٌ ؟
 وَإِنْ كُنْتَ بِالقُرْبَى حَجَجْتَ خَصِيْمَهُمْ
 فَغَيْرُكَ أَوْلَى بِالنَّبِيِّ وَاقْرَبُ
 (رَوَى عَنْ عَلِيٍّ عَلَى مَا قَالَهُ الشَّرِيفُ الرِّضِيُّ)

١- بعد السقيفة .

٢- احتجاج العباس على ابي بكر .

٣- تطميع ابي سفيان و اسكاته بالمال .

٤- تهديد عمر (رض) فاطمة بنت النبي (ص)

وسيدة نساء العالمين ومن كانت ايذائها ايذاء-

الرسول (ص) بأحراق بيتها على علي وغيره

من اهل البيت !!

٥- استنكاف امرأة من الصحابيات المهاجرات

عمما أرسل اليها من بيت المال .

١٣- حول ماجرى بعد السقيفة :

٢٣١ - بعد السقيفة

قال البراء بن عازب^١ :

«لم ازل لبني هاشم محباً فلما قبض رسول الله (ص) خيفت ان تتما لأقريش على اخراج هذا الأمر عنهم فأخذني ما يأخذ الوالهة العجول ، مع ما فى نفسى من الحزن لوفاة رسول الله (ص) ، فكنت اتردد الى بنى هاشم ، وهم عند النبى فى الحجرة واتفقد وجه قريش فاننى كذلك اذ فقدت ابابكر وعمر واذأ قائل يقول :

«القوم فى سقيفة بنى ساعدة واذأ قائل آخر يقول :

«قد بويع ابوبكر !

«فلم البث واذأ انا بأبى بكر قدا قبل ومعه عمر و ابو عبيدة وجماعة من اصحاب السقيفة وهم محتجزون بالأزر الصنعانية لا يمرؤن بأحد الا لخبطوه ! وقدموه ! فمدوا يده فمسحوها على يد ابى بكر يبايعه ! شاء ذلك او ابى !^٢ .

اخذ البيعة
بعد السقيفة
بالقهر

١- شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد (المجلد الاول - الصفحة ال ٧٣١ -) ذيل شرح الخطبة الشقشقية . وفيه (فى المجلد الاول الصفحة ١٣٢ -) (نقلا عن ابى بكر احمد بن عبدالعزيز) قال : حدثنى المغيرة بن محمد المهلبى من حفظه وعمر بن شبة من كتاب بأسناد رقعته الى ابى سعيد الخدرى قال : سمعت البراء بن عازب يقول : « لم ازل لبني هاشم محباً فلما قبض رسول الله تخوفت... الخ .

٢- «قال ابوبكر احمد بن عبدالعزيز الجوهرى : وحدثنى احمد بن اسحق بن صالح قال : حدثنى عبدالله بن عمر بن معاذ عن ابن عون قال : حدثنى رجل من زريق ان عمر كان يومئذ ، قال : يعنى يوم بويع ابوبكر ، محتجزاً يهرول بين يدي ابى بكر ، ويقول: الا ان الناس قد بايعوا ابابكر . قال : فجاء ابوبكر حتى جلس على منبر رسول الله (ص) فحمد الله واثنى عليه ثم قال : اما بعد فانى وليتكم ولست بخيركم ولكنه نزل القرآن وسنت السنن وعلمنا فتعلمنا ان اكيس الكيس ، التقى واحمق الحمق ، الفجور وان اقويكم عندى الضعيف ، حتى آخذ له بالحق واضعفكم عندى القوى حتى آخذ منه الحق . ايها الناس انما انا متبع ولست بمبتدع . اذا احسنت فاعينونى واذا زغت فقومونى»

«فأنكرتُ عقلي وخرجتُ اشتدُّ حتى انتهيتُ الى ابني هاشم و البابُ مُغلقٌ .
فضربتُ عليهم الباب ضرباً عنيفاً و قلتُ :
«قد بايع النَّاس لأبى بكر بن ابى قحافة !
فقال العباسُ :

« تربت ايديكم الى آخر الدهر اما قد امرتكم فعصيتونى .
« فمكثتُ اُ كابدُ ما فى نفسى ورايتُ فى اللَّيل ، المقداد و سلمان و اباذر
و عبادة بن الصّامت و ابا الهيثم ابن التّيهان و حذيفة و عمّاراً و هم يريدون انّ يُعيدوا -
الامر شورى بين المهاجرين . و بلغ ذلك ابا بكر و عمر فأرسلا الى ابى عبيدة و الى -
المغيرة بن شعبة فسألاهما عن الرّأى . فقال المغيرة :

«الرّأى ان تلقوا العباس فتجعلوا له وولده فى هذه الامرة نصيباً لتقطعوا بذلك
ناحية على بن ابى طالب عليه السلام !

« فانطلق ابو بكر و عمر و ابو عبيدة و المغيرة حتى دخلوا على العباس ، و ذلك
فى اللَّيلة الثّانية من وفاته رسول الله (ص) فحمد ابو بكر الله و اتّنى عليه و قال :
« . . . فقد جئناك و نحن نريد ان نجعل لك فى هذا الامر نصيباً ! و لمن بعدك
من عقبك ! اذ كنت عمّ رسول الله (ص) ، و ان كان المسلمون قد رآو امكنك
من رسول الله و مكان اهلك ثم عدلوا بهذا الامر عنكم .

« و على رسلكم بنى هاشم فأنّ رسول الله منّا و منكم !
« فاعترض كلامه عمر و خرج الى مذهبه فى الخشونة و الوعيد و اتيان الامر من
اصعب جهاته فقال :

واي والله .

« و اخرى انا لم نأتكم حاجة اليكم ولكن كرهنا ان يكون الطّعن فى ما اجتمع
عليه المسلمون منكم فيتفاهم الخطب بكم و بهم فانظروا لأنفسكم و لعامتهم ثمّ سكّت .

١- فى موضع آخر «نقطعوا به من ناحية على و يكون لكم الحجة ، عند الناس على
على اذا مال عليكم العباس . فانطلقوا . . . »

«فتكلم العباس . فحمد الله واثنى عليه . ثم قال :
 ... فأنت كنت برسول الله طلبت فحققتنا اخذت وان كنت بالمؤمنين فنحن منهم .
 ما تقدمنا في امركم فرطاً ولا حللنا وسطاً ولا نزعنا شحطاً .
 فان كان هذا الامر يجب لك بالمؤمنين ، فماوجب اذ كنا كارهين و ما ابعده
 قولك « انهم طعنوا » من قولك : « انهم مالوا اليك »
 « واما ما بدلت فان يكن حقتك اعطيناه فأمسكه عليك ، وان يكن حق -
 المؤمنين فليس لك ان تحكم فيه ، وان يكن حقنا لم نرض لك ببعضه دون بعض .
 واما قول هذا الروم صرفتك عما دخلت فيه ولكن للحجة نصيبها من البيان .
 واما قولك : « ان رسول الله (ص) منا و منكم » فان رسول الله (ص) من
 شجرة نحن اغصانها و انتم جيرانها .
 « واما قولك يا عمر : انتك تخاف الناس علينا ، فهذا الذي قدمتموه اول
 ذلك و بالله المستعان »
 هكذا روى ابن ابي الحديد في شرحه على نهج البلاغة (الجزء الاول الصفحة -
 ال ٧٣ - ٧٤) .

احتجاج عباس
 على ابي بكر
 و عمر

٢٣٢ - ارضاء ابي سفيان للبيعة

و نقل هو (ابن ابي الحديد) فيه ايضاً :
 « وروى ابو بكر احمد بن عبدالعزيز الجوهري في « كتاب السقيفة » .. بأسناده
 عن مالك بن يسار انه قال :
 « كان النبي قد بعث اباسفيان ساعياً فرجع من سعابته وقد مات رسول الله (ص)
 فقال :
 « من ولي بعدة ؟
 قيل : ابو بكر .
 قال : ابو فضيل ؟

«قالوا : نعم . . .»

«فكلم عمر ، ابا بكر . فقال : ان ابوسفیان قد قدم وانا لانا من شره فادفع له ما فى يده . ففتركه فرضى»

قال الفقيه المالكي ، ابن عبد ربه فى كتابه «العقد الفريد» (الجزء -
الصفحة ال -) :

«توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم و ابوسفیان غائب فى مسعاةٍ اخرجته فيها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فلما قدم المدينة جعل يطوف فى ازقتها ويقول :

«بنى هاشم لا يطمع الناس فيكم»

ولا سيما تيم بن مرة او عدي

«فما الامر الا فيكم واليكم»

ولا ليس لها الا ابو حسن على»

«فقال عمر لأبى بكر :

«ان هذا قدِم وهو فاعل شرآ ، وكان النبى يتألفه على الاسلام . فدفع له ما بيده من الصدقة . ففعل ! . فرضى ابوسفیان و بايعه .»

٢٣٣ - ختم الكلام عن السقيفة وما جرى اياتها

هذا انموذج مما ورد فى الكتب المعتمدة ، و نقل عن الرواة الموثقة المعتمدة من اهل السنة ، فى قضية السقيفة بدءاً و ختماً و قبلاً و بعداً ، و يظهر من مجموعها جلياً ان بناء البيعة قامت على دعامة التدبير و الأبرام ، ثم على عماد الأكرام و الاكرام و على الوعيد و الأبعاد و التهديد و الأرعاد و على التطبيع و البذل و الأرفاد .

و لنكتف بهذا الأنموذج و نختم الكلام فى شأن السقيفة و بعدها بما رواه ابن -

ابى الحديد عن ابى بكر احمد بن عبد العزيز و هذا لفظه :

«قال : لما بوع لابي بكر ، كان الزبير و المقداد يختلفان فى جماعة من الناس

الى عليّ وهو في بيت فاطمة فيتشاورون و يتراجعون امورهم .

« فخرج عمر حتى دخل على فاطمة عليها السلام وقال :

« يا بنت رسول الله ما من احد من الخلق احبّ الينا من ابيك وما من احد احبّ الينا منك بعد ابيك .

و ايم الله ما ذاك بمانعي ان اجتمع هؤلاء النفر عندك ان امر بتحريق البيت عليهم »

و روى ايضا عن كتاب السقيفة لأبي بكر احمد بن عبدالعزيز في قضية السقيفة بعد نقل كلام حباب بن المنذر وما اجابه به عمر ما هذا نصه (المجلد الاول - الصفحة ال ١٣٣ -) :

« . . . فتكلم ابو بكر فقال : نحن الأمراء و انتم الوزراء و الأمر بيننا نصفان كشقّ الأبلّمة^٢ . فبويع .

« وكان اول من بايعه بشير بن سعد والد النعمان بن بشير . فلما اجتمع الناس على ابي بكر قسم قسمًا بين نساء المهاجرين و الأنصار . فبعث الى امرئة من بنى- عبدالنجر اسمها مع زيد بن ثابت .

« فقالت : ما هذا ؟

« قال : قسم قسمها ابو بكر للنساء .

« قالت :

« اترشوني عن ديني ؟ والله لا اقبل منه شيئاً فردته عليه . . . »

وفي كتاب « صفة الصّفوة » (المجلد الثاني - في ذكر المصطفيات من الصحابيّات)

لأبن الجوزي^٣ تحت عنوان « امرئة أخرى من المهاجرات » :

١- وقد نقل انه امر كما حلف و حرق باب البيت و عسف .

٢- « . . . و الابلم : الغليظ الشفتين . و بقلة لها قرون كالباقلي او حوص المقل . و ثلث اوله كالابلمة مثلثة الهمزة و اللام . و المال بيننا شق الابلمة اي نصفين » (قاسوس)

٣- الشيخ العلامة جمال الدين ابوالفرج عبدالرحمن ابن . . . الجوزي (المتوفى سنة ٥٩٧ هـ . ق .) صاحب التأليف الرائقة و المواعظ الانيقة الفائقة .

حلف عمر
بتحريق بيت
فاطمة على :
على و جمع
من بنى هاشم

« عن ابن سيرين : انّ ابا بكر اُتِيَ بمال فقسّمه بين الناس . فبعث منه الى امرئة من المهاجرات فلما اُتِيَتْ به قالت :
« ما هذا ؟

« قالوا : ابوبكر جائه مال فقسّمه في الناس فقسّم منه في نُظرائِكِ .

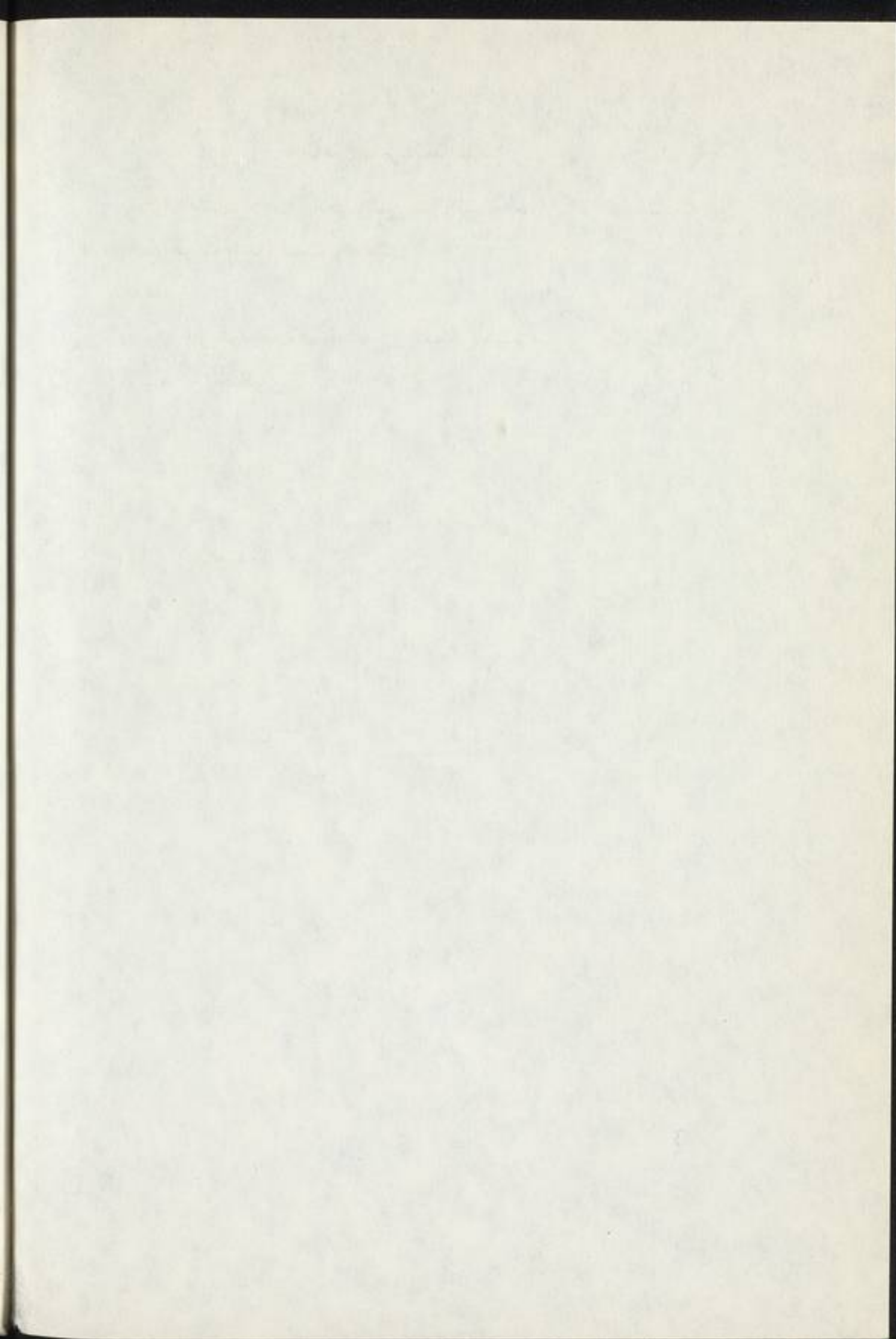
« قالت : اتّخافونني ان ادّعَ الاسلام ؟

« قالوا : لا .

« قالت : افتترشونني على ديني ؟

« قالوا : لا .

« قالت : فلاحاجة لي فيه »



«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ»

(الآية السابعة من سورة البينة قال النبي (ص) بعد نزول الآية :

«أَنْتَ يَا عَلِيُّ وَشِيعَتُكَ»

(تفسير الكبير لابن جرير الطبري)

« . . . وَإِنَّ أُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ فِيكَ ثَلَاثَ فِرَقٍ :

فِرْقَةٌ اتَّبَعُوكَ وَآحَبُّوكَ وَهُمْ «الْمُؤْمِنُونَ» وَفِرْقَةٌ

عَادُوكَ وَهُمْ «النَّاكِثُونَ» وَ«الْمَارِقُونَ»

و «الْقَاسِطُونَ» وَفِرْقَةٌ غَلَّوْا فِيكَ

وَهُمُ الضَّالُّونَ . يَا عَلِيُّ أَنْتَ وَاتَّبَاعُكَ

فِي الْجَنَّةِ »

(أخرجه موفق بن أحمد الخوارزمي)

١- اسم الشيعة ونشأتها .

٢- حبُّ عليّ و بغضه .

٣- طاعة عليّ و موالاته .

٤- نبذة مما ورد في عليّ و شيعته :

١٤- حول نشأة الشيعة :

٢٣٤ - نشأة الشيعة ونسبتها

حصلت البيعة في السقيفة، وحدثت عنوان الخلافة وُعِيْنَت الخليفة ، على مادريت ، فوجب ان يؤكّد بنيان البيعة و يُشَيّد ار كان الخلافة . فجلس ابوبكر (رض) في الغد من ذلك اليوم على منبر الرسول (ص) « فقام عمر (رض) فتكلّم قبل ابى بكر فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله ثمّ قال . . . »

« وبعد ماتمّ كلامه توجه الى الناس وقال :
« فقوموا فبايعوا »

« فبايع الناس ابابكر ، العامة بعد بيعة السقيفة .

« ثمّ تكلم ابوبكر فحمد الله واثنى عليه بالذى هو اهله ثم قال :

« امّا بعد : ايها الناس فانتى قد وليتُ و لستُ بخيركم فان احسنتُ فاعينونى وان اسأتُ فقومونى .

« اطيعونى ما اطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فاطاعة عليكم . قوموا الى صلوتكم ، رحمكم الله »^١ .

فصارت البيعة فى ذلك اليوم عامّة وانقطع رجاءُ الخلاف و مع ذلك بقى جمع من اعظم المهاجرين و الأنصار لم يبايعوا بعدُ ، كعلّى و عبّاس و سائر بنى هاشم قاطبة و كسعد بن عبادة و اولاده ، و بعض من عشيرته الاقربين ، و جمع من اكابر الصحابة فلم يبايع هؤلاء الا بعد مضى من الزّمن^٢

البيعة العامة
وكلام الخليفة:
«... و لست
بخيركم...»

١- «الكامل» لابن الاثير (الجزء الثانى - الصفحة ٢٢٤) و تاريخ الطبرى وغيرهما .

٢- هذا سوى سعد بن عبادة فانه لم يبايع حتى مات فى الطبرى (وغيره)

«... وكان (يعنى سعدا) لا يصلى بصلوتهم ولا يجتمع معهم و يحج ولا يفيض معهم بافاضتهم فلم يزل كذلك حتى هلك ابوبكر ، رضى الله عنه ، ولم يبايع عمر بعد ابى بكر ايضا حتى مات او قتل »

و ذلك حين رأوا ان الأكثر ذهب الى البيعة و انهم بالنسبة الى من بايع و تابع في غاية من القلّة و انّ التخلف عن البيعة و المقاومة في المخالفة و المفارقة في الكلمة لا يكون ضررها عائداً اليهم فحسبُ بل يمكن ان يورث هدم اساس الاسلام، و يرجع - القوم، القهقري، و يعتنقوا الجاهلية الأولى، فالتجأوا، حفظاً للاسلام، الى البيعة ولكنّه كان في اعتقادهم انّ الحق اُزيل عن مركزه و كان في ذُكرهم قول النبي صلي الله عليه وآله و سلم .

«عليّ مع الحق و الحق مع عليّ ، يدور اينما دار»

«روى الحاكم^١ في المستدرک بسنده عن عمرة بنت عبد الرحمن (عليّ ماحكي السيد العسّامة ، محسن الأميني العاملی في كتابه «ايعان الشيعة») انها قالت :

« لما سار عليّ الى البصرة دخل عليّ امّ سلمة زوج النبيّ (ص) يودعها فقالت :

«سرفي حفظ الله و في كنفه . فوالله انك لعليّ الحقّ و الحقّ معك . ولولائي اكره ان اعصى الله و رسوله فأنه أمرنا ان نقرّ في بيوتنا لسرتُ معك و لكن و الله أرسل معك من هو افضل عندي و اعزّ عليّ من نفسي ، ابني عمر ،

«وقال صحيح عليّ شرط الشيخين» انتهى ما رواه العسّامة العاملی (ره) فكان هوى ذلك الجمع و ميلهم مع عليّ يحبونه لفضائله فيطيعونه و يشيعونه فنشأت تلك العقيدة من ذلك الحين ثم اشتهر عنوان «الشيعة» لهم فصار عنواناً خاصاً لمن يعتقد امامة عليّ و خلافته بعد النبيّ و من يعتقد امامة احدى عشر من اولاده المعصومين و قد يعبر عنّ يعتقد ذلك «بالشيعة الاثني عشرية» ، كما قد يطلق عليّ هذه الفرقة من الشيعة «الشيعة الامامية» ايضاً ولكل وجه .

١ - محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بالحاكم و المدعو بابن البيع ، كان امام اهل الحديث في عصره و قد اخذ الحديث (كما قال المحدث القمي في كتابه هدية الاحباب) عن عدة كثيرة تقرب الفين محدثاً ! و من تصنيفاته كتابه المشهور «المستدرک على الصحيحين» و كتاب «فضائل فاطمة» و كتاب «تاريخ علماء نيسابور» توفي في شهر صفر الخير سنة (٤٠٥ هـ . ق.)

٢٣٥ - عنوان «الشيعة»

صارت كلمة «الشيعة» كما دريت باطلاقتها، عنواناً خاصاً للامامية الاثني عشرية فكل من يهوى علياً و يواليه و يعتقد امامته و امامة احد عشر من اولاده المعصومين - المعروفين فهو شيعة باطلاق الكلمة كما قد يطلق عليهم عناوين أخر تفيد تلك المعاني وقد روى عن النبي، صلى الله عليه وآله وسلم، في شأن المنتمين الى علي (ع) بالحب والموالة والاتباع وكذا في حق الجائرين له، بالبغض والمعادة والانحراف روايات جمّة في «الصّحاح» و «المسانيد» و «المناقب» وغيرها من الاصول المعتمدة والكتب المعتمدة لعظماء اهل السنة، فاطلاق عنوان «المحب» و «المطيع» و «الموالي» و «المتبع» على من تابع علياً، و احبّه و اطاعه، و احبّه و اتبعه و شايعه، كأطلاق «المبغض» و «المعادى» على من عاداه و ناصبه، بعين الكلمات، او ما يفيدها، في الاحاديث الصحيحة المستفيضة، بل المتواترة، تواتراً اجمالياً، بل معنوياً، ان لم يكن لفظياً، كثير جداً. نورد انموذجاً منها هنا :

٢٣٦ - نبذة مماورد في شأن عليّ و شيعته في الكتب المعتمدة

لاهل السنة

في كتاب «بنايع المودة»^١ للشيخ سليمان الحنفى روايات كثيرة جداً ننقل

شردمة منها :

١- «عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها، رَفَعَتْهُ :

«يا علىُّ حَسْبُكَ أَنْ لَيْسَ لِمُحِبِّكَ حَسْرَةٌ عِنْدَ مَوْتِهِ وَلَا وَحْشَةٌ

فِي قَبْرِهِ وَلَا فَرْعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

ليس لمحِب علي
حسرة عند
الموت ولا
وحشة في القبر
ولا فرع
يوم الحساب

١- كل ما نقلناه من بنايع المودة راجعنا مأخذها و رايناها فيها ايضاً، وهكذا نفعل

في كل ما نوردنا منقولاً، اللهم الا ان يكون المنقول عنه مما ليس بايدينا او ليس حاضراً

لدينا .

- ٢- «صحيح الترمذى عن المساور الحميرى عن امته قالت : دخلت على ام سلمة فسمعتها تقول : كان رسول الله يقول :
«لا يُحِبُّ عَلِيًّا مُنَافِقٌ وَلَا يُبْغِضُهُ مُؤْمِنٌ»
٣- «الأصابة ، يحيى بن عبد الرحمن الأنصارى قال سمعت رسول الله (ص) يقول :

«مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فِي مَحَبَّتِهِ وَمَمَاتِهِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ الْأَمْنَ وَالْأَمَانَ»

- ٤- «اخرج ابن المغازلى عن الزهري قال : سمعت انس بن مالك يقول :
والله الذى لا اله الا هو سمعت رسول الله (ص) يقول :
«عنوانُ صحيفَةِ الْمُؤْمِنِينَ حُبُّ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ»

- ٥- «اخرج الحموي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله (ص)
«يَا عَلِيُّ أَنَا مَدِينَةُ الْحِكْمَةِ وَأَنْتَ بَابُهَا وَلَنْ تُؤْتِيَ الْمَدِينَةَ إِلَّا مِنْ قِبَلِ الْبَابِ .

«وَكَذِبَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُحِبُّنِي وَيُبْغِضُكَ، لَا تَكُ مِينِي وَأَنَا مِينُكَ: لِحُمْكَ مِنْ لِحْمِي، وَدَمُكَ مِنْ دَمِي، وَرُوحُكَ مِنْ رُوحِي، وَسَرِيرَتُكَ مِنْ سَرِيرَتِي، وَعَلَانِيَتُكَ مِنْ عَلَانِيَتِي، وَأَنْتَ أَمَامُ أُمَّتِي وَوَصِيَّتِي .

«سَعِدَ مَنْ أَطَاعَكَ، وَشَقِيَ مَنْ عَصَاكَ، وَرَبِحَ مَنْ تَوَلَّاكَ، وَخَسِرَ مَنْ عَادَاكَ .

«فَازَ مَنْ لَزِمَكَ، وَهَلَكَ مَنْ فَارَقَكَ .

«وَمَثَلُكَ وَمَثَلُ الْأُمَّةِ مِنْ وَلَدِكَ مَثَلُ سَقِينَةَ نُوحٍ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ، وَمَثَلُكُمْ مَثَلُ النُّجُومِ كُلِّ مَا غَابَ نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»

- ٦- و في «المناقب» عن جابر بن عبد الله ، رضى الله عنهما ، قال : لقد سمعت رسول الله (ص) يقول :

« في عليٍّ خصالاً (كذا) لو كانت واحدة منها في رجل ، اكتفى به فضلاً وشرفاً...^١ . . . عَلَى مِثْنِي كَنَنْفَسِي ، طَاعَتُهُ طَاعَتِي وَ مَعْصِيَتُهُ مَعْصِيَتِي . »
 ٧- « وفي المناقب » عن عطية بن سعد العوفي عن محدوج بن يزيد اللد هلى قال : نزلت آية « اصحاب الجنة هم الفائزون » فقلنا : يا رسول الله من اصحاب الجنة؟ قال :

« مَنْ اطاعني و والى عليّاً مِنْ بَعْدِي »

٨- في خبر طويل « اخرجه ابوالمؤيد اخطب الخطباء موفق بن احمد الخوارزمي- المكي عن سيد الحفظ ابي منصور شهردار بن شيروية الديلمي بسنده ... انه (ص) قال لعليّ « يوم فتحت خيبر بقدره الله » في مقال :

الموالون عليا
بعد النبي
هم اصحاب الجنة

« وَ اَنْتَ دَاخِلٌ فِي الْجَنَّةِ مِنْ اُمَّتِي وَ اَنْ مُحِبِّبِيكَ وَ اَتِّبَاعِكَ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ . . . وَ اَنَّ اللَّهَ اَمَرَنِي اَنْ اُبَشِّرَكَ : اَنْتَ وَ عِتْرَتُكَ وَ مُحِبِّبِيكَ فِي الْجَنَّةِ وَ عَدْوُكَ فِي النَّارِ ، لَا يَرُدُّ عَلَيَّ الْحَوْضُ مَبْغُضُكَ وَ لَا يَغِيْبُ عَنْهُ مُحِبِّبُكَ . . . »

« و اخرج ايضا هذا الحديث صاحب كتاب « المناقب » عن جابر بن عبد الله الأنصاري »

٩- « اخرج موفق بن احمد الخوارزمي (باسناده عن عليّ في حديث طويل-) قال النبي (ص) لعليّ :

« . . . وَ اِنَّ اُمَّتِي سَتَفْتَرِقُ فِيكَ ثَلَاثَ فِرَاقٍ .
 « فِرْقَةٌ اَتَّبَعُوكَ وَ اَحْبَبُوكَ وَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ . »

١- عدد في هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة عشر خصالا لعليّ : رابعها ما ذكر في المتن ومنها قوله (ص) : « عليّ مع الحق و الحق مع علي لا يفترقان » ومنها قوله (ص) : « مَنْ فَارَقَ عَلِيّاً فَفَرَّقَ فَارَقَنِي وَ مَنْ فَارَقَنِي فَفَرَّقَ فَارَقَ اللَّهَ » و آخرها قوله (ص) : « شِيعَةُ عَلِيٍّ هُمُ الْفَائِزُونَ » (يتابع العودة -

« و فرقة عادوك وهم الناكثون » و « المارقون » و « القاسطون » .

« و فرقة غلوا فيكك وهم الضالون » .

« يا علي أنت و أتباعك في الجنة . . . » انتهى ما اردنا نقله عن كتاب

بنايع المودة .

قال ابن ابي الحديد في شرحه لنهج البلاغة : « و روى الناس كافة ان رسول الله

صلى الله عليه وآله وسلم . قال له (يعني لعلي) :

« هذا وليي و أنا وليه »

٢٣٧- نبذة اخرى من الأخبار في ذلك المضممار

نقل « السيد الامام فخر المله احمد بن موسى بن جعفر بن الطاوس » في كتابه القيم « بناء المقالة الفاطمية في نقض الرسالة العثمانية » عدة روايات في هذا الموضوع من الكتب المعتمدة المعتبرة لأكابر علماء السنة نذكر ايضا شذمة منها هنا :

١- « روى احمد بن حنبل عن مسافر الحميري عن ابيه عن ام سلمة تقول :

سمعت رسول الله (ص) يقول لعلي :

« لا يبغضك مؤمن ولا يحبك منافق »

٢- « و من الجمع بين الصحاح الستة لرزين العبدري من سنن ابي داود من

صحيح البخاري بحذف الأسناد ، قالت ام سلمة قال النبي (ص) :

« لا يحب علياً منافق ولا يبغضه مؤمن »

٣- « و من مسند احمد بن حنبل في جملة حديث عن النبي (ص) في علي بن-

ابي طالب :

« لا يحبّه الا مؤمن ولا يبغضه الا منافق »

وكان ابوسعيد الخدري ، علي ما نقله صاحب « بناء المقالة » « من الجمع بين-

١- نسخة مخطوطة موجودة بمكتبة « كلية الحقوق » من جامعة تهران .

افتراق الامة
في علي ثلاث فرق
من اتبعه واحبه
و الناكثون
و « المارقون »
و « القاسطون »
و من غلافه

الصّاح السّنة لوزين العبدري من سنن ابي داود « ايضاً يقول : « انا كنا لنعرف-
المنافقين ببغضهم على بن ابي طالب .

و روى الحافظ ابو نعيم الاصبهاني في كتابه حليّة الاولياء بأسناده عن
ابي برزة الأسلمي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« ان الله عهد الىّ عهداً في عليّ .

« فقلت : ياربّ بيّنهُ لي .

« فقال : اسمع .

« فقلت : سمعت .

« فقال : انّ عليّاً راية الهدى ، و امام اوليائي ، و نور من اطاعني ، و هو الكلمة-
التي الزمتها المتقين . من احبته احبني و من ابغضه ابغضني فبشره
بذلك . . . » (المجلد الأول الصّفحة ال ٦٧-)

٢٣٨- عنوان شيعة عليّ في كلمات النبيّ (ص)

كما وردت في كلمات من الرسول (ص) ما تدلّ على لزوم الحبّ و الاتّباع
و الولاء و اطاعة لعليّ و ترشد الى وجود التّفاق او عدم الايمان في من كان مبغضاً
و معادياً له ، كذلك وردت عنه صلى الله عليه و آله و سلم في حقّ شيعة عليّ بلفظ
« الشيعة » خاصّة عدّة روايات في الكتب المعتمدة لاهل السنة ننقل نبذة منها هنا عن-
الينابيع ايضاً ^١ :

١- « وفي المناقب عن ابن الزبير المكيّ عن جابر بن عبد الله ، رضي الله عنهما ،
قال : كنا عند النبيّ فاقبل عليّ فقال : « قد اتبلكم اّخي »
ثمّ التفت الى الكعبة فمسّها بيده . ثمّ قال :

١- ينابيع المودة للشّيخ سليمان الحنفيّ .

«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، هَذَا وَشِيعَتُهُ هُمُ الْفَائِزُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»
 «ايضا ابن عباس رفعه : «عَلِيِّ وَشِيعَتُهُ هُمُ الْفَائِزُونَ»

دعوى و شيعة
 هم الفائزون»

٢- «محمد بن الحنفية عن ابيه علي عليه السلام قال : انى لنائم يوماً اذ دخل رسول الله فنظر الى و حرّكنى برجله وقال « قُمْ يَفْدَى بِكَ اَبِي وَاُمِّي فَاَنْ جِبْرَائِيلَ اتَانِي فَقَالَ لِي :

« بَشَّرَ هَذَا بِاَنَّ اللَّهَ جَعَلَ الْاُمَّةَ مِنْ صُلْبِهِ وَاَنَّ اللَّهَ لَتَغْفِرَ لَهُ وَلِذُرِّيَّتِهِ وَلِشِيعَتِهِ وَلِمُحِبِّيهِ وَاَنَّ مَنْ طَعَنَ عَلَيْهِ وَبَخَسَ حَقَّهُ فَهُوَ فِي النَّارِ»

٣- «عبدالله بن سلام» قال : قلت : يا رسول الله اخبرني عن «لواء الحمد» ما صفة . . . ؟ الى : فمن يستظل تحت لوائك ؟ قال :

« الْمُؤْمِنُونَ اَوْلِيَاءُ اللَّهِ وَشِيعَةُ الْحَقِّ وَشِيعَتِي وَمُحِبِّي وَشِيعَةُ عَلِيٍّ وَمُحِبُّوهُ وَاَنْصَارُهُ فَطُوبَى لَهُمْ وَحَسَنُ مَا بَ»
 ٤- «جابر رفعه :

«وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا اِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَسْتَغْفِرُ وَتُشْفِقُ عَلَيْهِ ،
 وَ عَلِيٌّ شِيعَتُهُ اشْفَقُ مِنْ الْوَالِدِ عَلَيَّ وَاَلِدِهِ»
 ٥- «علي عليه السلام رفعه :

«لَا تَسْتَخِفُّوا بِشِيعَةِ عَلِيٍّ فَاِنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ لَيَشْفَعُ فِي مِثْلِ رِبْعَةٍ
 و مُضَرَّ»

٦- «عبدالله بن احمد بن حنبل في كتابه «السنة» بأسناده عن علي بن ابي طالب قال : قال النبي عليه السلام .

« يَا عَلِيُّ اَنْتَ وَشِيعَتُكَ فِي الْجَنَّةِ » ١

٧- «في مرفوعة ابي ذر الغفاري في كلام طويل :

١- نقل هذا الحديث عن «الامام بن الامام عبدالله بن احمد بن حنبل» ←

نهى الرسول
 عن الاستخفاف
 شيعة علي

«... فَاخْتَارَنِي وَاخْتَارَ عَلِيًّا لِي صِهْرًا... وَجَعَلَ شِيعَتَهُ فِي الْجَنَّةِ» وفي كتاب «بناء المقالة» :

«وروى عن ابن عباس مرفوعاً ، في قوله ، جلّ وعزّ :

«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ»
انّ النبيّ عليه السلام قال لعليّ :

«بَأْسَى أَنْتَ ، وَشِيعَتُكَ تَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَاضِينَ مَرْضِيَيْنَ وَيَأْتِي عَدُوَّكَ غِيضَابًا مُقْتَمِحِينَ»

و في التفسير الكبير لمحمد بن جرير الطبري ، في ذيل الآية المزبورة آنفاً
(انّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية) ، باسناده فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم :

« أَنْتَ يَا عَلِيُّ وَشِيعَتُكَ »

هذه نبذة مما اطلقت كلمة «الشيعة» على محبّي عليّ و تابعيه بلسان النبيّ -
الكريم، وقبل ان يتولّى الخلافة في الظاهر. واما موارد اطلاق هذه الكلمة على تابعيه
و مؤاليه في زمان خلافته بلسانه و بلسان اصحابه و اتباعه ، او بلسان مخالفيه و اعدائه ،
وهكذا بعد شهادته ورحلته ، فاكثر و اكثر من ان يسهل عادة استقصاؤها، واشهر من ان
يحتاج الى نقلها و ايرادها في هذا المقام (وسيجيء ذكر شذمة منها في آخر الفصل -
الذي انعقد لبيان انعقاد بيعته)

« شيعة علي
هم خير البرية »

مواضع آخر
مما اطلق
عنوان الشيعة
على تابعي
علي بلسانه
و في زمانه

→ في كتابه «السنة» ، بعض من جانب الانصاف في حق «الشيعة» فالف كتابا سماه «الصراع
بين الاسلام و الوثنية» وكنى عن الشيعة ب«الوثنية» لاسماحه الله في هذه الكناية و الافتراء ،
وجزاه بما يستحقه لهذا البهتان والاعتداء ، فليسأل عنه من هذه «الشيعة» في هذا الحديث
الذي نقلته (في الصفحة ال ٢٠) مستدلا به ؟!

٢٣٩ - عنوان « الشيعة » في كلمات عليّ واصحابه

في موارد عديدة

منها ما نقله ابن ابي الحديد (المجلد الاول الصفحة ال ٢٥٦ -) عن نصر من طريق ابي الكنود وغيره من كيفية قدوم عليّ عليه السلام الكوفة، بعد وقعة الجمل، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رجب سنة ست وثلاثين، ودخوله المسجد الاعظم وصعوده المنبر، بعد ان صلتى ركعتين، والقائها الخطبة، وفيها الاشارة الى قعود رجال منهم عن نصرته، والى انه عاتب عليهم «فليهجروا وليسمعو المكروه، ليُعرف بذلك حزب الله» وقيام مالك بن حبيب صاحب شرطته وقوله: والله انى لأرى الهَجْرَ و سماع المكروه لهم قليلا. والله لو امرتنا لنقتلنهم. وقول عليّ عليه السلام: سبحان الله يا مالٍ، جزت النمدى و عدوت الحد... ليس هكذا قضى الله يا مالٍ، قال سبحانه: اَلنَّفْسُ بِالنَّفْسِ... وقال: «وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِيُوكَيْهِ سُلْطٰنًا فَلَا يُسْرِفُ فِي السُّقْتَلِ» و الأسراف في القتل ان تقتل غير قاتلك فقد نهى الله عنه... و قيام ابي بردة ابن عوف الأزدي وكان ممن تخلف عنه و قوله: يا امير المؤمنين ارايت القتلى حول عائشة وطلحة والزبير عليّ م قتلوا؟ (اوبم قتلوا)؟... حتى وصل الى قوله:

«فقال عليّ عليه السلام:

«قُتِلُوا بِمَا قَتَلُوا شِيعَتِي وَعُمَّالِي وَقَتَلُوا اخَا رِبِيعَةَ الْعَبْدِي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي عَصَابَةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا: اِنَّا لَانْنُكَتُ كَمَا نَكُتُمْ لِانْغَدَرَ كَمَا غَدَرْتُمْ. فَوَثِبُوا عَلَيْهِمْ فَقَتَلُوهُمْ. فَسَأَلْتُهُمْ اِنْ يَدْفَعُوا اِلَيَّ قَتْلَةَ اخْوَانِي اَقْتُلُهُمْ بِهِمْ ثُمَّ كَتَابَ اللَّهُ حَكْمَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَاَبَوْا عَلَيَّ وَقَاتَلُونِي وَفِي اعْنَاقِهِمْ بِيْعَتِي وَدَمَاءُ قَرِيبٍ مِنَ الْفِ رَجُلٍ مِنْ شِيعَتِي فَقَتَلْتُهُمْ اءَنْتَ فِي شَكِّكَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ فِي شَكِّكَ فَاَمَّا الْاَنّ فَقَدْ عَرَفْتُ وَاسْتَبَانَ لِي خَطَاؤُ الْقَوْمِ...»

ومن تلك الموارد، بعد ان خرج خريّت الناجي عليه (ع) وارسل (ع) زياد

زياد بن خصيفة اليه وكتب (ع) نسخة واحدة الى جميع عماله باخبارهم عن امر الخارجي و امرهم فيها بالمراقبة عنه :

« فخرج زياد بن خصيفة حتى اتى داره و جمع اصحابه فحمد الله و اثنى عليه ثم قال :

« يا معشر بكر بن وائل ان امير المؤمنين ندبني لأمر من امره مهم له ، و امرني بالأنكماش فيه بالعشيرة حتى آتى امره و آتتم شيعته و انصاره . . . »

« و روى قيس بن الربيع عن يحيى بن هانى المرادى من رجل من قومه يقال له : زياد بن فلان ، قال :

« كنا فى بيت مع علىّ نحن و شيعته و خواصه . . . »^١

و روى الخطيب البغدادي فى كتابه ، تاريخ بغداد ، (فى ترجمة عبد الله بن نوح البغدادي (المجلد العاشر) بأسناده عن سويد بن غفلة « قال : مررت بنفر من الشيعة^٢ فدخلت على علىّ بن ابي طالب . . . »

و فى الكامل لابن الأثير (الجزء الثالث - الصفحة ال ٢٠٢ -) :

« وقال المدائني : نظر علىّ الى قومٍ ببابه فقال لقتير مولاة :
« من هؤلاء ؟

« قال : شيعتك يا امير المؤمنين .

قال : و مالى لارى فيهم سيما الشيعة ؟

« قال : وما سيماهم ؟

« قال : خُمصُ البُطُونِ مِنَ الطَّوِيِّ ، يُبْسُسُ الشَّفَاهِ مِنَ الظَّمَاءِ عُمَشُ -

التَّعْيُونِ مِنَ البُّكْلَاءِ^٣ »

١- شرح ابن الحديد على نهج البلاغة .

٢- لا يخفى سما فى هذه الكلمة من الاطلاق و من التحلية باللام .

٣- فى « حلية الاولياء » لابي نعيم (المتوفى سنة ٤٣٠) بأسناده عن مجاهد قال شيعة على ، الحكماء العلماء الذبل الشفاه الاخير . . . و فيه ايضا (المجلد الاول - الصفحة ال ٨٦-) بأسناده عن على بن الحسين قال : شيعتنا الذبل الشفاه و الامام منا من دعا الى طاعة الله .»

وفي المجلد الثاني من ينابيع المودة (الصفحة ال ٤٥)

« . . . ولما صالح الحسن معاوية ، كتب الصالح ، و صورته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما صالح عليه حسن بن علي ، معاوية بن ابي-
سفيان مصالحة علي ان يسلم ولاية المسلمين :

شروط الصلح
في كتاب مصالحة
الحسن بن علي
معاوية

علي ان يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسول الله (ص) و سيرة الخلفاء الراشدين .
« و ليس لمعاوية ان يعهد الى احد من بعده عهداً ، بل يكون الأمر من بعده
شورى بين المسلمين .

« و علي ان الناس آمنون حيث كانوا من ارض الله تعالى في شامهم ، و عيراقهم ،
و حجازهم ، و يمنهم .
« و علي ان اصحاب علي و شيعته آمنون على انفسهم و اموالهم و نساءهم و اولادهم
حيث كانوا .

« و علي معاوية بذلك عهد الله و ميثاقه . و لا ينبغي للحسن بن علي و لا لأخيه-
الحسين و لا لأحد من اهل بيت رسول الله (ص) غائلة سرّاً و لا جهراً . و لا يخاف احد
منهم في افق من الآفاق .

« شهد عليه فلان بن فلان و فلان بن فلان . و كفى به شهيداً »

و في الكامل (الجزء الثالث - الصفحة ال ٢٠٥-) ذيل « ذكر صلح معاوية و قيس-
بن سعد » .

« . . . فلما بلغه (يعنى قيساً) ان الحسن بن علي ، صالح معاوية اجتمع معه
جمع كثير و بايعوه على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة عليّ علي دمائهم و اموالهم و ما-
كانوا اصابوا في الفتنة »

و في الجزء الثاني من تاريخ يعقوبى (احمد بن ابي يعقوب الكاتب المتوفى
بعد سنة ٢٩٢) :

« و لما توفى الحسن و بلغ الشيعة ذلك ، اجتمعوا بالكوفة في دار سليمان بن
صرد ، و فيهم بنو جعدة هبيرة ، فكتبوا الى الحسين بن علي عليه السلام يعزونه علي
مصابه بالحسن :

«بسم الله الرحمن الرحيم . للحسين بن علي من شيعته و شيعة ابيه امير المؤمنين . سلام عليك فاننا نحمد اليك الله الذي لاله الا هو .

« اما بعد فقد بلغتنا وفاة الحسن بن علي يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً . . . ما اعظم ما اُصيب به هذه الأمة عامة ، وانت وهذه الشيعة خاصة بهلاك

ابن الوصي و ابن بنت النبي علم الهدى و نور البلاد . . .

« فاصبر رحمك الله على ما اصابك ، ان ذلك من عزم الامور ، فان فيك خلفاً ممن كان قبلك . . .

« ونحن شيعتك المصابة بمصيبتك ، المحزونة بحزنك المسرورة بسرورك ، السائرة بسيرتك ، المنتظرة لامرك . شرح الله صدرك ، ورفع ذكرك ، واعظم اجرک ، وغفر ذنبك ، ورد عليك حقك »

و في الكامل (الجزء الثالث - الصفحة ال ٢١٠ -) ذيل « ذكر الخبر عن تحرك الخوارج » (سنة اثنتين و اربعين) :

« واستعمل (يعنى معاوية) على الكوفة ، المغيرة بن شعبه فأحب العافية ، واحسن في الناس السيرة ، وكان يؤتى فيقال :

« ان فلانا يرى رأى الشيعة وفلاناً يرى رأى الخوارج فيقول :
« قضى الله ان لايزالوا مختلفين و سيحكم الله بين عبادہ »

و في الكامل ايضا (الجزء الثالث - الصفحة ال ٣٣٩ -) ، في واقعة خروج المختار الى الكوفة :

« . . . ان المختار قال لابن الزبير ، وهو عنده ، : انى لأعلم قوماً لو ان لهم رجلاً له فقه ، و علم بما يأتى و يذر ، لاستخرج لك منهم جنداً تقاتل بهم اهل الشام .

« قال : من هم ؟

« قال : شيعة علي بالكوفة . . . »

و في « الأمتاع و المؤانسة ، لأبى حيان التوحيدى ، (المجلد الثانى - الصفحة ال ١٥ -) :

«... وكذلك رام ابوتمام النيسابورى وخدم الطائفة المعروفة^١ بـ «الشَّعِيَّة» ولجأ الى مطرف بن محمد وزير مرزداويج الجبلى ليكون له قوة به...»
وفى «مروج الذهب ومعادن الجوهر» لابى الحسن على بن الحسين المسعودى -
الشافعى (المتوفى سنة ٣٤٦ هـ . ق) :

« و هجا المأمون ، ابراهيم بن المهدي ، المعروف بابن شكلة ، عمه ، وكان
المأمون ، يظهر التشيع و ابن شكلة ، التسنن فقال المأمون :

اِذَا الْمُرْجِسِ سَرَكَ اَنْ تَرَاهُ

يَمُوتُ لِحَيْثِهِ ، مِنْ قَبْلِ مَوْتِهِ

فَجَدَّدُ عِنْدَهُ ذِكْرِي اَعْلَى

وَ صَلَّ عَلَى النَّبِيِّ وَ آلِ بَيْتِهِ

فأجابه ابراهيم راداً عليه .

اِذَا الشَّيْعِيُّ جَمَجَمَ فِي مَقَالِ

فَسَرَكَ اَنْ يَبُوحَ بِذَاتِ نَفْسِهِ

فَصَلَّ عَلَى النَّبِيِّ وَ صَاحِبَيْهِ

وَ زَيْرِيهِ وَ جَارِيهِ بِرُؤْسِهِ »

ولنختم الكلام فى المقام بما رويته الحافظ ابونعيم الأصبهاني عن النبى
صلى الله عليه وآله وسلم ، فى حلية الأولياء (المجلد الأول - الصفحة ال ٨٦ -) .
تحريراً على تولى على (ع) بعده (ص) ، حدث بأسناده عن حذيفة قال :
« قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ سَرَّهُ اَنْ يَحْيِيَ اِحْيَايَ ، وَ يَمُوتَ مَيْتِي ، وَ يَتَمَسَّكَ بِالْقَصْبَةِ الْيَاقُوْتَةِ ،
الَّتِي خَلَقَهَا اللهُ بِيَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : « كُونِي فكَانَتْ ، فليتولَّ على بن ابى طالب
من بعدى^٢ » .

١ - اعرف كلمة «المعروفة» واعترف .

٢ - فى تقييد «الموالة» و «التولى» بما بعده (ص) ما يرشد المنصف الى المراد ←

ثم قال الحافظ ، ابونعيم ، :

« رواه شريك ايضا عن الأعمش عن حبيب بن ابي ثابت عن ابي الطفيل عن

زيد بن ارقم .

« ورواه السدّي ايضا عن زيد بن ارقم .

« ورواه ابن عباس وهو غريب .

« حدثنا محمد بن المظفر ، ثنا محمد بن جعفر بن عبد الرحيم . . . عن عكرمة

عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَحْيِيَ حَيَاتِي ، وَيَمُوتَ مَمَاتِي ، وَيَسْكُنَ جَنَّةَ عَدْنِ

غَرْسَهَارَبِي ، فَكَلْبُؤَالِ عَلِيٍّ مِنْ بَعْدِي وَكَلْبُؤَالِ وَلِيِّهِ ، وَلَيَقْتَدِ بِالْأئِمَّةِ مِنْ

بَعْدِي فَأِنَّهُمْ عِترَتِي خَلِقُوا مِنْ طِينَتِي رَزَقُوا فَهَمًّا وَعِلْمًا ، وَوَيْلٌ

لِلْمَكذِبِينَ بِفَضْلِهِمْ مِنْ أُمَّتِي ، لِلْقَاطِعِينَ فِيهِمْ صِلَتِي لَا أَنَالَهُمُ اللَّهُ

شَفَاعَتِي »

← من المولا والتولى والا فالموالاة والتولى بمعنى المحبة المطلقة غير مقيدة بزمان حياة-

الرسول او « من بعده » ويصرح بذلك قوله (ص) : « وليقتد بالأئمة من بعدي فانهم

عترتي . . . » كما يجيء في الرواية التالية .

« وَكَيْفَ صَبِرْتُمْ الْأَجْمَاعَ حُجَّتِكُمْ
وَالنَّاسُ مَا اتَّفَقُوا يَوْمًا وَلَا اجْتَمَعُوا

أَمْرٌ عَلَيَّ بِعَيْنِدْ عَن مَشُورَتِهِ
مُسْتَكْرَهٌ فِيهِ، وَالْعَبَّاسُ يَمْتَنِعُ

.....

(مهيار الديلمي)

- ١- الخلافة عند الشيعة .
- ٢- الخلافة عند اهل السنة .
- ٣- مواضع للسؤال .
- ٤- اجتماع اهل الحل والعقد .
- ٥- مافى الاحتجاج بالاجتماع ولزوم الأتباع .
- ٦- خلافة ابي بكر (رض) وانهضاء دوره .
- ٧- استخلاف ابي بكر ، عمر .
- ٨- ختم و دفع وهم .

١٥- حَوْلَ الْأَخْتِلَافِ فِي الْخِلَافَةِ

٢٤٠ - الخلافة عن الرسول (ص) منصب الهى عند الشيعة

استقرّ امر الخلافة عن الرسول، صلّى الله عليه وآله وسلم، على ابى بكر (رض) على ما عرفت، ولكنه كان هناك اعتقاد فى شأن الخلافة يجب ان لا يغفل عنه وهو انّ - الخلافة عن الرسول (ص) كنفس الرسالة ليست حكومة دنيوية محضة، و رئاسة اجتماعية صرفة، و سلطنة ملكية بحتة، كى يصح ان يكون زمامها بيد الناس و برأيهم، فرداً او جماعة، فتختار الأمة، او فرداً منها، للرسالة من الله، او للخلافة عن الرسول، من تستصلحه للاختيار، و يرتضيه للانتخاب . بل تكون الخلافة بحسب هذا الاعتقاد والنظر و باقتضاء هذا الراى، شأن معنوى شريف و منصب ملكوتى عظيم، و امر الهى قويم، لا يقلُّ اعتباره و شأنه عن احكام الطهارة و الحليّة و الحرمة و الحيض و النفاس و اللعان و الظهار و الطلاق و العتاق و الحدود و الديات، و عن اى حكمٍ من الاحكام العبادية او المعاملية او السياسية و الجزائية الفقهية الالهية، فلانما من ان ينصّ الرسول عليه و يبلغه الى الأمة بأمرٍ من الله الرّوف بالعباد، الحكيم فى ما اراد و افاد .

هذا اعتقاد الشيعة فى موضوع «الخلافة» عن الرسول (ص)، و تعتقد فى «الخلافة» - المختار من جانب الرسول و بوحى من الله افضليته المطلقة، فى العلم والعمل، و عصمته الذاتية، لئلا يلزم ترجيح المرجوح على الراجح و حكومة الطالح على الصالح و رئاسة - الجاهل الخاطى العاصى على مثله، بل على العالم المصيب البرى عن المعاصى .

ثم تعتقد انّ الرسول (ص) قد نصّ عليه و ابلغه و اتمّ تبليغ ما امر الله به و اكمله . فما ابقى للأمة اختياراً لانتخاب الخليفة عن الرسول، وللرسول، مجال، و لا ارتضى لهم فى تعيين من يقوم مقامه و يخلف، من بعده، مكانه تحمّل انتخاب و تكلف سعي و اجتهاد و ما كلّفهم بنيابتهم عنه تشخيص من ينوب منابه و تبين من يحقّ خلافته .

٢٤١ - المخالفة عند اهل السنة

وامّا اهل السنة فيعتقدون ان الخلافة حكومة دنيوية محضة، ورئاسة اجتماعية صرفة، شأنها نظم الاجتماع، باجراء الحدود وحفظ الثغور وضبط الدولة، وبسط الشوكة، الى غير ذلك، مما يكون من شئون الرؤساء والأمراء الدنيوية. فليس في اعتقادهم على الله وعلى رسوله تعيين شخص خاص لهذا الشأن، بل امر التعيين موكول بارادة بعض الناس (اهل الحل والعقد على ما يعتقدوهم ايضا) وانتخابهم، ومفوض بميلهم واختيارهم، بل الانتخاب والاختيار فرض من الله على الأمة! فيصير هذا المختار - المنتخب من الأمة، خليفة للرسول! شاء او لم يشأ، حاكماً على جميع الأمة، ارادوا ام لا يريدوا، فعلى الأمة ان يتلقاه بالقبول للخلافة ويطيعوه!

قال عبدالقاهر البغدادي (المتوفى سنة ٤٢٩) صاحب التأليف الكثيرة في بيان «الركن الثاني عشر، المضاف الى الخلافة و الامامة» من كتابه «الفرق بين الفرق»: «ان الامامة فرض واجب على الأمة لأجل اقامة الامام ينصب لهم القضاة والأمناء، ويضبط ثغورهم، ويغزى جيوشهم، ويقسم الفيء بينهم، وينتصف لمظلومهم من ظالمهم.

«وقالوا (اي اهل السنة): بان طريق عقد الامامة للامام في هذه الامّة، الاختيار بالاجتهاد...»

٢٤٢ - مواضع للسؤال

هنا تقف الشيعة وتسال عن اخوانه، اهل السنة، متعلماً لامتنعاً اسئلة منها: لو فرض جواز التوكيل في هذا الامر الخطير والمهم الجليل، وتوهم ان زمام الانتخاب فوض بيد الأمة فجعلت الخيرة لهم في اختيار من شاؤوا و ارادوا، بحيث يصير مختارهم خليفة الرسول، باختيارهم، لا بارادته و انتخابه، و يصير حاكماً على

على الأمة نافذاً او امره و اراداته فى شئونها بتعيينهم ، لا بامر الله و تصويبه ، فما معنى-
الأحتجاج بان «الائمة من قريش»؟

ليس معنى هذا الكلام سلب الأختيار عن الأمة فى الاختيار عن غير قريش؟
ثم ان سومح فى ذلك أو ليس اذا كان ولم يكن امر خاص ، من سنخ الأفضلية-
المطلقة والعصمة والطهارة معتبراً وملحوظاً فى افراد من قريش وكان هذا الكلام صادراً
فى مقام الأنشاء لانشاء على وجه الاخبار ، يصير هذا الحكم الانشائى مفيداً لترجيح
ما ليس له مرجح بل وقد يمكن فى بعض المصاديق وفى بعض الازمنة ان يكون المختار
من قبيل ترجيح المرجوح على الرأجح؟ وحاشا الحكم الالهى والكلام النبوى ان يرد
هذا المورد .

هب ذلك كان كذلك ، فهل يكون هناك ملاك للاختيار و مناط للانتخاب ؟
فان كان هنا معيار و ملاك فما هو الملاك فى المنتخب (بكسر الخاء) ؟ و ما هو-
الملاك والشرط فى المنتخب (بفتح الخاء) ؟ ولمن يكون هذا النحو من الحق ؟ و باى
دليل نقلى او عقلى استحق ؟ ومن اين جاء حق النيابة عن الرسول فى تعيين الخليفة له ،
وان شئت فقل : فى حق الولاية على امة الرسول فى نصب الرئيس عليهم والتصرف
فى شئونهم ؟

ثم على اى وجه ينبغى ان يكون عمل الانتخاب حتى يصير ذلك الانتخاب
موجباً لسلب الأختيار ممن لم يكن حاضراً ، بل لم يكن موجوداً ، او كان حاضراً
ولم يختار ، اولم يكن موافقاً لمن اختاره غيره ممن حضر ؟

ايكون الملاك اجتماع جميع الأمة لهذه المهمة : ذكورها و اناثها ، شيوخها
و شبانها ، مهاجريها و انصارها ، علمائها و جهالها ، و اتفاق الكل باجمعهم على واحد
من بينهم او من خصوص قريش ؟

لو كان الملاك اجتماع الأمة باجمعها واتفاق الأفراد بأسرهم فهل يمكن وقوع
هذا التنجز من الاجتماع و الاتفاق ، ولاسيما فى القرون الغابرة والعصور التالية حيث

هل الملاك اراء
الامة باجمعها ؟

حيث انبسط بساط الدين على السّاهرة، وتجاوزت الأمة عن مئات ملايين، فضلا عن موعد يظهر الله الدين على الكافرين والمشركين، فيسلم كل من في البسيطة و على وجه الأرض و يدين ، كما هو الموعود و المأمول ؟

ذرنا ان نذر هذا الامكان في بقعته الفسيحة و نسلّم امكان وقوع هذا النحو من- الاجتماع في العالم الوسيط الاسلامي، وان وصلت فسحته وسعته الى ما يقدر و يُؤمل لها ان تصل، وان بلغ ذلك الاجتماع من كثرة الأفراد الى ما يمكن ان يبلغ، فهل وقع في السالف من التاريخ الإسلامي مثل هذا الاجتماع العام من افراد المسلمين الموجودين بل الحاضرين، لانتخاب الخليفة؟ فاذا كان الجواب: لا، وكسلا، ولا محالة يكون كذلك، فماذا هو الملاك؟

ام هل يكفي
اتفاق
بعض الامة؟

او يكون الملاك اجتماع عدّة خاصّة؟ فماذا تكون هذه الخصوصيّة التي تحكم بضرورة وجودها ووجوب تحقّقها، ضرورة امتناع الترجّح من دون مرجّح، فضلا عن ترجيح المرجوح؟ ثمّ ما الدليل الشرعي او العقلي على اعتبارها؟ و اين يكون في- الدين و منهاجه نصّ لبيانها؟ او اين يكون من العقل حكم لأدائها؟ ثمّ هل وُجدت لمن اجتمع في السقيفة تلك الخصوصيّة المجهولة، او المفروضة؟ وهل كان في تلك البيعة فيها، استنادهم اليها؟

فان لم تكن موجودة قطعا، او كانت مشكوكة، فما الدليل على اعتبار تلك البيعة وكيف يوجّه لزوم الالتزام بها؟

وان كانت موجودة ووقعت كاملة صحيحة على ما كان ينبغي ان تقع عليها، فما معنى هذا الكلام الصادر من شبيدت بيده عقدة البيعة انها « كانت فلتتة، و قى الله شرّها، فمن عاد الى مثلها فأقتلوه! »؟

٢٤٣ - اجتماع اهل الحلّ والعقد

هب ان السائل، سلّم ان الخصوصيّة اللازمة المعتمدة المعتمدة يجوز ان تكون

فى الاجتماع المؤلّف من «اهل الحلّ والعقد» ، كما عبّر واعتبر و اُيدّ واستند .
 فهل كان اجتماع من اجتماع فى السقيفة اجتماع جميع اهل الحلّ والعقد
 من الأمة ؟ بل وهل اجتمع فيها اهل الحلّ والعقد من خصوص الحاضرين فى المدينة ؟
 ماذا يمكن ان يُراد من «اجتماع اهل الحلّ والعقد» (او اجتماعهم) كى لا ينقضه
 افتراق علىّ ، ابن عمّ الرسول (ص) و اخيه و ابى ذرّيته ؟ ومن ذا الذى يُقصد بلفظ
 «اهل الحلّ والعقد» حتّى لا يناقضه خروج العباس ، عمّ الرسول (ص) و طلحة و الزبير
 حوارى رسول الله وغيرهم من اكابر المهاجرين منهم ؟

ايصحّ ان يقال : ان سلمان ، وهو منهم اهل البيت ، لم يكن من اهل الحلّ والعقد ؟
 وهكذا ابوذر و المقداد ، اللذين قال الرسول (ص) فى حقّهم (على ما فى كتاب «الأصابة»
 و غيره) :

« ان الله ، عزّ وجلّ ، امرّ نبيّ بحبّ اربعة و اخبرنى انه يحبّهم : علىّ
 و المقداد و ابوذر و سلمان ؟ »

وايضاً لم يكن عمّار بن ياسر ، الذى قال (ص) ايضاً فى شأنه (على ما فى «الاستيعاب»
 من حديث خالد بن الوليد) : « مَنْ اَبْغَضَ عَمَّاراً ابْغَضَهُ اللهُ تَعَالَى » (و من حديث
 انس بن مالك) : « اشتاقت الجنة الى علىّ و عمّار و سلمان و بيلال » ، من اهل الحلّ
 و العقد كى لا يضرّ خروجهم بل ولا خلافهم بالأجتماع و الأجماع ؟

على ما ينبغى ان يحمل تلك العنوان (اهل الحلّ و العقد) حتى لا ينافيه مخالفة
 سعد بن عبادة صاحب راية الرسول ، و رئيس الخزرج الذى صاح الصائح ، لبيان عظمة
 شخصيته لهم فى اجتماعهم ؟

فأنّ يُسَلِّمَ السَّعْدَانِ يُضَيِّعُ مُحَمَّدًا

بِمَكَّةَ لَا يَخْشَى خِلَافَ الْمُخَالِفِ؟

ولا يضرّه خروج قيس بن سعد الذى كان فى حياة الرسول (ص) بمنزلة صاحب الشرطة
 له (ص) ^١ وهكذا خروج جميع آل سعد و كثير من عشيرته الاقربين و اتباعه الملازمين ،

١- فى تاريخ بغداد (وغيره من الكتب المعتمّرة) للخطيب البغدادي (فى ترجمة -

من الأنصار ، عنهم ؟ وقد قال الرسول (ص) في حق آلِه (كما نقلناه سابقا عن ابن حجر) :

« اللّهُمَّ اجْعَلْ صلوتك ورحمتك على آلِ سعد بن عبادَة ؟
أو ليس افتراق هؤلاء الاكابر من المهاجرين و الأنصار يضرّ بتماميّة ذلك-
الأجتماع و يزيل اعتبار هذا النّحو من الاجماع ؟

٢٤٤ - ما في الاحتجاج بصحّة الأجتماع و لزوم الاتّباع

ثمّ ما الدليل على وجوب اتّباع ذلك الأجتماع على من لم يكن هناك او كان ولم يشأ ان يتحمّل ذلك الاتّباع ؟

هل يصحّ ان يستند في الحكم بوجوب الاتّباع لذلك الأجتماع و لزوم الألتزام به بوجوب التحرّز عن الضلالة المنفيّة و يُستدلّ بقوله صلى الله عليه وآله وسلّم ، لذلك :

« لا تَجْتَمِعِ اُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ ؟

أَقْتَرِيْ اِنْ مَثَلْ ذَاكَ اَلْاَجْتِمَاعِ اِذَا صَدَقَ عَلَيْهِ « اجتماع بعض الأُمَّة » لكان

يصدق عليه « اجتماع الأُمَّة » ! ؟

متى و اين اجتمعت « الامّة » ، بأطلاق الكلمة ، في تلك المسئلة ، في السقيفة ،

و غيرها ، كى يصحّ ان يُعدّ افتراق البعض ضلالة ؟

بل وهل يمكن ان يصدق عنوان « اجتماع الأُمَّة » مع خروج البعض ؟ أو ما

ينفي هذا الأفتراق ذلك الاجتماع ؟

ثمّ لو جاز اطلاق عنوان « اجتماع الأُمَّة » على « اجتماع بعض الأُمَّة » لجاز

ان يطلق هذا العنوان (اجتماع الامّة) على « اجتماع البعض الآخر المخالف » فماتكليف

من اراد التحرّز عن الضلالة ؟

→ ابي الحسين المصري - عبدالرحمن - (مستنداً الى انس انه قال : « كان قيس

بن سعد من النبي ، صلى الله عليه وسلم ، بمنزلة صاحب الشرطة من الامير - يعنى ينظر في

اموره - » .

أَوْ يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: قَلَّةُ الْأَفْرَادِ فِي طَرَفٍ وَكَثْرَتُهَا فِي الطَّرَفِ الْآخَرَ، لَوْ تَحَقَّقَتْ،
تَكُونُ مَنَاطًا لِمَصْدَقِ عُنْوَانِ «اجْتِمَاعِ الْأُمَّةِ» فِي أَحَدِهِمَا (الكثير) وعدم صدقه في الآخر
(القليل)؟ لَا يُظَنُّ بِمَنْ رَاعَى جَانِبَ الْأَنْصَافِ أَنْ يَقُولَ بِهَذَا وَكَيْفَ يَجُوزُ هَذَا الْقَوْلُ
مَعَ كَوْنِ الطَّرَفَيْنِ سَوَاسِيَّةً فِي عَدَمِ تَحَقُّقِ اتِّفَاقِ «الْأُمَّةِ» (أى جميعها) فِي كِلَيْهِمَا؟
أَوْ هَلْ يَصِحُّ أَنْ يُسْتَدَنَّ فِي الْحُكْمِ بِوُجُوبِ الْأَتِّبَاعِ بِمَا يَدُلُّ عَلَى وَجُوبِ اتِّبَاعِ
سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ كَمَا صَرَّحَ بِهِ فِي الْآيَةِ عَلَى حُرْمَةِ اتِّبَاعِ غَيْرِ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ؟
قَوْلُهُ تَعَالَى:

«وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ
سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا»^١
لَأَرَى الْأَنْصَافَ أَنْ يَسْتَصِحَّ هَذَا الْأِسْتِنَادُ وَالِاسْتِدْلَالُ:

أَمَّا أَوَّلًا فَلأنه لم يكن هنالك للمؤمنين على سبيل العموم، المدلول عليه بصيغة-
الجمع، المقرون بالسَّلام، سبيل واجتماع حتى يجب اتباعتهم أو يحرم اتباعتهم غير سبيلهم.
وثانيًا لو سلم أنه ما اريد منه «العموم» بل يكفي فيه جمع منهم أو ما كان ما اجمع
عليه الأنصار، من انتخاب سعد للامارة سبيل المؤمنين؟

دع ذلك فإنه غير قرشي و«الأئمة من قريش» أما قالت الأنصار، كما في-
الطبري وغيره، أو بعضهم: «لأنبايع آل علياً» أما كان هذا سبيل المؤمنين؟

وثالثًا مَنْ الَّذِي يَجْتَرِئُ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ، أَنْ يَتَفَوَّهَ بِأَنَّ سَبِيلَ هَؤُلَاءِ الرَّاسِخِينَ فِي
فِي الْإِيمَانِ، مِمَّنْ عَرَفَتْ تَخَلُّفَهُ عَنِ السَّقِيفَةِ وَعَنِ الْبَيْعَةِ، وَفِيهِمْ مِنْ سَبَقِ الْكُلِّ فِي الْإِيمَانِ
وَمَنْ قَالَ الرَّسُولُ (ص) فِي حَقِّهِ «عَلَىٰ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ لَا يَفْتَرِقَانِ» وَقَالَ فِي
شَأْنِهِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ «بَرَزَ الْإِيمَانَ كُلَّهُ إِلَى الشَّرْكَ كُلَّهُ»، لِمَ يَكُنْ سَبِيلَ الْمُؤْمِنِينَ؟ وَقَدْ عَرَفَتْ
سَابِقًا مِنَ التَّفْسِيرِ الْكَبِيرِ لِلطَّبْرِيِّ أَنَّهُ رَوَى فِي ذَيْلِ هَذِهِ الْآيَةِ: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» بِأَسْنَادِهِ: «فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ

سبيل المؤمنين
الذي يجب
اتباعه

عليه وسلم : « أَنْتَ يَا عَلِيُّ وَشَيْعَتُكَ » .

ورابعاً ان الظاهر عن الآية ان «سبيل المؤمنين» هو الذي عينه وبينه الرسول (ص) لا ما لم يكن منه (ص) نص فيهِ . فليفهم .

ولنختم هذا الكلام بما افاده مهيار الديلمي ولقد اجاد فيه :

وَكَيْفَ صَيَّرْتُمُ الْإِجْمَاعَ حُجَّتَكُمْ

وَالنَّاسُ مَا اتَّفَقُوا يَوْمًا وَلَا اجْتَمَعُوا

أَمْرًا ، عَلِيٌّ بِعَيْدٍ عَنْ مَشُورَتِهِ

مُسْتَكْرَرَةً فِيهِ وَالْعَبَّاسُ بِمَمْنَعٍ^١

٢٤٥- خلافة ابي بكر وانقضاء دوره

وكيف كان حصلت البيعة باخرة حتى ممن لم يكن ذلك اليوم حاضراً في-
السقيفة او لم يشأ ان يبايع في اوائل الامر .

فبعد مضي مدة ، لانقل على ما ضبطوها عن ستة اشهر ، عمت البيعة وتمت^٢
واتفقت الكلمة على ابي بكر (رض) واستقرت الخلافة له ، وانتظم امور المسلمين
الداخلية ، فصار الاسلام يسير سيره المقدر المأمول نحو الأمام و تنبسط سلطته على
سائر الاقوام من الفرس و الأروام .

وكان ذلك بمجاهدة المسلمين في سبيل حفظ الاسلام ، و بسط مناهجه الفاضلة ،
و نشر فضائله الكاملة ، و في ظلّ تحليهم بالايمان ، و تجليهم بمتابعة احكام القرآن ،
و خضوعهم بالطوع و الرغبة للمقررات ، و رعايتهم جانب العدل و الانصاف ، و تجنبهم

١- اعيان الشيعة (الجزء الاول - الصفحة ال ٦١)

٢- وان كانت بالنسبة الى بعض بالتهديد والاكراه كما نقلوا في بيعة علي وبنى هاشم
و الزبير و بالنسبة الى بعض آخر بالتنطيم و الاكرام ، كما في بيعة ابي سفيان . ولكنه بنى
سعد بن عبادة على حاله و لم يبايع حتى مات او قتل في اوائل خلافة عمر .

عن الغدر والخطأ، وبالجملة اتصافهم بالعلم والعمل، واعتصامهم بحبل الله الواحد الأحد .
 لم تطل أيام الخليفة ابي بكر (رض) وانقضى زمن خلافته في مدة لم تتجاوز
 عن ستين آلا باشهر قليلة فمرض و لمّا مرض و ايقن بالموت، تطوّر الشأن في امر-
 الخلافة و تغيّر وجه نصب الخليفة فرأى ان لا يكلها الى اختيار الأمة ولا باختيار اهل-
 الحلّ والعقد منهم، وعزم على ان «يفتصب الناس امرهم» و «يبترّ حقّهم»^١، الذي كان
 لهم بزعمه، و ينزعه عنهم فعيّن الخليفة بشخصه و اختار، بالحقيقة، خليفة لنفسه و ذهب
 في هذا الأمر على خلاف ما ذهب اليه الرسول (ص) و مضى عليه، كما يدعى ويقول،
 و على خلاف ما اعلنوا و حكموا به من كون تعيين الخليفة و انتخابه من حقوق الأمة،
 او من شئون خصوص اهل الحلّ والعقد منهم، على ما يزعمون و يدعون، بل مع خلاف
 بعض اكابر اهل الحلّ والعقد من الصحابة كطلحة بن عبدالله، احد العشرة المبشرة،
 فانه اعترض على ابي بكر في ارادة اختياره من اراد اختياره بقوله :
 «انّ من اردت اختياره رجل فظّ غليظ» .

اغتصاب الناس
 امرهم
 بنصب الخليفة

٢٤٦- استخلاف ابي بكر، عمر (رض)

قال ابن ابي الحديد في شرحه على نهج البلاغة :
 «و روى كثير من الناس انّ ابا بكر لما نزل^٢ [به الوفاة] دعا عبد الرحمن بن
 عوف فقال :
 «آخبرني عن عمر .

١- اشارة الى ما سبق نقله من كلام عمر (رض) في خطبته على ما اورده ابن الاثير،
 وكلام معاوية في كتابه الى محمد بن ابي بكر .
 ٢- و في الطبري (الجزء الثاني - الصفحة ال ٦١٨ -) « لما نزل بابي بكر الوفاة دعا
 عبد الرحمن ... الخ » مع اختلاف يسير في بعض العبارات .

«فقال : انه افضل من رأيك الا ان فيه غلظا^١ .

«فقال ابوبكر : ذلك لأنه يرانى رقيقا . . .

«ثم دعا عثمان بن عفان فقال :

«اخبرنى عن عمر .

«فقال : سربرته خير من علانيته و ليس فينا مثله .

«فقال لهما : لا تذكرامما قلت لكما شيئاً . ولو تركتُ عمر لَمَا عدوتُك يا

عثمان ! والخيرة لك ان لا تبلى من امورهم و لوددت انى كنتُ من اموركم خلواً
و كنتُ فى من مضى من سلفكم^٢ .

«ودخل طلحة بن عبيدالله على ابى بكر فقال :

١- انظر الى جواب هذا الصحابى المحنك، كيف ارضى ابابكر (رض) بالجملة الاولى

فى كلامه وكيف اظهر ما يضمه فى نفسه من عدم رضائه ، بالجملة الثانية . فخالف بعد ما وافق !

٢- والى هذا ، يشير ما قاله على (ع) فى خطبته : «... حين يستقبل، يجعله لغيره»

ولعل الناظر الى هذه المشاورة و المذاكرة يقوقف هنا هنيهة فيرجع الى القهقرى و يذهب الى السقيفة و يشاهد ان المدارفها من المهاجرين كان على ابى بكر و عمر و ابوعبيدة و هو الذى شيد بيعة ابى بكر ... ولولاه لم يثبت لابي بكر امر ، ولا قامت له قائمة» ثم بكر راجعاً فيشاهد ان المشاورة فى هذا الحين محدودة مقصورة من بين المهاجرين و الانصار على ابن عوف و عثمان و كلاهما يشيران الى عمر (رض) و يطلع عن قريب ان عثمان حين يكتب وصية ابى بكر (رض) و يغمى عليه يكتب من عند نفسه و براى شخصه : «عمر» ، و ان عمر حين يريد ان يستخلف يقول : لو كان ابوعبيدة حياً ما عدت عنه و اخيراً ينصب ، بالحقيقة ، فى صورة الشورى و تحت ستارها و غطاؤها عثمان . وحينئذ لعل الناظر يحدث نفسه و يقول : لعل كان كل ذلك صدفة و اتفاقاً و وقع هذه الامور المرتبطة المتناسبة فى وقت وقوعها من غير سابقة تعاهد و تشاور ، بل بلا روية و بلا حساب !

«انته قد بلغنى^١ انك يا خليفة رسول الله استخلفت على الناس عمر و قد رايت مايلقى الناس منه ، و انت معه فكيف به اذا خلا بهم ؟ و انت غداً لاق ربك فيسألك عن رعيتك !

«فقال ابو بكر : اجلسونى . ثم قال : اباالله تخوفنى ؟! اذا لقيت ربى فسألنى قلت : استخلفت عليهم خيرا هللك^٢ .

«فقال : طلحة :

«عمر خير الناس يا خليفة رسول الله ؟! فاشتد غضبه وقال :

«اى والله هو خيرهم و انت شرهم !

« اما والله لو وليتك لجعلت انفك فى قفاك و لرفعت نفسك فوق قدرها حتى يكون الله هو الذى يضعها ! .

« انتبنى و قد دلكت عينك ! تريد ان تفتننى عن دينى و تزيلنى عن رائي ! قم ، لا اقام الله رجلك ! .

« اما والله لئن عشت فواق ناقة و بلغنى انك غمصته فيها او ذكرته بسوء لا لحقنك بحصبات قننة^٣ حيث كنتم تسقون ولا تروون و ترعون ولا تشبعون و انتم بذلك الحجون راضون^٤ » فقام طلحة فخرج .

١- من اين بلغه و قد منع ابو بكر ، عثمان و ابن عوف من اظهار الامر و ذكره .

٢- رويه الطبرى ايضا ، باسناده عن أسماء بنت عميس (الجزء الثانى - الصفحة

ال ٦٢ -)

٣- كالقطة لفظا و معنى و هى اعلى الجبل .

٤- قد عرفت سابقا ما تكلم به ابو بكر (رض) حين ما «باع الناس ابابكر ، العامة» بعد يوم السقيفة من قوله : «ايها الناس فانى قد وليت و لست بخيركم اطيعونى ما طعت الله و رسوله فاذا عصيت الله و رسوله فلا طاعة عليكم . . .» فما ابعد بين ذلك الكلام و التواضع و بين هذا الكلام و الخشونة بالنسبة الى الصحابى المبشر له بالجنة . ولا يذهب عليك ان تلك الديموقراطية و التواضع كانت باقتضاء القرب الى حياة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و تأثير تعليماته الالهية القريب و هذه الخشونة و الاستبداد بحسب اقتضاء الخلافة الدنيوية ثم فى هذا الكلام شىء آخر و هو انه على ما ينبغي ان يحمل قول الخليفة (رض) للصحابى- الكبير ، و الذى بشر له بالجنة و رضى الله عنه انه اتاه مريدا لافتتانه عن دينه مؤكدا بالدعاء عليه و تهديده ، و قوله له : «انت شر الناس» !

مكالمة ابى بكر
حال مرضه مع
بعض الصحابة
فى استخلاف عمر

٢٤٧ - كتاب عهد ابى بكر و كيفية كتابته

وفى شرح نهج البلاغة لابن الحديد ايضا :

« لما احتضر ابوبكر قال للكاتب :

« اكتب : هذا ما عهد به عبد الله بن عثمان آخر عهده بالدنيا و اول عهده بالآخرة

فى الساعة التى يبر فيها الفاجر و يسلم فيها الكافر .

« ثم اُغمى عليه . فكتب الكاتب : « عمر بن خطاب » .

« ثم افاق ابوبكر فقال : اقرأ ما كتبت فقرأ و ذكر اسم عمر .

« فقال : انى لك هذا ؟

« قال : ما كنت لتعدوه !

« فقال : اصبت . ثم قال : اتميم * كتابك . . .

« فلما فرغ من الكتاب دخل عليه قوم من الصحابة ، منهم طلحة فقال له :

« ما انت قائل لربك غداً وقد وليت علينا فظاً غليظاً تفترق (تفرع) منه

التفوس و تنفض عنه القلوب . . . ؟ »

وفيه ايضا :

« احضر ابوبكر ، عثمان ، وهو وجود بنفسه فأمره ان يكتب عهداً وقال : اكتب :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عهد عبد الله بن عثمان الى المسلمين .

ثم اُغمى عليه . و كتب عثمان :

« قد استخلف عليكم عمر بن الخطاب » .

« و افاق ابوبكر . فقال : اقرأ * . فقرأه . فكبر ابوبكر و سر * (١) .

١ - وفى الطبرى (الجزء الثانى - الصفحة ال ٦١٩ -) بعد جملة « فكبر ابوبكر »

وقال : اراك خفت ان يختلف الناس ان اقلنت نفسى فى غشيتى . قال : نعم . . . »

وفى تاريخ الطبرى (الجزء الثانى - الصفحة ال ٦١٩ -) بأسناده عن عبد الرحمن-

ابن عوف :

انقاذ ابوبكر
عن اكابر
الصحابه

« انه دخل على ابى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فى مرضه ، التى توفى فيه ،

فأصابه مهتما .

« فقال عبد الرحمن : اصبحت والحمد لله بارئا .

« فقال ابوبكر رضى الله تعالى عنه : : اتراه ؟

« قال : نعم .

« قال : انتى وليت امر كخيركم فى نفسى ، فكلتكم ورم انفسه من ذلك يريد ان-

يكون الامر له دونه ! . . . وانتم اول ضال بالناس غدا فتصدونهم عن الطريق يمينا

وشمالا . . .

« فقلت له : خفض عليك ، رحمك الله ، فأن هذا يهضك ، فى امرك . . . »

٢٤٨ - ختم ، ودفع وهم

هكذا وقع الاختيار والانتخاب لهذه المهمة التى لم يهتم بها الرسول صلى الله

عليه وآله وسلم ، على ما يدعوه ، وما خاف من اختلاف الناس فيها بعده ، على ما يقولون ،

بل رآه (ص) من حق الأمة ووكلمهم واختيارهم ، كما زعموا ، ولكن خليفة الرسول (ص)

اشفق على الاسلام وعلى الامة ، وخاف من الاختلاف والفرقة ، فرأى اشفاقا على -

الدين وعلى المسلمين رأيا خلاف ما رآه الرسول (ص) ، مع ما صرح فى خطبة كما

هوذا يجيىء « وانما انا متبع ولست بمبتدع » فاختر هو ، او كاتبه ، وهو امضاه ، قبيل

وفاته وفى حال بين الأغماء والأفافة ، من جاهد هو ايضا يوم السقيفة فى سبيل اختياره

للمخلاة ، وسعى لأخذ البيعة له فيها وشيئها بعدها .

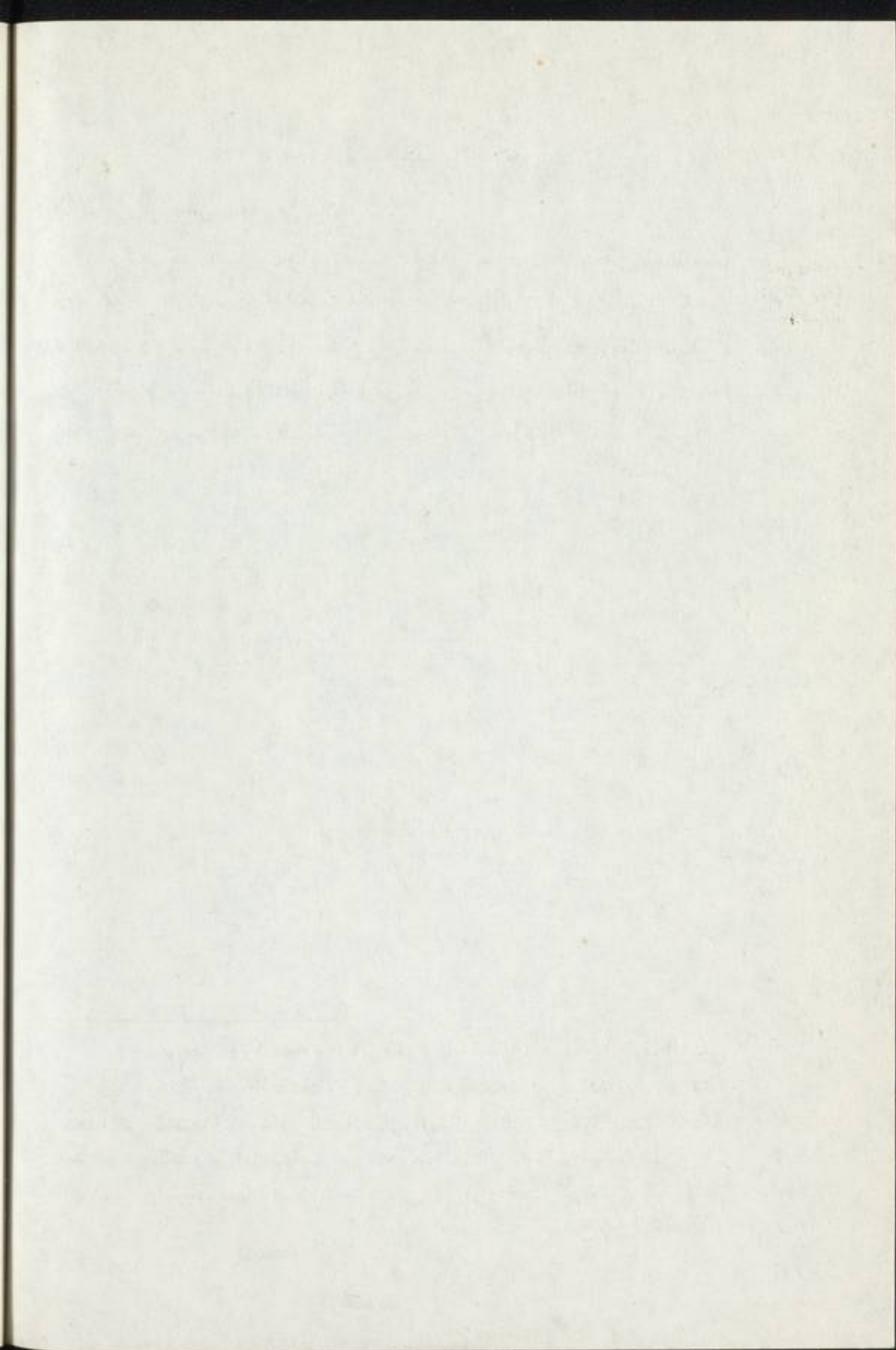
ولا يتوهم من هذا البيان ارادة الأغماز فيهما ، رضى الله عنهما ، بل المراد عدم -

الأغماض عن بعض ما وقع في التاريخ^(١).

وكيف كان تمت الوصية، وتعيينت الخليفة، وتخلّصت الأمة من هذه المهمة، و«توفّي أبو بكر (رض) ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة من سنة ثلاث عشر من الهجرة» وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة اشهر، ألا خمس ليال، وقيل: سنتين، وثلاثة اشهر وسبع ليال. وقال اسحق: توفّي على راس سنتين وثلاثة اشهر واثنى عشرة ليلة من متوفّي رسول الله. وقال غيره ايضاً: وعشرين يوماً.»

زمن وفات
ابى بكر ومدة
خلافته

١ - « وعمر هو الذى شيد بيعة ابي بكر و رغم المخالفين فيها ، فكسر سيف الزبير لما جرده ، و دفع فى صدر المقداد ، و طوىء فى السقيفة سعد بن عبادة وقال : « اقتلوا سعدا ! قتل الله سعدا » و حطم انف الحباب المنذر ، الذى قال يوم السقيفة : « انا جذيلها المحكك و عذيقها المرجب » ، و توعد من لجأ الى دار فاطمة عليها السلام من- الهاشميين و اخرجهم منها ، ولولاه لم يثبت لابي بكر اسر و لا قامت له قائمة . . . » (شرح ابن ابى الحديد)



« يَرِدُ عَلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِي فَيُجْلِدُونَ »

عَنِ الْحَوْضِ .

« فَأَقُولُ : »

« يَا رَبَّ أَصْحَابِي ! »

فَيَقُولُ :

« إِنَّكَ لَا أَعْلَمُ لَكَ بِمَا أَحَدْتُمْوَا بَعْدَكَ . »

« إِنَّهُمْ ارْتَدُّوَا عَلَيَّ أَذْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى »

(البخارى فى صحيحه بأسناده عن ابى هريرة)

« ... لَا يَرِدُ عَلَيَّ الْحَوْضَ مُبْغِضُكَ »

« وَلَا يَغِيبُ عَنْهُ مُحِبُّكَ ... »

(اخطب الخوارزمى عن النبى ، ص ،)

١ - أول ما اقدم عليه ابو بكر .

٢ - المُتَنَبِّئُونَ :

٣ - الاسود العنسى .

٤ - طليحة .

٥ - سجاح .

٦ - مسيلمة .

٧ - اهل الردة .

٨ - مالك بن نويرة .

٩ - تذييل فى نقل اخبار من الصحيح البخارى :

١٠ - فى معنى الردة والأرتداد .

١٦ - حول الوقائع المهمة

فى خلافة ابى بكر ، رض ،

٢٤٩ - ما وقعت من الأمور الهامة في خلافة ابي بكر

اول ما اقدم عليه ابو بكر، بعد ان بويع ، انه بعث اسامة الى ما امره الرسول ،
صلى الله عليه وآله وسلم .

قال الطبري في تاريخه (الجزء الثاني - الصفحة ال ٤٦٠ -) بأسناده :
« نادى منادى ابي بكر ، من بعد الغد من متوقى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ،
ليتم بعث اسامة : الا لا يقيين بالمدينة احد من جنود اسامة الا خرج الى عسكره
بالجرف .

« وقام في الناس فحمد الله واثنى عليه وقال :

« يا ايها الناس انما انا مثلكم ، وانى لا ادري لعلكم ستكلفوني ما كان رسول الله ،
صلى الله عليه وآله وسلم ، يطيق .

بعث ابي بكر ،
اسامة وجيشه

« ان الله اصطفى محمداً على العالمين وعصمه من الآفات .

« وَاِنَّمَا اَنَا مُتَّبِعٌ وَكَسْتُ بِمُتَّبِعٍ . فان استقمتم فتابعوني وان

زغت فقوموني وان لى شيطاناً يعتمرينى فاذا اتانى فاجتنبونى . . . »^١

١ - وحينئذ قالى من يلجأون الناس ؟ ومن يكون لهم المرجع والمفرج ، كما قال عمر

للزبير ، وسيجيء في موضعه : « فليت شعرى من يكون للناس يوم تكون شيطاناً ؟ ومن يكون

يوم تغضب ؟ » ، ولهذا تشترط الشيعة في خليفة الرسول ، العصمة كما اثبتها ابو بكر للرسول (ص) .

وفي كتاب « صفة الصفوة » (الجزء الاول - الصفحة ال ٩٩ -) تاليف جمال الدين ابي الفرج

عبدالرحمن بن علي بن الجوزى (المتوفى سنة ٥٩٧ هـ . ق .) :

« وعن الحسن قال : لما بويع ابو بكر قام خطيباً . . . ثم قال : . . . الا وانما انا

بشر مثلكم ولست بخير من احدكم فراعوني ، فاذا رايتموني استقمتم فاتبعوني ، واذا رايتموني

زغت فقوموني واعلموا ان لى شيطاناً يعتمرينى فاذا رايتموني غضبت فاجتنبوني ، لا اوثر في

اشعاركم و ابشاركم . »

ثم « اقام ابو بكر بالمدينة بعد وفاة رسول الله (ص) ، وتوجيهه اسامة في جيشه ، لم يحدث شيئاً وقد جائته وفود العرب مرتدين ، يقرّون بالصلوة ، ويمنعون الزكاة ، فلم يقبل منهم ذلك و ردّهم ، و اقام حتى قدم اسامة بن زيد بن حارثة ، بعد اربعين يوماً من شخوصه ، ويقال بعد سبعين يوماً . » (الجزء الثاني - الصفحة ال ٤٧٤ - من الطبرى) .

٢٥٠ - من واجه ابو بكر خلفه

واجه ابو بكر في اول خلافته فريقين على الخلاف فشمّر عن ساعد الجدّ في -
القيام بأطفاء نيران الخلاف ، واخماد سؤرة الفتنة والفساد ، وشدّد واكد لذلك ، بحيث
امر في ما كتبه الى امراء الجند :

« ... ومن ابى ، امرت ان يقاتله على ذلك ثم لا يبقي على احد منهم قدر
عليه ، وان يحرقهم بالنار و يقتلهم كل قتلة . . . » (الجزء الثاني من الطبرى -
الصفحة ال ٤٨٢ -) .

وامر طريفة بن حاجز بأحراق اياس بن عبد الله ، المشهور بالفجأة ، الذي ارتد
وقاتل المسلمين ، ففى الطبرى (الجزء الثاني - الصفحة ال ٤٩٣) .
« . . . امر ابو بكر ، طريفة فقال : اخرج به الى هذا البقيع فحرقه فيه بالنار . فخرج
به طريفة الى المصلّى فاوقد له ناراً فحرقه فيها » .

١ - ندم ابو بكر من هذا العمل كما صرح به في مرضه الذي توفي فيه . ففى الطبرى
(الجزء الثاني - الصفحة ال ٦١٩ -) بعد ما ذكر دخول ابن عوف عليه في مرضه وما جرى
بينهما من الكلام (كما مر سابقاً) قال :

« . . . قال ابو بكر : اجل انى لا آسى على شىء من الدنيا الا على ثلاث فعلت
و ددت انى تركتهن ، و ثلاث تركتهن و ددت انى فعلت ، و ثلاث و ددت انى سألت عنهن
رسول الله (ص) . فاما الثلاث التى و ددت انى تركتهن ، فوددت انى لم اكشف بيت فاطمة عن
شىء و ان كانوا قد غلقوه على الحرب . و ددت انى لم اكن حرقت الفجأة السلمى و انى
كنت قتلتهم سريعاً او خيلته نجيحاً . . . »

وسريعاً تسلط ابوبكر على الأمور وفاز في الجهتين فغلب على الفريقين :
 الأول - المتنبئون وهم طليحة وسجاح ومسيلمة .
 الثاني - المتسمون بعنوان « اهل الردة » .

الفريقان اللذان
 ابتلى بهما ابوبكر

٢٥١ - الأول - المتنبئون

قال الطبري (الجزء الثاني - الصفحة ال ٤٧٥ - من تاريخه) .
 « لما مات رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وفصل اسامة ارتدت العرب :
 عواماً او خواصاً ، وتوحي مسيلمة وطيحة فاستغلظ امرهما واجتمع على طليحة عوامٌ
 طي واسدو... وخواصٌ من الأفتاء فبايعوه » .
 ولندكر هنا ملخص ماجرى مع الفريقين مقدماً عليها واقعة الأسود العنسي
 فنقول :

٢٥٢ - واقعة الأسود العنسي المتنبئ

ظهرت في اواخر ايام الرسول (ص) واوائل خلافة ابي بكر عدة متنبئة قتل
 واحد منهم قبيل وفاة الرسول (ص) والباقيون ادركوا زمان الخليفة وتنبأوا في -
 زمانه ، فقتل بعضهم واسلم بعض آخر .
 فاما الذي قتل في حياة الرسول فهو عيثة بن كعب بن عوف العنسي ،
 المعروف بالأسود العنسي ، الكذاب والملقب بـ « ذى الخمار » لكونه معتمداً متحمزاً
 ابداً^١ و خلاصة امره (ملخصاً من تاريخ الطبري و كتاب الكامل) :
 كان الرسول ، صلى الله عليه وآله وسلم ، حين اسلم باذان ، واسلم اهل يمن

١ - وكانه به اقتدى هاشم بن حكيم ، المشهور بـ « المقنع » ، في تقنعه وتنبؤه (بل

تأله) (اهلك في زمان مهدي بن منصور العباسي سنة ١٦٧) .

قد جميع لباذان ، عمّل اليمن جميعه وامرّه على جميع مخالفيه فلم يزل عليه حتى مات . فلما مات باذان فرّق رسول الله (ص) امرائه في اليمن وجعل على صنعاء ، شهرّ ابن باذان .

اسلام باذان
الايرائى زمن -
الرسول وجعله
الرسول عاملا
من قبله على
جميع اليمن

« لما عاد رسول الله (ص) من حجّة الوداع ، تمرّض من السفر ، غير مرض موته ، بلغ ذلك ، الاسود العنسى ، فادعى النبوة ، وكان مشعبداً يريتهم الاعاجيب ، فاتبعته منذ حج . فكانت ردة الاسود اول ردة في الاسلام على عهد رسول الله (ص) . وكان اول من اعترض الاسود الكاذب ، شهر و فيروز و داذويه .

وغزا الاسود نجران ، وغلب عليها ثم سار منها الى صنعاء ، وكان معه سبعة فارس سوى الركبان ، وخرج اليه شهر بن باذان فلقبه فقُتل شهر ، لخمس وعشرين من خروج الاسود ، واستتب ملك اليمن للاسود ، وغلب على ما بين مفازة حضر موت الى الطائف ، الى البحرين والاحساء الى عدن ، واستطار امره كالحريق واستغلظ امره .

لما مات باذان
جعل الرسول
ابن باذان ، شهر ،
على صنعاء

وكان خليفته على جُنده قيس بن عديفوث وكان امر « الأبناء »^١ الى فيروز ، وداذويه . وتزوج الاسود ، بعد قتله شهر بن باذان ، امرأة شهر وهى ابنة عم فيروز . قال جشنس الديلمي^٢ فجائتنا كتب النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، بأمرنا بقتاله ، يعنى اليه والى فيروز و داذويه ، وأن نكاتب من عنده دين . فعملنا ذلك وعلمنا تغيره لقيس بن عديفوث ، وان قيساً يخاف على دمه . فدعونا قيساً و ابلاغه عن النبى . فاجابنا ، فاخبره الشيطان شيئاً من ذلك . فدعا قيساً فأخبره ان شيطانه يأمره بقتله لميله الى عدوه ، فحلف قيس على برائه . ثم اتانا فقال : يا جشنس ، و يا فيروز و يا داذويه ! فآخبرنا بقول الاسود .

١ - هم الايرانيون ، ابناء الجند الذى ارسله كسرى باليمن .

٢ - هكذا فى « الكامل » (جشنس) وفى الطبرى جيش بن الديلمي . وفى « مجمل التواريخ والقصص » (فى الحوادث الواقعة فى السنة الاولى من الهجرة) ورد فى تعديد آباء سلمان هكذا : « ساهب » (اسم الاصلى لسلمان) بن بدخشان بن آذر جشنس (؟) وعلق المصحح على الكلمة الاخيرة : « آذر جشنس معرب آذر كشب » .

قتل شهرو صيرورة
امر الانياء الى
ابنه فيروز

فبينما نحن معه يُحدثنا اذ ارسل الينا الأسود فَتَهَدَّدَنَا . فاعتذرنا اليه ونجونا منه ، ولم نكدُ وهو مرتاب بنا ونحن نحذره ، فبينما نحن على ذلك ، اذ جائتنا كتب عامر بن شهر و ... و ... و ... وعدة أخر يبذلون لنا النصر ، فكاتبناهم وامرناهم ان لا يفعلوا شيئاً حتى نُبرِّم امرنا واتما اهانوا لذلك ، حين كاتبهم النبي (ص) . وبلغ ذلك ، الأسود واحسَّ بالهلاك .

قال جشنس : فدخلتُ على آزاد ، وهي امرأته ، تزوجها بعد قتل زوجها ، شهر بن باذان ، فدعوتها الى ما نحن عليه فاجابت وقالت : والله ما خلق الله شخصا ابغض اليّ منه ، ما يقوم الله على حقّ ، ولا ينتهي عن محرّم ، فاعلِمُونِي امركم ، اخبركم بوجه الأمر .

قال : فخرجتُ واخبرتُ فيروز و داذويه و قيساً .

قال : واذا قد جاء رجل فدعا قيساً الى الأسود . فدخل في عشرة من مذحج وهمدان فلم يقدر على قتله معهم ، وقال له : ألمْ أُخبرك الحقّ وتخبرني الكذب؟ أتة ، يعني شيطانه ، يقول لي : انْ لا تقطع من قيس يده يقطع رقبتك . فاعتذر له قيس بالبرائة . فرق له وتركه . وخرج قيس فمرّ بنا ، وقال : اعملوا عملكم ولم يقعد عندنا . فخرج علينا الأسود في جمع ، فقمنا له ، وبالباب مائة ، ما بين بقرة وبعير ، فنحراها ثمّ ختلاها ثمّ قال : احقّ ما بلغني منك يا فيروز ، و بواله الحربة ، لقد هممت ان انحرك . فقال : لقد اخترتنا لصيهرك وفضلتنا ، فلولم تكن نبياً لما بعنا نصيبنا منك بشيء فكيف وقد اجتمع لنا بك امر الدنيا والآخرة؟ فقال : اقسم هذه فقسمها ولحقّ به وهو يسمع سعاية رجل بفيروز وهو يقول له : انا قاتله غداً واصحابه . ثمّ التفت فاذا فيروز فاخبره بقسمتها ودخل الأسود ورجع فيروز فأخبرنا الخبر .

فأرسلنا الى قيس فجاثنا فاجتمعنا الى ان اعود الى المرأة فأخبرها بعزيمتنا وتأخذ رأيها فأتيها فأخبرتها فقالت : هو متحرّز وليس من القصر شيء آلا والحرس محيطون به غير هذا البيت فأنّ ظهره الى مكان كذا وكذا . فاذا امسيتم فانقبوا عليه فانكم من - دون الحرس وليس دون قتله شيء وستجدون فيه سراجا وسلاحاً .

فتلقاني الأسود، خارجاً من بعض منازلهم، فقال: ما ادخلك علي؟ ووجأ راسي حتى سقطت، وكان شديداً فصاحت المرأة فادهشته عنى ولولاذلك لقتلنى. وقالت: جائنى ابن عمى زائراً ففعلت به هذا، فتركنى فأتيت أصحابى فقلت: النجاء، الهرب، واخبرتهم الخبر. فأنا على ذلك حيارى، اذجائنا رسولها يقول: لاتدعنّ ما - فارقتك، فلم ازل به حتى اطمئنّ.

فقلنا لفيروز: ائتها فتببت منها. ففعل. فلما اخبرته. قال: ننقب على بيوت مبطنة. فدخل فافتلع البطانة وجلس عندها كالزائر. فدخل عليها الأسود فأخذته غيرة، فأخبرته برضاع وقرابة منها محرّم، فأخرجه.

فلما امسينا عملنا فى امرنا واعلمنا اشياءنا فنقبنا البيت من خارج ودخلنا، وفيه سراج تحت جفنة، واتقينا بفيروز، وكان اشدنا، فقلنا: انظر ماذا ترى، فمخرج ونحن بينه وبين الحرّس.

فلما دنا من باب البيت سمع غطيماً شديداً والمرأة قاعدة، فلما قام على باب البيت اجلسه الشيطان وتكلم على لسانه وقال:
مالى ولك يا فيروز؟

«فخشى ان رجع ان يهلك و تهلك المرأة فعاجله وخالطه، وهو مثل الجمل، فأخذ برأسه فقتله، ودقّ عنقه، ووضع ركبته فى ظهره فدقه.

ثم قام ليخرج فأخذت المرأة بثوبه، وهى ترى انه لم يقتله.

فقال: قد قتلته وارحتك منه. وخرج فاخبرنا فدخلنا معه فمخار كما يخور - الشور فمقطعت رأسه بالشفرة.

وابتدر الحرّس، المقصورة يقولون: ما هذا؟

فقالت المرأة: النبى يوحى اليه! فخدموا.

فلما طلع الفجر ناديتنا بشعارنا وناديتنا بالأذان: وكتبنا الى رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، بخبره وذلك فى حياته واته الخبر من ليلته. وقدّميت رسلنا وقد توفى رسول الله (ص) فاجابنا ابو بكر:

كيفية قتل الاسود
ببد فيروز

اخبار النبى
بقتل الاسود -
العنى وان تالله
فيروز، رجل
مبارك من بيت
مباركين

قال ابن عمر : اتى الخبر من السماء الى النبى (ص) فى ليلة التى قُتل فيها .

فقال (ص) :

قُتل العنسى قتله رجل مبارك من اهل بيت مباركين .

قيل : من قتله؟ قال (ص) : قتله فيروز .

كان اول امر العنسى الى آخره ثلاثة اشهر ، او قريب من اربعة اشهر ، وكان قدوم البشير بقتله فى آخر ربيع الأول بعد وفاة النبى (ص) فكان اول بشارة اتت ابابكر وهو بالمدينة .

هكذا تم امر ذاك المتنبى وانقضى . ومما استلفت النظر فى امره ، وينبغى ان يشار اليه ههنا ، لتمييز الحق من الباطل وتشخيص الكاذب من الصادق ، اضطراب الأسود فى امره ، وخوفه حتى من اهله ، واخذه مقصورة لنفسه ، وتعيين الحرس لحفظه ، وتجريه على سفك الدماء واهلاك النفوس ، وعدم انتهائه عن ارتكاب المحرمات والمنكرات .

مما يتميز به الحق
من الباطل

٢٥٣ - شأن المتنبيين فى عهد ابى بكر

قد دريت ان الخليفة ، ابابكر واجه فى خلافته فريقين على الخلاف :

الأول - المتنبيون الثلاثة :

الذين تنبأوا وادركوا زمان الخليفة ، ابى بكر ، طليحة وسجاح و مسيلمة وخلاصة امرهم (ملخصاً من «الكامل» لابن الأثير ، وتاريخ الطبرى) على ما ترى .

٢٥٤ - طليحة وتنبؤه

طليحة بن خويلد الأسدى قد تنبأ فى حياة رسول الله (ص) وكان يقول : « ان جبريل يأتينى » وسجع للناس ، الأكاذيب . وكان يأمرهم بترك السجود فى الصلوة . ويقول : « اذكروا الله واعبدوه قياماً » . وتبعه كثير من العرب عصبية .

وبعثوا بعد خلافة ابي بكر الى المدينة وفدأ يبذلون الصلوة ويمنعون الزكوة. فقال ابو بكر: والله لو منعوني عقلاً لجاهدتهم عليه ، وكان عَقْلُ الصّدقة على اهل الصّدقة [مع الصّدقة] ، وردّهم .

طروق طليحة
واتباعه، المدينة
ومنع على ومن
معه من المدنيين
اباهم بالرد

فرجع وفدهم واخبروهم بقلّة مَنْ في المدينة، واطمعوهم فيها. وجعل ابا بكر بعد مسير الوفد على انقاب المدينة عليّاً وطلحة والزبير وابن مسعود. والزم اهل المدينة بحضور المسجد خوف الغارة من العدو، لقربهم، فما لبثوا الا ثلاثا حتى طرّقا المدينة وعليها المقاتلة، فمنعوهم. وخرج اهل المسجد على التواضح فردّوا العدو.

وامر ابو بكر، خالد بن الوليد لأمر طليحة بن خويلد، فاذا فرغ منه سار الى مالك بن نويرة.

وارسل طليحة الى اتباعه يأمرهم باللحاق به ببز اخية فقدموا عليه. وارسل خالد بن الوليد، عكاشة محصن و ثابت بن اقرم الأنصاري طليحة، فلقيهما حبال، اخو طليحة، فقتلاه فبلغ خبره طليحة فخرج هو واخوه، سلمة، فقتل طليحة، عكاشة. وقتل اخوه، سلمة، ثابتاً ورجعاً.

قتال خالد
وطليحة

واقبل خالد بالناس فرأوا عكاشة وثابتاً قتيلين، فجزع لذلك المسلمون، ثم سار حتى التقيا على بز اخية فاقتتل الناس وكان عيسنة بن حصن مع طليحة في سبعمائة من بني فزارة فقاتلوا قتالاً شديداً و طليحة متلفف في كسائه يتنبأ لهم.

فلما اشتدّ الحرب كرّ عيسنة على طليحة وقال :

هل جائكك جبريل بعد ؟

قال : لا .

فرجع فقاتل ثم كرّ على طليحة فقال :

اجائكك جبرئيل ؟

قال : لا .

فقال عُمَيْرُ بْنُ حَتْمٍ متى؟ قد بلغ والله منّا.

ثم رجع فقاتل قتالاً شديداً ثم كرّ على طليحة فقال :

هل جائكك جبريل؟

قال : نعم .

قال : فماذا قال لك؟

قال : قال لي : انّ لكّ رحى كرحاه وحديثاً لاتنساه .

فقال عُمَيْرُ بْنُ حَتْمٍ : قد علم الله انه سيكون حديث لاننساه . انصرفوا يا بنى فزارة

فأنته كذاب . فانصرفوا وانهزم الناس .

وكان طليحة قد اعدّ فرسه وراحلته لامرأته، النّوّار، فركب فرسه وحمل امرأته

وقال : يا معشر فزارة من استطاع ان يفعل هكذا وينجو بامرأته فليفعل .

ثم انهزم فلحق بالشّام ثم نزل على كلب فأسلم حين بلغه ان اسداً وغطفان ،

قد اسلموا، ولم يزل في كلب حتى مات ابوبكر. وكان خرج معتمراً في زمان ابي بكر و مرّ

بجنبات المدينة ولم يتعرّض ابوبكر له لأسلامه .

ثم حين استخلف عمر ، اتاه طليحة وبايعه وقال له عمر :

أنت قاتل عكاشة و ثابت؟

فقال : يا امير المؤمنين ما يهمنك من رجلين اكرمهما الله بيدي ولم يهنئ

بايديهما ؟ .

ثم رجع الى قومه فاقام عندهم حتّى خرج الى العراق وكان مع المسلمين

في تلك الحروب .

١ - وهو الذي كان يعد بالث رجل . قال ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢) -

في كتاب « الاصابة » : « واخرج الطبراني عن محمد بن سلام الجمحي قال : كتب

عمر الى سعد (يعني ابن الوقاص) : انى اسدتك بالثى رجل : عمرو بن معديكرب

وطليحة بن خويلد . وكتب ايضا الى نعمان بن مقرن لما ولاه و توجه الى نهاوند :

ان في جندك عمرو بن معديكرب و طليحة بن خويلد فاحضرهما وشاورهما في الامر .

ولمّا انهزم الناس عن طليحة أُسر عُبَيْدُ بن حصين فقدم به على ابي بكر فكان صبيان المدينة يقولون له ، وهو مكتوف : يا عدوّ الله اكفرت بعد ايمانك؟ فيقول : والله ما آمنتُ بالله طرفة عين !! فتجاوز عنه ابو بكر وحقن دمه !
وممّا سجع به طليحة :
« والحمام واليمان ، والصرد التصوام ، قد ضمن لكم بأعوام ، ليلغنّ ملكنا -
العراق والشّام » .

٢٥٥ - سجاح وتنبؤها وعاقبة امرها

لمّا وقع الخبر بوفاة رسول الله (ص) اختلّفت كلمة بنى تميم في ارسال -
الصدقات الى ابي بكر فتشاغلت تميم بعضها ببعض . وبينما الناس ببلاد تميم ، مسلمهم
بأزاء من اراد الرّدة وارتاب ، اذجائتهم سجاح بنت الحارث بن سويد بن عققا من
بنى تميم وادعت النبوة فأتاهم امرا عظم ممّاهم فيه ، لاختلافهم والتشاغل بما بينهم . وكانت
سجاح تريد غزو ابي بكر . فأرسلت الى مالك بن نويرة تطلب الموادعة فاجابها وردّها
عن غزوها وحملها على احياء من بنى تميم . . .

ثمّ خرجت سجاح في الجنود وقصدت اليمامة وسجعت بقولها :

« عليكم باليمامة ، ودفّوا ديف الحمّامة ، فأنتها غزوة صرامة ، لا يلحقكم
بعدها ملامة » .

فبلغ ذلك مسيلمة فخاف واهدى لها ، ثمّ استأمنها على نفسه ، حتّى ياتيها ، فأمنته .
فجائها في اربعين من بنى حنيفة (وكانت راسخة في علم النصرانية) فقال مسيلمة :
« لنا نصف الأرض وكان لقريش نصفها ، لو عدّكّت ! ، وقدر دالله عليك نصف -
الذى ردت قريش ، فحباك به وكان لها لو قبلت » .

١ - التديف بالبدال المهملة ، وبالذال المعجمة لغة هوتحريك الطائر جناحيه ليطيّر .

يقال اذا اسرع مشياً ورجلاه على الارض ثم يستقل طيرانا » .

خروج سجاح
بقصد اليمامة
في جنودها
وسجعتها لذلك

(وفي الطبري) :

« فقالت : لا يردّ النصف الا من جنف فاحمِلِ النصف الى خيل تراها

كالسَهْفِ » .

فقال مسيلمة :

« سمع الله لمن سَمِعَ ، واطعمه بالخير اذ طَمِعَ ، ولا زال امره في كل ما سرّ

نفسه يجتمع . راكم ربكم فحيّاكم ، ومن وحشة خستلاكم ، ويوم دينه انجاكم ، فاحياكم » .

كان ممّا شرع مسيلمة لهم .

انّ من اصاب ولداً ذكراً لا يأتى النساء حتى يموت ذلك الولد ! فيطلب الولد

حتى يصيب ابناً ثم يُمسك !

وفي كيفية ملاقاتهما حكاية فكاهية مشهورة ، تكون آثار الوضع على صياغتها -

المنقولة لاثحة ، نقلها هنا وهي كما حكيت في تاريخ الطبري والكمال بهذه الصورة :

لما نزل مسيلمة عندها وقال لها : ابعدي اصحابك . ففعلت ، وقد ضرب لها

قبةً وجمرها فتدكر بطيب الريح ، الجماع .

واجتمع بها .

فقالت له : ما اوحى اليك ربك ؟

فقال : « اتمّ تر ربك كيف فعل بالحُبلى ؟ اخرج منها نسمة تسعى بين

صفاقٍ وحشى » .

قالت : وماذا ايضاً ؟

قال : « ان الله خلقت للنساء افراجاً ! وجعل لهنّ ازواجاً فنولج فيهنّ ايلاجاً .

ثمّ نخرجها اذا نشاء اخراجاً ! فيستجِنّ لنا سخالاً اتاجاً ! » .

قالت : اشهد انك نبي !

قال : « هل لك ان اتزوجك واكل بقومي وقومك العرب ! » .

قالت : نعم .

قال :

من اجتماع مسيلمة
ومشروعاه

اجتماع سجاح
ومسيلمة
ومكالمتها التي
انجرت الى ما
انجرت

« أَلَا قَوْمِي إِلَى النَّيْكِثِ فَقَدَّ هَيْبِي لَكِيثِ الْمَضْجَعِ
فَأَنْ شِئْتِ فِي بَيْتِ وَأَنْ شِئْتِ فِي الْمَخْدَعِ
وَأَنْ شِئْتِ سَلَقْنَاكَ وَأَنْ شِئْتِ عَلَيَّ أَرْبَعِ
وَأَنْ شِئْتِ بِشُلُثَيْهِ وَأَنْ شِئْتِ بِهِ أَجْمَعِ
قالت : « بل به اجمع ، فأنته للشمل اجمع ! »
قال : بذلك أوحى إلي !!

٢٥٦- موادة سجاح و مسيلمه و مسالمتها

وضع مسيلمه
صلوكن ما
جاه
في الاسلام

وكيف كانت هذه الواقعة ، قالوا :

فأقامت عنده ثلاثاً ثم انصرفت الى قومها .

فقالوا لها : ما عندك ؟

« قالت : كان على الحق ! فتبعته و تزوجته .

ثم راجعت مسيلمه تطلب الصداق منها ، لما سئل قومها عن صداقها .

فقال : لمؤذنها ناد في اصحابك : « ان مسيلمه رسول الله قد وضع صلاتين

مما جاتكم به محمد : صلوة الفجر و صلوة العشاء الآخرة » فانصرفت معها اصحابها

منهم عطارد بن حاجب الذي قال في حقها :

« أَمْسَتْ نَبِيَّتُنَا أَنْشَى نَطُوفُ بِهَا

وَاصْبَحَتْ أَنْبِيَاءُ النَّاسِ ذُكْرَانَا

وصالحها مسيلمه على غلات اليمامة سنة ، تاخذ النصف و تترك عنده من يأخذ

النصف الآخر فأخذت النصف وانصرفت الى الجزيرة .

فلم تزل سجاح في تغلب حتى نقلهم معاوية عام المجاعة (في زمانه) و جاءت

معهم و حسن اسلامهم و اسلامها ، وانتقلت الى البصرة ، وماتت بها و صلتى عليها سمرة بن -

جندب ، وهو على البصرة لمعاوية .

و في كتاب « البدء والتاريخ » المنسوب الى ابي زيد احمد بن سهل البلخي^١ (المجلد الثاني - الصفحة ال ١٦٥-) بعد نقل قول سجاح في جواب مسيلمة : « بل به اجمع فهو للشمل اجمع و بعد نقل قولها : « واجدران ينفع ! » و بعد ان قال : « فتزوجها و اقامت عنده ثلاثا و اصدقها ترك صلواتي الفجر والعشاء الآخرة » ورد هذا المشروع لسجاح :

« ورخصت سجاح للمرأة في زوجين ! على النصف مما للرجل ! »

ترخيص سجاح
للرأة في زوجين

٢٥٧- تنبؤ مسيلمة و عاقبة امره

في السنة العاشرة من الهجرة، التي قدمت وفود العرب على رسول الله (ص) فيها، قدم وفد بني حنيفة عليه، و فيهم مسيلمة، الذي اشتهر بالكذاب، و اجتمع مسيلمة برسول الله (ص) ثم عاد الى اليمامة و تنبأ و تكذب لهم و ادعى انه شريك رسول الله في النبوة فاتبعه بنو حنيفة^٢.

١- في «معجم الادباء» للحموي، :

احمد بن سهل البلخي ابوزيد : كان فاضلا، قائما بجميع العاوم القديمة والحديثة، يسلك في مصنفاته طريقة الفلاسفة، الا انه باهل الادب اشبه... وقد وصفه ابو حيان في كتابه، في تقرير الجاحظ، بوصف ذكرته في اخبار ابي حنيفة احمد بن داود... مات في سنة اثنتين وعشرين و ثلاثمائة... عن سبع او ثمان و ثمانين سنة «
و ذكر الحموي في ترجمة ابي حنيفة احمد بن داود الدينوري فقلا عن كتاب «تقرير الجاحظ» لابي حيان انه قال :

« اني لم اجد في جميع من تقدم و تأخر ثلاثة لو اجتمع الثقلان على تقريرهم ومدحهم و نشر فضائلهم في اخلاقهم و علمهم و مصنفاتهم و رسائلهم مدى الدنيا الى ان ياذن الله بزوالها، لما بلغوا آخر ما يستحقه كل واحد منهم. احدهم... عمرو بن بحر (يعنى الجاحظ) و الثاني ابو حنيفة احمد بن داود الدينوري... و الثالث ابوزيد احمد بن سهل- البلخي قاله لم يتقدم له شبيه في العصر الاول ولا يظن انه يوجد له نظير في مستأنف الدهر. و من تصفح كلامه في كتاب اقسام العلوم وفي... علم انه بحر الجور و انه عالم العلماء و ما ربي في الناس من جمع بين الحكمة و الشريعة سواه... ».

٢- المجلد الثاني من الكامل - الصفحة ال ٢٠٣.

توجيه ابي بكر
خالد بن الوليد
الى مسيلمة

فلما مات النبي ارسل ابوبكر ، عِكْرِمَةَ بن ابي جهل في عسكر الى مسيلمة و اتبعه شرحبيل بن حسنة فعجل عِكْرِمَةَ ، ليذهب بصوتها ، فواقعهم فنكبوه ، و اقام شرحبيل بالبطر حين ادركه الخبر ، و وجه ابوبكر ، خالداً ، بعد قبوله اعتذاره عن قضية مالِك بن نويرة و رضائه عنه ، الى مسيلمة . و بنو حنيفة يومئذ كثيرون و كانت عدتهم اربعين الف مقاتل . و عجل شرحبيل بن حسنة ، كما فعل عِكْرِمَةَ ، و بادر خالداً بقتال مسيلمة فنكب . فلما قدم عليه خالد لامة على تعجيله .

وكان مع مسيلمة نهار الرَّجَال^١ (بفتح الراء و تشديد الجيم) بن عسفوة و كان قد هاجر الى النبي (ص) و قرأ القرآن و فقه في الدين و بعثه النبي (ص) معلماً لأهل اليمامة ، و ليشغب على مسيلمة ، فكان اعظم فتنه على بنى حنيفة من مسيلمة ، شهدله انه سمع محمداً (ص) يقول: ان مسيلمة قد اشرك معه . فصدقه ، واستجابوا له ، و كان مسيلمة ينتهي الى امره .

وكان يؤذن له عبد الله بن النواجه و يقيم له حُجَيْر بن عمير فكان حُجَيْر يقول: اشهد ان مسيلمة يزعم انه رسول الله فقال له مسيلمة : « افسح حُجَيْر فليس في المسجحة خير » وهو اول من قالها .

ومما جاء به و ادعى انه وحى قوله :

« يا ضفدع بنت ضفدع نقى ما تنقين . اعلاك في الماء و اسفلك في الطين
لا الشارب تمنعين ولا الماء تكدرين » وايضا قوله :

« والمبديات ذرعاً . والحاصدات حصداً . و الذاريات قمحاً . و الطاحنات
طاحناتاً . و الخابزات خبزاً . و الثارادات ثرداً . و التلاجمات لقماً . ا هالة و سمناً
لقد فضلتكم على اهل الوبر و ماسبقكم اهل المدر ، ريفسكم فامنعوه و المعتر فاؤوه و الباغى
فناؤوه » .

١- قال الشاعر في :

طال ليلى بفتنة الرجال
سر عليكم كفتنة الدجال

« يا سعاد الفؤاد بنت اثال
انها ياسعاد من حدث الدهـ

وَاتَتْهُ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ : انّ نَحْلَنَا لَسَحِيقٌ وَاِنَّ آبَارَنَا لَسَجْرُزٌ فَادْعِ اللَّهَ لِمَا نَا
و نَحْلَنَا كَمَا دَعَا مُحَمَّدٌ لِأَهْلِ هَزَمَانَ .

فَسَأَلَ مَسِيلِمَةَ ، نَهَاراً عَنْ ذَلِكَ فَذَكَرَ انّ النَّبِيَّ دَعَاهُمْ وَاخَذَ مِنْ مَاءِ آبَارِهِمْ
فَتَمَضَّمُضٌ مِنْهُ وَمَجَّهَ فِي الْآبَارِ فَفَاضَتْ مَاءً وَاَنْجَبَتْ كُلُّ نَخْلَةٍ وَاَطْلَعَتْ فَسِيلَا
قَصِيراً مَكْمَماً .

فَفَعَلَ مَسِيلِمَةُ ذَلِكَ فَغَارَ مَاءُ الْآبَارِ ! وَاَبْسَ النَّخْلُ ! وَاِنَّمَا ظَهَرَ ذَلِكَ بَعْدَ
مَهْلِكِهِ ١ .

وَلَمَّا بَلَغَ مَسِيلِمَةُ دَنُوَ خَالِدٍ مِنْهُ ضَرْبَ عَسْكَرِهِ بِعَقْرِبَاءٍ وَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّاسُ . فَقَالَ
شُرْحَيْبِيلُ بْنُ مَسِيلِمَةَ : يَا بَنِي حَنْظَلَةَ قَاتِلُوا فَأَنَّ الْيَوْمَ يَوْمَ الْغِيْرَةِ ، فَقَاتَلُوا عَنْ أَحْسَابِكُمْ
وَامْنَعُوا نِسَائِكُمْ .

فَاقْتَلُوا بِعَقْرِبَاءٍ وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيَ الْمُسْلِمِينَ نَهَارَ الرَّجَالِ بْنِ عُنُقْفُوَةَ فَقَتَلَهُ
زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ وَلَمْ يَلْتَقِ الْمُسْلِمُونَ حَرْباً مِثْلَهَا قَطً .

وَانْهَزَمَ الْمُسْلِمُونَ وَزَالَ خَالِدٌ عَنِ الْفُسْطَاطِ وَدَخَلَ بَنُو حَنْظَلَةَ فُسْطَاطَهُ وَقَطَعُوا -
الْفُسْطَاطَ . ثُمَّ انّ الْمُسْلِمِينَ تَدَاعَوْا فَقَالَ زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ :

«وَاللَّهِ لَا اتَّكَلَّمُ الْيَوْمَ حَتَّى نَهْزِمَهُمْ أَوْ أُقْتَلَ فَأَكَلَّمَهُ بِحُجَّتِي ، غَضُّوا أَبْصَارَكُمْ
وَغَضُّوا عَلَيَّ أَضْرَاسَكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ ! وَاضْرِبُوا فِي عَدُوِّكُمْ وَامضُوا قُدُماً .

قتال المسلمين
ومسيلمه وهدته

وَقَالَ أَبُو حَنْظَلَةَ : يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِالْفِعَالِ . وَحَمَلَ خَالِدٌ فِي النَّاسِ
حَتَّى رَدَّوهُمْ إِلَى ابْعَدِ مِمَّا كَانُوا . فَمَارَوْى يَوْمَ كَانَ اعْظَمَ نَكَايَةً مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَثَبَتَ
مَسِيلِمَةَ .

١- توجه الناظر الى حال هؤلاء الكذبة واحكامهم وكلماتهم وفعالهم، يرشده الى
كون الفرقان بين الحق والباطل والرشد والغى والهداية والضلالة والتقليد والاصالة
بيناً جلياً لمن اراد الحق وطلب الرشد والتمس الهداية وميز بين المحاكاة والتقليد وبين-
الابداع والتأسيس ، فيعلم ان لكل حقيقة نور ولكل باطل جولة .

ودعا خالد، مسيلمة فأجابه فعرض عليه اشياء مما يشتهي مسيلمة، فكان اذا همَّ بجوابه اعرض بوجهه ليستشير شيطانه فينهاه ان يقبل، فأعرض بوجهه مرةً وركبه خالد وارهمه فأدبر، وزال اصحابه فركبهم المسلمون، فأنهزموا ودخلوا الحديقة واغلقوا عليهم بابها .

٢٥٨- قصّة براء بن مالك

كان البراء بن مالك، وهو اخو اسد بن مالك، (كما في الكامل، وفي الطبري: انس بن مالك) اذا حضر الحرب اخذته رعدة حتى يقعد عليه الرجال ثم يبول فأذابال، ثار كما يشور الأسد . فأصابه ذلك فلماً بال ، وثب وقال :

الى آيتها الناس انا البراء بن مالك، الى ، الى . وقاتل قتالا شديداً فلماً دخلت بنوحيفة ، الحديقة قال البراء :

يا معشر المسلمين القووني عليهم في الحديقة .

فقالوا : لانفعل .

فقال : والله لتطرحنني عليهم بها .

فاحتُمِل حتى أشرف على الجدار فاقتحمها عليهم ! وقاتل على الباب ! وفتحها للمسلمين ! ودخلوها عليهم ، فاقتلوا اشدّ قتال ، وكثر القتلى في الفريقين ، لاسيما في بني حنيفة ، فلم يزالوا كذلك حتى قُتل مسيلمة^١ . و اشتراك في قتله وحشى مولى جبير بن مطعيم ورجل من الأنصار فصرخ رجل : قتله العبد الأسود . فولت بنوحيفة عند قتله منهزمة ، واخذهم السيف من كل جانب .

قُتل من بني حنيفة في هذه الواقعة سبعة آلاف بعقرباء ومثلها بالحديقة ونحو

١- في كتاب البدء والتاريخ: «... وقتلوا مسيلمة وكان رويجلا، اصيغر، اخينس .

شرك في قتله وحشى و عبد الله بن زيد فمر به رجل وقال : اشهدانك نبي ولكنك شقي» .

منها في الطلب، وقد قُتل من المهاجرين والأنصار من اهل قسبة المدينة يومئذ ثلاثمائة وستون، ومن المهاجرين من غير المدينة ثلاثمائة رجل .
هكذا انتهت قضايا المتنبئة في عهد ابي بكر ولم تقم لأحد قائمة التنبؤ بعد هؤلاء بل لم تحدث هذه الأحداث الا كذوبة بعد ذلك حتى اوائل عهد الخلفاء العباسية ولا سيما من زمن المأمون .

٢٥٩ - الثاني - المتسمون بعنوان اهل الردة

قد علمت ان ابا بكر واجه في اول خلافته فريقين على الخلاف احدهما المتنبئون وقد مرّ الكلام فيهم و ثانيهما اهل الردة فليعطف الكلام اليهم :
ذكر المؤرخون تحت عنوان « اخبار الردة » ردة طوائف ارتدت، على ما ذكروا، بعد رسول الله (ص) من بنى عامر ، وهو ازن ، وسليم ، و بنى تميم ، و بنى حنيفة ، و اهل البحرين ، و اهل عمان ، و مهرة ، و اليمن ، و حضرموت ، و كندة و غيرها لانطيل بذكرها، و لكنه هناك واقعة حدثت قبلها و بعدها ، اختلافات و اعتراضات و اعتذارات ينبغي ان تذكر .
وردت هذه الواقعة في كتب التاريخ المعتمدة ، مفصلة او مجملة ، ونحن نقلها هنا من تاريخ الطبري ومن « الكامل » لابن الأثير و هي واقعة بنى يربوع و قتل سيدها و رئيسها ، مالك بن نويرة و هو الذي سار في حقه هذا المثل المشهور « فتى ولا مالك و مرعى ولا كالسعدان » .
و خلاصة تلك الواقعة على ما في الكتابين :
انه لما فرغ خالد من امر فزارة ، و غطفان ، و اسد ، و طي ، سار يريد البطح (كغراب - منزل لبني يربوع -) و بها مالك بن نويرة فتخلفت الأنصار عن خالد و قالوا :

تخلف الانصار
عن خالد

ما هذا بعهد الخليفة الينا ، ان الخليفة عهد الينا ان نجن فرغنا من بزاحة ان نقيم حتى يكتب الينا .

فقال خالد : قد عهد اليّ ان امّضى وانا الامير ولو ابتئينا بأمر ليس فيه عهد لم نَدَعُ ان نرى افضل ما يحضرنا ، وهذا مالك بن نويرة بحيلنا فأتى قاصداً اليه ومن معي من المهاجرين .

مضى خالد وندمت الأنصار فلحقوه . ثم سار حتى قدم البطح فلم يجد بها احداً . وكان مالك بن نويرة قد فرّقهم ونهيههم عن الاجتماع وقال : « يا بني يربوع انا دُعينا الى هذا الأمر فأبطأنا عنه فلم نفلح ففترّقوا وادخلوا في هذا الأمر » ففترّقوا على ذلك .

ولمّا قدم الخالد ، البطح بثّ السرايا وامرهم بقتل من امتنع الى داعية الاسلام وكان قد اوصاهم ابوبكر : ان يؤذّنوا اذا نزلوا منزلاً فان اذّن القوم فكفّوا عنهم وان لم يؤذّنوا فاقتلوا وانهبوا ، وان اجابوكم الى داعية الاسلام فاسئلوهم عن الزكوة فان اقرّوا فاقبلوا منهم وان آبوا فقاتلوهم .

فجاءت الخيل بمالك بن نويرة في نفرٍ معه من بني ثعلبة بنى يربوع الى خالد فاختلفت السريّة فكان ابو قتادة الأنصاري ، الصحابي البدرى ، فيهم وكان ممن اذنوا و اقاموا وشهد انهم قد اذنوا و اقاموا وصلّوا .

فامر خالد بحبس مالك ومن معه ، وكانت الليّلة باردة لاتقوم لها شيء . فنادى منادٍ بأمر خالد : انّ دافئوا أسراكم ، وهى فى لغة كنانة ، القتل . فظنّ القوم انه اراد القتل ، ولم يرد آلا الدفك فقتلوهم . قتل ضرار بن الأزور- الأسدى مالكا .

١- قال الطبرى : وكان الذى قتل مالك بن نويرة عبد بن الأزور الاسدى وقال ابن الكلبي : الذى قتل مالكا هو ضرار بن الأزور الاسدى .

ذكر ابن الاثير فى من «قتل باليمامة شهيدا من الصحابة» ضرار الاسدى فقال : «... و ضرار بن الأزور وهو الذى قتل مالك بن نويرة باسر خالد» والظاهر من هذه العبارة ، كما هو المصرح به فى مواضع اخرى : ان خالد اسر بقتل مالك . والمعجب من هذا العلامة ، كبعض آخر ، كيف علم سر خالد فى قوله المخلّط له «دافئوا أسراكم» ←

شهادة ابي قتادة
بان مالك وقومه
اذنوا و اقاموا
وصلوا

وسمع خالد الواعية فقال : اذا اراد الله امرأ اصابه .

فقال ابوقتادة ' هذا عملك ! فزبره خالد . فغضب ومضى حتى اتى ابابكر فغضب ابوبكر حتى كلمه عمر فيه فلم يرض الا ان يرجع اليه ، فرجع اليه حتى قدم معه المدينة .

وتزوج خالد ، ام تميم امرأة مالك (نقل فريديجدي في كتابه «دائرة المعارف» - ذيل كلمة مالك - : «ان خالداً كان يهوى امرأة مالك في الجاهلية»)

فقال عمر : لابي بكر : ان سيف خالد فيه رهق . واكثر عليه في ذلك .

فقال : هيبه يا عمر ! تسأل فآخطأ ، فارقع لسانك عن خالد فأتى لا اشيم سيفاً سله الله على الكافرين « وودي مالكا . وكتب الى خالد ان يقدم عليه ففعل ودخل المسجد وعليه قباء له ، عليه صدء الحديد وقد غرز في عمامته اسهما .

فقام اليه عمر فنزعها وحطمها وقال له :

« آراءء ؟ ! قتلت امرءاً مسلماً ثم نزوت على امرئته . والله لا رجمتك

باحجارك » وخالد لا يكلّمه ، يظن ان راى ابي بكر مثله ، ودخل على ابي بكر فاخبره . الخبر ، واعتذر اليه . فعذره وتجاوز عنه وعتفه في التزويج ، الذي كانت عليه العرب من كراهته ايام الحرب .

حلف عمر
برجم خالد

→ حتى حكم باتاً بأنه «لم يرد الالدك» ، ولم يعرف مراده اتباعه بل ولم يشكوا فيه فلم يرجعوا اليه واقدموا بقتل من قتلوه من المسلمين المصلين ؟ اللهم الا ان يقال : كان هناك قرينة و هي ارادة نزوه على امرأة مالك لدفتها في تلك الليلة الباردة ! واحتياجهم الى اخذ رؤس المقتولين اثنية !! ففى الطبرى (الجزء الثانى - الصفحة ال ٥٠٣) مسنداً عن سويد : « كان مالك بن نويرة من اكثر الناس شعراً و ان اهل العسكر انثفوا برؤسهم - القدور ! فما منهم الا وصلت النار الى بشرته ما خلا مالكا فان القدر نضجت وما نضج رأسه من كثرة شعره ! ! . . . » وكانهم اخذوا بالاحوط فعملوا بمفاد معنى الدفك كليهما - فقتلوا ثم ادثفوا بالاثنية ! .

٢- «يقال لابي قتادة : فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم . وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : «خير فرساننا ابوقتادة» (الاستيعاب) .

فخرج خالد، وعمر جالس فقال: هلم يا ابن ام سلمة^١. فعرف عمر ان ابي بكر قد رضى عنه فلم يكلمه.

٢٦٠- كلام ابي قتادة في واقعة قتل مالك

قال الطبري في «التاريخ» (الجزء الثاني - الصفحة ال ٥٠٣ -) بأسناده: «وكان ممن شهد لمالك بالاسلام ابوقتادة، الحارث بن ربيعي، اخو بني سلمة وقد كان عاهد الله ان لا يشهد مع خالد بن الوليد حرباً ابداً بعدها، وكان يحدث: انهم لما غشوا القوم راعوهم تحت الليل فأخذ القوم، السلاح.

قال: فقلنا:

«اننا المسلمون:

«فقالوا:

«ونحن المسلمون.

«قلنا: فما بال السلاح معكم؟

«قالوا لنا:

«فما بال السلاح معكم؟

«قلنا: «فان كنتم كما تقولون فضعوا السلاح».

قال: «فوضعوها.

«ثم صلتينا و صلوا.

«وكان خالد يعتذر في قتله انه قال: ما اخال صاحبكم^٢ الا قال: كذا وكذا:

١- هكذا في «الكامل». وفي الطبري (يا ابن ام شملة)

٢- كان خالد نسي ان مالك حين تجاوله معه بالكلام صرح بقوله: «انا على-

الاسلام» وكيف كان فليس مراد مالك من لفظ «الصاحب» في تلك المجاورة الا ابا بكر وذلك ظاهر لا ريب فيه. اوليس في تلك المجاورة، قول مالك لخالد: «او بذلك»

فقال له : **اَوَ ماتعدّه لك صاحباً؟** ثمّ قدّمه فضرب عنقه و اعناق اصحابه .
 « **وقدم متمّم بن نويرة على ابي بكر يطلب بدم اخيه و يسأله ان يردّ عليهم سييهم**
فامر ابو بكر بردّ السبى^١ و ودى مالكا من بيت المال . »
 وفي «**الوفيات**» لابن خلّكان نقلاً عن وثيمة في كتابه (وفي غيره عن غيره ايضاً)
 « . . . فقال له خالد : **أما علمت انّ الصلوة و الزكوة معالاً تقبل واحدة**
دون اخرى؟ »

فقال مالك : **قد كان صاحبك يقول ذلك . قال خالد : اَوَ ماتراه لك صاحباً؟**
 ثمّ تجاوزوا بالكلام طويلاً .
 « **فقال له خالد : انسى قاتلك .** »
 « **قال : اَوَ بذلك امرك صاحبك؟** »
 « **قال : وهذه بعد تلك والله لاقتلتك** »
 وفيه ايضاً (في ترجمة ابي يزيد وثيمة بن موسى الوشاء) :

→ **امرک صاحبک؟** « صريحا في ان مراده «من صاحبك» **ابو بكر .**
 وان كنت في ذكر سما جرى بين **ابي بكر** و عمر في اول خلافته و عزسه على قتال
 مانعي الزكوة ، بعنوان الردة ، حين ناظره عمر بقوله :
 « **كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله (ص) « امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا :**
لااله الا الله فمن قال : لااله الا الله عصم مني ماله و دمه؟ »
 فقال ابو بكر : « **والله لاقاتلن من فرق بين الصلوة و الزكوة . . .** » **تتعجب من ابن -**
ابي الحديد و بعضهم حيث زعموا و توهموا ، بل اوهموا ، ان المراد من لفظة «صاحبك»
 هو النبي و جعلوا ذلك عذراً لخالد في قتله **مالكاً** و تغافلوا عن قول خالد له **اولاً « اما علمت**
ان الصلوة و الزكوة معا . . . » و عن قول **مالك** اخيراً « **او بذلك امرك صاحبك** »

١- قال ابن ابي الحديد في شرحه (المجلد الاول - الصفحة ال ٢٧٢-) « . . . واما
 استرقاق ابي بكر بن ابي قحافة لاهل الردة و سبي ذراريهم فان صح ، كان مخالفاً لما
 يقول الفقهاء من تحريم استرقاق المرتدين الا ان يقولوا : انه لم يسب المرتدين و انما
 سبى من ساعدتهم و اعانهم في الحرب من المشركين الاصليين . وفي هذا الموضع نظر »

«... و صَنَّفَ كتاباً في اخبار الرِّدَّة . . . وهو كتاب جيِّد . . . و قد تقدَّم في ترجمة ابي عبدالله محمد الواقدي انه صَنَّفَ في الرِّدَّة كتاباً ايضاً ، اجاد فيه . . . «ومات (يعنى وثيمة) يوم الاثنين لعشر خلون من جُمادى الأولى سنة سبع وثلاثين و مأتين (٢٣٧ هـ . ق) .

ثم سرد ابن خلدان واقعة قتل مالك بأمر خالد من كتاب وثيمة وكتاب الواقدي ونقل في ماسرد من تجاؤل خالد و مالك بالكلام و قول خالد له : « والله لاقتلتك » انه « وكان عبدالله بن عمر و ابو قتادة الأنصاري حاضرين فكلمَّا خالداً في امره فكره كلامهما » .

« فقال مالك يا خالد ابعثنا الى ابي بكر فيكون هو الذي يحكم فينا فقد بعثت اليه غيرنا ممن جرمه اكبر من جرمنا .

« فقال خالد : لا اقاتلني الله ان لم اقتلك . و تقدم الى ضرار بن الأزور الاسدي بضرب عنقه .

« فالتفت مالك الى زوجته ، ام متمع وقال لخالد : هذه التي قتلتني ، وكانت في غاية الجمال .

« فقال له خالد : بل الله قتلك برجوعك عن الاسلام .

« فقال مالك : انا على الاسلام .

« فقال خالد يا ضرار اضرب عنقه . فضرب عنقه وجعل رأسه اُثْفِيَّةً لِقَدِيرٍ وكان من اكثر الناس شعراً . . . »

قال العلامة المعاصر السيد شرف الدين العاملي (ره) في كتابه القِيَمَ و الفصول - المهمة « (الصفحة ال ٥٠) .

« . . . وهذا ابوسليمان ، خالد بن الوليد المخزومي ، قتل مالك بن نويرة . . . التميمي ونكح زوجته ام تميم بنت المنهال وكانت من اجمل النساء : ثم رجع الى - المدينة و قد غرز في عمامته اسنهماً فقام اليه عمر فنزعها و حطمها و قال له (كما في تاريخ ابن الأثير وغيره) : قتلت امرءً مسلماً و نزوت على امرئته والله لأرجمك باحجارك .

«ثم قال لابي بكر انّ خالداً قد زنى فأرجمه .

«قال : ما كنت لأرجمه فانه تأول فأخطأ .

«قال : قتل مسلماً فاقتله به .

«قال : ما كنت .

«فلما أكثر عليه^١ «قال : ما كنت لأشيعم سيفاً سلّه الله ، تعالى ، وودى مالكا

من بيت المال و فكك الأسرى والسبأيا من آله .

« و هذه الواقعة من المسلمات . . . و قد ذكرها محمد بن جرير الطبري في

تاريخه و ابن الأثير في كامله و وثيمة بن موسى بن الفرات و الواقدي في كتابيهما

و سيف بن عمر في كتاب الردّة و الفتوح و الزبير بن بكار في الموققيات و ثابت بن في-

الدلائل و ابن حجر العسقلاني في ترجمة مالك من احصائه ، و ابن الشحنة في روضة -

المناظر و ابوالفداء في المختصر و خلق كثير من المتقدمين و المتأخرين . »

٢٦١- اشارة الى بعض المطاعن في قضية خالد

و في هذه الواقعة موارد فتحت بها باب الردّ و الطعن :

منها قتل خالد بن الوليد ، مالك بن نويرة الذي فرق قومه و نصحهم بالدخول

في « هذا الامر »^٢ و وضع هو ، و قومه ، السلاح و قالوا : « نحن مسلمون » و اذنوا

و صلّوا مع القوم بصلواتهم .

و منها « نزو » خالد على امّ تميم امرأة المسلم المقتول ، ليلته !

و منها قول ابي بكر لعمر (رض) : « هيبه يا عمر ، تأول فأخطأ » .

فيقال : فيم تأول خالد ؟ افي قتل المسلم المصلّي ، مالك ؟ ام في « نزوه »

على زوجته عقيب قتله ؟ و ما وجه التساويل فيهما ؟

١- يعني قال له كثيراً (كما في المنقول عن وثيمة و الواقدي) و الح عليه : « فاعزله »

فقال ابو بكر : « ما كنت لاشيعم . . . »

٢- و عدم مطاوعته لسجاح في طلبها المودعة عنه كما دريت من ذي قبل .

ومنها قول الخليفة لعمر ايضا «فأنسى لاشيم سيفاً سلّته الله على الكافرين» فيقال : لو كان مالك من الكافرين ، بزعمه ، فلم وديه ؟ و ان كان من المسلمين فماذا اراد - الخليفة (رض) بقوله «سلّته الله على الكافرين» ؟ ثم ان كان مراده «من الكافرين» غير مالك المسلم واصحابه المسلمين فماذا التذى اباح لخالد ان يقتل هؤلاء المصلّين غرورا ، ويجعل دَمَهُمْ مَهْدُوراً ، ورؤسهم انا فى اللقدور ، ونساؤهم سبايا مهتوكة الستور؟ ومنها قول عمر (رض) لخالد^١ : «قتلت مسلماً ثم تزوت على امرأته ! والله لأرجمنك باحجارك» فيقال : لماذا لم يرجمه عمر بأحجاره حين قدر عليه فى خلافته او لِمَ لم يقتله بقتله المسلم !!؟

نعم عزل عمر ، خالداً عن الأمانة سنة سبع عشر من الهجرة اى بعد سنوات مضت من خلافته ، صاغراً ذليلاً فقد امر ابا عبيدة « بان يقيم خالداً ويعقله بعمامة و ينزع قلنسوته ... » وذلك فى ملائم الناس وصادراً امواله و لكنّه كأنه نسي حلقه - المؤكّد على رجمه ! »

٢٦٢ - سبب عزل عمر ، خالداً عن الامارة

قال ابن الأثير فى «الكامل» (الجزء الثانى - الصفحة ال ٣٧٥ -) ما ملخصه
بعين عبارته :

« و سبب ذلك (يعنى عزل خالداً) انه كان اَدْرَبَ^٢ و عياض بن تميم فأصابا اموالاً عظيمة و بلغ الناس ما اصاب خالداً فانتجعه رجال من اهل الآفاق فكان الأشعث - بن قيس ممن انتجع خالد بقتسرين فأجازة بعشرة الآف .

« ودخل خالد ، الحمام فتدلّكك بغسل فيه خمر فكتب اليه عمر :

١- و قوله لابي بكر (رض) : « ان خالداً قد زنى فارجمه » كما نقل آنفاً عن وثيمة

بن موسى .

٢- « ادرب القوم : اذا دخلوا ارض العدو من بلاد الروم »

(صحيح اللغة)

تدلّك خالد
فى الحمام بغسل
فيه خمر
ونهى عمر عنه
وتعبيره اياه

«بلغنى انتك تدلكت بخمر و ان الله قد حرم ظاهر الخمر و باطنه و قد حرم
مَسَّهَا فلا تمسوها اجسادكم و ان فعلتم فلا تعودوا .

«فكتب اليه خالد : انا قتلناها فعادت غسلًا غير خمر !!

«فكتب اليه عمر : ان آل المغيرة ابتلوا بالجفاء ، فلا آماكم الله عليه .

«فلما فرق خالد فى منتجيه ، الأموال سمع بذلك عمر بن الخطاب ، فدعا

البريد و كتب معه الى ابى عبيدة ان يقيم خالدًا و يعقله بعمامته ، و ينزع عنه قلنسوته ،

حتى يُعلمكم من اين اجاز الأشعث : آمن ماله ام من مال اصابة اصابها ؟ فان زعم

انه فرقه من اصابة اصابها فقد اقر بخيانة ، و ان زعم انه من ماله فقد اسرف . و اعزله

على كل حال و اضمم اليك عمله .

« فكتب ابو عبيدة الى خالد فقدم عليه ، ثم جمع الناس و جلس لهم على المنبر ،

فسأل البريد خالدًا من اين اجاز الأشعث ؟ فلم يجبه ، و ابو عبيدة ساكت .

« فقام بلال و نزع عمامة خالد و وضع قلنسوته ، ثم اقامه فعقله بعمامته ، و قال :

من اين اجزت الأشعث ؟ فقال : من مالى . فأطلقه .

« و كتب عمر الى خالد ، بأقباله اليه . فلما قدم على عمر قال له عمر : من اين

هذا الثراء ؟ قال : من الأنفال و السهمن ، ما زاد على ستين ألفاً فدلكك .

« فقوم عمر ماله فزاد عشرين ألفاً فجعلها فى بيت المال :

« ثم قال : يا خالد والله انتك على لكريم و انتك الى لحبيب !

« و كتب الى الأمصار :

« انى لم اعزل خالدًا عن سخطه و لا خيانه و لكن الناس فخموه و فتمسوا به ،

فاحببت ان يعلموا ان الله هو الصانع . و عوضه عما اخذ عنه »

و قال الطبرى فى تاريخه : « لما قدم خالد على عمر قال عمر متمثلاً :

صنعت فلم يصنع كصنعك صانع

و ما يصنع الأقوم ، فالله يصنع ! »

نزع بلال الحبشى
عمامة خالد
و وضع قلنسوته
و عقله بعمامته
فقال الناس
بامر عمر

٢٦٣- كلام يورث العجب ، من الطّبري وابن الاثير

هكذا كان عاقبة امر خالد و سبب عزله ، و كفيته مصادرة امواله ، ثمّ التعويض عمّا اخذ عنه ! و لعلّه لا يكاد يُجمع بين عبارة « قتلت مسلماً ثمّ نزوت على امرأته ! والله لأرجمتهك بأحجارك » و عبارة « انّ خالداً قد زنى فارجمه » و بين عبارة « والله انتك علىّ لكريم ، و انتك الىّ لحبيب » اللّهمّ آلا بالأجتهد و التّأويل ! و ان كان خطأ .

و كيف كان ان تعجب فعجب قول العسّلامتين : الطّبري و ابن الاثير ، و غيرهما ، في قضية خالد و مالك : « و عنقه في التزويج الذي كانت تعيب عليه العرب » لأنهم نقلوا هذه الواقعة و عرفوا انّ طعن ابي بكر على خالد ، و تعنيفه اياه ، و حلف عمر على رجمه باحجاره ، كان لتزوّه على امرأة المسلم المصّلى المقتول بغير حقّ و كان كما صرح به عمر لابي بكر ، و رايته منقولاً عن ابن الاثير ، و غيره ، : « انّ خالداً قد زنى فارجمه » لهذا العمل لاعلى ما كانت تعيب عليه العرب و تكرهه و تعابره في الحرب ! .

٢٦٤- مالك و ميله

ولعلّه لأمثال هذه الأمور اعتقد بعضهم بأنّ مالكاً (و بعضاً آخر ممّن عدّ من اهل الرّدّة) كانت هويّتهم و ميلانهم الىّ عليّ و لم يكن لهم رضى بخلافة غيره و لذا آل امرهم الىّ ما آل .

قال الطّبري (في قضية طليحة - الجزء الثّاني - الصّفحة ال ٤٨٣-) :

« و قدّم عليهم (يعني علىّ طي) عدي ، فدعاهم . فقالوا :

« لانبايع ابا الفضيل ابدأ . . . »

وقال ايضا (في تلك الواقعة - الصفحة ال ٤٨٥-) :

«فتقول اسد و فزارة :

«لا والله لانبايع اباالفضيل ابداً . . .»

و في قضية مالك بن نويرة نفسها ايضا ما يرشد الى ذلك فانظر الى قوله :
«يابنى يربوع اتنا دُعينا الى هذا الأمر فابطأنا منه فلم نفلح . فنفترقوا وادخلوا في هذا الأمر»
ثم انظر الى اعتذار خالد في قتل مالك لقوله : « ما اخال صاحبكم الا قال . . . »
واعترض خالد عليه بقوله : « او ماتعدّه لك صاحبنا » فامرّه بقتله ! .

وقال عبدالله الليثي (على ما اسند الطبري عنه - الصفحة ال ٤٧٧) :

أَطَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَانَ بَيْنَنَا

فَيَا لَعِبَادُ اللَّهِ مَا لِأَبِي بَكْرٍ ؟

٢٦٥- تذييل - من هم اهل الردّة من الأصحاب ؟

وردت في صحيح البخاري (الجزء الثامن - باب في الحوض -) عدّة احاديث (مفادها الردّة و الأرتداد و الرجعة) يُناسب ان يُذكر هنا، وقد اختتم الكلام عن اهل الردّة . و في هذه الاحاديث ما يستوجب التدبّر و الاعتبار .

منها «وقال احمد بن شبيب بن سعيد الحبّطي حدثنا ابي عن . . . عن سعيد بن المسيّب عن ابي هريرة انه كان يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
« يَرِدُ عَلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِي فَيُحَلِّقُونَ^١ عَنْ -
الحوض » .

فاقول :

«ياربّ اصحابي» فيقول :

« اِنَّكَ لَا عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحَدَتُوا بَعْدَكَ . اِنَّهُمْ ارْتَدُّوا عَلَيَّ

على اذبارهم القهقري» وقال شعيب عن الزهري كان ابو هريرة يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم : « فيجلون » وقال عقيل : « فيحائون » (الصفحة ال ١٢٠).

ومنها « حدثني ابراهيم بن المنذر حدثنا . . . عن عطاء بن يسار عن ابي هريرة

عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال :

« بَيْتِنَا اَنَا قَائِمٌ اِذَا زُمِرَةٌ حَتَّى اِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِّنْ بَيْتِنِي وَبَيْتِهِمْ فَقَالَ : هَلُمَّ . فَقُلْتُ : اَيْنَ ؟ قَالَ : اِلَى النَّارِ وَاللَّهِ . قُلْتُ : مَا شَأْنُهُمْ ؟ » قَالَ : اِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَيَّ اَذْبَارِهِمُ الْقَهْقَرِيُّ . فَلَا اَرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ اِلَّا مِثْلَ هَمَلِ النَّعَمِ »^١ (الصفحة ال ١٢١) .

ومنها « وحدثني عمرو بن علي حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن المغيرة

قال : سمعت ابا وائل عن عبد الله ، رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

« اَنَا فَرَطُكُمْ^٢ عَلَى الْحَوْضِ وَلَيْسَ فَعَنَ رِجَالٌ مِنْكُمْ ثُمَّ لَيْسَ خَتَلَجُنَّ^٣ دُونِي .

فاقول : يَا رَبَّ اصْحَابِي .

فيقال : انك لا تدري ما احدثوا بعدك »^٤ . (الصفحة ال ١١٩)

ومنها « حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا عن انس عن النبي ، صلى الله -

عليه وسلم ، قال :

« لَيْسَ رِدْنٌ عَلَيَّ نَامِسٌ مِنْ اصْحَابِي الْحَوْضِ حَتَّى اَعْرِفْتُهُمْ ، اُخْتَلَجُوا

دُونِي . فاقول :

١ - « . . . والهمل بالتحريك : الابل بلا راع مثل النفس الا ان النفس لا يكون الا

ليلا ، والهمل يكون ليلا ونهارا . . . » (صحاح اللغة)

٢ - الفرط : المتقدم قومه على الماء .

٣ - « اختلج الشيء انتزعه » .

٤ - « . . . تابعه عاصم عن ابي وائل . وقال حصين عن ابي وائل عن حذيفة

عن النبي صلى الله عليه وسلم .

(صحيح بخارى)

« اصْحَابِي :

فيقول (فيقال خ. ل) :

« لَاتَدْرِي مَا أَحَدْتُوَا بَعْدَكَ » - الصفحة ال ١٢٠ - .

ومنها « حدثنا سعيد بن ابى مریم حدثنا ابو حازم عن سهل بن سعد

قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم :

« اِنِّي فَرَطْتُكُمْ عَلَيَّ الْحَوْضِ مِّنْ مَّرَّةٍ عَلَيَّ شَرِبَ وَمَنْ شَرِبَ لَمْ

يَظْمَأْ اِبْدَاءً. لِيَرِدَنَّ عَلَيَّ اَقْوَامٌ اَعْرَفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ » .

قال ابو حازم فسمعني النعمان ابن ابى عيشة فقال : هكذا سمعت من سهل ؟

فقلت : نعم . فقال : اشهد على ابى سعيد الخدرى لسمعته وهو يزيد فيها :

« فاقول : اِنَّهُمْ مِئِي . فَيُقَالُ : اِنَّكَ لَاتَدْرِي مَا أَحَدْتُوَا بَعْدَكَ .

« فاقول : سَحَقًا سَحَقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي » . (الصفحة ال ١٢٠)

ومنها « حدثنا سعيد بن ابى مریم عن نافع بن عمر قال : حدثني ابى مليكة

عن اسماء بنت ابى بكر (رضن) قالت : قال النبى صلى الله عليه وسلم :

« اِنِّي عَلَيَّ الْحَوْضِ حَتَّى اَنْظُرَ مِنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ وَسَيُؤَخِّدُ نَاسٌ

دُونِي فَاَقُولُ : يَا رَبِّ مِئِي وَمِنْ اُمَّتِي ؟ فيقال : هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوَا

بَعْدَكَ ؟ وَاللَّهِ مَا يَرْحُوَا يَرْجِعُونَ عَلَيَّ اَعْقَابِيهِمْ » .

« فكان ابو مليكة يقول : اللهم انا نعوذ بك ان نرجع على اعقابنا او نقتنن عن

ديننا »

هذه عدة روايات فى الصحيح البخارى لم يُصرِّح بمن اريد فيها من « اصحابى »^١

١ - روى « الفقيه المحدث الحافظ » ابن عبد البر المالكي بأسناده عن طرق عن

ام المؤمنين ، ام سلمة (ذيل ترجمة عبدالرحمن بن عوف) انها قالت : قال النبى ، ص ،

« ان من اصحابى من لا اراه ولا يرانى بعد ان اسوت اهدا » فبلغ ذلك عمر فاتها يشد

ويسرع فقال انشدك بالله ، انا منهم ؟ قالت : لا ولن ابرىء بعدك احداً ابداً . «

ولا من « ما احدثوا بعدك . . . » وبعيد غاية البعد ان يكون المراد منهم « اهل الردّة » ، بالمعنى المصطلح ، من البلاد البعيدة والطوائف الغريبة ، او الاشخاص المتولدة في الأزمنة المتتالية المتوالية ، لانهم لو فرض صدق عنوان « اصحابى » و « بعدك » وجملة « حتى عرفتهم » وامثالها (. . . اقوام اعرفهم ويعرفونى) عليهم ، لم يكونوا « احدثوا امرأ » بل كل ما وقع ، ان وقع ، منهم ، اى من اهل الردّة ، بالمعنى المعروف ، كان امتناعهم عن اداء الزكاة وهو امر عدمى لا يصدق عليه عنوان « احدثوا امرأ » و « سحقاً سحقاً لمن غير بعدى » ، الظاهر فى الأمر الوجودى .

ولعله يشير الى ذلك ما رواه البخارى فى آخر هذا الباب من صحيحه بأسناده « عن عُمَيْبَةَ ، رضى الله عنه » ان النبى صلى الله عليه وسلم قال على المنبر فى ما قال :
 « . . . وَاَنْتِ وَاللّٰهُ مَا اَخَافُ عَلَيْكُمْ اَنْ تُشْرِكُوْا بَعْدِيْ وَلَكِنِّيْ اَخَافُ عَلَيْكُمْ اَنْ تُنَافِسُوْا فِيْهَا » .

وكيف كان اذا كان « رهط من اصحاب » رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، « الذين يعرفهم ويعرفونه » و زمرة منهم « يُحَالِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ » و « يُحَلِّتُونَ عَنِ الْحَوْضِ » لانهم « احدثوا بعده » و « غيروا بعده » و « سحقاً سحقاً لمن غير بعده » فامثال هذه العبارة « اصحاب رسول الله (ص) عدول ولا ينتقص احداً منهم الا زنديق ! » و « عدالة الصحابة ثابتة معلومة . . . » ، ان اريد منها العموم والاستيعاب ، ما صدرت عن اصحابها الا ناشئة من التعصب والتجاهل والا فمن لا يدري ان فى الصحابة من اطلق لسانه ويده بل وسيفه على غيره من الاصحاب ، ولا اقل من ان انتقص منهم ؟ فكيف يحكم عليه بالزندقة . عصمنا الله من الجهل والعصبية .

٢٦٦ - ذيل التذييل

ومن طرق الشيعة ايضا وردت عدة احاديث تحت عنوان « الأرتداد » و « الردّة » بعد وفاة النبى (ص) .

وكيف كان فليس « الأرتداد » فى تلك الموارد بمعنى واحد فأنه فى بنى حنيفة

واضربهم، من اتباع المتنبيّة، يراد به « انكار الدين » والأعراض عنه وفي هذه الروايات
يحتمل ان يكون المراد منه « العصيان » والعود الى عادات الجاهليّة، من ارادة العلوّ
وحبّ الرئاسة والتنافس فيها .

قال الشيخ الطّبري في كتابه « مجمع البحرين » :

« والرّدّة بالكسر والتشديد، اسم من الارتداد . واصحاب الرّدّة على ما نقل،

كانوا صنفين : صنف ارتدوا عن الدين وكانوا طائفتين :

« احدهما اصحاب مسيلمة . والاخرى ارتدوا عن الاسلام وعادوا الى ما كانوا

عليه في الجاهليّة واتفقت الصحابة على قتالهم وسبيهم ، واستولد على منهم الحنفيّة .

« والصنف الثاني لم يرتدوا عن الايمان ولكن انكروا « فرض الزكاة » وزعموا

ان « خذ من أموالهم صدقة »^١ خطاب خاص بزمانه^٢ صلّى الله عليه -

وآله وسلّم . »

اصناف
اصحاب الردّة

٢٦٧ - ختام في شأن عليّ والحوض

ويناسب ان نذكر في ختام هذا الذّيل ما ورد في « الاستيعاب » وفي « الأصابة »

في شأن عليّ والحوض وهذه عين العبارة .

« وروى عن سلمان انه قال :

« اول هذه الأمة وروداً على نبيّها، عليه الصلوة والسلام، الحوض اولها اسلاماً

عليّ بن ابي طالب ، رضى الله عنه، وقد روى هذا الحديث مرفوعاً عن سلمان عن النبيّ

صلّى الله عليه وسلّم انه قال :

١ - (الاية ال ١٠٣ من السورة التاسعة - التوبة -) .

٢ - ولقائل ان يقول: اذا كان « التأويل » ولو كان « خطأ » معتبراً كما اعتبره الخليفة ابو بكر

في قضية قتل خالد، مالك بن نويرة ونزوه على اسرته، وقال: « تأول فخطأ » ورفع بذلك الاعتبار،

الحد والرجم، اللانزم على خالد، بزعم عمر (رض)، عنه، فليكن من امتنع عن الزكاة

بهذا التأويل المستدل، ايضاً مدفوع القتل محقون الدم .

« أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَرُودًا عَلَى الْحَوْضِ ، أَوَّلُهَا إِسْلَامًا ، عَلِيُّ بْنُ نُ -
 أَبِي طَالِبٍ » .

اول الامة ورود
 على النبي (ص) أ
 الحوض هو على
 ابن ابي طالب
 ، اولهم اسلاماً ،

ايضا :

« حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ قَاسِمٍ عَنْ عَنْ عَلِيمِ الْكِنْدِيِّ عَنْ سَلْمَانَ الْفَارَسِيِّ قَالَ :
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« أَوَّلَكُمْ وَرُودًا عَلَى الْحَوْضِ أَوْلَكُمْ إِسْلَامًا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ » .
 ولعله كان بمكان من المناسبة ان نعود هنا الى ما اوردهنا في ذيل « نشأة الشيعة
 وتسميتها » مما اخرجها « ابوالمؤيد اخطب الخطباء موفق بن احمد الخوارزمي المكي »
 ونعيدها في هذا الختام لتكون مما بُشِّرَتْ بها شيعة عليّ ، ومحبّيه :

« قَالَ النَّبِيُّ (ص) لِعَلِيٍّ (يَوْمَ فَتْحِ خَيْبَرَ) فِي مَا قَالَ :

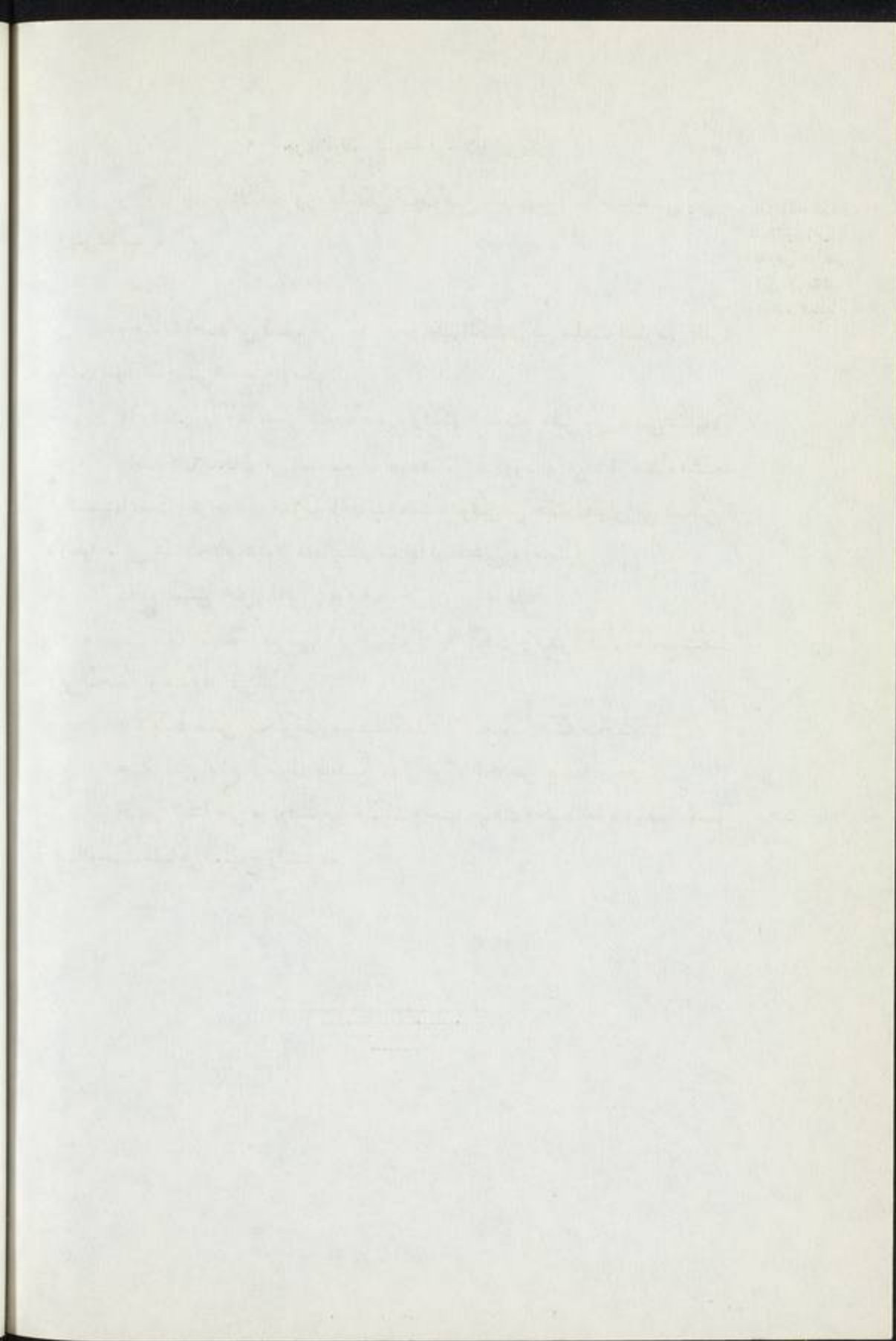
« . . . وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُبَشِّرَكَ : إِنَّكَ وَعِشْرَتُكَ وَمُحِبِّيكَ
 فِي الْجَنَّةِ وَعَدْوُكَ فِي النَّارِ .

« لَا يَرِدُ عَلَى الْحَوْضِ مَبْغِضُكَ وَلَا يَغْيِبُ عَنْهُ مُحِبُّكَ . . . »

هنيئاً لمن اطاع الرسول فأحبّ الوليّ فورد الحوض عليهما ومعهما .

اللّهُمَّ ثَبِّتْنَا عَلَى مَا أَوْلَيْتَنَا مِنْ حُبِّكَ وَحُبِّ نَبِيِّكَ وَحُبِّ الْعَتْرَةِ وَوَفَّقْنَا لِلْعَمَلِ

بِمَا وَجِبْتَ عَلَيْنَا فِي الْمَنْهَاجِ وَالشَّرْعَةِ .



« أَمَّا وَاللَّهِ إِنْ كَانَ صَاحِبِكُمْ هَذَا
أَوْلَى النَّاسِ بِالْأَمْرِ بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ (ص)
(منسوب إلى عمر (رض) في حقّ عليّ، ع،)

« ... أَمَّا، وَاللَّهِ، لَثَنٍ وَلَيْتَهُمْ لَتَحْمِلَنَّهُمْ
عَلَى الْحَقِّ الْوَاضِحِ وَالْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ »
(من كلام عمر لعليّ)

- ١ - خلافة عمر.
 - ٢ - مقام عليّ في خلافة عمر.
 - ٣ - استخلاف عمر عليّاً في المدينة .
 - ٤ - كلمات عمر (رض) في حقّ عليّ، ع، .
 - ٥ - كون عليّ أولى بالأمر.
 - ٦ - وفاة عمر.
 - ٧ - طرح عمر طريقاً ثالثاً لتعيين الخليفة .
 - ٨ - الوقائع المهمة في خلافة عمر.
- ١٧ - حول مدّة خلافة عمر (رض):

استخلف ابو بكر للأمة ، عمر ، وعينه خليفة للرسول ! على مادريت .
كان عمر رجلاً مهيباً^١ فظناً غليظاً قبل قبوله الإسلام وكذلك بعد اسلامه في
زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم^٢ وفي زمان الخليفة ابي بكر . وكان قوياً في الأرادة

١ - قال ابن ابي الحديد :

« وكان عمر بن الخطاب صعباً، عظيم الهبة، شديد السياسة، لا يحابي احداً، ولا يراقب
شريفاً ولا مشروفاً وكان اكابر الصحابة يتحاضون ويتفادون من لقائه » .

وقال الطبرى (الجزء الثالث من التاريخ - الصفحة ال ٢٨٠ -) بإسناده عن راشد
بن سعد: « ان عمر بن الخطاب (رض) اتى بمال فجعل يقسمه بين الناس فزدحموا عليه .
فاقبل سعد بن ابي وقاص يزاحم الناس حتى خلص اليه . فعلاه عمر بالدره وقال انك
اقبلت لاتهاب سلطان الله فى الارض . فاحببت ان اعلمك ان سلطان الله لن يهابك .
نقل ابي الحديد قضية تكلم زياد بن سمية ، وكان حينئذ غلاماً ، عند عمر فى
حضور كثير من الصحابة وكلام على لابي سفيان :

« لله هذا الغلام ، لو كان قرشياً لساق الغلام بعصاه » وقول ابي سفيان بعد ما قال :
هو الذى وضع زياداً فى رحم سمية وانما لم يستلحقه لخوفه من عمر : « اخاف هذا العير!
الجالس ان يخرق على ، اهابى ! » .

وقال بعد ذلك : وقيل لايبن عباس ، لما اظهر قوله فى « العول » بعد موت عمر ،
ولم يكن قبل يظهره : « هلا قلت هذا وعمر حى ؟ » قال : « هبته وكان اسراً مهيباً » .

٢ - فى تفسير الطبرى (الجزء الثانى - سورة التكاثر - ذيل : لتسئلن عن النعيم -)
بإسناده « عن ابي عسيب مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« مر النبي (ص) حتى دخل حائطا لبعض الانصار فقال لصاحب الحائط : اطعمنا بسرأ
فجائنه بعدق فوضعه ، فاكل رسول الله و اصحابه ثم دعا بماء بارد فشرب فقال : لتسئلن عن

وفي الإدارة فكان مريداً مديراً مدبراً مدبرياً وكان غير مُبالٍ بمال الدنيا وزخرفها، منصرفاً عن المشتهيات وزيرجها، ولكنه مع تصريحه، كرهةً بعد مرة، بكون خلافة ابي بكر « فلتة » وقى الله المسلمين شرها، وبكون انتخاب الخليفة من حقوق الأمة وليس لأحد ان يعتصب امر الناس^١، تلقى الخلافة من ابي بكر باسرع قبول ولم يعتد بان ابي بكر كان في حال « غلب عليه الوجع » بل كان في حال الأغماء ولم يقل: ان الرجل قد غلب عليه ما غلب بل ولم يقل ان ما كتبه الكاتب، او كتبه عثمان، كان من عند نفسه لا بألاء الخليفة، وان كان امضاه، كما قالوا، بعد الافاقه.

وكيف كان تلقى الخلافة وتسلمها ثم شمر عن ساعد الهمة، ورفع عن ساق-
 الجهد، واجتهد بسمو نظره وعلو همته في سبيل اعلاء كلمة الاسلام وبسط حكومة-
 المسلمين والأعراب.

جهد عمر
 في سبيل اعلاء
 كلمة الاسلام

فما مضت على خلافته الا مدة قليلة حتى غلب الاسلام على بلاد بعيدة وعلى
 أمم كثيرة: فدخل الاسلام بايران، واستولى على بلادها الوسيعة، ونفذ في بلاد الروم،
 واستولت الحكومة الاسلامية الفاضلة العادلة على اقوى الحكومات العالمية، وخضعت
 الأمم السامية، والملل الراقية، تجاه قوانين الاسلام المحكمة الالهية، وانظمتها الفاتحة-
 العلية، فصارت الحكومة الاسلامية، و رئاسة الدينية، سلطةً وحيدة و حكومة مطلقة

→ هذا يوم القياسه. فأخذ عمر، العذق فضرب به الارض حتى تناثر البسر. ثم قال: يا رسول الله:

انا لمستولون عن هذا؟ قال: نعم...»

فيه ايضا (الجزء الثلاثون ايضا سورة عبس - ذيل: وفاكهة و ابا -) باسناده « عن
 انس » قال: قرء عمر: وفاكهة و ابا، و معه عصاً في يده، فقال: ما الالب؟ ثم قال: بحسبنا
 ما قد علمنا، والقي العصا من يده.»

ايضا باسناده « ان انس بن مالك سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: قال الله
 « وقضباً و زيتوناً و نخلاً و حدائق غلباً وفاكهة و ابا » كل هذا ما قد علمناه فما الالب؟ ثم
 ضرب بيده ثم قال: لعمرك ان هذا هو التكلف...»

١ - كما صرح به في كلامه المنقول سابقاً، عن ابن الاثير.

نافذة في العالم المترقي في ذلك العصر، وظلت العدالة الفائقة سائدة في كل قطر ومصر.

٢٦٩ - مقام عليّ في خلافة عمر وشأنه عنده

كان عمر مع فظاظته و خشونته، ومهابته و هيئته بحيث اشتهر في حقه « دِرَّةٌ »
عمر اَهِيبٌ من سيف خالد» وبحيث نقل الطبري في تاريخه مسنداً عن زيد بن اسلم
عن ابيه « ان نقرأ من المسلمين كلموا عبد الرحمن بن عوف فقالوا : « كَلِمٌ عمر
بن الخطاب، فانه قد اخشانا حتى والله ما نستطيع ان نُديم اليه ابصارنا » ،
يراعى جانب عليّ ، في خلافته ، ويستفيد من رأيه وفضله وعلمه ، ولا سيما في ما يتعلق
بالاحكام ، ويعترف بسمو مقامه وعلو شأنه وعظمة قدره ومكانه .

فكان كثيراً ما يشاوره في المعضلات الدينية، ويستفتيه في المهمات العرفية
ويعمل بما يشير اليه، وبما يقول له، حتى اتفق في موارد كثيرة انه رجع عن فتوى او حكم
او راي يراه في واقعة، حين اشار عليّ الى الوجه الصواب فيها، الى قوله (ع) فانصف
وخضع له، واعترف بذلك بحيث كان يصرح بالجملة المشهورة المنقولة عنه في الصحاح
والمسانيد : لَوَلَا عَلِيٌّ لَهَلَكَ عُمَرُ .

لولا علي
لهلك عمر

وقد نكلم بهذه الجملة الماثورة وما يقرب عنها في موارد عديدة :

قال « الفقيه الحافظ » ، ابن عبد البر المالكي (٣٦٣-٤٦٣ هـ . ق) في كتاب
« الاستيعاب » بأسناده عن سعيد بن المسيّب انه قال :

« وقال عليه السلام في المجنونة التي امر (يعني عمر) برجمها وفي التي وضعت
لستة اشهر فاراد عمر رجمها فقال له عليّ :

« ان الله تعالى يقول « وَحَمَلُهُ وَفَضَالَهُ « ثَلَاثُونَ شَهْرًا الآية . »

وقال له : « ان الله رفع القلم عن المجنون . . . الحديث » فكان عمر
يقول : « لَوَلَا عَلِيٌّ لَهَلَكَ عُمَرُ » .

وقال ايضا فيه ، بأسناده عن سعيد بن المسيّب انه قال : « كان عمر يتعوذُ

بِاللَّهِ مِنْ مُعْضَلَةٍ لَيْسَ لَهَا أَبُو حَسَنٍ .
وكان كثيرا ما يقدم رأيه على آراء غيره .

قال الطبري في تاريخه، بأسناده عن ابن عمر (العجز الثالث - الصفحة الـ ١١١ -)

انه قال :

« جمع (يعني اياه ، عمر -) النَّاسَ حين انتهى اليه فتح القادسيه ودمشق
فقال : انتى كنت امرأ تاجرأ يُعنى الله عيالى بتجارتي وقد شغلتمونى بأمركم . فماذا
ترون انه يحل لى من هذا المال؟

ليس للوالى من
بيت المال الا
ما يصلحه و يصلح
عياله

« فاكثر القوم وعلى ساكت . فقال : ما تقول يا على؟ فقال : ما اصْلَحَكَ
وَاصْلَحَ عِيَالِكَ بِالْمَعْرُوفِ . لَيْسَ لَكَ مِنْ هَذَا الْمَالِ غَيْرُهُ
وقال ابن ابي الحديد:

« واستدعى عمر امرأة ليسألها عن امر وكانت حاملاً، فلشدة هيبتها ألقت ما فى
بطنها، فاجهضت به جنيناً ميتاً . فاستفتى عمر اكابر الصحابة فى ذلك، فقالوا: لاشىء
عليك « انما انت مؤدب » فقال له على عليه السلام : « ان كانوا راقبوك فقد
غشوك وان كان هذا جيد رأيهم فقد اخطأوا . عليك غرة » يعنى رقة .
فرجع عمر، والصحابة الى قوله ، .

٢٧٠ - رجوع عمر الى ما اشار اليه على

من الموارد التى رجع عمر الى ما اشار اليه على (على بعض الروايات) قضية
هرمزان وملخصها :

كان هرمزان من ابناء ملوك الفرس ومن اعظم الاسبيندان واكابر الحكام
والأمراء بايران فلما استولى المسلمون على ملكه واسروه جاؤه الى المدينة فأمر عمر بقتله .

فاحتال هرمزان، فآظهر العطش والتمس ماءً ليشربه قبل ان يُقتل، واستدعى ان يكون الماء في آنية زجاجية، فلما اتوه بالماء اخذه وظل ينظر اليه، ويتظاهر بالاضطراب والارتجاج، ويرتعد ولا يشرب الماء. فقال له عمر: لِمَ لا تشرب؟ قال: اخاف ان تامر بقتلى قبل ان اشرب هذا الماء. فحلف عمر بانّه لا يقتل حتّى يشرب الماء. وحينئذ فالفى الآنية من يده وقال: الآن لا يجوز لك ان تقتلني! فغضب عمر من ذلك واراد ان يقتله، فاشار اليه على (ع) بان الحق في هذا الكلام مع هرمزان فلا يجوز قتله، وشار الى هرمزان بأن يختار الاسلام.

قضية هرمزان
واسلامه

فاسلم هرمزان طوعاً، وخضع عمر لما قال على، وقبيل اسلامه، فنجا هرمزان بالاسلام من القتل، وصار ممّن احبّ علياً ووالاه. ولما قُتل عمر بيد ابي لؤلؤة النصراني غلام مغيرة ابن شعبة، قتل عبيدالله بن عمر، هرمزان، لزعمه ان له يدأ في قتل ابيه، عمر، والصحابة لم تكن تعترف بذلك وترى ان قتل هرمزان كان عدواناً، ويجب على الوالى ان يقتص من عبيدالله، قاتل هرمزان. وكان على يقول «اذا حصلت لى القدرة على عبيدالله لأقتلنه بهرمزان لأنه قتل مسلماً بغير حق» ولذلك لما بويع على بالخلافة، بعد عثمان، فرّ عبيدالله وذهب الى الشام ولحق بمعاوية ولجأ اليه وكان معه فى- الصّفين فقتل.

٢٧١ - قضية بنات يزدجرد

و من تلك الموارد قضية بنات يزدجرد واليك ما نقلها ابن خلكان فى كتابه «وفيات الاعيان» قال فى ترجمة «ابى الحسن على بن الحسين بن على بن ابي طالب (ع)» ، يعنى زين العابدين ، :

«... وكان يقال لزين العابدين «ابن الخيرتين» لقوله، صلى الله عليه وآله وسلم، :

١ - وفى الكامل لابن الاثير نسبت هذه الاشارة الى انس بن مالك.

قصة بنات
يزدجرد وقول
علي في حقها

«لله تعالى من عباده خَيْرَتَانِ فَخَيْرَتُهُ مِنَ الْعَرَبِ قَرِيشٌ وَمِنَ الْعَجَمِ (١) فَارِسٌ» .

وذكر أبو القاسم الزمخشري في كتاب «ربيع الأبرار» :

« انَّ الصَّحَابَةَ لَمَّا اتُوا الْمَدِينَةَ بِسَبِي فَارِسَ فِي خِلافةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ كَانَ فِيهِمْ ثَلَاثُ بَنَاتٍ لِيَزْدَجَرْدٍ أَيْضًا فَبَاعُوا السَّبَايَا، وَامْرَعَهُرَ يَبِيعُ بَنَاتَ يَزْدَجَرْدٍ، فَقَالَ لَهُ عَلِيُّ -
بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

« انَّ بَنَاتِ الْمَمْلُوكِ لَا يُعَامَلْنَ مَعَ بَنَاتِ الْمُعَامِلَةِ كَتَغْيِرَهُنَّ مِنْ بَنَاتِ السُّوقَةِ » .

« فقال : كيف الطريق الى العمل معهن ؟ »

« قال : يُقْوَمُنَّ وَمَهْمَا بَلَغْنَ مِنْ ثَمَنِهِنَّ قَامَ بِهِ مَنْ يَخْتَارُهُنَّ . »

« فَقَوَّمُنَّ فَاخَذَهُنَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ (ع) فَدَفَعَ وَاحِدَةً لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ

وَالْأُخْرَى لَوْلَدِهِ الْحُسَيْنِ وَالْأُخْرَى لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ، وَكَانَ رَيْبِهِ... »

وتلك التي صارت الى الحسين بن عليّ آنجبت عليّ بن الحسين، زين -

العابدين وسيّد الساجدين، ذوا الشّفقتان، الإمام الرابع، ابو الأئمة الثمانية .

٢٧٢ - اشارة علىّ بذهاب ابي عبيدة الى بيت المقدس

ومن تلك الموارد ايضا :

امارة على بفتح
بيت المقدس

في « فتوح الشام » للواقدي ، ابي عبدالله محمد بن عمر بن واقد (١٣٠-٢٠٧

هـ . ق) ، في واقعة استيذان ابي عبيدة بن الجراح بعد فتح اليرموك ، عمر عن عزمه الى

قيساريّة او بيت المقدس ، :

«... وسلم الكتاب (اي كتاب ابي عبيدة) الى عمر ، امير المؤمنين ، فقرأ على -

المسلمين و استشارهم في ذلك فقال عليّ : يا امير المؤمنين مرّ ، صاحبك ، ابا عبيدة ،

ان ينزل بجيوش المسلمين على بيت المقدس . . .

« قال عمر : صدقت يا ابا الحسن . ثم دعا بدواة وقرطاس ، وكتب بعد الحمد

١ - اي من غير العرب مطلقاً ، تكون الخيرة فارس .

والصلوة... وقد وصلني كتابك تستشيرني الى ناحية تتوجه وقد اشار ابن عم رسول الله (ص) بالمسير الى بيت المقدس فان الله يفتحها على يدك... »

٢٧٣ - اشارة على لفتح بيت المقدس

وفي فتوح الشام ايضا في واقعة فتح بيت المقدس واستدعاء ابي عبيدة ذهاب عمر الى بيت المقدس بالتماس البطريق منه ذلك ، ومشاورة عمرو ، المسلمين و اشارة عثمان عليه بان لا يذهب :

« ... وقال عمر هل عند احد منكم رأى غير هذا (اى رأى عثمان) ؟
 « فقال على بن ابي طالب رضى الله عنه : نعم . عندي غير هذا الرأى وانا اُبدية اليك ، رحمتك الله .

اشارة على
بان يذهب
عمر بنفسه
الى بيت المقدس

« فقال عمر : وما هو يا ابا الحسن ؟

« قال :

« ان القوم قد سألك وفي سئوالهم ذل لهم ، ولعله للمسلمين فتح . وقد اصاب -
 المسلمين جهد عظيم من البرد والقتال وطول المقام . واننى ارى انك ان سرت اليهم
 فتح الله المدينة على يدك . وكان في مسيرك الاجر العظيم فى كل ظمأ ومخمصة ، وفى
 قطع كل واد وصعود كل جبل ، حتى تقدم عليهم فاذا انت قدمت عليهم كان لك
 وللمسلمين ، الأمن والعافية والصالح والفتح .

« ولست آمن انهم ان يشؤا منك ومن قبولك التصالح ان يتمسكوا بحصونهم
 وياتيهم المدد من بطارقتهم ، وطاغيهم فيدخل على المسلمين من ذلك هم و بلاء ،
 لأن بيت المقدس عندهم معظمة ، و اليها يحججون ولا يخلفون عنها . والصواب ان
 تسير اليهم .

« ففرح عمر بمشورة على وقال :

« لقد احسن عثمان، التَّنظيرَ في المكيدة للعدوِّ . واحسن عليٌّ، التَّنظرَ في المسلمين ،
جزاهم الله خيراً ، ولستُ آخذُ آلاً بمشاورةِ عليٍّ فما رايناه آلاً محمود المشاورةِ
ميمون الطَّلعة .

« ثمَّ امر النَّاس ان يأخذوا الأهبةَ للمسير معه والاستعداد . . . واستخلف
علي المدينة عليَّ بن ابي طالب ، رضي الله عنه ، وخرج عمر يومئذ من المدينة واهلها
بشيءونه . . . »

قال الطَّبْرِي (الجزء الثالث من تاريخه - الصَّفحة ال ١٠٤ -) :

« وعن عدِيِّ بن سهل قال : لما استمدَّ اهلُ الشام عمر علي اهل فلسطين
استخلف عليّاً وخرج مُمِداً لهم . . . »

٢٧٤ - انقضاء دور عمر

كانت مدة خلافة عمر (رض) نحواً من عشرة سنة و ستة اشهر وقد اتسع في
تلك المدة نطاق دولة الاسلام بجهده وحسن تدبيره واتسق نظام امر المسلمين ، بكثرة
عنايته ، وشدّة سياسته ، ودوام مجاهدته ، وكمال مراقبته ، مضافاً الى اتفاق المسلمين ، ووحدة
كلمتهم ، وخلوص ايمانهم ورسوخ عقيدتهم ، وتضحيتهم في سبيل بسط شريعتهم ، و نشر
عدالتهم .

طعنه (رض) ابو لؤلؤة النصراني (اثناء الصلاة) بسكينٍ صنع له هذا المقصد طعنا
علم ان موته فيه ، فلَمَّا ايقن بحلول اجله ، واقترب اَمده ، لم يرض ان يتدع امر الخلافة
مُهملًا غير منصوص ، وبكل عبء تعيين الخليفة علي كاهل المسلمين ، ويتاسى في ذلك
بالرسول ، كمان كان يقول ، بل رأى ان لا يترك المسلمين في هذا الأمر ورائهم ! فيصبرون
حيارى في الأنتخاب ! و ابي ان يتحمّل احتمال المخالفة والمشاجرة في الأمر الخطير الهام
(تعيين الخليفة) بين رجال الدين والأسلام ، واشفق عليهم من افتراق الكلمة ! الباعث
لضعف الأمة وانقسام عروة نظام الحكومة ، واعتقد انه لا يصلح له ، رعاية لمصلحة -

الامة، وحفظاً لاساس الدين والشريعة ان يجعل حبل الخلافة على غاربها، وان بكل زمام حرية المؤمنين بيد صاحبها، كما فعل، بزعمه، الرسول (ص) كذلك!

وذلك لاحتمال ان يتولد من اضطرار الامة، او خصوص اهل الحل والعقد منهم، لأختيار الخليفة للرسول! تتيقظ الفتنة واختلاف الكلمة، او تحقق الفلستة ولعل الله في هذه الكرة لا يقي شرها، ولا يدفع عن الامة ضررها!

هذا من جانب ومن جانب آخر لم يرض (رض) ان يتاسى بما سار اليه سلفه - البصير الخبير، ابو بكر! ولم يستحسن اتباع سيرة ابي بكر حين موته، فلم يختار شخصاً معيناً كي لا يتحمله، على ما يقول، حياً وميتاً! بل زعم وصرح بان «حسب عمر ما حمل، حسب عمر ما احتقبت!» (احتقبت الأثم: جمعه).

فرسم (رض) طرحاً آخر، وسلك طريقاً ثالثاً، لتعيين خليفة الرسول! ولم يذهب لا الى هذا، ولا الى ذلك.

٢٧٥ - رأى عمر في خلافة علي

قال ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ذيل عنوان «قضية الشورى» - الجزء -

الثالث - الصفحة ال ١٩٢ -) بأسناده عن عمر بن ميمون الاودي :

« ان عمر بن الخطاب لما طعن قيل له: يا امير المؤمنين لو استخلفت. قال:

مَنْ اسْتَخْلَفُ؟ ...

... حتى قال:

« فان استخلفت فقد استخلف مَنْ هو خير مني . وان اترك فقد ترك

مَنْ هو خير مني....

« فقالوا: يا امير المؤمنين لو عهدت عهداً فقال:

« قَدْ كُنْتُ اجْمَعْتُ بَعْدَ مَقَالَتِي لَكُمْ اَنْ اَنْظُرَ فَاَوْكِي رَجُلًا

اَمْرَكُمْ، هُوَ احْرَيْكُمْ اَنْ يَحْمِلَكُمْ عَلَيَّ الْحَقَّ. و اشار الى علي.....»

على احريهم
ان يحملهم
على الحق

وقال الفقيه المالكي الاندلسي ، ابن عبد ربّه ، فى كتابه «العقد الفريد» بعد ما نقل ذهابهم الى عمر ، واقترحهم عليه بعهدته الى ابنه عبد الله ، و جوابه لهم (والطبرى أيضاً فى تاريخه الجزء الثالث - الصفحة ال ٢٩٣ -) :

« . . . ثم راحوا فقالوا : يا امير المؤمنين لو عهدت عهداً . فقال :

« قد كنت اجمعت بعد مقاتلى لكم ان اولى رجلاً امركم ارجو ان يحملكم

على احريهم
ان يحملهم
على الحق

على الحق » .

« و اشار الى على . ثم رايت ان لا اتحملها حياً و ميتاً فعليكم بهولاء الرهط

الذين . . . »

وقال الطبرى (الجزء الثالث - الصفحة ال ٢٩٣ -) فى ما نقل عن عمر :

« . . . وما اظن احداً ان يلىّ الا احد هذين الرجلين : على و عثمان .

« فان ولى عثمان فرجل فيه لين .

« و ان ولى على فقيه دُعاة . و احريه ان يحملهم على طريق الحق . . . »

٢٥٧- « كان على اولى الناس بالامر »

نقل ابن ابى الحديد عن ابى بكر احمد بن عبدالعزيز الجوهري بأسناده أنه :

« مرّ عمر بعلى و عنده ابن عباس بفناء داره فسلم . فسألاه : اين تريد ؟ فقال :

الى ينبع .

« قال : على : افلا نصلى جناحك و نقوم معك ؟ فقال بلى . فقال (اى على)

لابن عباس : قم معه .

« قال ابن عباس : فشبكك اصابعه فى اصابعى و مضى حتى خالفنا البقيع قال :

١- و فى الاستيعاب لابن عبد البر المالكي (ذيل ترجمة عمر) : « . . . و قوله فى

على عليه السلام : « ان ولوها الاجلح سلك بهم الطريق الاجلح المستقيم » يعنى علياً . . .

فقال له ابن عمر : ما يمنعك ان تقدم علياً ؟ قال : اكره ان احملها حياً و ميتاً :

« يا ابن عباس . اَمَا و الله اَن كان صاحبك هذا اولى الناس بالامر بعد وفاة رسول الله (ص) اَلَا انا خفناه على اثنين :

تصريح عمر بن
علياً كان
اولى الناس
بالامر بعد وفاة
رسول الله (ص)

« قال ابن عباس :

« فجاء بمنطق لم اجد بُدَّ آ معه من مسئلته عنه .

« فقلت : يا امير المؤمنين ما هما ؟

« قال : خشينا على حدائث السنّ و حُبّه بنى عبدالمطلب ! »

و كيف كان ، كان عمر يعرف مقام عليّ في الأيمان ، و يؤمن بصلوحه و استحقاقه .
الخلافة و الأدارة فقد أستخلفه ، من نفسه ، على المدينة حين ذهابه الى بيت المقدس
كما راينه آنفاً في كلامٍ من الواقدي و الطبري . وقد اشار (رض) ، بل صرح ، لامرّة
بل مرّات ، بعلوّ شأنه (ع) و صلوح شخصه ، و رفعة مقامه ، و عظمة قدره ، و بأستحقاقه
للمخلافة بقوله :

« لَللّهِ اَنْتَ الْوَلادُ عَابَةُ فَيْيَكْثُ ! . اَمَا و اللّهِ لَتَيْنُ و لَيْتَهُمْ لَتَحْمِلِنَهُمْ
عَلَى الْحَقِّ الْوَاضِحِ و الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ » .

«إِنَّ أَحْرَبَهُمْ أَنْ يَحْمِلَهُمْ عَلَى كِتَابِ رَبِّهِمْ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ لِصَاحِبِكُمْ
وَاللَّهِ لَشَيْنٌ وَلِيَهَا يَحْمِلْتَهُمْ عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ وَالصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ»

(قال عمر لابن عباس في حق علي)

... وَلَوْ أَنَّ عُمَرَ اسْتَخْلَفَ عَلَيْهِمْ كَمَا اسْتَخْلَفَ عَلَيْهِمْ أَبُو بَكْرٍ ،

مَا كَانَ فِي ذَلِكَ اخْتِلَافٌ » (من كلمات معاوية ابن ابي سفيان)

- ١- ابداع طريق ثالث للاستخلاف .
- ٢- نظرة في سبب العدول .
- ٣- اختيار اشخاص من الصحابة للشورى .
- ٤- عود الى واقعة الاستخلاف .
- ٥- مكالمة عمر مع ابن عباس في الاستخلاف .
- ٦- اعتذار ابن ابي الحديد عما قاله عمر .
- ٧- نهاء ذلك الطريق ونتاج تلك المقدمات .
- ٨- توصية عمر بابي طلحة على اصحاب الشورى .
- ٩- كلام عمر في جمع النبوة و الخلافة .
- ١٠- اهل الشورى و مقال عمر في حقهم .
- ١١- الشورى و ما جرت فيها .
- ١٢- اقتراح ابن عوف و ما اجاب به علي و عثمان .
- ١٣- ارتاج الكلام على عثمان .
- ١٤- تنبيهات ستة حول الشورى .

منها :

- الف- حصول الاكثريّة لعلي و عدم اعتداد ابن عوف بها .
- ب - استبداد ابن عوف في الزامه و الى الامر ...
- ج - العمل بسيرة من سلف متعذر ، لاختلافها و ارشاد علي الى ان الاصل ، الكتاب و السنة لاعمل السلف .
- ١٥- ما قيل ، او يقال ، على الطريق الابداعي الأحداثي .
- ١٦- سئوال بلا جواب .
- ١٧- ختام الكلام في الشورى .

١- حول الطريق الثالث :

٢٥٨ - ابداع طريق ثالث للاستخلاف

ممّا يستلفت النظر ، و يستدعى صرف الوجه اليه ، مسألة الخلافة في الأسلام .
 لاريب في اتفاق الامة على ان اول الخلفاء لم يعينه الرسول لخلافته ، وفي ادعاء اهل-
 السنة واعتقادهم بعدم نصّ وعدم سابقة لذلك ، ولهذا صارت الخلافة في الخلفاء الثلاثة
 على انحاء ثلاثة: الاجماع (على ما يقولون) ، والكتابة ، والشورى . وعلى ذلك المبنى لسائل
 ان يسأل: اذالم يكن للخلافة نصّ ولا سابقة ، وكان امر احادنا ، فكيف الجمع بين هذا الاعتقاد
 وبين الاحاديث الواردة في الصحاح والاصول مثل قوله (ص): « اَيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتُ
 الْأُمُور ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » ومثل قوله : « مِنْ أَحَدَّثَ
 فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ »^١ و مثل : « مِنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا
 فَهُوَ رَدٌّ ؟ »

ولا يتوجه هذا التسؤال على الشيعة لانّها تعتقد النصّ على الخليفة فليست-
 الخلافة عندها امر مُحَدَّث في امر الدين .

وكيف كان تصدّي ابى بكر للخلافة وتسلمها الناس بالقبول ، استناداً باتفاق
 اهل الحلّ والعقد ، وان شئت فقل ، بـ « الأجماع » . ثمّ تصدّي بعده عمر ، استناداً بالوصاية
 والعهد من ابى بكر ، واستخلافه اياه ، وان شئت فقل : اعتماداً على « النصّ » ، اى « العهد » .
 واما الخليفة عمر فما اتبع لاذالك الطريق الذى ادعى ان رسول الله (ص) اختاره
 وسلّكه ، وهو ايكال الأمر على حرية ارادة الامة في اختيارهم من شاؤوا وازادوا للخلافة من-
 الرسول (ص) ! ولاقتدى ايضا بمن « هو خير منه » ، ابوبكر (رض) في سلوكه هذا الطريق ،

وما نقل عن شراح الحديث بهذه العبارة : « من احدث » : من ابتدع و اخترع شيئا ،
 لم يكن في زمن النبي (ص) ، ما لم يكن فيه مصلحة . . . « فى امرنا » : فى ديننا . « فهو
 رده » اى مردود ، كلام مردود اذ بناؤه على الاعتقاد بوجود « مصالح مرسلة » فى الدين وقد
 حققنا فساده فى رسالتنا الوجيزة « منهاج الشرعة فى حكم الاحداث و البدعة » .

وهو النصّ بالاستخلاف .

فلا تأسى بالرسول ولا سار سيرة الخليفة . ولكنه كأنه استنقص الطريقين !
فاستنقصهما وابدع طريقا ثالثا فاهلها .

لماذا عدل عمر عن سيرة الرسول (ص) ، على ما يدعيها ، ؟ ولم لَمْ يتأس به
والله تعالى يقول : « وَلَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ؟ فَلَنتظر :

٢٧٨ - نظرة في سبب العدول

ان كان ذلك العدول لأنه شاء واراد متابعة سيرة الخليفة ، في عدم تأسيه
بالرسول ، وعدم المتابعة له (ص) في ترك الاستخلاف ، فلم لَمْ يتبع الخليفة ولم يجعله
قُدوةً في العهد والنصّ بالاستخلاف ، مع انه يقول « هو خير مني » ؟

اترى انه كان يرى ان ترك الاستخلاف منه يمكن ان يورث اتفاق الامّة ،
او اجتماع خصوص اهل الحلّ والعقد منهم ، على اختيار عليّ ، وهو لا يرى المصلحة في
ذلك ، لا لما كان « يخشاه عليه من حدائث السنّ » ، كما كان ، على ما قال ، يخشاه حين
وفاة الرسول ؟ لأن سن عليّ حينئذ كان نحواً من خمسين سنة ولا لما كان يدعى ان
« فيه دُعاة » ولا لما كان يعتقد أنه « يحملتهم على الحق الواضح... » ؟

لأنه ، كيف كان ، جعله واحداً من اصحاب الشورى في الطريق الثالث ، اللهم
الا ان يقال نظر في ذلك الى قوله (ص) « دع ما يريبك الى ما لا يريبك » ، فلا يرى -
المصلحة فيه لا لهذه الامور والجهات بل جهة اخرى كان ينظر اليها ويربها .

او كان يرى ان الاستخلاف والنصّ يستلزم احد الامرين ؟ :

امّا تعيين عليّ والنصّ عليه .

وامّا تعيين غير عليّ .

فالأول لعله كان على خلاف ما يراه . والثاني لعله كان ، على خلاف ما يراه -
الامّة ، واكثرها ، او خصوص اهل الحلّ والعقد منها ، وحينئذ يمكن ان يصير ذلك
سبباً لأطلاق لسانهم بعد موته عليه ، ولسقوط عظمة مجاهداته و مساعيه في بسط

كان سن علي
حين وفاة عمر
نحواً من خمسين
سنة

دولة الاسلام، ونظم امور المسلمين عن اعينهم، ولا سيما اذا كان من اختاره واستخلفه بحسب رايه الحازم و تفرسه الصائب « رجل فيه لين » (١) بحيث لا يتمكن عن ادارة امور المسلمين بنحو يقتضيه الدين و يرتضيه المؤمنين ، ولا يقدر ، او لا يلتزم ، باجراء العدل و رعاية الصّحبة والفضل ، على ما كان المأمول و المعمول المألوف ، فكيف بما اذا صار المعهود اليه ، المنصوص عليه سببا لتشتت الكلمة و تفرق الأمة ، لاجل استبداده بالأمور و عدم اصغائه الى ما يشير اليه اكابر المسلمين ، و حمله بنى قومه على رقاب الأنصار و المهاجرين ، و بالجملة لعدو له عمّا هو معهود من عمل السابقين و لتسياره في خلافته خلاف سيرة الخليفين ؟

٢٧٩ - اختيار اشخاص من الصحابة للشورى

كيف كان الوجه في ذلك ، كان هو على ما تظنه الشيعة ، او كان وجهاً آخر ، والله هو العالم بالسرائر والضمائر ، فما ابدعه وابتكره من الطريق الثالث هو انه :
 « اختار من الصحابة ستة ، يقول : انّ النّبى مات و هو عنهم راضٍ ، وهم من العشرة المبشّرة بالجنة على لسان النّبى (ص) ، وهم : على و عثمان و عبد الرحمن ابن عوف و الزبير و سعد بن ابى وقاص و طلحة ، و امرهم بان يجتمعوا للمؤامرة و المشاورة مدّة لاتزيد على ثلاثة ايام فيختاروا واحداً منهم للخلافة .
 ثم دعا باطلحة الأنصارى و امره ان يتخذ معه خمسين رجلاً بسلاحهم ان ينظروا و يراقبوا اهل الشورى .

١ - وارك في ذكر ما نقلناه عن الطبرى أنّاً من قول عمر (رض) : « وما اظن ان يلى الا احد هذين الرجلين : على و عثمان . فان ولى عثمان فرجل فيه لين . . . » و سياتى قوله لعثمان : « كأنى بك قد قلدتك قريش هذا الامر . . . فحملت بنى امية و بنى ابى معيط على رقاب الناس . . . فسارت عليك ذؤبان العرب فذبحوك على فراشك ذبحاً . والله لئن فعلت . ليفعلن » .

فان انقضت الأيام الثلاثة ولم يتفقوا على احد منهم فليقتلوا جميعاً !! وحينئذ
تصير الأمة واختيارهم في الانتخاب لأنهم ، بحسن سياسة الخليفة المشفق الرؤف ، خلصوا
نجياً عن خير هؤلاء الستة المرضية المبشرة بالجنة ، اصحاب بدر واقرب صحابة -
الرسول اليه ، الذين مع جواز قتلهم برأى الخليفة وبحكمه ، في سبيل الله وسبيل المصلحة ،
لايجوز وليس لأحد من بعدهم ان يتفوه في حقهم بسوء ^١ (لأن « اصحاب الرسول (ص)
عدول ولا ينتقص احد منهم الا » ، كما قالوا ،) .

وان اتفقت كلمتهم على واحد منهم فهو خليفة الرسول ! ومن الفرض على غيره من -
الستة وعلى الأمة ، التبعية والأطاعة والبيعة ، شأوا ولم يشأوا ، (رغماً لأنوفهم) وان
كانت الأمة من حيث الكثرة والعدة لاتقاس بهذه العدة القليلة ، اى هؤلاء الستة ، اللهم
الا ان يقال كونهم اهل الحل والعقد ، بل صيرورتهم فعلاً (لاسبقاً - كى لاينا في
عدم حضورهم في السقيفة حين انعقادها) اهل الحل والعقد ، صار مناط الرجحانهم على
الأمة رايأ .

وان اختلفت كلمتهم ، بالكثرة والقلة ، فالمدار على الأكثر فان لم يوافق الأقل
رأى الأكثر ولم يتابعه فعلى ابي طلحة ان يقتل الاقل !!

وان اختلفت متساوية بان كانت آراء نصف منهم لواحد وآراء النصف الآخر لآخر ،
فالأعتبار بالنصف الذى فيهم ابن عوف ، وان كان فى النصف الآخر على ! وهو الذى
قال النبى فى شأنه : « على يدور مع الحق والحق يدور معه » بل وهو الذى
قال الخليفة نفسه فى حقه : « احربكم ان يحملكم على الحق » وقال بالقسم -

١ - فكان حق الصحبة يبيح هتك الصحبة ويورث للصابح بالنسبة الى الصاحب
من حق القتل والشم والايذاء مالميس لغيره ، ولعلك لم تكن نسيت بعد ، ماسمعت من عمر ،
حين ذهب مع عصابة من اتباعه الى بيت فاطمة لآخذ البيعة اذ احراق البيت وخروج الزبير
بصلتنا سيفه ، من قوله : « عليكم بالكلب » يعنى الزبير . وما سمعت ايضاً من ابي بكر
حين موته ، من قوله لطلحة « ... اى والله وانت شرهم ، اتيتنى وقد دلكت عيتيك ، تريد ان
تقتنى عن دينى ، قم لا اقام الله رجلك » .

المؤكّد ايضاً: « وَاللّٰهِ لَيَحْمِلَنَّهٗمْ عَلَيَّ الْحَقَّ الْوَاضِحَ وَالْمَحَجَّةَ الْبَيْضَاءَ »
وقال ايضاً لابن عباس: « اَمَّا وَاللّٰهِ اَنْ كَانَ صَاحِبُكَ هَذَا اَوْلَى النَّاسِ بِالْاَمْرِ
بَعْدَ وَاةِ رَسُوْلِ اللّٰهِ... »

وكيف كان فالنصف المخالف لا بدّ و ان يتّبع ما رآه النصف الذي فيه ابن -
عوف فان قبل، ووافق واطاع واتبّع، فنعمت وبها، وان خالف وابتدع عن المتابعة والبيعة
فعلى ابي طلحة ورجاله ان يقتل المخالف فيرضي الله ورسوله والخليفة بتسريعه لأرسال
صحابه الرسول المبشّرين والذين كان هو (ص) راضٍ منهم الى جواره في الجنة!
فيا لله من تدبير بديع، وتأسيس منيع، وابتكار رفيع، وابداع وسيع، وضماً ورفعاً،
جمعاً ومنعاً، عقلاً وشرعاً. رضى الله عن مبدعه و مبتكره .

٢٨٠ - عود الى واقعة الاستخلاف

قال ابن ابي الحديد في بيان واقعة الاستخلاف (في شرحه لتنهج البلاغة)
ما هذا عين الفاظه :

« وصورة هذه الواقعة انّ عمر لما طعنه ابولؤلؤة و علم انه ميّت استشار في
من يوليّه الامر بعده فأشير اليه بابنه، عبدالله فقال :

« لاها الله ! اذا لايليها رجلان من ولد الخطاب . حسّبُ عمر ما حمل .
حسّبُ عمر ما احتقب . (احتقب الاثم . جمعه) لاها الله ! حياً وميتاً .
» ثم قال :

« انّ رسول الله مات وهو راضٍ عن هذه الستّة من قريش : عليّ و عثمان
وظلحة و الزبير وسعد و عبدالرحمن بن عوف .

« وقد رايتُ ان اجعلها شورى بينهم ليختاروا لأنفسهم^(١) . ان استخلفتُ فقد

١ - لانفسهم يختاروا ! او للمسلمين ؟

من هو خير مني ، يعني ابا بكر ، وان اترك فقد ترك من هو خير مني ، يعني رسول الله .
« ادعوهم لى . »

« فدعوهم . قدخلوا عليه وهو ملقى على فراشه وجود بنفسه فنظر اليهم فقال :
« اكلكم يطمع بالخلافة بعدى ؟ »

« فتوجموا فقال لهم ثانية فاجابه الزبير وقال :

« وما الذى يبعدنا منها . وليتها انت فقت بها . ولساندونك فى قريش ، ولا
فى السابقة ، ولا فى القرابة . »

« قال الشيخ ابو عثمان ، الجاحظ ، : « والله لولا علمه ان عمر يموت فى مجلسه

ذلك ، لم يقدم على ان يقوه من هذا الكلام بكلمة ولا ان ينفس منه بلفظ . »
« فقال عمر :

« افلا اخبركم عن انفسكم ؟ قالوا : قل فاننا لو استعفينا لم تعفنا . فقال :

« اما انت يازبير ، فوعيق ، لقيس ، مؤمن الرضا ، كافر الغضب . يوماً انسان

ويوماً شيطان . ولعلها لو افضت اليك ظلت يومك تلاطم بالبطحاء على مد من

شعير . افرابت ان امضت اليك فليت شعري من يكون للناس يوم تكون شيطانا ؟ ومن

يكون يوم تغضب ؟ »

« اما ، وما كان الله ليجمع لك امر هذه الأمة وانت على هذه الصفة . »

« ثم اقبل على طلحة وكان له مبغضاً ، منذ قال لأبى بكر يوم وفاته ما قال فى

عمر ، فقال له :

« اقول ام اسكت ؟ قال : فقل فانك لاتقول من الخير شيئاً ! قال :

١ - هكذا . والظاهر : ينبس بالباء الموحدة اى يتكلم .

٢ - قد مر سابقاً نقلاً عن تاريخ الطبرى وكتاب « صفة الصفوة » لابن الجوزى كلام

ابى بكر فى الخطبة التى القاها بعد ما بويع وهو « ... واعلموا ان لى شيطانا يعترينى ، فاذا

رايتمنى غضبت فاجتنبونى ... » فكان للزبير ان يجيب : « من كان للمقر المعترف بان له

شيطانا ، يكون لمن لاعتراف له بذلك ، لوسلم وجود شيطان له ، ايضا . »

« اما انتى اعرفك منذ اُصيب اصبعك يوم اُحد، والنبأ الذى حَدَثَ لَكَ .
ولقد مات رسول الله ساخطاً عليك بالكلمة التى قلتها يوم انزلت آية الحجاب » .

قال شيخنا ابو عثمان، الجاحظ، رحمه الله تعالى:

« الكلمة المذكورة ان طلحة لما انزلت آية الحجاب قال بمحضر ممن نقل
عنه الى رسول الله (ص) :

« ما الذى يغنيه حجا بهن اليوم، وسيموت غداً فننكجهن »^١ .

قال ابو عثمان ايضاً : لو قال لعمر قائل : انت قلت : « ان رسول الله مات
وهوراض عن الستة » فكيف تقول الآن لطلحة : « انه مات، عليه السلام، ساخطاً
عليك، للكلمة التى قلتها » ؟ لكان قد رماه بمشاقصه . ولكن من الذى
يجسر على عمر ان يقول له مادون هذا؟ فكيف هذا؟

قال : ثم اقبل على سعد بن ابى وقاص فقال:

« انما انت صاحب مقنب من هذه المقانب، تقابل به، وصاحب قنص وقوس
واسهم .

« وما زهرة والخلافة وامور الناس !؟

ثم اقبل على عبدالرحمن بن عوف فقال :

« واما انت يا عبدالرحمن فلو وزن نصف ايمان المسلمين بايمانك، لرجح
ايمانك به . ولكن ليس يصلح هذا الامر لمن فيه ضعف كضعفك . وما زهرة

١ - « كان القاسم بن محمد بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله التيمى يلقب ابابعرة

ولى شرطة الكوفة لعيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس كلم اسماعيل
ابن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بكلام خرجا فيه الى المنافرة فقال القاسم بن
محمد ، لم يزل فضلنا و احساننا سابقا عليكم يا بنى هاشم وعلى بنى عبد مناف كافة، فقال
اسماعيل : اى فضل واحسان اسديتموه الى بنى عبد مناف ؟ اغضب ابوك جدى بقوله :
« لمتوتن محمد ولنجلون بين خلاخيل نسائه كما جال بين خلاخيل نساينا » ؟ فانزل الله
تعالى مراغمة لاينك : « وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده
ابدا . . . » (شرح ابن ابى الحديد - المجلد الثانى - الصفحة ال ٥٠١ - ذيل : منها فى ذكر
اصحاب الجمل) .

وهذا الامر؟.

« ثم اقبل على علي عليه السلام فقال :

« لله انت ! لولا دُعَابَةُ فَيْكِكَ : اَمَا وَاللَّهِ لَشِئْنٌ وَلِيَّتَهُمْ لَتَحْمَلَنَّاهُمْ عَلَى الْحَقِّ الْوَاضِحِ وَالْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ » .

« ثم اقبل على عثمان فقال :

« هياها اليك ! كَاتَنِي بِكَ قَدْ قَلَّدَ تَكَتْ قَرِيْشِ هَذَا الْأَمْرِ ، فَحَمَلَتْ بَنِي أُمِيَّةَ وَبَنِي أَبِي مُعَيْطٍ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ وَأَثَرَتْهُمْ بِالْفَسَى فَسَارَتْ إِلَيْكَ ذُبَانُ - الْعَرَبِ قَدْ بَحَّوْكَ عَلَى فِرَاشِكَ ذَبْحًا . وَاللَّهِ لئنْ فَعَلْتِ لَيَفْعَلُنَّ . »
« ثم اخذبنا فقال : فأذا كان ذلك فاذا ذكر قولي فانه كائن .

« ذكر هذا الخبر كلها شيخنا ابو عثمان في كتاب السفيانية . وذكره جماعة غيره في باب فراسة عمر .

« وذكر ابو عثمان في هذا الكتاب عقيب رواية هذا الخبر قال :

« وَرَوَى مَعْمَرُ بْنُ سَلِيمَانَ التَّمِيمِيُّ عَنْ أَبِيهِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيَّبِ عَنْ ابْنِ -

١ - ابو معيط هو ابان ابن ابي عمرو بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف وهو والد عقبة والد الوليد الفاسق .

« وكان لامية من الولد احد عشر ذكراً ، كل واحد منهم يكنى باسم صاحبه ، وهم العاصي و ابوالعاصي ، و العيص و ابوالعيص ، و عمرو و ابوعمر و ، و حرب و ابوحرب ، و سفيان و ابوسفيان و « العويص » لا يكنى بهم فمنهم « الاعياس » .

« و ام ابو معيط ، آمنة بنت ابان بن كليب بن ... وكانت آمنة هذه تحت امية - ابن عبد شمس فولدت له العاصي و ابوالعاصي و ابوالعيص و العويص ... فلما مات امية تزوجها بعده ابنه ابو عمرو ، وكان اهل الجاهلية يفعلون ذلك ، يتزوج الرجل امرأة ابيه بعده ، فولدت له ابامعيط . فكانوا بنى امية من آمنة اخوة ابي معيط وعموته .

« واسر عقبة ابن ابي معيط في يوم بدر فقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم صبراً ... وعلى رواية : ان النبي صلى الله عليه وسلم اسر علياً يوم بدر فضرب عنق عقبة بن ابي معيط و النضر بن الحارث « (الجزء الاول، من « الاغانى » - ذيل خبر ابي ابي قطفية -) .

عباس قال : سمعت عمرو بن الخطاب يقول لأهل الشورى :

« انكم ان تعاونتم ، وتوازرتم ، وتناصحتتم ، اكلتموها واولادكم !
وان تحاسدتم ، وتقاعدتم ، وتدابرتهم ، وتباغضتم ، غلبكم على هذا الأمر ، معاوية .
ابن ابي سفيان » .

تطيع عمر ،
معاوية للخلافة

« وكان معاوية حينئذ امير الشام » .

٢٨١ - مكالمة عمر مع ابن عباس في الأستخلاف

حكى ابن ابي الحديد عن « كتاب الأمالى » لأبي العباس احمد بن يحيى ، ثعلب :
« كان عبد الله بن عباس عند عمر فتنفس عمر نفساً عالياً ، وقال ابن عباس حتى
طننت ان اضلاعه قد انفرجت . فقلت له : ما اخرج هذا النفس منك يا امير المؤمنين
الاهم شديد . قال : « اى والله يا ابن عباس . انتى فكثرت فلم ادر فى من اجعل هذا .
الامر بعدى ؟

ثم قال : « لعلك ترى صاحبك اهلاً »

« قلت : وما يمنعه من ذلك مع جهاده وسابقته وقرابته وعلمه ؟ .

« قال : صدقت ولكنه امرؤ فيه دُعاة :

« قلت : فأين انت من طلحة ؟

« قال : هو ذوالبأ و ، بأ صبغته الممقطوعة :

« قلت : فعبد الرحمن . قال : رجل ضعيف . لو صار اليه لتوضع خاتمته فى

يد امرأته !

« قلت : التزيير . قال : شكس ، لقيس يلاطم فى البقيع فى صاع من بر .

« قلت : فسعد بن ابي وقاص . قال صاحب ميقناب وسلاح .

« قلت : فعثمان . قال : اوه اوه مراراً .

« ثم قال : « والله لئن وليها ليعلمين بنى ابي معييط على رقاب الناس

ثم لتنهضن اليه العرب فتقتله » .

« ثم قال : يا ابن عباس : « انه لا يصلح لهذا الأمر الا خفيف العقدة ، قليل الغرّة ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، يكون شديداً في غير عنف ، ليناً من غير ضعف ، جواداً من غير سرف ، ممسكاً من غير وكف . »

قال ابن عباس : وكانت هذه صفات عمر . ثم اقبل علىّ فقال :

« اِنَّ اَحْرَبِيَهُمْ اَنْ يَحْمِلَهُمْ عَلَى كِتَابِ رَبِّهِمْ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ
لصَّاحِبِكُمْ . وَالله لَشِينٌ وَلِيَهَا لَيَحْمِلَنَّهُمْ عَلَى الْمَحَجَّةِ الْبَيْضَاءِ
وَالصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ . »

٢٨٢ - اعتذار ابن ابي الحديد عما قاله عمر

بعد ما نقل ابن ابي الحديد ، عن كتاب الامالي لثعلب ، ما اوردها قال :

« ان الرجل اذا الخلق المخصوص ، لا يرى الفضيلة الا في ذلك الخلق . »

ثم مثل لذلك بالجواد يعيب البخيل وبالعكس ، والجبان يعيب الشجاع وبالعكس ، وهكذا في سائر الصفات والأخلاق ، ثم قال :

« ولما كان عمر شديداً الغلظة ، وعير الجانب ، خشن الملمس ، دائم

العبوس ، كان يعتقد ان ذلك هو الفضيلة وان خلافه نقص »

« فهو غير ملوم عندي في مقاله ، ولا منسوب الى انه اراد الغض من عليّ والقدح

فيه (يعني في مقاله : ولكن امرؤ فيه دُعاية) ، ولكنه اخبر عن خلقه ظاناً ان الخليفة

لا تصلح الا للتشديد الشكيمة ، العظيم الوعورة »

« وبمقتضى هذا الخلق المتمكن عنده ، كان يشير على رسول الله ، صلى الله عليه

وآله وسلم ، في مقامات كثيرة ، وخطوب متعددة ، بقتل قوم . . . فلم يقبل عليه السلام

مشورته على هذا الخلق . . . »

« وجملة الامر ، انه رضى الله عنه لم يقصد عيب عليّ عليه السلام ولا كان عنده

معياً ولا منقوصاً . الا ترى انه قال في آخر الخبر : « اِنَّ اَحْرَبِيَهُمْ ، اِنَّ وَلِيَّهُمْ ، اِنَّ »

« والله لئن وليها
ليحملنهم على
المحجة البيضاء
والصراط -
المستقيم »

بِحَمَلِنْتَهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ . . . الخ

« ثم أكد ذلك بان قال : « اِنَّ وَلِيَّيَهُمْ لَيَحْمِلُنَّهُمْ . . . الخ
 « وانت اذا تأملت حال علي عليه السلام في ايام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجدته بعيداً ان ينسب الى الدُعاية والمُزاح لأنه لم يُنقل عنه شيء من ذلك اصلاً ، لا في الشيعة ولا في كتب المحدثين .

« وكذلك اذا تأملت حاله في ايام الخليفين ، ابي بكر وعمر ، لم تجد في كتب السيرة حديثاً واحداً ، يمكن ان يتعلق به متعلق ، في دُعايته ومُزاحه . فكيف يُظن بعمر انه نسبه الى امر لم ينقله عنه ناقل ، ولا ندد به صديق ولا عدو وانما اراد سهولة خلقه لا غير . . . »

ثم بعد كلام طويل ، ذكر فيه عدة مُزاحات عن بعض الخلفاء وعدة من الصحابة ،

قال :

« فاما امير المؤمنين علي عليه السلام ، فاذا نظرت الى كتب الحديث والسير لم تجد احداً من خلق الله ، عدواً ولا صديقاً ، روى شيئاً عنه من هذا الفن ، لا قولاً ولا فعلاً ، ولم يكن جيداً اعظم من جده ولا وقاراً ، وما هزل قط ولا لعب ، ولا فارق الحق والناموس الديني سرّاً ولا جهراً . وكيف يكون هازلاً ومن كلامه المشهور : « ما مزح امرؤ مزحة الا ومج معها من عقليه مجة » ؟

ولكنه خلق على سجية لطيفة ، واخلاق سهلة ، ووجه طليق ، وقول حسن ، وبُشرٍ ظاهر .

« وذلك من فضائله عليه السلام وخصائصه التي صفحه الله بشرها ، واختصه بمزيتها . وانما كانت فظاظته وغلظته ، فعلاً لا قولاً ، وضرباً بالسيف لا جيبها بالقول ، وطعناً بالستان لاعضها باللسان ، كما قال الشاعر :

وَتَسْفَهَ اَيْدِيْنَا وَيَحْلُمُ رَايُنَا

وَتَشْتِمُ بِالْاَفْعَالِ لَا بِالتَّكْلِمْ »

د ما كان جد
اعظم من جد
علي ولا وقار
اتم من وقاره

انتهى^١ ماورده ابن ابي الحديد في بيان ما اراد عمر، او يناسب ان يكون اراده، من قوله في حق عليّ: «... ولكنه أمرؤ فيه دُعاة».

٢٨٣ - قول النّبي (ص) في كون عليّ هادياً مهدياً

يحمل الامة على الصراط المستقيم

يناسب هنا ان نذكر حديثاً روى عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم في معنى ما عرفته من الكلام المنقول عن عمر (رض) في حق عليّ (ع): «... ليحملنهم على - المحجة البيضاء...»

روى ابو بكر احمد بن عبدالعزيز الجوهري في كتاب السقيفة (علي ما حكى عنه ابن ابي الحديد) بأسناده عن جابر بن عبد الله الانصاري انه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

« اِنْ تَوَلَّوْهَا اَبُو (اَبَا) بَكْرٍ تَجِدُوْهُ ضَعِيْفًا فِي بَدْنِهِ ، قَوِيًّا فِي اَمْرِ اللّٰهِ .

« وَاِنْ تَوَلَّوْهَا عُمَرُ تَجِدُوْهُ قَوِيًّا فِي بَدْنِهِ ، قَوِيًّا فِي اَمْرِ اللّٰهِ .

« وَاِنْ تَوَلَّوْهَا عَلِيًّا ، وَمَا اَرَاكُمْ فَاعِلِيْنَ ، تَجِدُوْهُ هَادِيًّا مَهْدِيًّا يَحْمِلُكُمْ عَلٰى الْمَحْجَةِ الْبَيْضَاءِ وَالصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيْمِ » .

وفي حلية الأولياء (المجلد الاول - الصفحة ال ٦٤ -) لابن نعيم بأسناده عن حذيفة قال: قالوا: يا رسول الله الاستخلف علياً؟

قال: « اِنْ تَوَلَّوْا عَلِيًّا تَجِدُوْهُ هَادِيًّا مَهْدِيًّا يَسْلُكُكُمْ بِكُمْ الطَّرِيْقَ -

المستقيم » .

وفيه ايضا بأسناده عنه ايضا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

« اِنْ تَسْتَخْلِفُوْا عَلِيًّا ، وَمَا اَرَاكُمْ فَاعِلِيْنَ ، تَجِدُوْهُ هَادِيًّا مَهْدِيًّا يَحْمِلُكُمْ عَلٰى الْمَحْجَةِ الْبَيْضَاءِ » .

وعلى هذا فما نقل عن عمر في عليّ هو عين ما روى عن الرسول في حقّه^١ ولعلّه (رض) كان بقوله هذا يشير الى ذلك القول عن النبيّ (ص) وما زاد عليه عمر شيئاً (وان اسقط منه كلمتيّ "هادياً مهدياً") الا انّ في ما روى عن النبيّ لم يُجعل لعلّيّ عدلٌ غير الشيعيين ، وان رجّح فيه ايضاً عليهما بالأوصاف المعنويّة اللازمة للإمامة على الأمة ، المقومّة للخلافة الصالحة عن الرسول ، من كونه «هادياً» ، «مهدياً» فيكون حاملاً للأمة على المحجة البيضاء والصرائط المستقيم ، ولكنّه في ما نقل وأثر عن عمر ونسب اليه انزله الدهر حتّى جعل عدلاً «لذي البأ وباصبعه» و«للضعيف الذي يضع خاتمه بيد امراته» و«للتشكس الوقس الوقع» و«لصاحب المقنب والقنص والقوس والأسهم» و«لحامل بنى اميّة وبنى ابي معييط على رقاب الناس» بل وجعل الأمر كما ستعلم بحيث ينتج ان يُقدّم عليه من لا يرتجى ان يعادله . فتجاوز الله عمّن تجاوز حقّه .

٢٨٤ - نهاء ذلك الطّريق ونتاج تلك المقدمات

نعتقد الشيعة ان نهاية تلك الطّرية الأنيقة كانت من بدايتها معلومة اذ كانت ترتيب مقدمات الأمر وتنظيمها على ما يجعل ترتب النتيجة عليها ضروريةً بقيته .
وتعتقد انّ الغرض من رسم هذا الطّرح ووضع هذا الطّريق ان يُختار عثمان

١ - ولعل الى هذه الرواية يشير عليّ نفسه يوم الثالث بعد بيعته وبعد ما اسرى تقسيم المال بين المسلمين بالسوية لكل فرد ثلاثة دنانير ولم يفضل احداً على احد ، وما فرق بين العربي والعجمي ، والاحمر والاسود ، وصار ذلك ثقيلاً على بعضهم «كطلحة والزبير وعبدالله بن عمر وسعيد بن العاص وسروان بن الحكم ورجال من قرينش وغيرها فتكلموا بينهم في ذلك واخبر عبيدالله بن ابي رافع كاتب عليّ اياه بما تكلموا به فقال عليّ :
« والله لئن بقيت وسلمت لهم لاقمّنهم على المحجة البيضاء والطريق الواسع» .
وسيجيء هذه القضية بطولها نقلاً عن شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد (المجلد الثاني - الصفحة ال ١٧٢ -) حين البحث عن خلافة عليّ ان شاء الله .

للخلافة ، وتعيين الخلافة له^١ وكان الراسم على يقين من ذلك ، ولكنه اراد ان يطرحها عن غارب من ابتكره ورسمه واسسه ، وان يجعل تبعة الأختيار ، ان استتبع تبعة سوء ، كما كان يتفرس ويعتقد ويقول ، على كاهل الشورى والنخبة الكبرى .
وتقول الشيعة في بيان ما تعتقده :

ان امر الانتخاب كان بحيث لا يتعدى عن احد الشخصين : علي و عثمان^٢ وكان مردداً بينهما ولا يتجاوز عنهما الى غيرهما ، ولأسيما بعد ما استنقص الخليفة من غيرهما ، من المرشحين ما استنقص .

نظر الى وضع
الموازنة للراي
بين المنتخبين

فانتخب للشورى ، باستناد كونهم مرضياً للرسول ، افراداً بحيث يكون انتخاب عثمان مقطوعاً به ، فأول ما يلفت النظر اليه ان أربعة منهم ، وهم الأكثر ، يقوى في النظر في ما يظهرون براعوا جانب عثمان ، لوجود النسبة والعصبية ، او لمناسبة العقيدة والسليقة ، او لانحراف من علي .

أمّا عبدالرحمن فكان صهرراً لعثمان علي أم كلثوم بنت عقيقة ابن ابي معيط ، اخت عثمان من أمه : اروى بنت كربز فكانت أم كلثوم تحت عبدالرحمن فلم يك يدع جانب عثمان .

وسعد كان من بنى زهرة فهو وعبدالرحمن ابنا عم وطبيعي اوعادي ، بحسب الظاهر ، ان يراعي سعد جانب من يراعي عبدالرحمن جانبه .

و طلحة فكان فيه انحراف عن علي ، كما صرح به بعضهم ، على انه كان يعرف ان علياً « خشن في ذات الله » لا يتبع هويته ، ولا يعدل عن العدل والتسوية ، بل يحملهم على الحق بالسوية .

وعلى هذا فيترجح جانب عثمان .

١ - وكأنه ارشد الى ذلك بقوله له : « كاني بك قد قلدتك قرين هذا الامر ، لجهها

اياك »

٢ - كما صرح به عمر في قوله ، المنقول عن الطبري آتفاً : « وما اظن ان يلي الا احد هذين

الرجلين : علي و عثمان فان ولي »

ثم ، لو فرض ان طلحة كان يمكن ان يميل الى عليّ (او لا يرجع اَبان الشورى الى المدينة ، على ما قيل : انه لم يكن وقتئذٍ في المدينة ^١ وجاء اليها بعد ختم الشورى فسلم انتخاب عثمان و بايعه) كان ايضا الرجحان لكفّة عثمان وكان لجانبه رجحان لأنّ عبد الرحمن كان رأيه له ، فلا جرم يكون الرجحان معه .

هكذا كان امر الشورى و رسمه . وقد عرف عباس ، عم الرسول (ص) ، بل وعليّ نفسه ، ما أُريد بهذا الرسم من النتيجة فاقترح على عليّ بعدم الشركة في تلك الشورى وصرح عليّ بانّه يعرف منه ما يعرفه عباس وانما يدخل فيها لمكان مصلحة يريها في شركته ، و ابان عن تلك المصلحة في بعض كلماته كما سيجيء .

٢٨٥ - وصيّة عمر لأبي طلحة في اصحاب الشورى

قال الطّبري في تاريخه (الجزء الثالث - الصفحة ال ٢٩٤ -) :

« قال عمر لأبي طلحة الأنصاري :

« يا ابا طلحة ان الله عز وجلّ طال ما اعزّ الاسلام بكم ^٢ فاختر خمسين رجلاً من الأنصار فاستحثّ هؤلاء الرّهط (اى اصحاب الشورى) حتى يختاروا رجلاً منهم .

« وقال للمقداد بن اسود :

١ - ولعله لما سمع من عمر (رض) قوله : (. . . ولقد مات رسول الله (ص) ساخطا عليك . . . » وعلم اعتقاده وسوء رايه فيه يشس فخرج من المدينة تعرضاً ويشعر بذلك ما يجيء من قول عمر في ما سيجيء قريباً : « ومن لى بطلحة ؟ » وقول سعد له : « انا لك ولا يخالف ان شاء الله » ثم قول عمر : « ارجوان لا يخالف ان شاء الله » .

٢ - وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي : « واخرج ابن سعد عن انس قال : ارسل عمر الى ابي طلحة الأنصاري ، قبل ان يموت ساعة ، فقال : كن في خمسين من الانصار مع هؤلاء - النفر ، اصحاب الشورى فانهم في ما احسب سيجمعون في بيت فقم على ذلك الباب باصحابك فلا تترك احداً يدخل عليهم ! ولا تتركهم يمضي اليوم الثالث حتى يؤمروا احدثهم . »

« اذا وضعتونى فى حفرتى فاجمع هؤلاء الرهط فى بيت حتى يختاروا رجلاً منهم .

« وقال لصهيب :

« صلّ بالناس ثلاثة ايام ^١ وادخل علياً و عثمان والزبير و سعد

و عبدالرحمن بن عوف و طلحة ، ان قدم ^٢ ، واحضّر عبد الله بن عمر ، ولاشئ له من الامر ، وقم على رؤسهم .

« فان اجتمع خمسة و رضوا رجلاً و ابى واحد فاشدخ رأسه او اضرب رأسه

بالسيف ! .

« وان اتفق اربعة فرضوا رجلاً منهم و ابى اثنان فاضرب رؤسهما .

« فان رضى ثلاثة ، رجلاً منهم فان لم يرضوا بحكم عبد الله بن عمر فكونوا

مع الذين فيهم عبدالرحمن بن عوف واقتلوا الباقين ، ان رغبوا ^٣ عما اجتمع عليه الناس .

١ - فاختير صهيب لامردين الامة ، ولم يعثر لامر دنياهم ، كما قالوا ذلك لابي بكر ، ولو كان مسئلة « الائمة من قرش » مانعاً من خلافته فهلا جعل هذا الرجل المختار لامر الدين ، المباح للامامة على المسلمين من اصحاب الشورى ، منتخباً (بكسر الخاء) لانتخاباً (بفتح الخاء) كى يصير العدد سبعة ولا يتحمل التساوى حتى يحتاج الى ترجيح احد المتساويين او المرجوح منهما على غيره ؟ فتدبر .

٢ - يظهر منه ان طلحة لم يكن تلك العين حاضرأ وقد صرح بذلك قبل هذه الجملة حيث قال : « . . . و طلحة شريككم فى الامر فان قدم فى الايام الثلاثة فاحضروه امركم وان مضت الايام الثلاثة قبل قدومه فاقضوا امركم . ومن لى بطلحة ؟ فقال سعد بن ابى وقاص : انا لك به ولا يخالف ان شاء الله فقال عمر : ارجوا ان لا يخالف ان شاء الله . . . » .

٣ - ما معنى هذا الشرط ؟ وماذا اريد بالناس واجتماعهم ؟ فاذا كان الناس لم يجتمعوا على ما اتفق عليه الثلاثة التى فيهم عبدالرحمن بل اجتمعوا على ما اتفقت عليه الثلاثة التى خالفت كيف تكون الحال ؟ و هل كان للناس فى هذا الانتخاب والاجتماع اختيار ام كان الانتخاب بيد هؤلاء الستة التى كان انتخابهم بيد الخليفة و باختياره لا بيد الناس واختيارهم ؟

امر عمر يقتل
من ابى من
اهل الشورى
عن البيعة

« فخرجوا . فقال عليّ لقوم كانوا معه من بنى هاشم : « ان اطيع فيكم قومكم لم تؤمروا ابدا » .

تصريح على
بمدول الامر عنه
بحسب طرح عمر ،
الشورى

« وتلقاه العباس فقال (يعنى علياً) : عَدَلْتْ عَنَّا . فقال (يعنى العباس) :
وما علمكك؟ قال :

« قَرَنَ بِي عَثْمَانَ وَقَالَ : كُونُوا مَعَ الْأَكْثَرِ فَإِنْ رَضِيَ رَجُلَانِ رَجُلًا وَرَجُلَانِ رَجُلًا
فَكُونُوا مَعَ الَّذِينَ فِيهِمْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ .

« فسعد لا يخالف ابن عمه عبدالرحمن و عبدالرحمن صهر عثمان لا يختلفون
فيولتيها عبدالرحمن ، عثمان ، اويولتيها عثمان ، عبدالرحمن فلو كان الآخر ان معي
لا ينفعنى

الى ان قال عباس :

« وَأَحْذَرُ هُلُولَ الرَّهْطِ فَإِنَّهُمْ لَا يَبْرَحُونَ يَدَ فَعُوْثِنَا عَن هَذَا الْأَمْرِ
حَتَّى يَبْقُوا لَنَا بِهِ غَيْرُنَا وَآيْمُ اللَّهِ لَا تَنَالُهُ إِلَّا بِشَرٍّ لَا يَنْفَعُ مَعَهُ خَيْرٌ
« وَرَوَى أَنَّ عُمَرَ لَمَّا قَالَ : « كُونُوا مَعَ الثَّلَاثَةِ الَّتِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِيهَا » .
« قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لِعَلِيِّ : « ذَهَبَ الْأَمْرُ مِنَّا ، الرَّجُلُ يَرِيدُ أَنْ يَكُونَ الْأَمْرُ فِي
عَثْمَانَ » .

فقال عليّ :

« وَأَنَا أَعْلَمُ ذَلِكَ وَلَكِنِّي ادْخَلْتُ فِي الشُّورَى لِأَنَّ عُمَرَ قَدَّاهَلَنِي الْخِلَافَةَ وَكَانَ
قَبْلَ يَقُولُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ص) قَالَ : « إِنَّ النَّبِيَّةَ وَالْأَمَامَةَ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي بَيْتٍ » .
« فَأَنَا ادْخَلْتُ لِأُظْهِرَ لِلنَّاسِ مَنَاقِضَةَ فَعَلَهُ لِرِوَايَتِهِ » .

مناقضة فعل عمر
لروايته على
ما قال على

٢٨٦ - كلام عمر في جمع النبوة والخلافة

قال ابن ابي الحديد في شرحه على النهج^١ :

١ - حدث الطبري ايضا بهذه الحكاية (الجزء الثالث - الصفحة ال ٢٨٨ -) باسناده

« قال عمر لعبدالله ابن عباس يوماً :

« يا عبدالله ما تقول فى منع قومكم منكم ؟

« قال : لا اعلم يا امير المؤمنين .

« قال : اللهم اغفر ان قومكم^١ كرهوا ان يجتمع لكم النبوة^٢

والخلافة فتتدهبون فى السماء بذخاً وشمخاً !

« لعلكم تقولون : ان ابا بكر اراد الامر عليكم وهضمكم^٣ ، كلا . لكنه

حضره امر لم يكن عنده احزم مما فعل . ولولا رأى ابى بكر فى بعد موته لا عاد

امركم اليكم^٤ »

وقال ابو الفرج فى الاغانى (الجزء التاسع - الصفحة ال ١٣٩ -) :

« اخبرنى احمد بن عبدالعزيز الجوهري قال : حدثنا هرون بن عمر قال

عن عمر بن عبدالله الليثى قال : عمر بن الخطاب ، ليلة مسيره الى العجائية ، ابن ابن

عباس ؟ فاتاه فشكا تخلف على بن ابى طالب ، رضى الله عنه ، فقال : اولم يعتذر اليك ؟

قال : بلى . فقلت : هو ما اعتذر به . ثم قال : « اول من ريشكم عن هذا الامر ابوبكر .

ان قومكم كرهوا ان يجمعوا لكم الخلافة والنبوة^٥ »

←

عن رجل من ولد طلحة عن ابن عباس تارة ، وباسناده عن عكرمة عن ابن عباس مرة اخرى ،

والاختلاف بينهما يسير لا يعبا به . وفى المنقول الثانى من الطبرى تنمة كلام لابن عباس

على كلام عمر : « كرهوا ان يجمعوا » وعلى كلامه « فاخترت قريش لانفسها فاصابت

ووفقت . »

١ - فى هذه الرواية قال : « قومكم » وفى ما نقل على عنه قال : « قال رسول الله :

ان النبوة والامامة لاتجتمعان » ولعله قد يقول هذا وقد يقول ذلك كلا لمناسبة .

٢ - فى التعبير بالاعادة و « الامر » المضاف ، مالا يخفى .

٣ - اظن ان ما نقلته آنفا عن ابن ابى الحديد كان ايضاً مستقولا من الجوهري .

٢٨٧ - اهل الشورى وما قال عمر في حقهم

ابدع عمر لتعيين الخليفة ، الشورى من بين الامة بانتخابه ، لا بانتخاب الامة
وبرأيهم ، ستة نفر من خصوص قريش (لأن الامة من قريش) وقد عرفهم تارة
بأنهم :
« هم الذين مات رسول الله (ص) وهو عنهم راضٍ وهم الذين بشرُوا علي
لسانه بالجنة »^١.

ووصفهم مرة ، علي ما نقلوا عنه ، باوصاف لا يصلحون عندها للخلافة وليسوا
اهلاً لها .

اوصاف من
رشحهم عمر
للخلافة علي ما
صرح نفسه بها

فوصف عبدالرحمن ، الذي رجحه علي غيره ، بالضعف وقال :

« وليس يصلح هذا الامر لمن فيه ضعف كضعفك » علي انه من زهرة « وما
زهرة وهذا الامر؟ »^١.

ووصف سعد بن ابي وقاص بانته :

« صاحب مقنَّبٍ وصاحب قننص وقوس واسهم » وهو من بنى زهره ايضا
« وما زهرة والخلافة وامور الناس؟ »^٢.

ووصف الزبير بانته :

« وَعَيْقٌ لِقَيْسٍ مُؤْمِنُ الرَّضَا كَافِرُ الْغَضَبِ ، يَوْمًا انْسانٌ وَيَوْمًا شَيْطانٌ ! فليت

١ - العشرة المبشرة علي ما قالوا ، هم الخلفاء الاربعة وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن

عوف وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل (وهو الذي لم يدخله عمر في
اهل الشورى وصرح في ما قال - الجزء الثالث من الطبري ، الصفحة ال ٢٩٣ ، « عليكم
هؤلاء الرهط الذين قال رسول الله(ص) : انهم من اهل الجنة ، سعيد بن زيد . . . منهم ولست
مدخله ولكن الستة : علي وثمان . . . الخ) .

٢ - اما كان الملاك كون الخليفة من قريش؟ ثم اما كان بتوزهرة منها؟ وبعد -

اللتيا والتي هل يوجد في تاريخ قريش ما يثبت فضل تيم وعدى علي بنى زهرة؟ بل يظهر
سما قاله ابوسفيان عن تيم بانها « اذل بيت واقل هي » خلاف ذلك .

شعري من يكون للناس يوماً تكون شيطاناً!؟...»

ووصف طلحة بأنه :

« ولقد مات رسول الله ساخطاً عليك بالكلمة التي قلتها يوم أنزلت آية الحجاب »
 على أنه سخط الخليفة ابوبكر، حين موته، عليه ايضاً فقد دريت ان طلحة لمّا قال لأبي بكر:
 « أعمر خير الناس!؟ » اشتدّ غضب الخليفة وقال: « اي والله هو خيرهم وانت شرهم!
 أما والله! لو وليتك لجعلت أنفك في قفالك وكرفتك تنفسك فوق
 قدرها! قم لا أقام الله رجليتك! ».

ووصف عثمان بأنه :

« والله لئن وليها ليحملنّ بنى ابي معيط على رقاب الناس ثم لتنهضنّ
 اليه العرب فتقتله » .

نعم استثنى من بين الستة علياً فما وصفه بما يخرج به عن الصلاحية بل صرح
 بصلوحه الكامل وكمال الملازم للخلافة بقوله: « الله أنت ، لو لا دُعاة فيك ، أما
 والله لئن وليتهم لتحمليتهم على الحق الواضح والمحنة البيضاء » .
 وكيف كان جرى التقدير وفق التدبير فاستقر الأمر على هؤلاء الستة ، للشورى
 والمؤامرة، وانتخاب الخليفة من بينهم بالمذاكرة والمشاورة .
 فلنذهب معهم الى تلك الشورى ونشاهد عياناً ما يجرى في ذلك النادي من
 ماجريات الحق والعدل ونرى :

٢٨٨ - الشورى وماجرت فيها

اجتمع اصحاب الشورى في بيت عائشة ، ام المؤمنين (رض) ، كما عن بعض ،
 او في محل آخر ، او في المسجد ، كما هو الأشهر ، واجالوا الراى والنظر ، واطالوا البحث
 والجدل ، فطال الشور ، وملّ القوم ، واوشك ان يقع التشاجر والتزاع بين من يميل
 الى عثمان ورضيه ، وبين من يرجح جانب على ويهويه .

قال الطَّبْرِي فِي تَارِيخِهِ (الْجُزْءُ الثَّالِثُ - الصَّفْحَةُ ٢٩٧ -) :

« . . . فَقَالَ عَمَّارٌ (يَعْنِي لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ بَعْدَ مَا قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ لِلْقَوْمِ :

اشيروا عليّ) : « ان اردت ان لا يختلف المسلمون فبايع علياً » .

فقال المقداد بن الاسود : « صدق عَمَّارُ ان بايعتَ علياً قلنا : سمعنا واطعنا » .

« قال ابنُ ابي سرحٍ ١ : « ان اردت ان لا تختلف قريش فبايع عثمان » .

« فقال عبدالله ابن ابي ربيعة : « صدق ان بايعت عثمان قلنا : سمعنا واطعنا » .

« فشم عَمَّارُ ، ابن ابي سرح وقل : « متى كنت تنصح للمسلمين ؟ » .

« فتكلم بنوهاشم وبنو امية !

« فقال عَمَّارُ :

« ايها الناس ! ان الله عز وجل اكرمنا بنبيّه ، واعزنا بدينه ، فأتى تصريفون

هذا الامر عن اهل بيت نبيكم ؟ »

« فقال رجل من بني مخزوم : لقد عدوت طورك يا ابن سُميّه و ما انت

وتأمير قريش لانفسها ٢ .

١ - عبدالله بن سعد بن ابي سرح : هو احد الاربعة التي امر رسول الله يوم فتح مكة

بقتلهم ، ولو وجدوا تحت استار الكعبة ، ففر ابن ابي سرح الى عثمان وكان اخاه من الرضاة ارضعت امه عثمان فغيبه عثمان حتى اتى به رسول الله فاستأمنه له فصمت رسول الله طويلا ثم قال نعم . . . (راجع الاصابة والاستيعاب) .

٢ - يظهر من هذا التعبير ان وجه عامة المسلمين كان شطر علي وكانت خلافته

محبوبة لهم كما يظهر من كلام ابن ابي سرح ان قريش خاصة كانت متوجهة الى عثمان لما كانت تعرف من حملهم على رقاب الناس وايتاره اياهم بالفى ، او لما كانت تكن صدورهم من بغض علي ، او لما كانت تعرف من علي من خشونته في جنب الله ، او من حمله اياهم على الحق الواضح والمعجزة البيضاء ، ولا يكادون يتحملون ذلك . وينبغي ان يتامل في كلمات الفريقين و يعتبر منها فابن ابي سرح وسواقوه تمام توجههم الى قريش و « تأسير قريش لانفسها ! » و عمار و المقداد ينظرون الى المسلمين ومصالحتهم ، و يراعون الحق والعدل ، وينصحون لما يعرفون من الحقيقة .

« فقال سعد بن ابى وقتاص : يا عبد الرحمن افرغ قبل ان يفتتن الناس .
 « ثم دعا عبد الرحمن علياً فقال : عليك عهد الله وميثاقه لئعملن بكتاب الله
 وسنة رسوله وسيرة الخليفين من بعده .

« قال (اى على) : ارجو ان افعل واعمل بمبلغ علمى وطاقتى .

« ودعا عثمان فقال له مثل ما قال لعلى .

« قال : نعم فبايعه .

« فقال على :

« حَبَّوْتَهُ (اعطيته) حَبَّوْدَهْر . لَيْسَ هَذَا أَوَّلُ يَوْمٍ تَظَاهَرْتُمْ فِيهِ عَلَيْنَا
 فَصَبْرُ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَيَّ مَا تَصِفُونَ . وَاللَّهُ مَا وَلَّيْتَ عُثْمَانَ إِلَّا
 لِيَرُدَّ الْأَمْرَ إِلَيْكَ . وَاللَّهُ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ
 « فخرج على وهو يقول : سَيَبْلُغُ الْكِتَابُ أَجَلَهُ .

« فقال المقداد :

« يا عبد الرحمن أما والله لقد تركته من الذين يقضون بالحق وبه
 يعدلون . . . ما رايت مثل ما اوتى الى اهل البيت بعد نبئهم . انى لا عجب
 من قريش انهم تركوا رجلاً ما اقول ان احداً اعلم ولا اقضى منه . أما
 والله لو اجيد عليه اعوانا »

١ - وفي رواية غير الطبرى : « الا لانك رجوت منه ما رجا صاحبكما من صاحبه ، دق الله
 بينكما عطر منشم » قال ابن ابى الحديد : « وقد فسد بعد ذلك بين عثمان و عبد الرحمن
 فلم يكلم احدهما صاحبه حتى مات عبد الرحمن » ونقل عن كتاب « الاوائل » لابي هلال -
 العسكرى ما هذا لفظه : « استجبت دعوة على فى عثمان و عبد الرحمن ، فما ماتا الا
 متهاجرين متعادين .

ارسل عبد الرحمن الى عثمان يعاتبه وقال لرسوله : قل له : « لقد وليتك ما وليتك
 من اسر الناس وان لى لاموراً ما هى لك : شهدت بدرا و ما شهدتها و شهدت بيعة الرضوان
 و ما شهدتها . و فررت يوم احد و صبرت » فاجابه عثمان بما اجاب وفيه : « واما صبرك يوم
 احد و فرارى فلقد كان ذلك فانزل الله العقوبتى »

٢٨٩ - اقتراح ابن عوف وما اجاب عنه علي وعثمان

وبالجملة، اقترح عبدالرحمن « العمل بسيرة الخليفين » مزيداً علي « العمل بالكتاب والسنة » فقال علي : « اَرَجُو اَنْ اَفْعَلَ فاعمل بمبلغ علمي ذلك وطاقتي » وقال عثمان : « اللهم نَعَمْ » فبايع عبدالرحمن ، عثمان . وتكلمت عدّة من اعظم الصحابة كمقداد وعمار واضر ابهما لعلي ، والمسلمين ، وتكلمت بعض كاهن ابى سرح و ابن - ابى ربيعة ورجل من بنى مخزوم لعثمان ، ولقريش ، فحدث اللغظ من الغوغاء وحصل - الجدل في خارج المسجد وداخلها بكيفيّة هُوَ جاء ١ .

وعلي ما قال الطّبري :

« وتلكأ علي » فقال عبدالرحمن « وَمَنْ نَكَثَ فَاَنْتُمْ بِسَكْتِكُمْ عَلَيَّ »

نَفْسِهِ

وشدّد ابوظلحة و اعوانه علي عليّ و اعوانه بالبيعة ، وهدّدهم عبدالرحمن ففضى الأمر وتمّ الشان وختمّ الشور فبايع عليّ ، وعلي ماروى الطّبري ، وغيره : « هو يقول : خدعة وابتما خدعة !! »

٢٩٠ - ارتاج الكلام علي عثمان

قال صاحب « البدء والتاريخ » في « ذكر بيعة عثمان بن عفان ، رضه » .

« قالوا : واقبل عبدالرحمن بن عوف إلى عليّ بن ابى طالب فقال :

« عليك عهد الله وميثاقه و اشدّ ما اخذ الله عليّ النبيين من عهد و عقدٍ ان انا

وليستك هذا الامر لتعملنّ بكتاب الله وسنة نبيّه ؟ .

» فقال : نَعَمْ طاقتي وجهدي ومبلغ رأبي .

١ - الغوغاء : « الكثير المختلط عن الناس ، السفلة من الناس والمتسرعين الى الشر »

والهوجاء : « من الرياح ، التي لاتستوى في هبوبها وتقلع البيوت » .

تعدد ابى طلحة
واعوانه علي
علي بالبيعة

« ثم أقبل على عثمان فقال له : عليك . . . (إلى آخر ما قال لعلي) .
 قال : نعَمْ ، لا ازول عنها ولا أدع منها شيئاً وبَسَطَ يَدَهُ .
 » وكرّر عبد الرحمن هذه الكلمة على عليّ و على عثمان مراراً كل ذلك
 يجيبانه مثل الأوّل وبَسَطُ عثمان يَدَهُ . وبنو هاشم و بنو أمية قيام ينظرون ما يكون .
 » فضرب عبد الرحمن على يد عثمان و بايعه على الأمر ثمّ تتابع الناس على
 ذلك . و خرج عثمان و وجهه يتهلل و عليّ كاسف اللون آرَبَدُ لم يبايعه و دخل
 منزله و رفع عصا عقيرته يقول :

يا ناعِي الأِسْلامِ قُمْ فَأَنْعَهُ
 قَدَمَاتِ عُرْفٍ وَأَتَى مُنْكَرًا

ثمّ قال صاحب الكتاب :

« هكذا رايته في بعض التواريخ و ما اظنّه حقاً ^٢ والله اعلم وروى ان سلمان
 جعل يقول ذلك اليوم : « كردند ، نكر دند . نكر دند ، نكر دند . » (اي فعلوا ولم يفعلوا .
 فعلوا ولم يفعلوا .)

« ثمّ قام عثمان على المنبر خطيباً فحمد الله واثني عليه و اُرْتَسِجَ عليه الكلام
 فقال :

« انّ هذا مقام ما كنّا نرى انّ نقومه ! وانّ اوّل مركب صعب ، وانّ
 مع اليوم ايّاماً ، و ما كنّا خطباء ، و سيعلّمنا الله ، و لا آلو امّة محمد خيراً » و نزل .
 » و مشى اهل الشورى إلى عليّ و قالوا :

١ - لعله : تتابع .

٢ - هذه القضية هكذا وردت في التواريخ و لا اختلاف لها في اصلها و بهذا يشعر كلمة
 « قالوا » التي صدرت القسمة المنقولة ، بها و على هذا فجملة « هكذا رايته في بعض التواريخ
 و ما اظنّه حقاً » ليس بواضح الا ان يكون باعتبار جملة « وبسط عثمان يده » و جملة « و خرج
 عثمان و وجهه يتهلل » و جملة « و على كاسف اللون » التي ليست في جميع التواريخ بل
 في بعضها .

« قم فبايع . قال :

« فأن لم افعل .

« قالوا : نجاهدك . فجاء فبايع » .

خلاصة القول : ان الخلافة على اساس ذلك الطريق الأنيق و بعد هذا الشؤر-
الدقيق العميق ! صارت لعثمان (رض) ورجع على (ع) الى حيث كان من عُقُوداره ،
وعاد الى اصططباره حتى يحكم الله برجوع الامر الى ما قدر من قراره .

٢٩١ - تنبيهات حول الشورى

الأول منها :

مما يجدر هنا بالتذكّر ويستحقّ فيها التدبّر أمور نشير إلى جملة منها وننبّه عليها.
اولها كلمة عليّ عليه السلام في الشورى وهي على ما اورده الطبري في تاريخه.

« ثم تكلم عليّ بن ابي طالب ، رضى الله تعالى عنه ، فقال .

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا مِّنَّا نَبِيًّا وَبَعَثَهُ الْبِنَا رَسُولًا .

« فَتَنَحْنُ أَهْلُ بَيْتِ النَّبُوَّةِ .

« وَمَعْدِنُ الْحِكْمَةِ .

« وَأَمَانُ أَهْلِ الْأَرْضِ .

« وَنَجَاةُ لِيْمَنٍ طَلَبَ .

« لَنَا حَقٌّ اِنْ نُعْطَهُ نَأْخُذْهُ وَ اِنْ نُمْسَعُهُ نَرْكَبُ اَعْجَازَ الْاَيْلِ ،

وَلَوْ طَالَ السَّرِيُّ » .

هذه كلمة القليها عليّ في ذلك النّادى و في مجتمّع الأعظم من الصحابة على
مارواها الطبري فليتبّر في تلك الجملة : « فنحن امان اهل الأرض » و « نجاة لمن

اهل بيت النبوة
امان اهل الارض

طلب» و«لنا حقٌّ ان نُعطه...»^١.

٢٩٢ - الثاني من التنبيهات

حصول الأثرية لعليّ وعدم اعتداد عبدالرحمن بها .

وذلك لأنّ طلحة ، كما دريت ، لم يكن حاضراً في الشورى^١ ، وورد المدينة بعد ختام المؤتمر وتمام الأمر ، وكانت العدة الحاضرة من الستة الميمنة ، على هذا ، خمسة وكان رأي الزبير وسعد ، لعليّ فكان جانبه ارجح و موافقه أكثر فكان من- الحقّ ان يُختار ويؤثر . فانظر إلى ما اورده الطبري في تاريخه (الجزء الثالث - الصفحة ال ٢٩٦ -) قال : « . . . حتى اذا كانت الليلة التي يستكمل في صبيحتها -

الأجل اتى منزل المسور بن مخرمة بعد ابهرار من الليل فايقظه فقال الا اريك نائماً ولم اذق في هذه الليلة كثير غمض ، انطلق فادع الزبير وسعدا . فدعاهما فبدء عبدالرحمن ، بالزبير في مؤخر المسجد في الصفة التي تلى دار مروان » فقال له :

« خلّ ابنيّ عبدمناف وهذا الأمر . قال :

» نصيبى لعليّ .

» وقال لسعد : انا وانت كلاله^٢ فاجعل نصيبك لي فأختار .

» قال : ان اخترت نفسك فنعم . وان اخترت عثمان فعليّ أحبّ اليّ ... »

وعلى هذا كان على عبدالرحمن ان يتبع الحقّ ولا يغفل عمّن يدور اينما

دارالحقّ وينادي جهاراً بانّ « لنا حقٌّ » .

١ - قد نقل عنه (ع) ما يفيد هذا المقاد من اول يوم بعد وفاة الرسول (ص) في عدة موارد وقد ذكرنا بعضها ، منها ما نقلناه عن « العقد الفريد » للفقيه المالكي (في آخر الكلام عن « العترة » و « اهل البيت ») فراجع .

٢ - ماذا اراد بهذا الكلام وكيف كان الامر والحق عند هؤلاء الاكابر؟ .

٢٩٣- الثالث

استبداد عبدالرحمن في الزامه والى الأمر بالعمل على سيرة الخليفين بعد اخذ العهد والميثاق منه بالعمل بكتاب الله وسنة رسوله حيث قال : « عليك عهد الله وميثاقه لتعممّن بكتاب الله وسنة رسوله ، وسيرة الخليفين من بعده » .

اترى انه (رض) كان يرى في سيرتهما ما لا يوافق الكتاب والسنة او يخالفهما؟! فان لم يكن في زعمه ذلك، ولعله لم يكن ، فالتعهد للعمل بالكتاب والسنة والألتزام به كان كافيا على الوالى وقد التزم وتعهّد على به^١ .

وان كان في زعمه ذلك، وما هكذا الظن به ، فلما ذا يجب على^١ والى الامران يلتزم به ويتعهّد له فيخالف بهذا العمل ، ما التزم به من العمل بالكتاب والسنة ويناقض ذيل تعهده صدره؟! وكيف كان فعلى هذا كيف يمكن الجمع بين العهدين ؟ واما كان هذا تكليفاً بالمحال ؟ .

ما معنى الزام والى الامر بعد التراه العمل بالكتاب والسنة بان يعمل على سيرة غيره

ثم هتلا قنيع واكتفى عبدالرحمن بما قاله على في جوابه من قوله ، على رواية الطبرى : « ارجو ان افعل واعمل بمبلغ علمى وطاقتى » ؟ اما كان للمنصف المخلص لله في هذا الجواب القاطع ، متنع ؟ اليس لا يكلف الله نفساً من العلم الا ما آتيلها ومن وسع الطاقه فى العلم الا ما اعطيلها ؟ .

١ - الى هذا يشير ما قاله للحسن بن على لقيس بن سعد الانصارى ، حين بايعه : ففى « الكامل » لابن الاثير (الجزء الثالث - الصفحة ال ٢٠٢ -) : « وفى هذه السنة ، اعنى سنة اربعين ، بوع الحسن بن على ، بعد قتل ابيه ، واول من بايعه قيس بن سعد- الانصارى وقال له : ابسط يدك ابايعك على كتاب الله وسنة نبيه ، وقاتل المجلىن . فقال له الحسن : « على كتاب الله وسنة رسوله . فانهما يأتیان على كل شرط » فبايعه الناس ... » .

٢٩٤ - العمل بالسيرة المقترحة مع تنافيه لما جوزوا

من الاجتهاد، متعذر لوجود الاختلاف

دع ذلك وذو هذا، وانظر الى ما يُدعى من « الاجتهاد » بالمعنى الواسع وسل :
 أما كان لكل من الخليفين جائز ان يجتهد ويعمل بما أدى اليه اجتهاده وارشده
 جهده وطاقته فليحرم لا يجوز ذلك لثالثهما، كائناً من كان : على كان او عثمان، فكيف
 اذا كان الثالث علياً وهو، هو في العلم والعمل؟ وكان اعلمهم بعد رسول الله، صلى الله
 عليه وآله وسلم^١.

فماذا هو الذي اوجب ان يُمنع خليفة المسلمين واعلمهم، من حق ثبت لكل
 صحابي سوقي او جندي ويلزم العمل بما سار عليه غيره، في زمان غير زمانه، ولأمور
 لعلته لا يناسب بمقامه وشانه؟

ليس في الزام التعهد بهذا الميثاق والعهد سد باب الاجتهاد والجهد؟ (على ما
 يراه القوم حقاً).

ثم أسأل: هل يتصور امكان الجمع بين السنة وسيرتهما، رضى الله عنهما؟
 اما كانت، على ما صرح به عمر، السنة العملية ممن هو خير منه اى الرسول (ص)
 ترك الاستخلاف، والسيرة المعمولة ممن هو خير منه، يعنى ابابكر، النص والاستخلاف؟
 فكيف جاز لعمر ان لا يعمل بالسنة ولا بالسيرة وان يسلك طريقاً ثالثاً ويسير
 الى رسم الشورى وطرحه؟ وكيف كان فكيف يمكن للثالث ان يتعهد العمل بسنة-
 الرسول (ص) وسيرة ابى بكر (رض) وسيرة عمر في خصوص هذا الموضوع اذا حان
 حينه وقرب اجله واراد ان يعالج امر الخلافة بعده؟

١ - قد مر مارواه جلال الدين السيوطى في جمع الجوامع عن سلمان الفارسي في الحديث
 عن النبي (ص) حيث قال: « ان وصيى و موضع سرى و خير من اترك بعدى... » الحديث.
 راجع الحديث ان شئت.

٢٩٥ - ارشاد عليّ، اليّ انّ الاصل المتّبع للمسلم، هو الكتاب والسنة

هيهنا يجب ان تخضع نفوس العقلاء والاحرار واهل الايمان، تجاه مقام عليّ
الايمايى والعلمى فانظر كيف يرشد المسلمين الى الحرّية فى الفكر والعمل ولزوم الجهد
فى تطبيق الأعمال على الكتاب والسنة، وعدم الاعتداد الا بما انزل الله تبارك وتعالى
وجاء به نبيّه الصادق الأمين .

على هو للنيل
الكامل للحرية
فى الفكر والاسوة
الحسنة للاقتداء
بالكتاب والسنة

٢٩٦ - جواب ابن عوف عمّا اعترض عليه والاشارة الى ما فيه

وبناسب المقام ان يُذكر هنا ما اجاب به عبدالرحمن عن الاعتراض الذى كان
عليه فى اختياره عثمان وتركه عليّاً فقد روى العلامة المفضل، جلال الدين السيوطى،
فى كتابه تاريخ الخلفاء عن مسند احمد بن حنبل بأسناده عن ابى وائل قال :
« قلت لعبدالرحمن بن عوف : كيف بايعتم عثمان وتركتم عليّاً ؟
قال : ما ذنبى ؟ قد بدأت بعليّ فقلت : ابايعك على كتاب الله وسنة رسوله
وسيرة ابى بكر وعمر . فقال : فى ما استطعت .

« ثم عرضت ذلك على عثمان . فقال : نَعَمْ » .

واظنّ ان التناظر فى هذه الأوراق والمتأمل فى هذه الكلمات لا يشكّ فى انّ
الذنب ، ان كان هناك ذنب ، لم يرتفع ببداية السّؤال عن عليّ بل لعلّه تشدّده
وتؤكّده وذلك لعلم السائل وكلّ من كان يعرف عليّاً بانّه (ع) لا يتعمّل التّجاوز
عن الكتاب والسنة الى غيرهما .

ثمّ لا يغفل عن جواب عليّ : « فى ما استطعت » وجواب عثمان : « نَعَمْ »
فيتوقف فى وجه قناعة عبدالرحمن بالثانى دون الأوّل ويسأل عن نفسه :

اكان الجواب الاول نصاً في رد العمل بسيرتهما حتى في ما يُستطاع ، اى في ما يكون موافقاً للكتاب والسنة ، فاعرض عنه عبدالرحمن وعرض ذلك على عثمان !
 ام كان الثانى صريحاً في تعهد العمل بسيرتهما حتى في ما لا يُستطاع ، او في ما لا يستطيع ، فصحّ لعبدالرحمن ان يقتنع به ويباع القائل المعجب ؟!

٢٩٧ - الرابع من التنبيهات

مراد على من قوله في الشورى : « لَيْسَ هَذَا اَوَّلَ يَوْمٍ تَظَاهَرْتُمْ فِيهِ عَلَيْنَا ، فَصَبِّرْ جَمِيلًا . . . »

ماذا اراد على
 بسبق تظاھرهم
 عليه

قد مرّ سابقاً ما يفيد هذا المراد ويفسره في قول العباس ، لعلى وهو :
 « واحذر هؤلاء الرهط فانهم لا يرحون يدفوننا عن هذا الأمر . . . »
 وفي قول المقداد بن الاسود : « . . . ما رايت مثل ما اوتى الى اهل هذا البيت بعد نبئهم . انى لأعجب من قریش انهم تركوا رجلا . . . »
 وسيجىء نقل قوله (ع) : « ما رأيت منند بعث الله محمداً ، رخاء ، لقد اخافتني قریش . . . »

٢٩٨ - الخامس منها

مناشدته اصحاب الشورى وفيها استناده باحاديث تعدّها الشيعة نصوصاً على خلافته من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم . منها حديث غدیر خم .

مناشدة على
 اصحاب الشورى

قال ابن ابى الحديد في شرحه ذيل « ومن كلام له عليه السلام لما عزموا على بيعة عثمان :

« لَقَدْ عَلِمْتُمْ اَنِّي اَحَقُّ بِهَا مِنْ غَيْرِي وَوَاللّٰهِ لَا سَلَمْنَ مَا سَلِمْتَ اُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَكَلِمٌ يَكُنُّ فِيهَا جَوْرٌ اِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً ، اِلْتِمَاساً لَا جَرِّ ذَلِكُمْ وَفَضْلِهِ ، وَزُهْدًا فِي مَا تَنَافَسْتُمْوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرَجِهِ » (المجلد الثاني - الصفحة ال ٦١ -) :

«... ونحن نذكر في هذا الموضوع ما استفاض في الروايات من مناشدته اصحاب الشورى وتعديده فضائله وخصائصه التي بان بها منهم ومن غيرهم .

« قد روى الناس ذلك فاكثروا والذي صح عندنا انه لم يكن الأمر كما روى من تلك التعديلات الطويلة، ولكنه قال لهم بعد ان بايع عبدالرحمن والحاضرون، عثمان وتلكاء هو عليه السلام عن البيعة : « ان لنا حقاً ان نعطه نأخذه وان نمنعه نركب اعجاز الابل وان طال السرى » في كلام قد ذكره اهل السيرة وقد اوردنا بعضه في ما تقدم، ثم قال لهم :

« انشدكم الله ! افيكم احد آخى رسول الله (ص) بينه وبين نفسه، حيث آخى بين بعض المسلمين وبعض غيري ؟
فقالوا : لا . فقال :

« افيكم احد قال له رسول الله (ص) : « من كنت مولاه فهذا موليه »
غيري ؟
فقالوا : لا . فقال :

« افيكم احد قال له رسول الله (ص) « انت مني بمنزلة هرون من موسى الا انه لا نبي بعدي » غيري ؟
قالوا : لا . فقال :

« افيكم من اؤتمن على سورة براءة وقال له رسول الله (ص) : « انه لا يؤدى عنى الا انا او رجل مني » غيري ؟ .
قالوا : لا . قال :

« الا تعلمون ان اصحاب رسول الله (ص) فروا عنه في ما قيط -
الحرب في غير موطن و ما فررت قط ؟
قالوا : بلى . قال :

« الا تعلمون اني اول الناس اسلاماً ؟

قالوا : بلى . قال :

« فَأَيُّنَا أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ص) نَسَبًا ؟ »

« قالوا : انت .

« فقطع عبدالرحمن بن عوف كلامه وقال : يا عليّ قد ابى الناس ! الا على

عثمان فلا تجعلنّ على نفسك سبيلًا .

تهديد ابن عوف
عليًا بالقتل

« ثمّ قال : يا اباطلحة ما الذى امرّك به عمر ؟ قال : انّ اقتل من شقّ

عصا الجماعة .

« فقال عبدالرحمن لعليّ باييع اذن ، والا كنت متبعا غير سبيل المؤمنين !

وانشدنا فيك ما امرنا به !!

« فقال : لقد علمتم انّى احقّ بها من غيرى ، والله لا أسلمنّ ...

الفصل الى اخره . ثمّ مديده فبايع .»

٢٩٩ - ما قيل ، اويقال ، على الطّريق الثالث

قد تؤخذ على عمر (رض) فى رسمه هذا الخطّ وساو كه هذا الطّريق لاختيار -
الخلافة ، امور لا ضير ان تؤرد ببعض منها الاشارة هيها :
اشارات الى ما
يرد على الطّريق -
الابداعى

منها - اذا كان يعتقد ان رسول الله (ص) ، لم يعين الخلافة فلما ذا لم يتقدّم

اثره ولم يتبع سنته وسيرته ؟ اما كان سمع ، ايضا ، قوله تعالى : « وَلَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ

أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ » .

ومنها - اذا كان يعتقد ان ابا بكر : « خير منه » كما صرح به فلم لم يهتد

بهديله ولم يسر بسيرته فى تعيين الخلافة ؟

ومنها - ماذا اباح له ان « يغتصب الناس امرهم » وان يحرم الامّة حقها -

الذى اعطاها الله ورسوله فى اختيار الخلافة ؟

ومنها - باى اذن سالف وحق سابق ، ساغ له التصرف فى الشئون التى للامّة

بعد مماته ؟ وكيف اجترء على ما لم يرد له اذن من الله ورسوله ولم يفعله ، بزعمه ، من كان احقّ بفعله منه وهو النبي (ص) ؟. هذا مع شدة احتياظه وورعه بحيث لا يأذن ابنه ان يعبر عنه في هذه الحالة بكلمة امير المؤمنين ويصرّح بانّه ليس اليوم للمؤمنين امير .
ففي كتاب « صفة الصّفة » (الجزء الاول - الصّفحة ال ١١١ -) تأليف جمال الدين ابى الفرج ابن الجوزى (المتوفى سنة ٥٩٧ هـ . ق) .

« . . . انطلق (يأمر عمر ابنه عبدالله) الى عائشة ، ام المؤمنين ، فقل لها :
يقرء عليك عمر ، السلام ، ولاتقل : أمير المؤمنين فأنتى لست اليوم للمؤمنين اميرا .
قل : يستأذنك عمر بن الخطاب ان يدفن مع صاحبيه ' . . . »

ومنها - ليمّ انصرف عمّا كان يختلج بباله من لزوم عدم تحملها حياً وميتاً ؟
وكيف حمّل نفسه على ذلك او حمل ذلك على نفسه؟ وهو الذى قال فى جواب من اشار اليه باختيار ابنه عبدالله :

« حَسْبُ آلِ عُمَرَ، اَنْ يُحْلَسَ مِنْهُمْ وَاحِدٌ وَيُسْأَلُ عَنْ اِمْرَةِ مُحَمَّدٍ .
او قال مستوحشاً :

« لاها الله اذا يليها رجلان من ولد الخطاب . حَسْبُ عُمَرَ مَا حَمَلَ، حَسْبُ
عُمَرَ مَا احْتَقَبَ . لاها الله لا اتحملها حياً وميتاً » .

وهو الذى بعد ما قال فى حقّ علىّ « قد كنت اجمعت . . . ان اولى رجلاً
امرکم ارجو ان يحملکم على الحقّ » قال :

« ثمّ رابت ان لا اتحملها حياً وميتاً، فعليکم بهؤلاء الرهط الذين . . . »
ومنها - اوليس فى اختياره السنة والآنحصر فى هؤلاء الرهط من الأمة ،
التحمل المهروب عنه والوقوع فى ما كان يحذر منه ؟

ومنها - لو كان مناط الاختيار والحصر وملاك التحمل المحذور عنه، كون هؤلاء -

١ - اطلاق « الصباح » ليس من باب كونه فى الغار بل لعله من باب التوسع

للمشاركة والاول .

الرّهط هم الذين يُشّر لهم بالجنة ومات الرسول (ص) وهوراضٍ عنهم، وكون الوصف من بين الصحابة، او من بين خصوص قريش، منحصرأ فيهم و باقياً لهم، ولهذا لزم على عمر (رض)، او صحّ وجاز له، ان لا يشرك معهم غيرهم فيهم ولا يتجاوز عنهم الى غيرهم فهلاًّ عيّن واحدا منهم بعينه لانّ الملاك المزبور موجود فيه، بلا ارتياب يعتبره ولاسيّما اذا كان ذلك الواحد، باعتقاده المؤكّد المقرون بيمينه، في قوله: « والله ليحملنّهم على الحقّ... »، هومن كان يحملهم على الحقّ الواضح والمحقّنة البيضاء؟ ومنها - بما ذا استباح قتل اعظم الصحابة مثل عليّ وعثمان، وغيرهما من السّنة، فأر اباطلحة الانصارى بما امر؟.

ومنها ان كان هؤلاء الرّهط ممّن مات رسول الله (ص) وهو عنهم راض، فكيف جاز قتلهم مع عدم صدور امرٍ منهم، سوى اطاعة امره بالدخول في الشورى، وقبول قوله بالتصالح للخلافة؟

ومنها - ان كانوا هم من العدة المبشرة بالجنة على لسان الرسول (ص) وكانت البشارة الصادرة لأجل عملٍ او حالٍ وفي زمانٍ يستلزم كون المبشّر له ثابتاً على ما كان في ذلك الزمان مدىّ حياته، وان طال الأمد، او كان على الله حتماً مقضياً ان يدخله الجنة، وان تغيّر لأنه بُشّر! فكيف يكون حال من قتلتهم، او امر بقتلهم، او سوّغ قتلهم!؟

اللهمّ ألا ان يجتهد ويعتقد انه مثابٌ مأجور، لتسريعه في ايصالهم الى ما بُشّروا به، وهي الجنة! .

ومنها - لمّ لم يجعل العدد في الشورى فرداً كي يحصل الأكتريّة القاطعة لأحد الرجلين اللذين كان لا يظنّ ان يلىّ الا احدهما: عليّ وعثمان؟ واذا كان في اعتقاده

١ - اشارة الى كلامه المنقول سابقاً عن الطبري « وما ظن ان يلى الا احدهذين الرجلين:

عليّ وعثمان »

انّ عبد الرحمن كان افضل واصلاح^١ ولهذا جعل رأيه اقوى^٢ وارجح^٣ فلم لم يجعل -
 الخلافة له عينا وجعلها مرددة بين هذا الافضل الاصلاح^٤ الأرحح، وبين غيره المرجوح؟
 ثم لم لم يجعل الاختيار والانتخاب، بعد فرض التساوي لآراء اصحاب الشورى،
 لعامة المسلمين من الأنصار والمهاجرين، او لخصوص اهل الحل والعقد منهم، وفيهم
 سلمان وعمار والمقداد وابى ذر و اضرابهم، من كبار الصحابة، وحتى العباس
 عم الرسول؟ .

ومنها - هب ان ذلك كله كان باجتهاد منه، واستصلاح لحال الأمة، واعتقاد
 المصلحة والخير للاسلام والمسلمين، فماذا هو الذي اختصه (رض) بجواز الاجتهاد،
 وجواز العمل باجتهاده، ومنع غيره منه؟ وما الدليل الذي حرّمه على سائر الصحابة وجميع الأمة؟
 الكيس اذا فتح هذا الباب بهذه السعة واجيز ذلك بهذا الحدّ صح ان يقال:
 هلا يجوز لكل من يفعل اى فعل يكون بظاهره مخالفا لما علم من الدين،
 او حكم به العقل، ان يقول بذلك ويوجهه بتأويله واجتهاده؟

الاجتهاد
 وحدوده

كتلا . ليس ولا يليق بأحد من المسلمين ان يتفوه بان قاتل الخليفة عمر (رض)
 وقاتل على (ع) اجتهد فرأى خير الأمة او صلاح الاسلام فى قتل الخليفة، فلا جناح
 عليه، ولا بأس بعمله، لانه مجتهد مستصلح، فاجتهد وتأول فاختأ . حاشا ثم حاشا ليس فى
 قبل النصّ وصراح العقل، مدخل للاجتهاد والدرى .

ثم لو سألتم ذلك فما على على ان لم يقبل اتباع سلفه فى هذا النحو من السيرة
 واكتفى بالتزام العمل وفق كتاب الله وسنة رسوله وقال : « آرَجُوْ اَنْ اَفْعَلَ
 وَاَعْمَلَ بِمَبْلَغِ عِلْمِيْ وَطَاقَتِيْ »^٣ .

١ - ونسى عما قال ، من ضعفه وانه يضع خاتمه لامرأته .

٢ - ولذلك لما ضربه ابولؤلؤة و «... سقط، قال : ابنى الناس عبد الرحمن بن عوف؟
 قالوا : نعم يا امير المؤمنين هو ذا . قال : تقدم فصل بالناس . فصلى عبد الرحمن و عمر
 طريح ... » (تاريخ الطبرى الجزء الثانى - الصفحة ال ٢٦٤ -)
 فعلى ما بنوا عليه اسر الخلافة من كون من صلح للصلاة ، وهو اسر دينى ، فهو صالح
 للخلافة التى هو اسر دينوى لا بد ان يختار عبد الرحمن للخلافة .

٣ - لعل علياً كان لم يرتض بعض اجتهادات السلف وسيرتهما .

ومنها - لما كان الملاك في انتخاب هؤلاء التنفر للشورى وللخلافة ما كان ، وكان على من بينهم « احريهم ان يحملهم على الحق ... » كما كان عمر يرجوه ويعتقده ، بل وكان اعتقاده في غير على ما صرح به حين موته^١ ، على ما مر ، فلما ذا لم يختره معيناً حتى يكون معيناً على الحق ومصيباً كبد الحقيقة؟

ومنها - لما عين صهيب للصلوة بالناس ثلاثة ايام ، وهو امر ديني ، فلم يغفل عنه ولم يعينه للخلافة ، والخلافة امر دنيوي ، كما يزعمون ، وان كان عدم كونه من قريش مانعا من الخلافة لم يكن هنا مانع من جعله عضواً للشورى على ان يكون له الرأي في الانتخاب ، لا للانتخاب ، حتى يصير العدد فرداً؟^٢

ومنها - مع أنه كان يخاف اختلاف الستة في ما بينهم واختلاف الناس لاجل اختلافهم و يعلم عدم وقوع الاختلاف اذا نص على واحد منهم ، بل او من غيرهم ، بعينه ، فلم لم يدفع الضرر المحتمل ! . قال الطبري في تاريخه (الجزء الثالث - الصفحة ال ٢٩٣ -) في ما نقل عن اقوال عمر (رض) : « . . . وقد قبض رسول الله (ص) وهو عنكم راض . انى لا اخاف الناس عليكم ان استقمتم ولكنى اخاف عليكم اختلافكم في ما بينكم فيختلف الناس ؟ » .

ومنها - ما عابه معاوية ، خال المؤمنين ، على عمر (رض) في ابداع هذا الطريق وهو على ما في « العقد الفريد » (الجزء - الصفحة -) للفقير المالكي ابن عبد ربته - الاندلسي بعد ان حكى ايفاد زياد بن ابيه ، ابن حصين الى معاوية ابن ابي سفيان واقامته عنده ما اقام :

١ - وفي غير هذا الحين ، فقد اطلق حين هجم بيت فاطمة على الزبير المبشر بالجنة ، المرضى عند الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، اسم اخس الحيوانات واخسها - ففى المحكى عن كتاب السقيفة لابي بكر بن عبد العزيز : « وذهب عمر ومعه عصا الى بيت فاطمة . . . فقال لهم : انطلقوا فبايعوا . فابوا عليه وخرج اليهم الزبير بسيفه . فقال عمر : عليكم الكلب ! يعنى الزبير ، فوثب عليه سلمة . . . »

٢ - اول لم لم يدخل سعيد بن زيد و هو احد اهل الجنة كما صرح عمر نفسه بذلك وصرح بانه « ليس مدخله » كما مر نقله سابقا عن الطبري؟

« ثم ان معاوية بعث اليه ليلاً فخلابه فقال ، له :
يا ابن حصين : فد بلغني ان عندك ذهنًا وعقلاً فأخبرني عن شيء اسألك .
قال : سلني عما بدالك .

« قال : اخبرني ما الذي شئت امر المسلمين وفرق مآلهم وخالف بينهم؟ .

« قال : نعم ، قتل عثمان .

« قال : ما صنعت شيئاً .

« قال : فمسيّر عليّ اليك .

« قال : ما صنعت شيئاً .

« قال : فمسير طلحة و الزبير وعائشة ، وقاتل عليّ اياهم .

« قال : ما صنعت شيئاً .

« قال : ما عندي غير هذا يا امير المؤمنين .

« قال : فانا اُخبرك : انه لم يُشئت بين المسلمين ولا فرق اهلهم الا -

الشورى التي جعلها عمر الى ستة نفر .

« وذلك ان الله بعث محمداً بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله

ولو كره المشركون .

« فعمل بما امره الله .

« ثم قبضه الله وقدم ابابكر للصلاة فرضوهم [ه] لأمر دنياهم اذ رضيه الله لامر

دينهم .

« فعمل بسنة رسول الله وسار بسيره حتى قبضه الله واستخلف عمر^١ فعمل بمثل

سيرته ، ثم جعلها شورى بين ستة نفر^٢ فلم يكن رجل منهم إلا رجاها لنفسه ، ورجاها

له قومه ، وتطلعت الى ذلك نفسه .

١ - كانه نسي ان رسول الله (ص) لم يستخلف ، بزعمه ، وعلى هذا فلم يعمل ابوبكر

(رض) بستته ولم يسر بسيره .

٢ - فكيف عمل بمثل سيرته ؟ !

الشورى
هى التى هتت
امر المسلمين
وفرق مآلهم على
ما اعتقده معاوية ،

« ولو أن عمرو استخلف عليهم كما استخلف ابوبكر ما كان في ذلك اختلاف. »
 هذا ما عابه معاوية ابن ابي سفيان على عمر في امر الشورى^١ (على ما في «العقد-
 الفريد» (وعلى ما حكاه ابن ابي الحديد عن كتاب التسييفه لأبي بكر الجوهري) .

٣٠٠ - سبب آخر لحدوث الاختلاف

وليُضف الى ما بيّنه معاوية من سبب الاختلاف ما نطق به عمر (رض) حال
 احتضاره واحضاره القوم للامر بالشورى، بعد ما واجهتهم، وجابه كل واحد منهم
 بنقص يريه فيه، من قوله اخيراً:

« انكم ان تعاونتم وتوازرتم وتناصحتم اكلتموها !! و اولادكم ، وان
 تحاسدتم وتاعدتم وتدابرتهم وتباغضتم ، غلبكم على هذا الامر معاوية بن
 ابي سفيان » .

و روى ابن حجر العسقلاني في كتابه «الأصابة» انه «... كان عمر اذا نظر الى
 معاوية قال : هذا كسرى العرب^١ ! »
 وروى ايضا هو فيه انه قال عمر :

« واياكم والفرقة بعدى . فان فعلتم فاعلموا ان معاوية بالشام . فاذا وكلتم الى
 رايعكم كيف يستبزاها منكم » .

فكانته (رض) جعل معاوية في الشام ذخيرة ليوم كان يقدره ويتفرسه، فأيقظه
 بهذه العبارات الجليلة لما لعله لم يكن هو راقداً عنه، غافلاً منه، وحرصه و اغراه
 لاستبزاز الخلافة وكونه منها بالمرصاد .

١ - وفي الاستيعاب (ذيل: ترجمة معاوية) : « وقال عمر رضي الله عنه اذ دخل الشام
 وراى معاوية : « هذا كسرى العرب ! » ، وكان قد تلقاه معاوية في موكب عظيم ، فلما
 دنا منه قاله له : أنت صاحب الموكب العظيم ؟ قال : نعم يا امير المؤمنين . قال : مع
 ما بلغنى عنك من وقوف ذوى الحاجات ببابك ؟ قال : مع ما يبلغك من ذلك ! قال : ... »

حكى ابن ابي الحديد (المجلد الاول - الصفحه ال ٢٥٣ -) عن ابن ديزيل

انه قال بأسناده :

« ان عمر بن الخطاب لما طعن قال : « يا اصحاب محمد تناصحوا ، فانكم ان

لم تفعلوا غلبكم عليها عمرو بن العاص و معاوية بن ابي سفيان » .

ثم قال ابن ابي الحديد :

« قلت : محمد بن النعمان المعروف بالمفيد احد الامامية قال في بعض كتبه :

« انما اراد بهذا القول اغراء معاوية وعمرو بن العاص بطلب الخلافة واطماعهما

فيها لأن معاوية كان عامله بالشام وامره بالشام وعمرو بن العاص عامله بمصر وامره

على مصر وخاف ان يضعف عثمان عنها وان تصير الى علي عليه السلام فالقى هذه -

الكلمة لتنتقل اليهما وهما بمصر والشام فيتغلبا على هذين الاقليمين ان افضت الى علي ... »

لعله ، يظهر من لحن الكلام وسياقه ، انه لم يكن معاوية في نظر عمرو (رض)

و في اعتقاده صالحاً لهذا الامر ، بل وفي نظر المسلمين وباعتقادهم ايضا ، حيث هدّد -

القوم من الفرقة الموجبة لسوء العاقبة باستبزازه الخلافة وهو كسرى العرب .

٣٠١ - سؤال بلا جواب

وهيئنا لسائل ان يسأل ويقول : فلما ذا ابقاه في شغله و هو يعلم انه « كسرى -

العرب » مع انه لزهده ، اورعاية صلاح ملكه لم يكسب يتحمل لخالد بن الوليد ، سيف الله

المسلول على الكافرين ، على ما قالوا ، فارس العرب و فاتح بلاد الروم وفارس ، فعزله

كسرى لا يفتخر خالد ولا يفتخر المسلمون به ، كما نقلنا سابقاً من الطبري وابن الاثير ، ولم يكسب

يتحمل لسعد بن ابي وقاص ، اول من رمى في الاسلام و من غلب على اعظم جند

لأيران ، وفتح اعظم البلاد ، ان يختار لنفسه بناءً في الكوفة بمتاز عن سائر الابنية بابنه

وبناؤه فأمر بحرق الباب والبناء^١ وعزله^٢ وشاطره^٣ في أمواله مع ما علم من ابتلائه في-
الأسلام، وكونه من «العشرة المبشرة»، وممن رضي عنه الرسول (ص) حين موته، وممن
جاهد مع رسول الله في الغزوات؟ فكيف؟ وعلى ما إذا اختار سبيل المماشاة مع طليق
ابن هند، آكلة الأكباد، ولم يعزله بل مناهه بالسلطنة الكسروية وقواه، وهدد الأصحاب
بما يعرف من مساويه ويتنظر منه، من الاستبزاز؟

يقظ عمر (رض) بذلك الكلام ما كانت نائمة في معاوية ولعلته لم يكن استاذن
على خيال معاوية الى هذا الحين توهم ان يوجد في المسلمين احد يتخيل صلوحه

١ - قال: «الامام العلامة شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابي بكر، المعروف بـ ابن-
القيم الجوزية» في كتاب « زاد المعاد في هدى خير العباد » (الجزء الثاني - الصفحة ال ١٦ -).
« وحرقت (عمر) قصر سعد لما احتجب فيه من الرعية ».

وقال ابن الاثير في الكامل (الجزء الثاني - الصفحة ال ٣٦٩ -) :

«ويبلغ عمر، ان سعداً قال، وقد سمع اصوات الناس من الاسواق، :سكنوا عنى الصويت. وان-
الناس يسمونه قصر سعد فبعث محمد بن مسلمة الى الكوفة وامره ان يعرق باب القصر ثم يرجع
ففعل...»

٢ - في الكامل (الجزء الثاني - الصفحة ال ٣٩٨ -) : « وفيها (يعني سنة عشرين)
عزل عمر، سعد بن ابي وقاص عن الكوفة لشكايتهم اياه ، وقالوا : لا يحسن يصلى ! ».

٣ - في تاريخ الخلفاء (الصفحة ال ١٤١) : « واخرج ابن سعد عن ابن عمر ان عمر
امر عماله فكتبوا اسوالهم، منهم سعد ابن ابي وقاص فشاطرهم عمر في اسوالهم فأخذ نصفاً
واعطاهم نصفاً . واخرج عن الشعبي ان عمر كان اذا استعمل عاملاً كتب ماله . »

وفي هذا النحو من المشاطرة ، لو لم يستند فيه بالتاويل والاجتهاد الذي اجيب به
عن بعض ما يخالف ظواهر الدين ، بل نصوصه ، من الافعال والاحكام وجوه من التأمل والنظر :
منها هتك حرمة « الصحابي » ولا سيما اذا كان من العشرة ، كسعد .

ومنها اجراء الحكم على المتهم ، بل البريء ، بصرف الوهم ، بلا محاكمة ولا بينة .
ومنها ان المال الزائد على ما كتبوا للعامل ، ان كان حصل له من وجه شرعي ،
كالهبة والهدية ونحو اصل المال مثلاً فلا يجوز اخذ شيء منه وان كان حصل له لا بوجه
شرعي فليؤخذ كله منه لاشطره وليعاقب على ذلك .

وكيف كان لا وجه للمشاطرة في اسوالهم اي في جميعها بل ينبغي ان يكون في
ما زاد على الاصل .

لهذا الأمر ويرتضيه فضلاً عن راس المسلمين ورئيسهم، الخليفة اليقظ الفطن -
الفظ الغليظ؟

فأضمر معاوية من ذلك الحين في نفسه اعتناق الخلافة، وصار منها بالمرصاد،
ودبر الأمور على وفق ما يقتضيه هذا المبتغى والمراد، وانتهاز الفرصة لذلك الميعاد،
ولهذا لم يُجِبْ دعوة الخليفة عثمان ولم يُطع امره بالدفاع عنه حتى قُتِل في الدار
وَبُوعَ عليٌّ بالأكره والأجبار.

فقعد وقام. وحرّض اهل الشام. على طلب ثار الأمام، وخالف علياً بالأيهام،
وقاتله بالأتهاام، حتى نال بما ارادورام، فجلس على عرش الحكومة المطلقة المستبدّة
بدعوى الخلافة في الاسلام، وعدل الى كسرويته الجبارة العشّام.

وقد عرف عثمان (رض) ذلك منه وعيّرهُ عليه. ففي تاريخ الطبري وغيره،
كما سيحىء، أن معاوية بعد ما كتب اليه عثمان بتعجيل القدوم اليه وتوجهه في اثني -
عشر الف الى المدينة، وايقافهم في اوائل الشام، لينذهب بنفسه الى عثمان ويعرف كيفية
امره: « فأتى عثمان فسأل عن العدة.

تعيير عثمان
معاوية

« فقال: قد قدِمْتُ اليك لأعرف رايتك واعدوّ اليهم فأجيبك بهم!!
« فقال: لا والله، ولكنك تريد أنْ أُقتل فتقول: انا وليّ الشار. ارجع
فجئني بالناس. فرجع. فلم يعدْ اليه حتى قُتِل.»

٣٠٢ - ختام الكلام في الشورى

ولنجعل ختام الكلام في الشورى ما صدر عن عليّ في خطبته المعروفة
بـ «الشَّقْشِقِيَّة» ، ولعلّه يساعداً التوفيق لنقل تمامها في محل يناسبها، واثبات كون -
الخطبة، حسب ما اعترف به اكابر اهل السنّة، صادرة عن عليّ (ع).
قال في تلك الخطبة في ما قال:

« . . . حتى اذا مضى لسبيله (يعنى عمر) جعلها في جماعة زعم انى

احدهم.

« فيالله وللشورى! »

« متى اعترضت التريبُ فيسى مع الأول منهم، حتى صرتُ أقرن السبي هذه النظائر؟! »

« لكننى استغفرتُ اذا استفسروا وطيرتُ اذا طاروا فصغا رجلٌ لضِغْنِهِ ومال - الآخر لصِهْرِهِ، مع هنٍ وهنٍ »

هكذا انقضى دور خلافة عمر وكانت مدتها نحواً من عشرة سنة وستة اشهر فمات لأربع ليالٍ او ثلاثة بقين من ذى الحجة، فى السنة ال ٢٣ من الهجرة .
واحتوت دور خلافته وادارته على وقائع مهمة من الفتوحات وادارة البلاد المفتوحة، واجراء العدل فيها، وحسن السياسة وغير ذلك مما يصلح لها تاليف كتاب خاص وليس هذه الأوراق لهذا الغرض، فلنختم الكلام هنا ونذهب الى : دور خلافة عثمان ونرى ما اتفقت فيه .

أيام خلافة عثمان (رض)

وما صار اليه امره

« ولى عثمان الخلافة اثني عشره سنة .
« يعمل ست سنين لا ينقم الناس عليه شيئاً .
« وانه لأحب إلى قريش من عمر بن الخطاب .
« لأن عمر كان شديداً عليهم .
« فلما ولى عثمان لان لهم ووصلتهم .
« ثم توانى فى امرهم واستعمل اقربائه واهل بيته فى الست الأواخر .
« وكتب لمروان بخمس افريقيّة واعطى اقربائه واهل بيته المال . . . فأنكر-
الناس عليه » .

(تاريخ الخلفاء للسيوطى الشافعى ، بأخراج ابن سعد عن الزهري) .

« فَلَمَّا أَحْدَثَ عَثْمَانُ مَا أَحْدَثَ ، مِنْ تَوَلِّيَةِ - « وَاللَّهِ مَا كَانَ فَيَسِينَا إِلَّا خَاذِلٌ أَوْ قَاتِلٌ »
 الأَحْدَاثِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَتَقْدِيمِ قَرَابَتِهِ
 قَيْلَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ :
 « هَذَا كُلُّهُ فَعَلُّكَ ! قَالَ :

« لَمْ أَظُنْ هَذَا بِهِ . وَلَكِنَّ اللَّهَ عَلَيَّ أَنْ لَا أُكَلِّمَهُ أَبَدًا
 فَمَاتَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَهُوَ مُهَاجِرٌ لِعَثْمَانَ .
 وَدَخَلَ عَلَيْهِ عَثْمَانُ فَتَحَوَّلَ عَنْهُ إِلَى الْحَائِطِ
 وَلَمْ يُكَلِّمَهُ ! »

(العقد الفريد للفقير المالكي ، ابن عبد ربّه)

- | | | |
|---|---|--|
| <p>١ - عثمان في خلافته .
 ٢ - معاملته مع بيت المال .
 ٣ - ايثاره اقربائه .
 ٤ - كتابه الى ابن ابي سرح .
 ٥ - اول ما تكلم الناس في عثمان .
 ٦ - عبد الرحمن ابن عوف وعُتْبَانُهُ عَلَى عَثْمَانَ .
 ٧ - بعض ما اورثت اعراض الصحابة .
 ٨ - عدّة من احداث عثمان .
 ٩ - اهمّ ما طعن به عليه .
 ١٠ - توبة عثمان .
 ١١ - نقض ما كان يُبرمه .
 ١٢ - قتل عثمان .</p> | } | <p>١٨ - حول ماجرى في خلافة عثمان :</p> |
|---|---|--|

٣٠٣ - عثمان في خلافته

لما استقرت الخلافة على عثمان (رض) لم تمض مدة كثيرة الا وكأنه نسي ما عهد به لعبد الرحمن بن عوف: فسار بغير سيرة الخلفتين، وسلك غير سبيل - السابقين، وصدق تفرس الخليفة عمر في حقه حيث حمل بنى امية و بنى ابى معيط على رقاب الناس، وقدم من كان من الأقرباء منها، على غيرهم من الصلحاء المحنكين والصحابة المجاهدين المكرمين، وان لم يكن فيه صلاح، بل وان كان الفساد فيه ظاهرا، وكان بالفسق متجاهرا، فكان يختار من هؤلاء الأقرباء للامارة والحكومة، ويسلطهم على المسلمين .

تحول حال عثمان
وتغير سيرته
والفعله

على انه كان يتصرف في بيت المال بما يريد ويشاء، ويعطى منه ومن الغنائم من كان من الأقارب بلا كتاب ولا حساب، اللهم الا حساب «الأقرب فالأقرب» في ذلك الباب .

نقل ابن ابى الحديد، وغيره من افاضل اهل السنة :

« روى انه دفع الى اربعة انفس من قریش، ووجهم بناته، اربعمائة الف دينار! واعطى مروان مائة الف عند فتح افريقية، و يروى خمسم افريقية، وغير ذلك . وهذا بخلاف سيرة من تقدمه، في القسمة على الناس بقدر الاستحقاق، وايتار-

اعطاء عثمان،
مروان مائة الف
عند فتح افريقية

الأبعاد الصلحاء على الأقارب . »

وكان اذا يعاتب على ذلك ويعترض عليه يقول (على ما رواه الواقدي عن

الميسور بن عتبة - بنقل ابن ابى الحديد -) :

« ان ابابكر وعمر كانا يتأولان في هذا المال طلاق انفسهما وذوى ارحامهما

وانتى تأولت فيه صلة رحيمي . »

وحكى الواقدي (على ما نقل عنه ابن ابى الحديد ايضا) :

« كان بحضرة عثمان ، زياد بن عُبَيْدٍ ^١ ، مولى الحارث بن كلدة التَّقْفِي ، وقد بعث اليه ابو موسى ^١ بمال عظيم من البصرة فجعل عثمان يقسمه بين ولده واهله بالصَّحَافِ ! فبكى زياد . فقال :

اعتذار عثمان
عن الاعتراض عليه

« لا تَبْكِيكَ فانَّ عمر كان يمنع اهله و ذوى قرابته ابتغاء وجه الله ، وانا أُعْطِي اهلي وولدي وقرابتي ابتغاء رحمة الله ! ^٢ .

وحكى ابن ابي الحديد عن الواقدي ايضا مسنداً :

« انَّه ولى الحَكَمَ بن ابي العاص ^٣ ، طريدَ رسول الله (ص) ، صدقات قضاة فبلغت ثلاثمأه الف الف ^٤ فوهبها له حين اتاه بها . »

ونقل الطبري في قضية مصالحة عبد الله بن سعد (اى ابن ابي سرح) مع جرجير بِطَرِيقِ افريقيَّة ، على الفى الفى دينار و خمسمائة الف دينار وعشرين الف دينار بالأسناد عن ابن كعب ، هذه العبارة (الجزء الثالث - الصَّفحة ال ٣١٤ -) :

« . . . و كان الذى صالحهم عليه عبد الله بن سعد ثلاثمأة قنطار ذهباً فَنَامَرَ به عثمان لآل الحَكَمِ قلت : (اى اسامة بن زيد الليثي ، الراوى عن ابن كعب) او لمروان ؟ قال : لا ادري . »

وروى ابن ابي الحديد عن الواقدي وعن ابي مخنف :

« انَّ النَّاسَ انكروا على عثمان اعطاء سعيد بن العاص مائة الف وكلمه على ^٥ و التَّزْيِيرِ و طلحة و سعد و عبد الرحمن فى ذلك فقال :

١ - يعنى زياد ابن ابيه .

٢ - هذا معنى اتباع السيرة حسب العهد والميثاق ، وان شئت فقل : هذا معنى الاجتهاد . فلا حرج على من اكل مال المسلمين و صرفه فى ما يهويه من سئلذاته ابتغاء وجه الله ورحمته ، او ابتغاء فضل الله و مغفرته اذا تأول ، و ان اخطأ .

٣ - كان الحكم هذا ابو مروان وعم عثمان لان عثمان هو ابن عفان ابن ابي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف .

٤ - هكذا ضبط ولعله كان تكرر « الف » او كلمة « مائة » من سهو الناسخ .

« ان له قرابةً ورحيمًا !

« قالوا : فما كان لأبي بكر وعمر قرابة وذوو رحم؟ فقال :

« ان ابا بكر وعمر كانا يحسبان في منع قرابتهما وانا احتسب في اعطاء قرابتي^١.

« قالوا : فهديهما، والله ، احبُّ الينامن هديك. »

اختلاف السيرة
باختلاف الاجتهاد

٣٠٤ - رد ابن ارقم صك عثمان

عن ابي مخنف (على ما رواه ابن ابي الحديد) .

« ان عبد الله بن خالد بن اسيد بن ابي العيص بن امية قدم على عثمان من

مكة و معه ناس فأمر لعبد الله بثلاثمائة الف ! ولكل واحد من القوم بمائة الف :

« فصكك بذلك على عبد الله^٢ بن ارقم ، وكان خازن بيت المال ، فاستكثره

ورد الصفكك به . ويقال : انه سأل عثمان ان يكتب عليه بذلك كتابا فأبى . وامتنع

ان يدفع المال الى القوم فقال له عثمان :

« انما انت خازن لنا فما حملك على ما فعلت ؟ »

رد ابن ارقم
صك عثمان عليه
واستغفاره

١ - فكان الدين في صرف مال المسلمين تابع لما احتسبه الخليفة الراشد الامين ،

رضي الله تعالى عنه ، لالما فرض الله وسن رسوله ! .

٢ - « عبد الله بن ارقم بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب -

القرشي ... كتب للنبي صلى الله عليه وسلم ثم لابي بكر (رض) واستكتبه ايضا عمر (رض)

واستعمله على بيت المال ، وعثمان بعده ... لم يزل على بيت المال خلافة عمر كلها ، وستين

من خلافة عثمان (رض) حتى استغفاه من ذلك فاعفاه . . . ان عثمان اجاز عبد الله بن

الارقم وكان له على بيت المال بثلاثين الفا فابى ان يقبلها . . . وقال عمر لعبد الله بن ارقم :

« لو كان لك مثل سابقة القوم ما قدمت عليك احدا » (الاستيعاب) .

وفي « الاصابة » : « حدثت حفصة انه (تعنى اياه عمر) قال لها : لولا ان يتكر على

قوبك لاستخلفت عبد الله بن ارقم . . . استعمل عثمان عبد الله بن ارقم على بيت المال

فاعطاه عمالة ثلاثمائة الف فابى ان يقبلها » .

فقال ابن الأرقم : كنتُ ارانى خازنَ المسلمين وانما خازنك غلامك . والله لا آلى لك بيت المال ابدأ وجاء بالمفاتيح فعلقها على المنبر . ويقال : بل القاها الى عثمان فرفعها الى نائل مولاها .

روى ابن ابى الحديد ايضا عن الواقدى :

« ان عثمان امر زيد بن ثابت ان يحمل من بيت مال المسلمين الى عبد الله بن - الارقم فى عقيب هذا الفعل ثلاثمائة الف درهم فلما دخل بها عليه ، قال له : يا ابا محمد ان امير المؤمنين ارسل اليك يقول : اننا قد شغلناك عن التجارة ولك ذوررحم ، اهل حاجة ففرق هذا المال فيهم ، واستعين به على عيالك .

« فقال عبد الله بن الارقم : مالى اليه حاجة ، مالى اليه حاجة . وما عملت لأن يثيبني عثمان . والله ان كان هذا من بيت مال المسلمين ما بلغ قدر عملى ان أُعطى ثلاثمائة الف ! وان كان من مال عثمان ما أُحب أن ارزأه من ماله شيئاً » .

ارسال عثمان
ثلاثمائة الف
درهم لارضاء
ابن الارقم
ورده عليه

٢٨٥ - عثمان وعطيّاته مروان

قال عبد الله بن التّزيير (برواية الواقدى عن اسامة بن زيد عن نافع مولى - التّزيير^١) :

« اغزانا عثمان سنة سبع وعشرين افرقيّة فاصاب عبد الله بن سعد بن ابى سرح غنائم جليلة فأعطى عثمان ، مروان بن الحَكَم تلك الغنائم ! » .

و روى الكلبي عن ابيه عن ابى مخنف (على ما حكى ابن ابى الحديد) :

« ان مروان ابتاع خمّس افرقيّة بمائى الف درهم ومائى الف دينار وكلّم عثمان فوهبها له . فانكر الناس ذلك على عثمان (رض) .

١ - شرح ابن ابى الحديد و تاريخ الطبرى ، كما مر نقله آنفاً .

٢٨٦ - قضيه علي وعامله مصقله

في تاريخ الطبري (الجزء الرابع - الصفحه ال ١٠٠ -) (فسي واقعة شراء مصقله بن هبيرة أسراء النصارى من معقل وعدم ادائه ما تعهد من المبلغ ثم فراره الى معاوية) :

« قال ابو مخنف : وحدثني ابو التصلت الأعور عن ذهل بن الحارث قال : دعاني مصقله الى رحله فقدم عشاؤه فطعمنا منه . ثم قال : والله ان امير المؤمنين (يعني علياً) يسألني هذا المال ولا اقدر عليه . فقلت : والله لو شئت ما مضت عليك جمعة حتى تجمع جميع المال .

« فقال : والله ما كنت لأحملها قومي ولا اطلب فيها الى احد . ثم قال :

« أما والله لو ان ابن هند هو طابني بها ، او ابن عثمان ، لتتركها لي . ألم تر

كان عثمان
اطعم الاشعث
مائة الف في كل سنة

الى ابن عثمان حيث اطعم الاشعث من خراج اذربيجان مائة الف في كل سنة ؟

« فقلت له : ان هذا لا يرى هذا الرأي ، لا والله هو ما يبذل شيئاً كنت اخذته

ساعةً وسكت عنه . فلا والله ما مكث الا ليلة واحدة بعد هذا الكلام حتى لحق بمعاوية

وبلغ ذلك علياً فقال :

« ماله !؟ برحه الله ! فعَلَّ فِعْلَ السَّيِّدِ ، وفَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ ، وَخَانَ خِيَانَةَ -

الْفَاجِرِ . أَمَا وَاللَّهِ لَوَانْتَه أَقَامَ فَعَجَزَ مَا زَدْنَا عَلَيَّ حَبْسَهُ فَإِنْ وَجَدْنَا لَهُ شَيْئًا أَخَذْنَاهُ ،

وَإِنْ لَمْ نَقْدِرْ عَلَى مَالٍ تَرَ كُنْهًا . »

كان معاوية يشير الى ما كان عليه ابن عمه ، عثمان ، من بذل الأموال ، حيث

قال ، بعد ما وصف ابوبكر و عمر بما وصف : « وأما نحن ... » فقد اورد السيوطي

تعرغ ، عثمان
في الدنيا على
ما عبر به معاوية

(جلال الدين) في كتابه تاريخ الخلفاء (الصفحه ال ١٢٠) ما هذه عبارته :

« وقال معاوية (رض) : أما ابوبكر فلم يرد الدنيا ولم ترده وأما عمر فارادته -

الدنيا ولم يردّها وأما نحن فتمررنا فيها ظهراً لبطن »^١ .

١ - اخرجه الزبير بن بكار في الموقيات (ابن ابي الحديد) .

٢٨٧ - تغيير عثمان سيرته

نقل جلال الدين السيوطي في تاريخ الخلفاء، بأخراج ابن سعد عن الزُّهري،
أنه قال :

« ولِيَ عثمانَ الخلافة اثنتي عشرة سنة يعمل ست سنين لا ينقم الناس عليه شيئاً
وانه لآحبُّ الى قريش من عمر بن الخطاب لأنَّ عمر كان شديداً عليهم، فلماً
وليهم عثمان لانَّ لهم ووصلهم . ثمَّ تواني في امرهم واستعمل اقربائه واهل بيته في-
الست الأواخر وكتب لمروان بخمس افریقیة واعطى اقربائه واهل بيته، المال
فأنكر الناس عليه . »

وقال هو ايضا فيه :

« واخرجه (يعنى ما نقلنا منه آنفا بأخراج ابن سعد عن الزُّهري) ابن عساكر
من وجه آخر عن الزُّهري قال .

« قلت لسعيد بن المسيَّب : هل انت مخبري كيف كان قتل عثمان و ما كان
شأن الناس وشأنه ؟ ولمَّ خذله اصحاب محمد ؟ فقال ابن المسيَّب :
« . . . انَّ عثمان لماً ولي كره ولايته نفر من الصحابة لأنَّ عثمان كان
يحبُّ قومه . »

« فولى الناس اثنتي عشرة سنة ، وكان كثيراً ما يولّى بنى امية ممّن لم يكن له
مع رسول الله (ص) صحبة .

« فكان يجيء من امرائه ما ينكره اصحاب محمد (ص) وكان عثمان يُستعصبُ
فيهم فلا يعزّلهم . وذلك في سنة خمس وثلاثين . فلماً كان في الست الأواخر استأثر
بنى عمّه فولاهم وما اشرك معهم . وامر بتقوى الله : فولّى عبد الله بن ابي سرح مصرَ
فمكث عليها سنين فجاء اهل مصر يشكونه ويتظلمون منه وكان قبل ذلك هناة الى
عبد الله بن مسعود و ابي ذر و عمّار بن ياسر .

« وجاء اهل مصر يشكون من ابن ابي سرح فكتب اليه كتاباً يتهدده فيه . فابى
ابن ابي سرح ان يقبل ما نهيه عنه عثمان و ضرب بعض من اتاه من قبيل عثمان
من اهل مصر ممن كان اتى عثمان ، فقتله ! .

« فخرج من اهل مصر سبعمئة رجل فنزلوا المسجد ، وشكوا الى الصحابة في
مواقيت الصلوة ما صنع ابن ابي سرح بهم . فقام طلحة بن عبيدالله فكلّم عثمان بكلام
شديد . وارسلت عائشة اليه فقالت :

اعتراض طلحة
وعائشة وعلي
على عثمان

« تقدّم اليك اصحاب محمد وسألوك عزل هذا الرجل فابيت . فهذا قد قتل
منهم رجلا فأنصفهم من عاملك .

« ودخل عليه على بن ابي طالب فقال : انما يسألونك رجلاً مكان رجل وقد
ادعوا قبيله دماً ، فأعز له عنهم واقض بينهم ؛ فان وجب عليهم حتى فأنصفهم منه .
« فقال لهم : اختاروا رجلاً أو وليه عليكم مكانه . فأشار الناس عليه الى محمد بن -
ابى بكر .

عزل عثمان ،
ابن ابي سرح
عن مصر وعهده
لمحمد بن
ابى بكر

« فقالوا : استعمل علينا محمد بن ابي بكر .

« فكتب عليه عهده وولّيه وخرج معهم عدد من المهاجرين والأنصار ينظرون
في ما بين اهل مصر و ابن ابي سرح .

« فخرج محمد و من معه . فلما كان من مسيره ثلاثة ايام من المدينة اذاهم
بغلام اسود على بعير يخبط البعير خبطاً ، كأنه رجل يظنّب او يظنّب .

« فقال له اصحاب محمد : ما قصتك وما شأنك؟ كأنك هارب او طالب .
« فقال : انا غلام امير المؤمنين وجهنى الى عامل مصر .

« فقال له رجل : هذا عامل مصر .

« قال : ليس هذا اريد .

« أخبر بامرّه محمد بن ابي بكر ، فبعث فى طلبه رجلاً فأخذه فجاء به اليه .

« فقال : غلام من انت؟ .

« فأقبل مرة يقول : انا غلام امير المؤمنين ومرة يقول : انا غلام مروان . حتى عرفه رجل انه لعثمان .

« فقال له محمد : الى من ارسلت ؟ .

« قال : الى عامل مصر .

« قال : بماذا ؟ .

« قال : برسالة .

« قال : معك كتاب ؟ .

« قال : لا .

« ففتشوه فلم يجدوا معه كتابا . وكانت معه اداوة ، وقد يتيسست ، فيها شيء يتقلقل ، فحرّكوه ليخرج فلم يخرج فشقوا الاداوة . فاذا فيه كتاب من عثمان الى ابن ابي سرح .

« فجمع محمد من كان عنده من المهاجرين والأنصار وغيرهم ثم فكّ الكتاب بمحضر منهم . فاذا فيه :

« اذا انك محمد و فلان و فلان ، فاحتل في قتلهم ! وابطل كتابهم ! وقرّ على عملك ! حتى يأتيك رأي في ذلك ان شاء الله تعالى .

« فلما قرأوا الكتاب فزعوا ، وازمعا ، فرجعوا الى المدينة وختم محمد الكتاب بخواتيم نفر كانوا معه ودفع الكتاب الى رجل منهم ، وقدموا المدينة .

« فجمعوا طلحة و الزبير و علياً و سعداً و من كان من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ثم فضوا الكتاب بمحضر منهم واخبروهم بقصة الغلام . واقرأوهم الكتاب . فلم يبق احد من اهل المدينة الا حنق عثمان .

« وزاد ذلك من كان غضب لابن مسعود و ابي ذر و عمار بن ياسر حسناً و غيظاً .

« وقام اصحاب محمد (ص) فلحقوا بمنزلهم ، ما منهم الا وهو مغتم لما قرأوا .

كتاب من قبل
عثمان الى
ابن ابي سرح
أمره بقتل محمد

كان ذلك الكتاب
من اسباب حنق
اهل المدينة
وغيظهم على عثمان

الكتاب . وحاصر الناس عثمان سنة خمس وثلاثين . واجلب عليه محمد بن ابي بكر
ببني تميم وغيرهم .

« فلما رأى ذلك على بعث الى طلحة والزبير وسعد وعمار ونفر من -
الصحابة كلهم بدرى ثم دخل على عثمان ، ومعه الكتاب والگلام والبعير .

« فقال له على : هذا الغلام غلامك ؟ .

« قال : نعم .

« قال : والبعير بعيرك ؟ .

« قال : نعم .

« فقال : انت كتبت هذا الكتاب ؟ .

« قال : لا . . .

« قال له على : فالخاتم خاتمك ؟

« قال : نعم .

« قال : فكيف يخرج غلامك ببعيرك وبكتاب عليه خاتمك لاتعلم به ؟ !

« فحلف بالله : ما كتبتُ هذا الكتاب »

« واما الخط فعرفوا انه خط مروان وشكوا فى امر عثمان وسألوه ان

يدفع اليهم مروان فأبى ، وكان مروان عنده فى الدار فخرج اصحاب محمد

صلّى الله عليه وسلم من عنده غضاباً » .

٢٨٨ - أول ما تكلم الناس فى عثمان

كان أول ما ظهر من الناس ، من الكلام ، فى عثمان ، على ما نقله محمد بن جرير -

الطبرى ' (الجزء الثالث - الصفحة ٣٢٢ -) فى تاريخه ، عن الواقدى بأسناده عن

ابن عباس :

اتمام عثمان ،
الصلوة بمعنى
واعترض
الاصحاب عليه
فى ذلك

« انه (عثمان) صلى بالناس بمنى فى ولايته ركعتين ، حتى اذا كانت الستة -
السادسة اتمها . فعاب ذلك غير واحد من اصحاب النبى (ص) وتكلم فى ذلك من
يريد ان يكثر عليه حتى جائه على ، فى من جائه ، فقال :

« والله ما حدث امر ولا قدم عهد ولقد عهدت نبيك بصلتي ركعتين ثم ابابكر
ثم عمر وانت صدراً من ولايتك . فما ادري ما يرجع اليه ؟ .

« فقال : راي رأيتُه ! ... »

جواب عثمان
لعلى

نقل ايضا عن الواقدي مسنداً (الجزء الثالث - الصفحة ال ٣٢٢ -) :

« صلى عثمان بالناس بمنى اربعاً فأتى آت (برواية الواقدي ايضا عن غير

ابن عباس) الى عبدالرحمن بن عوف فقال :

« هل لك فى اخيك قد صلى بالناس اربعاً ؟ .

« فصلى عبدالرحمن باصحابه ركعتين . ثم خرج حتى دخل على عثمان

فقال له :

« ألم تصل فى هذا المكان مع رسول الله (ص) ركعتين ؟ .

« قال : بلى ! .

« قال : افلم تصل مع ابى بكر ركعتين ؟ .

« قال : بلى ! .

« قال : افلم تصل مع عمر ركعتين ؟ .

« قال : بلى ! .

« قال : ألم تصل صدراً من خلافتك ركعتين ؟ .

« قال : بلى ! .

« قال (عثمان) :

١ - وقد نقله ابن الاثير فى الكامل (الجزء الثالث - الصفحة ال ٥١) ايضا مع

اختلاف يسير فى بعض الالفاظ .

جوابه لابن عوف
و رد ابن عوف
عليه

« فاسمع يا ابا محمد انى اُخبرت ان بعض من حجّ من اهل اليمن و جفّاة -
النّاس قد قالوا فى عامنا الماضى : انّ الصلوة للمقيم ركعتان ، هذا امامكم عثمان
يصلّى ركعتين .

« وقد اتخذت بمكة اهلاً فرايت ان اصلّى اربعاً لخوف ما اخاف على الناس ،
واخرى قد اتخذت بها زوجة ، ولى بالطائف مالاّ فربما اطلّعتّه ، فاقمت فيه
بعد الصّدر .

« فقال عبدالرحمن بن عوف : ما من هذا شىء لك فيه عذر .

« واما قولك : اتخذت اهلاً . فزوجتك بالمدينة تخرج بها اذا شئت و تقدم
بها اذا شئت ، انما تسكن بسكنائك .

« واما قولك : ولى مال بالطائف فان بينك وبين الطائف مسيرة ثلاثة ليال

وانت لست من اهل الطائف .

« واما قولك : يرجع من حجّ من اهل اليمن و غيرهم فيقولون : هذا امامكم
عثمان يصلى ركعتين وهو مقيم ، فقد كان رسول الله (ص) ينزل عليه الوحي والناس ،
يومئذ ، الاسلام فيهم قليل ، ثم ابوبكر مثل ذلك ، ثم عمر . فضرب الاسلام بجرانه ،
فصلّى بهم عمر حتى مات ركعتين .

« فقال : عثمان : هذا رأى رأيت ! .

« قال : فخرج عبدالرحمن فلقى ابن مسعود فقال : ابا محمد غير ما يعلم ؟

قال : لا . قال : فما اصنع ؟ .

قال : اعمل بما انت تعلم . فقال ابن مسعود : الخلاف شرّ . قد بلغنى انه صلّى

اربعاً فصلّى باصحابى اربعاً : فقال عبدالرحمن بن عوف : قد بلغنى انه صلّى اربعاً

فصلّى باصحابى ركعتين . واما الآن فسوف يكون التذى تقول ، يعنى نصلّى

معه اربعاً ! « ١ .

١ - هكذا اورد الطبرى و ابن الاثير وغيرهما ، هذه القضية والناظر فيها لا يدري ماذا ينبغي

٢٨٩ - عتبان ابن عوف على عثمان وهجرانه عنه

يظهر من ابن عوف الذى « هو عاقد الأمر لعثمان و جالبه اليه و مُصَيِّرُه فى يده » كما عبّر ، قدندم على ما فعل فى الشورى ، لوبنفعه التدم ، وبمهله الأجل ، و اراد ان يتدارك ، فكان يقول ، على ما نقله ابن ابى الحديد (عن رواية الواقدى فى مرضه الذى مات فيه ' ، وقد ذُكر له عثمان) : « عاجِلُوهُ قبل ان يتمادى فى ملكه ! »^٢

« فبلغ ذلك عثمان فبعث الى بشر كان عبد الرحمن يسقى منها نعمه فمنع منها .
 « ووصى عبد الرحمن ان لا يصلى عليه عثمان فصلّى عليه الزبير ، او سعد بن ابى وقاص ، وقد كان حلف لماً تناهت عليه احداث عثمان ان لا يكلمه ابداً .

روى الواقدى ايضا (على ما نقله ابن ابى الحديد ايضا) انه :

« لماً توفى ابوذر بالربذة تذاكر امير المؤمنين ، عليه السلام ، و عبد الرحمن

→

ان يقول ؟ ايحق ان يقول : يالله وللراى من الخليفة ، مع التزامه و عهده باتباع سيرة من سبقه ؟ او يقول : يالله وللاجتهاد من ابن مسعود ، الصحابى العظيم ! حيث راي و اجتهد ان « الخلاف شر » و لم يقنع بترك الامر بالمعروف ، و المعلوم عنده ، بل تابع غيرهِ فى ما يعلم انه خلاف الكتاب و السنة و السيرة ! ؟ او يقول : يالله و للضعف من ابن عوف المبشر له بالجنة ، و المرشح للخلافة ، الطالب من الخليفة ، العمل بالكتاب و السنة و السيرة ، كيف اقتنع ، بعد استدلاله على عثمان ، بان يتبعه فى خلافه للسنة و السيرة و يصلى اربعاً مع انه لوصح ما احتج به عثمان ، لراى رايه ، اختص به ولايشمل ابن عوف ؟ او يقول : يالله و للضعف - الحرية الاسلامية ، التى كان المسلم بحيث يقول للمخليفة المقتدر ، مثل ابى بكر ، او المهيب مثل عمر « و الله لئن زغت ، او عوججت ، لاقيمك بهذا السيف » ؟

١ - مات عبد الرحمن سنة ثلاثين على ما فى تاريخ الطبرى ، و سنة احدى و ثلاثين

وقبل سنة اثنتين و ثلاثين على ما فى الاستيعاب و الاصابة .

٢ - استعمل كلمة « ملكه » دون « خلافته » .

فعل عثمان فقال امير المؤمنين، عليه السلام، له: « هذا عملك » فقال عبدالرحمن: « فأذا شئت فخذ سيفك وأخذ سيفي! انه خالف ما اعطاني! ».

قال الفقيه المالكي، ابن عبد ربه، في كتابه «العقد الفريد»:

« فلما احدث عثمان ما احدث، من تولية الأحداث من اهل بيته وتقديم قرابته، قيل لعبدالرحمن: هذا كلفه فعلك. قال: لم اظن هذا به^١ ولكن الله على ان لا اكلمه ابدا! »
« فمات عبدالرحمن وهو مهاجر لعثمان. ودخل عليه عثمان فتحول عنه الى الحائط ولم يكلمه ».

حلف ابن عوف
على ان لا يكلم
عثمان ابدا

روى ابن ابي الحديد انه:

« لَمَّا بَنَى عِثْمَانُ قَصْرَهُ طَمَارَ الزُّورَاءِ^٢ وَصَنَعَ طَعَامًا كَثِيرًا وَدَعَا النَّاسَ إِلَيْهِ كَانَ فِيهِمْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى الْبِنَاءِ وَالطَّعَامِ قَالَ:
« يَا ابْنَ عِثْمَانَ لَقَدْ صَدَّقْنَا عَلَيْكَ مَا كُنَّا نَكْذِبُ فِيكَ. وَانْتَى اسْتَعِيدَ بِاللَّهِ مِنْ بَيْعَتِكَ » فغضب عثمان وقال لغلامه: اخرججه عني يا غلام. فاخرجوه. ومرض عبدالرحمن فعاده عثمان وكلمه، فلم يكلمه حتى مات^٣.

٢٩٠ - بعض ما نقم الناس والصحابه على عثمان

انقسمت مدة خلافة عثمان، كما قالوا وعلمت، الى دورتين يشمل كل واحدة

١ - انظر كيف غفل ابن عوف عن تفرس عمر، المؤكد، في عثمان؟ وكيف حلف على عدم التكلم معه، الذي يشبه عمل الصبيان والنسوان ويدل على ضعفه ولينه، الذي تفرس عمر (رض) فيه.

٢ - «طمار كقطاع: المكان المرتفع. والزوراء، بالفتح والمد: بغداد. وموضع بالمدينة يقف المؤذن على سطحه للنداء الثالث قبل خروج الامام، ليسعوا الى ذكر الله ولا تقوتهم- الخطبة، والنداء الاول بعده عند صعوده للخطبة، والثاني للإقامة بعد نزوله من المنبر... وهذا الاذان اسر به عثمان بن عفان» (مجمع البحرين).

٣ - شرح النهج - الصفحة ال ٦٦ -).

منها ستة سنة . فكانت سيرته فى الدورة الأولى سيرة مرضية ، ولكنها فى الدورة - الثانية ، الدورة التى كانت كأنها تبرز فيها ما كمن بذرها ، وتنمو فيها زرعها ، وتنضج ثمرتها ، تغيرت السيرة تغيراً سريعاً لا يكاد ان يتحملها الناس ، فتكلموا فى اعمال - الخليفة ، وارتفعت الأصوات بالأنتقاد عن عمال الخليفة ، وانجر الأمر الى ان اجترء - الناس على بعض عماله الفاسق الجائر ، وصار الأمر الى اجتماع جمع من اكابر عدة من بلاد الإسلام فى المدينة ، للشكوى عن العمال ، فتبدلت ، لأجل التسامح فى رفع - الظلم عنهم ، بالأعتراض والاعراض عن الخليفة . فاستنصروا الصحابة ، واستمدوا من اكابر المدينة ، فاشتد الحال وآل الأمر الى ما آل ، وثلمت فى الإسلام ثلثة بقيت آثارها مدى الليالى والأيام .

قال ابن ابي الحديد (ذيل « من خطبة له ، عليه السلام ، فى معنى قتل عثمان :
لَوْ آمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلًا ...) :

« ويجب ان نذكر فى هذا الموضوع ابتداء اضطراب الامر على عثمان الى ان قتل . واصح ما ذكر فى ذلك ما اورده ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى التاريخ . وخلاصة ذلك ان :

« عثمان احدث احداثاً مشهورة نَقَمَهَا النَّاسُ عَلَيْهِ مِنْ تَأْمِيرِ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَلا سِيَمَا الْفُسَّاقِ مِنْهُمْ وَارِبَابِ السَّفْهِ وَقَلَّةِ الدِّينِ ، وَاخْرَاجِ مَالِ الْفَيْءِ إِلَيْهِمْ ، وَمَا جَرَى فِي أَمْرِ عُمَارَ ، وَابِي ذَرٍّ ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، مِنْ الْأُمُورِ الَّتِي جَرَتْ فِي أَوَاخِرِ خِلاَفَتِهِ .

« ثم اتفق ان الوليد بن عُقْبَةَ لَمَّا كَانَ عَامِلَهُ عَلَى الْكُوفَةِ ، وَشَهِدَ عَلَيْهِ بِشْرَبِ الْخَمْرِ ، صَرْفَهُ وَوَلَّى سَعِيدَ بْنِ الْعَاصِ مَكَانَهُ ، فَقَدِمَ سَعِيدٌ الْكُوفَةَ ، وَاسْتَخْلَفَ مِنْ أَهْلِهَا قَوْمًا يَسْمُرُونَ عِنْدَهُ ، فَقَالَ سَعِيدٌ يَوْمًا : « ان السواد بستان لقريش وبنى امية ! »
« فقال الأشتر النخعي : « وتزعّم ان السواد الذى افاته الله على المسلمين

باسيافنا بستان لك ولقومك؟ .

« فقال صاحب شرطته : « اترد على الأمير مقالته؟ . واغظ له .

« فقال الأشتر لمن حوله من النخع وغيرهم من اشراف الكوفة:

« الا تسمعون؟ .

وثوب عدة من
اشراف الكوفة
على صاحب
شرطة سعيد

« فوثبوا عليه بحضرة سعيد فوطؤه وطأ عنيفا وجرّوا برجله . فغلظ ذلك

على سعيد ، وابعده سماره فلم يأذن بعد لهم . فجعلوا يشتمون سعيداً في مجالسهم . ثم

تعدّوا ذلك الى شتم عثمان . واجتمع اليهم ناس كثير حتى غلظ امرهم .

٢٩١ - كتاب عثمان لتسيير اشراف الكوفة الى الشام

« فكتب سعيد الى عثمان في امرهم . فكتب اليه ان يسيرهم الى الشام لئلا

يُفسدوا اهل الكوفة . وكتب الى معاوية ، وهو الى الشام ، ان نفرأ من اهل الكوفة هموا

بأثارة الفتنة ، وقد سيرتهم اليك . . .

« فسيروهم ، وهم : الاشر ومالك بن كعب الأرحبي والاسود بن يزيد النخعي

وعلقمة بن قيس النخعي وصعصعة بن صوحان العبدى وعدة أخرى الى الشام عند

معاوية »

قال ابن ابي الحديد ايضا :

« روى المدائني انه كان لهم مع معاوية بالشام مجالس طالت فيها المحاورات

والمخاطبات بينهم . . . »

واخيراً رأى معاوية ان يرفع هذا المهم عن كاهله فكتب الى عثمان في شأنهم .

« فكتب ان ردّهم الى سعيد بن العاص بالكوفة . فردّهم فأطلقوا الستهم في

ذمه وذم عثمان وبعيها فكتب اليه عثمان ان يسيرهم الى حِمَص الى عبد الرحمن بن

خالد بن الوليد . فسيرهم اليها . »

٢٩٢ - تغريب اشراف الكوفة الى حمص

روى الواقدى (على ما نقل ابن ابى الحديد) انه ١ :

« لما سير بالنفر الذين طردهم عثمان عن الكوفة الى حِمَصَ ، وهم : الأشر
وثابت بن قيس الهَمْدَانِي وكميل بن زياد السَّخَعِي و زيد بن صوحان واخوه صعصعة
وحبيب بن زُهَيْر الغامدى وحبيب بن كعب الأزدي وعروة بن الجعد وعمرو بن
حَمِيق الخزاعى وابن الكواء ، جمعهم عبدالرحمن بن خالد بن الوليد ، بعد ان
انزلهم اياما وفوض لهم طعاماً ثم قال لهم :

كيفية سلوك
عبدالرحمن بن
خالد مع اكابر-
المسلمين
واشرافهم

« يا بنى الشيطان !! لا امر حياً بكم ولا اهلاً : فدرجع الشيطان محسوراً وانتم
بعد فى بساط ضلالكم وغيتم . جزى الله عبدالرحمن ان لم يؤذكم يا معشر من لا ادري
اعرب ام عجم ؟! اتربىكم تقولون لى ماقلتم لمعاوية ؟
« انا ابن خالد بن الوليد ، انا ابن من عَجَمْتَهُ العاجمات ، انا ابن فاقىء عين-
الردّة . والله يا ابن صوحان لأطيرن بك طيرة بعيدة المهوى ان بلغنى ان احداً ممن
معى دق انفك فأقنعت راسك ! .

« قال : فاقاموا عنده شهراً كلّموا ركب امشاهم معه ٢ » .

٣١٣ - الأحداث التى نسبت لإحداثها الى عثمان

فى شرح النهج لابن ابى الحديد (فى ذيل كلامه عليه السلام) : « الى ان

١ - روى الطبرى ايضا هذه الواقعة فى تاريخه (الجزء الثالث - الصفحة ال ٣٦٤ -)
مع اختلاف يسير فى بعض الكلمات جداً .

٢ - يا للإسلام فكيف تحول فى تلك المدة القليلة ! بحيث صار الامير على المسلمين ،
القائم بامورهم ، والحافظ لاحكام دينهم وشئونهم ، غافلا عن الحرية والعدالة والمعروف
والمنكر ، ناطقا بتلك الكلمات الجائرة المنكرة الجافة المستبشعة الفاضحة عاملا بهذه الحركة-
الشيعة الاستبدادية الكسروية القيميرية ! ؟

قام ثالث القوم نافعاً حِصْنِيهِ . . . » :

« وثالث القوم هو عثمان بن عفان بن ابي العاص بن امية بن . . . بايعه الناس بعد انقضاء الشورى . . . وصحت فيه فراسة عمر فأنه أوْطأ بني امية رقابَ الناس ، وولاهم الولايات ، واقطعهم القطائع .

« وافتتحت ازمينية في ايامه ، فأخذ الخمس كله ، فوهبه لمروان . فقال عبيد الرحمن بن حنبل الجممحي .

أَحْلِفُ بِاللَّهِ رَبِّ الْأَنَامِ

مَا تَرَكَ اللَّهُ شَيْئاً سُدَى

وَلَكِنْ خَلِقْتَ لَنَا فِتْنَةً

لَكَي نَبْتَلِيَ بِكَ أَوْ تَبْتَلِيَ

فَإِنَّ الْأَمِيْنِيْنَ قَدْ بَيَّنَّا

مَنَارَ الطَّرِيقِ عَلَيْهِ الْهُدَى

فَمَا أَخَذَا دِرْهَمًا غِيْلَةً

وَلَا جَعَلَا دِرْهَمًا فِي هَوَى

وَأَعْطَيْتَ مَرَوَانَ خُمْسَ الْبِلَادِ

فَهَيَّهَاتَ سَعْيُكَ مِمَّنْ سَعَى

١ - « عبد الرحمن بن حنبل . . . هو القائل في عثمان بن عفان رضي الله ، لما اعطى

مروان خمسة الف من خمس افرقية :

ما ترك الله امر سدى

لكي نبتلي بك او تبتلي

خلافاً لما سنه المصطفى

خلافاً لسنة من مضى

مة آثرته وحميت الحمى

من الفء اعطيته سن دنا

منار الطريق عليه الهدى

ولا قسما درهما في هوى

(الاستيعاب والاصابة) .

« واحلف بالله جهد اليمين

« ولكن جعلت لنا فتنة

« دعوت الطريد فادنيته

« ووليت قرباك امر العباد

« واعطيت مروان خمس الغنى

« ومالا اتاك به الاشعري

« فان الاميين قدينا

« فما اخذا درهما غيلة

« وطلب منه عبد الله بن خالد بن أسيد صلةً فأعطاه اربعمائة الف درهم ! واعاد-
الحكم بن ابى العاص ، بعد ان كان رسول الله (ص) قد طرده ، ثم لم يرده ابوبكر
ولا عمر ، واعطاه مائة الف درهم .

اعادة عثمان عمه
الحكم ، طريد
رسول الله
واعطاه مائة
الف درهم

« وتصدق رسول الله (ص) بموضع سوقٍ بالمدينة يعرف بـ « تهرود » على -
المسلمين ، فاقطعه عثمان ، الحارث بن الحكم اخا مروان بن الحكم .
« واقطع مروان فذك ، وقد كان فاطمة عليها السلام طلبتها بعد وفاة ابيها صلوة الله-
عليه ، تارة بالميراث وتارة بالنحلة ، فدُفعت عنها .

« وحمى المراعى حول المدينة كلتها من مواشى المسلمين كلهم الا عن بنى امية ! .
« واعطى عبد الله ابن ابى سرح جميع ما افاء الله عليه من فتح افريقية بالمغرب ،
وهى من طرابلس الغرب الى طنجة ، من غير ان يشرك فيه احداً من المسلمين .

« واعطى اباسفيان بن حرب مأتى الف من بيت المال ، فى اليوم الذى امر فيه
لمروان بن الحكم بمائة الف من بيت المال ، وقد كان زوجته ابنته ، ام ابان ، فجاء زيد بن ارقم
صاحب بيت المال بالمفاتيح فوضعها بين يدي عثمان وبكى ! .

« فقال عثمان : اتبكي ان وصلت رحمتى ؟ .

« قال : لا ، ولكنتى ابكى لانى اظنك اخذت هذا المال عوضاً عما كنت
انفقته فى سبيل الله فى حياة رسول الله . والله لو اعطيت مروان مائة درهم لكان كثيراً !
« فقال : اتلقى المفاتيح يا ابن ارقم فأتنا سنجد غيرك .

« واتاه ابو موسى بأموال من العراق جلييلة فقسمها كلتها فى بنى امية .

« وانكح الحارث بن الحكم ابنته عائشة ، فأعطاه مائة الف من بيت المال
ايضا بعد صرفه زيد بن ارقم عن خزنه .

« وانضم الى هذه الامور اموراخرى نقمها عليه المسلمون : كتسيير ابي ذر

١ - قد مر سابقاً (حاشية صفحة ال ٢٨٤) ان صاحب بيت المال هو عبد الله بن ارقم

لازيد بن ارقم فراجع .

، رحمه الله، الى ربيعة، وضرب عبد الله بن مسعود حتى كسرا ضلعه ، وما اظهر من -
الحجاب ، والعدول عن طريقة عمر ، في اقامة الحدود، ورد المظالم، وكف الأيدي
العادية ، والأنتصاب لسياسة الرعيّة .

« وختم ذلك ما وجدوه من كتابه الى معاوية يأمره فيه بقتل قوم من المسلمين . واجتمع
عليه كثير من اهل المدينة مع القوم الذين وصلوا من مصر لتعديد احداثه عليه ،
فقتلوه » (انتهى ما قاله ابن ابي الحديد)^١ .

٢٩٤ - بعض ما طعن به على عثمان (رض)

ويلخص ما طعن به على عثمان (رض) واعترض عليه في ما يُعدّد .

- ١ - تغييره بعض الاحكام الخاصة كالصلوة اربعاً بمضى^١ .
- ٢ - ردّ طريق رسول الله ، حكم ابن ابي العاص ، عمّه و ابن مروان .
- ٣ - تعطيل الحدود (على عبيد الله بن عمر ، وعلى غيره) .
- ٤ - تقديم اقربائه من بنى امية على غيرهم ، وفيهم اكابر الصحابة .
- ٥ - تولية الأحداث الفسّاق من بنى ابي معيط ، وتسليطهم على البلاد والعيباد
(كالوليد بن عُقبّة ، الفاسق بلسان القرآن^٢ ، المتجاهر بشرب الخمر^٣ ، اخي عثمان ، من

اهم مطاعن
عثمان (رض)

١ - شرح نهج البلاغة المجلد الاول ال ٦٧ .

٢ - قوله تعالى : « .. ان جائكم فاسق بنبأ .. » وقوله تعالى « افمن كان مؤمناً كمن

كان فاسقاً لا يستونون » على ما اوله به .

٣ - وقد حده على ذلك عثمان باصرار من على وبحضرتة وهو الذي قال له سعد بن

ابي وقاص (برواية الواقدي) حين وروده الكوفة ليكون اميراً عليها مقام سعد بن ابي وقاص :

يا ابي وهب امير ام زائر؟ قال : بل امير .

فقال سعد : « ما ادري احمقت بعدك ام كيست بعدى؟ » .

قال : « ما حمقت بعدى ولا كيست بعدك ولكن القوم ولوا منكراً فاستأثروا » .

فقال سعد : « ما اراك الا صادقاً » .

امّه (اروى) بنت كُرَيْبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ .

٦ - صرفه اموال بيت المال كيف شاء واراد .

← ورواية ابي مخنف : « ان الوليد لما دخل الكوفة مر على مجلس عمرو بن زرارعة - النخعي فوقف فقال عمرو :

« يا معشر بنى اسد بسمنا استقبلنا به اخوكم عثمان بن عفان . ابن عدله ان يعزل عنا ابن ابي وقاص الهين، اللين، السهل، القريب، ويبعث بدله اخاه الوليد، الاحمق الماجن - الفاجر، قديماً وحديثاً ؟ » .

وهذا الوليد هو الذي صلى في حال السكر فزاد في الصلوة فالتفت الى الجماعة خلفه وقال لهم : « ازيدكم ؟ !! والى هذا اشار الحطيئة الشاعر حيث قال :

شَهِدَ الْحَطِيطَةُ يَوْمَ يَلْقَى رَبَّهُ

اِنَّ الْوَلِيدَ اَحَقُّ بِالْغَدْرِ

نَادَى وَقَدْ تَقَدَّتْ صَلَوَاتُهُمْ

اَزِيدُكُمْ؟ ثَمِيلاً وَلَا يَدْرِي

لِيَزِيدَهُمْ خَيْرًا وَلَوْ قَبِلُوا

مِنْهُ لَقَادَهُمْ عَلَى عَشْرِ

فَابَوْا اَبَا وَهَبٍ وَلَوْ فَعَلُوا

لَقَرَنْتَ بَيْنَ الشَّقْعِ وَالْوَتْرِ

حَبَسُوا عَيْنَانِكَ، اذْجَرِيَتْ وَلَوْ

خَلُّوا عَيْنَانِكَ لَمْ تَزَلْ تَجْرِي

وفيه قال الحطيئة ايضاً :

تَكَلَّمْ فِي الصَّلَاةِ وَزَادَ فِيهَا

عِلَانِيَةً وَجَاهَرَ بِالْفِرَاقِ

وَمَجَّ الْخُمْرَ عَن سِنِّ الْمَصَلِيِّ

ونادى والجميع الى افتراق

اَزِيدُكُمْ عَلَى اَنْ تَحْمَدُونِي

فَمَا لَكُمْ وَمَالِي مِنْ خَلَاقِ

- ٧ - بذله واعطاؤه ما اراد، مما يتعلّق بها حال العموم وتشارك فيها قاطبة -
 المسلمين ، كسوق المدينة (تهرود)^١ ومرّاعى حول المدينة ، وما افاء الله من فتح
 افريقيّة ، والأموال التي جاء بها ابو موسى^١ من العراق ، لمن اراد من اقربائه كابن عمّه
 وصهره ، الحارث بن الحكم ، طريد رسول الله و عبد الله ابن ابي سرح وسائر اقربائه .
- ٨ - اسرافه في صرف المال ، كبناء قصره (طمار الزوراء) واطعام الناس فيها
 بحيث اعترض عليه عبد الرحمن ابن عوف ، وغيره .
- ٩ - ضعفه في مقابل مروان ، وطاعته عنه ، في ما كان يشير اليه من الآراء الفاسدة .
- ١٠ - شدته على بعض الأعاظم من الصحابة ، بل ضربه ايّاهم وتغريبهم كأبي ذر
 وعصّار وابن مسعود .

١١ - اتّخاذه الحجاب .

١٢ - جمعه الناس على قرأته زيد بن ثابت خاصة واحرقه المصاحف ...»

٢٩٥ - مآل الأجوبة عن المطاعن

ذكر ابن ابي الحديد (وغيره) المطاعن التي طُعن بها عثمان مفصّلاً وانهيها
 الى احد عشر وورد ما ذكره قاضي القضاة في كتاب « المغنّي » في تأويلها ، والجواب
 عنها ، ثم اردفها بما اعترض به السيّد المرتضى ، علم الهدى^١ ، على القاضي بالشرح
 والتفصيل .

←

قال جلال الدين السيوطي في تاريخ الخلفاء : « وفي سنة خمس وعشرين عزل عثمان ،
 سعداً عن الكوفة وولى الوليد بن عقبة بن ابي معيط ... وذلك اول ما قم عليه لانه اثر
 اقراره بالولايات . وحكى ان الوليد صلى بهم الصبح اربعاً وهو سكران ثم التفت اليهم
 فقال : أزيدكم ؟ »

١ - تهرود كلمة فارسية معناها « الوادي السفلى » والكامة مستعملة الان في بعض

قرى خراسان بهذا المعنى لموضع .

فمن اراد ان يطّلع على تأويلات القاضى وعلى اعتراضات السيّد عليه، فعليه ان يراجع شرح ابن ابي الحديد ويحكم بينهما بما يرشده اليه عدله وانصافه، ويرتضيه عقله ووجدانه . والله العاصم الهادى .

ولعلّه كل تلك التأويلات ترجع الى جواز الرأى، بمَعْنِيهِ الواسع، وجواز - الأجتهااد الشّخصى كيف كان، ولاسيّما اذا كان الرأى والأجتهااد من الخليفة . وكأنّ - القاضى واضرا به ايضا يقولون ذلك برأيهم واجتهداهم وآلا فكيف يجوز لمسلم، كائناً من كان، ان يعمل على خلاف الكتاب والسنة والسيره باسم الرأى والأجتهااد، ولاسيّما اذا كان خليفة من المسلمين، وبانتخابهم عليهم . واذا جاز ذلك فما معنى قول الرسول، صالّى الله عليه وآله وسلّم، حين مرضه: « اقيدونى... » وما معنى قول عمر، المشهور: «... فقومونى،...؟» .

٢٩٦ - ندم عثمان وتوبته

وجملة ما قالوا : ان عثمان فى ولايته ، سلّط بنى ابى مُعَيْط و بنى امية على رقاب الناس ولم يعمل بما اوصاه عمر (رض) و كانه نسي ما حذّره منه ونصحه بقوله : « اذا وليت فلا تسلّط بنى ابى مُعَيْط على رقاب الناس » فاستعمل وليد بن عُقَيْبة الفاسق^١ المتجاهر بشرب الخمر .

واستعمل سعيد بن العاص « حتّى ظهرت منه الامور التى عندها اخرجها اهل الكوفة منها .

ولّى عبد الله بن ابي سرح و عبد الله بن عامر بن كرز مع تجاهرهما بالظلم والنجور وقتل النفس .

١ - « والسبب فى ذلك (يعنى نزول آية « ان جائكم فاسق بنياً ... » فى حقه) انه

كذب على بنى المصطلق عند رسول الله (ص) وادعى انهم منعوه الصدقة . ولو قصصنا ما خازيه المتقدمة و مساويه، لطال بها الشرح » (شرح ابن ابي الحديد) .

وخضع لمروان بن الحكم فكان يقبل مايقول ، ويعمل بما يشير ، حتى صرفه
كراراً عما ارشده اليه اكابر الصحابة من واضح الطريق ، وجلى الصواب ، بل ورجع
بأشارته عمّا عهد به ، واعلن على رؤس الأشهاد و حضور الاصحاب ، من ندمه على
ما سلف منه ، ومن تصريحه بأنّه تاب وانااب .

قال الطّبري في تاريخه (الجزء الثالث - الصفحة ال ٣٩٣ -) بعد ان ذكر
« ذهاب عثمان الى عليّ في بيته والتمس منه ردّ القوم عنه » :

« فقال (يعني عليّاً) :

« عليّ ما أردّهم ؟

« قال (يعني عثمان) : « عليّ ان اصير الى ما اشرت به عليّ ورايته لي .

« فقال عليّ : « انتى قد كنت كلمتُك مرة بعد مرة ، فكلّ ذلك نخرج فنكلم

و نقول و نقول ، و ذلك كله فعل مروان بن الحكم و سعيد بن العاص و ابن عامر
ومعاوية . اطعتهم وعصيتنى !... »

وقال ايضاً فيه (الجزء الثالث - الصفحة ال ٣٩٦ -) :

« واعطى الناس من نفسه التوبة ، فقام وحمد الله ، واثني عليه بما هو اهله ،
ثم قال :

« اما بعد ايّها الناس فوالله ما عاب من عاب منكم شيئاً اجهله ، وما جئتُ شيئاً

الا وانا اعرفه ، ولكننى منتننى نفسى وكذبتنى ، واصلّ عنى رُشدى .

« ولقد سمعتُ رسول الله (ص) يقول :

« مَنْ زَلَّ فَلْيَتُوبْ ، وَلَا يَتَمَادِ فِي الْهَلَكَةِ . اِنْ مَنَّ تَمَادَى فِي-

الْجُورِ كَانَ اَبْعَدَ مِنَ الطَّرِيقِ .

« فانا اولُ مَنْ اتَّعَظَ . اسْتَغْفِرُ اللهَ مِمَّا فَعَلْتُ وَآتُوبُ اِلَيْهِ .

« فاذا نزلتُ فليأتنى اشرافكم فليُرونى رايهم ، فوالله لئن ردّنى الحقّ عبداً

لأستغنينّ بسنة العبد ، ولا كوننّ كالمرقوق ، ان ملكك صبر ، وان عتيق شكر .

استغفار عثمان
مما فعل

وما عن الله مذهب إلا إليه . فلا يعجزنّ عنكم خياركم ان يدنوا الى . لئن آبت يميني
لننتابيعنسي شيمالي .
« فَرَّقَ النَّاسَ لَهُ يَوْمَئِذٍ وَبَكَى مِنْ بَكَى مِنْهُمْ » .

٢٩٧ - نقض مروان ما ابرمه عثمان

اثرّت تلك الخطبة في القلوب، وتأثرت منها النفوس، وبكت لها العيون، فكاد
ان يصير الأمر الى الصّلاح : صلاح الخليفة وصلاح النّاس ، ولكنه افسده مروان ،
وبدّله بعد ما سمعه ، وجرّ الأمر على ماشاء واراد ، ودبر حتى انجرّ الى قتل الخليفة
عثمان .

فانظر الى ما نقله الطّبري في تاريخه ايضا قال (الجزء الثالث - الصفحة ال -
٣٩٦ -) :

« فلما نزل عثمان وجد في منزله مروان وسعيداً ونفراً من بنى امية ، ولم يكونوا
شهدوا الخطبة . فلما جلس قال مروان :
« يا امير المؤمنين اتكلّم ام اصمّت ؟ .
« فقالت نائلة ، بنت الفرافصة ، امرأة عثمان ، الكليبة :
« لا بل اصمّت فأتهم والله قاتلوه ومؤتموه ، انه قد قال مقالة لا ينبغي له ان
يتزع عنها .

١ - قال الطّبري ، ايضا ، بأسناده الى ابي حبيبة قال :

« خطب عثمان الناس في بعض ايامه فقال عمرو بن العاص : يا امير المؤمنين انك
قد ركبت نهايبر (المهالك) وركبنا معك فتب نتب . فاستقبل عثمان القبلة وشهر يديه .
« قال ابو حبيبة فلم ار يوماً اكثر باكياً ولا باكية من يومئذ .

وقال ابن الاثير في الكامل (الجزء الثالث - الصفحة ال -) : « فلما خطب (عثمان)
الناس قال له عمرو بن العاص . « اتق الله يا عثمان فانك قد ركبت امورا وركبناها
معك فتب الى الله نتب . فناداه عثمان : وانك هناك يا ابن الفابغة ، قمت والله جبتك
منذ عزلتك عن العمل . فنودي من ناحية اخرى : تب الى الله ... » .

« فاقبل عليها مروان فقال : « ما انتِ وذاك؟ فوالله لقد مات ابوك وما يُحسن ان يتوضأ .

« فقالت له : مهلاً ، يا مروان ، عن ذكر الآباء . تخبر عن ابي وهو غائب ، تكذب عليه ، وان اباك لاتستطيع ان تدفع عنه . اما والله لولا انه عمه وانته بناله غمته اخبرتكك عنه ما لن اكذب عليه .

« فأعرض عنها مروان ثم قال :

« يا امير المؤمنين اتكلم ام اصمت ؟

« قال : « بل تكلم » .

« فقال مروان :

« بأبي انت وامسى ! والله لو ددت ان مقالتك هذه كانت و انت ممتنع منيع^١ فكنت اول من رضى بها واعان عليها . ولكنك قلت ما قلت حين بلغ الحيزام ، الطَّبَّيِّين^٢ ، وخلف السَّيْلُ الزُّبِّي^٣ ، وحين اعطى الخطبة الدليلة ، الذليل .

« والله لأقامة^٤ على خطيئة^٥ تستغفر الله منها ، اجمل من توبة تخوف عليها ! . وانك ان شئت تقربت بالتوبة ولم تقرب بالخطيئة ، وقد اجتمع عليك على الباب مثل الجبال من الناس !

« فقال عثمان :

« فاخرج اليهم فكلّمهم ! فأننى استحي ان اكلّمهم ! !

« فخرج مروان الى الباب ، والناس يركب بعضهم بعضا .

كلمات واهنة
مرذولة القبيها
مروان الى الناس

١ - هل يكون في الدين صناعة اسنع واقوى من رعاية الدين ، والعمل بعهد الله ، ومن اقامة

العدل ورفع الجور ، كما عهد عليه عثمان ؟

٢ - الطبي واحد الاطباء (كالشعر والاشعار) وهي حملات الضرع يضرب مثلاً للاسر يبلغ غايته في الشدة والصعوبة . والزبي جمع زبية (كالكنية والكنى) وهي الراية لا يعلوها الماء . يضرب لما جاوز الحد ، وعند اشتداد الاسر .

٣ - هكذا يكون الدين في نظر مروان ! وليس له نظر في الحق والعدل .

« فقال :

« ماشأنكم قد اجتمعتم؟ . كانتكم جثتم لنهب . شاهدت الوجوه ! كل انسان آخذ بأذن صاحبه ، الا من أريد ! جثتم تريدون ان تنزعوا ملكنا من ايدينا^١ اخرجوا عنا . اما والله لئن رمتمون ليمرن^٢ عليكم منا امر لا يسركم ، ولا تحمدوا غب^٣ رأيكم . ارجعوا الى منازلكم ، فأننا والله ما نحن مغلوبين على ما في ايدينا !
« فرجع الناس ، وخرج بعضهم حتى اتى^٤ علياً فاخبره ، فجاء علي^٥ عليه السلام مغضباً حتى دخل على عثمان فقال :

« أما رضيت من مروان ولا رضى منك الا بتحرُّفك عن دينك ! وعن عقلك !
مثل جمل الظعينة يقاد حيث يسار^٦ به .

« والله ما مروان بذى رأى في دينه ولا في نفسه . وائتم^٧ الله انى لأراه سيوردك ثم لا يصدرك . وما انا بعائِد بعد مقامى هذا لمُعَاتِبَتِكَ . اذ هَلَّتْ شرفك وغلبت^٨ على امرك .

« فلما خرج علي^٩ دخلت^{١٠} عليه نائلة ابنة الفرافصة ، امرأته ، فقالت :

« اتكلّم ام اسكت ؟

« فقال : تكلّمى .

« فقالت : قد سمعت^{١١} قول علي^{١٢} لك ، وانه ليس يعاودك ، وقد اطعت مروان

يقودك حيث شاء^{١٣} !

« قال : فما اصنع ؟!

« قالت : تتقى الله وحده لا شريك له ، وتتبع صاحبك من قبلك ، فانك متى

اطعت مروان فتلك^{١٤} ، ومروان ليس له عند الناس قدر ولا هبة ولا محبة ، وانما تركك^{١٥} الناس لمكان مروان^{١٦} فأرسل^{١٧} الى علي^{١٨} فاستصلحه فان له قرابة منك وهو لا يعصى^{١٩} .

١ - ان مروان واضرا به من بنى آبائه كانوا يرون ان الخلافة هي السلطنة والملك ، وهم احق بهذا الملك ، وليت شعري كيف تغيرت الاوضاع وتبدلت الاحوال في تلك المدة -
القليلة حتى اجترأ مروان يخاطب الصحابة الكبار والمسلمين الاحرار بامثال هذه الكلمات ؟ !!
٢ - من هذه التعبيرات يعرف جلياً مروان ومقامه من عثمان ، بل وعثمان ومقامه من مروان .

٢٩٨ - فساد مروان وفساده

قال الطبري في تاريخه ايضا (الجزء الثالث - الصفحة ال ٣٩٧ -) بأسناده

عن عبدالرحمن بن الاسود :

« . . . انه يذكر مروان بن الحكم قال : قبح الله مروان ! خرج عثمان الى -

الناس ، فاعطاهم الرضا ، وبكى على المنبر وبكى الناس حتى نظرت الى لحيه عثمان
مُخَضَّلَةً من الدموع وهو يقول :

« اللهم انى اتوب اليك . اللهم انى اتوب اليك . والله لئن ردنى الحق على

ان اكون عبداً قيناً لأرضين به .

« اذا دخلت منزلي فادخلوا على ، فوالله لا احتجب منكم ، ولا عطيتكم الرضا ،

ولأنحين مروان وذويه .

رد مروان، الناس
اقبح ردهن الباب

« قال . فلما دخل امر بالباب ففتح و دخل بيته ، ودخل عليه مروان فلم يزل

يغتلته فى الذروة والغارب حتى قتله عن رأيه ، وازاله عما كان يريد .

« فلقد مكث عثمان ثلاثة ايام ماخرج استحياء من الناس . وخرج مروان الى -

الناس فقال :

« شأهت الوجوه ، ألا من أريد ! ارجعوا الى منازلكم فان يكن لأمير المؤمنين

حاجة باحدكم يرسل اليه والّا قرّ فى بيته . . . »^١

١ ما اعجل الحنث الى هذا الحلف على عدم الاحتجاب منهم، واعطاؤهم الرضاء عن

نفسه، وتنحية مروان وذويه !

٢٩٩ - اجتماع المعترضين ، في المدينة

كانت امثال هذه الأعمال من عثمان ومن عُمَّاله وخواصته وحواشيه ، غير مناسبة لما سنّ النبي (ص) وجرى عليه ، وغيّر موافقة لما شاء (ص) وعمل به ، وكانت منحرفة عما كان عليه الخليفان وسارا اليه ، وغير مأنوسة لما اعتاده المسلمون وعرفوه من السير والرسوم .

فلما دال الزمن ، ومال الامر الى الجور والشحن ، وعمل العُمَّال بالاستبداد ، ولعبوا بأموال المسلمين وشئون الأسلام ، وضربوا صفحاً عن الصلاح والأصلاح ، ولم يُفد للمسلمين بشهم الشكوى امرأ ، ولم ينتج التصبر والمداراة والنصح والأرشاد شيئاً ، ضاق صدر الصبر واتسع نطاق الضجر ، فأقبلت عدّة من اكابر اهل مصر والكوفة والبصرة وغيرها الى مدينة الرسول ، مركز الخلافة ومنشأ الحكم ، ومصدر الامر ، ومرجع الحق ، ومرصد العدل ، وموطن الأمن ، راجين من الخليفة ، الصلاح والأصلاح ، ومن اهل المدينة ، ولا سيما من عظماء الصحابة ، الأغاثة والأمداد ، وصارت كلمتهم وكلمة اهل المدينة واحدة على طلب الصلاح والأصلاح وتغيير الحال ، ولعلّه كان فيهم من يعتقد ان انتخاب عثمان كان بالحقيقة انتصاباً ، بل وفيهم من كان لا يرى لأحد مع وجود عليّ ، حقاً في الخلافة وصلاحاً لها .

٣٠٠ - كتابُ جمعٍ ، فيهم عمرو بن بديل الصّحابي ،

الى عثمان

فاجتمع في المدينة ، منها ومن خارجها ، جمع كثير اعترضوا على عثمان ، في اعماله واعمال امرائه وعُمَّاله ، ووافقهم على ذلك الصوت والأعتراض ، صحابة- الرسول الاعظم ، صلتى الله عليه وآله وسلّم ، وطعنوا على عثمان في افعاله ، وانجز الأمر

اخيراً الى ان طلبوا منه ان يخلع نفسه من الخلافة ، وكتب اليه غير اهل المدينة ، وفيهم عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي ' من الصحابة في ما كتبوا (على ما في الجزء الثالث - الصفحة ال ٤٠٣ - من الطبري) :

« بسم الله الرحمن الرحيم . فاعلم : ان الله لا يُغَيِّرُ ما بقومٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا ما بِأَنفُسِهِمْ . قاله : الله . ثمَّ الله . الله . فانك على دنبي ، فاستم اليها معها آخرة ولا تَنَسَّ نَصِيْبَكَ مِنَ الْآخِرَةِ فَلَاتَسُوغُ لَكَ الدُّنْيَا .

« انا والله بده
نغضب وفي الله
نرضى »

« واعلم : انا والله ، الله نغضب وفي الله نرضى ، وانا لن نضع سيوفنا من عواتقنا حتى تأتينا منك توبة مصرحة ، او ضلالة مُجَلَّعة مبلجة . فهذه مقاتلتنا لك ، وقضيتنا اليك ، والله عذيرنا منك . والسلام . »

٣٠١ - كتاب اهل المدينة الى عثمان

وكتب اهل المدينة اليه (على ما في الطبري ايضا) :
« يدعون الى التوبة ويحتجون ويقسمون بالله لا يمسون عنه ابدأ حتى يقتلوه ، او يعطيهم ما يلزمه من حق الله . »

كتاب اهل المدينة
اليه

في الطبري مسنداً (الجزء الثالث - الصفحة ال ٣٨٣ -) ، بعد ما قال : اجتمع ناس من المسلمين ، فتذاكروا اعمال عثمان . . . فاجتمع رأيهم على ان يعيشوا اليه رجلاً يكلمه ، ويخبره بأحداثه ، فارسلوا اليه عامر بن عبد الله . . . وبعد ما نقل دخول عثمان ومكالمته معه ، قال (ملخصاً) :

٣٠٢ - احضار عثمان جمعاً من عماله واقربائه للمشاورة

« فارسل عثمان الى معاوية ابن ابي سفيان والى عبد الله بن سعد بن ابي سرح

والى سعيد بن العاص والى عمرو بن العاص والى عبدالله بن عامر فجمعهم ليشاورهم فى امره فلما اجتمعوا قال لهم :

« لكل امرء وزراء ونُصحاء ، وانكم و زرائى و نُصحائى و اهل ثقتى ، وقد صنع الناس ما قدر ايتهم ، وطلبوا الىّ ان اعزل عُمّالى وان ارجع عن جميع ما يكرهون الى ما يحبون ، فاجتهدوا رأيكم واشيروا علىّ^١ .
 « فقال عبدالله بن عامر :

« رأى لك يا امير المؤمنين ، ان تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك ، وان تجسّرهم فى المغازى حتى يذلو لك ، فلاتكون همّة احدهم الا نفسه ، وما هو فيه من دبرة دابته وقمل فروه ! .

آراء المشاورين
لعثمان

« ثم اقبل عثمان على سعيد بن العاص فقال ما رأيك؟ قال سعيد :
 « يا امير المؤمنين ان كنت تريد رأينا فاحسب عنك النداء ، واقطع منك الذى تخاف ، واعمل برأى تُصب .
 « قال : وما هو ؟ .

« قال : ان لكل قوم قادة ، متى تهلك يتفرقوا ولا يجتمع لهم امر .
 « فقال عثمان : ان هذا ، الرأى لولا ما فيه !^٢ .
 « ثم اقبل على معاوية فقال : ما رأيك؟ فقال معاوية :

« ارى لك يا امير المؤمنين ان تردّ عمّا لك على الكفاية لما قبلكم وانا ضامن لك قبلى^٣ !

١ - المشاورة مع العمال ، لعزل العمال ! نتیجتها معها .

٢ - انظر الى هذا الراى المرضى لعثمان (وسانر الاراء) ثم انظر الى كلام على ، لعثمان : « الناس الى عدلك احوج من قتلک » ، كما سيجى .

٣ - تامل فى هذا الكلام وانظر فيه سياسة معاوية ودهائه ، كيف اراد ان ينجو بنفسه من المدينة ، وان يكون فى محل امارته كى لا يتلى فى المدينة بمخالفة اهلها ، واکابر القادسين اليها من سائر البلاد ، وان لا يقع فى محل امارته خلل اذا كان خارجاً منه .

« ثم اقبل على عبد الله بن سعيد بن ابي سرح فقال ما رايتك؟ فقال :
 « ارى يا امير المؤمنين ان الناس اهل طمع ، فأعطيهم من هذا المال تعطف
 عليك قلوبهم ! .

« ثم اقبل على عمرو بن العاص فقال له : ما رايتك؟ . قال :
 « ارى انك قد ركبت الناس بما يكرهون فاعتزيم ان تعتدل ، فان ابيت
 فاعتزم عزماً وامض قدماً .

« فقال عثمان : مالك قميل قروك؟ ... »

وفيه مسنداً يضا ، بعد نقل المشاورة :

« فرد عثمان عمماً له وامرهم بالتضييق على من قبيلهم ، وامرهم بتجمير الناس
 في البعوث ، وعزم على تحريم اعطياتهم لطبعوه ويحتاجوا اليه ... » .

امر عثمان
 بالتضييق!
 وتجمير الناس
 في البعوث!

٣٠٣ - توسل عثمان بعلي لرد الناس عنه

في الطبري ايضا (الجزء الثالث - الصفحة ال ٤٠٣ -) :

« . . . فلما خاف القتل شاور نصحائه واهل بيته . . . فاشاروا عليه ان يرسل
 الى علي بن ابي طالب فيطلب اليه ان يردهم ، ويعطيهم ما يرضيهم ، ليطاولهم حتى
 يأتيه امداد ! .

« فقال :

« ان القوم لن يقبلوا التعليل . . . وقد كان مني في قدمتهم الأولى ما كان .
 فمتى أعطهم عهداً سألوني الوفاء به .

« فقال مروان بن الحكم : يا امير المؤمنين مقاربتهم حتى نقوى ، امثل من

١ - واخيرا فليتاسل في ماصارت كالتتيجه للمشاورة من رد العمال ! والتضييق على من
 قبلهم ! والامر بتجمير الناس (تجمير الجيش هو حبسهم في ارض العدو ، وعدم اقبالهم من-
 الثغر) والعزم على تحريمهم اعطياتهم !! .

مكائرتهم على القرب ، فأعطهم مأسألوك ، وطاوليهم ما طاولوك !

« فأرسل الى عليّ فدعاه قال : يا اباحسن انّك قد كان من الناس ما قدر ايت ، وكان مني ما قد علمت ، ولست آمنهم على قتلى فاردّدهم عنّي ، فانّ لهم الله ، عز وجلّ ، انّ اُعتبهم من كل ما يكرهون ، وان اُعطيتهم الحق من نفسى ومن غيرى ، وان كان فى ذلك سفك دمى .

« فقال له عليّ :

« النَّاسُ إِلَىٰ عَدْلِكَ اَحْوَجُ مِنْهُمْ إِلَىٰ قَتْلِكَ ١ . وانى لأرى قوما لا يرضون الا بالرضى وقد كنت اعطيهم فى قدامتهم الاولى عهداً من الله لترجعن عن جميع ما نقموا . فرددتهم عنك . ثم لم تبق لهم بشىء من ذلك !! . فلاتغررتى هذه المرّة من شىء ، فانى معطيهم عليك الحق .

« قال : نعم . فأعطيتهم فوالله لأفبينّ لهم ٢ . »

قال الطّبري ايضا فى تاريخه (الجزء الثالث - الصفحة ال ٤٠٣ -) :

« فخرج عليّ الى الناس فقال :

« ايها الناس انكم انما طلبتم الحق فقد اعطيتموه . ان عثمان قد زعم انه منصفكم من نفسه ومن غيره ، وراجع عن جميع ما تكروهون ، فاقبلوا منه ووكدوا عليه .

١ - انظر الى هذه الجملة كيف يتجلى منه الحق والحقيقة ، والنصح والصفاء فى الارشاد والهداية ووازنه مع ما نصح عمال عثمان ونصحاؤه ، اياه فى المشاورة ، ولاسيما مع ما نصحه سعيد بن العاص وارتضاه الخليفة .

٢ - كان الخليفة نسي ان نباء الاسر مع مروان ، ونصحائه ، كان هناك على المطاولة والغرور ، فكيف يحلف بالوفاء ويؤكد؟ اللهم الا ان يكون كل ذلك لغلبة الحياء عليه ، فمع مروان باقتضاء غلبة الحياء عليه يعزم على ما اراد مروان ونصحه به ، ومع على يعزم على الحق والعدل ! وان كان طلبه المهلة والاجل ، كما سيمر عليك آنفاً ، يبعد هذا العزم ويؤكد ذلك العزم المقدم .

« قال الناس : قد قبلنا ، فاستوثق منه لنا ، فاننا والله لا نرضى بقول دون فعل .

« فقال لهم علي : ذلك لكم . ثم دخل عليه فاخبره الخبر .

« فقال عثمان :

« اضرب بيني وبينهم اجلاً يكون فيه مهلة . فانني لا اقدر على رد ما كرهوا في يوم واحد .

« قال له علي : ما حضر بالمدينة فلا اجل فيه ، وما غاب فاجله وصول امرك .

« قال : نعم . ولكن اجلسني في ما بالمدينة ثلاثة ايام .

« قال علي : نعم .

« فخرج الى الناس فأخبرهم بذلك . وكتب بينهم وبين عثمان كتاباً اجلته فيه

ثلاثاً على ان يرد كل مظلمة ويعزل كل عامل كرهوه - ثم اخذ في الكتاب

اعظم ما اخذ الله على احد من خلقه ، من عهد وميثاق ، واشهد عليه ناساً من وجوه المهاجرين والأنصار .

« فكف المسلمون عنه ، ورجعوا الى ان يفى لهم بما أعطاهم من نفسه .

« فجعل يتأهب للقتال ! ويستعد بالسلاح ! وقد كان اتخذ جنوداً عظيماً من

رقيق الخمس .

« فلمّا مضت الأيام الثلاثة وهو على حاله لم يغيّر شيئاً ممّا يكرهوه ، ولم يعزل

عاملاً ، ثار به الناس

« قالوا : فاننا لانعجل عليك وان كنا قد اتهمناك . اعزل عنا عمالك

الفساق ، واستعمل علينا من لايتهم على دمانا واموالنا ، واردد علينا مظالمنا .

« قال عثمان : ما اراني اذاً في شيء ان كنت استعمل من هويتهم ، واعرزل

من كرهتم . الأمر اذاً امركم !

استمهال عثمان
وكتاب عهد -
التاجيل ثلاثة
ايام

نكت العهد
ونقض الميثاق

١ - اين تكون هذه الكلمات من كلمات الخليفة عمر (رض) ، ومشاورته مع المسلمين في أمورهم . فحبذا ذلك الوفاء بالعهد لاتباع سيرة من سلف ! ونعمت المتابعة ! وما اوفى هذا الميثاق (. . . فوالله ، لافين لهم) واوثقه !

« قالوا : والله لتفعلنّ او لتفتلنّ . فانظُرْ لنفك اودع ..
 « فأبى عليهم وقال : لم اكن لأخلع سربالاً سربلتنيه الله »

٣٠٤ - حول قول عثمان « ... سربالاً سربلتنيه الله

مما يستوقف النظر و يستلفت قول الخليفة ، عثمان ، للمسلمين ، هنا ، « لم اكن لأخلع سربالاً سربلتنيه الله ! » وفى موضع (اونقل) آخر « فلا انزع قميصاً قمصنيه الله ، عز وجلّ ، واكرمنى به ، وخصنى به على غيرى ! » وفى محلّ ثالث « امّا ان اتبرء من الأماره ، فان تصلبونى احبّ الىّ من ان اتبرأ من امر الله عز وجلّ وخلافته . »

من كان الوضع
 بيده كان الرفع
 ايضاً بيده

وذلك لأنّ تلك الأماره او الخلافة لم تكن ، باعترافه وادعاء من سبقه ، منصباً الهياً سربله الله او قمصه الله به وخصه بخلافته بل هو ، بزعمه امر دنيوى ، زمامه بيد المسلمين فمن كان بيده الوضع كان بيده الرفع ، ومن كان له حقّ التقييص والتخصيص كان له حقّ التخليص والترخيص .

وعلى هذا (مع غمض العين عن انّ عبدالرحمن بن عوف كان هو الذى سربله او قمصه وجعله اميراً وخليفة ، وهو ندم من عمله ، لا انّ الله اكرمه بخلافته ! ولا انّ عم المسلمين ، او عامّة اهل الحلّ والعقد ، انتخبوه لخلافة المسلمين) فالمسلمون والصحابه ، واهل الحلّ والعقد ، بالخيار فى ما اختاروا ، اذا شاهدوا منه ما يخالف مقاصد الدين ومصالح المسلمين ، فما معنى هذه الكلمات من الخليفة (رض)؟

قال الطبرى فى تاريخه (الجزء الثالث - الصفحه ال ٤٠٠ -) ، مسنداً ، (ملخصاً) :
 « قدم المصريون القدمة الأولى فكلّم عثمان ، محمد بن مسلمة فخرج فى خمسين راكباً من الأنصار ، فاتوهم فردّهم ، ورجع القوم حتى اذا كانوا بالبؤيب وجدوا غلاماً لعثمان معه كتاب الى عبد الله بن سعد بن ابى سرح ، فكروا فأتوا بالكتاب فانكر عثمان وقال : هذا مفتعل . »

« قالوا : فالكتاب كتاب كاتبك ؟ »

« قال : اجل ! ولكنه كتبه بغير امرى !

« قالوا : فالذي معه الكتاب غلامك ؟

« قال : اجل ! ولكنه خرج بغير اذنى !

« قالوا : فالجمل جملك ؟

« قال : اجل ؛ ولكنه اخذ بغير علمى !

« قالوا : ما انت الا صادق او كاذب ، فان كنت كاذبا فقد استحققت الخلع ، لما

امرت به من سفك دماثنا بغير حقها ، وان كنت صادقا فقد استحققت ان تخلع ، لضعفك ،

وغفلتك ، وخبث بطانتك ، لانه لا ينبغي لنا ان نترك على رقابنا من يقطع مثل هذا الامر

دونه ، لضعفه وغفلته .

« وقالوا : انتك ضربت رجالا من اصحاب النبى (ص) و غيرهم ، حين

يعظونك و يأمرونك بمراجعة الحق عند من يستنكرون من اعمالك ، فأقيد من

نفسك من ضربته وانت له ظالم .

« فقال : الامام يخطىء ويصيب ! فلا اقيد من نفسى ، لانى لو اقدت من

نفسى كل من اصبت به بخطاء آتى على نفسى !! .

« قالوا : انتك قد احدثت احداثا عظاما فاستحققت به الخلع فاذا كلمت

فيها اعطيت التوبة ، ثم عدت اليها والى مثلها ، ثم قدمنا عليك فاعطينا التوبة والرجوع

الى الحق ، ولا منافيك محمد بن مسلمة وضمن لنا ما حدث من امرى ، فأحضرتة ،

فتبرأ منك ، وقال : « لا ادخل فى امره » فرجعنا اول مرة لنقطع حجبتك ، ونبليغ

اقصى الاعذار اليك نستظهر بالله ، عز وجل ، عليك ، فلحقنا كتابا منك الى عاملك

علينا تأمره فينا بالقتل والقطع والصلب ، وزعمت انه كتب بغير علمك ، وهو مع

غلامك ، وعلى جملك ، بخط كاتبك ، وعليه خاتمك ، فقد وقعت عليك بذلك ،

التهممة القبيحة ، مع ما بلونا منك قبل ذلك من الجور فى الحكم ، والاثرة فى القسم ،

والعقوبة للأمر بالتبسط من الناس ، والأظهار للتوبة ، ثم الرجوع الى الخطيئة .

« ولقد رجعنا عنك و ما كان لنا ان نرجع حتى نخلعك ، ونستبدل بك من

أحداث عظام
راواها استحقاق
خلع عنان

من اصحاب رسول الله (ص) من لم يحدث مثل ماجرّبنا منك ، فاردد خلافتنا ، واعتزل امرنا ، فانّ ذلك اسلم لنا منك ، واسلم لك منا .

« فقال عثمان (بعده الحمد والتّصليّة) :

« اما قولكم : تخلع نفسك . فلا انزع قميصاً قمّصنيه الله ، عزّ وجلّ ، واكرمنى به ، وخصّنى به على غيرى ، ولكننى اتوب ، وانزع ، ولا اعود لشيء عاباه المسلمون .
« قالوا : انّ هذا ، لو كان اول حدثٍ احدثته ثمّ تبتّ منه ، وكيف نقبل توبتك وقد بلونا منك انتك لا تعطى من نفسك التّوبة من ذنب الا عدتّ اليه ؟ فلسنا منصرفين حتّى نغزلك . . .

« فقال عثمان : اما انّ اُتبراً من الأمانة فان تصلبونى احبّ الىّ من ان اُتبراً

من امرالله عزّ وجلّ و خلافته !

« فانصرفوا عنه وآذنوه بالحرب . و ارسل الى محمد بن مسّلمة فكلّمه ان

يردّهم . فقال ، والله لا اكذب الله فى سنةٍ مرتين .»

٣٠٥ - قتل عثمان ، و انقضاء دوره

هكذا كان شأن عثمان فى النصف الأخير من ايام خلافته ، فكان قد يحذّرهم و يعتدهم ، وقد يشترهم و يمنّيهم بالتّصالح ، و يعدهم الاصلاح فيقرّبهم و يرغّبهم ، ولكنّه لم يشأ ، او لم يقدر ، ان يفى بما كان يعد ، و يعهد ، و لم يرد ، او لم يتمكّن ، ان يفعل ما يسكن الثّورة ، و يسكت العامّة ، و يرضى الأُمّة ، و يقنع الناس ، فيستسّ القوم منه ، و قنطوا من اقدامه و اصلاحه .

فاتفقت آراؤهم على حصره فى داره ، وهو بمراءى و مستمعٍ من اكابر الصحابة من الأنصار و المهاجرين و من البدرين ، فحصره فى الدار اربعين يوماً (او تسعة و اربعين) ثمّ هجموا عليه فى داره و فيهم محمد بن ابي بكر ، الخليفة ، وان كان هو لم يتولّ قتله بنفسه .

في تاريخ الخلفاء للسيوطي (الصفحة ال ١٦٠ - ١٦١) نقلاً عن ابن عساكر
بأسناده عن الزُّهري :

« . . . وجاء عليُّ إلى امرأة عثمان فقال لها : من قتل عثمان ؟

« فقالت : لا أدري . دخل عليه رجلان لا أعرفهما ، ومعهما محمد بن ابي بكر .
واخبرت عليّاً والناس بما صنع محمد .

« فدعا عليُّ محمداً فسأله عما ذكرت امرأة عثمان . فقال محمد : لم تكذب .
قد والله دخلتُ عليه ، وانا اريد قتله ، فذكرني ابي ، فقمْتُ عنه ، وانا تائب الى الله .
والله ما قتلته ولا امسكته . فقالت امرأته صدق ولكنه ادخلهما . »

وكيف كان قتل عثمان في اليوم الثامن عشر (على الاشهر) من شهر ذي الحجة -
الحرام من شهور سنة خمس و ثلاثين من الهجرة النبوية وكانت مدة خلافته (رض)
اثني عشر سنة .

برالة محمد بن
ابي بكر عن قتل
عثمان

... يا معشرَ المُسْلِمِينَ هَذَا جِلْبَابُ رَسُولِ اللَّهِ (ص)
 لَمْ يُبَيْلَ وَقَدْ أَبْلَى عُثْمَانُ سُنَّتَهُ !
 (من كلمات أم المؤمنين عائشة ، (رض) ،

وَقَدْ كَانَ فِيهَا لِلزُّبَيْرِ عِجَاجَةٌ
 وَطَلْحَةَ فِيهَا جَاهِدٌ غَيْرُ لَاعِبٍ
 وَقَدْ أَظْهَرَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ تَوْبَةً
 فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَا هُمَا فِي الْعَوَاقِبِ
 (مما نسب الى عبيدالله بن عمر الخطاب ، رض) ،

- ١- موقف أم المؤمنين من واقعة عثمان .
- ٢- موقف طلحة والزبير، حوارى رسول الله منها.
- ٣- موقف عمرو بن العاص ، الصحابي الداهى منها .
- ٤- موقف معاوية ، خال المؤمنين ! ، منها ؛
- ٥- تلخيص ماورث قتل عثمان .
- ٦- اصحاب محمد ، و عثمان .
- ٧- مقام على في خلافة عثمان .

٢٠- حول مواقف أم المؤمنين عائشة
 والصحابة من عثمان :

٣٠٦ - موقف الصحابة قبالة عثمان وواقعة

وقعت، تلك الواقعة العظيمة والحادثة الكبرى، التي لم يكن مثيل لها في العالم الإسلامي الى ذلك اليوم، بل وما كان لها في عالم الوهم والخيال مورد ومدخل: حُصِرَ امام المسلمين وخليفتهم صيهر النسي (ص) على ابنتيه، ذوالنورين، شيخ الصحابة، في مركز الخلافة، مدينة الرسول، ومُجْتَمَعِ الأنصار والمهاجرين، وطالت مدة حصاره، في داره، اربعين يوما، او ازيد، فمُنِعَ من الماء ثم هُجِمَ عليه في بيته لعزله، او لقتله، ثم قُتِلَ وتُركَ حتى قيل: «تُبَدُّ (رض) ثلاثة ايام لا يُدْفَنُ...»^١ وقيل: «لبث عثمان بعد ما قُتِلَ ليلتين لا يستطيعون دفنه... ثم حمله اربعة... فلما وُضِعَ ليصلى عليه، جاء نفر من الأنصار يمنعونهم الصلوة عليه!، ومنعوه ان يدفن بالبقيع! فقال ابوجهم (احد الاربعة) ادفنوه فقد صامى الله عليه وملائكته. فقالوا: لا والله لا يُدْفَنُ في مقابر المسلمين ابدا! فدفنوه في حش كوكب»^٢

وكان ذلك بمرأى وسمع من كبار الصحابة، واكابر رجال الدين، الأمرين بالمعروف، الشاهين عن المنكر، المجاهدين بأنفسهم في سبيل الله، الذين لا يخافون في الله لومة لائم، الموصوفين بانهم: «أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ...» ولم يدافع احد منهم عنه، او لم يقدر ان يدافع ويدفع! ببئس ما كان من على (ع) من الدِّفاع، بالتصريح له وللمسلمين، وحراسة داره باقامة ابنه الحسن، او هو والحسين، على باب الدار، لمنعهم عن الدخول، وبإفقاد الماء اليه، الى غير ذلك، مما اثبتته الاثبات من اهل السنة في كتبهم^٣.

١- الجزء الثالث من الطبرى - الصفحة ال ٤٣٨ .

٢- الجزء الثالث من الطبرى ايضا «الصفحة ال ٤٣٩» .

٣- فى تاريخ الخلفاء (الصفحة ال ١٥٩) : ←

فكانه ماجرى من تلك الاحوال ، لم يكن عند هؤلاء منكرآ ، او كانت على رأيهم و اجتهادهم و باعتقادهم مصلحة الأمة ، و رعاية حفظ الدين ، و صيانة اساس الاسلام تحكماً بذلك ، حكماً باتسلاً لا محيص عنه .

قال الطبري في تاريخه (الجزء الثالث - الصفحه ال ٣٧٥ -) عن الواقدي

(مسنداً) :

« لما كانت سنة اربع و ثلاثين ، كتب اصحاب رسول الله (ص) بعضهم الى بعض :

ان اقدِموا فان كنتم تريدون الجهاد ، فعندنا الجهاد . و كثر الناس على عثمان ، و نالوا منه اقبح مانيل من احد . و اصحاب رسول الله يرون و يسمعون ، ليس فيهم احد ينهى ولا يذّب ... »

قال الطبري ايضاً (الجزء الثالث - الصفحه ال ٤٠٠ -) بأسناده عن ابن يسار

انه قال :

« لما رأى الناس ما صنع عثمان ، كتب منّ بالمدينة ، من اصحاب النبى (ص)

الى منّ بالآفاق منهم ، و كانوا قد تفرقوا فى الشغور : انكم انما خرجتم ان تجاهدوا فى سبيل الله ، عزّ و جلّ ، تطلبون دين محمد (ص) فانّ دين محمد قد اُفسد من خلفكم و تُترك .

« فلهُمّوا فاقموا دين محمد صلى الله عليه و سلم . فاقبلوا من كلّ افاق

حتى قتلوه »

←

« ... و حاصر الناس عثمان و منعه الماء فاشرف على الناس فقال : افيكم على ؟

فقالوا : لا . قال : افيكم سعد ؟ قالوا : لا . فسكت . ثم قال : الا احد يبلغ علياً فيسقيناماء ؟

« فبلغ ذلك علياً فبعث اليه بثلاث قرب مملوئة ماء فما كادت تصل اليه ، و جرح

بسببها عدة من بنى هاشم و بنى امية ، حتى وصل الماء اليه . فبلغ علياً ان عثمان يراذقته »

و قال للحسن و الحسين : اذها بسيفكما حتى تقوما على باب عثمان ، فلا تدعا احدآ

يصل اليه ...

« فلما رأى ذلك الناس رموا باب عثمان بالسهام حتى خضب الحسن بن علي

بالدماء على بابه ... و شج قنبر مولى علي ... » .

٣٠٧- «انما قتله اصحاب محمد و قراء الناس...»

قال نصر بن مزاحم، في كتاب صفين، مسنداً عن ابي سلمة:

«ان هاشم بن عتبة دعا في الناس عند المساء:

«الا من كان يريد الله، والدار الآخرة فليقبل.»

«فاقبل اليه ناس فشدّ في عصابة من اصحابه على اهل الشام مراراً...» فقال

ابوسلمة: فمضى في عصابة من القراء فقاتل قتالا شديداً هو واصحابه، اذخرج عليهم

فتى شاب يقول:

«آتَا ابْنُ اَرْبَابِ الْمُلُوكِ غَسَّانُ»

وَ الدَّائِنُ الْيَوْمَ بِيَدِ بْنِ عَشْمَانَ»

«انّبأنا اقوامنا بما كان»^١

انّ عليّاً قتل ابن عَفَّانَ»

ثم شدّ فلا ينثنى يضرب بسيفه، ثم يلعن ويشتم، ويكثر الكلام. فقال له

هاشم بن عتبة.

«ان هذا الكلام بعده الخصام، وان هذا القتال بعده الحساب، فاتق الله فانك

راجع الى ربك، فسائلك عن هذا الموقف وما اردت به. قال:

«فأنتى اقاتلكم لان صاحبكم لا يوصلنى! كما ذكركلى! وانكم لاتوصلون!

واقاتلكم ان صاحبكم قتل خليفتنا! وانتم ازرتموه على قتله: فقال هاشم:

«وما انت و ابن عَفَّانَ؟ انما قتله اصحاب محمد و قراء الناس حين احدث

احداثاً و خالف حكم الكتاب.

«واصحاب محمد، هم اصحاب الدين، و اولى بالنظر فى امور المسلمين،

انما قتله
اصحاب محمد
وقراء الناس

١- فى الطبرى (الجزء الرابع - الصفحة المكمل الثلاثين) وفى الكامل (الجزء الثالث -

الصفحة ال ١٥٩) ايضا ذكرت هذه القضية وفى الطبرى ذكر موضع المصراع الثالث،

هذا المصراع «اتى اتانى خبر فاشجان»

وما اظنّ انّ امر هذه الأمة ولا امر هذا الدّين عناك طرفة عين قطّ .
 « قال الفتى : آجَلْ آجَلْ ، انتى لا اكذب فانّ الكذب يضرّ ولا ينفع ويشين
 ولا يزين .

« فقال له هاشم : ان هذا الامر لا علم لك به فخلّه و اهل العلم به . قال : اظنّك كذبت
 والله قد نصحتنى وقال له هاشم :
 « و اما قولك : ان صاحبنا لا يصلى ، فهو اول من صلى لله مع رسول الله ،
 وافقه في دين الله و اولاه برسول الله .
 « و اما كل من ترى معنى فكلمهم قارئ الكتاب لا ينامون الليل تهجداً ... »

٣٠٨ - كلام عمّار بن ياسر فى عثمان و قاتليه

كلمات
 عمّار ياسر

قال نصر بن مزاحم ، ايضا فى كتاب صفّين ، (مسنداً) : انّ الصّحابة العظيم
 عمّار بن ياسر احد الأيّام بصفّين قام للخّبة فقال فيها :
 « انهضوا معى عباد الله الى قوم يزعمون انّهم يطلبون بدم الظالم لنفسه ، الحاكم
 على عباد الله بغير ما فى كتاب الله . انما قتله الصّالحون ، المنكرون للعدوان ، الآمرون
 بالأحسان .

« فقال هؤلاء ، الدّين لا يبالون اذا سلمت دنياهم ، لو درس هذا الدّين :
 لِمَ قتلتموه ؟
 « فقلنا : لأحدائه .

« فقالوا : ما احدث شيئا ! . و ذلك لانه مكّتهم من الدّنيا ، فهم يأكلونها ،
 ويرعونها ولا يبالون لو انهدتّ عليهم الجبال . »

١- « وروى الواقدي : ان زيد بن ثابت اجتمع عليه عصابة من الانصار ، وهويدعوهم
 الى نصره عثمان ، فوقف عليه جبلة بن عمرو بن حية المازنى فقال : وما يمنعك يا زيد
 ان تذب عنه ؟ اعطاك عشرة آلاف دينار ، وحدائق من نخل لم تثر عن ابيك بمثل حديقة
 سنّها ! » (شرح النهج لابن ابي الحديد - المجلد الاول - الصفحة ٢٢٥ -)

« والله ما اظنهم يطلبون دمه ، انهم ليعلمون انه الظالم ، ولكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحبوها و استمروا بها . و علموا لو ان الحق لزمهم لحال بينهم و بين ما يراعون فيه منها ، و لم يكن للقوم سابقة في الاسلام يستحقون بها الطاعة و الولاية . فخذعوا اتباعهم بأن قالوا :

« قتل امامنا مظلوماً ، ليكونوا بذلك جبابرة و ملوكا ، و تلك مكيده قد بلغوا بها ماترون و لولا هي ، ما بايعهم من الناس رجلا . . . »

٣٠٩ - موقف أم المؤمنين عائشة

كانت ممن يُكثر على عثمان، الطعن والتّوم، و يؤلّب عليه القوم، أم المؤمنين عائشة (رض) وحواري رسول الله (ص) الزبير، والصحابي المبشر له بالجنة، طلحة .
أمّا عائشة فعلى ما فى الطبرى وغيره .

سبب منافرة
عائشة وعثمان

« وكان بين عثمان و عائشة منافرة، وذلك لأنه نَقَصَهَا مِمَّا كَانَ يُعْطِيهَا عَمْرُ -
بن المَخْطَبِ ، و صيّرَها امِوَة غيرَها من نساء رسول الله صلى الله عليه و سلم .

« قام عثمان يوماً ليخطب اذ دلت قميص رسول الله (ص) و نادت :
« يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ هَذَا جِلْبَابُ رَسُولِ اللَّهِ لَمْ يُبَلِّ وَقَدْ أَبْلَى
عُثْمَانُ سُنَّتَهُ ١ .

« فقال عثمان : رَبِّ اصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ ، اِنْ كَيْدَهُنَّ عَظِيمٌ » .
حين اشتد الأمر على عثمان ، اراد مروان استعطاف عائشة .
... و صار مروان الى عائشة فقال :

« يا أم المؤمنين لو قمتِ فاصلحتِ بين هذا الرجل و بين الناس .
« قالت : قد فرغتُ من جهّازى وانا اريد الحجّ .

« قال : فندفع اليك بكلّ درهم انفقته درهمين !!

راى عائشة فى
عثمان و بغية

« قالت : لَعَلَّكَ تُرَى اِنِّى فى شَكِّكَ مِنْ صَاحِبِيكَ ! اَمَّا وَاللّهِ لَوَدِدْتُ
اَنَّهُ مَقْتَطَعٌ فى غِرَارَةٍ مِنْ غَرَائِرِى و اِنِّى اُطِيقُ حَمَلَهُ فَاَطْرَحَهُ فى
الْبَحْرِ ! !»

و فى المحكّي عن كتاب الدّار ، للواقدى .

« ان مروان بن الحكم لما حُصر عثمان ، الحصر الآخِر ، اتى زيد بن ثابت

١ - ان كانت هى صادقة فرضى الله عن عثمان ورحمه ، و ان كانت كذبت وانفرت عليه ،
و العياذ بالله ، فرضى الله عنها ورحمها .

فاستصحبه الى عائشة ليكلّمها في هذا الأمر، فمضيا اليها وهي عازمة على الحجّ فكلّمها
في ان تُقيم و تذبّ عنه .

« فاقبلت على زيد بن ثابت فقالت :

« وما منعك يا ابن ثابت ولك « الأساريف^١ » قد اقتطعتكها عثمان ، ولك
كذا وكذا ، واعطاك عثمان من بيت المال عشرة آلاف دينار^٢ ؟
قال زيد : فلم ارجع اليها حرفاً واحداً .

« و اشارت الى مروان بالقيام . فقام مروان وهو يقول :

حرف تيس على البلاد حتى اذا اضطربت اخذما^٣
« فنادته عائشة ، وقد خرج من العتبة :

« يا ابن الحكّم ! علىّ تمثّل الأشعار ؟ !

« والله سمعتُ ما قلت . اتراني في شكك من صاحبك ؟ و الذي نفسي بيده
لوددت انه الآن في غرارة من غراري مَخِيْطٌ عليه فألقبه في البحر الأخضر .
قال زيد : فخرجنا من عندها على اليأس منها « انتهى^٤ .

و في كتاب « العقد الفريد » لابن عبد ربه المالكي :

« دخل المغيرة بن شعبة على عائشة فقالت :

« يا ابا عبد الله لورايتني يومَ الجمل قد انفذت النصال هودجي حتى وصل بعضها
الى جلدي ! .

« قال لها المغيرة :

« لَوَدِدْتُ وَاللّٰهِ اَنْ بَعْضُهَا قَتَلَكَ !

« قالت : يرحمك الله و ليمّ تقول هذا ؟

سعى عائشة
على عثمان حسب
ما قال المغيرة

١- سرف ، مثل كتف ، موضع قريب من التنعيم وهو من مكة على عشرة اميال . وقيل :
اقل . و اكثر... (مجمع البحرين)

٢- قد مرّ أنّاً ان جبلة بن عمرو المازني ايضاً قال لزيد في اجتماع عصابة من الصحابة
عليه : « وما يمتعك يا زيد ان تذب عنه ؟ اعطاك عشرة آلاف دينار... »

٣- خدمه خذماً اي قطعه . والخدماء ، العنز تشق اذنها عرضاً من غير بينونة .

٤- شرح ابن ابى الحديد (المجلد الاول - الصفحة ال ٢٢٤ - ٢٢٥)

« قال : لعنّها تكون كفّارة في سعيك على عثمان ... »

وفي الطبري (الجزء الثالث - الصفحة ال ٤٦٠ -) مسنداً عن عبيد بن عمرو-

القرشي قال :

« خرجت عائشة ، رضى الله عنها ، و عثمان محصور فقدم عليها مكّة رجلٌ

يقال له : اخضر فقالت : ما صنع الناس ؟ فقال : قتل عثمان ، المصريين .

« قالت : انّا لله و انّا اليه راجعون . ايقتل قوماً جاؤا يطلبون الحقّ وينكرون

الظالم ؟ والله لانرضى بهذا .

« ثمّ قدّم آخر . فقالت : ما صنع الناس ؟ قال : قتل المصريون عثمان . قالت :

العجب لأخضر زعم انّ المقتول ، هو القاتل ! »

قال الطبري (الجزء الثالث - الصفحة ال ٤٧٦ - ١) مسنداً :

« وانّ عائشة لما انتهت الى سرّيف راجعة في طريقها الى مكّة لقيها عبيد بن

امّ كلاب وهو عبيد بن ابي سلمة ، ينسب الى امّه ، فقالت له : مهيم ؟ قال : قتلوا

عثمان ، رضى الله عنه ، فمكثوا ثمانية . قالت : ثمّ صنعوا ماذا ؟ قال : اخذها اهل المدينة

بالاجتماع فجازت بهم الامور الى خبير مجاز ، اجتمعوا على عليّ بن ابي طالب فقالت :

والله ليبتّ انّ هذه انطبقت على هذه ! ان تمّ الامر لصاحبك^٢ ! ردّوني ردّوني .

« فانصرف الى مكّة وهى تقول : قتل والله عثمان مظلوماً . والله لأطلبنّ بدمه^٣ !

« فقال له ابن امّ كلاب : و ليمّ ؟ فوالله انّ اوّل من امال حرفة لانت ، ولقد

١- فى الصفحة ال ٤٦٨ ايضاً جيء ببعض هذه القضية وفى « الكامل » لابن اثير

(الصفحة ال ١٠٥) نقلت القضية و الاشعار التى ستأتى بتماسها مع اختلاف يسير فى بعض

الكلمات .

٢- يا لله ولهذه الشفقة الامومة ! بالله قولى يا اماه ! ما احدث على نى الاسلام الى

هذا الحين حتى صار عندك بهذا المقام . كرم الله وجهه و رضى الله عنك .

٣- باى حق ؟ و ممن ؟ وماذا سوغ لها المداخلة فى شئون الخلافة او الولاية ، اللهم

الا ان يقال بحق الامومة و ممن امرتهم بالقتل ! ولوجوب قرارها فى بيتها « و قرن فى

بيوتكن ... »

كنتِ تقولين : « اقتلوا نَعَثَلًا فقد كفر! » قالت : انهم استتابوه ثم قتلوه^١ و قد قلت وقالوا ، و قولى الأخير خير من قولى الأول^٢ فقال لها ابن امّ كلاب :

مِنْكَ الْبَدَاءُ وَ مِنْكَ الْغَيْرَ
وَ مِنْكَ الرِّيحُ وَ مِنْكَ الْمَطَرُ
وَ أَنْتِ أَمَرْتِ بِقَتْلِ الْأَمَامِ
وَ قُلْتِ لَنَا إِنَّهُ قَدْ كَفَرَ
فَهَبْنَا أَطْعَمَاكِ فِي قَتْلِهِ
وَ قَاتَلُهُ عِنْدَنَا مِنْ أَمْرٍ

٣١٠- «عائشة كانت من اشدّ الناس على عثمان»

قال ابن ابى الحديد (المجلد الثانى - ذيل «ومن كلام له ، عليه السلام ، بعد فراغه من حرب الجمل - معاشر الناس انّ النساء نواقص الايمان ...» - الصفحة ٧٧-) :
«وهذا الفصل كله رمز الى عائشة ولا يختلف اصحابنا فى انها اخطأت فى ما فعلت (يعنى فى حرب الجمل) ثم تابت و ماتت نائبة وانها من اهل الجنة .

«قال كلّ من صنّف فى التّسير والّاخبار : انّ عائشة كانت من اشدّ الناس على عثمان حتّى انها اخرجت ثوباً من ثياب رسول الله صلى الله عليه وآله فنصبته فى منزلها وكانت تقول للدّاخلين اليها : هذا ثوب رسول الله (ص) لم يُبلّ و عثمان قد ابلى سنّته .
«قالوا : اول من سمى عثمان ، «نعثلاً» عائشة . والنعثل ، الكثير شعر اللحية والجسد ، وكانت تقول : اقتلوا نعثلاً! اقتل الله نعثلاً!» .

اول من سمى
عثمان نعثلاً
عائشة

١- كانها (رض) نسيت ما دار بينها و بين مروان حين عزمها الى الحج و كون عثمان فى الحصر الاخر ، اى بعد وقوع التوبة .

٢- ولا اعتراض على هذه الاقوال المورثة للقتل والقتال لانها ثمرة الرأى والاجتهاد ،

كما يقال .

«وروى المدائني في كتاب الجمل قال :

«لَمَّا قُتِلَ عثمان كانت عائشة بمكة و بلغ قتله اليها ، وهي بسراف ، فلم تشكك في ان طلحة هو صاحب الامر و قالت : بَعْدَ النَّعْتِ وَسُحْقًا ، اَبَيْهِ ذَا الْأَصْبَعِ ! ، ايه اباشيل ! . ايه يا ابن عم ! ، لكأنتي انظر الى اصبعه و هو يبائع له . حشوا الأبل و دعد عوها .

« قال : و قد كان طلحة حين قتل عثمان اخذ مفاتيح بيت المال و اخذ نجائب كانت لعثمان في داره . ثم فسَدَ امره فدفعها الى علي بن ابي طالب عليه السلام . و قال ابو مخنف ، لوط بن يحيى الأزدي في كتابه :

« ان عائشة لما بلغها قتل عثمان ، وهي بمكة ، اقبلت مسرعة و هي تقول : ايه ذَا الْأَصْبَعِ ! لله ابوك . اما انهم وجدوا طلحة لها كفواً ! .

« فلما انتهت الى سراف استقبلها عبيد بن ابي سلمة اللثبي فقالت له : ما عندك؟
« قال : قتل عثمان .

« قالت : ثم ماذا ؟

« قال : ثم حارت بهم الامور خير محاري : بايعوا علياً .

« فقالت : لَوَدِدْتُ ان السَّمَاءَ انطبقت على الأرض ان تم هذا ! و يحكك انظر ماذا تقول ؟

« قال : هو ما قلت لك يا ام المؤمنين . فَوَلَّوْا لَت .

« فقال لها : ماشأنك يا ام المؤمنين ؟ والله ما اعرف بين لايتها احداً اولي بها منه و لا احق ، و لا ارى له نظيراً في جميع حالاته ، فلما ذا تكرهين ولايته ؟ ! قال : فما ردت عليه جواباً .

« قال : و قد روى من طرق مختلفة : ان عائشة لما بلغها قتل عثمان ، وهي بمكة ، قالت :

« ابعده الله ! ذلكت بما قدّمت يدها و ما الله بظلامٍ ليلعبيد .

« قال : و قد روى قيس بن ابي حازم : انه حج في العام الذي قتل فيه عثمان

وكان مع عائشة لماً بلغتها قتله، فتحمل الى المدينة قال: فسمعها تقول في بعض الطريق: ايه ذا الاصبع! واذا ذكرت عثمان قالت: ابعده الله، حتى اتاها خبر بيعة علي، فقالت لَوَدِدْتُ ان هذه وقعت على هذه.

« ثم امرت برد ركائبها الى مكة. فرددت معها ووليتها في سيرها الى مكة تخاطب نفسها كأنها تخاطب احداً: قتلوا ابن عفان مظلوماً.

« فقلت لها: يا ام المؤمنين الم اسمعك آناً تقولين: ابعده الله وقد رايتك قبل، اشد الناس عليه واقبحهم فيه قولاً؟ فقالت: لقد كان ذلك ولكنى . . .

« قال: ورؤى من طرق اخرى: انها قالت، لماً بلغها قتله: ابعده الله. قتله ذنبه، و اقاده الله بعمله يا معشر قريش . . . ان احق الناس بهذا الامر ذوالاصبع. فلما جاءت الأخبار ببيعة علي (ع) قالت: تعيسوا لا يردون الامر في تيم ابدأ.

٣١١- عائشة و مكالمتها مع ام سلمة

« قال ابو مخنف:

« جاءت عائشة الى ام سلمة تخادعها على الخروج للطب بدم عثمان. فقالت: يا بنت ابي امية انت اول مهاجرة من ازواج رسول الله (ص) و انت كبيرة امهات المؤمنين، وكان رسول الله (ص) يقسم لنا من بيتك وكان جبريل اكثر ما يكون في منزلك.

« فقالت ام سلمة: لا امر ما قلت هذه المقالة؟

« فقالت عائشة: ان عبد الله اخبرني ان القوم استتابوا عثمان فلما تاب قتلوه صائماً في شهر حرام، وقد عزمت على الخروج الى البصرة ومعى الزبير و طلحة فاخرجني معنا لعل الله ان يصلح هذا الأمر على ايدينا و بنا.

« فقالت: انا ام سلمة، انتك كنت بالأمس تحرضين على عثمان و تقولين فيه اخبث القول وما كان اسمه عندك لانعثلا. وانتك لتعرفين منزلة علي بن ابي طالب عند رسول الله (ص) افأذكرك؟

« قالت نَعَمْ .

« قالت : انذرين يوم اقبل علىّ (ع) ونحن معه حتى اذا هبط من قديد ذات- الشمال خلا بعلىّ يناجيه فاطال ، فأردت ان تهجمين عليهما فنهيتك ففصيتين فهجمت عليهما فما لبثت ان رجعت باكية .

« فقلتُ : ماشأ نكك ؟

« فقلت : انتى هجمتُ عليهما و هما يتناجيان .

« فقلتُ لعلىّ ليس لى يوم من رسول الله آلا يوم من تسعة ايام افما تدعنى يا

ابن ابى طالب و يومى ؟

« فأقبل رسول الله (ص) علىّ ، وهو غضبان مُحَمَّرُ الوجه .

« فقال : ارجعى ورائك . والله لا يبغضه احد من اهل بيتى ، ولا من غيرهم من

الناس آلا وهو خارج من الايمان .

« فرجعت نادمة ساقطة .

« قالت عائشة : نعم اذكر ذلك .

« قالت واذكرك ايضا . . . »

وفى تاريخ الطبرى (الجزء الثالث - الصفحة ال ٤٣٤) ، مسنداً ، بعد ذكر تولية

عثمان فى زمن الحصر ، ابن عباس لأمر الموسم وكتاب كتبه معه الى اهل الموسم ، :

« فخرج ابن عباس ، فمرّ بعائشة فى « الصلصل » فقالت :

« يا ابن عباس انشدك الله ، فانك قد أعطيت لساناً ازعيلاً ، (نسيطاً) ان تخذل

عن هذا الرجل (تعنى عثمان) وان تشكك فيه الناس فقد بان لهم بصائرهم ، وانهجت

ورفعت لهم المنار ، و تحلبوا من البلدان لأمرٍ قد جم .

« وقد رايت طلحة بن عبيدالله قد اتخذ على بيوت الأموال والخزائن مفاتيح ! فأن

يل يسير بسيرة ابن عمه ابى بكر . . . »

هكذا كانت حالة ام المؤمنين ، عائشة ، ومعاملته مع الخليفة عثمان فلننظر ونرى

موقف الصحابييين العظميين طلحة و الزبير و معاملتهما معه :

٣١٢- موقف طلحة والزبير تجاه الواقعة

وامّا طلحة، والزبير حوارى رسول الله^١، فيعلم حالهما بالنسبة الى هذه الواقعة مما نقلها هنا مما قيل فى حقتهما :

قال الطبرى فى تاريخه :

« وكان اكثر من يؤلب عليه (يعنى على عثمان) طلحة و الزبير و عائشة^٢ . »

وفى كتاب « البدء و التاريخ » (الجلد الثانى - الصفحة ال ٢٠٥-) :

« وكان اشدّ الناس طلحة و الزبير و محمد بن ابى بكر و عائشة . و خذلته

المهاجرون و الانصار .

« و تكلمت عائشة فى امره ، و اطعت شعرة من شعر رسول الله صلى الله عليه

وسلم ، و نعله و ثيابه ، و قالت : ما اسرع ماتر كتم سنّة نبيكم !

« فمقال عثمان فى آل ابى قحافة ، مقال ، و غضب ، ما كاد يدري ما يقول ! . . »

قال ابن الأثير فى « الكامل » (الجزء الثالث - الصفحة ال ٨٤) :

« و قد قيل : انّ علياً كان عند حصر عثمان بخبير فقدم المدينة و الناس مجتمعون

١- «... و قال النبى (ص) لكل نبى حوارى و حوارى ، الزبير.»

تقول : فلان خالصة فلان و خالصاته و حواريه اى شديد الاختصاص به و الاستخلاص

له « (شرح النهج - المجلد الاول الصفحة ال ٧٦) .

٢- فى الاستيعاب (ذيل ترجمة طلحة بن عبيدالله) « ان علياً رضى الله عنه قال فى

خطبة حين نهوضه الى الجمل ان الله عزوجل فرض الجهاد و جعل نصرته و ناصره ، و ماصلته

دنيا ولا دين الا به . و انى منيت باربعة : ادهى الناس و اسخاهم : طلحة ، و اشجع الناس

الزبير ، و اطوع الناس فى الناس ، عائشة و اسرع الناس الى فتنه يعلى بن منية .

« والله ما انكروا على شيئا منكرا ، و لا استاثرت بمال ، و لامت بهوى ، و انهم ليطلبون حقا

تركوه ، و دماً سفكوه ، و لقد ولوه دونى ، و ان كنت شريكاً لهم فى الانتكار لما انكروه ، و ما تبعه

عثمان الا عندهم . . . والله ان طلحة و الزبير و عائشة ليعلمون انى على الحق و انهم

مبطلون »

عند طلحة ، وكان ممن له فيه اثر ، فلما قدم عليُّ اياه عثمان وقال له :
 « اما بعد فان لى حقّ الاسلام ، وحقّ الأبناء و القرابة والصهر ، ولو لم يكن
 من ذلك وكنا فى الجاهلية لكان عاراً على بنى عبد مناف ان ينتزع اخو بنى تيمم يعنى
 طلحة ، امرهم .

شكوى عثمان
من طلحة
الى على

« فقال له علىُّ : سيأتيك الخبر .

« ثم خرج الى المسجد فرأى اسامة فتوكأ على يده حتى دخل دار طلحة و هو
 فى خلوةٍ من الناس .

« فقال له : يا طلحة ما هذا الامر الذى وقعت فيه ؟

« فقال : يا ابا الحسن بعد ما مس الحزام ، - الطيبين !

« فانصرف علىّ حتى اتى بيت المال . فقال : افتحوه . فلم يجدوا المفاتيح .
 فكسر الباب و اعطى الناس فانصرفوا من عند طلحة حتى بقى وحده ، و سرّ بذلك
 عثمان .

« وجاء طلحة فدخل على عثمان وقال له :

« يا امير المؤمنين اردتُ امرأ فحال الله بينى وبينه !

« فقال عثمان :

والله ماجئت تائبا ولكن جئت مغلوبا . الله حسيبك يا طلحة . »

قال الطبرى (الجزء الثالث - الصفحة ال ٤١١ -) مسنداً عن عبد الله بن عباس

ابن ابي ربيعة قال :

« دخلتُ على عثمان ، رضى الله عنه ، فتجدتُ عنده ساعة .

« فقال : يا ابن عباس تعال . فأخذ ييدى فأسمعتنى كلامَ مَنْ على باب

عثمان فسمعنا كلاماً : منهم من يقول : ما تنتظرون به ؟ ومنهم من يقول : انظروا عسى
 ان يراجع .

« فبينما انا وهو واقفان اذ مرّ طلحة بن عبيد الله فوقف . فقال : اين ابن عديس ؟

فقال : ها هو ذا . قال : فجاءه ابن عديس فناجاه بشيىء . ثم رجع ابن عديس فقال

لاصحابه: لاتتركوا احداً يدخل على هذا الرجل ولا يخرج من عنده .

قال : فقال لى عثمان : هذا ما امر به طلحة بن عبيدالله ! ثم قال عثمان :

«اللهم اكفنى طلحة بن عبيدالله ، فانه حمل على هولاء ، و البههم^١ .

والله انى لأرجوان يكون منه صفراً ، وان يسفكك دمه ، لانه انتهك منى

مالاً يحل له ...»

وقال الطبري ايضا (الجزء الثالث - الصفحة ال ٤٣٣) مسنداً عن حكيم بن جابر

قال : قال على لطلحة :

«اتشؤك الله الا رددت الناس عن عثمان .

قال : لا والله ، حتى تعطى بنوامية ، الحق من نفسها»

وقال عبيدالله بن عمر بن الخطاب فى خطبتها التى القياها بالشام ، حين امره

معاوية ، كما سياتى نقلها فى محلها ، فى مقال من الأبيات :

وقد كان فيها للزبير عجاجة

وطلحة فيها جاهد غير لاعب

وقد أظهر من بعد ذلك توبة

فبالتى شعري ما همما فى العواقب

وقال على فى كتابه الى اهل الكوفة عند مسيره من المدينة الى البصرة :

«... اما بعد فانى أخبركم عن امر عثمان حتى يكون سمعه كعبيانه : ان

الناس طعنوا عليه فكنت رجلاً من المهاجرين ، أكثر استعبابه و أقل عتابه .

وكان طلحة و الزبير اهن سيرهما فيه ، الوجيف و أرفق حدائهما ، العنيف . وكان

من عائشة فيه فلئتة غضب ...»

١- قال ابن ابي الحديد فى شرحه (المجلد الاول - الصفحة ال ٢٢٥ -) نقلاً عن

«الشافى» :

«والظاهر المعروف انه لم يكن على عثمان اشد من طلحة ولا اغلظ منه . . . و قد

روى ان عثمان كان يقول يوم الدار : اللهم اكفنى طلحة . و يكرر ذلك علماً بانه اشد

القوم عليه .

وفى تاريخ الطبري (الجزء الثالث - الصفحة ال ٤٧١) مسنداً عن علقمة بن

وقاص :

« لما خرج طلحة والزبير وعائشة ، رضى الله عنهم ، عرضوا للناس بذي عرق ... »

ثم حدث مسنداً ، عن علقمة بن المغيرة بن الأخنس انه قال :

« لقي سعيد بن العاص ، مروان بن الحكم واصحابه بذات عرق ، فقال : اين

تذهبون و ناركم على اعجاز الأبل ؟ اقتلوهم ثم ارجعوا الى منازلكم ، لا تقتلوا انفسكم .

« قالوا : بل نسير ، فلعلنا نقتل قتلة عثمان جميعاً »

ونقل ابن ابي الحديد (المجلد الاول - الصفحة ال ٢٥٩ -) فى قضية ذهاب

خفاف بن عبدالله الى الشام لزيارة ابن عمه ، حابس بن سعيد الطائى :

« فغدا حابس بخفاف الى معاوية فقال : ان هذا ابن عمى لى قدم الكوفة مع على

وشهد عثمان وهو ثقة .

« فقال له معاوية : هات حديثاً عن عثمان .

١- وفى «الكامل» (الجزء الثالث - الصفحة ال ١٠٧-) وردت بعد كلمة «اعجاز الابل»

هذه الجملة «... ورائكم ؟ . يعنى عائشة وطلحة والزبير ، اقتلوهم...»

٢- قد قتل مروان (على الاشهر الاصح) طلحة فى «واقعة الجمل» ، كما فى «الاستيعاب»

و «الاصابة» ، وغيرهما ، عن طرق متعددة .

قال ابن حجر العسقلانى الشافعى فى «الاصابة» : « وروى ابن عساكر من طرق

متعددة : ان مروان بن الحكم هو الذى رماه فقتله . واخرجه ابوالقاسم البغوى بسند

صحيح عن الجارود بن ابي سبرة قال : لما كان يوم الجمل نظر مروان الى طلحة فقال :

لاطلب ثارى بعد اليوم ، فنزع له بسهم فقتله . واخرج يعقوب بن سفيان بسند صحيح

عن قيس بن ابي حازم : « ان مروان بن الحكم رآى طلحة فى الخيل فقال : هذا اعان

على عثمان ، فرماه بسهم فى ركبتيه ، فما زال الدم يسيح حتى مات . . . » وورد ابن

عبدالبر المالكي فى «الاستيعاب» عدة روايات مسندة فى ذلك . منها «عن يحيى بن سعيد

عن عمه قال : «رمى مروان ، طلحة بسهم ، ثم التفت الى ابان بن عثمان فقال : قد كفيناك

بعض قتلة ابيك . . . »

«قال : نعم ، حصره المكشوح^١ ... وجدّ في امره طلحة و الزبير ، وابره^٢ -
الناس منه على^٣ .

«قال : ثمّ مه؟» .

«قال : ثمّ تهافت الناس على^٤ على^٥ بالبيعة ، تهافت الفراش حتى ضاعت النعل
و سقط الرداء ، و وطىء الشيخ ! (يعنى عليّاً) ...»

وقال علي^٦ في خطبته التي القيلها بذي قار ، و سيجىء نقلها في محلّها في ماقال :
«أدّم عثمان زعمًا؟ والله ماالتبعة^٧ الا عندهم ، وان اعظم حجتهم لعلي^٨ انفسهم ..»

و في شرح ابن ابي الحديد على النهج (المجلد الاول - الصفحة ال ١٠١ -)
عن ابي مخنف قال : حدثنا مسافر بن عفيف بن الأخنس قال :

«لما رجعت رسل علي^٩ ، عليه السلام ، من عند طلحة و الزبير و عائشة يؤذونه
بالحرب ، قام فحمد الله و اثنى عليه و صلى على رسوله ثم قال :

«ايها الناس اني قدراقت هؤلاء القوم ، كي يرعووا ، او يرجعوا ، ووبختهم
بنكثهم ، و عرفتهم بغيثهم ، فلم يستجيبوا ، وقد بعثوا اليّ ان ابرز للطعان ، و اصبر
للجلاد ، و انما تمنيك نفسك امانى الباطل و تعدك الغرور .

«الا ! هبلتهم الهبول لقد كنت و ما اهدد بالحرب ، و لا
ارهب بالضررب ، و لقد انصف القارة من رماها فليزر عيوا ، و ليبرقوا
فقد راوني قديماً ، و عرفوا نكايتي فكيف راوني ؟

«انا ابو الحسن الذي فللت حدّ المشركين و فرقت جماعتهم . و هذا الكف
القلب النقي عدوى اليوم ، و انى على ما وعدت نبي ربى من النصر و التأيد ،
و على يقين من امرى ، و فى غير شبهة عن دينى .»

«ايها الناس ان الموت لا يفتوته المقيم ، و لا يعجزه الهارب ، ليس عن الموت
محيّد و لا محيص . من لم يقتل مات . ان افضل الموت ، القتل . و الذى

١- لعل المراد منه الاشر كما قيل :

« حكيم و عمار الشجار ، محمد كذا الاشر المكشوح جروا الدواهي »

نَقَسُ عَلِيٌّ بِيَدِهِ اَلْاَلِفَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ اَهْوَنُ مِنْ مَوْتٍ وَاَحَدَةٍ عَلَيِ الْفِرَاشِ .
 اَللّٰهُمَّ اِنَّ طَلْحَةَ نَكَثَ بَيْعَتِي ، وَاَلْبَّ عَلَيَّ عُثْمَانَ حَتَّى اَقْتَلَهُ . . . »
 و حكى ابن ابى الحديد ايضا (المجلد الثاني - الصفحة ٥٠١) مذاكرة بين
 قاسم بن محمد بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله الملقب بـ «ابى بكرة» ، حين كان والى
 شرطة الكوفة من قبيل عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، وبين
 اسمعيل بن جعفر بن محمد الصادق ، عليه السلام ، انجرت الى المتافرة بهذه العبارة :
 « فقال القاسم : لم يزل فضلنا و احساننا سابغاً عليكم يا بنى هاشم ، و على بنى
 عبد مناف كافة . »

« فقال اسمعيل : اى فضل و احسان اسديتموه الى بنى عبد مناف ؟
 « اَغَضِبَ اَبُوكَ جَدِّي بِقَوْلِهِ : لَيْمُوتَنَّ مُحَمَّدٌ وَلَنَجُولَنَّ بَيْنَ خِلَاطِئِلِ نَسَائِهِ
 كَمَا جَالِ بَيْنَ خِلَاطِئِلِ نَسَائِنَا فَانزَلَ اللهُ تَعَالَى ، مَرَاغِمَةً لِأَبِيكَ : « وَ مَا كَانَ لَكُمْ
 اَنْ تُؤْذُوا رَسُوْلَ اللهِ ، وَ لَا اَنْ تُنْكَحُوْا اَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ اَبْدًا ؟ »
 « او منع ابن عمك امى حقها من فذك ، و غيرها من ميراث ابوها ؟ و اجلب
 ابوك على عثمان و حصره حتى اقتل ، و نكث ببيعة على و شام السيف فى وجهه ،
 و افسد قلوب المسلمين عليه . فان كان لبنى عبد مناف قوم غير هؤلاء اسديتم اليهم
 احساناً فعرفنى من هم ؟ »

٣١٣- موقوف عمرو بن العاص من عثمان

اما عمرو بن العاص ، الصحابى الداهى ، فانظر بعض ما فعل ، و اسمع بعض
 ما قال و اعتبر :
 امر عثمان يوماً من الايام التى اجتمع عليه الناس ، عمرو بن العاص ، ان يخرج
 اليهم و يعذره عندهم .
 قال الطبرى (الجزء الثالث - الصفحة ال -) :

«فخرج عمرو وصعد المنبر ونادى: الصلوة جامعة. فلما اجتمع الناس، حمد الله واثني عليه... (وذكر محمداً، صلى الله عليه وسلم، بما هو اهله و ذكر الخليفتين) ثم قال:

«ثم ولّى عثمان، فقلتم و قال، تلومونه و يعذّر نفسه . اَفَلَيْسَ ذلك؟
«قالوا: بلى!»

«قال: فاصبروا له، فانّ الصغير يكبّر، والهزيل يسمنُ و لعلّ تأخير امرٍ خير من تقديمه!»
«ثم نزل.

«فدخل اهل عثمان عليه، فقالوا: هل عابك احدٌ بمثل ما عابك به عمرو؟
«فلما دخل عليه عمرو، قال:
«يا ابن النّابغة! والله ما زدت ان حرّضت الناس على!»

«قال: والله لقد قلتُ فيك احسن ما علمتُ. ولقد ركبت من الناس وركبها منك. فاعتزّل ان لم تعتدّل!»

«فقال: يا ابن النّابغة قميلٍ درعك مذ عزلتك عن مصر» انتهى .

وقال عمرو بن العاص، حين اجتمع امراء البلاد والاجناد، ك معاوية بن ابي سفيان واضرابه، بأمر عثمان في داره للمشاورة (بعد قول عثمان لهم: «اشيروا عليّ» فانّ الناس قد تنمّروا اليّ» و بعد ما اشار اليه معاوية و عبده الله بن عامر بما اشار اليه) على ما في الطّبري (الجزء الثالث - الصفحة الـ ٣٧٣-):

«يا عثمان انك قد ركبت الناس بمثل بنى امية فقلت و قالوا، و زغت و زاغوا. فاعتدّل، او اعتزّل و انّ ابيت فاعتزّم عزماً و امض قدماً»
«فقال عثمان: مالك؟ قد قميل فرّوك! اهله الجدة منك؟!»

وهو الذي كما قال الطّبري ايضاً (الجزء الثالث - الصفحة الـ ٣٩٢-):
«لما كان حصر عثمان الأوّل، خرج من المدينة حتى انتهى الى ارض له بفلسطين»

كلمات
ابن العاص
لعثمان وللناس

يقال لها : « السبع » فنزل في قصر له يقال له : « العجلان » وهو يقول : « العجب ما ياتينا عن ابن عفان »

« فبينما هو جالس في قصره ذلك ، و معه ابناه محمد و عبدالله و سلامة بن

روح الجذامي ، اذ مرّ بهم راكب فناداه عمرو :

« من اين قدّم الرجل ؟ »

« فقال : من المدينة .

« قال : ما فعل الرجل ؟ يعني عثمان .

« قال : تركته محصوراً شديداً الحصار .

« قال عمرو : « انا ابو عبدالله ! قد يضربُ العَيْرُ والمِكْوَاةُ في النار ! .

« فلم يبرح مجلسه ذلك حتى مرّ به راكب آخر فناداه عمرو :

« ما فعل الرجل ؟ يعني عثمان .

« قال : قُتِل .

« قال : انا ابو عبدالله ! اذا حَكِكْتُ قُرْحَةَ نَكَائِئُهَا ، ان كنت لأحرّض

عليه حتى لأحرّض عليه الراعى في غنمه في راس الجبل . . . »

وقال الطبري ايضا في تاريخه (الجزء الثالث - الصفحه ال ٣٩٢-) مسنداً (بعد

ان ذكر قدوم عمرو بن العاص من مصر الى المدينة و طعنه على عثمان ، لعزله اياه

عن مصر ، و مكالمته مع عثمان ، و تشدده عليه في بيته ، خالياً به) :

« فخرج عمرو من عند عثمان وهو محتقد عليه يأتي علياً مرةً فيؤلبه على عثمان

و يأتي التزبير مرةً فيؤلبه على عثمان و يأتي طلحة مرةً فيؤلبه على عثمان . و يعترض

الحاجّ فيخبرهم بما احدث عثمان . »

قال الابن اثير في الكامل (الجزء الثالث - الصفحه ال ١٤١ :

« وقيل : ان عمرو لما بلغه قتل عثمان قال : اَنَا قَتَلْتُهُ وَ اَنَا بُوَادَى السَّبَاعِ

(يعنى بثر السبع الذي كان قصره و ضيَعته به) . ان يَلِ هذا الامر طلحة فهو فتى العرب

سيباً و ان يَلِه ابن ابي طالب فهو اكره من يليه الى . فبلغه بيعة على فاشتد عليه . . . »

اعتراف عمرو
ابن العاص
بتحريضه للناس
على عثمان

وفى الاستيعاب مسنداً (ذيل ترجمة عثمان) «ان عمرو بن العاص قام الى عثمان وهو يخطب الناس فقال: يا عثمان، انك قد ركبت المَهَامِيه وركبوا فتبُّ الى الله و ليتوبوا قال فالتفت اليه عثمان فقال : فانك لَهْمَاك يا ابن النابغة ؟ ... »

٣١٤- موقف معاوية من ابن عمه ، عثمان

واما خال المؤمنين ، الطليق ، معاوية بن هند ، فما حرَّض صريحاً عليه ولكنه كان يتسامح فى مدده و نصره فى طول مدّة حصره ، ومع ما يستمدّه عثمان ويستعينه كان يماطل ويسوف حتّى او شكك التّقاء حَلَقَتِي البِطَان « ارسل جنداً نحو المدينة ولكنه اوصى اميرهم (حبيب بن مسلم الفهرى) بالبطؤ فى الحركة ، ومراقبة الامر ، وعدم دُخول المدينة ' »

معاوية
فى نصر عثمان

بل كما يظهر عن الطّبري ، وغيره ، لم يبعث معاوية بعثاً لأمداد عثمان وقد عيّرهُ بذلك شبث بن ربعي التّميمي مخاطباً لمعاوية نفسه ، فى الصّفّين .
ارسل علىّ (ع) بعد وروده بصّفّين بشير بن عمرو الأنصارى و سعيد بن قيس الهَمْدَانِي و شبث بن ربعي التّميمي الى معاوية و قال لهم :
« ائتوا هذا الرّجل فادعوه الى الله ، عزّ وجلّ ، و الى الطّاعة و الجماعه و الى اتّباع امر الله تعالى »

فذهبوا اليه و تكلموا عنده فقال شبث فى ما قال له .
« انه لا يخفى علينا ما تقرب و ما تطلب . انك لا تجد شيئاً تستغوى به الناس ، و تستميل به اهوائهم ، و تستخلص به طاعتهم ، الا ان قلت لهم : « قتل امامكم مظلوماً فهلّموا نطلب بدمه . فاستجاب لك سفهاء ، طغام ، رذال .
« وقد علمنا انك قد ابطأت عنه بالنصر ، و احببت له القتل بهذه المترلة التى تطلب ... »

قال محمد بن جرير الطبري في تاريخه (الجزء الثالث - الصفحة ال ٤٠٢) :
 « فلما رأى عثمان ما قد نزل ، كتب الى معاوية بن ابي سفيان وهو بالشام :
 « بسم الله الرحمن الرحيم . اما بعد فان اهل المدينة قد كفروا ^١ .
 واخلفوا الطاعة و نكثوا البيعة .

استمداد عثمان
 معاوية من
 مقاتلة اهل الشام
 لتعال
 اهل المدينة

« فابعت الى من قبلك من مقاتلة اهل الشام على كل صعب وذلول... »
 « فلما جاء معاوية الكتاب تربص وكره اظهار مخالفة اصحاب رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وقد علم اجتماعهم .

« فلما امره عثمان ، كتب الى يزيد بن اسد بن كرز ، والى اهل الشام يستفزهم ..
 « فلما قرأ كتابه عليهم قام يزيد بن اسد بن كرز البجلي ثم القسري فحمد الله
 واثنى عليه ثم ذكر عثمان فعظم حقه . فتابعه ناس كثير و ساروا معه حتى اذا كانوا
 بوادي القرى بلغهم قتل عثمان فرجعوا » .

وقال الطبري ايضا (بعد ما قال : وكان - يعنى معاوية - اكثر من يؤتب عليه
 و الزبير و عائشة) :

« فكتب الى معاوية يسأل تعجيل القدوم عليه ، فتوجه في اثنى عشر الف . ثم
 قال : كونوا بمكانكم فى اوائل الشام حتى آتى امير المؤمنين لأعرف صحة امره !
 « فاتى عثمان ، فسأله عن العدة .

١ - وليتأمل فى هذا الحكم من جهتين : الاول فى موضوعه وهو « اهل المدينة » فلو
 قيل و اعترف بأن الخلافة امر انتخابى زمامه بيد الامة ، او اهل الحل والعقد ، كما يقولون
 بعد وفاة الرسول ، فلامحالة كان الزمام ذلك الحين بيد اهل المدينة ، وفى المدينة ، فكيف لا يكون
 الرفع بيد من كان الوضع بيده . ؟ ثم كيف وقع الاعتراف بمخالفة « اهل المدينة » لا الحصر
 بمن كان من الخارج .

الثانى فى الحكم نفسه ، و هو الكفر ، مع ما كانت الخلافة عنده ، و عندهم ، ليست
 من اصول الدين و لم يكن نص عليها ، ومع غمض العين عن ذلك فاهل المدينة لم ينكروا
 « الخلافة » كى يحكم بكفرهم بل انكر والخليفة فلم يخالفوا حكما من احكام الدين بل تكلموا
 فى موضوعه .

«فقال : قد قدِمْتُ اليك لأعرف رأيك و اعود اليهم فأجيبك بهم !

«فقال : لا والله ! و لكنك اردت انْ أُقتل فتقول : انا وليُّ النار !

«ارجع ، فاجئني بالناس .

«فرجع فلم يعد اليه حتى قُتل .»

قال عليّ عليه السلام في كتاب له الى معاوية ، و هو كما قال السيد الرضى

«من محاسن الكتب» ، و لعل التوفيق يساعد ان نلتقط نبذة اخرى منها في ماسيجىء :،

«ثم ذكرت ما كان من امرى و امرى عثمان ، فذلك انْ تُجَابَ عَنْ

هذه ليرحمك منه .

«فأينما كان أعدى له ، و آهدى الى مقاتله ؟

«أم منْ بَدَلْ له نُصْرتهُ فاستفعدَه و استكفَه ؟ أم منْ استنصرَه

فترأخى عنه ، و بثَّ المنونَ اليه حتى اتى قدره عليه ؟ كسلا والله لَو قد

يعلمُ اللهُ المعوقينَ منكم و القائلينَ لأخوانهم هلمَّ الينا و لا يأتونَ

البأس الا قليلاً .»

«و ما كنتُ لأعتدِرَ منْ اتى كنتُ انقيمُ عليه احداً . فانْ كانَ

الذنبُ اليه ارشادى و هدايتى له ، فربَّ مَلُومٍ لاذنَّبَ له .» و قد يستفيد

الظنَّة المُنْتَصِحُ

«و ما اردتُ الا الاصلاحَ ما استطعتُ و ماتوفيتسى الا بالله عليه

تَوَكَّلْتُ و اليه اُنِيبُ .» . . .

٣١٥- ندامة معاوية على خذلانه عثمان

لما قُتل عثمان و بايع المسلمون علياً ، ندم معاوية على خذلانه عثمان و صرَّح

بذلك في ابيات .

١- الاية ال ١٨ من السورة ال ٣٣ (الاحزاب) .

٢- الاية ال ٨٨ من السورة ال ١١ (هود) .

نقل ابن ابي الحديد (المجلد الأول من الشرح - الصفحة ال ٢٥٣-) عن نصر بن مزاحم (في قضية ضرب الركب ان يقتل عثمان الى الشام بعد قتله ، ومنهم حجاج بن خزيمه ، وخطابه معاوية بعنوان « امير المؤمنين » و لم يُخطب معاوية بهذا العنوان قبله ، وانشاده ابياتاً لتحريض معاوية وقوله له : وانى اخبرك يا امير المؤمنين ! انك لتقوى على على ، بدون مايقوى به عليك ، لأن معك قوماً لا يقولون ، اذا قلت ولا يسألون اذا امرت وان مع على قوماً يقولون اذا قال ، و يسألون اذا امر ، فقليل ممن معك خير من كثير ممن معه . . .) .

« فضايق معاوية صدرأ بما اتاه وندم على خذلان عثمان وقال :

« اتانى امرٌ فيه للنفس غمة »

وفيه بكاءٌ للعيون طويلٌ

« وفيه فناءٌ شاملٌ و خزاية

وفيه اجتداعٌ للانوف اصيلٌ

« مُصابٌ امير المؤمنين و هدة

يكادُ لها صمُ الجبال تزولُ

« تداعتُ عليه بالمدينة عصبيةٌ

فريقانٍ منهم قاتلٌ و خذولٌ

« ندمتُ على ما كان من تبعى الهوى

و قصرى فيه حسرةٌ و عويلٌ

« تركتُك للقوم الذين همُّهم

شجاك فما ذا بعد ذلك اقول »

الى آخر ماقال .

و فى تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطى عن الصحابى ، ابو الطفيل ، عامر بن

والثة ، قال :

« انه دخل على معاوية فقال له معاوية :

«أَلَسْتَ مِنْ قَتْلِهِ عَثْمَانَ؟»

«قال : لا ، ولكنِّي ممَّن حضره فلم ينصره .

«قال : وما منعك من نصره ؟»

«قال : لم تنصره المهاجرون و الأنصار !

«فقال معاوية : أما لقد كان حقّه واجبا عليهم ان ينصروه .

«قال : فما منعك يا امير المؤمنين مِنْ نصره ، و معك اهلُ الشّام ؟»

«فقال : أما طلبى بدمه له نصرة له ؟»

«فضحك ابو الطّفيل . ثمّ قال : انت و عثمان كما قال الشّاعر :

لَا الْفَيْتَنَكَ بَعْدَ الْمَوْتِ تَنْدُبُنِي

و فِي حَيَاتِي مَا زَوَّدْتَنِي زَادًا

٣١٦- استغواء معاوية ، عبیدالله بن عمر

هكذا كان شأن معاوية ، خال المؤمنين^١ وهؤلاء الأکابر من الصحابة ، مع الخليفة عثمان (رض) ! و اما عليّ (ع) فكان ، على مادريت و كما قال نفسه (ع) بمكان

١- قال ابن الاثير في «الکامل» (الجزء الثالث - الصفحة ال ١٥٨-١) : «واسر معاوية جماعة من اصحاب عليّ (بصقین) فقال له عمرو بن العاص : اقتلهم . فقال عمرو بن اوس الودی : «لا تقتلني فانك خالي!»

«قال : من اين انا خالك ولم يكن بيننا و بين اود مصاهرة .

«قال : ان اخبرتك فهو اماني عندك ؟»

«قال : نعم .

«قال : اليست اختك ام حبيبة ، زوج النبي ؟»

قال : بلى .

«قال : فاني ابنها و انت اخوها . فانت خالي . «فقال معاوية : اما كان في هولاء من

يفظن لها غيره !؟ و خلى سبيله !»

هكذا اصبح معاوية ، خال المؤمنين !

من البرائة من قتله ، او التآليب عليه ، ولكن الدهر ذو عيبٍ ، وصاحب غير ، فلا تعجبن من ابن آكلة الأكباد ، الطليق ، ان يحتال على امير المؤمنين ، واخي رسول رب العالمين بما احتال ، و ان يقول في حقه ما قال ، كي ينال من مكيدته بما نال .

ولنختم هذا المقال بما في حديث محمد بن عبيد الله عن الجرجاني ، على ما رواه نصر بن مزاحم ، في كتاب «صفين» فان فيه من كلام عبيد الله بن عمر بن الخطاب (رض) وشعره ما يكفي المنصف لبرائة علي وتاليب غيره ، من كبار الصحابة ، في واقعة عثمان . قال :

« لما قدم عبيد الله بن عمر بن الخطاب على معاوية بالشام ارسل معاوية الى عمرو بن العاص فقال :

« يا عمرو ان الله قد احبب لي لك عمر بن الخطاب بالشام بقدم عبيد الله بن عمر وقد رايت ان اقيمه خطيبا فيشهد علي علي بقتل عثمان ، و ينال منه .
فقال : الراي مارايت : فبعث اليه . فاتى .

فقال له معاوية : يا ابن اخ ! ان لك اسم ابيك فانظر بملأ عينيك ، وتكلم بكل فيك ، فانت المأمون الصدق ، [فاصعد المنبر و] فاشتم عليا ، و اشهد عليه انه قتل عثمان !! .

فقال : يا امير المؤمنين ! اما شتميه (يعنى شتمى اياه) فآته علي بن ابي طالب و امه فاطمة بنت اسد بن هاشم فما عسى ان اقول في حسبه ؟ و اما بأسه ، فهو الشجاع المطرق ، و اما اياه فما قد عرفت ، ولكني ملزمه دم عثمان ! فقال عمرو بن العاص قد ، و ابيك اذن ، نكات القرحة ! .

فلمّا خرج عبيد الله قال معاوية :

« ما والله لولا قتله الهرمزان ، و مخافة علي على نفسه ، ما اتانا ابدا . الم تر الى تقرظه عليا ؟

فقال عمرو : يا معاوية ، ان لم تغلب فاخلب . فخرج حديثه الى عبيد الله .

فلمّا قام خطيبا تكلم بحاجته حتى اذا اتى الى امر علي أمسك .

«فقال معاوية: اِنْكُتْ بَيْنَ عَيِّ وَخِيَانَةٍ .

«فبعث اليه : كرهت ان اقطع الشهادة على رجل لم يقتل عثمان و عرفت ان الناس محتملُوها عنى . . .

« . . . فقال عبيدالله فى ما قال :

معاوى لم احرض بخطبة خاطب

و لم اك عيّا فى لئوى بن غالب

و لكننى زاولتُ نفساً ابيّةً

على قذف شيخ بالعراقين غائب

وقدنى في عليّاً بابنِ عفّانِ جهرةً

كذابٌ وما طيبتى سجايبا المكاذب

فأمّا انتقا فى اشهد اليوم و ثبة

فلست لكم فيها ابنِ حرب بصاحب

فما قال : احسنتم ولا قد اسأتّم

واطرّق اطراق الشُّجاعِ المؤائب

و قد كان فيها للزبير عجاجة

و طلحة فيها جاهد غير لاعب

و قد اظهرا من بعد ذلك توبة

فيا ليت شعرى ما هما فى العواقب ؟^٢

١- وائبه، اى بادره و انقض عليه .

٢- نقل ابن ابى الحديد هذه القضية فى المجلد الاول - الصفحة ال ٢٥٦ - ايضا .

٣١٧- علل قتل الخليفة و اسبابها بالتلخيص

و لنلخص اسباب وقوع قتل الخليفة ، عثمان ، و عللها القريبة فى امرين :
 الأوّل - و لعلّه الأصل و الأساس ، فى العلل القريبة ، ضعف ارادة عثمان ،
 و فتور عزيمته ، و صبرورته فى هذا المأزق الحرج طوعاً لرغبة الاحداث الأجلاف
 من بنى امية و بنى ابي معيظ ، و خاضعاً لأهوية الكهول الأغرار منهم ، امثال مروان
 و وليد بن عتبة و عبد الله بن سعد بن ابي سرح . و لعلّه كان السبب فى ذلك فطرته
 اللينة ، التى الحياء المفرط من آثارها و شئونها ، و عاطفته القويّة بالنسبة الى اقربائه
 التى بها سلط بنى قومه و ذوى قرابته على رقاب الناس ، كما تفرّسها عمر ، او كان السبب
 شيخوخته و كبر سنّه ، و ضعفه فى جسمه ، و كيف كان فقد كان (رض) ضعيفاً فى الراى
 حين يجب عليه الصرامة و الصلابة و الشدّة و الفظاظة . و آلا فان كان ذاعزم و صرامة
 و اعترم على العدالة ، و احقاق الحق ، و اجراء الحدّ ، و عزل من كان الحقّ عزله ،
 و قام بالاستقامة و الوفاء بما كان يعد الناس من العمل بما يقتضيه الدين و العقل ، و يستدعيه

١- قال الطبرى مسنداً (بعد ما ذكر توبة عثمان على المنبر، و بكأوه واعطاء الناس
 الرضا و رجوعه الى منزله ، و دخوله بيته ، و دخول مروان عليه «فلم يزل يقتله فى الذروة
 و الغارب حتى قتله عن رايه...» و خروج مروان الى الناس و قوله لهم : شامت الوجوه ..
 و عدم خروج عثمان استحياء من الناس) (الجزء الثالث - الصفحة ال ٣٩٨-):

«قال عبد الرحمن بن الاسود : فجنّت الى على فاجده بين القبر و المنبر، و اجد عنده
 عمار بن ياسر و محمد بن ابي بكر ، و هما يقولان : صنع مروان بالناس و صنع . قال فاقبل
 على على فقال : احضرت خطبة عثمان ؟ قلت : نعم . قال : افحضرت مقابلة مروان للناس ؟
 قلت : نعم . قال على : عياذ الله يا للمسلمين انى ان تعدت فى بيتى قال لى : تركتني
 و قرابتى، و حقى، و انى ان تكلمت فجاء ما يريد ، يلعب به مروان فصار سيقه له يسوقه حيث
 شاء، بعد كبر السن و صحبة رسول الله...»

منه اكابر الصحابة و عامّة المسلمين ، لَمَّا اثيرا فساد عمرو بن العاص و لا تأليب امّ المؤمنين عائشة و الزبير و طلحة ، الناس عليه ، و لَمَّا احتاج الى الاستنصار من معاوية و لَمَّا انجرّ الامر الى ما انجرّ . و في قول عليّ ما يكفيك للاشارة بذلك «الناسُ الى عدلِكَ احوَجُ مِنْهُمْ الى اقتتليكَ» .

وما اجلّى التقسيم في كلام عمرو بن العاص ، العاصي له : « فاعتدلْ » ، او اعتزلْ فان ابيت فاعتزم عزمًا و امض قُدُمًا » وان كان الأرجح ، و الاعود له و للمسلمين ، هو القسم الأول (العدل) كما في نصيحة عليّ عليه السلام له .

الثاني - اجتماع اهل المدينة و اتحاد الكلمة على العدل او العزل . و لا تُصغِرُ الى ما قد يقال ، حميّة و عصبية او عادة و ألفة ، او تجاهلاً و غفلة ، ان اهل المدينة و المهاجر و الانصار ، لم يشتر كوا مع اهل الأمصار فانّ الامر اوضح من ذلك كما قد عرفت ممّا مرّ .

او يمكن حصر الخليفة اربعين يوما ، او اكثر ، بمرأى من اهل المدينة و فيهم امثال سعد بن وقاص امير الجنود الفاتحة و غيره من كبار الصحابة و العشرة المبشرة و هم غير راضين بذلك و مع ذلك لا يدافعون و لا يدفعون عنه .

اجلّ ممّا لا ينبغي الارتياح فيه انّ اكثرهم لا يرضون للمخليفة بالقتل ، و لكنهم لم يكونوا مخالفين للتضييق عليه كي يقبل العدل او العزل ، و ان كان ذلك بالتشديد في الحصر ، فكان منهم و في منظرهم و مسمعهم و بين ايديهم .

قال ابو حيان التوحيدى في «الامتع و المؤانسة» (المجلد الثالث - الصفحة ٤١٠) :

(١٦٤ -) .

« وقال المدائني : نظر ثابت بن عبد الله بن الزبير الى اهل الشام فشتهم . فقال

١- قال الطبري مسنداً عن ابي حبيبة (الجزء الثالث - الصفحة ال ٤١٠) :

« قال : نظرت الى سعد بن ابي وقاص يوم قتل عثمان دخل عليه ثم خرج من عنده

و هو يسترجع مما يرى على الباب .

« فقال له مروان : الان تندم و انت اشعرته ! فاسمع ، و سعداً يقول : استغفر الله . . . »

له سعيد بن عثمان بن عفان : اتشتمهم لأنهم قتلوا اباك ؟. فقال : صدقت ، ولكن - المهاجرين و الأنصار قتلوا اباك . »
قال العلامة المفضل ، جلال الدين السيوطي في « تاريخ الخلفاء و الأُمراء » -
(الصفحة ال ٢١١) :

« واخرج العسكري في « كتاب الأوائل » عن سليمان بن عبد الله بن معمر قال :
« قدم معاوية مكّة ، و المدينة ، فأتى المسجد فقعده في حلقة فيها ابن عمر ،
و ابن عباس و عبد الرحمن بن ابي بكر فاقبلوا عليه و اعرض عنه ابن عباس .
فقال : انا احقّ بهذا الامر من هذا المعرض و ابن عمّه ! فقال ابن عباس :
وليمّ ؟ : اَلتقدّم في الإسلام ام سابقه مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم
او قرابة منه ؟ .

« قال : لا ، ولكنني ابن عمّ المقتول !

« قال : فهذا احقّ به ، يريد ابن ابي بكر .

« قال : انّ اياه مات موتا .

« قال : فهذا احقّ به ، يريد ابن عمر .

« قال : انّ اياه قتله كافر .

« قال : فذلك ادحض لحجّتك ان كان المسلمون ، عتبوا على ابن عمّك

فقتلوه . »

٣١٨ - تأكيد لما سلف

حكى ابن ابي الحديد (ذيل الطعن الاول من المطاعن التي طعن بها عثمان)
عن السيد المرتضى في ما اعترض به قاضي القضاة يعجبني ان نقله هنا بالفاظه (المجلد -
الاول - الصفحة ال ٣٣١) قال :

« و ما ريت اعجب من ادعاء مخالفتنا ان اصحاب الرسول ، صلى الله عليه و آله ،

كانوا كارهين لما جرى على عثمان و انهم كانوا يعتقدونه مُنكراً و ظلماً .

« وهذا يجرى ، عند من تأمله مجرى دفع الضرورات قبل النظر في الاخبار وسماع ماورد من شرح هذه القصة ، لأنه معلوم ان ماكرهه جميع الصحابة ، او اكثرهم ، في دار عزهم و بحيث ينفذ امرهم ، و نهيهم لايجوز ان يتم .

« ومعلوم ان نفراً من اهل مصر لايجوز ان يقدموا المدينة ، فيغلبوا جميع المسلمين على آرائهم ، و يفعلوا بأمامهم ما يكرهونه بمرأى و مسمع . وهذا معلوم بطلانه بالبداية والضرورات ، قبل تصفح الاخبار و تأملها .

« وقد روى الواقدي عن ابن ابي الزناد عن ابي جعفر القارى ، مولى بنى مخزوم ،

قال :

« كان المصريون ، الذين حصروا عثمان ستماء ، عليهم عبد الرحمن بن عديس - البلوى وكنانة بن بشر الكندى و عمرو بن الحمق الخزاعى .

« والذين قَدِموا المدينة من الكوفة مأتين ، عليهم مالك الأشر للنخعي .

« والذين قَدِموا من البصرة مائة رجل ، رئيسهم حكيم بن جبلة العبدي .

« وكان اصحاب النبى صلى الله عليه و آله ، الذين خذلوه لا يرون ان الأمر

يلغ به القتل .

« و لعمري لو قام بعضهم فحثا التراب فى وجوه اولئك لانصرفوا .

« وهذه الرواية تضمنت من عدد القوم الواقدين فى هذا الباب اكثر مما تضمنته

غيرها .

« وروى شعبة بن الحججاج عن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال :

« قلت : كيف لم يمنع اصحاب رسول الله ، صلى الله عليه و آله ، عن عثمان ؟

فقال :

انما قتله اصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله .

« وروى عن ابي سعيد الخدرى انه سئل عن مقتل عثمان : هل شهده احد

من اصحاب رسول الله ، صلى الله عليه و آله ؟ فقال : نعم شهده ثمانمائة . . . »

٣١٩- كلام لعمر بن عبدالعزيز في ما احدث عثمان

قال ابو الفرج الاصبهاني الاموي في كتابه «الأغانى» (الجزء الثامن - الصفحة ال-

١٤٦-):

«لما وُلِّيَ عمر بن عبدالعزيز بدءاً بلُحْمته واهل بيته، فأخذ ما كان في ايديهم، وسمي اعمالهم المظالم، ففزعَتْ بنوامية الى فاطمة بنت مروان عمته، فارسلت اليه: انه قد عناني امرٌ لا بدّ من لقائك فيه.

«فاتته ليلاً فانزلها عن دابتها فلما اخذت مجلسها، قال:

«يا عمّة انتِ اولى بالكلام لأنّ الحاجة لكِ فتكلمى. قالت: تكلم

يا امير المؤمنين. فقال:

«ان الله، تبارك وتعالى، بعث محمداً (ص)، رحمة لم يبعثه عذاباً، الى الناس كافةً ثم اختار له ما عنده فقبضه اليه وترك لهم نهراً شربهم فيه سواء. ثم قام ابو بكر فترك النهر على حاله ثم وُلِّيَ عمر فعمل على عمل صاحبه.

«فلما وُلِّيَ عثمان اشتق من ذلك النهر نهراً. ثم وُلِّيَ معاوية فشق منه الأنهار

ثم لم يزل ذلك النهر يشق منه يزيد و مروان و عبد الملك و الوليد و سليمان حتى افضى الامر الى وقد يبس النهر الاعظم ولن يروى اصحاب النهر حتى يعود اليهم النهر- الاعظم الى ما كان عليه.

«فقال له: قد اردتُ كلامك ومذاكرتك فاما اذا كانت هذه مقاتلك فلست

بذاكرةٍ لكّ شيئاً ابداً. ورجعت اليهم فابلغتهم كلامه»

٣٢٠- موقف عليّ في خلافة عثمان

من راجع تاريخ الخلفاء الثلاث، و تأمل في مطاويه، يتوجه الى نقطة وهي

ان في نوبة خلافة الشيخين كانت معاملتهما مع عليّ ومعاملته معهما على خلاف ما كانت

في نوبة خلافة عثمان:

وكانت مروادة عليّ معهما اكثر، و مراجعتهما في الشؤون الدينية والحوادث-
الواقعة الاجتماعية الدنيوية اليه ازيد، و شورهما معه اكثر و اظهر، و قبولهما لما
يشير به في الوقائع والحوادث اسهل و ايسر، و لا سيما في نوبة الخليفة عمر (رض)
فانه كان يستشير عنه، و يستفتى و يعترف بما يشير اليه و يفتى به، فيعمل بما اشار
وافتى، و لا يستنكف ان يقول، كراراً و جَهَّاراً: «لولا عليّ لهلك عمر»، و يتعوذ
بالله، عكناً، من معصلة ليس لها ابوحسن.

في الجزء الرابع من الطبري (الصفحة ال ٥٠ - ٥١): عن شريح بن... ان
عليّاً اوصاه بكلمات الى عمرو بن العاص فقال: قل له، اذا انت لقيته، ان عليّاً
يقول لك:

«ان افضل الناس عند الله، عزّ وجلّ، من كان العمل بالحقّ، احبّ اليه وان
نقصه... من الباطل وان حنّ اليه و زاده يا عمرو. و والله انك لتعلم اين موضع
الحقّ فلم تجاهل؟...»

قال: فبلغته ذلك فتمعّر وجهه ثمّ قال: متى كنت اقبل مشورة عليّ،
او انتهى الى امره، او اعتدّ برأيه؟ فقلت له:

«ما يمنعك، يا ابن النابغة، ان تقبل من مولاك و سيّد المسلمين، بعد نبئهم،
مشورته كان من هو خير منك، ابوبكر و عمر، رضى الله عنهما، يستشيرانه،
و يعملان برأيه...»

و قد مرّ سابقاً مانقله الواقدي في واقعة فتح بيت المقدس من قول عمر، بعد
شوره والمسلمين، و استماعه ارائهم و رأى عثمان و عليّ:

«... و لست آخذُ الاّ بمشورة عليّ، فما رأيتاه الاّ محمود المشورة،
ميمون الطلعة» فعمل برأيه، و ذهب الى بيت المقدس بنفسه «واستخلف عليّاً على-
المدينة» في غيبته.

وامّا في زمان خلافة عثمان فقليلاً ما يرى ان عليّاً يتردّد الى مجلس الخليفة
ولعله لا يكاد يرى الناس في تلك المدة ان عثمان شاور عليّاً في امر من الأمور،

مع انه ، بحسب الظاهر ، ان كان في زمان الشيخين شاباً ، صار في زمانه شيخاً ، اللهم
 الا امرأ يرجع الى حفظ خلافته و يضطر اليه في سبيل صيانة شخصه و حراسة نفسه .
 و ايأ ما كان لهذا الأمر من العوامل والأسباب الكامنة والمستورة : من قبيل شدة
 البغضاء و كثرة الشحناء بين بني امية و بين بني هاشم (اكثر مما كان بين سائر قريش
 من بني تيم و بني عدى و بين بني هاشم) عموماً ، و مقابلة عثمان و عليّ في الثورى
 خصوصاً ، و غير ذلك مما لانطيل بالأشارة اليها ، فقد كان لها عوامل و اسباب ظاهرة
 جلية اظهرها ما اتخذها عثمان سيرةً لنفسه ، و منها جأل لخلافته ، و هو تقديم أحداث بني امية
 و بني أبي معيظ و اجلافهم امثال مروان ، ابن عمه الحكم ، طريد رسول الله ، صلى الله
 عليه و آله و سلم و وليد بن عقيبة ابن ابي معيظ الفاسق المتجاهر ، و سعيد بن العاص
 و عبد الله بن سعد بن ابي سرح و من يشابههم ، على اكابر الصحابة بل طرد صحابة
 رسول الله (ص) ، بل و شتمهم ، و ضرب الاعظم منهم ، و تغريبهم ، كما وقع منه في حق
 ابن مسعود و عمار بن ياسر و ابي ذر الغفارى . و التصرف في بيت مال المسلمين على
 غير حقه و على خلاف السيرة المعمولة سابقاً ، كاعطائه الأموال الكثيرة باقرائه بلا كتاب
 و لاحساب . و غير ذلك مما مرت الإشارة بها .

و كيف كان فكان عليّ لا بالوجهدأ في نصيح عثمان ، و اخماد نار الفتنة ، و كان (ع)
 مرجعاً و ملجأً لعثمان ، كلما اشتد الأمر عليه ، بسوء فعله ، يستدعى منه الوساطة و اصلاح
 ما افسده نفسه و عماله ، و قد كان (ع) ركناً و ثيقاً ، و ملجأً ، شفيعاً للامة ، فيطلبون
 منه نصيح عثمان ، و ارشاده و تعديله ، و كان لهم كهفأ منيعاً يلجأون اليه ، فيعظّمونه
 و يبجلونه و يعرفون عظمة مقامه و علو شأنه .

وهيهنا نختم الكلام في المجلد الأول من كتاب «الاسلام و الشيعة الامامية...»
 و نردفه بالمجلد الثاني : «في خلافة عليّ و الأئمة المعصومين المظهرين من ذريته»
 ثم تبعه بالمجلد الثالث في «بيان معتقدات الشيعة الامامية في الاصول و الفروع»

١- و يبحث فيه ، كلية ، حول مطالب يحتوي كل مطلب على بيان امور :

حول فضائل علي عليه السلام ، وفيه : الكلام في الامامة و الخلافة . ما اختص علي بها

والتكاملان في الكلّ عليّ فيض الله و عونه ، بالمهام الحقّ في الاعتقاد ، و ارشاد-
الصّواب في القول ، و الاعتصام بحبل كرمه وجوده في حفظه و صونه عن الخطأ و الزّلل
في ما نرتكب و نعمل . والحمد لله ، تبارك و تعاليّ ، أوّلاً و آخرآ .

محمود - الشهباني - الخراساني .

→
من الفضائل . النظر الى عليّ ، عبادة . كلام من ام المؤمنين ، عائشة ، في شأن عليّ .
سولوية عليّ ، سولوية النبي (ص) . نزلت في عليّ ثلاثمائة آية . الخصال الثلاثة التي قالها
عمر لعليّ . عليّ راس الفضائل و ينبوعها . عليّ هو النبا العظيم . كلمات عليّ في احوال
العارفين . . .

حول نبذة من اوصاف عليّ عليه السلام و حالاته ، وفيه : عبادة عليّ . جود عليّ .
شجاعة عليّ . حلم عليّ و صفحه . تواضع عليّ و سجاحة اخلاقه . رأى عليّ و تدبيره .
زهد عليّ . قوة عليّ و ايده . انتهاء علوم العلماء الى عليّ . جهاد عليّ و انه سيد المجاهدين .
شدة رعاية عليّ جانب الحق و العدل . تشديده عليّ امراء الجند لحفظ مراكزهم . سيرة
عليّ في التسوية . انموذج من احقائه حق الرعية . عليّ امام الفصحاء و سيد البلغاء . نهج-
البلاغة و ما قالوا في شأنه . . .

حول خلافة عليّ عليه السلام وفيه : تراكم الجماعة عليّ عليّ في البيعة . كراهية
عليّ للحكومة ، اشارة الى علل كراهيته . كلام عليّ في توجيه عذره لقبوله الحكومة مع كونه
كارهاً لها ، في خطبته المعروفة بالششقية . كلام ابن الخشاب في شأن الخطبة . تحقيق
وثيق للحكيم المعقق البحراني حول الخطبة . كلمات من عليّ في اغتصاب حقه . . .
حول ما وقعت في خلافة عليّ من الحوادث ، وفيه : . . . الى آخر المطالب الاخرى
و محتوياتها : من بيان احوال الائمة بعد عليّ عند الشيعة .

تأليفات وآثار آخر من مؤلف هذه الاوراق :

في المنطق :

- ١- « رَهْبَرِ خِرْدُ » (باللغة الفارسية المتداولة ، طبع قسم المنطق منه مرّات ولم يتم بعدُ قسمى الألهى والتّطبيعى منه)
- ٢- « منطق » (مطبوع) (بالفارسيّة)
- ٣- « دانشرا »
- ٤- « خِرْدُ سَنَج » (بالفارسية المحضّة)

في الفلسفة :

- ٥- قسمى الألهى والتّطبيعى من « رَهْبَرِ خِرْدُ » (لم يتمّ ، لعوائق اخترت اتمامها)
- ٦- رسالة « بُودُ وَ نِمُودُ » (فى مباحث المهية والوجود - مطبوعة -)
- ٧- رسالة « الظلّ الممدود » (فى امتهات مباحث الوجود - باللغة العربيّة -)
- ٨- « النظرة الدّقيقة فى قاعدة بسيط الحقيقة » (باللغة العربيّة - مطبوعة -)
- ٩- رسالة « شهاب التّطور - فى تأويل آية النّور - » (باللغة العربيّة . جمعت فيها آراء بعض الأكابر فى تأويل الآية ، وأردفت بتحقيق ما رآه المؤلف فيه)
- ١٠- « مَبْدَءُ وَ مَعَادُ » ترجمة كتاب « المبدء والمعاد » للشيخ الرئيس ابى على - بن سينا ، مع مقدمة متكفّلة لتعريف الكتاب و ترجمة مؤلفه - مطبوعة -)
- ١١- تصحيح كتاب « الأشارات والتنبيهات » لابى على بن سينا و كتاب « لباب - الالباب » لفخر الدين الرازى ، مع مقدّمة مشروحة لتعريف الكتاب - مطبوعة -)
- ١٢- تصحيح رسالة « روائشناسى » للشيخ ابن سينا فى معرفة النفس (مع مقدّمة مشروحة لبيان الاوصاف البارزة للشيخ - مطبوعة -)

- ١٣- رسالة «بَيِّنٌ وَآمِيْدٌ» (في شرح حديث من سأل عن التوحيد) -
- ١٤- ترجمة رسالة «حقائق الصنائع» (او كما اشتهر: رسالهٔ صناعيّه) للعارف-
النَّبيل والحكيم الجليل السيّد ابى القاسم المشهور بـ «ميرالفندرسكى» (اصل الرسالة
بالفارسيّة، عربيها مؤلّف هذا الكتاب)
في الفقه و اصوله و قواعده :
- ١٥- «تقريرات اصول» (بالفارسيّة وله مقدّمة تتكفل تاريخ الاصول حدودًا،
وسلو كًا في مسير التكامل . طبع قريبا من عشرة مرّات)
- ١٦- «قواعد فقه» (بالفارسيّة . طبع سبعة مرّات)
- ١٧- «دورساله» (بالفارسيّة، احديهما في «وضع الالفاظ» و ثانيتهما في «قاعدة
لاضرر» كان موضوع البحث في قسم الدكتوراه بكلية الحقوق من «جامعة تهران» .
طبعت ثلاث مرّات)
- ١٨- تعليقات على كتاب «شرائع الاسلام» للمحقّق الحلّي (طبعت قسمة التجارة
منه مع التصحيح و التعليق)
- ١٩- «سير اصول الفقه و تحوّلّه» (مختصر بعنوان المقدّمة على الجزء الأوّل من
«فوائد الاصول» للكاظميني احد اعلام العلم ، ره ،)
- ٢٠- «ادوار فيقه» المجلّد الأوّل (بالفارسيّة - في سير الفقه الاسلامي و تطوُّره
طبع مرّات)
- ٢١- «ادوار فقه» المجلّد الثاني (طبع مرّات)
- ٢٢- «ادوار فقه» المجلّد الثالث (مطبوع - و الجزء الرابع من الكتاب مُعدّ
للطبع ، إن شاء الله، و تأليف بقية الاجزاء مرهون عناية الله و توفيقه)
- ٢٣- «رسالة في الخمس» (بالعربيّة)
- ٢٤- «رسالة في المعاني الحرفيّة و تحقيق معاني الحروف»
- ٢٥- «تعليقات على مواضع من كفاية الاصول»
- ٢٦- «ارساء الفلّكك في تفسير سورة الملّكك» (بالعربيّة لم يتم)

٢٧- «فروع ايمان» عنوان تفسير كان يكتب متدرّجاً في «مجلة ايمان» انشأها و نشرها المؤلف شهرياً، وانتشر منها تسع عشر عدداً - فيها بعض المقدمات لما اريد من التفسير)

٢٨- «راى العقل التسليم، فى ماجادل فرعون به، الكليم» (حيث نسب الى موسى- الجنون وهده بالسجن)

٢٩- عدة رسالات مختصرة من هذا القبيل : «توجيه الحصر» (يعنى الحصر- الواقع فى قوله تعالى : «وان ليس للانسان الا ما سعى»). و«الانسان والعقل» (فى بيان كون غاية خلق الانسان ان يصير عاقلاً كما اشير اليه فى القرآن المجيد) فى المذهب :

٣٠- «الشعبة» (فصل من كتاب طبع باميركن بعد ما ترجم باللغّة الانكليزية)
٣١- «الاسلام والشعبة الامامية فى اساسها التاريخي وكيانها الاعتقادى (هذا- الكتاب . فى ثلاثة اجزاء)

٣٢- «مسرح الفؤاد فى ترجمة السيد الداماد» (بالعربية- لم يتم - طبعت مقدمتها فى مجموعة اسمها «كلزار معانى»
٣٣- ترجمة الشيخ الطوسى، ره، (بالعربية، بعنوان المقدمة على منتخب من كتابه المشهور بـ«الخلاف» مطبوعة-)

فى متفرقات :

٣٤- «شدّرات» كتاب من قبيل الكشكول، للشيخ بهاء الدين العاملى (ره)، قريب من سبعة اصفحة .

٣٥- منظومات بالفارسية فى ترجمة قصائد عربية - كقصيدة الميمية للبوصيرى، المعروفة بـ«قصيدة البردة» و قصيدة الطغرائى المعروفة بـ«لامية العجم» و قصيدة النونية البستي التى مطلعها «زيادة المرء فى دنياه نقصان» و قصيدة الرائية لابى على حسين بن عبد الله البغدادي الحكيم، مطلعها :

«يربّكك أيّها الفلك المدار بقصدٍ ذا المسير ام اضطرار»

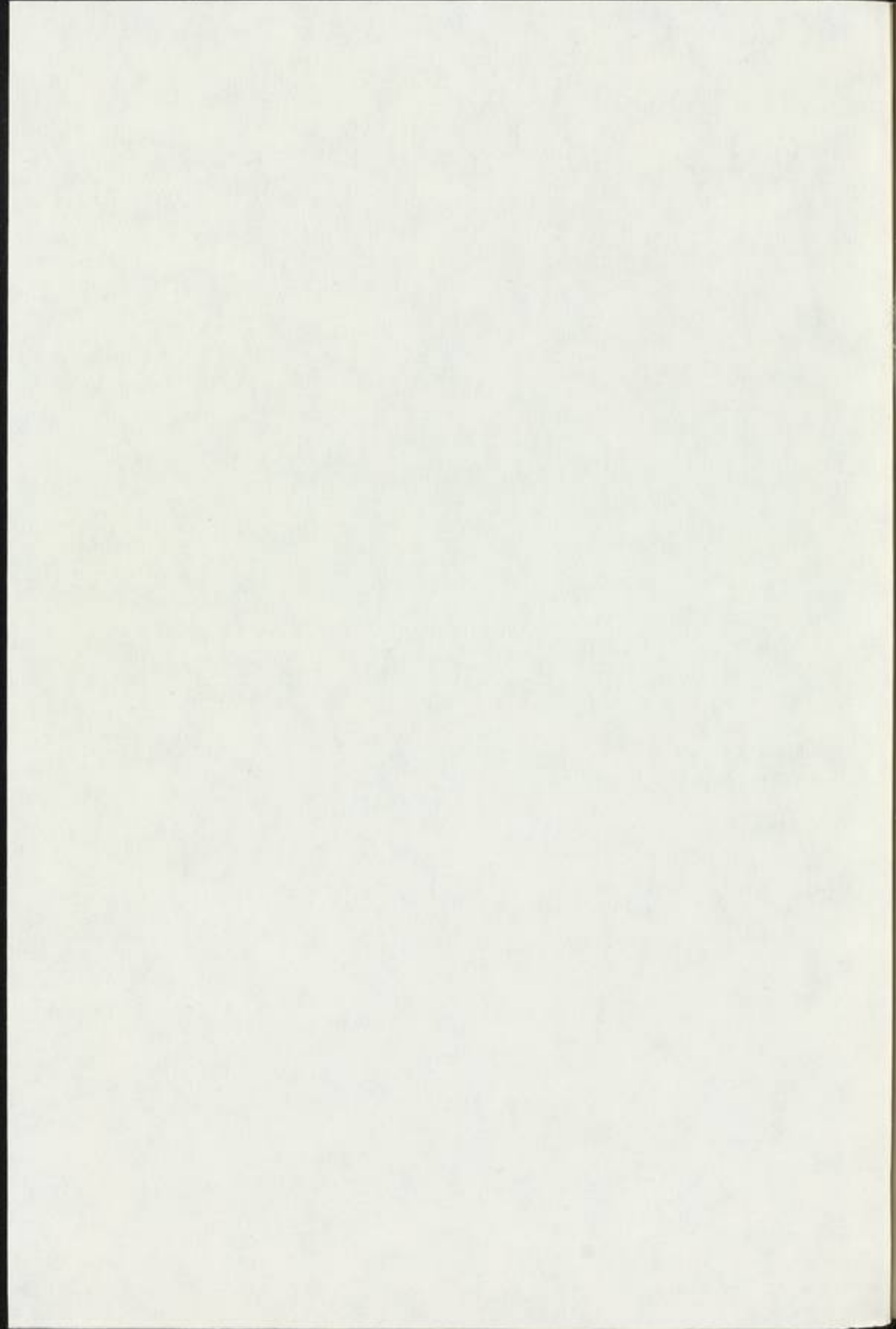
- ٣٦- متفرقات فارسية و عربية نظمًا و نثرًا في مجموعات متعددة ، منها نحو
 مأتين جملة رتبت على حروف الهجائية من هذا القبيل : « ارادة الخير ، خير الأرادة »
 « بذر الشر ، شرّ البذر » ، « توجيه الفساد ، فساد التوجيه » ، « ثبات الروح ، روح الثبات »
 « جوهر الحركة ، حركة الجوهر » ، « حقيقة العشق ، عشق الحقيقة » ، « خير الكلام ،
 كلام الخير » وقس على ذلك . ومنها اصول عقلية وقواعد فلسفية وغيرها .
- ٣٧- مقالات متنوعة في موضوعات مختلفة .
- ٣٨- مجلة ايمان نشرت منها تسعة عشر جزءاً .
- ٣٩- عظمت محمد ، ص ، (ترجمة كتاب «محمد صلى الله عليه وآله وسلم ،
 المُتمثل الكامل» - طبعت مكرراً -)
- ٤٠- حديث تمثيل (ترجمة كتاب «حديث التمثيل» تأليف السيد المحقق النداماد
 قدس سره ، في تفسير قوله (ص) يا هلىّ ما مشكك في الناس الا كمثّل سورة «قل
 هو الله احد» في القرآن . . .)
- ٤١- «منهاج الشريعة في حكم الأحداث والبدعة» (رسالة وجيزة بالعربية)

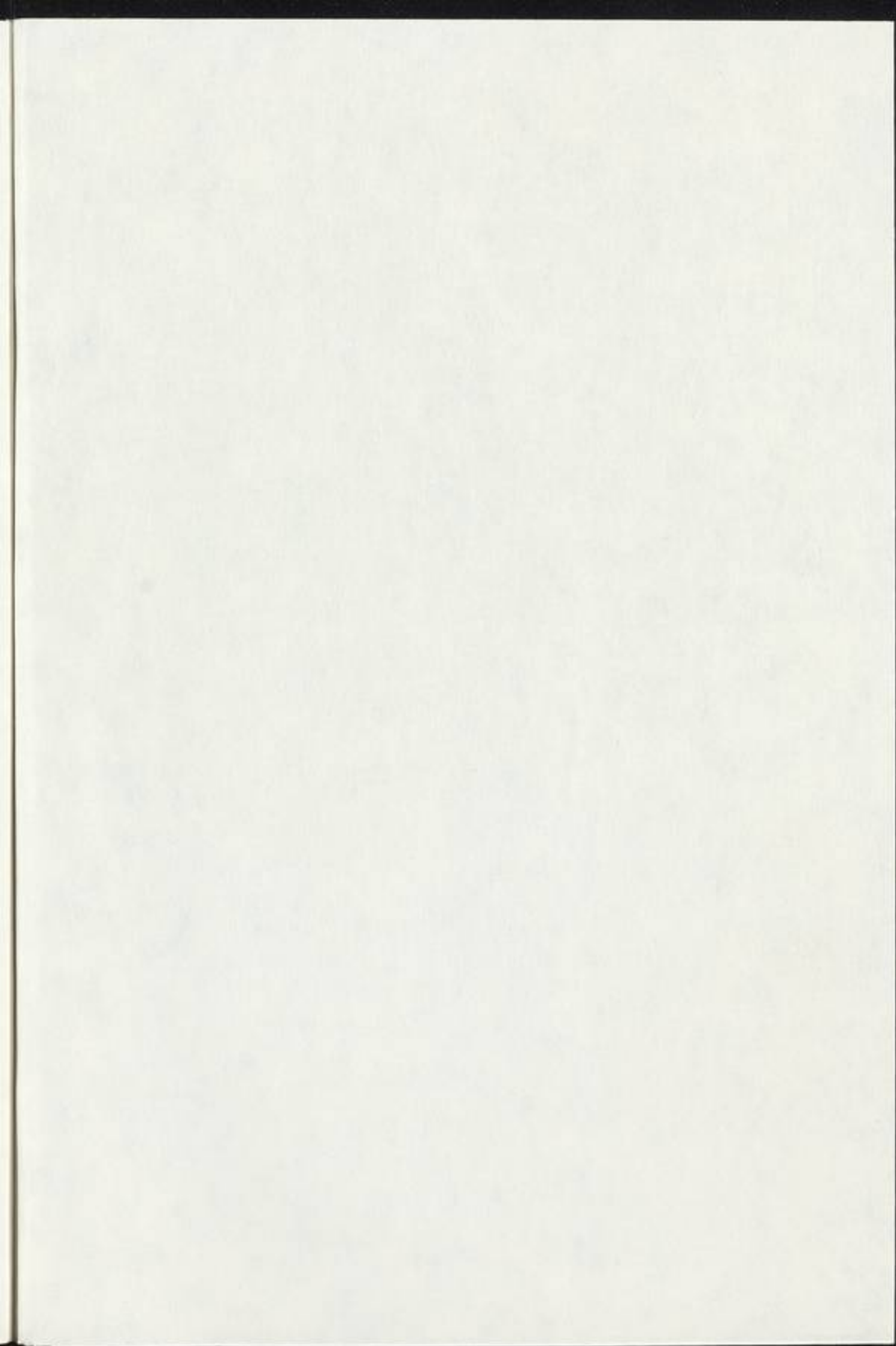
اصلاح مواضع الخطاء

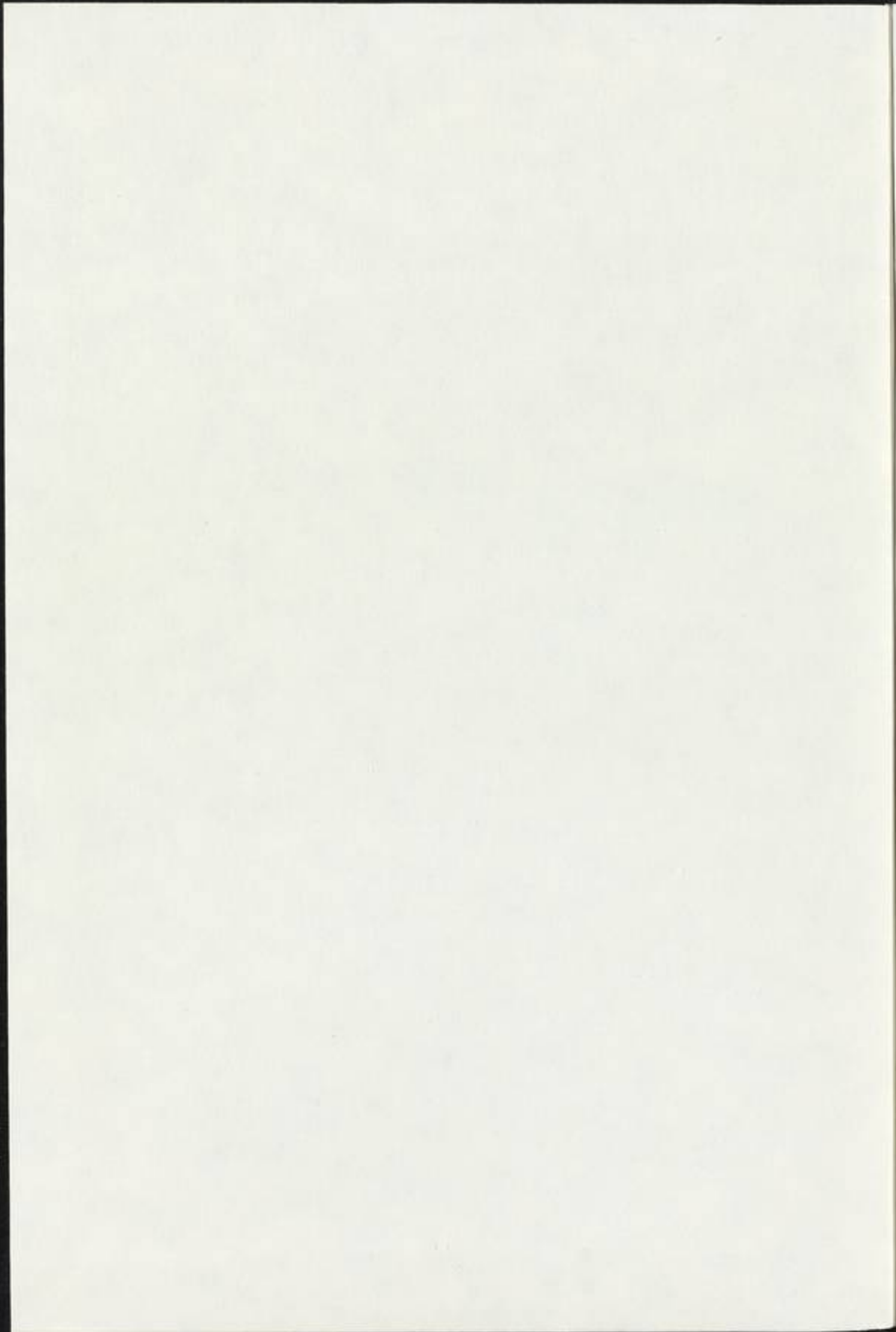
المرجو من الناظرين الأفاضل ان يصلحوا موارد الخطاء ، على ما ينظرون في-
الجدول ، بعد اصلاحهم ارقام العناوين من الصفحة ال ٣٣ الى ، كما ان المأمول
من عنايتهم ان يصلحوا ما لم يُزبّر في الجدول ، لظهوره على الناظر او لسقوطه
عن النظر . ولهم الشكر :

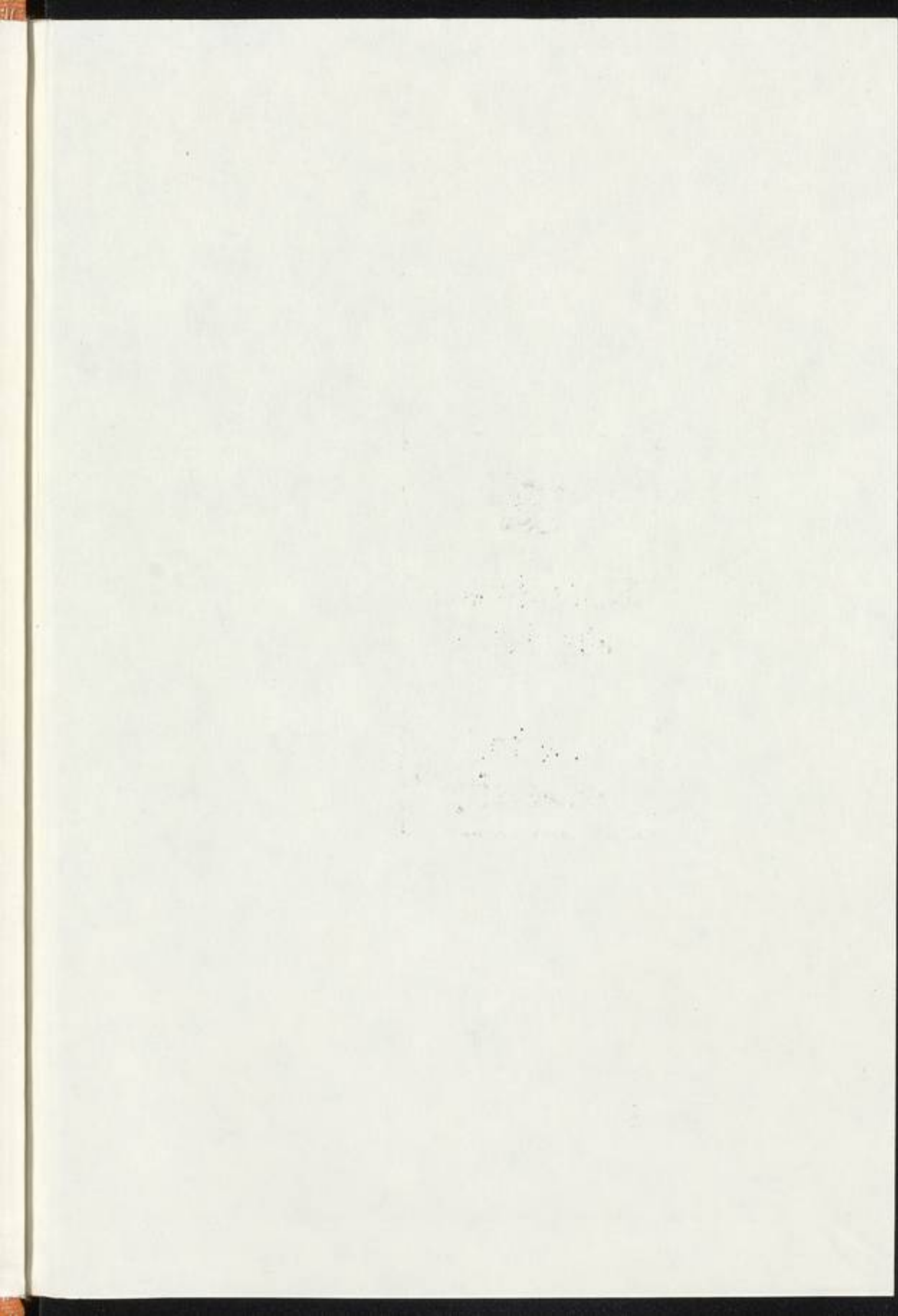
الصفحة	السطر	الصواب	الصفحة	السطر	الصواب
٤	١٢	الساذجة	١٣٩	٦	ويُفقههم
٥	١٠	كمال	١٤١	٧	يدركوا الامر
١٠	١٠	وباية	١٤١	٩	للتأمر
٢٣	٧	ويُخرجُ	١٤٨	٧	مرضة
٣٠	١٨	متين	١٤٨	١٦	الريبة
٣٣	١٣	ماهى المعجز	١٥٠	١٠	فانصرفوا الى
٣٧	٥	ناظراً	١٥١	١٥	اعتزاً
٥٠		نماذج	١٥١	١٧	و الشاة
٥٦	١٩	رعاية	١٥٢	٩	و المنعة
٦١	٨	الصديقة	١٥٨	٥	الوجه
٨٦	٢٠	تشاء	١٨٥	١٦	هنيئاً
٩٠	١٨	يترتب	٢٠٠	١١	النصفه
٩٨	١٥	بعته	٢٠٠	٣	وقد غمرك
١١٠	١٢	اصنافاً	٢١١	٢١	خزانه الكتب
١١٢	٥	مناديا ينادى	٢١١	٢١	السلطان

الصفحة	السطر	الصواب	الصفحة	السطر	الصواب
۲۱۴	۱۶	القول	۳۷۱	۶	أَخْبَرْتَهُ
۲۱۹	۲۱	لأنكاد ان تُنكر	۳۹۳	۲۳	وسلم . «
۲۲۰	۳	لله بلاءُ	۴۰۰	۱۲	نقل ابن ابي
۲۴۰	۲۰	بِمُسْتَى	۴۰۲	۱۹	وفِصَالُهُ
۲۴۴	۱۸	في مكنون	۴۰۷	۱۹	كما كان
۲۵۱	۱۳	الرابع ، من الاصابة	۴۱۴	۲۰	فقد استخلف
۲۶۶	۸	فانهز بشير ونهض وتكلم	۴۲۲	۳	هادياً
۳۷۳	۳	ستة اشهر	۴۳۲	۷	و داخله
۳۰۳	۱۰	للمسلمين	۴۴۱	۱۵	فَلَمَّا ذَا
۳۱۹	۱۲	مُرَّ مَلًّا	۴۴۷	۵	من سبب
۳۳۱	۱۶	مخالفتها	۴۴۸	۱۵	فَلَمَّا ذَا
۳۳۱	۱۸	مورد آخر	۴۵۶	۱۰	ورد الصك
۳۴۷	۱	«الشيعية»	۴۵۶	۱۳	فكان
۳۵۹	۱۳	يستقبل	۴۷۷	۲	لتتابعني
۳۵۹	۱۵	المدار فيها	۴۸۲	۱۶	دخوله على
۳۶۱	۶	الخطاب	۴۸۳	۱۷	ان ترد
۳۶۲	۸	امر کم ، خير کم	۴۸۴	۸	مسنداً ايضاً
۳۶۸	۳	المتسمون	۴۸۴	۲۱	تجمير الجيش
۳۶۸	۱۶	متخمرًا	۴۸۵	۲۰	بناء الأمر
۳۶۸	۲۰	(ملك)	۴۸۷	۱	لنفسك اودع
۳۶۹	۱	قد جمع	۴۹۵	السطر الآخر	انتي











**Elmer Holmes
Roberts Library**

**New York
University**

